



دكتور محمد مؤنس عوض

# الإمبراطورية البيزنطية

دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة



# الإمبراطورية البيزنطية

## دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة

( ٢٢٠ - ١٤٥٢ م )

إعداد

أ. د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة عين شمس

وكلية الآداب والعلوم - جامعة الشارقة

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م



مركز للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

CENTER FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

حقوق النشر محفوظة ©

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

• شارع شرعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون فاكس ٢٨٧٧٧٢

PUBLISHER: EEN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Elherma - A.R.E. Tel : 2071693

E-mail : dar\_een@hotmail.com

book ein @ yahoo.com

web site: WWW.Dar-Een.com

الموقع الإلكتروني

## المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهولوى

د. شوقي عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذي:

بشريف قاسم

مدير الإنتاج:

جمال عاهد

تصميم الغلاف: محمد أبو طالب

على قدر أهل العزم تأتي العزائم  
وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها  
وتصغر في عين العظيم العظائم  
أتوك يجمرون الحديد كأنهم  
سروا يجهاد مالهن قوائم  
خميس بشرق الأرض والقرب  
زحفه وفي أذن الجموزاء منه زمزم

المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني

## الإهداء

إلى روح إيمان سالم ؛ التقيّة النقيّة .. التي  
اختطفها الموت فجأة (ت ٢٠٠٣م) ، وهي في  
ربيع العمر الأخضر الوثاب ... فبكت عليها كل  
عين رأتها ... !!! وعَصَفَ الحزن القتال بكل قلب  
عرفها ... !! ، ورثتها في عنان السماء طيور  
مدينة رشيد الجميلة ... وإنّا لله وإنّا إليه  
راجعون....!!



## المحتويات

الإهداء .....	٥
التقديم .....	٩
المقدمة .....	١١

## القسم الأول

مدخل بيليوغرافى للتاريخ البيزنطى- نماذج مختارة ومشكلات الدراسة .....	١٧
--	----

## القسم الثانى

تاريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة (٣٣٠-١٤٥٣م) .....	١٢٣
أولاً : أسرتى قسطنطين (٣٢٤-٣٧٨م) وثيودوسيوس (٣٧٩-٤١٨م) .....	١٢٩
ثانياً : أسرة جستنيان (٥١٨-٦٢٩م) ٢ .....	١٥٦
ثالثاً : الأسرة الهيرقلية (٦١٠-٧١٧م) .....	١٨٥
رابعاً : الأسرة الأيسورية (٧١٧-٨٢٠م) .....	٢١٠
خامساً : الأسرة العصورية (٨٢٠-٨٦٧م) .....	٢٢٧
سادساً : الأسرة القدونية (٨٦٧-٩٥٩م) .....	٢٥١
سابعاً : أسرتى دوكاس وكومنين (١٠٥٧-١١٨٥م) .....	٢٠٢
ثامناً : أسرة أنجيلوس والاحتلال اللاتينى (١١٨٥-١٢٦١م) .....	٢٤٦
تاسعاً : أسرة باليولوج (١٢٦١-١٤٥٣م) .....	٣٧٨
الخاتمة .....	٤٢٧
الملاحق .....	٤٣٥
المخرائط .....	٤٥٧
قائمة الاختصارات .....	٤٧١
قائمة المصادر والمراجع .....	٤٧٣



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### التقديم

يشرفني أن أقدم هذا العمل العلمي المتميز بقلم الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض إلى القارئ العربي الخاص والعام جميعاً. ولعل أكثر ما يشير الإعجاب في هذا المؤلف الرائع ذلك المدخل الجيولوجي للتاريخ البيزنطي بطريقة تحليلية نقدية التي هي ما سمات المؤرخ محمد مؤنس؛ فلقد عالج في هذا القسم المصادر اليونانية واللاتينية من خلال الهاتولوجيا وأيضاً الجامع للمخطوطات البيزنطية ومجموعة مؤرخي الحروب الصليبية التي تضم المصادر الأرمنية والشرقية. والجامع للتقوس البيزنطية وتلك الخاصة بآسيا الصغرى، ومجموعة مؤرخي ألمانيا، والجامع للكتائب البيزنطية في الأرض المقدسة، ومجموعة مؤرخي الغال وفرنسا وحوليات بريطانيا وأيرلندا، والهاتولوجيا الشرقية، وأعمال الكتابات الإيطالية ومجموعة نصوص حجاج فلسطين إلى جانب عمدة المؤرخين البيزنطيين من أمثال يوساب القيساري وميناندر ويوحنا الأنسوسي، وثيوفيلاكس، وأمهاتوس ماركليثوس، وحنس مالالاس، وسقراط، وسوزين وميخائيل يسلوس، ويوحنا اليفدي، وجورج الراهب، وماتوييل فيليس وجورج كدريوس والامبراطور الأديب قسطنطين بوريرو جيتس، وليو الشمس، وليس الحكيم، وجورج البسيدي، وهولس الصامت، وثيوفانس، والفاند كيكومينوس، وعطرس الصقلي، وزوسيموس، وبروكيريوس القيساري، وإيفاجيوس اسكولاستيكوس، وجورج باخميرس وثيودوس الراهب وصولاً إلى الأميرة المؤرخة أنا كرميتا والصلاطين كيناموس ونيكتاس خونيائس.

أما المصادر اللاتينية فتشمل إكهارد رودولف ديكاين وجيبرت التوجنتي وأودو الدولي وفوشبهي دي شارتر، ورفرنس داجيل، وروبرت كلاري، وأوتو القريزي، ووليم الصوري ونيماين التطلي، وماونزو ساندو وغيرهم.

أما المصادر الأرمنية فتشمل علي: متى الرهاوي، وسيبوس، وجيفوند وصبريل من أني، ومرس خورتيه إلى جانب المصادر السريانية وتتضمن ميخائيل السرياني وابن العربي وغيرهم كذلك يبرز المؤلف على المصادر الروسية من قبيل حولة نسطور وحولة نوفغورد.

ومن المصادر العربية المسعودي، وياقوت الحموي، وأبا الفداء، والقزويني، والطبري، وابن الأثير، وغيرهم كثير.

ويتجرد خالص أود أن أقرر في هذا التقديم أن هذه أول دراسة نقدية نزيهة لمصادر التاريخ البيزنطي شرقا وغربا

ويعالج المؤلف في القسم الثاني تواريخ الأسر البيزنطية ما بين سنة ٣٣٠م - وهي سنة تأسس مدينة القسطنطينية على يدى القسطنطين الكبير - مروراً بأسر قسطنطين وثيودوسيوس وجوستنيان وهرقل وليو الأيسوري والعموريين والمقدونيين وآل دوكاس وكومنن وصولاً إلى الغزو الصليبي للقسطنطينية سنة ١٢٠٤م ، ثم تحريرها على يد أسرة باليولوغوس سنة ١٢٦١م . وأخيرا الفتح العثماني لمدينة القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني الفاتح سنة ١٤٥٣م

وبهذا يغطي المؤلف تاريخ الدولة البيزنطية من الألف إلى الياء والجميل أنه يزود عمله الرائع بخاتمة وملاحق تخدم المتخصصين من طلاب الدراسات العليا في التاريخ البيزنطي ومن أمثلتها تواريخ الأسرات البيزنطية الحاكمة من ٣٣٠م إلى ١٤٥٣م والخلفاء الفاطميين في مصر من ٩٧٢م إلى ١١٧١م . السلاطين العثمانيين من ١٢٩٩م إلى ١٥٢٥م . والترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي وأبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها نقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي المطيع لله متهدداً ومتوعداً . إلى جانب المستعمرات البيزنطية التي خضعت للبندقية بعد عام ١٢٠٤م

ويؤكد المؤلف في خاتمته لهذا المؤلف الضخم على فاعلية العوامل الداخلية ودورها البارز في سقوط بيزنطة مرتين الأولى ١٢٠٤م في أيدي الصليبيين ، والثانية في ١٤٥٣م على يدى السلطان الفاتح متبعاً رؤية المؤرخ البريطاني المرموق أرنولد توينبي وأستاذة عبد الرحمن ابن خلدون مؤكداً على أن السقوط في التاريخ دائماً من الداخل وليس من الخارج

كما يشرف الأستاذ الدكتور المؤلف عند النموذج اللاأخلاقي البيزنطي والذي ورثه عنهم العثمانيون من دسائس وجزامات الييت الحاكم ، كذلك يوضح المؤلف للقارئ أن التعامل مع المصادر التاريخية وقراءتها بالنسبة لبيزنطة يختلف من مدرسة إلى أخرى وذلك بحكم الإبداعية التي تحكم هذا الكاتب أو ذاك

أخيراً يسعدني أن أقرر في موضوعية ونزاهة كاملة : أن هذا العمل يعد إضافة علمية موقرة للمكتبة العربية

أ.د. اسحق عبيد

أستاذ العمود الوسطى كلية الآداب جامعة عين شمس

## المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الممتدة من القرن الرابع الميلادي إلى ما زاد على منتصف القرن الخامس عشر الميلادي . وبالتحديد من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م. أى على مدى ما فاق أحد عشر قرناً من عمر الزمان من خلال الأثرات الهامة

والواقعية أن ذلك التاريخ يحتل أهميته الخاصة : إذ أخضعت تلك الإمبراطورية بلاد الشام، ومصر وبقية الشمال الأفريقي لسيطرتها السياسية إلى أن ظهر الإسلام وأجمع الفاتحون العرب تلك المناطق لسيادتهم وانتزعوها من السيادة البيزنطية، وهكذا : فإن المرحلة البيزنطية ليس في الإمكان إسقاطها من تاريخ منطقتنا ، كما أن تلك الإمبراطورية دخلت في علاقات سياسية وحربية، وحضارية مع الأمويين والعباسيين والأتراك السلاجقة والعثمانيين، وبالتالي؛ فإن فهم تاريخها يعد أمراً ضرورياً من أجل دراسة تاريخ العلاقات بين عالم الإسلام وعالم المسيحية في المرحلة القروسطية .

جدير بالذكر : يرجع اهتمامي بالتاريخ البيزنطي إلى نحو ثلاثة عقود، فباللحاح أن أختصر في تاريخ الحروب الصليبية خلال القرنين الثاني عشر، والثالث عشر الميلاديين؛ يدرك حجم الاتصال الوثيق بين التاريخ البيزنطي، وتاريخ الصليبيين في الشرق. كما أنه في أطروحتي للدكتوراه- عن السياسة الخارجية للدولة النورية (١١٤٦-١١٧٤م) خصصت فصلاً عن العلاقات النورية - البيزنطية ، ولا أقفل كذلك جانب الخبرة التدريسية وتأثيرها الرصاح؛ فقد قمت بتدريس التاريخ البيزنطي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها بالملكة العربية السعودية طوال ست سنوات كاملة، ولانزع في أن تدريس التاريخ البيزنطي يعطي للباحث في رحابه أبعاداً فكرية جديدة لا تتوفر إلا لمن خاض غمار التجربة تأليفاً وشرحاً ومعايشة العصر التاريخي ذاته، ومن خلال دراسة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب في العصر الوسطي.

مهملًا يكن من أمر : فتأليف كتاب عن تلك المرحلة الزمنية يحتاج إلى مجهود كبير، خاصة أن هناك العدد الوافر من الدراسات في الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية عن كافة جزئياته. كذلك توجه أطروحات علمية للماجستير والدكتوراه من جانب عدد من الباحثين العرب. تاهيك عن إصدارات متعددة لمؤرخين مصريين. وعرب ساهموا في تطوير الدراسات

البيزنطية في العالم العربي وذلك على مدى نحو سبعين عاماً ، ولاشك في أن ذلك يضع عبئاً ثقيلاً على من يسعى إلى عرض التاريخ البيزنطي في دراسة واحدة مستقلة .

من ناحية أخرى ؛ سيلاحظ القارئ أن الكتاب يهتم - قدر الإمكان- بالجانب النقدي، فليس هدف كاتب هذه السطور التلوث وراء الأحداث وترهم اقتناصها بل البحث فيها ، ونأملها قدر الجهد الممكن.

وقد انقسم الكتاب إلى قسمين ، اهتم الأول منهما بتقديم عرض جليوغرافي أولي لمصادر ومراجع التاريخ البيزنطي، وذلك من خلال أسلوب النماذج المختارة ويهدف إلى تقديم لمحة بانورامية عامة عن مصادر ذلك التاريخ وحث أن إيجاد دراسة جليوغرافية شاملة أمر خارج الفترات الفردية نظراً لوفرتها وتعددتها ؛ لذا فإن جهدي يقفل في هذا المجال جهداً فردياً ومن المفترض في المستقبل - بإذن الله تعالى- سيتم تخصيص دراسة أكثر شمولية عن ذلك الجانب الجليوغرافي البالغ الأهمية بالنسبة للباحثين كما اهتم بدراسة المشكلات المنهجية الخاصة بتاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، والأمر المؤكد: أن تلك المشكلات لها أهميتها الواضحة عند التعامل مع مصادر ذلك التاريخ التي تمتاز بالتنوع الكمى، والكيفي في آن واحد.

وفيما يتصل بالقسم الثاني ؛ نجدتنا تناول عرضاً للتاريخ البيزنطي في صورة ملامح بانورامية عامة ، وذلك من خلال دور الأسر البيزنطية الحاكمة ، والعمل - قدر الإمكان- على المقارنة بين كل أسرة وأخرى وعوامل النجاح والإخفاق. وذلك من خلال الظروف الدولية المختلفة التي صاحبت تاريخ كل أسرة حاكمة، وشكلت أدوارها في السياستين الداخلية ، والمخارجية . وأود لفت انتباه القارئ إلى أن بيزنطة لا يزال هناك إمكانية تقديم تصورات تاريخية معاصرة بشأنها ؛ فالتاريخ - عموماً- لم يقل كلمته الأخيرة بعد ؛

كذلك تم تزويد العرصة بخاتمة اختارت على أهم ما أمكن التوصل إليه من نتائج، وكذلك تم إبراد عدد من الملاحق والمرفقات . ثم أخيراً قائمة بالمصادر والمراجع بلغات متعددة كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والعربية

وقد يتصور البعض؛ أن تناول التاريخ البيزنطي من خلال الأسرات الحاكمة بعد أمرأ تقليدياً غطياً لا يجيد فيه، ولرد على ذلك ؛ نقول ؛ أن طبيعة العالمة هي التي تحسم الأمور؛ إذ أن عهد إمبراطور بيزنطي ما؛ لا يمكن فهمه دون فهم طبيعة التطور التاريخي للأسرة الحاكمة التي وجد فيها من خلال إيجابيات . وسلبات سياستها.

من رابطة أخرى : من المهم التنويه إلى أن المقارنة بين الأباطرة في الأسرة الحاكمة الواحدة ، وكذلك بين أسرة وأخرى ، يعتمد على الاقتراب أكثر من طبيعة التاريخ البيزنطي التي لم تتخذ أشكالاً ثابتة أو نمطية خاصة في الصراع ، من أجل تليقاً مع القوى الخارجية . وما أكثرها والتي عرفت بمعاداتها للإمبراطورية المترامية الأطراف جغرافياً ، والمترامية تاريخياً على نفس المقدار !

وهكذا ، ففي تصوري أن التعامل مع الأسرات البيزنطية الحاكمة ، يمكن الدارس من تسليط الأضواء على جوانب محددة لا تتوافر له وفي حالة دراسته لتاريخ بيزنطة وفق تصور مغاير .

والآن : أتى موعد قطف زهور النماء ، وورود "شكر والتقدير ، وأقدمها إلى عدد من المرخين المصريين في صورة المزورج والمترجم والمحقق الراحل أ.د. حسن حبشي : أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية جامعة عين شمس الذي رحل عن عالمنا عام ٢٠٠٥م<sup>(١)</sup> ، تركنا في القلب غصة لا تنتهي ! ، وقد عكف ابن مصر اليار على ترجمة عدد من مصادر التاريخ البيزنطي والتعليق عليها على نحو يعجز عن القيام به فريق عمل من الباحثين حالباً ، وكل ذلك بافتقار ، وأستاذية العالم الراحل الذي ترحل مع الملائكة والأرواق ، ولا يغفوني ها : الإشادة بترجماته الثرية بالتحقيقات لكتابات كيناموس Kinnamos . وألاً كومينا Anna Comnena ، ونيكتاس خونياني Nicetas Choniates وقد طالعها وهي محظوظة ومنها ما لم يطبع بعد ، بالإضافة إلى معجم التراجم البيزنطية الذي أعده دونالد نيكول Donald Nicol عالم البيزنطيات الشهير

أما المزورج الثاني : فهو أ.د. إسحق عبيد أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة عين شمس المحيى بالتاريخ البيزنطي . والعلاقات "بيزنطية - اللاتينية . وأعتنم العرصة للإشادة بمروح تدين له الدراسات البيزنطية في جامعات نوتنجهام Nottingham بالانجلترا ، ومصر وبني غازي بليبيا ، والكويت ، واليمن الكثير . وقد أفدت من خبرته العلمية الواسعة منذ أن تطلعت على يدى ابن أسوط عام ١٩٧٧م . وما زالت ذكري محاضراته منتعشة في الأذن ، والقلب والعين ، والروح وكأنه ألقاها على السور منذ لحظات على الرغم من نوالى الأعوام مهولة ولا أستطيع نها دفماً !!!

عن سرته أنظر محمد مؤنس عوض . عصر الحرب الصليبية ١ - ٢٠٢٠ ص ٢٤٣ من ٢٢٢

كذلك لا أغفل الإشادة بكتابات مؤرخين بارزين في حقل الدراسات البيزنطية من أرض الكننة وأذكر منهم أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز قريش ، أ.د. محمد مرسى الشيخ أ.د. عليه الجنزورى ، أ.د. زبيدة عطا ، أ.د. عفاف صبره ، أ.د. لبلى عبيد الجراد ، وقد أفدت من مؤلفاتهم، ومن سوريا- الشقيقة الجغرافية والتاريخية لأرض الكننة- أذكر أ.د. عادل زيتون ، أ.د. نعيم فرح ، د. عبد السلام زيدان ، الذى قدم لى كل عون فى الحصول على بعض المؤلفات الصادرة فى دمشق ، وللزميل الفاضل د. حاتم الطحاوى لمراجعته الدقيقة لقسم كبير من الكتاب وللأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى لاقادته من مكتبته العاصرة فى كلية الآداب والعلوم بجامعة الشارقة، والدكتور سلامة الهوى بنفس الكلية للملاحظات القيمة التى قدمها لى بعد مطالعة مخطوط الكتاب ، كذلك أشكر عدداً من تلاميذى خاصة محمد قريزى، وأحمد عبدالله، وهنادى السيد خاصة الأخيرة التى صورت لى عدداً من المقالات والمراجع المهمة ، كذلك لا أغفل تقديم شكر خاص للزميلة د. زينب توفيق حبيرة اللغة اليونانية.

بصفة عامة ؛ أفدت من مكتبات اليونان ، وتركيا ، والسعودية، والإمارات العربية، ومصر، وذلك على مدى زمنى طويل، وفى الأخيرة أذكر مركز البحوث الأمريكى ، والجامعة الأمريكية والكلية القبطية والمعهد الفرنسى والمعهد الألمانى للأثار ، ومكتبات جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية وأسيوط، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة لعدد من الأئمة الأفاضل فى حقل الدراسات البيزنطية.

لقد كان إعداد هذا الكتاب فرصة سانحة لاقتناء مئات الكتب والمقالات عن التاريخ لبيزنطى ، وقد استغرق العمل فيه ثلاث سنوات من الجهد المتواصل وقد نتج عن ذلك قائمة لمصادر ، والمراجع فى نهاية الدراسة، وأتصور أن القارئ الموضوعى سيقدر ما بذل فيه من جهد على

عسى أئنه حال ؛ أدعو القارئ إلى تصفح صفحاته، ودائماً وأبداً أردد قول الحق تبارك وتعالى «فوق كل ذي علم عليم»- صدق الله العظيم

أ.د. محمد مؤنس هرسى

أستاذ تاريخ المصور الوسطى

القاهرة- مصر الجديدة - مساكن الضباط

## **القسم الأول**

**مدخل ببليوغرافى للتاريخ البيزنطى**

**ومشكلات دراسته**



## مدخل بيليوغرافى للتاريخ البيزنطى

### ومشكلات الدراسة

يتناول هذا القسم من الكتاب : لحة عن قاذج لأهم المصادر والمراجع التاريخية التى من خلالها يمكن للباحث الإطلاع على والتابع التاريخ البيزنطى . وبداية لود الإشارة إلى أن ذلك المدخل ليس من مهمته إيراد حصر شامل للمصادر والمراجع المذكورة : إذ أن ذلك خرج عن حدود النطاق الفردى ويتطلب فريق عمل من الباحثين خاصة أنها مصادر تاريخ أحد عشر قرناً من عمر الزمان .

واقع الأمر : من المهم التعرض لمجموعات مصادر التاريخ البيزنطى . ثم الكتابات العلمية . والآثار . والتفوش . والنقود . وتقديم قاذج مختارة من كل نوع من تلك المصادر حتى يمكن للباحث الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك من خلال مطالعة المزيد منها من خلال قدراته الشخصية البعشية .

وفما يتصل بمجموعات المصادر . من الممكن إيرادها على النحو التالى

- الباترولوجيا البيزنائية ، إصدار ج. ب . مينى . باريس ١٨٥٧-١٨٦٦م .  
١٨٨٠-١٩٠٣م وتقع فى (٦٦١) جزءاً :

Patrologiae Cursus Completus , Series Graeco - Latine , ed J.P. Migne , Paris 1857 - 1866 , 1880-1903 , 161 vols .

- الباترولوجيا اللاتينية ، إصدار ج. ب مينى . باريس ١٨٤٤-١٨٥٥م .  
١٨٦٢-١٨٦٤م وتقع فى (٢٢١) جزءاً

Patrologiae Curus Completus Series Latina , ed . J.P. Migne , Paris 1844-1855 , 1862-1864 , 221 vols .

- الجامع للمخطوطات البيزنطية .

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae , Bonn , 1828-1897 , 50 vols.

- مجموعة موزخى الحروب الصليبية

Recueil des Historiens des Croisades , Paris .

وتنقسم إلى :

- الوثائق الآرمينية، مجلدان ، باريس ١٨٦٩-١٩٠٦ م .  
Documents arméniens, 2 vols ., Paris 1869 - 1906 .
- المزهرون الاغريق - مجلدان ، ط. - باريس ١٨٨١-١٨٧٥ م .  
Historiens grecs, 2 vols ., Paris 1875-1881  
Lois, 2 vols , Paris, 1841-1843 .
- المزهرون الغربيون . ٥ مجلدات في ٨ أجزاء باريس ١٨٤٤-١٨٩٥ م .  
Historiens Occidentaux, 5 vols ., in 8 pts, Paris 1844-1895 .
- المزهرون الشرقيون . ٥ مجلدات في ٦ أجزاء ، باريس ١٨٧٢-١٩٠٦ م .  
Historiens Orientaux, 5 vols . in 6 pts, Paris 1872 - 1906 .
- ومن مجموعات المصادر نذكر أيضاً
- الجامع للنفوس اليونانية ، ٤ أجزاء، ط. برلين ١٨٧٧-١٨٦٨ م .  
Corpus Inscriptionum Graecarum, 4 vols , Berlin 1828- 1877
- مجموعة النقوش اليونانية المسيحية لآسيا الصغرى، ط. باريس ١٩٢٢ م .  
Recueil des Inscriptions Grecques Chrétiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .
- مجموعة مؤرخي ألمانيا<sup>(١)</sup>
- Monumenta Germaniae historica.

١- من المهم الإقرار بأن مجموعة تاريخ ألمانيا التذكارية قام بشرها ج. ه. برتر G.H. Pertz، وتتساول تاريخها فيما بين عامي ٥٠٠ - ١٥٠٠ م. ووقعت في ١٢٠ مجلداً وقد صغرت في برلين ونشرت فيما بين عامي ١٨٢٦-١٩٢٥ م. ولاحظ أنها تعد من أكبر مجموعات التاريخ القومي في كل أوروبا - ولازم في أنها صدرت على مدى قرن كامل . وعكست حرص الألمان على تجميع ونشر مصادر تاريخهم القومي.

عن هذه المجموعة أنظر

على العمودي : « الزقات الدينية في أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن » .  
مجلة كلية الآداب والدرية - جامعة الكويت، ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤ م. ص ١٢٧ . « معالم الألب التاريخية Monumenta Germaniae Historica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألماني في العصور الوسطى » . مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٨٦ م  
محمد مؤنس عوض، فصول جغرافية في تاريخ الحروب العنيفة . ط. القاهرة ١٩٩٦ م. ص ٥٩

ونقسم إلى :

- Monumenta Germaniae historica: Aucta - rerum antiquissimorum, 15 vols . Berlin 1877-1919 .
- Monumenta Germaniae historica: Epistolarum, 8 vols , Berlin 1887-1939 .
- Monumenta Germaniae historica: Legum, 5 vols, Hannover 1835-89 .
- Monumenta Germaniae historica Poetarum latiuorum medi aevi, 6 vols , Berlin - Leipzig - Weimar 1880-1951 .
- Monumenta Germaniae historica: Scriptorum , 32 vols : Hannover 1826-1934 .
- Monumenta Germaniae historica, Scriptores rerum langobardicarum et italicarum Saec., Hannover 1878
- Monumenta Germaniae historica Scriptores rerum merovingicarum 7 vols , Hannover 1885-1920 .

- الجامع للكنائس البيزنطية في الأرض المقدسة . نشر أولفاديا ، ط. ١٩٧٠م.  
Corpus of the Byzantine Churches in the Holy land , ed. by Ovadiab , Bonn 1970

Nicene and post Nicene Fathers of the Church of the Christian Church , ed. by Philip Schaff and Henry Wace , Michegan 1891

- مجموعة مؤرخي الغال وفرنسا ، ٢٧ جزءاً باريس ١٧٢٨-١٨١٨م.  
Recueil des Historiens des Gaules et de la France , Par des religieux Bendic tins , 27 vols ., Paris 1738-1818 .<sup>(١)</sup>

١- لمجد الإشارة إلى أن المجموعة المذكورة ، تعد بمثابة أول مجموعة ضخمة شملت مصادر التاريخ الغربي في أوروبا ، وقد بدأ بوكيه Bousquet في نشرها في باريس ، وذلك عام ١٧٢٨م. وصدر منها في عام ١٧٨٦م ثلاثة عشر مجلداً . وتوقف إصدارها خلال أحداث الثورة الفرنسية وعادت بعدها للصدور . وللمجموعة المذكورة طبعة أخرى نشرها لـ L. Delisle في باريس من عام ١٨٦٨ إلى عام ١٨٨٨ مع ملاحظه أنه اقتصر على الجلدات التسعة عشر الأولى، عن ذلك أنظر : علي القمراوي: تقرير بيلوغرامى عن بحوث فرنسا ونشراتها في القرن الثامن =

- حريات بريطانيا وأيرلندا خلال العصور الوسطى. ٩٩ جزء ٤. لندن ١٨٥٨-١٨٩٦م<sup>(١١)</sup>.

Rerum Britannicarum mediæ ævi Scriptores, or Chronicles and memorials of Great Britain and Ireland during The Middle Ages, published by the authority of her Majesty's Treasury under the direction of the Master of the Rolls, 99 vols., London 1858-1896.

- البديولوجيا الشرقية، نشر ل. جرافين، ف. ناو، ط. باريس ١٩٠٤.  
Patrologia Orientalis, ed. R. Graffin et F. Nau, Paris 1904 FF.  
Corpus Fontium Historiae Byzantinae.

وهي مجموعة مصفوفة بيزنطية مهمة صادرة عن مركز دامبرتون أوكس Dumbarton Oaks<sup>(١٢)</sup> في واشنطن وقد صدر منها حتى عام ١٩٩٧م (١٠) أجزاء، ويحتوى على النصوص اليونانية، وترجماتها الإنجليزية. ومن أمثلة إصداراتها الآتى

عشر. مجلة كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود العدد (٧) عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م، ص ١١١. محمد مؤنس عوض، تصول ببلوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٤٨.  
١- عن بعض محتويات تلك المجموعة المصدرة انظر زينب عبد القوي، الإنجليز والحروب الصليبية، ط القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٩. وفكر الباحثة أن عددها يقترب من المائة مجلة والواقع أن العدد الحقيقي هو (٩٩) مجلدًا أنظر رأبها في الصفحة المذكورة

٢- أقيم مركز الفامبردون أوكس Dumbarton Oaks Center في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م. وقد توالى على المركز المذكور عدد من العلماء الذين عملوا على دراسة التاريخ البيزنطي من كدة حوايه السياسية والحضارية ونشر المصادر وترجمتها وكذلك الأبحاث التاريخية، تذكّر منهم جورج س. تاكر John S. Thacher (١٩٤٠-١٩٦٩م) وكان مسئولاً عن إدارة التنظيم الداخلي، ثم هناك ألبرت. فريد Ernest Kitzinger (١٩٤٣-١٩٥٦م) وهي بعده نذكر إرنست كسترلنجر Ernest Kitzinger (١٩٦٦-١٩٩٠م) وكفلك روميلي ج. ه. جنكز Romilly J. H. Jenkins (١٩٦٧-١٩٩٩م) ووليسر تيلور William R. Taylor (١٩٦٩-١٩٧٧م). ثم جيلز كونستابل Giles Constable (١٩٧٧-١٩٨٤م) وروبرت و. تومسون Robert W. Thompson (١٩٨٤-١٩٨٩م). عن ذلك المركز البحثي الذى يعد من اعظم المراكز المتخصصة على مستوى العالم إن لم يكن أهمها مع عدم إغفال دور مركز جامعة برمنجهام ومركز الدراسات البيزنطية في سالونيك ومركز جامعة الصربون في باريس، أنظر

- Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio* , ed . by Gy Moravcsik, Trans . by R. J. H. Jenkins , 1967
- Nicholas I, Patriarch of Constantinople Letters , ed . and Trans. by R.J.H Jenkins and L.G. Westerink , 1973 .
- The Correspondence of Athanasius I Patriarch of Constantinople: Letters to the Emperor Andronicus II, Members of the imperial Family and officials , ed . with Translation and commentary by Alice - Mary Maffry Talbot , 1975 .
- The Letters of Manuel II Palaeologue , ed. and Trans . by George T Dennis , 1977
- The Synodicon Vetus , ed. with Translation by John Duffy and John Parker, 1979 .
- Nicholas I , Patriarch of Constantinople : Miscellaneous Writings, ed. and Trans. by L.G. Westerink
- Letters of Gregory Akirdynos , ed. and Trans. by Angela Constantinides Hero , 1983 .
- The Correspondence of Ieo , Metropolitan of Synada and Synceilus , ed. and Trans . by Martha Pollard Vinson , 1985 .
- Three Byzantine Military Treatises, ed . and Trans . by George T. Dennis , 1985 .
- Nikephoros , Patriarch of Constantinople , Short History , ed. and Trans. by Cynl Mango , 1990 .<sup>(١)</sup>

---

= Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies . a Personal Account", in Laiou and Maguire (eds.) *Byzantium A World Civilization* , D.O., Washington 1992, pp. 5-18

١- عن ذلك أنظر : Laiou and Maguire (eds.) , *Byzantium A world Civilization* , D.O. : Washington 1992, pp. 159-160 .

- أعمال الكتابات الإيطالية ، نشر ل. ز. موراتوري (٧٥) مجلد في (٧٨) جزء ، ط.  
ميلانو ١٧٧٣-١٧٥١م .  
- *Rerum Italicarum Scriptores* ed. L.A. Muratori , 25 vols ., in 28 pts., Milan  
1723-1751

وأيضاً

- Rerum Italicarum Scriptores*, Citta di Castello- Bologna 1900 .  
- *Historici Graeci Miores*, ed. L. Dindorf , 2 vols ., Leipzig 1870-1871  
- *Fragmenta Historicorum Graecorum* , ed. Muller , 5 vols ., Paris 1874-  
1885  
مجموعة نصوص حجاج فلسطين (١٣) جزءاً وتحتوي على عدد من الحجاج الأوروبيين  
الذين مروا بمناطق الدولة البيزنطية أو كانوا من مناطقها المختلفة وقدموا إلى فلسطين ودونوا  
رحلاتهم ومن أمثلتهم يوحنا فوكاس Joannes Phocas وغيره  
وهناك أيضاً مجموعة :

- *Palestine Pilgrims Text Society* , 13 vols ., 1880-1897  
- *Byzantine Monastic Foundation Documents, Acomplete Translation of the  
Surviving Founders Typika and A.C. Hero* , 5 vols . Washington 2000 .  
وتحتص بوثائق المؤسسات الديرية البيزنطية وتقع في ٥ مجلدات ، وصدرت في واشنطن  
عام ٢٠٠٠م

كذلك نجد مجموعات وثائق في الكتاب التالية

- Gumel (V.), *Les Regesta des actes du patriarcat de Constantinople* , I, Paris  
1972 , II, Chalcedon 1936 , III, Chalcedon and Buchares 1947  
- Tafel (G.) and Thomas (G.), *un kunden zur Alfaren Handels und Staats  
geschichte der Republik Venedig Mit Besondr Beziehung Auf Byzanz und  
Dielevante (814-1205)*, Wien 1856 .

---

عن المجموعة المذكورة انظر - محمد مؤنس عوض - فصول جغرافية في تاريخ الحروب الصليبية

- Movazzo Della Roca and Lombardo, Documenti del Commercio Veneziano nel secoli XI- XII , Rom 1940 .
- Miklosich (F.) et Muller (J.) Acta et Diplomata Graeca Medii Aevi.
- Pothasti (A.), Regesta Pontificum Romanorum (1198-1304) , 2 vols., Berlin 1874 - 1878 .
- Jaffe (P.), Regesta Pontificum Romanorum .
- Dolger , Regesta Von Kaiserur kenden des Ostromischen Reiches von 565-1453 .

وبعد : فكل لحة من مجموعات مصادر التاريخ البيزنطي ، ويضاف إلى ذلك الكتابات الفلسفية ونذكر منها

- المصادر البيزنطية .
- المصادر اللاتينية .
- المصادر السريانية .
- المصادر الروسية .
- المصادر العربية

وهي العرض التالي : نذكر أمثلة كمأخذ مختارة من كل مجموعة من المصادر المذكورة أولاً : المصادر البيزنطية

يوساب القيساري Eusebius of Caesarea <sup>(١)</sup> مؤلف كتاب Vita Constantini :

١- يوساب القيساري : رجل كنيسة ومؤرخ ولد عام ٢٦٠م. وقد تلقى العلم على يدى يماميلوس، وهو راهب في قيسارية تأثر بأفكار كليمنت السكثري Clement of Alexandria الذي كان أحد أئمة الكنيسة . ويلاحظ أنه عقب صدور مرسوم "لنصام عام ٣١٣م . صار يوساب أسقفاً على قيسارية . وتعلم أن صلاته توطدت بالإمبراطور لسططيني بعد مؤرخ سيرته ، وتعرف أن يوساب قام بغزو باروز في الحجج المكروبي الأول الذي عقد في نيقية Nicaea عام ٣٢٥م . وقد توفي عام ٣٣٩م . عنه أنظر

Grant , Eusebius as Church Historian , Oxford 1980 .

Nicol. A Biographical dictionary of the Byzantine Empire , London 1991 , pp. 37-38 Cantor , Medieval History . the life and death of civilization , New york 1969 , pp. 37-38 , p.

أى حياة قسطنطين وكذلك كتاب *Historia Ecclesiastica* <sup>(١)</sup>؛ أى التاريخ الكنسى وبعد الكتاب الأول تاريخاً للإمبراطور قسطنطين الأول، وهو عامر بالثناء عليه، وبالتالي؛ يقدم لنا رؤية محايدة له ولأعماله، ولا يتحدث، إلا عن إيجابياته. ويلاحظ أنه اعتبره الحوارى الثالث عشر للسيد المسيح، وقد ألفه بعد وفاة ذلك الإمبراطور عام ٣٣٧ م <sup>(٢)</sup>.

أما الكتاب الثانى؛ فتناول فيه الأحداث التاريخية التى مرت بالكنيسة منذ عهد السيد المسيح عليه السلام حتى معركة خريصوبوليس Chrysopolis عام ٣٢٢م التى انتصر فيها قسطنطين على منافسه ليكينيوس.

= على الصمراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ٦٨. ربيدة عطا، الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أناتاسيوس، ط. القاهرة ب-ت، ص ٩، جوز، من بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، د- إحسان عباس، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ٢٧، حاشية (٢٢)، جورج عطية، الأثر السريانى فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الدرة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام، بمحرر محمد عدنان البحيث ومحمد عصمر، ط. عمان ١٩٨٦م، ص ١٥٧.

ويلاحظ أن هناك مدينتين حملتا اسم قيسارية الأولى على الساحل القلطنى إلى الشمال من أرسوف Arsuf وبعثت عنها ١٨ ميلاً، والثانية فى إقليم كبادوكيا Cappadocia فى آسيا الصغرى ومن المقرر أن يوساب عمل اسقفا لقيسارية فلسطين، عن ذلك أنظر، أبو الفداء، تقويم البلدان، تحقيق رينودى صلان، ط. باريس ١٨٤٦م، ص ٢٨، حسن عبد الوهاب، قيسارية الشار فى التاريخ الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٩٠، مرجعى الذومينكى، بلقانية فلسطين العربية، منشورات 'انجمن الثقافى، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٢٧٧، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى العلمى معركة أرسوف - ١١٩١م / ٥٨٧هـ ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢٨، أسامة زكى زيد، صبا ودورها فى الصراع الصليبي - الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٨٦م، ص ١٠، حاشية (٥).

اسطر، Eusebius, Extracts from Eusebius life of Constantine, Trans by John Bernard, P P T S., vol. I, London 1896.

وتوجد ترجمة عربية أنظر يوساب القيسارى، حياة قسطنطين العظيم، ت. مرقس داود، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

Eusebius, The Ecclesiastical History, Trans by Kirsopp Lake, L.C.L., London 1910-1940.

١- التاريخ الكنسى، ت. مرقس داود، ط. القاهرة ١٩٧٩، عرفان شهيد، روما والعرب مقدمة لدراسة بمرطة والعرب، ت. محمد فهمى عبد الباقي معسر، ط. القاهرة ب-ت، ص ١٤٤، حاشية (٢١).

No. ١. A Biographical dictionary, p. 37

ميناندر<sup>(١١)</sup> Menander مؤلف Excepta ex historia<sup>(١٢)</sup> أى التاريخ الخوالى أو المتعاقب. وتناول الأحداث التاريخية التى جرت فيما بين عامى ٥٥٨-٥٨٢ م. يلاحظ أنه ارتبط بخدمة الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢ م) الذى لقبه بلقب موظف البلاط الكبير.

ألف ميناندر كتابه ليكون مكملاً لكتاب أجاثيوس Agathius - كما لاحظ دونالد نيكول- وقد فقد ذلك العمل . ولم يبق منه إلا النذر اليسير، ولا نفعل أنه اعتمد على الرئائى الرسمية كذلك روايات شهرة العيان ، ويقرر المؤرخ السالف الذكر: أن تاريخ ميناندر يعد المصدر التاريخى الوحيد عن السنوات الأخيرة من حكم جستنيان الأول وكذلك الأعوام التى حكم خلالها خلفه جستين الثانى (٥٦٥-٥٧٨ م) ، وهى من المراحل الشاقة التى ظهرت فيها بيزنطة ككائن مثقل بالأعباء والجراح

يوحنا الاقسوسى John of Ephesus مؤلف Historia Ecclesiastica<sup>(١٣)</sup> أى التاريخ الكنسى .

١- مياندر ، محامى ومؤرخ ، ولد فى القسطنطينية ودرس بها القانون . وقد عمل فى بلاط الإمبراطور موريس الذى منحه لقب موظف البلاط الكبير، بصفة عامة وبعد ذلك الإمبراطور معاويةً للنصف الثانى من القرن السادس الميلادى عنه انظر:

Nicol, A Biographical dictionary . p. 83

Ure, Justinian and his age . London . 1951 . pp. 187-190 .

أرنولد تومس . للتفكير التاريخى عند الاغريق، ت. لمي الطبقى ، ط القاهرة ١٩٩٠ م، ص ١٢٤-١٢٥

هارى ألفر هارتر . تاريخ الكتابة التاريخية، ت. محمد عبد الرحمن مرج. ط القاهرة ١٩٨٤ م، ج ١ ص ١٣١

٢- نشر: نيبور فى مجموعة الكورس وصدر عمله فى عام ١٨٢٩ انظر  
Menander, Excepta ex historia . ed. Niebuhr, C.S.H.B., Bonn 1829

وفضرت ترجمة إنجليزية له من جانب رسى يلوكل فى يناير عام ١٩٨٥ م. أنظر:  
- Menander . The History of Menander The Guardsman . ed. and Trans. by R.C. Blockley . Liverpool 1983 .

٣- يوحنا الاقسوسى ، مؤرخ عصر القرن السادس الميلادى، عنه أنظر: نعيم فرج، تاريخ أوروبا السياسى فى العصر الوسطى، ط دمشق ١٩٩٥ م، ص ٧٤

John of Ephesus, Ecclesiastical History . Trans. by W.J. van Doornen and J.P.N. Laid - L Amsterdam 1989

وقد احتوى على إشارات مهمة عن إغارات العناصر السلافية على أراضي الإمبراطورية البيزنطية خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي

مجهول . *Miracula Sancti Demetri* أي معجزات القديس ديمتري<sup>١١١</sup>.

وبتناول أمر محاصرة العناصر السلافية لمدينة سالونيك خلال المرحلة الواقعة بين أحريرات القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين؛ كذلك يتعرض لغزو القديس ديمتري من أجل إنقاذ المدينة المذكورة . كما أنه قدم إشارات مهمة عن الغزو السلافي لبلدونيا وحوض البحر الابيض

ثيوفيلكت سيموكاسي *Theophylact Simocattes* ١٢٢ ، ألف كتاب *Historiae* ١٢١ .

ويعد المؤرخ المذكور من مؤرخي العصر البيزنطي المبكر . وقد ألف تاريخاً للإمبراطور موريس *Maurice* (٥٨٢-٦٠٢ م) . ويعد مكملاً لتاريخ ميتاندر<sup>١٢١</sup> ، ويقدم فيه معلومات لها

١- نعيم فرج، المرجع السابق، ص ٢٤

وعن ذلك المصدر انظر أيضاً .

وسام عبد العزيز فرج . السلاف Slavs في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (١٩٨٠-١٩٨١) . ضمن كتاب بيئة قراء في التاريخ السياسي والإداري . ط. القاهرة ١٩٨٠ م. ص ١٥٧ . وأنظر الترجمة الفرنسية التي قام بها ليميرل *Lemerle* وظهرت في باريس عام ١٩٧٩ م . ١٩٨١

*Les Plus anciens recueils des miracles de Saint Demetrios et la Penetration de Slaves dans les Balkans*, trad. par Lemerle, 2 vols, Paris 1979-1981

٢- ثيوفيلكت سيموكاسي : مؤرخ مصري قدم من الاسكندرية. وعرف بتلك التسمية نظراً لأنه كان يشبه إلى حد كبير تقط الأنطس الأنط. وقد ألهمه إلى اللبسطينية لفراسة القاضون في بدايات عهد الامراتورز هرقل عام ٦١٠م. وقام بتولي عدد من الوظائف . ويعد ما نعرفه عنه عمومًا أمرًا محدودًا  
عنه انظر.

Nicoll, A Biographical Dictionary, p. 129 .

٣- نشره دي بور في ليزج عام ١٨٨٧م. انظر

*Theophylact Simocatta. Historiae*, ed. de Boor, Leipzig 1887

٤- وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإمبراطورية البيزنطية، ٣٢٤ ٢٥ ١م . ط الاسكندرية ١٩٨٧ . ص ٢٢٤

شأنها عن بلاد فارس، والصقلية، والآثار خلال حكم ذلك الامبراطور . مما عكس أهمية في شأن العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والعالم المحيط بها

أبوردانوس<sup>(١١)</sup> مؤلف جيتكا Geica أى تاريخ الشعب القوطي . واعتمد في تأليف كتابه على عدد من المصادر التاريخية المقدودة مثل مقالات كاسيدور<sup>(١٢)</sup>، وتناول العلاقات البيزنطية مع عناصر القوط في عهد الإمبراطور فالنتز Valenz (٣٦٤-٣٧٨م) وتعرض لأمر معركة أدونة الحاسمة عام ٣٧٨م التي هزم فيها الجيش البيزنطي وقتل خلالها الإمبراطور نفسه

أميانوس ماركلينوس<sup>(١٣)</sup> Ammianus Marcellinus مؤلف كتاب Res Gestae : أى الأعمال تناول فيه الأحداث التاريخية من عام ٣٥٣ إلى ٣٧٨م. ويلاحظ مشاركته في الأحداث بوصفه محارباً أو مفوضاً أو قائماً بمهام سرية تتصل بتلك العمليات. كما شارك في إحدى العمليات العسكرية ضد الفرس عام ٣٦٣م .

جدير بالذكر : تكون كتاب إميانوس مارسيلينوس من (٣١) جزءاً . وقد فقدت بعض الأجزاء . ووصلت إلينا الأجزاء من (١٤) إلى (٣١)<sup>(١٤)</sup> . وهناك من يقرر أن كتاب ذلك المزرك بعد تكملة لتاريخ تاكلتوس Tacitus<sup>(١٥)</sup> .

١- أبوردانوس : مؤرخ معاصر للقرن الرابع الميلادي عنه انظر :

نعم فرج ، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص ٣٦

٢- نفسه . نفس الصفحة .

٣- مؤرخ ولد في أنطاكية عام ٢٣٠ م وقد توفي في روما في أواخر القرن الرابع الميلادي عنه انظر

نفسه ، ص ٣٦

رأيت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة للشيخ المكيعة . ط القاهرة ٢٠٠٠م . ص ٢٨

٤- نعم فرج ، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص ٣٦

٥- نفسه . نفس الصفحة .

حنا مالالاس John Malalas<sup>(١)</sup> مؤلف Chronographia : أي الزمنة<sup>(٢)</sup>.

وقد عاصر القرن السادس الميلادي، وتناول في حروجه تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م). وبعد أول حولية بيزنطية عالمية<sup>(٣)</sup>، مما عكس زيادة ذلك المتروخ.

من الملاحظ أن تلك الحولية؛ يلتقي فيها مؤرخها الأضواء إلى جانب الأحداث السياسية والحربية على جوانب من الحياة اليومية مما أعطاها أهمية خاصة.

سقراط<sup>(٤)</sup> Socrates مؤلف:

١- حنا مالالاس، ولد في أنطاكية حوالي عام ٤٩٠م ويلاحظ أن كلمة مالالاس Malafas تعني المحطوب أو معلم البلاغة في اللغة السريانية. وقد تلقى تعليمه في المدينة المذكورة ثم انتقل إلى العاصمة البيزنطية عام ٥٢٣م أو في أعقاب عام ٥٤٠م وتوفي عام ٥٧٠م. عنه أنظر Jeffreys, Croke and Scott (eds.) Studies in John Malalas. Sidney 1990.

دراسة قيمة عن ذلك المتروخ خاصة أن من شارك فيها قام بترجمة تاريخه إلى الإنجليزية وعلى غير المعتاد لم يظهر العمل المذكور في أوروبا والولايات المتحدة، بل في أستراليا

Nicol, A Biographical dictionary. p. 77, O.D.B., vol. 2. p. 1215.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 183-184

هارى المربلوتز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص ١٧٩

٢- نشر لـ ديتفونر تاريخ مالالاس وصدر عمله في يون عام ١٨٣٦م.

Malalas, Chronographia, ed. L. Dindorf, Bonn 1831

وقد صدرت ترجمة إنجليزية لتاريخ حنا مالالاس في أستراليا من جانب الزوايث جيفريز، وميشيل جيمز، وروجر سكوت وصدر العمل من جانب الجمعية الأسترالية للدراسات البيزنطية عام ١٩٨٦م. عن ذلك انظر.

The Chronicle of John Malalas. Trans. by Jeffreys, Michael Jeffreys, R Scott (eds.) Byzantine Australasia Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986

O P B., vol. 2, p. 1275.

٣-

٤- سقراط: مؤرخ كنسي، ولد في القسطنطينية عام ٤٦٠م. وفيها بعد تلقى تعليمه على أيدي عدد من كبار علماء عصره مثل أمونيوس Ammonios، وهيلادروس Helladros، وقد توفي عام ٤٥٠م. عنه انظر

Historia Ecclesiastica<sup>(١١)</sup> . أى التاريخ الكنسى . وتناول فيه الأحداث ذات الطابعين الدينى والسياسى منذ عام ٣٠٠ م إلى عام ٤٣٩ م. ووقع فى سبعة أجزاء . وقد خصص كل جزء من الأجزاء لعهد إمبراطور من الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأول إلى ثيودوسيوس الشاسى (٤٠٨ - ٤٥٠ م)

ويفرر دونالد نيكول Donald Nicol : أن ذلك 'لتؤرخ بعد أول رجل علمانى حارل كتاب تاريخ للكنيسة . على الرغم من أنه يدين بالفضل إلى درجة كبيرة فى هذا الموضوع إلى سلفه يوسيبوس<sup>(١٢)</sup> وقيمة الكتاب من وجهة نظر المؤرخ المذكور إعترائه على عدد من الوثائق الدينية . وكذلك الديمراتية على نحو أثيرى كتابته التاريخية<sup>(١٣)</sup> .

سرزومين<sup>(١٤)</sup> Sozomenos ألف كتاباً عنوانه<sup>(١٥)</sup> Historia Ecclesiastica أى 'التاريخ الكنسى .

<sup>١١</sup> Nicol, A Biographical dictionary, p. 115, O.D.B., vol. 3, p. 1923.

سلى بالمهاج صالح، السبعة العربية وتطورها من نشأت إلى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، ط بيروت ١٩٩٧م، ص ٨ حاشية (١)

١- نشر الكتاب المذكور من جانب ر. هسى وراج عمل ب. بريت . وصدر فى أكتوبر عام ١٨٩٢ م  
Socrates. Ecclesiastical History, ed. R. Hessey, revised by W. Bright, Oxford 1893.  
O.D.B., vol. 3, p. 1923.

Nicol, Op. cit., p. 115. -٢-

Ibid, p. 115. -٣-

٤- سرزومين : ولد فى باثاليا Bithulia (بيت لاهب حالياً) فى القرن الخامس الميلادى ومهدياً عام ٤٠٠ م، ولد مارس العمادة فى القسطنطينية، تولى عام ٤٥٠ م، عنه أنظر  
O.D.B., vol. 3, pp. 1922 - 1923.

Nicol, Op. cit., p. 115.

رأفت عبد الحميد : مسوزين التؤرخ الفزاورى، ضمن كتاب فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم ريان، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، جامعة القاهرة ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٨٥-١٢٨

سلم عرفات البيضا، النصرانية وأثارها فى غزة وما حولى . ط. غزة- فلسطين ١٩٩٨م، ص ١

٥- نشر جزء التاريخ الكنسى وصدر عمله فى باريس ١٩٨٣ م.

عاصر المزمور المذكور القرن الخامس الميلادي حتى منتصفه، وقد احتوى كتابه على الأحداث التي وقعت منذ بواكير الكتيبة الأولى حتى الربع الأول من القرن الخامس ومجديداً من عام ٣١٤م إلى ٤٣٩م وقام بإعادة كتابته للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)

نحدر الإشارة : إلى أن نهاية ذلك التاريخ تعد مفقودة . وهي التي تتناول الأحداث الواقعة بين عامي ٤٢٥-٤٣٩م وبصفة عامة يعد مصدراً مهماً للتاريخ البيزنطي المبكر . ويقر دونالد نيكول عنه « أن الكتاب مصدر غني للعديد من الأحداث المبكرة في التاريخ الكنسي »<sup>(١)</sup>.

ديمثريوس كيدونيس Demetrios Kydones<sup>(٢)</sup>، مؤلف الرسائل<sup>(٣)</sup>، أتب ذلك المزمور ( ٤٥٠ ) رسالة تناولت عدداً من الأحداث التاريخية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي . وترجع أهميته إلى أنه كان من دعاة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية . بصفة عامة؛ تعد رسائله مصدراً مهماً من مصادر العصر البيزنطي المتأخر، خاصة من خلال الرضعية السياسية التي احتلها كرئيس للوزراء في مرحلة قلقة من مراحل التاريخ البيزنطي.

---

= Sozomenos . Histoire Ecclesiastique , ed. par J Bidez, Paris 1983 .

N P N F , vol 2 .

كما توجد له ترجمة في

Nicol, A Biographical dictionary , p. 116 .

٢ - ديمثريوس كيدونيس: عاش خلال المرحلة الوثنية بين عامي ٣٢٦م - ٣٤٧م. وقد صار رئيساً لوزراء الإمبراطور يوحنا الخامس كونستانتينين ٣٤٦-٣٥٥م John V Cantacuzene ومن الملاحظ أنه تحول إلى المذهب الروماني ثم تقاعد حيناً من الوقت وأقصى الأعيان النسقية من عمره وذلك بحـ كريت والدبنة، ومات عام ٣٩٧م

عـ أنظر

Nicol A Biographical dictionary, Id, p. 719, The Reluctant Emperor . A biography of John Cantacuzene , pp. 134-135 , pp. 144-148 , pp. 157-159

٣ - نشرها لوبيرتر في الثاتيكات في حزقين نيسا بين عامي ١٩٥٦م - ١٩٩٦م. أنظر - Demetrios Kydrone ed R.J. Loontjens 2 vols. - Vatican city 1965 - 1969 Nicol, the Reluctant p. 159

جرجوري النيسي Gregory of Nyssa<sup>(١)</sup> وهو مؤلف عدة كتب هي «ليس بألهة ثلاث»  
On not three Gods ، «العذرية» on Virginity ، و«حياة مكريثا»<sup>(٢)</sup> The life of  
Macrina عاصر القرن الرابع الميلاد ، وبعد من أكبر مفسري اللاهوت المسيحي ، وفق مجمع  
نيقية . وبعد ما ألفه مصدراً تاريخياً مهماً عن المجلد الديني في القرن المذكور .

أجاثيئاس سكولاستيكوس Agathias Scholasticus<sup>(٣)</sup> . مؤلف Historiarum<sup>(٤)</sup> أي  
التواريخ ألف تاريخاً في خمسة كتب بدأه بأحداث عام ٢٥٢م حتى عام ٥٨٠م ، وأهم فيه  
بذكر حملات القائد نارسيس Narses ضد عناصر القوط ، والوندال ، والفرس . ويقتضي الضوء  
على الكوارث الطبيعية التي حدثت في عهد جستنيان كزلازل عام ٥٥٧م وهلاك من بفر أن  
تاريخ أجاثيئاس هو تكملة لما كتبه بروكوبيوس Procopius<sup>(٥)</sup> .

١- جريجوري النيسي : هو أسقف نيسا Nysa في إقليم كبادوكيا Cappadocia بأسيا الصغرى Asia  
Minor عام ٣٢٥م ، وهو الأخ الأصغر للقسيس باسل الكبير St. Basil The Great . وقد تزوج براسمها  
ثيوسيبيا Theosebia . ويلاحظ معارضة تفكر الأريوسية وقد توفي عام ٣٩٥م وصار قديساً يوم عيد  
برائق يوم ٩ مارس ، عنه أنظر .

Nicol. A Biographical dictionary, p. 46 .

Attwater , The penguin dictionary of Saints , Penguin Book, London 1977, p. 161

على القسراوي ، مداخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط . ص ٦٨ - ٧٠ ، حاشية (٣)

٢- عن تلك الزلازل انظر :

Nicol , op. cit. Cit . p. 46 .

٣- أجاثيئاس سكولاستيكوس ، هو مترجم وشاعر كاتوليك ولدته في ميسينا في آسيا الصغرى وتلقى  
تعليمه في كل من الاسكندرية والقسطنطينية ودرس القانون ومارس المعاماة وقد توفي حوالي عا. ٥٨٢م .  
عنه أنظر .

Nicol . op. cit. p. 1 .

هارى ألز بلانز . تاريخ الكتابة التاريخية ، ص ١٣٩

٤- نشره ديتريخوف وصغر في ليزج فيما بين عامي ١٨٧٠-١٨٧١م ، عنه أنظر :

Agathias Scholasticus , Historiarum , ed L.A.Dindorf , Historici Graeci Minores, Vol. II,  
Leipzig 1870-1871 .

وقد صدرت ترجمة الإنجليزية من جانب أ.ج. ولفرندو في نيويورك عام ١٩٧٥م ، عنها أنظر :

Agathias , The Histories , Trans. by J.D. Frendo , New York, 1975

٥- زبيدة عطا . الدولة السمرقانية ، ص ٩٠

ميخائيل بسلوس<sup>(١)</sup> Michael Psellus مؤلف كتاب Chronographia<sup>(٢)</sup>؛ أي الزمنة عاش المؤرخ المذكور بين عامي ١٠٦٨ . ١٠٧٨ م . وترجع أهميته إلى أنه عمل لدى كل من الإمبراطورين ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢ م) وقسطنطين التاسع Constantine IX (١٠٤٢-١٠٤٤ م) . وقد تناول في كتابه أربعة عشر إمبراطوراً بيزنطياً في المرحلة المتعددة من وفاة بابل الثاني حتى عهد تغفور الثالث Nicephor III (١٠٧٨-١٠٨١ م)

بصفة عامة ؛ يعد كتابه مصدراً أساسياً من مصادر القرن الحادي عشر الميلادي .

برحنا الليدي<sup>(٣)</sup> John The Lydian مؤلف كتاب De Magistratibus Populi Romani<sup>(٤)</sup> . ويعد من المصادر التاريخية المهمة عن عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م)

١- ولد ميخائيل بسلوس عام ١٠٦٨ م من أسرة متواضعة ، وتلقى تعليمه على أيدي عدد من الأساتذة ومنهم يوحنا مسوروبوس John Mesorobius ، وقد عمل في مجال الإدارة المدنية ، . وارتبط بمجموعة من المكربين الثبان، مثل يوحنا الثامن اكسيفليتوس John VIII Xiphilinos ، وقسطنطين الثالث ليوذوس Constantine III Leuzyhodes وكان يحدوه الأمل في أن يتولا قوة خطف في عهد الإمبراطور قسطنطين العاشر Constantine X (١٠٥٩-١٠٦٧ م) . وفيما بعد؛ أجبر ميخائيل بسلوس على أن يحيا حياة درامية في جبل أوليمبي . ثم عاد أدراجهم إلى العاصمة البيزنطية ، وشارك في الحياة السياسية . وقد توفي عام ١٠٨١ م . عنه انظر : Hussey . "Michael Psellus" , S. vol. X ., 1935 , pp. 81-90 . O.D.B. , vol 2, p. 1734 - 1735 .

Jugie , " Michael Psellus " , D.T.C., T.XIII, 1936 , pp. 1149-1158 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 367 .

تقوم جاثيا الباحثة أمال حامد غانم زيان للفردس المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة بإعداد أطروحتها للدكتوراه بعنوان الدور السياسي للمؤرخ البيزنطي بسلوس .

٢- انظر الترجمة الإنجليزية . Psellus , Fustoeen Byzantine Rulers: The Chronographia . Trans. by E.R.A. Sewter Penguin Book, London. 1966 .

٣- يوحنا الليدي . ولد في فيلادلفيا Philadelpchia (لبفيا Lydia) عام ٤٩٠ م . وقسم إلى الفسطينية عام ٥١١ م . وهناك عمل في الخدمة المدنية أربعين عاماً ، وحظى بإعجاب وتقدير الإمبراطور جستنيان . وألف كتابه De Magistratibus وتولى حوالي عام ٥٦٥ م . عنه انظر O.D.B. , vol 2, 1061 .

Maas , John Lydus and the Roman past, London 1992 .

٤- انظر الترجمة الإنجليزية التي أعدها هاندي وظهرت في فيلادلفيا :=

جورج الراهب<sup>(١)</sup> George Monachus وهو المعروف باسم Hamartolus (أى 'مُذنب') مؤلف كتاب حوليه العالم World Chronicle<sup>(٢)</sup> عاصر المؤرخ المذكور القرن التاسع الميلادي. وفي كتابه : تناول الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى عام ٨٤٢م. أي حتى نهاية عهد الإمبراطور ثيوفيلوس من أباطرة الأسرة الممورية . حيث حكم خلال المرحلة من ٨٢٩ إلى ٨٤٢م<sup>(٣)</sup>. وهناك من يقول: أنه انتهى من تأليف عام ٨٦٦م و٨٦٧م<sup>(٤)</sup> أي خلال عهد الإمبراطور ميخائيل الكبير. وهو من أباطرة نفس الأسرة وحكم خلال المرحلة من ٨٤٢ إلى ٨٦٧م وقد ظهرت : ظهرت تكملة لذلك التاريخ عنوانها : تكملة جورججيوس وقد ألغت في عهد الإمبراطور نيقفور فوكاس وتشمل الأحداث التي وقعت من نهاية تاريخه. إلى سنة ٩٤٨ وهو عام وفاة رومانوس الأول<sup>(٥)</sup>.

مجهول . الوصف الكامل للعالم والشعوب<sup>(٦)</sup> Expositio Totius mundi et gentium

=John The Lydian, John Lydas, De Magistratibus, ed. with Trans. by A.C. Bandy, Philadelphia, 1983.

١- جورج الراهب هو جورج موناخوس George Monachus . وقد عاصر القرن التاسع الميلادي. وحكا من يقر أنه اجتمع فيه كل من صفة الراهب وكذلك صفة المؤرخ . ويلاحظ أن مؤلفاته اثبت استجد شعباً كبيراً وقت ترجمتها خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر 'لبلاديين إلى القسطنطينية السلطانية والجررجية . عنه أنظر

Nicol, Biographical dictionary, p. 43 .

2- Ibid, p. 43 .

3- Ibid, p. 43 .

4- Ibid, p. 43 .

٥- Ibid, p. 43 .

٦- فيه قرح ، ثلاثه مصادر تلقى بعض الأخطاء على جنوب من 'الحياة الاقتصادية في بلاد الشام من العهد البيزنطي' . ضمن مؤثر بلاد الشام في العهد البيزنطي . التبعة : الأولى من أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام بحري محمد عفتان البخت ومحمد عصفور . ط. عمان ١٩٨٦م . ج ١ . ص ١٩٩  
ويلاحظ أن ذلك المصدر نشر من جانب موليريس . وصدر في باريس عام ١٨٦١م . انظر :

Geographi Graeci Moeures, ed. Par C. Mullerus, Paris 1861 .

عن ذلك انظر . تعميم قرح . المرجع السابق . ص ١٩٩

وقد أطلق البعض على ذلك المصدر إسم «الجغرافيا الاقتصادية أو التجارية للإمبراطورية البيزنطية في القرن الرابع».

جدير بالذكر : تناول المؤلف في كتابه الأوضاع الاقتصادية في مدن إيطاليا ، وأسبانيا ، ومرورثانيا ، ونوميديا ، وشبه جزيرة البلقان ، وآسيا الصغرى ، ومصر ، وسورية ؛ مما عكس اتساع الطاق الجغرافى الذى تناوله

يلاحظ أن ذلك المصدر ؛ يقدم لنا إشارات مهمة عن مدن بلاد الشام مثل صور ، وبيروت ، وصيدا ، وأنطاكية ، واللاذقية ، وكانت من المراكز الصناعية ، والتجارية البارزة في العصر البيزنطى المبكر<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى؛ أشار ذلك المصدر إلى بعض المدن التجارية الواقعة في مناطق الحدود البيزنطية الفارسية في بلاد ما بين النهرين مثل نصيبين ، والرما Edessa ، وذكر أنها كانت تحتريان على تجار يبعوا في التجارة مع الفرس وقاموا باحتكارها ، كما قاموا ببيع المنتجات البيزنطية ماعدا النحاس والحديد ، التى عرضت الدولة البيزنطية الحظر عليهما حتى لا يستخدمها الفرس في صناعة الأسلحة وقد امتد ذلك الحظر حتى القرن السادس الميلادى

فرما الملاح البحر في الهند ، الطبوغرافية المسيحية<sup>(٢)</sup> Cosmas Indicopleustes , The Christian Topography.<sup>(٣)</sup>

١- محب قرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأصوار ، على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ١ - ٢٠

٢- نفسه ، ص ٤ - ٢ - ص ٩ - ٢

٣- عن فرما الملاح البحر في الهند وكتابه أنظر .

Wolska la Topographie Chretienne de Cosmas indicopleustes: Theologie et Science au vie Siecle , Paris 1962

Beazley , The Dawn of Modern geography , vol 1 , p. 190-196 , p. 273-303 .

Vasiliev History of the Byzantine Empire , p. 163 , p. 165-167

يرى ميخائيلوفتش كويشانتوف ، اتصال الشرقى فى العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع - د. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م ، ص ١٦

٤- يلاحظ أن نص الكتاب المذكور قديم ، لدى الباثولوجيا البوتانية مجلد (٨٨) عن ذلك أنظر : =

( تعني كلمة indicopleutes المبحر إلى الهند ) وهو مصدر مهم عن التجارة البيزنطية خلال القرن السادس الميلادي ، ويلاحظ أن المؤلف عمل بالتجارة في بحار ثلاثة هي : البحر الرومي أو المتوسط ، والبحر الأريتري أو المحيط الهندي ، البحر الفارسي أو الخليج العربي .

جدير بالذكر : استمد المؤلف معلوماته التي أوردها في كتابه من السكان أنفسهم الذين عاشوا في المناطق التي زارها ، مما عكس أهمية مصدره في هذا المجال كذلك نعرف أنه قدم بزيارة الحبشة في عام ٥٢٢ أو ٥٢٥م في زمن معاصر لعهد الامبراطور البيزنطي جوستين الأول .

مانويل فيليس<sup>(١)</sup> Manuel Philes له أشعاره .

وهو من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، وتعد كتاباته مصدراً تاريخياً مهماً عن المرحلة التي عاصرها<sup>(٢)</sup> في العصر البيزنطي المتأخر

جورج كيدرونوس George Kedronos مؤلف Synopsis Historion<sup>(٣)</sup> أي ملخص التاريخ ، وقد تناول فيه الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة حتى حوالي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي . وتحديداً عام ٨٧ - ١٠م ، مع تركيزه على المرحلة من ٨١١م إلى العام الأخير ، وقد أفاد من عدة مؤرخين مثل ثيوفانيس Theophanes ، وجورج هامارتولوس George Hamartolos ، وغيرهما

= Cosmas Indicopleustes, Topographia Christiana, XI, ed. Migne, p. G., T. LXXXVIII  
vasiliev, op cit .. p. 163 not (100) .  
عن ذلك -

وتوجد ترجمة إنجليزية له أنظر :

The Christian Topography of Cosmas, An Egyptian Monk, Trans by J W. McCrindle,  
London , 1897

١ - بعد مانويل فيليس من شعراء القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي . ولد عام ١٢٧٥م . ويوصف بأنه شاعر البلاط في العاصمة البيزنطية ، ولأم بنور دبلوماسي حيث شارك في سفارات إلى كل من روسيا ، وفارس ، وفيما بعد إنهم ورج به . في السجن . وقد توفي عام ١٣٤٦م .

عنه أنظر Nicol, A Biographical dictionary . p. 104-105 .

ibid .p. 104 .

٢ - لا نعرف شيئاً عن حياة جورج كيدرونوس ويلاحظ أن تاريخه نشر من جانب بكر في جرأين مصدر =

مجهول ، Odoiponari apo Edem أى طرق الرحلات التى تم استخدامها منذ آدم حتى الرومان<sup>(١٦)</sup> يحتوى المصدر المذكور على معلومات جغرافية وتاريخية قيسا قبل القرن السابع الميلادى ، ويلاحظ أن الطريق المشار إليه بدأ من الهند التى كانت بمثابة المركز التجارى البارز فى الشرق بقرم بتصدير البضائع ، عبر إيران ، ووصل إلى روما عبر البحر المتوسط ، ومن روما انتقلت إلى غالاه أو قرنسا ، ولاتفعل هنا الإشارة - كما يقرر نعيم فرح- إلى أن لتجار السوريين قاموا بدور بارز فى تلك التجارة العالمية.

يبقى أن نلفت نظر القارئ إلى أن تعبير «جنة آدم» جاء غامضاً فى المصدر المذكور ، ولاتفعل أن قرعنا الملاح الهندى السالف الذكر ، لايعترف بوجودها أصلاً وقد ذكر أنه ما من أحد عرف جنة آدم على الأرض أو وصل إليها ففى حالة إمكانية الوصول إليها لنذهب إليها الكثيرون ، إذ أن الناس يلجئون إلى أقماسى الأرض للحصول على الحرير الخام ، فكيف لا يذهبون إلى جنة آدم لو كانت موجودة فى الأرض فعلاً ؛ مما عكس إنكار البعض لذلك التصور الذى أحيط بالطابع الأسطورى.

قسطنطين السابع بورفيريوجينيتس<sup>(١٧)</sup> Constantine VII Porphyrogenitus  
(٩١٣-٩٥٩ م) ، وله عدة مؤلفات :

= فى برن فيما بين عامى ١٨٢٨م و١٨٢٩م انظر -

Georgius Codrenus, ed. 7. Bekker, 2 vols., Bonn 1838-1839.

عن ذلك انظر:

(O.D.B vol 2, p. 118

١- أورد نعيم فرح ترجمة عنوان المصدر على أنه «الطريق من جنة آدم حتى الرومان» وهى ترجمة حاسبها الصواب والصحيح ما أثبتته قى المتن ، انظر

نعيم فرح ، ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص ٩-٢٠

ويلاحظ أن أ. كلوتز قام بنشر المصدر المذكور عام ١٩٨٠م، عن ذلك انظر:

A. Klots. Odoiponari apo Edem Philonisches Museum für Philologie, T. LXV, 1910, 11, 608-610.

عن ذلك انظر: نعيم فرح، المرجع السابق، ص ٩-٢

٢- من قسطنطين السابع بورفيريوجينيتس انظر - القسم الثانى.

عن الثغور De Thematibus<sup>(١)</sup> ويتناول فيه الثغور التي وقعت على الحدود بين بيزنطة وجيرانها في القرن العاشر .

عن المراسيم De Ceremoniis aulae Byzantinae<sup>(٢)</sup> وفيه يقدم وصفاً يتسم بالدقة للبلاط البيزنطي . ويتجه إلى الإعلاء من شأن الإمبراطورية البيزنطية كقوة عالمية حينذاك .  
عن الإدارة البيزنطية De Administando imperio<sup>(٣)</sup> ويقدم فيه أصول الدبلوماسية البيزنطية ، كذلك يشير فيه إلى اشارات جغرافية على جانب كبير من الأهمية .

حياة باسيل Vita Basilii<sup>(٤)</sup> ، هي سيرة لباسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) . وقد كتبت عن جانب قسطنطين السابع حوالي عام ٩٥٠م<sup>(٥)</sup> . وقدم لنا «حياة باسيل» الإمبراطور على أنه

١- صدرت ترجمة إيطالية له من جانب بروتوس . ونشرت في الفاتيكان عام ١٩٥٢م أنظر :  
Constantine VII, De Thematibus, ed. with Italian Translation by A. Plessi, Vatican City 1953

٢- صدر في مجموعة الكوريس C.S.H.B. في جزأين من جانب رسك بين عامي ١٨٢٩ . ١٩٣٠م .  
انظر

Constantina VII, De Ceremoniis, ed. J.J. Reiske, 2 vols, C.S.H.B., 1829-1830

٣- صدرت ترجمة إنجليزية له قام بها هنكر عام ١٩٦٧م . أنظر -  
Constantin VII, De Administando imperio, ed. by Gy. Moravcsik, Trans. by R.J.H. Jenkins 1967

كما توجد ترجمة إلى العربية قام بها أ.د. محمود سعيد عمران تحت عنوان «إدارة الإمبراطورية البيزنطية» ط١ بيروت - ١٩٨٠م . وهو المصنف الوحيد الذي ألفه ذلك الإمبراطور وقت ترجمته إلى العربية مما عكس ريادة ابن جامعة الإسكندرية

٤- عنه  
O.D.B., vol. 3, p. 2180 .  
وقد نشره بكر وصدر في بود عام ١٨٧٨م

Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker . Bonn 1838 .

ومما ذكره ترجمة ألمانية للمصدر :تذكرو قام بها لـ براير  
L. Breyer von Bamershof auf den kaiserthron, Trans. by L. Breyer, Cologne 1981

عن ذلك أنظر  
O.D.B., vol. 3, p. 2180 .

٥- ومما عبد العزيز فرح . «التأنيق والحداثة» . دراسة في ظاهرة التهيئة الشخصية في العصر البيزنطي .

منعذر من أحد النبلاء، وتؤكد على أنه أقام حكومة عادلة وقام بحماية الفلاحين من ظلم جامعي الضرائب وما يذكر : أن المؤلف كان كارها لكبار رجالات الدولة . وعلى نحو خاص للعصبان<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة : يقدم المصدر المذكور عرضاً يغلب عليه طابع المديح لباسل الأول ولذلك فعلى الباحث أن ينتبه لتلك الزاوية الأساسية في الكتاب المذكور . لأنه يقدم رؤية متحيزة .

ليبر الشماس<sup>(١٢)</sup> Leo The Deacon مؤلف كتاب<sup>(١٣)</sup> Historiae أى التواريخ ويعد مصدراً تاريخياً يونانياً وحيداً عن المرحلة الواقعة بين عامي -٩٥ م. -٩٧٥ م.<sup>(١٤)</sup> وبالنسبة : تعرض لمهدي الإمبراطورين ثيوفور فوكلس Nicephore Phocas (٩٦٣-٩٦٩ م) ، وسرجا نريمسكس John Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦ م) وهم من القادة العسكريين الذين وصلوا إلى العرش البيزنطي في عصر الأسرة المقدونية

ليبر السادس (الحكيم) Leo VI (٨٨٦-٩١٢ م)<sup>(١٥)</sup> مؤلف كتاب Tactica السذي يلقى أنصاه كاشفة على توزيعات الجيش البيزنطي، وعناصره ، وأساليبه الحربية . وهو مصدر

= الأوسط . ضمن كتاب بيزنطة لقراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي القاهرة ٢٠٠٢ م . ص ١٦٠

(١) D B., vol. 3, p. 180

٢- ليبر انشماس مورج بيزنطي عاصر القرن العاشر الميلادي وقد ولد بمدينة عام ٩٥٠ م في كالوي Kaloe في آسيا الصغرى . وقد انضم فيما بعد إلى رجال القصر الإمبراطوري ومدح باسل الثاني واشترك معه في حملته على الفطار عام ٩٨٦ م. عند أنظر

Nicol. A Biographical dictionary . p. 73 .

هاري ألفر هارنر . تاريخ الكتابة التاريخية . ص ٩٣٣

٣- نشر الكتاب المذكور في مجموعة الكوريس C.S.H.B. من جانب د. هاسيوس B Hasius عام ١٨٢٨ م.

٤- Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 770 .

٥- انظر ما سيتم إيراده بشأنه ضمن الأسرة المقدونية وعن ذلك المصدر انظر

لاغنى عنه للباحث في النظم الحربية البيزنطية خاصة خلال القرن التاسع والعشرين الأول والثاني من القرن العاشر الميلادي . وهو يذكروا - بصفة عامة - بكتاب الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٣-٦٠٢ م) . الاستراتيجيكون .

جورج البسيدى<sup>(١١)</sup> George of Pisidia مؤلف Poemi<sup>(١٢)</sup> أي الأشعار وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١ م) ووصف بأنه أحد شهود العيان على حملته على الفرس التي جرت وقائعها عام ٦٢٢ م . كذلك وصف من خلال أسلوبه الشعري الحملة المشتركة التي قام بها كل من الفرس والآكار على العاصمة البيزنطية وحصارهم لها عام ٦٢٦ م ، كما عرض احتفالات الإمبراطورية في عهد ذلك الإمبراطور بالانتصار النهائي على الفرس .

مجهول . Chronicon Paschale أي حولية الفصح وتتناول الحولية المذكورة الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ٦٢٩ م . ويلاحظ أن المؤلف في كتابه شاهد وعاصر عدداً من الأحداث ويذكر أسماء مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(١٣)</sup> .

برلس السيلنتياري Paul Silentiary (أي الصامت)<sup>(١٤)</sup> مؤلف عمل شعري بعنوان Ek-phrasis أي وصف وقد وصف بأنه شاعر البلاط في عهد الإمبراطور جستنيان

« طارق منصور . فن القتال عند البيزنطيين دراسة في الاستراتيجية في ضوء تكتيكات ليو الحكيم . ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى » ، أبحاث مهدي ، إلى الأستاذ الدكتور فاسم عبده فاسم بمناسبة بلوغه الستين . التحرير حاتم الطحاوي . ط . القاهرة ٢٠٠٣ .

أيضاً

Mohammad , "Ibn Mangli between The Arab and Byzantine Worlds: New Evidence" , J.M I H., vol. III, pp. 25-43 .

١ - جورج البسيدى : أحد مؤلفي كتيبة آيا صوفيا Hagia Sophia في عهد البيطريك سرجيوس Ser-gius (٦١٠-٦٣٩ م) . وقد عاصر عهد الإمبراطور هرقل . عه أنظر .

وسام عبد العزيز قزح . دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية . ص ٢٢٢

Nicol , A Biographical Dictionary , p. 43

٢ - Haldon , Byzantium in the Seventh Century , Cambridge 1997 , p. XXV

٣ - عن ذلك المؤرخ ومحتويات تاريخه أنظر : ألد وستي . الروم . ج ١ - ص ٢٨٥

Haldon , op. cit . p. XXXII

٤ - برلس السيلنتياري : شاعر يرجع إلى القرن السادس الميلادي . وقد وصف بأنه كان صديقاً للمزح

(٥٢٧-٥٦٨ م) . وقد قام بنظم قصيدتين شهيرتين في وصف كنيسة أيا صوفا Hagia Sophia . وبالتالي؛ يعد إنتاجه الشعري في هذا الصدد؛ من المصادر الأدبية المهمة عن عصر ذلك الإمبراطور، وكذلك في أمر تلويح الفن البيزنطي<sup>(١١)</sup> . خلال القرن السادس الميلادي.

وتجدر الإشارة أن ما كتبه في هذا الشأن حدث في ظروف إعادة افتتاح الكنيسة المذكورة عام ٥٦٢م بعد أن اتهارت قبتها<sup>(١٢)</sup> .

ثيوفانيس<sup>(١٣)</sup> Theophanes مؤلف أي الحولية<sup>(١٤)</sup> Chronographia . عاش ذلك المؤرخ

أجاثيوس Agathius ، ووصف بأنه كان من أدياء البلاط في عهد الإمبراطور جستنيان، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary pp. 103-104 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 186 .

Evans , Procopius , New York , 1972 , p. 29 .

٢- ثيوفانيس Theophanes - مؤرخ بيزنطي ولد عام ٧٦٠م، في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٦١-٧٧٥م) . وتعرف أنه أقام دوراً في سجنان Sigrano وعرف بتأييده لمعاداة الأيقونات . وتوفي عام ٨١٨م عنه أنظر:

The life and Conduct of and narrative about our thrice Blessed and inspired Fathers David , Symeon , and George, in Talbot (ed.), Byzantine defenders of images, Eight Saints lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1998, p. 183 , note (208) .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 127 .

عبد الشافي للفرير، العصور الوسطى الأدبية وثقة في المصادر والنصوص التاريخية وعمليّات التعليق والترجمة، ط الاسكتلندية . ٢٠٠٤م، ص ٣٧. لطفى عبد الوهاب «حولية ثيوفانيس مصدر بيزنطي عن بلاد الشام في العصر الأموي»، للوقت الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في العصر الأموي ، عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول ١٩٨٧م

٤- ترجم أحداث الأعرام من ٦٠٢ إلى ٨١٣م هاري تورترهوف . أما أحداث الأعرام من ٢٨٤ إلى ٨١٣م فترجمها سيريل مانغو . وروجر سكوت ريجوري جرمير عن ذلك أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Translation of anni mundi 6095-6305 (A.D. 602-813) , with introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982

Theophanes, The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantium and Near Eastern History A.D. 284-813 , Trans. by Cyril Mango and Roger Scott, with assistance , of Giffrey Greatr , Oxford 1997

خلال المرحلة ما بين عامي ٧٦٠م، ٨١٨م وقد ألف حوليته - كما قرر دونالد نيكول- بين عامي ٨١٠، ٨١٤م، وهي تعد تكملة لألفه صديقه جورج سينكيلوس George Synkellos واشتملت على الأعوام من ٧٨٤م إلى ٨١٣م<sup>(١١)</sup>. وقد اعتمد على بعض المصادر المفردة ويلاحظ : أن عدداً من المؤرخين اليونانيين المجهولين عملوا على كتابة ذبيل على ذلك التاريخ بلغت ستة كتب اشتملت على الأعوام من ٨١٣ إلى ٩٦١م وعرفت باسم تكملة على ثيوفانيس أو *Scriptores post Theophanes*<sup>(١٢)</sup>.

القائد كيكومينوس<sup>(١٣)</sup> Kekaumenos مؤلف كتاب Strategicon أي الاستراتيجية وقد إنشئ إلى عناصر الأرستقراطية العسكرية وقام بتأليف كتابه خلال الأعوام من ١٠٧٥ إلى ١٠٧٨م. اعتماداً على خبرته الشخصية ، وفي ختامه كتب فصلاً صغيراً يحتوي على نصائح قدمها لمن يتولى المنصب الامبراطوري . كما احتوى كتابه على إشارات سياسية مهمة خاصة عن منطقة البلقان . وأرمينية ، والحفود الإسلامية - البيزنطية<sup>(١٤)</sup>؛ مما عكس أهمية ذلك المصدر بين مصادر العصر البيزنطي الأوسط

بطرس الصقلي<sup>(١٥)</sup> Peter of Sicily مؤلف كتاب *Historia Manichaeorum* أي

Nicol, A Biographical dictionary., p. 127

-١-

Ibid, p. 127

-٢-

٢- كيكومينوس Kekaumenos : ولد في جنوب مقدونيا Macedonia فيما بين عامي ١٠٧٠ م، ١٠٧٤ م، وقد توفي فيما بعد عام ١٠٧٠م. والواقع أننا لا نعرف معلومات مفصلة عن حياته يفر أنه كان من أصل محتلف أرميني

O.D.B., vol. 2, p. 119

عنه انظر:

وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وصناعة الامبراطورية البيزنطية . ص ٢٤٧

٤- بطرس الصقلي : مؤرخ بيزنطي معاصر القرن التاسع الميلادي. ووفق ما قرره عن نفسه، ثم إرساله في سفارة دبلوماسية إلى تيفليك Tephrike عام ٨١٩م وهي التي اعتبرت مركزاً لعناصر البرليسيين ، ويلاحظ أن ما نعرفه مشتل عنه. انظر O.D.B., vol 3, p. 1640-1641

هانس عبد الهادي البشير ، « اليافصه في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي »، المؤرخ المصري العدد (٧٤) ، يناير ٢٠٠١م، ص ٤٥

٥- نجد الإشارة إلى أن كتاب بطرس الصقلي باليونانية وترجمته بالإنجليزية هي

تاريخ المانويين ويعد تاريخه مصدراً أساسياً لدراسة حركة البوليسيين، وهي حركة دينية معارضة نظرت إليها الكنيسة البيزنطية على أنها مهرطقة؛ وقد برز أمرها في عهد الإمبراطور بازل الأول (٨٦٧-٨٨٦م)

تجدر الإشارة: إلى أن هناك كتابات أخرى تناولت البوليسيين مثل ما كتبه فوشبوس Phostios، وحورج هامارتولوس George Hamartolos، وهناك اعتقاد أن ما كتبه بطرس الصقلي كان بمثابة الأساس الذي اعتمد عليه المؤرخون الذين أروخوا للبوليسيين<sup>(١)</sup>.

بصفة عامة، يحتوي كتابه على مادة مهمة عن تاريخ وعقائد تلك الطائفة الدينية المعارضة والتي تمثل دراستها أهمية كبيرة في اللقاء الأضواء على تاريخ الحركات الدينية المعارضة في الساحة البيزنطية

زوسيموس Zosimus<sup>(٢)</sup> مؤلف كتاب Historia Nova: أي التاريخ الجديد، وهو مؤرخ بيزنطي عاصر القرن الخامس الميلادي، وتناول في حويلته أحداث التاريخ منذ عهد الإمبراطور أغسطس Augustus حتى سقوط روما على يدي ألاك عام ٤١٠م، ولا تغفل الإشارة إلى أنه يقدم تفاصيل مهمة عن عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian

#### ■ Useful History and refutation of the senseless and Vain Heresy of the Manichaeans

أي تاريخ مفيد وتفنيد لهيرطقة المانويين الخاطئة والتافهة وسمي الكتاب أيضاً Paulicians

عنه أنظر

Peter of Sicily, *Historia Manichaeorum qui et Pauliciani dicuntur*, ed. ch Astruc, W. Carus - Wolska, J. Gouillard, p. Lemerle, D. Papachryssanthou and p. Parmentelle, Les sources grecques Pour L'Histoire des Pauliciens d' Asie Mineure, Travaux et Memoire, Paris 1970, O.D.B., vol. 3, p. 1640

١- سيتم تناول البوليسيين بالتفصيل في القسم التالي من خاصة خلال عهد الإمبراطور بازل الأول

٢- زوسيموس ١ مؤرخ بيزنطي عاصر القرن الخامس، ولا يعرف عنه الكثير، ويعلم أنه عمل كمرطب في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وخلفائه التاليين مباشرة، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 138, O.D.B., vol. 3, p. 2231.

نعم نرحب. تاريخ أوروبا السياسي، ص ٣٧

بروكوبيوس القييسارى Procopius of Caesarea<sup>(١١)</sup> مؤرخ معاصر للإمبراطور  
جستينيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥ م) ، وقد ألف عدة مؤلفات يمكن إجمالها في الأتي  
De Bello Persico , De Bello Vandalico, De Bello Gothico.

أي الحروب الفارسية ، والنوندالية ، والقوطية على التوالي. وفيها يقدم وصفًا بتسم بالدقة  
للحروب التي خاضتها الجيوش البيزنطية خلال عهد الامبراطور جستينيان ونظرًا لكونه شاهد  
عيان لأحداثها؛ لذا احتلت مؤلفاته أهمية خاصة .

كذلك ألف كتابه: Libri De Aedificiis أي بالمهاني، وفيه أورد كافة الإنشآت  
التي شيدت في عهد ذلك الإمبراطور حيث شهدت سنوات حكمه ما يوصف «بمنهضة  
معمارية»

كما أن له كتاب: Historia Arcana أي التاريخ السري<sup>(١٢)</sup>، وفيه قام بنقد كافة

١ - بروكوبيوس القييسارى Procopius of Caesarea من المرجع أنه ولد عام ٥٠٠م، في مدينة فيسارية  
بفلسطين ، وفيما بعد درس القانون، وفي عام ٥٢٧م صار بمثابة المستشار القانوني للإمبراطور جستينيان،  
كذلك عمل كاتبًا للقائد يليزاريوس، وقد صلب جيوشه في حروب بيزنطة ضد الفرس . وكذلك الجرم ،  
ويقال أنه ختم حياته بأن صار محافظًا للتسطنطينية عام ٥٦٢م، ويقرر المؤرخ دونالد نيكول أنه بعد من أكبر  
كتب التاريخ البيزنطي القديم، عنه أنظر:

Procopius, Secret History, Trans. by Richard A.Twater , Michigan 1961 , pp. V-XIV Nicol,  
A Biographical dictionary, p. 108 .

Cameron , Procopius and the Sixth century , Oxford 1989 .

دراسة قيمة متخصصة عن بروكوبيوس والمؤلف له خبرة سابقة في ترجمة مؤلفات ذلك المؤرخ  
Ure , Justinian and his age , pp. 169-184 .

Evans, Procopius, New York, 1972, pp. 15-151

وبلاحظ أن دراسة كامبريون تعد أفضل من الدراسة الأخيرة

إسحق عبيد «الثقات والموضوع في كتابات مؤرخي العصور الوسطى قراءة في برسابيوس وبروكوبيوس»  
مس كتاب الدراسات التاريخية للعلة الناشئة السنار . جامعة الكويت، ط. الكويت . ١٩٩٥م، ص ١٧

٢ - هناك ترجمة إنجليزية لتلك المؤلفات في مجموعة اللوب The Loeb Classical Library

الأعمال التي امتدحها من قبل والتي قام بها الامبراطور جستنيان ، ولانفعل الإشارة إلى أن الكتاب المذكور لم يظهر إلا بعد وفاته .

لقد هاجم بروكوبيوس الامبراطور وزوجته ثيودورا وكال لها الاتهامات، وترجع أهمية الكتاب إلى المعلومات الخاصة بالجهتين الادارى والمالى خلال عهد الامبراطور المذكور .

إبناجرىوس سكولاستيكوس Evagarius Scholastikos<sup>(١)</sup> مؤلف Historia Ecclesiastica<sup>(٢)</sup> أى : التاريخ الكنسى .

= دى ٧ أجزاء، صدرت في نيويورك فيما بين عامى ١٩١٤-١٩٢٥م ؛ وهي التي قام بها د ب ديونج H.B. Dewing

كذلك توجد ترجمة إنجليزية أخرى للحروب الفارسية ، والوندالية، والقوطية بالإضافة إلى التاريخ السرى، والمالى من جانب أفريول كامبيون، وصدر عمله في نيويورك عام ١٩٦٧م ، عن ذلك أنظر :

Procopius , History of Wars, Secret History and buildings, Trans. by Averil Cameron, New York 1967

توجد ترجمة إنجليزية للتاريخ السرى قام بها ريتشارد أتوتر ، وصدرت في ميشيغان عام ١٩٦٦م ، عن ذلك أنظر Procopius , Secret History , Trans. by Richard Awater , Michigan 1961 .

ولا أعمال الإشارة إلى أن الراحل د.أ.د. حسن حبشي قام بترجمة التاريخ السرى وهو تحت الطبع ، عن هذه الإشارة والأعمال الأخرى التي في طبعها إلى النشر انظر :

محمد مؤنس عوض . أ.د. حسن حبشي مؤرخ مصرى رائد للعصور الوسطى، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات . ط. القاهرة ٢٠٠٦ ج. ٢، ص ٢٥٨

ومع ذلك ، لاحظ صدور ترجمة عربية للكتاب المذكور قام بها الراحل د. صبرى أبو الخير ، انظر بروكوبيوس ، التاريخ السرى، تـ صبرى أبو الخير، ط. القاهرة ٢٠٠٦ ج. ٢.

وعن مؤلفات بروكوبيوس بصفة عامة أنظر .

Cameron , Procopius and the Sixth century , los Anglos 1985 , pp. 49-207 .

١- إبناجرىوس سكولاستيكوس: ولد في إيفانيا Ephantia في سوريا المجردة عام ٥٢٦م، وفيما بعد عمل في مجال المحاماة في أنطاكية كما التحق بعدد من الوظائف الرمقية لإدارياً ، وتوفي فيما بعد عام ٦٠٠م عنه أنظر

O.D.B , vol. 2 , p. 761

Nicol, A Biographical dictionary , p. 39

٢ شرد بيفز وإلمينستر في لندن عام ١٨٩٨م . كما أعيدت طبعته عام ١٩٦٤م انظر =

وقد عاصر القرن السادس الميلادي. ووقع تاريخه في سنة أجزاء. وأستفاد فيه من كتابات سقراط ، سوزمينا ، وثيودوريت ، وتناول الأحداث الواقعة بين عامي ٤٣١ م . ٥٩٣ م بحكم معاصرته لها<sup>(١١)</sup>.

جورج باخميريس George Pachymeres<sup>(١٢)</sup> له كتاب De Michaelis et Andronico Palaeologis<sup>(١٣)</sup> أي تاريخ ميخائيل وأندرونيكوس باليولوغوس وقد عاصر النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلاديين. واحتوى تاريخه على تناول لعهد الإمبراطورين ميخائيل الثامن (١٢٥٩-١٢٦١م) وأندرونيكوس الثاني باليولوغوس (١٢٦١-١٣٠٨م) واستخدم في تأليفه أسلوباً يونانياً تقليدياً دعمه بكلمات مهجورة<sup>(١٤)</sup>.

Evgenos Scholastikos , Ecclesiastical History . ed. J. Bidez, L. Parmenier , London, 1898 . Amsterdam 1964 .

و هناك ترجمة حديثة من جانب ميشيل ويتي صدرت في أيلول عام ٧٠٠٠م أنظر:

Evagrius Scholasticas , The Ecclesiastical History , Trans. by Michael Whitty , Liverpool

O.D.B., vol 2, p. 761 .

عن ذلك أنظر:

Nicol, Abiographical dictionary . p. 39 .

-٩-

٢ جورج باخميريس، ولد في نيقية عام ١٢٤٢م وفيما بعد توجه إلى العاصمة البيزنطية حيث درس هناك مع جورج أكروبوليتيس . وصار شاعراً ومعتزلاً في البلاط البيزنطي. ولد تعددت اعتنائه المكنية وتراوحت بين التاريخ، والفلسفة والرياضيات . والقانون ، وترقى عام ١٢٦٠م. عنه أنظر:

O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

Nicol, Op. cit ., p. 102 .

٣- نشره بيكر في بين عام ١٨٢٥م وصدر في مجلدين أنظر:

Georgii, Pachymeris , De Michaelis et Andronico Palaeologis , ed Beldher , 2 vols, Bonn 1885

(O.D.B., vol . 3, p. 1550 .

عن ذلك أنظر:

وعن الكتاب المذكور أنظر هذه الدراسة:

Laon , "On Political geography : The Black Sea of Pachymeres", in Benton and Roveche (eds.) , The Making of Byzantine History, Studies dedicated to Donald M. Nicol . Centre of Hellenic Studies, King's College , London 1993, pp. 94-121 .

Nicol op cit ., p. 102 .

-٩-

### حولية المورة The Chronicle of Morea<sup>(١١)</sup>.

تعد بمثابة المصدر الأكثر أهمية للتاريخ السياسي للدولة الصليبية في اليونان خلال القرنين الثالث عشر ، والرابع عشر الميلاديين ولذلك : لا عجب أن اهتم بها عدد من الباحثين من خلال ترجمتها ، وكذلك إعداد دراسات عنها ، وتلقى الحولية المذكورة أضواء كاشفة على إمارة أخابا Achaea . كما تقدم مادة مهمة عن بحر ايجه Aegean Sea تحت السيادة الصليبية.

ولا يغفل : أن تلك الحولية تروى لنا أمر اتصال الحكام اليونانيين في المورة بالفرسان اللاتين حيث كونوا مجتمعاً إقطاعياً . وقد ورد فيها العديد من المصطلحات الخاصة بالنظام الإقطاعي البيزنطي (البروتويا) ونظام الإقطاع في الغرب الأوربي<sup>(١٢)</sup> ، مما عكس أهمية تلك الحولية بصفة عامة.

برحنا سكايليتزيس John Skylitzes<sup>(١٣)</sup> ألف كتاباً عنوانه - Synopsis Historiarum أي مختصر التاريخ

يشاول في الكتاب المذكور : وقائع الأعوام من ٨١١ إلى ١٠٥٧ م . ويعد تكملة لما كتبه ثيوفانس المعتبر Theophanes The Confessor

#### ١- عن حولية المورة انظر هذه الترجمات

The Chronicle of Morea, Trans. by J. Schmitt, London 1904, Reprint, New York 1979  
 • Crusaders, Conquerors, The Chronicle of Morea, Trans. by H.E. Lurier, New York 1964

• To Chronikon Tou Moreos, p. Kalonaros, Athens 1940 .

ولمجد ترجمة عربية للحولية المذكورة لدى : سهيل زكاره الموسوعة الشامية، ط. دمشق ١٩٩٥ . ج ١٠، ص ٢٠٥-٥٥٥

٢- حسين ربيع . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٦٢

٣- مؤرخ بيزنطي عاش خلال الحف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي . ولا تزال حياته بكنسها العصور

O D B , vol . 3, p. 1914

Nicol A Biographical dictionary . p. 115 .

محمد رابح عبد، العلاقات البيزنطية الأتانية ٩٦٢-١٠٥٩ م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٧٠-٧١ م، ص ٣

### ثيودوسيوس الراهب Theodosius The Monk<sup>(١١)</sup>.

هو شاهد عيان على فتح سيراكوز Syracuse على أيدي المسلمين عام ٨٧٨م ، وقد وصف تلك الأحداث في رسالة أرسلها إلى الشماس ليو The Deacon Leo . ويلاحظ أن المخطوطة البرنانية الكاملة للخطاب فقدت ، وتم نشر النص على أساس مخطوطة المكتبة الأهلوية بباريس B N ، ويحتوي على جزء فقط من ذلك الخطاب ، ولحسن الحظ فإن الترجمة اللاتينية الكاملة من جانب يوسفات أزال Josephat Azzale تم حفظها في مخطوط يرجع إلى القرن ١٧م

وهناك من يقول : أنه على الرغم من كونه ثيودوسيوس الراهب شاهد عيان لتلك الأحداث ؛ إلا أن عرضه لم يكن شخصياً ، وهو يقدم عرضه على أنه ضمن من مجموعة من رجال الاكليروس السيراكوزيين الذين واجهوا الحصار العربي ، ويحتوي وصفه قسماً من المبالغات كما هو متوقع في مصادر ذلك العصر .

وجدير بالذكر : كتب نفس المزوخ قصائد شعرية عن سقوط سيراكوز<sup>(١٢)</sup> .

سفرودونيوس Sophronios<sup>(١٣)</sup> بطريرك بيت المقدس ٦٣٤-٦٣٨م الذي سلفها للحليفة عمر بن الخطاب .

١- مزوخ معاصر للقرن التاسع الميلادي.

عنه أنظر : O.D.B., vol. 3, p. 2053 - 2054 .

٢ . O.D.B., vol. 3, p. 2054 .

٣- سفرودونيوس : هو بطريرك بيت المقدس خلال المرحلة ٦٧٤-٦٣٨م وقد ولد في دمشق عام ٦٠٠م . وتوفي في بيت المقدس في ١١ مارس ٦٣٨م . والفتاد أن يبرز اسمه على أنه Sophronios The Sophist أي سفرودونيوس المتجادل على الرغم من أن تلك التسمية ما زالت موضع خلاف ويلاحظ أنه كان واحداً ، وقد قام بالاشراك مع معلمه يوحنا موسكوس John Moschos برحلة على نطاق متسع زار فيها أديرة متعددة في مصر وفلسطين ، وروما . وعاد أدراجة إلى بيت المقدس للاحتفاء بدير ثيودوسيوس - Monastery of Theodosios . وقد أدت صراعاته اللاهوتية إلى ذهابه إلى مصر عام ٦٣٣م والقسطنطينية ، وعلى الرغم من دماغه المجهد عن مجمع خلقدونية إلا أنه لم يتمكن من إقناع كيرلس السكندري Cyrus of Alexandria أو سرجيوس الأول من القسطنطينية Sergios I of Constantinople

O D B., vol. 3, p. 1928

عنه أنظر

وقد ألف سيرة حياته وأرسلها إلى صديقه بوجنا إليسون John Elemon ، ويلاحظ أن أهبسة سوفرونوس تتمثل في كونه يمثل نهاية السيادة البيزنطية على المدينة المقدسة وبداية السيادة الإسلامية عليها في القرن السابع الميلادي.

تيودور ليكتور Theodore Lector<sup>(١٢)</sup> مؤلف Tripartite أي الكتاب الثلاثي الأجزاء وقد ألف في كتابه عما كتب كل من سقراط Socrat ، وسوزمون Sozomenos وسيودوريت أوف كيجرولومي Theodoret of Cyrillus ويتناول المرحلة المتتمة من أوائل القرن الرابع الميلادي ويحدد عام ٣٠٥ إلى عام ٤٣٩ م . وله أيضا : التاريخ الكنسي . وقد تناول فيه الأحداث التاريخية التي مرت بها الكنيسة حتى عام ٥٢٧ م .

بوجنا زوناريس John Zonaras<sup>(١٣)</sup> معاصر للقرن الثاني عشر م . ومؤلف Epitome Historiarum أي مختصر التاريخ .

وترجع أهبسة إلى أنه عمل في بلاط الإمبراطور الكسبروس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠-١١١٨ م) ، يمتد تاريخه منذ بدء الخليقة إلى عام ١١١٨ م ، ويعتمد اعتماداً كبيراً على ما كتبه سكيليتزيس Skylitzes . ويسلموس Psellus وذلك خلال كتابته للمرحلة بعد عام ٨١١ م غير أنه بالنسبة لعهد ذلك الإمبراطور البيزنطي السالف الذكر . نجد أن ما كتبه زوناريس يعد مصدراً أساسياً معروضاً عن الرؤية المنحازة التي نجدها في الكتاب كرومينا

١- سوزن كنسي عاصر نسباً من القرن الخامس ، والربع الأول من القرن السادس الميلادي . ويومي بعد عام ٥٢٧ م

عنه أنظر O.D.B., vol 2, p.

٢- بوجنا زوناريس؛ مؤرخ ورجل قانون وعالم لاهوت. احتل مكاناً بارزاً في بلاط الإمبراطور الكسبروس كومنين، ومن المحتمل أنه فقد منصبه بعد عام ١١١٨ م . وصار واهباً في دير القديس جليكيريا St. Chrysostom . وقد توفي بعد عام ١١٥٩ م . عنه أنظر O.D.B. vol. 3, p. 2229 .

٣- نشر ل . وتديرف تاريخه في ٦ أجزاء . في ليزج خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ م . ١٨٧٥ م . Epitome Historiarum, ed. L. Dindorf, 6 vols., Leipzig 1868 - 1875

O.D.B. vol 3, p. 2229 .

عن ذلك أنظر

من ناحية أخرى ؛ ألف تعليقات على نظم المساتير البابوية Commentaries on the Apostolic constitutions وقوانين الجامع وآباء الكنيسة Church Fathers . وكذلك بعض الكتابات الهيجيوغرافية Hagiographical Works (أي الخاصة بسير القديسين) .

جورج سفرانتزيس George Sphrantzes مؤرخ معاصر للقرن الخامس عشر م مؤلف حولية Chronicon Minus وترجع أهميته إلى أنه التحق بالعمل لدى الامبراطور مانويل الثاني Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) كذلك قام بعدة سفارات إلى الأتراك . وجورجيا Georgia ، وطرابيزون Trebizond والسور Morea . والجزر الابيجية Aegean Islands ، كذلك تم تعيينه حاكماً على باتراس Patras عام ١٤٢٠ . ومسترا Mistra عام ١٤٤٦م .

جدير بالإشارة ؛ يعد الكتاب المذكور يوميات تغطي المرحلة من ١٤٠١ إلى ١٤٧٧م ، ويلاحظ ؛ أن أسلوبه الأدبي في كتابتها نجد فيه أنماطاً تركية وإيطالية .

ملحمة ديجينيس أكرتيس Diogenis Akritis<sup>(١)</sup> .

١- جورج سفرانتزيس ؛ ولد عام ١٤٠٠م . وليس بعد صار أحد موظفي الدولة منذ عام ١٤١٨م . وعمل في المجال الدبلوماسي . بل صار رئيس وزراء الامبراطور البيزنطي الأخير قسطنطين الحادي عشر . وقد قبض عليه الأتراك العثمانيون بعد نجاحهم في فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م . إلا إنه تمكن من الهرب إلى شبه جزيرة البلبونير أو الليرة Morea ثم إلى كورفو . وهناك مات عام ١٤٧٨م . عنه أنظر

Nicol, A Biographical Dictionary . p. 116 . O.D.B. . vol . 3 p. 1937

٢- من الملاحظ أن كلمة ديجينيس Digenes . لفظ يوناني بمعنى المولود من شمين . على اعتبار أن والد باسيلوس ديجينيس وصف بأنه كان عربك مسلحاً أما أمه فرومية صليبية . وكلمة اكرتيس Akritis . لفظ يوراني بمعنى الذي ينتمي إلى حدود الدولة .

عن ملحمة ديجينيس أكرتيس أنظر ،

Digenes Akrites, ed. and Trans. by J. Mavrogordat , Oxford 1926 .

Beaton and Ricks (eds.) , Digenes Akrites , New Approaches to Byzantine Heroic Poetry , London 1993 .

طارق منصور . «الملحمة البيزنطية ديجينيس أكرتيس وثيقة أدبية» . ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطي . ط القاهرة ٢٠٠٢م . ج ١ . ص ١٨-٢٠ . الأمين أبو سعده . «بيزنطية في الملاحم العربية» - قرأت في سيرة =

وهي ملحمة بيزنطية ظهرت في القرن العاشر الميلادي . وتدور أحداثها حول محارب مسلم من أصول بيزنطية قام باختطاف فتاة بيزنطية . وذلك خلال إحدى الغزوات ، ثم قام بالارتداد عن الإسلام ، وعاد إلى مناطق الدولة البيزنطية، وهناك؛ أعجب طفلاً بعد بطل الملحمة المذكورة. وقد أطلق عليه اسم بازيل ديجينيس اكرتيس Basil Digenes Akrites وعاش في مناطق الحدود البيزنطية الإسلامية وهناك أثبت كفاءته الحربية في محاربة خصومه . وهناك من يقرر أنه رفض الخضوع للسلطة البيزنطية الرسمية، وتعد الملحمة المذكورة : مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ البيزنطي خاصة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - العربية.

الإكلوجا Ecloga <sup>(١١)</sup> أي المختارات وهي تلك المجموعة القانونية التي صدرت في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري Leo III The Isaurian (٧١٧-٧٤١م) ، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١-٧٧٥م) . وهي تلقى أضواء كاشفة على التطور القانوني في الإمبراطورية ، كما أنها تعين الدارسين على دراسة المجتمع البيزنطي من خلال القانون .

الإمبراطور موريس (٥٨٢-٦٠٢م) الذي ينسب إليه كتاب Strategikon <sup>(١٢)</sup> أي الاستراتيجية.

---

= الأميرة ذات الهمة . ضمن كتاب دراسات في تاريخ المصور الوسطى مهدلة إلى أ.د. حاسم عبد قاسم بمناسبة بلوغه الستين، تحرير حاتم الطحطاوي . ط القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٣٣٩ ، حاشية (٩١) ، صم درج، المصارف البيزنطية . ط دمشق ٢٠٠٣م، ص ٢٦٠

Runciman, Byzantine Civilization, p. 201, Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 132 Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 369-371

Kazhdan and Epdlein, Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth Centuries, Los Angeles 1985, pp. 117-119 .

١- عن الإكلوجا انظر:

Leo III, Ecloga, ed. with German Trans L. Burgmann, Ecloga: Das Gesetzbuch Leon III und Konstantinos, V, Frankfurt 1983 .

٢- هاك ترجمة ألمانية لذلك الكتاب : انظر:

Dennis G.T.E., Gamillscheg, Das Strategikon des Maurikios, Vienna 1981

كما أن له ترجمة إنجليزية . انظر:

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984

O.D.B., vol. 2, p.

عن ذلك انظر:

وبلاحظ أن هناك جدلاً حول تسمية الكتاب المذكور لذلك الامبراطور ، وبصفة عامة ، فإنه بعد مصدر) أساسياً لدراسة الفكر العسكري البيزنطي خاصة خلال الربع الأخير من القرن السادس الميلادي، ويحتوي على عدد من النصائح التي تعكس الخبرة الحربية عن كيفية القتال لدى الشعوب التي حاربتها بيزنطة

برحما السادس كانتا كوزين John VI Cantacuzene<sup>(١)</sup> مؤلف Historiae أي التاريخ<sup>(٢)</sup>

والمؤلف هو الإمبراطور البيزنطي الذي حكم خلال المرحلة من ١٣٤٧ إلى ١٣٥٣م بما أعطى لكتابه أهمية خاصة ، وهو يفيد في دراسة أوضاع الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وقد احتوى على إشارات مهمة - إلى جانب الناحية السياسية- تناولت الأوضاع الاقتصادية ، والاجتماعية، ومنها ما اتصل بالفتاء الكبير Black Death الذي حدث في القرن المذكور.

كتاب الإبارخوس Eprchikon Biblion<sup>(٣)</sup> أي الوالي وقد ألف في القرن العاشر

= كما أن له ترجمة إنجليزية . انظر -

Dennis G.T.E., Maurice's Strategikon Handbook of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, 1984 .

عن ذلك انظر : O.D.B., vol . 2, p.

١- عن برحما السادس كانتا كوزين أنظر القسم الثاني من هذا الكتاب

٢- تم نشر الكتاب في مجموعة الكوريس C.S.H.B. في ثلاثة أجزاء، من جانب ل شويج و ب بيور وصدر فيها بين عامي ١٨٧٨م. ١٨٧٢م. عن ذلك أنظر :

John VI Cantacuzenus, Historiae, ed. L. Schopen and B. Niebuhr, 3 vols., C.S.H.B., 1828- 1832

ونشر دونالد نيكول إلى أن هناك ترجمة إنجليزية للجزء الثامن من تاريخ حنا كانتا كوزين لم تنشر في صرة رسالة جامعة أهدا تسي ميلر من الجامعة الأمريكية الكاثوليكية عام ١٩٧٥م. عن ذلك انظر :

Nicol, The Reluctant Emperor, A biography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk, C. 1295 - 1383, Cambridge 1996, p. 168 .

Vasuliev, History, of the Byzantine, Empire , p. ٣١3 .

٢- عنه أنظر

الميلادي، وهو مصدر أساسي لدراسة النقابات البيزنطية Byzantine Guilds . ويلاحظ أن كلمة إيبارخوس كانت تعني « أمين العاصمة » ، وهو الذي وقع على عاتقه الإشراف على جميع النقابات سواء الصناعية أو التجارية في القسطنطينية.

على أية حال ؛ من الأهمية بمكان الإقرار بأن الكتاب المذكور<sup>(١١)</sup> ، أحصى على القواعد التي أقرتها الامبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م)؛ من أجل تنظيم النشاط الاقتصادي في العاصمة.

٥- نعيم فرح، الحضارة البيزنطية ، ص٢٢٥-٢٤٩ . ولربما يتصل بتاريخ كتابته . يلاحظ ، أنه في عام ١٩٣٥م، قام مؤرخ يوناني هو أ.د. كريستوفيلوبوليس A.P. Christofilopoulos بدراسة تمكّن من خلالها من تحديد تاريخ كتابته وهي خلال المرحلة الواقعة بين أول سبتمبر ٩١١م إلى ١١ مايو ٩١٢م . عن ذلك انظر

Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 188 .

١- عشر المؤرخ السويدي جوليس نيقولا Julius Nicole على وثيقة كتاب الوالي عام ١٨٩٢م، ونشره مع ترجمة لاتينية في صيف عام ١٩٩٢م، وفي عام ١٩٢٩م؛ قام بوك A.E.Book بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية في: Journal of the Economic History and Business (J.E.H.B)

أما في عام ١٩٢٨م، فقد صدرت الترجمة الإنجليزية الثانية انظر .

Freshfield . Roman Law in the later Roman Empire, Byzantine Guilds, Professional and Commercial, Cambridge 1938 .

ثم قام السيد الباز المرعي بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان « كتاب عن الحسبة في بيزنطة في القرن العاشر الميلادي أو كتاب الوالي » . مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، (١٩٩) ، ج٩، مايو ١٩٥٧م، ص١٢٥-١٢٧

عن ذلك انظر:

وسام عبد العزيز فرج . « الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط القاهرة ٢٠٠٣م، ص١١٩-١٢٠

وهناك بعض منه انظر

Lopez and Raymond, Medieval Trade in The Mediterranean World , New York 1961 pp 20-23

وقد وقع الكتاب في (٢٢) فصلاً. وتناولت الفصول الستة عشر الأولى تقاليد بحارية ، وكذلك حرفية متعددة ، أما الفصل العشرين، فإنه اختص بتناول واجبات ما عروب بنائب الرالى أو *Lecyarios* . واختص الفصل الحادى والعشرين بواجبات الوسطاء الرسميين الملحقين بالأشراف المختصة فى بيع الماشية. ونجد أن الفصل الأخير وهو والثانى والعشرين إختص بتناول القواعد العامة الموثرة على نشاط التجار والحرفيين<sup>(١١)</sup>، مما عكس تعدد العناصر الاقتصادية التى تناولها الكتاب المذكور ويقرر العلامة قازيليف عنه ؛ أنه مشابه كثر لتاريخ الأوضاع الداخلية للقسطنطينية<sup>(١٢)</sup>. وهو أمر لاكتشفه مثل هذه الصورة كتب الحوليات الأخرى التى تفيض بالأحداث السياسية ، والحربية.

نقفور بريتيوس<sup>(١٣)</sup> Nicephor Bryennios مؤلف.

*Historiarum Libri quatour* أى كتب التاريخ الأربعة عاصر المؤرخ المذكور قسماً من القرن الحادى عشر الميلادى. وكذا جزءاً من القرن الثانى عشر الميلادى. وقد تناول فى كتابه : الأحداث التاريخية التى مرت بالإمبراطورية البيزنطية منذ عام ١٠٧٠ إلى ١٠٧٩ م. وفيه يقدم إشارات مهمة عن معركة مانزكوت عام ١٠٧١ م الحاسمة التى انتصر فيها السلاجقة على القوات البيزنطية وهو ينقل رواياته عن جده الذى لى شريكاً قمعياً فيها<sup>(١٤)</sup> ؛ مما أعطى لرواياته أهمية خاصة.

١- وسام عبد العزيز فرج. الدولة والتجارة، ص ٨١

٢- vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 343

-٢

٣- نقفور بريتيوس : ولد عام ١٠٦٢ م. وهو حفيد نقفور بريتيوس الذى سعى إلى العرش البيزنطى عام ١٠٧٧ م. وقد تزوج من الأميرة البيزنطية انا كومنينا Anna Comnena عام ١٠٩٧ م. ويلاحظ أنه عمل فى الجهاز الإدارى البيزنطى. كذلك التحق بالجيش البيزنطى فى عهده الكسبروس كومنين وابنه حناً الثانى. وقد حصل على لقب كيسر . وتوفى عام ١١٣٦ م. عنه انظر .

Nicol, ABiographical dictionary, p. 21

٤- عن ذلك انظر :

فابر لجيب لسكر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة مانزكوت (١٠٧١ م / ٤٤٤٣ هـ) فى مصف

نقفور بريتيوس دراسة مقارنة للمصادر، ط. الإسكندرية ١٩٨٢ م. ص ١١-١٢

- البطريرك نقفور Nicephorus مؤلف كتاب <sup>(١)</sup> : *Breviarium Historicum Gestus* : *Post imperium Maurici* : أي مختصر تاريخي لما حدث بعد الإمبراطور موريس .

وقد عمل المؤلف بطريركاً للقسطنطينية فيما بين عامي ٨٠٦ - ٨١٥م، وبالتالي احتل مصباً دينياً بارزاً . وفي الكتاب مجده يتعرض للأحداث التاريخية فيما بين عامي ٦٠٢ - ٧٦٩م ، أي منذ عهد الإمبراطور فوكاس Phocas (٦٠٢ - ٦١٠م) حتى نهاية عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م) وتعرض لأمر الصراع البيزنطي - الفارسي، كما قدم إشارات مهمة عن علاقات الإمبراطور البيزنطية مع عناصر الخزر.

نقفور جويجولارس Nicephorus Gregoras <sup>(٢)</sup> : وعاصر القرن الرابع عشر م، وألف

١- البطريرك نقفور : بطريرك القسطنطينية في القرن التاسع الميلادي، ولد في العاصمة البيزنطية عام ٧٥٥ أو ٧٥٨م، وهو مؤرخ وقديس تولى منصب البطريركية خلال المدة من ١٢ أبريل ٨٠٦م إلى ١٢ مارس ٨١٥م، وقد وصف بأنه كان من اللاتين عن عبادة الأيقونات . وفيما بعد توفي في دير القديس ثيودور St. Theodore بالقرب من خرسوبوليس Chrysopolis في ٥ أبريل ٨٢٨م، عنه أنظر

*Life of the Patriarch Nikephorus I of Constantinople* , Trans. by Elizabeth A. Fisher in Talbot (ed.) *Byzantine defenders of images, Eight Saints, Lives in English Translation* , Dartmouth Oaks, Washington 1998, pp. 25-147 .

هاني عبد الهادي البشير - نقفور بطريرك القسطنطينية (٨٠٦-٨١٥م) ومؤلف التاريخ المختصر المزج المصري، العدد (٦٦) ، يناير ٢٠٠٣م ص ٣٩-٧٥

O.D.B., vol. 3, p. 1477 .

٢- الترجمة الانجليزية قام بها مانجر - وصدرت في ولشتن عام ١٩٩٠م.

Nicephorus, Short History, ed. C. Mango Washington 1990 .

٣- نقفور جريغولارس : عالم ومؤرخ ، عاصر القرن الرابع عشر م . في صفه قام بكفائه عنه يوحنا الذي عمل أسقفاً لهرقلية بونتيكا Horakleia Pontika ، وارتبط ذلك المؤرخ بالإمبراطور برحنا السادس كونستانتين John VI Comnenus (١٣٤٦-١٣٥٥م) وصعدوا من جانبته للقوى السياسية المعاصرة له، ويفرد درمالد نيكول أن نقفور جريغولارس وصف بأنه من أعظم رجال القرن الرابع الميلادي ، وقد توفي عام ١٣٦١.

Nicol, *Biographical dictionary*, pp. 44-45 .

عنه أنظر

كتابه التاريخ Historia <sup>(١١)</sup> الذى وقع فى ٢٧ كتاباً واشتمل على المرحلة الزمنية بين عامى ١٣٢٠ . ١٣٥٩م، وهو مصدر مهم لعصره.

من جهة أخرى؛ ألف ذلك الموزع عدداً من تراجم القديسين . كذلك نعرف أنه نظم قصيدتين لرثاء كل من الإمبراطورين أندرونيكوس الثانى Andronicus II (١٢٨٧ - ١٣٢٨ م)، وأندرونيكوس الثالث Andronicus III (١٣٢٨ - ١٣٤١ م)

- بوستاش السالونيكى <sup>(١٢)</sup> Eustathios of Thessalonike مؤلف <sup>(١٣)</sup> سقوط السالونيك  
On the improvement of the life of the monks and On the Capture of Thessalonike  
. Monastic life

١- تم نشر تاريخ نيقفور جيوجورجيس فى ثلاثة أجزاء من جانب كل من شومين، بيكر فى مجموعة الكوريس فيما بين عامى ١٨٢٩ . ١٨٥٥م.

Nicphorus Gregoras , ed. L. Schopen and I Bekker, 3 vols, C.S.H.B., 1829-1855

٢- بوستاش السالونيكى، مؤلف كسى وعالم. ولد فى عام ١١١٥م. وقد تعلم فيما بعد فى القسطنطينية . وصار شماساً . وفى عام ١١٧٨م صار رئيساً لأساقفة سالونيك . وقد انجبه إلى تأليف مزملمات عبارة عن تعليق وشرح على هوميروس Homer مبدع الإلياذة والأوديسا وكذلك الأديب المسرحى أرسطوفانس Aristophanes . ويوحنا الدمشقى John of Damascus . وقد توفى عام ١١٩٥م عنه أنظر

Kazhdan and Epstein, Change in Byzantine Culture in the Eleventh and Twelfth centuries , Berkaly 1995, p. 165-166 .

O.D.B., vol . 2, p. 754 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 38 .

عبد العزيز رمضان، العلاقات البيزنطية - اللاتينية فى عهد الامبراطور ماتيويل الأول كومنينوس ١١٦٢ - ١١٨٨م. رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م. ص ١٠٠.  
حاشية (١)

٣- الترجمة الإنجليزية قام بها ماثيل جريز. وصدرت فى كاثرا عام ١٩٨٨م.

أنظر - Eustasios of Thessaloniki , The Capture of Thessaloniki, ed. Trans. by J.R. McI-  
ville Jones, Canberra 1988 .

وهو مؤرخ معاصر للقرن الثاني عشر م. ووصف بأنه مفكر أصيل ، وقد دعم الإمبراطور مانويل كومنين . وبعد الكتاب الأول مصدراً أساسياً عن سقوط سالونيك وهي من الحواضر البيزنطية البارزة- في قبضة النورمان عام ١١٨٥م.

أما الكتاب الثاني: فيمثل نقداً للحياة الديرية البيزنطية في عصر ذلك المؤرخ.

٨- زكريا التليسي Zachariah of Mitylene مؤلف *Histon Ecclesiastica* أي التاريخ الكنسي وهو من رجال الكنيسة وقد شارك بالحضور في جمع القسطنطينية الذي عقد عام ٥٣٦م. وقد ألف كتابه التاريخ الكنسي من منظور مونوفيزيتي ويشتمل على دراسة للمرحلة الواقعة بين عامي ٤٥٠م ، ٤٩١م ، وهناك احتمال أن يكون قد امتد ليشمل المرحلة من ٤٩٢ إلى ٤٩٥م. وبعد الكتاب المذكور من المصادر التاريخية عن القرن الخامس الميلادي.

يوحنا فوكاس<sup>(٢١)</sup> Joannes Phocas وله رحلته بعنوان *Descriptio Tervae*

١- زكريا التليسي. رجل كنيسة ولد في مايرما *Mainoma* بالقرب من غزوة بين عامي ٤٦٥ ، ٤٦٦م. ربما بعد ، درس الفلسفة في الاسكندرية - والقانون في بيروت. وقد صار أسقفاً لتلي *Mitylene* كذلك حضر انعقاد الكسبي في القسطنطينية عام ٥٣٦م. وقد توفي عام ٥٣٦م.  
عنه انظر:

O.D.B., vol. 3, p. 2218.

٢- نشر بروكس التاريخ الكنسي في أربعة مجلدات في باريس خلال المرحلة ١٩١٩ إلى ١٩٢٤م. عن ذلك انظر

*Historia Ecclesiastica*, ed. E.W. Brooks, 4 vols, Paris 1919-1924.

O.D.B., vol. 3, p. 2218.

٣- ولد يوحنا فوكاس Joannes Phocas في جزيرة كريت *Crete*. ووالده هو ماثيو *Mathiew* الذي عمل في السلطنة الديرانية ووصل فيه إلى رتبة مرتفعة - وأذكرته منبته في جزيرة باتوس *Pamos*. وعندما شب برحنا فوكاس عن الطوبى. عمل في الجيش البيزنطي في عهد الإمبراطور مانويل كومنين. عن برحنا فوكاس انظر

Beazly, *The Dawn of modern geography. A history of expedition and geographical Science from "the close of the ninth to the middle of the Thirtocnth century"*, vol. II, London 1901, p. 199.

Tobler, *Bibliographia Geographica Palaestinae*, Leipzig 1867, p. 21

Sanctae<sup>(١٦)</sup>؛ أي وصف الأرض المقدسة وهو من كريت وقد عاصر القرن ١٢م وقام برحلة إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين حوالي عام ١١٨٥م. وقد زار كنيسة الصريح المقدس Church of Holy Sepulchre في بيت المقدس عندما قام برحلة حج إلى هناك، وأشار في رحلته إلى النقش الذي وجدته هناك تخليداً لذكرى تجديد الكنيسة المذكورة في عهد الملك الصليبي عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م) وذلك خلال حكم الامبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) على نحو يلقى الضوء على العلاقات البيزنطية مع الشرق اللاتيني Levant.

- كيناموس<sup>(١٧)</sup> Kinnamos له كتاب Epitome Historiarum<sup>(١٨)</sup>، أي مختصر التاريخ.

= محمد مؤنس عوض، الرحلة الأوربيون في ملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٧١٤ . الرحلة الأوربيون في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٥٧، ٦٢

١- انظر الخريطة في البيروlogia البيزنائية:

Descriptio Terrae Sanctae P. G. T. CXXXIII, cols 997-1063 .

ومجموعة مؤرخي الحروب الصليبية للزخون الإغريق - ج ١

R.H.C , T.I, Paris 1875, pp. 527-559 , T.II, pp. 683-695 .

والترجمة الإنجليزية التي قام بها أوبري ستيرلوت في مجموعة نصوص حجاج فلسطين ، مجلد (٥) ط

لندن ١٨٩٦م:

Joannes Phocas, A Brief Description of the Holy Land , Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol V , London , 1890 .

محمد مؤنس عوض، فصول جغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ص ٦٩ ، ص ٣٧٥ الترجمة العربية

أ. د. سهيل زكار الرسوعة الشامية، رقم ١٩٩٥م، ص ٣٥ . ص ٤٠٤

٢- كيناموس Kinnamos : ولد قبل عام ١١٤٣م وهو مؤرخ بيزنطي معاصر للإمبراطور مانويل الأول (١١٤٣-١١٨٠م) وعمل سكرتيراً له، شارك في معارك متعددة وتوفي بعد عام ١١٨٥م، عنه أنظر

O.D.B., vol. 2, p. 1130 .

لبلى عبد الجواد ، وحملات مانويل كومنين على انتصر (١١٥١-١١٦٧م) في ضوء كتابات حا

كيناموس ، المجلة التاريخية المصرية، العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م، ص ٧٣-١٠٠

هارى الزهارنز - تاريخ للكتابة التاريخية، ص ١٢٤

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية التي قام بها شارل بيراند وصدرت في كولومبيا عام ١٩٧٦م، عنه أنظر

وقد تناول في كتابه عهد كل من الإمبراطورين حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، ومانويل كرمين (١١١٨-١١٤٣م) ، ويثل الكتاب أهمية خاصة نظراً لكون المؤرخ المذكور اتصل بالقبادات البيزنطية ، وقد توافرت لديه وثائق متعددة أفادته في إعداد كتابه بالإضافة إلى كونه من شهود العيان المشاركين في الأحداث ، ولذلك يحتل كتابه أهمية خاصة بين مصادر العصر البيزنطي الأوسط .

نيكتاس خونيئاتس Nicetas Choniates <sup>(١)</sup> وله حوليه بعنوان Historia: أي التاريخ وقد عاصر النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، والعقد والنصف الأولين من القرن الثالث عشر ميلادي <sup>(٢)</sup> .

وقد قسم كتابه إلى عشرة كتب أو فصول جعل الأول عن عهد حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣م) ، والثاني عن مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) ، والثالث عن الكيسوس

« Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Columbia 1976 .

لمجد الإشارة إلى أن العلامة الراحل أ.د. حسن حبشي أستاذ العصور الوسطى بكلية التربية - جامعة عين شمس سابقاً قام بترجمة الكتاب المذكور وسيسفر من جانب الهيئة المصرية العامة للكتاب قريباً وقد طالعنا أصله المخطوط .

١ - نيكتاس خونيئاتس Nicetas Choniates . ولد في خوتاي في آسيا الصغرى Asia Minor وعاش فيما بين عامي ١١٥٠ ، ١٢١٥م ، درس في القسطنطينية والتحق في خدمة الإمبراطورين الكيسوس الثاني ١١٨١-١١٨٣م ، واسحق الثاني (١١٨٥-١١٩٥م) وعندما حدثت الحلة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية عام ١٢٠٤م ، فقد كافأه ممتلكاته . ولذلك هاجر بالفرار إلى نيقية حيث عمل لدى الإمبراطور تيودور الأول لاسكاريس عنه أنظر

Nicol, A Biographical Dictionary, p. 22-23 .

هاير نجيب اسكندر - نيكتاس خونيئاتس واعترافه بتسامح المصلين وحرية الصليبيين - قراءة نقدية لتجارب الحلة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ- ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط. القصورة ب-ث القصورة ص٥٥-٥٧

هارى ألز باونر - تاريخ الكنيسة النورية، ص١٢٤

٢ - ترجمه إنجليزية لها ، من جانب هارى ماجوليس وصورت من جامعة ولاية واين عام ١٩٨٢م Nicetas Choniates O'city of Byzantium . Annals of Nicetas Choniates, Trans. by Harry Magolias Wayne state University, Detroit 1984

وعد د. أ.د. حسن حبشي بترجمته إلى العربية وسيسفر من الهيئة العامة للكتاب قريباً

الثاني ابن مساتويل كومنين (١١٨٠-١١٨٣ م) ، والرابع عن أندرونيكوس كومنين (١١٨٣-١١٨٥ م) ، والخامس عن إسحق إنجيلوس (١١٨٥-١١٩٥ م) ، والسادس عن عهد الكيسوس الثالث إنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣ م) والسابع عن المدة القصيرة التي عاد فيها إسحق إنجيلوس ، وابنه الكيسوس الرابع إلى الحكم عام ١٢٠٣ م ، كذلك خصص الثامن لعدة حكم الكيسوس الخامس دوقاس ، كما خصص الفصلين التاسع ، والعاشر لتناول الحملة الصليبية الرابعة والاحتلال اللاتيني للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤ م<sup>(١)</sup>.

والكتاب المذكور يعد مصدراً على جانب كبير من الأهمية من علاقات الإمبراطورية البيزنطية بالعدن الإيطالية خلال المرحلة الممتدة من ١١٨٠ إلى ١٢٠٤ م ، كذلك يعد المؤرخ شاهد عيان لسقوط القسطنطينية لأول مرة في العام الأخير<sup>(٢)</sup>.

لا تغفل أن نيكيتاس خونيانيس كان عاشقاً لبيزنطة ، ورأى بعيني رأسه كيف تنبع معشوقته بكنين القرب الأوربي الغازي لها ، ويصل إلى التوحد مع بيزنطة خاصة خلال الفصل الأخير من حويلته ، ومنطقي - والأمر كذلك - أن نحمده يكتب حويلته بمداد المرارة والكراهية الشديدة لللاتين.

- أنا كومنينات Anna Comnena<sup>(٣)</sup> مؤلفة كتاب Alexiad<sup>(٤)</sup> (أي المنسوبة إلى الكيسوس).

١- عادل فخون ، العلاقات السياسية والكسبية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، ط. دمشق - ١٩٨٠ م ، ص ٢٩

٢- حبه ، نفس الصفحة

٣- أنا كومنينات Anna Comnena : أميرة بيزنطية ومؤرخة ولدت في ديسمبر عام ١٠٨٣ م ، وتعد أكبر بنات الإمبراطور البيزنطي الكيسوس كومنين (١٠٨٠-١١١٨ م) ، ولدت خطوبتها في صغرها لفلسطين دوكاس ، وعندما مات خطيبها ، تزوجت من نيقفور بريمنوس ، ويقرر دونالد نيكول أنها تعد المؤرخة الوحيدة التي ألحقتها الإمبراطورية البيزنطية ، ويلاحظ أنها أنهت ولعين ولحن ، وقد عاشت بعد ولادها ١٥ عاماً ، وتوفيت عام ١١٥٣ م ، عنها أنظر -

Nicol, Biographical dictionary , p. 9, Buckler, Anna Comnena, London 1929 .

٤- هناك ترجمة إنجليزية له قام بها سوتير وصدرت في لندن عام ١٩٧٩ م.

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewier , Penguin Book, London , 1979

ولابد من الإشارة إلى الترجمة العربية التي أعدها العلامة أ.د. حسن حشيش

بعد مصدراً أساسياً لمعهد الإمبراطور الكسبروس كومنين والد المؤلفة (١٠٨٠-١١١٨م) وقد حدث في عهده مقدم الحملة الصليبية الأولى. وبالتالي: فإن المؤلفة تعبر عن وجهة النظر البيزنطية تجاه الحملة المذكورة. وهي نظرة ملؤها الكراهية الدينية، والعداء، والشكوك خاصة تجاه عاصر النورمان التي سبق لها مهاجمة أملاك الامبراطورية في إيطاليا والاستيلاء عليها

جدير بالذكر: يظهر في الكتاب الإعجاب الزائد بالامبراطور الأب. ولذلك من المهم ادراك الطابع المحاز بالضرورة من جانب الأميرة المورقة تجاه والدها. ولا ينبغي ذلك- بطبيعة الحال- أنها في بعض الجوانب عاوضته وكانت لها شخصيتها المستقلة في عرض الواقع التاريخية منفصلة عن «كاريزما» Charisma الامبراطور الأب. غير أن ذلك حدث في القليل النادر

ومن المهم هنا ملاحظة: الظروف النفسية التي ألقت فيها تلك الأميرة البيزنطية كتابها المذكور. فقد قامت بنصب خيوط مؤامرة بالإشتراك مع زوجها ضد شقيقها حنا كومنين وصولاً إلى السلطة. وذلك في عام ١١١٩م وأرادت قتله لتحقيقاً للرغبة الجامحة للجلوس على العرش الإمبراطوري. إلا أن المؤامرة كشفت وذلك عن طريق زوجها نفسه<sup>١</sup>. وقد أحسن حنا كومنين للمتآمرين فلم يفتك بهم، واكتفى بالقبض عليهم وصادر أموالهم، ورفض إبداع أخته أحد الأدبرة<sup>٢</sup>. بل تركها وشأنها فتخارت الانحرال عن الحياة العامة بفرسها الشعور بالمرارة والإحباط وخلال ذلك الحين المجهت إلى تأليف الكسياد ليكون لها بمثابة العزاء عن تلك الظروف العصيبة.

---

١- أنا كومنينا، الكسياد. ت حسن حبشي. المشروع القومي للترجمة. ط. القاهرة ٢٠٠٥. رمى آخر أعمال الراحل العالم المذكور قبل وفاته. وأحيل التأريخ إلى القدمة المتأخرة التي وضعها. وهناك ترجمة لنص من الكتاب لدى سهيل زكار، الموسوعة الشامية. ط. دمشق. ١٩٩٠. ج٦. ص٩٠. ص٧٦

Mango, Byzantium The Empire of New Roman, New York 1980, p. 29, p. 242.

أيضا: جامعة حسن محقق. العلاقات البيزنطية التركية في صو- كتاب الكسياد. رسالة ماجستير عبر مشورة. كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م

امال حامد زيار. الإمبراطور الكسبروس كومنين والحملة الصليبية الأولى من خلال كتاب الكسياد رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥

١- محمد محمد مرسى الشيخ تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. ص٢٤٥. ص٢٤٦

والأمر المؤكد : أن الكتاب المذكور على النحو الذي وصل إلينا يعكس فكرة أنا كومنثيا على تجاوز ظروفها النفسية العصبية، وهكذا حولت عقدة الإخفاق إلى نجاح عاش بعدها قرونًا!!

- ثيودوروس سكوتاريوتيس<sup>(١١)</sup> Theodoros Skotariotes .

مؤلف : Syhopsis Chronika وفيها ، يتعرض لأباطرة الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الحادي عشر الميلادي منذ عهد الإمبراطور بابل الثاني Basil II (٩٧٦-١٠٢٥ م) حتى رومانوس الرابع ديوجنيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١ م)<sup>(١٢)</sup>.

- الكتابات الهجيوغرافية<sup>(١٣)</sup> Hagiography وهي عبارة عن سير القديسين والتدبسات، وهي تحوى مادة تاريخية على جانب كبير من الأهمية عن النواحي الدينية ، والسياسية على مدى التاريخ البيزنطى.

ويلاحظ أن أهم الدراسات التي تحتوى تلك المصادر هي:

- Bibliotheca Hagiographia Graeca, ed. F. Halkin, 3 vols . , Bruxelles 1957

ويعد أشمل كتاب عن الكتابات الهجيوغرافية اليونانية، ووقع فى ٣ أجزاء، وطبع فى بروكسيل ١٩٥٧م.

- Talbot (ed.), Holy Women of Byzantium , Ten Saints' Lives in English Transtaution , Washington 1996 .

#### ١- مؤرخ بيزنطى معاصر للقرن الحادى عشر الميلادى.

وقد أورد د. عبد العزيز رمضان أن ذلك المصدر يتعرض لأباطرة القرن الحادى عشر من بابل الثانى حتى رومانوس السابع «ديوجينيس» . والواقع أنه لا يوجد إمبراطور بهذا الاسم فى القرن المذكور، والأصح رومانوس الرابع «ديوجينيس» والذي حكم خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٦٧ . ١٠٧١ وهزم فى معركة ساركرت ، انظر عنه القسم الثالث من هذا الكتاب . انظر عبد العزيز رمضان . مداخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية، ص ٨٦

٢- ترجمة زويرت بيدرو سيان ، انظر عبد العزيز رمضان . المرجع السابق، نفس الصفحة

٣- عن تلك المصادر فى الغرب الأوروبى أنظر هذه المقالة الرائدة بالعربية

على العمراوى ، «المصادر الهجيوغرافية قبل النهضة الكارولية» ، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، العدد (٢) ، عام ١٩٧٢م، ص ٨٩- ٩٨

- Talbot (ed.), *Byzantine Defenders of Images, Eight Saints lives in English Translation*, Washington 1998.

وصدرت الدراستان المعتبرتان (١٨) سيرة مترجمة إلى الإنجليزية من جانب مركز داسبرنون أوكس براشطن وتعد المزودة اليس ماري تالبوت Alice - Mary Talbot أبرز متخصصة في المجال المذكور وقد أشرفت على فريق عمل من المترجمين لترجمتها إلى الإنجليزية .

mlk B1 jg; hgsdn kc;n

St. Anthousa daughter of Con- سيرة القديسة أنتوسا ابنة قسطنطين الخامس -  
stantine V.

- سيرة القديسة أنتوسا من مانتين <sup>(١٧)</sup> .

St. Antousa of Mantinc.

- سيرة القديسة أنثاسيا الإيجينية <sup>(١٨)</sup>

St. Athanasia of Aegina.

- سيرة القديس كيريل الفيلبوني <sup>(١٩)</sup> .

St. Cyrille le Philote.

- سير القديسين ديقيد ، وسيميون ، وجورج اللبوسيين <sup>(٢٠)</sup> .

١- عنها أنظر : The life of St. Anthous Daughter of Constantine V, Trans. by N. Constas, in Talbot (ed.), *Byzantine Defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation* Washington 1998, pp. 21-24 .

٢- عنها أنظر : The life of St. Anthousa of Mantincin in *Byzantine Defenders of Icons*, pp 13-20

٣- عنها أنظر : The Aegina, Trans. by L.F. Sherry, in Talbo (ed.) *Holy woman of Byzantium*, pp. 137-158 .

٤- عنها أنظر : La Vie de Saint Cyrille Le Philote Moine Byzantin (1100), Trans. E. Sargoloyos, Brussel 1964 .

٥- عنها أنظر : The Life of Sts David, Symeon and George of Lesbos, Trans. by D. Dmugo- A Foraste and D. Abrahamse, in *Byzantine Defenders of Images*, pp. 143-241

St. David , St. Symeon, St. George of Lesbos .

- سيرة القديس أيونيكيوس<sup>(١١)</sup>.

St. Ioannikios .

- سيرة الإمبراطورة القديسة إيرين<sup>(١٢)</sup>.

St. Irene.

- سيرة القديسة إيرين كريسوبولانتم<sup>(١٣)</sup>.

St. Irene Abbess of Chrysobalantum.

- سيرة القديسة ماريا أو (مارينوس)<sup>(١٤)</sup>.

St. Maria Marinos

- سيرة القديسة مريم المصرية<sup>(١٥)</sup>؛

St. Mary of Egypt .

- سيرة القديسة ثيرودور السالونيكية؛

St. Theodora of Thessalonike

- سيرة القديسة مريم الصخرى<sup>(١٦)</sup>.

١- عنها أنظر . The Life of St. Ioannikios Talbot ces., Trans. by D.F. Sullivan in Talbot (ed.), Byzantine Defenders of Images/Byzantine Defenders of Images , pp. 243-391

٢- عنها أنظر . La Vie de L'imperatrice Sainte Irene , et Trans. by F. Halkin, A.B 106 . 1988, pp. 5-27

٣- عنها أنظر . The lif St. Irene Abbess of Chrysobalantum , Trans. by J.O. Rosenquist . uppsala, 1986

٤- عنها أنظر . Life of St. Mary / Marinos , in Talbot (ed.), Holy women of Byzantium, pp 1-12 .

٥- عنها أنظر . Life of St. Mary of Egypt , in Talbot (ed.), Holy Women . pp. 65-93

أيضاً طارح مختصر «ماريا المصرية نموذج للتصاميم الدينية في العصور الوسطى» - ضمن كتاب لطوف  
المكر البيزنطي. أولاً الأدب. ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٤٦ - ص٦٥

St. Mary The Younger.

٦- Life of St. Theodora of Thessalonike, in Talbot (ed.), Holy woman pp. 159-237

- St. Theodora of Arta. - سيرة القديسة ثيودورا الأرتية<sup>(١١)</sup>.  
 St. Athanasia of Aegina. - سيرة القديسة أثاناسيا الأيجينية<sup>(١٢)</sup>.  
 St. Matrona of Perge. - سيرة القديسة ماترونا الهرجية<sup>(١٣)</sup>.  
 St. theoktiste of Lesbos. - سيرة القديسة ثيوكتسني الليسبوسية<sup>(١٤)</sup>.  
 St. Thomas of Lesbos - سيرة القديسة تومايوس الليسبوسية<sup>(١٥)</sup>.  
 St. Elisabeth the Wonderworker - سيرة القديسة إليزابيث صانعة العجايب<sup>(١٦)</sup>.  
 هناك في مجال كتابات سير القديسين مصدر مهم في صورة:  
 The Golden Legend جاكوبوس القوراجيني Jacobus de Voragine وتحت عنوان  
 or Lives of Saints.

وفد ألفه في عام ١٢٧٥م وتم نشره عام ١٤٧٠م.

وقد ترجمته إلى الإنجليزية على يد وليم كسرون William Caxton ونشر عام ١٤٨٢م، ويلاحظ أنه يقع في ٧ مجلدات كاملة<sup>(١٨)</sup>.

Life of St. Mary The Younger , in Talbot (ed.) Holy women, pp. 239-290 .

Life of St. Theodora of Aegina, in Talbot (ed.), Holy Women , pp. 323-333 .

Life of St. Athanasia of Aegina, in Talbot (ed.) , Holy Women , pp. 137-158 . -٢-

Life of St. Matrona of Perge, in Talbot (ed.) Holy Women, pp. 13-64 . -٤- عنها أنظر

Life of St. Theoktiste of Lesbos in Talbot (ed.) Holy Women , pp. 95- 116 -٥- عنها أنظر

Life of St. Thomas of Lesbos, in Talbot (ed.), Holy Women pp. 291-322 . -٦- عنها أنظر

Life of St. Elisabeth the Wonder worker , in Talbot (ed.) Holy Women, pp. 117-136 -٧- عنها أنظر:

-٨- عبد العزيز رمضان ، «مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت» حولية التاريخ

الاسلامية والوسط ، (١٧) ، عام ٢٠٠٢ ، ص ٨٢

## ثانياً : المصادر اللاتينية :

مجهول<sup>(١١)</sup>، مؤلف *Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum* (١٢) أي أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس.

والمؤلف أحد الجنود الذين شاركوا في الحملة الصليبية الأولى، ووصف بأنه من أتباع الرعي النورمانى بوهيموند Bohemond ابن روبرت جويسكارد Robert Guiscard ويعد الكتاب المذكور مصدراً أساسياً من مصادر الحملة للصليبية الأولى وبالتالي لا يمكن إغفاله نجما ينصل بالعلاقات البيزنطية اللاتينية<sup>(١٣)</sup>.

أوردريك فيتشاليس<sup>(١٤)</sup> Ordericus Vitalis مؤلف كتاب *Historia Ecclesiastica*:

١- عن المؤلف المجهول أنظر: مقدمة الترجمة العربية التي أعدها حسن حشيش ، أعمال الفرنج وحجاج بيت المقدس ، ط القاهرة - ١٩٧٠م، ص ٩-١٦ ، ويلاحظ أن الطبعة الأولى صدرت بالقاهرة ، عام ١٩٥٨م، محمود الرويضى ، إمارة الرها للصليبية ، ط. مؤنة ٢ - ٢م، ص ٢٥-٢٦

٢- ترجمت ترجمة إنجليزية للمصدر المذكور من جانب روزالين هل ، وصدرت في لندن عام ١٩٩٢م ، أنظر

Anonymous , *The Deeds of the Franks and Other Pilgrims, Traits by R. Hill*, London 1962

ويلاحظ أن كراى قام بنشر فقرة كانت مفقودة من التاريخ المذكور. أنظر:

Krey , " A Neglected Passage in The Gesta and its Bearing on The literature of the First Crusade , in the *Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his Former Students* , New York 1928 , pp

٣- أوردريك فيتشاليس مؤرخ إنجليزي ولد في إنجلترا عام ٧٥-١٠م لأب نورماندى ولم إنجليزية . وقد درس في شروسبرى Shrewsbury في صغر سنه ، وأُرسله أبوه إلى نورماندى ليصبح راهباً في دير القديس أسبرول St Evroul وأُلقب بتاريخه بنا . على طلب روجر آرف في ساب Roger of le Sap أسقف دير اقرون ٩١ - ١١٢٧م. ومات أوردريك عام ١١٤٣م. عنه أنظر: محمود الرويضى، إمارة الرها للصليبية ، ص ٣١، حاشية (٣١) مرور عبد التعم . السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك

أى التاريخ المكتسب. ويتكون من ثلاثة عشر فصلاً وقام بتأليفه ذلك المؤرخ الإنجليزي بين عامي ١١١٤-١١٤١م. وبعد مصدره مهماً عن العلاقات بين الصليبيين . والبيزنطيين خاصة خلال أحداث الحملة الصليبية الأولى . وما تلاها من أحداث ومع ذلك؛ يوجه للمؤرخ وكتابه النقد من خلال عدم التزامه بالتسلسل الزمني للأحداث .

ريكهارد Ekkhard<sup>(١١)</sup> مؤلف كتاب<sup>(١٢)</sup> Hicrosolymitana ؛ أى بيت المقدس وبعد الكتاب المذكور مصدراً من مصادر الحملة الصليبية الأول . وكذلك أمر العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والصليبيين خلال تلك المرحلة من تاريخ الصليبيين فى الشرق وعلى نحو خاص علاقة الأمير الصليبي تانكرد مع تلك الامبراطورية خلال عهد الكيسوس كرمين (١١١٨-١٠٨٠م).

رادولف دى كاين<sup>(١٣)</sup> Radulf de Caen

= الانجوى ١١٣٩ - ١١٤٣م / ٥٢٦ - ٥٣٨هـ . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية السات - جامعة عين شمس . ص ٦٠٠م . ص ٤ . حين عطيه . اماره انطاكية والسلمون . ط . الاسكندرية ١٩٨٩م ص ٣١

١- إيكهارد : مؤرخ ألماني من مدينة مين Main . وارتبط بالرهبة وصار مرتبطاً بدير مدينة اورا . عنه أنظر

Cahen, la Syrie du nord a l'époque des croisades, paris 1940, p. 11

السيد الباز المريني . مؤرخو الحروب الصليبية، ط القاهرة ١٩٦٣م، ص ٦٠

R H C . Hist. Occ. , vol V

٢- يرجد فى مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية . للمؤرخون الغربيون . الجزء الخامس

٣- رادولف دى كاين ؛ ولد فى مدينة كاين Caen بفرنسا عام ١٠٨٠م تقريباً . وانجبه إلى ملك الرهبة ، ودد رافن بربستة خلال حملته على بيزنطة عام ١١٠٧م . ثم توجه إلى بلاد الشام عام ١١٠٨م . حيث مكث بب إلى أن توفي بعد عام ١١٣٩م . عنه أنظر .

مؤلف كتاب *Gesta Tancredi*<sup>(١١)</sup> أي أعمال تانكرد.

ويعد من المصادر المهمة عن الحملة الصليبية الأولى، والعلاقات المبكرة بين البيزنطيين والصليبيين خاصة في علاقة الأمير تانكرد مع الإمبراطور الكيسوس كومنين، وبالتالي يفيد في تتبع جذور ما عرف بالمشكلة الأنطاكية في السياسة البيزنطية؛ وهي التي تناولها فيما بعد بشئ من التفصيل.

جيبيرت أوف نوجنت<sup>(١٢)</sup> *Gesta Dei per Fron-* مؤلف كتاب *Gesta Dei per Fron-*  
(١٢)cos

وقد عالج المؤرخ المذكور في كتابه أحداث الرحلة المستدة بين عامي ١٠٩٥-١٠٩٦م، وعلى الرغم من عدم مقدمه إلى الشرق؛ إلا أنه اعتمد على روايات شهود العيان الذين شاركوا في أحداث الحملة الصليبية الأولى، وبصفة عامة؛ يعد الكتاب المذكور من مصادر تلك الحملة وأمر العلاقات بين الجانبين البيزنطي والصليبي.

أودو أوف دل *Odo of Deul*<sup>(١٣)</sup>.

= معمر الروضي، إمارة الرها الصليبية، ص ٢٨، حاشية (١١)، السيد الباز العربي، مذكر الحروب الصليبية، ص ٥٦-٥٧

Sybel, The History and Literature of The Crusades, Trans. by Duff Gordon, London 1861, p. 147

١- يرجد التاريخ المذكور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية المؤرخون الغربيون، الجزء -ثالث  
R.H.C. Hist. Occ., Vol. III.

٢- جيبيرت أوف نوجنت؛ ولد في كلير مونت Clermont بفرنسا عام ١٠٥٢م وانحدر من إحدى الأسرات لبلية، ودخل سلك الرهبنة، وقد صار رئيساً لأحد الأديرة. توفي عام ١١٧٤م عنه أنظر: معمر الرويضي، المرجع السابق، ص ٢٢، حاشية (٣)، السيد الباز العربي، السيد الباز العربي، المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦

Sybel, op. cit., p. 122.

٣- يرجد التاريخ المذكور في مجموعة الحروب الصليبية والمؤرخون الغربيون الجزء -الرابع  
R.H.C., Hist., Occi., vol VI.

٤- أودو دي دول، وأهب فرنسي يتكشى من دير القديس دنيي St. Denis ولد عام ١١٠٠م، من أصول اجتماعية متواضعة وقد خدم الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) كسكرتير وكسيس خلال أحداث الصليبية الثانية، التي إجهت إلى الشرق بعد أن تمكن السلطان بقيادة عماد الدين =

وله كتابه *De Profectione Ludovici VII in Orientem* <sup>(١)</sup>.

أى : أعمال لويس السابع فى الشرق وهو مؤرخ حملة ذلك الملك الفرنسى (١١٣٧-١١٨٠م) إلى بلاد الشام المعروفة بالصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩م) بصفة عامة؛ بعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً أساسياً لدراسة تطور العلاقات البيزنطية اللاتينية فى أخريات النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى من خلال وجهة نظر فرنسية بطبيعة الحال.

ويلاحظ أن ذلك المؤرخ يكشف لنا فى ثنايا كتابه عن تطور الصراعات بين بيزنطة والغرب الأوروبى منذ القرن الثمانى عشر الميلادى ومع ذلك : يؤخذ عليه تمصبه الشديد للعناصر اللاتينية، وكذلك الجاهوية ضد البيزنطيين، وكذلك كيسة القسطنطينية وعلى حين وصف الإمبراطور مانويل كومنين بأنه إمبراطور القسطنطينية : نجد قد زاد فى مديحه لروجر الثانى ملك صقلية Roger II of Sicily : وهو الملقب باللدود للإمبراطورية البيزنطية <sup>(٢)</sup>، ولانزع فى أن الصراع السيلسى ، والحلاف الدينى المذهبى : إنعكس بدوره على المصادر التاريخية التى وصلت إلينا من ذلك العصر فكان هناك سجل بين مؤرخى كل فريق وإلى جانب ذلك : نجد أن ذلك المؤرخ يقدم لنا وصفاً مهماً للعاصمة البيزنطية على نحو بعيد فى تتبع التطور التاريخى لعمارتها خاصة خلال أواسط القرن ١٢م.

= ركنى من السيطرة على الروما . وخلال صحته ألق كتابه كتاريخ لأعمال لويس السابع فى الشرق، وقد صار رتيباً للقيصر المذكور عام ١١٥٢م، وتوفى عام ١١٦٢م.

عن أودو دى دول أنظر: O.D.B., vol 3, p. 1512.

عادل ريتون . العلاقات السيلسية والكيسة، ص ٣٢-٣٣ : شيمان محمد حبيب . «تغافرا والحروب الصليبية» (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الأطباء - جامعة ليبيا عام ٢٠٠٤م . ص ١١ . ومقدمة الترجمة الإنجليزية

١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

Odo of Deuil, *De Profectione Ludovici VII in Orientem*, ed. and Trans. by V. Berry, New York 1948

٢- عادل ريتون . المرجع السابق . ص ٣٣

فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres (١).

مؤلف كتاب : *Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium* (٢). أي : أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس. وبعد كتابه من المصادر اللاتينية الرئيسية عن التاريخ المبكر للعلاقات بين بيزنطة والغرب الأوربي في آخريات القرن الحادي عشر الميلادي، والربع الأول من

١- فوشيه الشارترى ، ولد بفرنسا حوالي عام ١٠٥٩م وشارك في الحملة الصليبية الأولى وهناك اعتقاد عن حصوره مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م وقد وافق بطريرك دى يوجين وأقام معه في ألرها Edessa حيث حكمها قرابة العامين. ومن بعد ذلك انتقل معه إلى بيت المقدس حيث حكمها بعد وجيل شقيقه جردرى دى يوجين وصاحب بلدوين الأول حتى وفاته عام ١١١٨م وسكن في تلك المدينة المقدسة حتى عام ١١٢٧م ، عه انظر

Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem*, Trans. by Frances Rita Rian, Tennessee 1969, pp. 3-56.

فوشيه الشارترى ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ت. زياد العملى ، ط. عمان ١٩٩٥م ، ص ١-١٢

السيد اليان العريضي ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٣٧-٤٤ ، على أحمد السيد، الخليل والمحرر الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، (١٠٩١-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٢هـ) ، ط. القاهرة ١٩٩٨م ، ص ٢٨ حاشية (٢) ، مور الدين خاطوم، المدخل إلى التاريخ ، ط. دمشق ١٩٦٥م ، ص ٤١١ ، محمد مؤنس عوصي، التنظيمات الدينية الحربية في ملكة بيت القدس اللاتينية ، القرنين ٦ ، ٧ ، / ١٢-١٣م ، ط رام الله ٢٠٠٤م ، ص ٢٦ ، إشارات أسراب الجراد وألرها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م ٩-٥٥٤هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٥٠-٥١ ، حاشية (٣) ، جلال حسنى سلامة، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م ، ص ٢٥ ، سعيد البيشاوي، المشكلات الكنسية في بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٢٩م / ٤٩٢-٥٩٩هـ ط الاسكندرية ١٩٩٠م ، ص ، نابلس الأوضاع السباسة والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٢٩ / ١٠٩٩-١٢٢٩م ط عمان ١٩٩٠ ، حاشية (١٠) ، ص ٢٨ ، والاستيطان الفرنجى في بيت المقدس والمناطق المحيطة بها ١٩٩٠م ١١٨٧هـ ، صمن بحث في تاريخ الصور الوسطى ، كتاب تذكري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد ، وإبراهيم خيس ، ط الاسكندرية ٢٠٠٤م ، ص ٢٨٧ ، حاشية (١١) محمود الرسيس، إمارة ألرها الصليبية ، ص ٢-٢٥ مقيد الزيد، مرسوعة تاريخ الحروب الصليبية ، ط عمان ٢٠٠٤م ، ص ٢٢٩

٢- الترجمة الانجليزية أشرت إليها من قبل وهناك ترجمتان إلى العربية الأولى إعداد قاسم عبد، قاسم والثانية أعدها زياد العملى ، وعنوانها على التالي تاريخ الحملة إلى القدس ، ط. عمان ١٩٩٥م سنة ١٩٩٠م ، الرهود الصليبي في الشرق العربي، الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٨-١١٢٧م ، ط الكويت، ١٩٩٣م

القرن الثاني عشر الميلادي وقد عاصر ذلك المزمج عهد كل من الكيسوس كرمين (٨٠٠ - ١١١٨م) وحنا كرمين (١١١٨ - ١١٤٢م) ويلاحظ أن تاريخه يتوقف عند عام ١١٢٧م. وقد شارك في الحملة الصليبية الأولى. ويعد كتابه مصدراً أساسياً عن أحداثها

- رايبرند اجيل Raymond d'Aguilers<sup>(١)</sup> مؤلف كتاب تاريخ الفرنجة غزاة بيت

المقدس

*Historia Francorum qui Cepurunt Therusalen*

شارك المزمج المذكور في أحداث الحملة الصليبية الأولى خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٩٥ ، ١٠٩٩م، ويعد كتابه من المصادر التاريخية الأساسية عن العلاقات بين الغرب الأوربي وبيزنطة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية.

- روبرت كلاري Rober of Clari<sup>(٢)</sup> له كتاب سقوط القسطنطينية The Fall of Con-stantinople<sup>(٣)</sup>.

١- عن رايبرند اجيل أنظر: مقدمة الترجمة العربية التي قام بها حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠ م

٢- توجد ترجمة إنجليزية للكتاب من جانب جين هل ولورين هل وصدرت في فيلادلفيا ١٩٦٨م.  
Raymond d'Aguilers, *Historia Francorum*, Trans. by John Hill and Laurita Holtz, Philadelphia 1968.

كما أن له ترجمة عربية قام بها حسين عطية أنظر:

رايمونداجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ته حسين عطية ط الاسكندرية ١٩٩٠م

٣- روبرت كلاري : ولد في كلاري Clari وهي التي تعرف باسم Clery- les- Peronnis . ويعد المزمج الفرنسي للصليبية الرابعة ١٢٠٣-١٢٠٤م. وقد شارك فيها على اعتقاد أنه فصل تابع لبطرس الأرماني Pe-ters of Amiens ، وفيه بعد عدة أوراخه إلى فرنسا. ومن المحتمل أن ذلك حدث عام ١٢٠٥. وقد ترمي بعد عام ١٢١٦م عنه أنظر  
O.D.B. vol. 2, p. 1799

٤- توجد ترجمة إنجليزية أعدها مكتبيل وصدرت في نيويورك عام ١٩٣٦م. أنظر:

Robert Clari , *The Conquest of Constantinople*, Trans. by E.H. McNeal, New York 1936

وهاك ترجمة عربية ق.هـ بها حسن جشي أنظر:

روبرت كلاري، فتح القسطنطينية . ط القاهرة ١٩٦٤م

ويعد مصدراً يتسم بالأهمية عن أحداث الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م على أيدي اللاتين . ويلاحظ أنه يتفق مع جوفري أوف فلهااردوين فسران تحول الحملة إلى القسطنطينية حدث نتيجة تطور بعض الأحداث ولم يحدث من خلال مؤامرة بدقية<sup>(١١)</sup>.

جوفري أوف فلهااردوين Geoffrey of Villehardouin<sup>(١٢)</sup> وله كتاب The Conquest of Constantiople<sup>(١٣)</sup> إلى غزو القسطنطينية.

الكتاب المذكور ، مصدر أساسي لأحداث الحملة الصليبية الرابعة وسقوط العاصمة البيزنطية خلالها عام ١٢٠٤م بالإضافة إلى ما كتبه روبرت كلاري Robert of Clari ومجموعة مصادر معاصرة أخرى. ويقدم لنا فلهااردوين وجهة نظر فرنسية لتلك الأحداث .

أوتو الفريزي<sup>(١٤)</sup> Otto of Freising

O.D B . vol. II, p. 1799 .

-١

٢- جوفري أوف فلهااردوين - مؤرخ فرنسي . ولد بالقرب من تروى Troyes قبل عام ١١٥٧م. وبعد المرح الفرنسي للحملة الصليبية الرابعة، وقد ترقى فيها بين عامي ١٢١٧-١٢١٨م عنه انظر O D B . vol 3, p. 2169.

Boar, Villehardouin : Epic Historie, Geneva 1968 .

٣- توجد طبعة فرنسية قام بها فرال أنظر : Villehardouin, la Conquete de Constantinople , ed . E. Faral , 2 vols . Paris 1938-1939

توجد ترجمة إنجليزية Villehardouin, Chronicles of the Crusades, Trans. by Shaw, Penguin Book, London 1963 .

وهناك ترجمة عربية قام بها حسن عيسى. تحت عنوان مذكرات فلهااردوين فتح القسطنطينية - ط : جدة ١٩٨٢م

٤- أوتو الفريزي : ولد عام ١١١٤م .. وقبلاً بعد عمل كاشف فيرنج. ويلاحظ أنه عم الامبراطور فردريك بارباروسا وتعرف أنه ألف كتابين شهيرين هما : كتاب اللاتين . وأعمال الامبراطور فردريك الأول، يعتبره هاري المارتر أول فيلسوف للتاريخ يستحق الذكر في العصور الوسطى، ومن القصص أن ذلك القول بحري مبالغة واضحة . وقد توفي ذلك اللورخ عام ١١٥٨م تقريباً . عنه انظر. جوزيف ديموس. سبعة مورخين في العصور الوسطى. ت . محمد فتحي الشاعر . ط القاهرة ١٩٨٩م . ص ١٢٩-١٥٧

مؤلف كتاب *The Deeds of Frederick Barbarossa* <sup>(١)</sup> أي أعمال فردريك بارباروسا ، وهو امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة خلال المرحلة من ١١٥٢ إلى ١١٩٠م وقد دخل في علاقات عدائية - بصورة متعقدة - مع الإمبراطورية البيزنطية ووصل الأمر إلى حد الصدام المسلح بين قواته والبيزنطيين . هل فكر جدياً في غزو القسطنطينة دون أن يتمكن من تحقيق ذلك

وليم الصوري William of Tyre <sup>(٢)</sup>.

مؤلف كتاب : *Historia Rerum Impartibus Transmarinis gestarum*.

عبد اللطيف عبد الهادي السيد ، « دراسة نقدية لمهج الكتابة التاريخية عند جاك دي غتري » ، ص ١٢٤ - ١٢٣ م. ٢ ، ص ١٦٧ ، هاري لثارتز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ص ١٢٣ - ١٢٤ القاهرة ، ٢٠٠٣ م.

١- الترجمة الانجليزية Otto of Frising , *The Deeds of Frederick Barbarossa*, Trans. by Charles Macrow , Toronto 1966 .

٢- وليم الصوري : هو المزورح الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية في القسم الأكبر من القرن ١٢ . ولد في بيت المقدس عام ١١٧٧م من أبوين فرنسيين ، وينتمي للفرقة بين اثنين من الأشخاص حملوا اسم وليم الصوري . أولهما وليم الصوري : وهو إنجليزي شغل منصب حارس القبر القدس A Historian والمزورح الصليبي البارز وقد كان مؤرخاً على معرفة بسميه الإنجليزي، وقد تلقى مؤرخنا تعليمه الأولي من إحدى المدارس التابعة للأديرة وقبلاً بعد سفره إلى القرب الأوربي حيث تطفه هناك على مراكز العلم خلال نهضة القرن الثاني عشر لمدة عشرين عاماً فيما بين عامي ١١٤٦م-١١٦٥م . وعندما عاد أدرجه إلى المملكة الصليبية خلال عهد الملك عموري الأول ١١٦٣م-١١٧٤م جعله مؤدباً لابنه يلدوين الرابع . وطلب منه تأليف تاريخ للمملكة الصليبية والفعل ألف تاريخ الأعمال وتاريخ الأمراء الشرقيين والأخير مفقود . وقد مات مسوئاً في ١٩ سبتمبر عام ١١٨٦م كما قرر اليمشي . عنه أنظر

Edlury and Rowe , *William of Tyre Historian of the latin East*, Cambridge, 1988, pp 13-171  
Krey William of Tyre , *The making of an historian in the Middle Ages* , S. vol XVI, 1941 pp 149-166 , Davis , *William of Tyre* in Barker (ed) , *Relations between East and West : the Middle Ages*, Edinburgh 1973 , pp. 64-75 , Vissey , " William of Tyre and the art of Historiography " M.S., vol XXXV, 1973 , pp. 433-455 , Edlury , " William of Tyre, A Historian, of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1148) , B.F.A.A.U. 1988, pp 43-52 =

وترجمته الانجليزية *A History of deeds done beyond The Sea* وهو عمدة مؤرخي الصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي. وقد عمل رئيساً لأساقفة صور Tyre وهو مؤرخ بعد مصدراً أساسياً للعلاقات البيزنطية - الأنطاكية - الإيطالية خاصة خلال المرحلة المتأخرة بين عامي ١١٢٧م ، ١١٨٤م . وقد شارك ذلك المؤرخ في سفارات دبلوماسية ومؤتمرات إلى كل من روما والقسطنطينية ولذلك وصف بأنه صاحب إطلاع واسع على تطور العلاقات بين البيزنطيين والغرب الأوربي<sup>(١)</sup>.

ويعتبر كتابه<sup>(٢)</sup> مصدراً أساسياً لاغنى عنه لتاريخ العلاقات الصليبية - البيزنطية منذ بداية اندلاع الحروب الصليبية حتى ثمانينيات القرن ١٢م خاصة خلال أحداث المصلحين الأولى. والثانية ، وملاحظ كراهيته الشديدة لبيزنطة على نحو خاص، وبهذا دوماً خاتمة للصليبيين.

---

Hanmad , *Latin and Muslim Historiography of the Crusades, Acomperative Study of Wil-iam of Tyre and 127 Addin ibn Alathir* , ph. D., Pennsylvania University 1987 .

وهناك فصل مفرج منها في الكتاب الأثني مني حسان ، وليام الصوري والصراع الفرنجي الإسلامي ١٠٩٩-١١٨٤م. ضمن كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الحباري، ١٩٣٦-١٩٩٨م. تحرير صالح الحمارنة، الجامعة الأردنية ط. عمان ١-٢٠٠٦م. ص ٢٥٢-٢٧٥

وهي دراسة قيمة لمؤرخه قرونية متميزة وتتنى أن تكمل ترجمة فصول الرسالة الجديرة بالترجمة

سمايلي ، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبد قاسم، ط. القاهرة ١٩٨٠م. ص ١٨٦-١٨٧  
عمر كمال توفيق ، «المؤرخ وليم الصوري» ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية م (٧١) عام ١٩٦٧م  
تقديم حسن حشيش للترجمة العربية لتاريخ وليم الصوري ج ١، ص ١-٤٠ ، محمد منسى عوض ،  
وليم الصوري مؤرخاً للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٢٧ - ١١٥٠م / ٥٢٢-٥٤٤هـ . سلسلة دراسات شرق أوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ، ط. القاهرة  
١٩٩٥م. الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ط. عمان ١٩٩٩م. ص ٦٢-١٠٤ ، محمد الروصي ،  
إشارة الزها النصليبية ، ص ٣٩-٤٢

١- عادل زعترن ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ٣٥

٢- فيما يتصل بكتاب وليم الصوري نجد أن النص اللاتيني يوجد في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية، المؤرخون الغربيون ، المجلد الأول ، R.H.C.,T.I. Hist. Occ.

## بنيامين التطيلي<sup>(١١)</sup> Benjamin of Tudela ، وله رحلته<sup>(١٢)</sup>.

= وهناك ترجمة إنجليزية قام بها بايكوك وكراي وصدرت في نيويورك عام ١٩٤٨م تحت عنوان:  
A History of deeds done Beyond The Sea , Trans. by E.A. Babcock and A.B. Krey , 2 vols.  
.. New York 1948 .

كذلك احتم هانتز بنشر ترجمة أخرى لتاريخ وليم الصوري أنظر:  
Guillaume de Tyre, Chronicon, ed. Robert B.C. Haygens, Corpus  
Continatio, 2 vols .. Turnhout 1986 .

كذلك لا تغفل اهتمام هانتز السابق بنشر الفصل المفقود في تاريخ وليم الصوري عن ذلك أنظر  
= Huygens . La Tradition manuscrite de Guillaume de Tyr S.M., ser. 3, no 5, ١٩64.  
pp. 281-373 .

وهذه ترجمتان عربيتان في صورة جهد كل من سهيل ذكار . ط. دمشق ١٩٩٠م حسن حميش، ( )  
جرا × ٩ . ط القاهرة ١٩٩١م، ج ٢ . ط القاهرة ١٩٩٢م، ج ٣ . ط القاهرة ١٩٩٤م، ج ٤ . ط القاهرة  
١٩٩٥م. ويلاحظ أن المترجم الأخير زود ترجمته بتعليقات ثرية وقيمة

١- بنيامين التطيلي : هو الذي بنيامين ، ووالده يدعى يوحنا Jonah ؛ رحالة يهودي أسكنى رحلته إلى  
الشرق من مدينة تطيلة Tudela ، وقام بالتجوال في مناطق متعددة في جنوبي فرنسا ، وإيطاليا واليونان وبلاد  
الند والعراق ومصر وغيرها، ثم عاد أدراجه إلى أسبانيا في سبعينات القرن الثاني عشر الميلادي، وقد  
نصرت خطأ في بعض كتبي السابقة أنه من طليطلة والصواب ما أثبتته هنا، عنه أنظر:

Ency. Jud., " Benjamin of Tudela " Jerusalem 1973 , vol. IV , pp. 535-538 .

Wright, Early Travels in Palestine London 1848, p. 63 .

Roth, A Short History of the Jewish People , London 1953 , p. 16 .

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Krenzzuge , Hannover 1965 . p. 65.

Rohrich , Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Landes , Bezü  
glichen Literatur , von 333 Bis 1873. Berlin 1878, pp. 37-١8 .

صلاح الدين المنجد ، الشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى . ط بيروت ١٩٦٢م.

ص ٢٨

٢- هاك ترجمة إنجليزية لرحلة بنيامين التطيلي قام بها رايت في كتابه عن الرحلات المبكرة في فلسطين  
الصادر في لندن ١٨٤٨م والمشار إليه من قبل

كد أن هاك ترجمة عربية على يدي هزرا حداد، وصدرت في بغداد عام ١٩٤٥م. كذلك أعيد نشر  
الرحلة المذكورة مع مقدمة من جانب عبد الرحمن عبدالله الشيخ . وصدر من المجمع الثقافي أبوظبي عام  
١٩٩٢م.

وقد قدم إلى الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) ، ووصف أهم معالم العاصمة البيزنطية حينذاك ، وأفادت رحلته في القلعة الصخرة على الحضارة البيزنطية ومظاهرها العمرانية في عهد أسرة آل كومنين.

وهكذا : يتأكد لنا أن الرحلات من المصادر الأساسية في التاريخ البيزنطي حيث زار القسطنطينية عشرات الرحالة الذين دونوا رحلاتهم واحتسوا بجولاتهم لم تهتم بها حركات المزارعين ولذا تقول أن الرحلة - يعني - هي عين الجغرافيا المبرسة

٦٣- مارينو سانودو Marian Sanudo<sup>(١١)</sup> مؤلف كتاب *Secreta Fidelium Crucis* أي: أسرار للصليبيين الحقيقيين<sup>(١٢)</sup> وقد قدمه إلى البابا كليمنت الخامس Clement V (١٣٠٥-١٣١٤م)

كما ألف تاريخاً لاتينياً عن الإمارة الفرنجية وبيزنطة، وظل قاتماً على أساس ترجمة بندقية بعنوان *Istoria del regno di Romania* وبقى أضواء كاشفة فريدة على دور ميخائيل الثامن - Michael VIII في إستعادة القسطنطينية

١- مارينو سانتودو باللقب الأكبر *The Elder* : تاجر وديبلوماسي ومؤرخ بندقى ، ولد عام ١٢٧٠م ومات بعد ٩ مارس ١٣٤٣م. وقد انتحى من عائلة بندقية أرستقراطية وتعلم أنه ارتحل إلى مناطق متعددة في نطاق البحر المتوسط خلال الرحلة الممتدة من عام ١٢٨٩م إلى ١٣٢٣م ، وكان يدعو إلى القيام بحملة صليبية ضد مصر كذلك دعا إلى وحدة الكنائس ، وقد توفي عام ١٣٤٣م. عنه أنظر : جمال فاروق الركبل ، تطور استراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضوء كتابات مارينو سانتودو ، رسالة جامعة ططا عام ٢٠٠٦م، ص٥٩-٥٨ وأنظر بعض الرسائل المترجمة ص١٣٣-١٥٩ حسين السيد منولى الحال ، الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس في أواخر العصور الوسطى ١٣٦٥-١٤٠٢ ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ع- ١٩٩١م، ص١١٥-١١٧

O.D.B., vol. III, p. 1840.

محمد مؤنس هوجي، الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، ط القاهرة ٢٠٠٤-٢٠٠٣، ص١٠٣-١٠٩

٢- هناك ترجمة إنجليزية قام بها لوري ستوارت أنظر

Marino Santo, *Secrets for True Crusaders to help Them to recover The Holy land* Aubrey Stewart, P.P. T.S, vol V 2, London 1896.

وهناك ترجمة عربية غير مكتملة ، أنظر مارينو سانتو كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها ت الألب سليم رزق الله ط بيروت ١٩٩١م

كذلك ينسب له تأليف تاريخ مختصر باللاتينية عن ضعف ، وإتهيار الإمبراطورية  
 اللاتينية في القسطنطينية<sup>(١١)</sup> وجهود بالدوين الثاني Baldwin II (١٢٢٨-١٢٦١م)  
 ولمارينو سانتودو رسائله<sup>(١٢)</sup> ، وتبلغ (٤٧) ، رسالة كتبها فيما بين أعوام ١٢٢٣م،  
 ١٢٣٦-١٢٣٧م، خاضب فيها - على سبيل المثال- أندرونيكوس الثاني باليرولوجوس An-  
 dronikos II Palaiologos ، وستيفن سيروبولوس Stephen Syropoulos وجيروم  
 الأسقف الفرنيكان لكافا Jerom. Franciscan bishop of kaffa

١- عن ذلك التاريخ أنظر نشر سي . هوف له في برلين عام ١٨٧٢م.

C Hopfl. Chroniques grecs romanes , Berlin 1873 .

O D B. vol 3 , p. 1840 .

عن ذلك أنظر :

٢- عن رسائل مارينو سانتو انظر نشرها على يدى سربلى فى مجلة باليوغيا العدد (٤٢١) عام

١٩٩٤م

A. Cerini, Nuove lettere di Marino Sanudo il Vecchio", La bibliofila. 42 , 1940, pp 321-459

وكافة هذه المعلومات يجدها القارئ في

O D B vol 3, p. 1873 .

وبلاحظ فى البحث يردى S. Roddy أحد أطروحة للدكتوراه عن مراسلات مارينو سانتو ودرشت من

جامعة بنسلفانيا عام ١٩٧١م، انظر

S Roddy, The Correspondence of Marino Sanudo Torsello, Ph. D., Sanudo Torsello, Ph. D ,  
 University of Pennsylvania 1971

O D B vol 3, p. 1873

عن ذلك

## ثالثاً : المصادر الأرمنية :

منى الرهاوى Mathieu d'Edesse<sup>(١١)</sup> وله حويلته Chronique<sup>(١٢)</sup>.

عاصر المؤرخ المذكور القرن الثاني عشر الميلادي. ووصف بأنه شاهد عيان لأحداث متعددة مرت بها إمارة الرها أولى الإمارات التي أقامها الغزاة الصليبيون في الشرق وتبدأ حويلته بأحداث عام ٩٥٢م وتنتد حتى عام ١١٣٦م . وقد رتب الوقائع التاريخية وفق التقويم الأرمني اعتماداً على مصادر شفهية ومكتوبة ووفق ما قرره : فقد استغرق ثمانى أعوام فى تأليفها

وعمل جريجورى الراهب Gregory The Priest على تكملة ووصل بالأحداث حتى عام ١١٦٢م<sup>(١٣)</sup>.

١- منى الرهاوى . راهب ومؤرخ ولد فى الرها Edessa. ولد عمل رئيساً لأحد أديرتها . ومن المقرر أنه كان موجوداً فى مدينة كسوم عام ١١٣٦م. وهو العام الذى قام فيه معبد بن غازى بن الباتشند بمهاجمة الرها. وهناك من يقرر أنه ترقى خلال حصار الأتابك عماد الدين زنكى لذلك الإمارة الصليبية عام ١١٤٤م. وقد وصف بأنه من شهود العيان لأحداث سياسية . وحرية مهمة حلت بتلك الإمارة . وكذلك بالملاحظات بين الأرمن والبيزنطيين عنه آنظر:

مايز نجيب اسكندر . منى الرهاوى والحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥ - ١٠٩٩م / ٤٨٨ - ٤٩٢م). ص١ كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى. ط. المنصورة بيت. ص١٤-١٦  
عليه الجوزرى . إمارة الرها الصليبية . ص٤٤ . ط. القاهرة ١٩٨٦م ص١١ . عادل زيتون . العلاقات السياسية والكنسية . ص٣٩ . حنين عطية . إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون. ط. الاسكندرية . ص١٤  
محمود الروضى . إمارة الرها الصليبية . ص٤٤. حاشية (٤)

٢- للتحولية المذكورة ترجمة فرنسية قام بها م. به بولكرين . وصدرت فى باريس عام ١٨٥٨م. عن ذلك انظر

Mathieu d'Edesse. Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136). avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque 1162, ed. M.B Balgucier . Paris 1858 .

R.H.C Hist. Arm. vol 1. pp. 1-150 .

كما نشر فى مجموعة .

أيضاً محمد مؤنس عوض . فصول بيبليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية. ط. القاهرة ١٩٩٦م.

ص٣٢

ATiya, The Crusade, Historiography and Bibliography. London 1962 , p. 42

O.D.B vol II . p. 1316 .

-٢-

وبصفة عامة؛ تعد حولية متى الرواوى مصدراً أساسياً للتاريخ البيزنطى ، والصلىبى،  
والتركي فى كيليكييا Cilicia، وآسيا الصغرى Asia Minor<sup>(١١)</sup>.

ولاعتقل : أنه عارض الإمبراطورية البيزنطية مثل غيره من المؤرخين الأرمن<sup>(١٢)</sup> ، ومع ذلك  
نلاحظ امتداحه لعدد من الأباطرة مثل يلسل الثانى وغيره .

- سيببوس<sup>(١٣)</sup> Sebeos ، تاريخ هرقل Histoire d'Heraclius<sup>(١٤)</sup>.

والمؤرخ أرمينى معاصر للفتوحات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع،  
وتعد حولية مهمة عن عصر الإمبراطور هرقل، وقد أفاد منه مؤرخ أرمينى آخر هو جيفوند  
Ghévond.

ويلاحظ أن سيببوس تعرض فى تاريخه لمعركة اليرموك عام ٦٣٦م وانتصار المسلمين  
الحاسم فيها ضد البيزنطيين .

- جيفوند Ghévond<sup>(١٥)</sup> ، كتاب : تاريخ حروب وفتوحات العرب فى أرمينيا:

Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie.<sup>(١٦)</sup>

يبدأ تاريخه بهام ٦٣٢م، ويستمر فى إيراد الأحداث التاريخية حتى عام ٧٩٠م ؛ أى  
على مدى ما ما زاد على قرن ونصف من الزمان . ويوصف ذلك المؤرخ وكتابه بأنه من المصادر  
المهمة فى التاريخ الأرمينى فى العصور الوسطى وتاريخ بيزنطة خلال القرن السابع ، والثامن  
الميلادى.

O.D.B , vol. 2, p. 1310 .

-١

٢- عادل زعترى ، العلاقات الكنسية ، ص٣٩

٣- عمه أنظر . O.D.B., vol . III, p. 1863 .

٤- أنظر الترجمة الفرنسية

Scheos Histoire d'Heraclius, Trad. Par F. Macler , Paris 1904 .

٥- جيفوند ؛ عالم لاهوتى ، ومؤرخ عاصر القرن الثامن الميلادى . وعمل مستشاراً للكنيسة الأرمينية  
عمه أنظر

٦- تاجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١١-٤٠٠ هـ / ٦٣٢-٦٦١م ) ، ج ١ ، ط .  
الاسكندرية ١٩٨٣م، ص٣-١٢

٧- أنظر الترجمة الفرنسية.

Ghevond , Histoire des Guerres et des Conquetes des Arabes en Armenie, Trad. Par G V  
Chahnazarians, Paris, 1856

عن ذلك انظر: فايز اسكندر . للرجع السابق، ص٤

صموئيل من أني<sup>(١٦)</sup> Samuel of Ani مؤلف حولية<sup>(١٧)</sup>:

وقد تناول فيها الأحداث منذ ميلاد السيد المسيح حتى عام ١١٧٩م، وتعرض خلالها للأحداث التي مرت بآرمينيا وعهود الأباطرة البيزنطيين حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، ويعيد كتابه في دراسة السياسة البيزنطية في الأناضول ويلاحظ أن الكثيرين من الكتاب الأرمس في القرن الثالث عشر أفادوا منه عما عكس أهيته، بل إن هناك ذيولاً ألفت لتكملة وقائع تاريخه

موسى خورنوبه<sup>(١٨)</sup> Moses Khorenats مؤلف كتاب تاريخ الأرمن<sup>(١٩)</sup> History of the Armenians.

١- صموئيل بن أني - كتاب حوليات وراغب - لا يعرف إلا القليل عن حياته - ويقال أن البطريرك الأرمسي لكيليكيّا Cllicia ويدعى جريجوري Gregory، ومن المحتمل أنه جريجوري الثالث (١١١٣-١١٦٦م) ؛ طلب منه أن يكتب حوليته

O D B , vol . 3, p. 1837 - 1838 .

عنه انظر

مايز نجيب السكندر، استيلاء السلاجقة على عاصمة قونية أني، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م

٢- تم نشر الحولية المذكورة في الفايثولوجيا اليونانية P.G 19: 607-742 . وهناك ترجمة فرنسية . قام بها م ف بروسية M.F. Brosset ونشرت في مجموعة مؤرخي الأرمن، المجلد الثاني، ط. ستراسبورج ١٨٧٦م، انظر:

C. H. A. , vol II , Strasburg 1876

وأعيدت طباعته في امستردام عام ١٩٧٩م

O D B , vol 3, p. 1883

عن ذلك انظر .

كذلك نجد مقتطفات منها لدى مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الوثائق الأرمينية R H C , Documents Arméniens.

عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض ، فصول بليوغرافية، ص ٢٣

Atiya, Op. cit . , p. 43

٣- عنه انظر محمد عبد الشافي المقرئ، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٢٤

٤- أنظر الترجمة الإنجليزية للتاريخ المذكور التي أعدها روبرت و . طوسون . وصدرت في لندن ١٩٧٨ .

وهو مزيج أرميني معاصر للقرن السابع الميلادي. قدم في كتابه إشارات مهمة عن علاقة الإمبراطورية البيزنطية بالقوى السياسية المجاورة لها، ومنها الخزر. ولذلك عد من المصادر المهمة في ذلك القرن الذي شهد تحولات محورية في التاريخ البيزنطي.

### رابعاً : المصادر السريانية :

ميخائيل السرياني<sup>(١)</sup> Michael le Syrien مؤلف حولية Chronique<sup>(٢)</sup>.

= عن ذلك أنظر :

Moses khorenots, History of the Armenians, Trans. and Commentary on the literary Sources by Robert W. Thomson, London 1978.

١- ميخائيل السرياني : ولد عام ١١٢٦ م ، وفيما بعد : صار راهباً ثم أصبح رئيساً لدير سمعان إلى أن تولى منصب بطريرك أنطاكية على مدى المرحلة الواقعة بين عامي ١١٦٦م إلى ١١٩٩م : أي على مدى ثلاثين عاماً . وقد ألف عدة مؤلفات دينية خاصة بطقوس الكنيسة السريانية . وتوفي في العام الأخير عن عمر بلغ نحو ٧٢ عاماً . عنه أنظر Auya, The Crusade, Historiography and Bibliography, p. 43.

O D.B., vol. II, pp. 1362-1363.

Cahen, La Syrie du nord à l'époque des Croisades, p. 97

حين عظمه . إمارة أنطاكية الصليبية . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٢م . ص ٣٠ . إمارة أنطاكية والمسلمون . ص ٦٢ . محمد مؤنس عوض ، قصور بلموغرافية في تاريخ الحروب الصليبية . ص ٢٢ . محمود الرويحي . إمارة الرها الصليبية . ص ٤٨ . حاشية (٤) . على العراشي . مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ١٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م إلى ١٢٩٠ هـ / ١٢٩١م رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م . ص ١٦ . فايز نجيب الإسكندر . الفتوحات الإسلامية الأرمينية . ص ١٠٥ . حاشية (١٨٧)

٢- فارح ج.ب شاهر بترجمة الحولية المذكورة إلى الفرنسية وصدرت في ٤ أجزاء . في باريس بي عامي ١٨٩٩م . ١٩٧٤م . عن ذلك أنظر :

Michael le Syrien, Chronique du Michael Le Syrien Patriarche Jacobite, d' Antioche (1166-1199), ed. Trad. Par . J.B. Chahot, 4 vols., Paris 1899-1924

وقد عاصر القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد خلال المرحلة الممتدة من ١١٢٦م إلى ١١٩٩م وتعد حوليته بمثابة العمل الرئيسي المتكامل في اللغة السريانية، وتستمد أهميتها من أهمية مؤلفها الذي عمل بطريركاً لأنطاكية Antioch حاضرة شمالي بلاد الشام على مدى ثلاثة وثلاثين عاماً.

تجدر الإشارة ؛ تألفت الحولية المذكورة من (٧١) كتاباً ألّفت على النمط الحولي، وتناول فيها ميشيل السرياني الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١٩٥م، أي حتى قبل وفاته بأربعة أعوام<sup>(١)</sup>.

- ابن العبري<sup>(٢)</sup> الملقب المعروف باسم بارهيرايموس Barhebraeus

مؤلف كتاب<sup>(٣)</sup> The Chronography of Georgy Abul Farag

وقد تعرض في تاريخه لجوانب متعددة عن علاقات يبرزنة السياسية الخارجية ومنها صراعها مع المسلمين والصليبيين حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي. وله أيضاً تاريخ مختصر الدول وهو من المؤلفات المهمة خاصة في وقائع القرن الثالث عشر الميلادي حيث عاصرها ذلك المؤرخ.

١- وقد قرر الباحث محمود الرويضي أن الحولية المذكورة تناولت الأحداث الواقعة منذ بدء الخليقة حتى رسم هشوم ملك أرمينية الصغرى (١٢٢٤-١٢٥٢م) غير أن ذلك القول مردود نظراً لوقفة ميشيل السرياني عام ١١٩٩م، (انظر رأي الباحث، محمود الرويضي، إشارة الزها الصليبية، ص ٤٩، حاشية (١))

٢- ابن العبري ؛ أبو العرج غريغوريوس بن أفرعون الملقب وقد علم ١٢٢٦م ويبدو أن أباه كان على الديانة اليهودية ثم تحول إلى اليعقوبية، وقد درس ابن العبري في مطبوعة بالجزيرة اللغات اليونانية والسريانية والعربية، كذلك درس اللاهوت، والطب، والفلسفة، ومع مقدم الغزو المغولي إلى أنطاكية وقال أنه أُلحِم إلى ملك الرهينة، وقد توفي عام ١٢٨٦م، عنه أنظر.

شاك مصلحى، التاريخ العربى والمؤرخون، ط١ بيروت، ١٩٨٠م، ج٧، ص ٤٥٥-٤٥٦

٣- أنظر الترجمة الإنجليزية

Bar Hebraeus. The Chronography of Gregory Abul Farag. The Son of the Arc. Trans. to English from the Syriac by E A W Budge, Oxford 1932

### - مجهول، الحولية المريانية المجهولة The Anonymous Syriac Chronicle <sup>(١)</sup>

وتتناول أحداث خاصة بالقرن الثاني عشر الميلادي وتلقي الضوء على علاقات بيزنطة بالقوى الإسلامية والصليبية وتفيد فيما يتصل بأحداث الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية.

### خامساً : المصادر الروسية

ومن أمثلتها ما ألفه نسطور Nestore تحت عنوان حولية نسطور Chronicle of Nestor<sup>(٢)</sup> ونعرف على أنها حولية وقائع الأهم الحالية، وفيها قام نسطور بالتأثر بالكتابة التاريخية البيزنطية ، وهي تفيد في إلقاء الضوء على العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية حيث أورد أمر المعاهدات التي أبرمت بين الجانبين خلال القرنين العاشر، والحادي عشر الميلاديين على نحو مفصل ، مثلما نجد في معاهدات أعوام ٩٠٧م، ٩١١م، ٩٤٥م، ٩٧١م مما عكس أهميتها التاريخية.

### حولية نوفجورد<sup>(٣)</sup> The Chronicle of Novgorod

وهي حولية تهتم بتأريخ إحدى المدن الروسية في صورة نوفجورد خلال المرحلة الرائعة بين عامي ١١٦٠، ١٤٧١م أي على مدى خمسة قرون وهي تفيد في أمر العلاقات الروسية البيزنطية

### ١- أنظر الترجمة الإنجليزية:

The First and Second Crusades From an Anonymous Syriac Chronicle, ed. and Trans. by A S Triton and H. Gibb, J.R.A.S., vol. pp. 273-306.

وهذا ترجمة عربية قام بها سهيل زكار أنظر. مجهول ، الحلتان الصليبتان الأولى والثانية. ت سهيل زكار في كتاب الحروب الصليبية، ج ١، ط. دمشق ١٩٨٤م.

٢ ولد نسطور حوالي عام ١٠٥٠م ووصف بأنه كان راهباً في دير الكهوف Carus Monastery بسبب Ktes منذ الربع الأخير من القرن الحادي عشر وحتى بداية القرن الثاني عشر للميلاد، وقد ألف عدة مؤلفات عن القديسين يوسس Bors وجليب Glib وهي ابني فلاديمير الذين تم قتلها عام ١٠٨٠م عنه أنظر

طارق منصور ، الروس والجنج الدولي ٩٤٥-١٠٤٤م ، ط القاهرة ١٩٧٠م، ص ٥٣٥ من المقدمة

٣ عن الحولية المذكورة أنظر طارق منصور، المرجع السابق، ص ٥٣٥ من المقدمة

## سادساً : المصادر العربية

لا يخلو مصدر جغرافي أو تاريخي عربي منذ القرن الثامن حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي من إشارات هنا وهناك عن العلاقات الإسلامية - البيزنطية، ولذا سأعرض لنماذج مختارة - منها

من أمثلة تلك المصادر الجغرافية : تذكر المسعودي <sup>(١)</sup> ( ت ٩٥٧م ) وكتابه مروج الذهب ، وابن خردادبة <sup>(٢)</sup> ( ت ٨٨٥م ) وكتابه المسالك والممالك ، وابن رسته <sup>(٣)</sup> ( ت ٩١٢م ) وكتابه الأعلان ، النفيسة ، وابن فضلان <sup>(٤)</sup> ( ت ق - ١٠م ) وابن بطوطة <sup>(٥)</sup> ( ت ١٣٧٧م ) في رحلتهم وشيخ الرهبة الدمشقي <sup>(٦)</sup> ( ت ١٣٢٩م ) وكتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر والادريسي ( ت ١١٦٦م ) وكتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وأبو الفداء <sup>(٨)</sup> ( ت ١٣٢٢م ) وكتابه

١- عنه أنظر دمترى ميكولسكي ، المسعودي هيروودوت العرب ، ت- عادل إساعيل مراجعة نوبل بنوف ط دمشق ٢٠٠٦م ، ص ٦٥- ٢٠٨

٢- عنه أنظر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والفرزخون العرب ، ط. الاسكندرية ١٩٧٦م ، ص ١٨٨ الماحوري ، تاريخ الأدب العربي ، ط. بيروت بيت ص ٧٧٢

٣- عنه أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة وابن رسته .

٤- عنه أنظر نقولا زيادة الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م ، ص ١٤١ - ١٤٩

٥- عنه أنظر دائرة المعارف الإسلامية مادة وابن بطوطة .

٦- عنه أنظر كرايتسكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ت. صلاح الدين هاشم ، ط القاهرة ١٩٥٧م ، ج ١ ، ص ٣٨٦

٧- عنه أنظر: محمد مؤنس عرش ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، ط القاهرة ١٩٩٥م ، ص ١٧- ٧٢ ، أحمد سوسة ، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية ، ط تونس

١٩٧٤م إبراهيم خوري ، الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط أيرطس ، ٢٠٠٠م ، ص ١٧- ٤٧

٨- عنه أنظر: عبد الرحمن حميدة ، أبو الفداء ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافي أبو الفداء ، صاحب حصه من ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣-١٢٣١م ، ط. دمشق - ١٩٧٤م ص ٧- ٢٣ ، سبيل ركار ، أبو الفداء ، ضمن الكتاب السابق ، ص ٢٤- ٤١ ، حسن الساعاتي ، « منتج أبي الفداء ، في البحث » ، الكتاب السابق ، ص ٥٩- ٧٤ ، مصطفى الحاج إبراهيم ، « الآفاق الجغرافية عند أبي الفداء ، وكتابه تقويم البلدان » الكتاب السابق ، ص ١٣- ١٥ ، كامل عباد ، المؤرخ أبو الفداء ، ونزعة العلمية ، الكتاب السابق ، ص ٧٥- ٩٥ عمر فردوخ ، أبو الفداء ، وتعليل التاريخ ، ص ٩٦- ١٢٩

تفريغ البلدان، وياقوت الحموى<sup>(١١)</sup> (ت ١٢٢٨م) وكتابه معجم البلدان، والقزوينى<sup>(١٢)</sup> (ت ١٢٨٢م) وكتابه آثار البلاد وأخبار العباد وغيرهم من أوردت أسماءهم ومؤلفاتهم في حاشية المصادر والمراجع .

أما المصادر التاريخية، فنذكر من أمثلتها، الطبرى<sup>(١٣)</sup> (ت ٩٢٢م) وكتاب تاريخ الرسل والملوك والبلاذرى<sup>(١٤)</sup> (ت ٨٩٧م) وكتابه فتوح البلدان، وابن الأثير<sup>(١٥)</sup> (ت ١٢٣٢م) وكتابه

١- عبد أنظر، عباس فاضل السعدى، ياقوت الحموى دراسة في التراث الجغرافى العربى مع التركيز على العراق في معجم البلدان، ط بيروت ١٩٩٢م، ص ٩-١٧

عبد على الحفاف ومحمد أحمد عطفه ، دراسات في التراث الجغرافى العربى الاسلامى، ط عامر ١٩٩٩م، ص ٧٤-٩٠ .

٢- عنه أنظر، ابن القوطى، المراتب الجامعة والتجارب الثالثة في اللغة السابعة ، تحقيق مصطفى حواد، ط بغداد ١٣٥١هـ، ص ١٣٠ . ابن السامى، تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق مصطفى حواد، ج ١ / ٢، ط بغداد ١٩٦٧م، ص ٧١٥-٧٣٦

محمد معبد آل ياسين ، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجرى، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص ٢١٦-٢١٧ ، محمد مؤنس عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص ١١٣-١٢٤

٣- عنه أنظر أحمد الحوفى، الطبرى، ط القاهرة ١٩٦٣م، على بكر حسن ، الطبرى ومهجه في التاريخ ط القاهرة ٢٠٠٤م ص ١٨-٤٠ ، مرغولسوت ، دراسات عن المؤرخين العرب، ت. عبد عمار ط القاهرة ٢٠٠١م، ص ٩٩-١٠٧ ، محمد الزحيلي ، الامام الطبرى ، ط دمشق ١٩٩٠، ص ١٥-٨٦

٤- عنه أنظر، محمد حاتم حمادى شهدائى، موارد البلاذرى عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف ط مكة المكرمة ١٩٨١، ج ١، ص ٤٤-٦٧

أبو النعمان- المختصر في أخبار البشر، ط صيدا ١٩٩٠م، ج ٤ ، ص ٣٨٩ ، عبد القادر طهبت- ابن الأثير المؤرخ، ط القاهرة ١٩٦٩م، قبصل السامر ، ابن الأثير، ط. بغداد ١٩٨٦م.

٥- عنه أنظر

ابوشامة ، الذيل على الروضتين ، ط القاهرة ١٣٦٦هـ، ص ١٣٥ ، صلاح الدين المنجد ، المرحومون المستقيمون وآثارهم المخطوطة، مجلة معهد المخطوطات العربية، م (٢) ، ج (١١) عند مايو ١٩٤٦، ص ٨ ، معجم المؤرخين، تحقيق ، ط بيروت ١٩٧٤، ص ٣٤ ، هامشون جب ، تاريخ دمشق ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي- دراسات في التاريخ الإسلامى، ت يوسف أبيض ، ط بيروت ١٩٧٣م، ص ٤٠ ، روزنل، =

الكامل في التاريخ، وابن القلاسي<sup>(١)</sup> (ت ١١٦٠م) وكتابه ذيل تاريخ دمشق، وابن العديم الحلي (ت ١٢٦١م) وكتابه زبدة الحلب .

ويلاحظ ، أن تلك المصادر تتناول أمر العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين بصورة أو بأخرى. مع إدراك أنه لا توجد هناك مصادر بلقة ما هي المتسيدة في البحث التاريخي عن الإمبراطورية البيزنطية. إذ أن كافة المصادر سواء كانت البيزنطية أو اللاتينية أو السريانية أو الأرمنية أو العربية جميعها تعين على الاقتراب قدر الإمكان من ذلك التاريخ الذي تعددت مصادره من خلال الاتساع المكاني والزمني لتلك الإمبراطورية

أما فيما يتصل بالزلاقات الحديثة عن التاريخ البيزنطي؛ فيتطلب الآن التعرض على نحو مرجح للرحلة التي قطعتها الدراسات البيزنطية إلى أن وصلت إلى مطلع القرن الحادي والعشرين، وستركز الحديث اعتماداً على أستروجورسكي - فيما يتصل بأوروبا - ثم من خلال المشابعات الجيولوجرافية عن العالم العربي وخاصة مصر والأخيرة قانصة على ملاحظاتي الشخصية.

ويقرر المؤرخ المذكور : أن هيرودوس ولف Hieronymus Wolf (١٥١٦-١٥٨٠م) عمل على أن ينشر حوليه حنا زوناراس John Zonaras، وكذلك تاريخ نيكتاس خونيائس Nicephorus Gregoras . ونيقفورس جريجوراس . وبالتالي يوصف بأن دوره العلمي يعد واتفا مقارنة بين أتى من بعده من الباحثين.

---

= علم التاريخ عند السليبي، ت . صالح العلي . بيروت ١٩٨٣م، ص ٢-٣ . جمال فوزي محمد عمار . التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ٥٢١-٥٦٦هـ . ط . القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٠٣ - ص ٢٢٥

١- عبد أنظر: ابن العديم . "تحراري في ذكر الفرائي . لمحقق علاء عبد الوهاب . ط . القاهرة ١٩٨٤م، ص ١١-٥ ، عباس عزلوي ، التصريف بالمؤرخين . ط . بغداد ١٩٨٧م، ص ٧٧-٧٨ ، شاكور مصطفى . التاريخ العربي والمؤرخون، ط . بيروت ١٩٧٩ . ج ٢ . ص ٣٦٣

-٢ . Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 3 .

وتجدر الإشارة هنا، أنني اعتمدت اعتماداً أساسياً في الجزء الخاص بالزلاقات الحديثة عن التاريخ البيزنطي على العرض الجيولوجرافي الصادر الذي قدمه أوسترو جورسكي

ولا تغفل : أن القرن السابع عشر ، وفي منتصفه على نحو خاص ، بدأت الدراسات البيزنطية تنتعش بصورة حقيقية كما قرر المؤرخ السالف الذكر ، وخاصة من خلال إيزدهار المعري في بلاط الملك الفرنسي لويس الثالث عشر Louis XIII (١٦١٠ - ١٦٤٣ م) ، ومن بعده وبصورة أكبر لويس الرابع عشر Louis XIV (١٦٤٣ - ١٧١٥ م) <sup>(١)</sup>.

جدير بالذكر : من خلال رعاية الملك المذكور ، ومن خلال دار نشر شهيرة هي كولبرت - Colbert التابعة للوفر Louvre بدأ نشر سلسلة كبيرة من أعمال المؤرخين البيزنطيين ، وكان أول ما صدر تمثيل في تاريخ بوجنا كوناكوزين John Contakouzenis وذلك عام ١٦٤٤ م. وفي عام ١٦٤٨ م ، صدر كتاب عن الامبراطور قسطنطين بورفيريوجنيس - Constantine Porphyrogenitus هو : Constantine Porphyrogenitus Excerpta Legationibus <sup>(٢)</sup>.

من ناحية أخرى ، ظهر خلال القرن السابع عشر م عدد من كبار المؤرخين في صورة جوسيت مبليل لابييه Jesuits Philippe Labbé (١٦٠٧ - ١٦٦٧ م) ، وبيير جوسين Pierre Pons (١٦٠٩ - ١٦٨٦ م) ، جاك جوا Jacques Goua (١٦٠١ - ١٦٥٣ م) ، وفرانسوا كومبفيس Francois Combefis (١٦٠٥ - ١٦٩٧ م) و شارل أنيبال قاهرو Charles Anni-bal Fabron (١٦٥٩ - ١٥٨٠ م).

= حيث خصص الصفحات المذكورة لتناول الدراسات البيزنطية حتى صدور الترجمة الإنجليزية للكتاب عام ١٩٥٦ م. مع عدم اغفال أنه خلال النصف قرن الأخير حدث تطور معرفي غير مسبوق كما وتبعاً في حقل الدراسات البيزنطية في العرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية.

ولمعرفة المزيد عن ذلك المؤرخ البيزنطسلافى الرائع وإسهاماته أشير إلى صدور كتاب تفكارى Memoual أو Book لتكريمه من جانب فرانكو باريسيك وصدر في بلغراد عام ١٩٩٧ م من جانب معهد الدراسات البيزنطية في بلغراد ، عنه أنظر

Barris, (ed.) : Melanges Georges Ostrogorsky, Beograd (1963

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 4 .

اجتبا : وسام عبد العزيز فرح ، « الدولة البيزنطية بين أوهام النظرية وحقيقة الهمية » ، ضمن كتاب بمرطة لراة في التاريخ الساسي والإداري ، ط القاهرة ٤ - ٢٠٠٧ م ١٧

Ibid, p. 4

ويقرو أوستروجورسكى أن المؤرخ دى كانج Du Cange (١٦١٠ - ١٦٨٨ م) يعد المؤرخ الحقيقى للدراسات التاريخية البيزنطية<sup>(١)</sup>، وقد قام بنشر عدة مصادر مثل تاريخ بوح كيناموس John Kinnamos، وحولية يوحنا زوناراس John Zonaras، وحولية باسكال Paschal وقد قدم تعليقات مفصلة على تلك المصادر وهنا تكمن أهمية مجهوداته العلمية خلال تلك المرحلة المبكرة فى تاريخ الدراسات البيزنطية.

جدير بالإشارة ! قام المؤرخ المذكور بجهود وافر فى مختلف الدراسات كما فى التاريخ، الفيلولوجيا Philology (علم فقه اللغة) ، والطوروغرافيا Topography، والنومبات المتصلة ببيزنطة وحتى منتصف القرن العشرين عندما أصدر أوستروجورسكى كتابه عن تاريخ لدولة البيزنطية أشار إلى أن الباحثين لايزالون يستفيدون من مؤلفاته القيمة وقد أعد دى كانج عدة مؤلفات مثل:

- Histoire de L'empire de Constantinople Sous les empereurs Francais .
- Historia Byzantina duplici commentario illustrato.
- Constantinopolis Christiana .
- De Familis byzantinis.

والعمل الأكبر فى الأهمية لكأنج يتمثل فى قواميسه المتعددة عن اليونانية، واللاتينية الرسيطة، ومنها.

Glosarum ad Scriptores mediae et infimae graecitatis.

وعلى الرغم من وجود قواميس متعددة ، إلا أن ذلك القاموس - على نحو خاص - بما احتواه من إشارات مصدريه متعددة ، وتعليقاته التاريخية يظل - كما اعتقد أوستروجورسكى- من أدوات الباحثين فى حق الدراسات البيزنطية<sup>(٢)</sup>.

وهناك رائد آخر من أولئك المؤرخين الرواد فى صورة جين مابيلون Jean Mabillon (١٦٣٢-١٧٠٧م) الذى وضع أساس الدراسات العلمية البيزنطية من خلال الاعتماد على

Ostrosky History of The Byzantine State, p. 4 .

-١

ومن مؤلفاته أنظر : p. 4-5 .

ibid. p. 5 .

-٢

الروائع الأصلية. ويعد جين ماييلون معاصراً للكاتب<sup>(١١)</sup> واكمل دوره . كما نذكر برنارد دي مونتناكون Bernard de Montfaucon (١٦٠٥-١٧١١م)

وهو مؤلف دراسة: *Palaeographia Graeca*

الباليوغرافيا اليونانية ، وبها افتتح دراسة الباليوغرافيا اليونانية - *Greek Palaeography*<sup>(١٢)</sup>

كذلك هناك دور مهم قام به ميشيل ليكوين الدومينيكاني The Dominican Michel Lequien (١٦٦١-١٧٣٣م) من خلال عمله بعنوان : *Oriens Christianus*<sup>(١٣)</sup>.

كما نشير إلى دور قام به تسلمو بن ورو الراجوزي البندكتي The Benedictine Am- selmo Banduri of Ragusa (١٦٧٠-١٧٤٣م) الذي ألف الامبراطورية الشرقية - *Impe- rio Orientale* . ووفق ما قرره اوستروجورسكي احتوى على مادة طوبوغرافية ، وأثرية مهمة<sup>(١٤)</sup>.

ويقرر اوستروجورسكي : أن الدراسات البيزنطية قد واجهت إبتكاسة Seiback في القرن الثامن عشر م وذلك من جراء جهود مفكرى عصر الاستنارة الذين أعلنوا من شأن الزعة العقلية، ومنهم من نظر بازدهاء للتاريخ البيزنطى ونذكر في هذا الصدد المؤرخ الشهير إدوار جيبون Edward Gibbon<sup>(١٥)</sup> (١٧٣٧-١٧٩٤م) وكتابه الشهير: *History of The decline and Fall of the Roman Empire*

١- Ostrogorsky , *History of The Byzantine State*, p. 5

٢- Ibid . p. 5 .

٣- Ibid . p. 5 .

٤- Ibid . p. 5

٥- أدوارد جيبون. ولد في ٢٧ أبريل ١٧٣٧م . وتلقى تعليمه المبكر في وستمنستر Westminster . وفي عام ١٧٥٢م انتقل لواصله تعليمه في كلية ماجدلان Magdalen College في أكسفورد . وبعد إتمامه قصيدة هناك. التحق إلى لوزان Lausanne في سويسرا ، حيث مكث ٥ سنوات لخدم فيها بفراصة اللغة الفرنسية والأدب الكلاسيكي والأعمال التاريخية والفلسفة البارزة . ويقرر قازيليف أن تلك السنوات تركت أثراً كبيراً على عقلية الشاب إدوار جيبون وغدت سويسرا بالتمسك له بمثابة الوطن الثاني . وعندما عاد أدراجه إلى إنجلترا نشر أول كتبه بالفرنسية بعنوان مقالة في دراسة الأدب *Essai sur l'étude de la Littérature*

ونلاحظ أن أفضل طبعة للكتاب المذكور هي التي قام بها ج. ب. بيوري J.B. Bury التي صدرت خلال المرحلة من ١٨٩٧-١٩٠٠م، نظراً للتلميحات القيمة التي قام بها ذلك العالم على نص جيرون؛ على نحو أدى إلى إثرائه.

من الملاحظ أن الدراسات البيزنطية لم يقض عليها من خلال جهد مفكرى عصر الاستنارة؛ وفي هذا المجال نذكر جهد ل. ج. أ. J.A. Fabrius الذي أصدر كتابه: *Bibliotheca Graeca*؛ أي المكتبة اليونانية - وفيه يقدم مادة مهمة عن تاريخ الأدب البيزنطي في (١٤) جزء، وطبع الكتاب المذكور في مدينة هامبورج خلال المدة الواقعة بين عامي ١٧٩٠م، ١٨٠٩م.

مهما يكن من أمر؛ في نفس العام الذي اكتمل فيه إصدار كتاب فابريكوس أي عام ١٧٧٨م، قام نيبور Niebuhr بوضع أساس «الجامع للكتابات التاريخية البيزنطية».

#### *Corpus Scriptorum historiae byzantinae*

المعروفة اختصاراً بـ (C.S.H.B.) وهي مجموعة على جانب كبير من الأهمية من حيث اشتغالها على (٥٠) مصدراً من المصادر التاريخية البيزنطية، وتجد فيها النص اليوناني مصححاً بالترجمة اللاتينية.

من جهة أخرى؛ ظهر دور للمؤرخين الألمان في صورة كارل كرامباشر Karl Krambacher (١٨٥٠-١٩٠٩م) الذي أصدر عند أخريات القرن التاسع عشر م كتابه عن تاريخ الأدب البيزنطي: *Geschichte der byzantinischen literatur*.

والعمل الذي يذكره له الباحثون في حقل الدراسات البيزنطية؛ تأسيس المجلة البيزنطية *Byzantinische Zeitschrift* والتي سرعان ما صارت مركزاً للدراسات البيزنطية في العرب الأوربيين، وأهمية دورها أنها زودت الباحثين بقاعدة بليوغرافية أساسية لدراساتهم

---

= وقد استقبل الكتاب المذكور بحفاوة في فرنسا، وهولندا، ولكن بدرجة أقل في إنجلترا، ومن بعد ذلك اتجه جيرون إلى وجهة سياسية حيث انتقل عامين ونصف في الانضمام إلى ميليشيا هامبشر Hampshire Militia التي تم تنظيمها خلال حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا، وفي عام ١٧٦٤م تأنت له فكرة كتابه اللامع العصب تاريخ انضغال وسقوط الامبراطورية الرومانية، على أية حال؛ توفي ذلك المزارع البارز في أخريات القرن الثامن عشر وتحديداً عام ١٧٩٤م عنه أنظر

Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, p. 8.

وأيضاً وسام عبد العزيز قزح - الدولة البيزنطية بين أوجها النظرية وحقيقة الهوية - حسن كتاب ببرطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري، ط القاهرة ٤، ٧، ص ٢٧. حاشية، (٢٦)

ويذكر لنفسه المؤرخ الراند: أن السنار الذي كان يعقد في مدينة ميونخ München صار بمثابة مركز دولي للدراسات البيزنطية حيث قصده المؤرخون من أنحاء متعددة من أوروبا كما قرر أوستروجرسكي .

وعند نهاية القرن ١٩م حدثت نهضة كبيرة من خلال جهد عدد من العلماء الألمان في صورة كل من كارل نيومان Karl Neumann وهريش جلزير Heinrich Gelzer وقد ألّف المؤرخ الأول كتابه: Die weltstellung des byzantinischen Reiches von den Kreuzzgen, ١٨٩٤ .

وإذا اتجينا صوب الدراسات البيزنطية في روسيا: نجد أن بداياتها كانت على يدي إرنست كونيك Ernest Konik (١٨١٤-١٨٩٩م). وبعد من كبار المؤرخين الرواد . وكان عضواً في الأكاديمية الامبراطورية للعلوم في بطرسبرج :

The imperial Russian Academy of Sciences in St. Petersburg

وقد قام بدور بارز فيما يتصل بالتأليف عن التاريخ الروسي، وما يتصل بمصادر التاريخ البيزنطي.

ونذكر كذلك إدوارد دي مورالت Edward Muralt (١٨٠٨-١٨٩٥م) الذي اهتم بالدراسات الكرونولوجية (المزمنة) Chronological Studies، وله دراسته :

Essai de Chronographie byzantine

ودعت في جزأين، ط. سان بطرسبرج ١٨٥٥-١٨٧١م، ويقر أوستروجرسكي : أنها ذات فائدة على الرغم من أنها لم تعد دراسات حديثة وقت صدور كتاب تاريخ الدولة البيزنطية عام ١٩٤٠م.

على أية حال : فإن المؤرخ الذي يعد المولى الحقيقي للدراسات البيزنطية في روسيا هو د.ج. فاسيلجفسكي V.G. Vasiljevskij (١٨٢٨-١٨٩٩م) ، وقد اهتم بدراسة العلاقات الروسية - البيزنطية ، وما يذكر عنه تأسيسه دورية هي :

Vizantijskij Vremennik وذلك عام ١٨٩٤م.

وقد قدمت تلك الدورية ومعها byzantinische Zetschrift التي ظهرت قبلها بهامين اي عام ١٨٩٧م قدمت خدمات جليلة لباحث البيزنطيات.

ثم ظهر دور قام به ف. أ. أوسپنسكيج G.I. Uspenskij (١٨٤٥-١٩٢٨م) وقد اهتم بالدراسات الأثرية البيزنطية من خلال معهد عمل على إدارته وبصفة عامة؛ بوصف بأنه قام بدور بارز في تطوير الدراسات البيزنطية في روسيا

على أية حال ؛ حققت الدراسات البيزنطية نقلة نوعية من خلال جهد العلامة فاريليم Vasiliev<sup>(١١)</sup> الذي عشق التاريخ البيزنطي حتى اللغخ . وألف عدة مؤلفات أهمها:

- كتابه : بيزنطة والعرب , ed. Bar H. Gregoire et M. Canard, 3 vols , Brussel 1959 .

وقد وقع في ٢ أجزاء . ونشره هـ. جريجوار وصانديوس كنار في بروكسيل عام ١٩٥٩م. ويلاحظ هنا أن محمد عبد الهادي ترجم جزءاً واحداً من ذلك العمل الموسوعي .

- ثم كتابه تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وقد أنغّه باللغة الروسية.

وقد تمت ترجمة الكتاب المذكور إلى الإنجليزية وصدر في جزأين في ماديسون بالولايات المتحدة الأمريكية عامي ١٩٢٨-١٩٢٩م

Vasiliev, History of the Byzantine Empire , 2 vols, Madison 1928-1929

كذلك ظهرت له طبعة أخرى عام ١٩٥٢م.

١- يقدم لنا ميلتون فـ. أناتوس إشارات مهمة عن شخصية العالم الروسي الكبير الكسندر الكسندروفيتش فانيليف Alexandre Alexandrovich Vasiliev وقد وصف بأنه «توحد» مع تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وعمل في جامعة وسكنسون Wisconsin في الولايات المتحدة الأمريكية . وتعرف أنه لم يتزوج وظل عاكفاً على كتابة مؤلفات في التاريخ البيزنطي وترجمته لتلاميذه . وقد أفادته كراهيته للمراة حيث وصف بأنه "misogynist" في الانصراف كلية إلى عشق التاريخ البيزنطي والتأليف في مجاله . ويقرر نفس المؤلف أنه انغمر في "سكة" عندما كان يحاصر تلاميذه عن سقوط القسطنطينية ويفهم من السياق العام للمقالة أن ذلك السقوط هو الخامس بعام ١٤٥٣م ومن المعلومات المهمة ذات المفارقة التاريخية . ما ذكره نفس الباحث من أن فانيليف توفي عن عمر يبلغ السادسة والثمانين (٨٦ عاماً) في يوم ٢٩ مايو ١٩٥٢م. وهو يوافق الذكرى الخمسمائة لسقوط القسطنطينية في ٢٩ مايو ١٤٥٣م؛ وهكذا فقد رحل في نفس اليوم الذي انتهى فيه التاريخ البيزنطي ذاته الذي عشقه ؛ عن ذلك أنظر :

Anastos , " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies, a Personal Account " , in Laron and Maguire (eds) Byzantium A World Civilization, D.C. Washington 1992, p. 10

يلاحظ أن أهمية الكتاب المذكور لا ترجع فقط إلى إحاطة المؤلف بكافة دقائق التاريخ البيزنطي، والعلاقات بين البيزنطيين والمسلمين، بل استخدامه عدة لغات قديمة وحديثة في بحثه التاريخي، ثم إنه زود كتابه بقائمة بيبليوغرافية ثرية ينشر وجردها في كتاب آخر في عصره، ولا يزال هذا الكتاب - على نحو خاص - عمدة الدراسات البيزنطية، وعلى مدى نصف قرن من صدور الترجمة الإنجليزية له؛ لم يتمكن باحث آخر من أن يقدم لنا دراسة مسحية للتاريخ البيزنطي سياسيًا يمثل تلك الكفاءة دون إغفال أهمية كتاب لوستروجرورسكي عن تاريخ الدولة البيزنطية.

ينبغي أن نذكر: أن كتاب فازيليف عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية له ترجمة فرنسية صدرت في باريس عام ١٩٣٢م عنوانها

Histoire de L'empire byzantine, 2 vols, Paris 1932.

كذلك صدرت ترجمة تركية له عام ١٩٤٣م ومن بعد ذلك؛ ظهرت ترجمة ألبانية عنوانها:

Historia del impero Bisantino 2 vols, Barcelona 1948.

ولانزع في أن صدور عدة ترجمات للكتاب المذكور يدل على الحرص على الإفادة منه من جانب أكبر قطاع من الباحثين من خلال ترجمة لعدد من اللغات الأوربية وكان الأجدد بالعرب أن يترجموه منذ عقود مضت.

ولانغفل من بين المؤرخين الروس ما ألفه المؤرخ كلاكوفسكي Kulakovskij الذي ألف كتابًا عن تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من عام ٣٩٥ إلى ٧١٧م، ووقع في ٣ أجزاء، وصدر في كييف Kiev خلال الرحلة من ١٩١٣ إلى ١٩١٥م.

مهما يكن من أمر، يقر لوستروجرورسكي: أن الدراسات البيزنطية في روسيا تقدمت من خلال إصدار دورية تضاف إلى الدورية السائدة الذكر في صورة: Vizantijskoe Obozrenie أو ما عرف بالمجلة البيزنطية.

أما إذا ما اتجهنا صوب إنجلترا: فلابد من ذكر المؤرخ الكبير بيوري (١٨٦١-١٩٢٧م)

ويصفه أوستروجرسكي بأنه كان من الرواد وأنه امتلك ندرة بارزة على النقد والتحليل<sup>(١١)</sup> .  
وقد أصدر كتابه : *History of the Later Roman Empire* وتناول فيه الرحلة من ٣٩٥  
إلى ٨٠٠ م ، ووقع في جزأين .

كما ألف كتابه : *History of the Eastern Roman Empire* وأصدره عام ١٩١٤م  
كما يذكر ليسوري: تأليفه دراسة عن النظام الإداري للإمبراطورية البيزنطية في القرن  
التاسع الذي صدر عام ١٩١١م.

*The Imperial Administration in the ninth century* , London 1911 .

وبلاحظ : أن ليسوري ترك مؤرخين من خلفه مثل نورمان بينز Norman Panes : الذي اهتم  
بالمرحلة المبكرة من التاريخ البيزنطي ، وكذلك في المرحلة المتأخرة من العصور الوسطى وخاصة  
محال العلاقات البيزنطية - اللاتينية في نطاق بحر إيجه *Agean Sea*<sup>(١٢)</sup> .

وبما يذكر عنه تأليف دراسته الشهيرة عن الإمبراطورية البيزنطية الصادرة في لندن عام  
١٩٢٦م.

*History of the byzantine Empire* . London 1926 .

والواقع أننا بعد ثلاثة أرباع قرن من الصعب أن نجد دراسة متاطرة لها على الرغم من  
الطفرة المعرفية في العقدين الأخيرين على نحو خاص مما عكس ريادة المستمرة.

كما نذكر أمر تاريخ كمبريدج الوسيط *Cambridge Medieval History* الذي تم  
التحيط له من جانب ليسوري ، وقد تم تخصيص عدة أجزاء لتناول التاريخ البيزنطي مثل الجزء  
الأول الصادر عام ١٩١١م ، والثاني الصادر عام ١٩١٣م ، وصدر الجزء الرابع عام ١٩٢٣م .  
وبعرف أن الجزء الرابع احتوى تناولاً للمرحلة الواقعة من عهد ليو الثالث الأيسوري  
(٧١٧-٧٤١م) حتى عهد الامبراطور البيزنطي الأخير قسطنطين الحادي عشر  
(١٤٤٨-١٤٥٣م)<sup>(١٣)</sup> .

---

Ostrogorsky . *History of The Byzantine State*, p. 11

-١-

Ibid , p 11 .

Ibid , p. 18 .

-٢-

كذلك لا تغفل دور يارز للمؤرخ الإنجليزي السير ستيفن رنسيان - Sir Steven Runciman الذي ألف عدة مؤلفات رائدة في التاريخ البيزنطي أهمها

- History of the First Bulgarian Empire, London 1930

- The Byzantine Civilization, New York 1956 .

- The Eastern Schism, Oxford 1956 .

كذلك ظهر فيما بعد عدد من الباحثين الغربيين من أمثلتهم براند Brand، وهسي Hussey وبروكس Brooks، وبراون Brown، وبروننج Browning، وكاهن Cahen، وشاباي Chapman، وخراتيس Vharanis، وكولان Coleman، وكونستانتيس Constantinides، ودبل Dichl، وإيفانز Evans وجيرو Gero، وجارلاند Garland، وجراث Grant، وكريستدز Christides، وماجلولينو Magdalino، ودوثيريك Dovrnik، وجيناكوبوليس Geana-koples، وجيل Gill، وهيرن Herrin، وجونز Jones، ولبولونسكي Obolensky، وميلدورف Meundorf ويريس Brice، وبيرن Byrne، وكار Canard، ودايجرون Dag-ron، ومانجو Mango، وايكونوميد Oikonomide وجوجي Jugie، وليل Lile، وكزدان Kazhdan وهوتون Hutton، ورايس Rice، وماكريدس Macrides وغيرهم.<sup>(١١)</sup>

أما فيما يتعلق بالقواميس : فنذكر من أمثلتها الكسندر كزدان (رئيس تحرير) قاموس أكسفورد للبيزنطيات ، في ٢ مجلدات ط. أكسفورد ١٩٩١م.

Alexander , p. Kazhdan (ed.), The Oxford Dictionary of Byzantium, Oxford 1991<sup>(١٢)</sup>

وقد شارك في إصداره فريق عمل ممتاز عبارة عن عشرات الباحثين البارزين في حقل الدراسات البيزنطية ومن أبرزهم أليس - ماري تالبوت Alice - Mary Talbot

وأنترني كتر Antony Cutler وهو محرر تاريخ الفن .

عن بعض مؤلفاتهم أنظر : قائمة "ترجم الأجيبة نهاية الكتاب

٧ - سلاحظ التارئ دون عنا - اعتساي إلى حد كبير على القاموس المفصل للذكور في إعداد 'الدخل

'البيسوغرافي نظراً لأهميته الخاصة

ونيمروثى إى جريجورى Timothy E. Gregory وهو محرر علم الآثار ، والجغرافيا التاريخية

ونانى ب سيفسكو Nany P. Sevcenko أما رئيس التحرير فهو الكسندر كازدان Alex- ander Kazhdan وهو من كبار مؤرخى الدراسات البيزنطية حالياً على مستوى العالم. ويعد القاموس المذكور من أفضل ما صدر فى التاريخ البيزنطى وأحتوى على مئات المواد المتصلة به فى الجوانب السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والقانونية والدينية ، والأثرية ، وما أنصل بالنقوش والعملات وغيرها ، ومثل هذا الكتاب الجامع الشامل لا يفتنى عنه الباحث فى التاريخ البيزنطى ، وتاريخ الحروب الصليبية أيضاً . ومن الممكن العودة إلى المؤلفات الحديثة عن بيلوغرافيا التاريخ البيزنطى لمعرفة المؤرخين وإسهاماتهم<sup>١١١</sup>.

كذلك : لانغل ما ألفه دونالد أتووتر Donald Attwater تحت عنوان: قاموس بنجرين للقدسين ، الصادر فى لندن عام ١٩٧٧م.

Attwater, The Penguin Dictionary of Saints , London 1977.

وهو كتاب يقع فى (٣٦٣) صفحة وذو أهمية كبيرة حيث احتوى على تراجم أكثر من (٧٥٠) قديس من قديسى الكنيسة الشرقية والغربية والمؤلف متخصص فى سبر القديسين .Hagiography

حذر بالإشارة : لا يمكن للباحث فى مجال الدراسات البيزنطية أو الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى الاستغناء عن الكتاب المذكور.

وهناك أيضاً ما ألفه ج.ت.د. كيلي عن قاموس البابوات الصادر فى أكسفورد عام ١٩٩٦م . Kelly , Dictionary of Popes , Oxford 1996 .

١- من أجله للغاية الرجوع الى كتاب فهرس مؤلفى الدراسات البيزنطية الذى أعده جليانيدا س. الاين والصادر من حاسب مركز دالمبرتون لوكس فى واشنطن عام ١٩٨٦م.

Jelisaveta S. Allen Author Index of Byzantine Studies, Washington 1986 .

ويجده فيه القارئ مادة بيلوغرافية مفصلة وأقضى أن يقوم أحد الباحثين العرب بإعداد دراسة بيلوغرافية فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية وبالتالي يسد ثغرة طالت وقفت حائلاً دون تطوير تلك الدراسات.

ويقع في (٢٤٩) صفحة، واحتوى على تراجم بابوات كنيسة روما من القديس بطرس St. Peter مؤسس تلك الكنيسة حتى البابا يوحنا بول الثاني John Paul (١٩٧٨-٢٠٠٥ م) وهو مثل سابقه صغير الحجم كبير القيمة.

وهناك قاموس اللاهوت الكاثوليكي في ١٥ جزء بدأ صدورها في باريس عام ١٩٢٢م.

- Dictionnaire de Theologie Catholique, 15 Tomes Paris, 1923, sqq.

كذلك لا تغفل ما ألفه دونالد نيكول تحت عنوان:

قاموس التراجم للإمبراطورية البيزنطية الصادر في لندن عام ١٩٩٠م.

- Nicol, Biographical dictionary of the Byzantine Empire, London 1991

وبعندى الكتاب المذكور، على عشرات التراجم لأعلام التاريخ البيزنطي سواء من الأباطرة، أو البطارقة أو الموزخين، وغيرهم. ومثل هذا القاموس من الصعب تجنب استخدامه خاصة أن مؤلفه من أعلام التاريخ البيزنطي المعاصرين.

وقد قام العلامة الراحل أ.د. حسن حبشي بترجمته إلى العربية تحت عنوان: معجم التراجم البيزنطية، وصدر بالقاهرة عام ٢٠٠٣م ويلاحظ أنه لم يزوده بتعليقات على عكس ما حدث لدى ترجماته السابقة الخاصة لدى المصادر البيزنطية والصليبية، ومع ذلك قدم لنا عملاً متكاملًا في فن الترجمة الرصينة من الإنجليزية إلى العربية كعهد الباحثين بذلك الموزخ والمترجم والمحقق الرائد.

أما فيما يتصل بالعالم العربي، واهتمامه بالدراسات البيزنطية: فيلاحظ أن مصر - دوماً مبالغة أو حماس وطني - كانت الرائدة في ذلك الحقل من الدراسات التاريخية قبل غيرها من شقيقاتها العربيات. وقد بدأ الاهتمام بها: خلال الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ثم من بعد ذلك. وكان من الطبيعي أن تظهر إلى الوجود مرحلة الترجمة نظراً لعدم توافر دراسات متعددة بالعربية تغطي تاريخ الإمبراطورية البيزنطية بصورة بانورامية عامة، ومن أمثلة ذلك قيام د. مصطفى طه بدر بترجمة كتاب شارلز أومان بعنوان الإمبراطورية البيزنطية وقد صدر بالقاهرة عام ١٩٥٣م

---

عنه أنظر: معهد مؤنسي عوض، عصر الحروب الصليبية - بحوث ومقالات، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٥٥-٢٦٥ حيث تذكر بعض مقال عن الموزخ الراحل

ثم من بعده قام أ.د. حسين مؤنس بالإشتراك مع محمود زايد بترجمة كتاب نورمان بيز بعنوان الإمبراطورية البيزنطية وصدر ذلك العمل في القاهرة عام ١٩٥٧م. كذلك إنجبه أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة إلى ترجمة جزء من كتاب فازيليف بعنوان العرب والروم وصدر في القاهرة دون تاريخ للطباعة<sup>(١١)</sup>. كما حدث تطور مبكر مهم عندما ترجم أول كتاب من مؤلفات السير ستيفن رنسيمن Sir Steven Runciman في حقل الدراسات البيزنطية في صرة الحضارة البيزنطية من جانب عبد العزيز توفيق جاكوب في القاهرة عام ١٩٦١م. وهو مترجم كفيف كان مبصراً بنور البصيرة<sup>(١٢)</sup> ساهم في ترجمة عدة دراسات في التاريخ البيزنطي والعرب الأوروبي في العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر؛ إلى جانب الترجمة هناك مؤرخون مصريون ألفوا مؤلفات رائدة ومذكر في هذا الصدد : المؤرخ أ.د. محمد عبد الهادي شعيرة الذي ألف دراسة عن الصراع بين العرب والبيزنطيين، فتح وتنظيم الحدود في القرنين السابع والثامن الميلاديين، وقد صدر ذلك العمل بالفرنسية في الاسكندرية عام ١٩٤٧م<sup>(١٣)</sup>.

**Cheira , la Lutte entre Arabes et Byzantins : la Conquête et l'Organisation des Frontieres aux VII et VIII Siecle, Alexandria 1947**

وبالنسبة يمكن القول - دونما مبالغة أو إعتراف في الأحكام - أن ذلك المؤرخ هو الرائد العربي الأول في التأليف الأكاديمي عن تاريخ بيزنطة وإن كان عمله الأول صدر بالفرنسية وليس بالعربية . وفي وقت مبكر أي عام ١٩٤٧م. وأصدره في الاسكندرية دون القاهرة

١ - عن المقرر أن الجزء الذي ترجمه محمد عبد الهادي شعيرة هو الجزء الأول، عن ذلك أنظر:

الأمير أبو سعدة ، « بيزنطة في الملاحم العربية قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمع، ص ٢٤٢

٢ - ولد ذلك المترجم البارز بالراحل بالقاهرة ، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة إلى أن تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٩م. واشتغل بالتدريس إلى أن وصل إلى منصب وكيل مدرسة مصر الجديدة الثانوية مديراً للمركز الرئيسي للتدريب بوزارة التربية والتعليم . وقد ترجم عدة آخر من المؤلفات عن الإنجليزية وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الترجمة عام ١٩٨١م. كما د.د. وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، عنه أنظر ما كتب عنه ترجمة كتاب رنسيمن ، الحضارة البيزنطية

٣ - عن محمد عبد الهادي شعيرة - محمد مؤنس عرض، رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر ، ط القاهرة ٧٠٠٧.

وبالتالى تكون عروس البحر المتوسط قد شهدت ميلاد تلك الدراسات. ولا تغفل كذلك إبراهيم العدوى: وقد ألف مقالاً رائداً بعنوان: «أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى» ونشر فى المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث، العدد (٢) أكتوبر ١٩٥٠م وفى العام التالى مباشرة: أى عام ١٩٥١م، أصدر كتاباً عن الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٥١م.

وبلاحظ أن خمسينيات القرن العشرين شهدت أيضاً صدور مؤلفات رائدة بالعربية فى التاريخ البيزنطى، وتذكر فى هذا الصدد بإصدار إبراهيم طرخان كتابه الحركة اللاأيقونية فى الدولة البيزنطية، وصدر فى القاهرة عام ١٩٥٦م وقيمة الكتاب المذكور أنه تناول موضوعاً جزئياً ارتبط بالأسرة الأمورية فى الأصل، وخصص له ذلك الكتاب الرائد.

كذلك أصدر السيد البلاز العرنى كتاباً عن أجتاد الروم بالقاهرة عام ١٩٥٦م، مما يدل على أن العام المذكور شهد بداية التأليف التاريخى المتخصص فى موضوعات محددة من التاريخ البيزنطى.

وقد واصل ذلك المزوج الرائد إصداراته فقام بخطوة مهمة حيث أصدر ترجمة لكتاب والى المدينة، ونشر عمله فى مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة مجلد (١٩)، ج (١) مايو ١٩٥٧م. وبعد ذلك بمثابة أول ترجمة لمصدر بيزنطى إلى العربية خلال ذلك الوقت المبكر

من جهة أخرى: قام المزوج اللينانى أسد ورسم بإصدار كتابه الرائد الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب فى جزأين، عامى ١٩٥٥م، ١٩٥٦م وقيمة ذلك الكتاب تتأتى من خلال إدراكنا أن صاحبه طالع المصادر التاريخية البيزنطية خلال تلك المرحلة المبكرة، وقدم لنا كتاباً مفصلاً يتناول التاريخ البيزنطى منذ البداية حتى النهاية من خلال المحابيب السيلسى والمضاروى، ومن الملفت للانتباه: أن هذا العام (١٩٥٦-١٩٥٧) يمر نصف قرن على صدور الجزء الثانى من ذلك الكتاب الرائد الذى أعده مزوج لينانى بارز.

يضاف إلى ذلك: شهدت مرحلة الستينيات صدور مؤلفات مهمة فى مصر، وكذلك لبنان، وسوريا وبالتسبة للأولى، نذكر ما ألفه عمر كمال توفيق تحت عنوان: مقدمات الصدوان الصلبى الإمبراطور يوحنا ترمكس وسياسته الشرقية الذى صدر فى الاسكندرية عام ١٩٦٦م، ثم فى العام التالى مباشرة أصدر كتابه الإمبراطورية البيزنطية فى نفس المدينة، وقد حدث ذلك بعد أن عاد من بعثته العلمية فى بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث اشتهرت الجامعة المذكورة بدراسات العصور الوسطى.

ثم أصدر فتحى عثمان دراسته الموسومة الرائعة بعنوان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى، وذلك فى ٣ أجزاء وصدر بالقاهرة عام ١٩٦٦م، وتمتد دراسة متبصرة من خلال اهتمام مؤلفها بالزاويتين الحربية والحضارية وتتناول بغزارة التفاصيل ويعد كتابه أول عمل أكاديمى عربى يقع فى ٣ أجزاء كاملة، ولم يسمع من قبل عن مؤرخ عربى يؤلف كتاباً فى عدة أجزاء عن التاريخ البيزنطى قبل ذلك المؤرخ الرائد، وإن تكرر فيما بعد فى صورة أ.د. وأفتت عهد الحميد وكتابه الدولة والكنيسة .

وفى ما بعد: وفى مطلع السبعينيات، أصدر المؤرخ الرائد أ.د. إسحق عبيد دراسته بعنوان روما وبيزنطة الصادر فى القاهرة عام ١٩٧٠م وهى فى الأصل أطروحة الدكتوراه التى أعدها من جامعة نوتنجهام بإنجلترا بإشراف برنارد هاملتون Bernard Hamilton، وتتميز هذه الدراسة بأنها تقدم لنا عرضاً موثقاً يعتمد على المصادر البيزنطية واللاتينية فى المقام الأول على تطور العلاقات بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى على مدى عدة قرون.

من بعد ذلك ، نجد مؤرخاً بارزاً فى التاريخ الكنسى هو الراحل أ.د. وأفتت عهد الحميد وأهم إسهاماته كتابه الدولة والكنيسة فى ٤ أجزاء.

كذلك نشير إلى مؤلفات عدد من المؤرخين<sup>(١١)</sup> كل من العرب الباويزين مثل أ.د. عليه الجزورى ، أ.د. ليلي عبد الجواد. أ.د. عفاف صبره ، أ.د. محمود سعيد عمران ، أ.د. وسام عبد العزيز فرج<sup>(١٢)</sup> ، أ.د. جوزيف نسيم يوسف ، أ.د. محمد مرسى الشيخ ، أ.د. محمود عبد الغنى عبد العاطى ، أ.د. حسين ربيع ، أ.د. عادل زيتون، أ.د. تميم فرج ، د. عبد السلام زيدان وغيرهم.

#### ٦- عن مؤلفاتهم أنظر قائمة المراجع العربية والعربية

من الملاحظ أن ذلك المؤرخ على نحو خاص تسمير مؤلفاته ، وذلك بعد عودته من بعثته الى مركز الدراسات البيزنطية فى جامعة بيرجستها فى إنجلترا، وقد تناول دراسات ذات طابعين سياسى وحضارى ، وذلك بالاعتماد على المصادر التاريخية البيزنطية وكذلك المؤلفات الحديثة خاصة الدوريات ، ويعد الثارئ عدداً من مؤلفاته فى قائمة المصادر والمراجع وقد جعل من كلية الآداب- جامعة المنصورة مركزاً بحثياً مهماً لحال الدراسات البيزنطية وأشرف على عدة أطروحات علمية لدرجة الماجستير والدكتوراه.

تلك ملامح الكتابات العلمية الصادرة أو المرجعية الأجنبية والعربية والمعرفة : أما المصادر الأخرى للتاريخ البيزنطي مثل الآثار، والنقوش، والنقود فتقدم عرضاً موجزاً لأهم الدراسات عنها

وفيساً يتصل بالآثار البيزنطية . يمكن الإشارة إلى أمثلة بعض المؤلفات المهمة وهي كالآتي

- Ross, Catalogue of the Byzantine and Early Medieval Antiquities in the Dambarton Oaks Collection , vol . 1-2 , Washington 1962-1965 .
- vol . 3, by Weitzmann, 1972 .
- Hamilton , Byzantine architecture and Decoration, London , 1958
- Foss (C.) , Winfield (D.) Byzantine Fortifications : An Introduction, Pretoria 1986 .
- Grabar (A.), L'Iconoclisme byzantine : le dossier. archaeologique , Paris 1984 .
- The Great Palace of Byzantine Emperors , being a first Report on The exelavations carried out in Istanbul on behalf of the Walker Trust, University of St. Andrews 1935- 1938 , London 1947
- Jackson, Byzantine and Romanesque Architecture , Cambridge 1930

وفيساً يتعلق بالموازيكو البيزنطي أنظر :

Furlan (I) , le leone byzantine a mosaico , Mytan 1979 .

Demus (O.). The Mosaics of Norman Sicily , London 1949 , Byzantine Mosaic Decoration, London 1976, The Mosaics of San Marco in Venice , 2 vols , Chicago 1984

والباحث المذكور متخصص في أعمال الموازيكو البيزنطي<sup>١٨٨</sup>.

---

١ - ربي معرض تناولنا لأمر غلاچ من المؤلفات الخاصة لآثار البيزنطية أود الإشارة إلى أن هناك محله =

أما النقوش البيزنطية : فتشير في أمورها إلى المؤلفات التالية :

- Corpus Inscriptionum Graecarum , 4 vols ., Berlin 1828-1877
- Recueil des Inscriptions Grecques Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922 .

(ويلاحظ أنه تم إيرادها من قبل لدى مجموعات المصادر)

كما أن هناك دراسات مهمة في هذا المجال من أمثلتها:

Millet (G.), Inscriptions Chretiennes de L'Athos, Paris 1904 .

- Le Fevre (G.), Inscriptions Chretiennes d'Egypte, le Caire 1907

- Gregoire (H.) , Inscriptions Chretiennes d'Asie Mineure, Paris 1922

أما العملة البيزنطية، فهناك دراسات قليلة ومهمة عنها بالفرنسية ، والإنجليزية نذكر من أمثلتها:

- Sabatier (J.), Description Generale des monies byzantines, 2 vols , Paris 1863 .

- Wroth (W.), Catalogue of Byzantine Coins in the British Museum, 2 vols ., London 1908 .

- Fagerlie (J.M.), Late Roman and Byzantine Solidi Found in Sweden and Denmark , New York 1967

- Witting (P.), Monnaics Byzantine Paris 1975

= سرية تصدر من جانب المعهد البريطاني للأثار في أنقرة، British Institute of Archaeology at Ankara - Kara's Journal .

كذلك هناك مجلة دراسات أناتولية Anatolian Studies ولا تغفل التقرير الأثري

Archaeological Report

وهو تقرير سنوي يصدر كملحق لمجلة الدراسات الهلنسية Journal of Hellenic Studies

Whittow , The Making of Byzantium 600-1025, p. 426 .

عن ذلك انظر

- Grierson (p. *Byzantine Coins*, London 1982 .
- Hendy (M.F.), *Coinage and Money in The Byzantine Empire 1081-1261* , Dumbarton Oaks , Washington 1964 .
- *Studies in the Byzantine Monetary Economy 300-1450* , Cambridge 1984
- *Catalogue of the Byzantine Coins in the Dumbarton Oaks Collection and in The Whistmore Collection* , ed. by Alfred R. Bellinger and Philip Grierson: vol I. الجزء الأول

من أناستاسيوس إلى موريس ٤٥٦-٦٠٢م

Anastasius I to Maurice, 451-602, 1966 .

الجزء الثاني vol II

من قوكاس إلى ثيودسيوس الثالث ٦٠٢-٧١٧م.

Phocas to Theodosius III, 602-717, 1968 .

الجزء الثالث Vol. III

من ليو الثالث إلى نقفور الثالث ٧١٧-٨١٠م.

Leo III to Nicephorus III 717-1081, 1973 .

وهكذا : فإن ذلك الكاتالوج يحتوى على نماذج من العملات البيزنطية من منتصف القرن الخامس - حتى أوائل ثمانينيات القرن الحادى عشر م.

وبصفة عامة : يعد Hendy أهم من اهتم بدراسة العملة البيزنطية

- Lopez (R.) , "The Dollar of The Middle Ages", J.E.H., vol II, 1951 , pp. 209-234

ذلك مدخل بلبيوغرافى أولى عن التاريخ البيزنطى من خلال النماذج المختارة ، أما الصفحات التالية فيتم تخصيصها لبحث مشكلات دراسة تاريخ الامبراطورية البيزنطية  
أما المشكلات المتبقية التى تواجه الباحث فى دراسة التاريخ البيزنطى فهى تحتل أهمية كبيرة، فالباحث الذى لايفر كمها : يكرر ما قاله المؤرخون الآخرون دون دراية بالقضايا المنهجية

التي هي أساسية في التعامل مع المصادر التاريخية، وكذلك الدراسات الحديثة، ويلاحظ هنا: أن دراسة وقائع التاريخ من زاوية المشكلات المنهجية من شأنه استنطاق موضوعي للمصير الحضري والمرجعية. وفي نفس الحين يعين ذلك على التوصل إلى زوايا متعددة في تاريخ تلك الإمبراطورية، وفي تصوري أنه لا جدوى من دراسة ذلك الفرع من الدراسات التاريخية الخاصة بأسيا الصغرى، وشرقي أوروبا في القرون الوسطى دون دراسة إشكالياته المنهجية: فهي المدخل الحقيقي والأساس العلمي الذي لا يمكن تجاهله

والواقع أن مشكلات دراسة التاريخ البيزنطي متعددة ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الامتداد الزمني للتاريخ البيزنطي؛ إذ عُمِّرت الإمبراطورية البيزنطية على مدى المرحلة الواقعة من القرن الرابع م إلى القرن الخامس عشر (تجديداً من ٣٣٠ إلى ١٤٥٣ = ١١٢٣ عاماً)؛ وهي بالتالي تعد أطول كيان سياسي «معمر» على مدى العصور الوسطى. وبالتالي فاقت بمراحل من قبل الإمبراطورية الرومانية التي عمرت خمسة قرون إلى أن سقطت على أيدي الجرماني عام ٤٧٦م، وكذلك الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي عمرت من القرن العاشر م إلى القرن السادس عشر؛ كما فاقت دولة الإسلام في الأندلس التي عمرت ثمانية قرون، والدولة العباسية التي امتدت نحو ستة قرون. ومعنى ذلك: أن الإمبراطورية البيزنطية تعد الكيان المعمر الأول في عالم العصور الوسطى وقد أدى ذلك للامتداد الزمني العسير مسبقاً إلى تعدد الظواهر التاريخية بها، وتعدد العلاقات الدولية بين تلك الإمبراطورية وغيرها من القوى المجاورة مثل القوط والروس والبلغار، والماجيار، والنورمان، والمسلمين، والصليبيين، وغيرهم، على نحو لا يجده لدى أي كيان سياسي آخر في مرحلة العصور الوسطى. ويلاحظ أن تاريخ بيزنطة لا ينفصل عن تاريخ علاقاتها مع جيرانها حرباً أم سلمة على مدى أحد عشر قرناً من الزمان، وبالتالي: فإن مؤرخها المحدث عليه معرفة أوضاع تلك القوى المجاورة بالضرورة

من زاوية أخرى: أدى ذلك الامتداد الزمني العابر للقرون إلى تصور بعض المؤرخين أن بيزنطة تمثل ظاهراً تاريخية فريدة وأنها تعبر عن المقدرة الفاتكة على الاستمرار والبقاء، في التاريخ، ومن ثم درس عدد من المؤرخين عوامل استمرارها<sup>(١)</sup> واعتبروا الأمر «خصوصية

١- من أمثلة تلك الدراسات: عمر كمال توليقي، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م.

٢٥-٣٩، جوزيف نسيب يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص ٧٧-٣٢

تاريخية بيزنطية : مع ملاحظة أن الاستمرار في التاريخ يتغى ألا يقاس بالمقياس الزمني فقط، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها.

ولاعقل : الإشارة إلى أن ذلك الرضع جعل المؤرخين الذين أولادوا التخصص في دراسة التاريخ البيزنطي في مشكلة حقيقية، إذ كيف يمكن الإحاطة بأحداث أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان بصورة علمية ودقيقة ؟ وفي تقديرى : أن التخصص في ذلك المجال من مجالات الدراسات التاريخية المتصلة بشرقى أوروبا وآسيا الصغرى في القرون الوسطى يتخصص في راحة محددة ثم يحيط - قدر إمكانه - بأهم ملامح التاريخ البيزنطي، وهو وضع أمكنه طبيعة دراسة تلك الإمبراطورية.

ولاعقل كذلك : اتجاه الباحثين إلى تقسيم التاريخ البيزنطي إلى عصور في صورة العصر المبكر ، والوسط ، والتأخر، وهو أمر ما كان يحدث في حالة اقتصره على عدد محدود من القرون

ثانيا : النطاق الجغرافي للإمبراطورية البيزنطية وانعكاساته فيلاحظ أن تلك الإمبراطورية شملت مناطق واسعة وامتدت في مرحلة من مراحل تاريخها مثلما حدث خلال مرحلة من القرن السادس الميلادي من نهر الفرات شرقاً إلى المحيط الاطلنطي غرباً، والأمر المؤكد أن ذلك الرضع ألقى على حكام القسطنطينية تبعات متعددة في إدارة ذلك الامتداد المتسع مما احتراه عن شعوب، وأهم، وأرقام متباينة ذات أبعاد انفصالية عن المركز.

ومع ذلك : فإن النطاق المذكور لم يكن ثابتاً ، بل لحقته تغيرات متعددة على مدى التاريخ البيزنطي المديد، ففي القرن السابع الميلادي وكنتيبة للتوسعات ثم إخضاع بلاد الشام ومصر والشمال الأفريقي وخرجت بالتالي من نطاق السيادة البيزنطية ، وفيما بعد في النصف الأول من القرن الخامس عشر م، وفي عهد الامبراطور البيزنطي 'الآخر قسطنطين' الحادى عشر لم يكن له من نفوذ سوى على القسطنطينية فقط، وذلك قبيل سقوطها في أيدي الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م.

كذلك لا تغفل : أن ذلك النطاق الجغرافي امتاز بتعدد مظاهر السطح فيه بين مناطق جبلية وسهلية وتعددت مرارده الاقتصادية ونشاط السكان فيه، وفرض ذلك بالتالي على الباحث في تاريخه إدراك كافة تلك المظاهر الجغرافية المتباينة من أجل فهم الأحداث التاريخية ذاتها

وهكذا : يتأكد للمرء أن تلك الامبراطورية مثلت كياناً سياسياً معقداً من حيث راويتي الرمان والمكان، مع عدم إغفال أن «الزمان» البيزنطي كان أكثر استقراراً من «المكان» بحكم استمرارية الأول وتغير الثاني.

تجدر الإشارة : أن ذلك الإتساع المكاني ، ومن قبل الزماني - السالفي الفكر - انعكس بالضرورة على حجم التراث التاريخي المصدري المكتوب عن الامبراطورية البيزنطية وهي التي دخلت في علاقات سياسية وحضارية متشعبة مع مختلف القوى المجاورة لها ، وحتى البعيدة جغرافياً عنها بحكم رابطة المصالح المتبادلة على كافة الأصعدة والمستويات. وهكذا : وجدنا مصادر تاريخية - إلى جانبي البيزنطية بطبيعة الحال - روسية ، وألمانية ، وفرنسية ، وسريانية وأرمينية ، وعربية على نحر يجعل المؤرخ الذي يتصدى بالكتابة عن تلك الامبراطورية يدعاً بوجود كم مصدري يصعب إحصاؤه: وهو أمر ما كان من الممكن أن يحدث في حالة محدودة البطاقيين الرماني ، وكذلك المكاني.

من الملاحظ : أن الزاوية المذكورة تتأكد لنا عتقاً نجد مصادر تاريخية متعددة لمادة واحدة ، ونلاحظ تعدد مشارب المؤرخين وانتماءاتهم الدينية والسياسية على نحر يجعل التوصل إلى الحقيقة التاريخية أو محاولة الاقترب منها أمراً شاقاً ، وهناك من يرى أن ذلك يعد مكسباً لذلك التاريخ نظراً لكون اختلاف المصادر التاريخية من شأنه إثراء الكتابة التاريخية ذاتها. نجد أن ذلك يمثل جانباً واحداً من وجهي القضية ، وعلى هذا الاعتبار : نجد أن ذلك التسرع بدعم الإشكالية العامة لدراسة التاريخ البيزنطي، بل من الممكن القول أن من الصعوبة بمكان أن يحاول الباحث التخصص في ذلك النوع من الدراسات التاريخية المتصل بأسيا الصغرى وشرقي أوروبا الإحاطة الشاملة بالمصادر التاريخية . نظراً لتعددنا البالغ كما وكيفاً ماهيك عن تعدد اللغات التي كتب بها تلك المصادر

وهكذا : يتضح لنا بجملة : أن الاتساع الزماني وكذلك المكاني كان له أثره الواضح على الكتابة التاريخية المصدرة ذاتها، على نحر دعم إشكالية كتابة التاريخ البيزنطي ذات الأوجه المتعددة

ومن المهم هنا الاقرار : أن جانبي الزمان والمكان لا يمكن دراستهما بصورة منفصلة بعد الأخرى نظراً لتلازمهما معاً.

ثالثاً : الطابع الرسمي للمصادر التاريخية . من المفارقات الحادة في التاريخ البيزنطي : أن المصادر التاريخية لتلك الإمبراطورية مصادر ذات طابع رسمى واضح المعالم في جانب كبير منها ، فلدينا تاريخ الأباطرة ، وليس لدينا تاريخ الشعوب التي صنعت تاريخها ؛ وشاكدا للباحث : أن الإشارات التي تتناول عامة الناس تعد ثانوية ومحدودة مقارنة بالمحولات الكاملة التي تناولت إمبراطوراً ما ، أو عدة أباطرة

ومن المقرر : أن التاريخ تصنعه الشعوب ونسبه المؤرخون الرسمىون للحكام ، ويصدق ذلك تماماً على تلك الإمبراطورية ، وهي بالتالى مشكلة منهجية أن يقوم المؤرخ المحدث بكتابة تاريخ خفية سياسية وعسكرية حاكمة ويغفل تاريخ كيانات اجتماعية ضخمة نظراً لعمت المصادر التاريخية في الغالب الأعم .

حقيقة أن لدينا سير للقديسين Hagigraphy<sup>(١١)</sup> ، وملاحم أدبية ، وشواهد القبور Epi- grama ، وغيرها ، وهى تقدم لنا مادة تاريخية عن عامة سكان الإمبراطورية ، ومع ذلك ؛ فإن الأمر في نطاق محدود .

رابعاً : إستثمار العاصمة القسطنطينية بمعجم التأليف التاريخي ؛ من الملاحظ أن تلك العاصمة استأثرت بإهتمام الأباطرة البيزنطيين . وكذلك المؤرخين المعاصرين أنفسهم ، وله يكن ذلك بنسب مع المناطق الأخرى من تلك الإمبراطورية ، ولذلك يمكن القول - دون اعتساب فى الأحكام ؛ أن تاريخ بيرنطة ما هو إلا تاريخ القلب البيزنطي فى الأساس ؛ أى القسطنطينية بصورة طاغية لافتكاك منها

إن الوصف السابق ؛ يجعل المؤرخ الذى يزور لأية مدينة أو إقليم أخرى فى أرجاء الإمبراطورية الشاسعة يجد صعوبة بالغة فى أن تتوافر لديه مادة تاريخية مصدرية متوازنة ، وكى يفى أجزاء بيرنطة كان مَفْبُها مقارنة بالقلب الذى كان بمثابة «البؤرة التاريخية» المكتشفة ، التى استأثرت بتصيب الأمد على حساب الأطراف .

وقد يرد البعض بأن العاصمة دائماً تكون محور الأحداث وبالتالي الكتابة التاريخية وأن ذلك ينطبق على عواصم أخرى فى القرون الوسطى مثل دمشق ، وبغداد وقرطبة والقاهرة ؛ إلا

أن العاصمة البيزنطية لمجد فيها ذلك الأمر بصورة غير مسبقة خاصة أن لدينا مؤلفات تاريخية خاصة بالحوادث الإسلامية خلال تلك القرون نظراً لبروز غط تأليفى لدى المسلمين فى صورة توريخ المدن<sup>(١)</sup>.

والواقع ؛ أن نظرة متأنية لمحتويات المؤلفات المصدرة للتاريخ البيزنطى سوف يتضح لنا أن مؤلفيها فى الحقيقة يدرسون العاصمة دون إمكانية الفكاه من سيطرتها السياسية على المعاصرين ، وسطوتها العلية من حيث المعالجة على الباحثين الأوروبيين<sup>(٢)</sup>

وإذا أجهنا إلى مقارنة بين تلك الإمبراطورية وملكة بيت المقدس الصليبية اللاتينية The Latin Kingdom of Jerusalem فعلى الرغم من أن الأولى حكمت ما زاد على خمسة ما يزيد على أضعاف حكم الثانية (القرنان ١٢ ، ١٣ م) ؛ نجد أن الأخيرة يمكن كتابة مؤلفات

١- من أمثلتها كتاب ، تاريخ مدينة دمشق الذى ألفه ابن عساکر (١١٧٦م) . وقد وقع فى ( ٨٠ ) جز . جعرا من ٨٠ مجلد قهر أكبر تاريخ ألف من مدينة إسلامية . عنه أنظر

مجموعة من الباحثين . ابن عساکر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩-١٣٩٩هـ . وراة التعليم العالمى . ط . دمشق ١٩٧٩م ، ص ٣٣- ٧٧

وبعد الكتاب المذكور من أفضل ما نتج عن المؤثرات العربية فى حقل الدراسات التاريخية . فى القرن الماضى . وهناك أيضا ما ألفه ابن العميد الحلبى (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) تحت عنوان زبدة الحلب . ونبذة الطلب فى تاريخ حلب . عن ذلك أنظر .

منحبة لبرلوى . علم التاريخ دراسة فى منابع البحث ، ط . القاهرة ١٩٩٩م . ص ١٠٧-١٠٨

٢- من أمثلة الدراسات المتخصصة فى التسططينة أنظر

Barh, Constantinople, Paris, 1906 . Hulton, Constantinople: The Story of The Old Capital of the Empire, London 1907

Schlumberger, La Pris et le sac le Sac de Constantinople par les Turcs, Paris, 1914 .

Janin . Constantinople byzantine development Urban et repertorie Topographique , Paris, 1950

MacIagar, The City of Constantinople, New York 1968

Asimov, Constantinople The Forgotten Empire, Boston 1970 .

مخصصة عن كل مدينة من مدنها سواء الإمارات الصليبية أو المدن الساحلية والداخلية ، وساعد على ذلك: أن وقعة مملكة الصليبيين في بلاد الشام كانت محدودة، وبالتالي فالحدث الحربى 'امتدت تأثيراته السياسية على المناطق المجاورة فانعكس ذلك كله على ما ورد في المصادر المعاصرة، وما أكثرها سواء اللاتينية ، والسريانية ، والأرمنية والعربية ، وغيرها

وهكذا ؛ يمكن القول أن الإتساع الزمانى ، والمكانى لم يُمكن المؤرخين المحدثين فى مجال الدراسات البيزنطية من الخروج من مأزق العاصمة المسأثرة والمتأسدة والتي تلتقى مناطق شاسعة أخرى من ريع الإمبراطورية

وهناك ملاحظة جديرة بالإهتمام ؛ تتمثل فى أن هناك مرحلة استثنائية قصيرة فى التاريخ البيزنطى المديد أمكن فيها الخروج من دائرة العاصمة على مستوى الكتابة التاريخية، وهى الفترة من ١٢٤١ إلى ١٢٧١م. حيث ظهرت إمارة بيزنطية بديلة فى نيقية ، وكذلك وجدت إمارة حرى فى طرابزون، وثالثة فى إبيروس وخلال تلك الفترة المحفودة ، والاستثنائية ؛ من مُمكن القول أن الكتابة التاريخية البيزنطية خرجت - مرحلياً وموقتاً من أسر العاصمة القسطنطينية ، إلا أنها بعد عام ١٢٧١م ؛ عادت إليها مرة أخرى.

نحسب من ذلك كله ؛ أن المشكلة القائمة تتمثل فى أن لدينا مصادر تاريخية بلي ودراسات حديثة وفيرة عن بيزنطة العاصمة وليس بيزنطة الإمبراطورية المترامية الأطراف ؛ مما عكس لتناقض الحاد بين المعالجة التاريخية للقلب والأطراف

#### خامساً : المركبة الأوروبية ، وتأثيراتها على معالجة تاريخ بيزنطة :

واقع الأمر: أن دراسة التاريخ البيزنطى بدأت من خلال المدارس التاريخية العرسية والروسية والإنجليزية، والألمانية، كما أسلفت "تذكر من قبل وهكذا ؛ فإن الريادة فى الكتابة التاريخية كانت للباحثين الغربيين دون نزاع فى صورة نشر النصوص المصدرة أو لمعدات الحديثة

ولاحعل زاوية أساسية وهى: أن فتح القسطنطينية على أيدي المسلمين بقيادة محمد الفاتح العنسى عام ١٤٥٣م ؛ جعل المؤرخين الأوروبيين يحرصون على الكتابة التاريخية عنها حفظاً لب من نصايح ، وتذكراً للعقل الجمعى الأوروبي بمراحل الصدام بين عالمى المسيحية، والإسلام خلال العصر الوسيط، وتجنباً لتكرار التجربة مرة أخرى فى غير صالح الأوروبيين.

وبلاحظ : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من نظر إلى بيزنطة بنوع من الحنين الخدق والألم الدفين على ضياع درع المسيحية الأرثوذكسية على أيدي المسلمين ، وهو أمر يتشابه إلى حد كبير في نظرة المؤرخين المسلمين المحدثين عندما يتناولون دولة الإسلام في الأندلس وسقوطها على أيدي الأسبان الكاثوليك عام ١٤٩٢م بالدراسة. ويعتبرونها بمثابة الفردوس المفقود: ونفاذاً للفردوس الموعود !

جدير بالإشارة : أن من أولئك المؤرخين الغربيين من أراد خلق نماذج من البطولة الأوروبية في القرون الوسطى ، ولذلك أحاطوا كل إمبراطور بيزنطي محارب بجيوش جرارة ، بهالة من التقدير والإتهار ، ومن ثم ظهرت في عناوين مؤلفاتهم تعبيرات مثل: « قسطنطين الكبير » ، « جستنيان العظيم » ، وغيرها من العبارات التي تعكس البالغة أكثر من المعالجة المزرعية دأها

ومن المهم ملاحظة: أن الباحثين للعرب المحدثين عندما اتجهوا إلى تأليف مؤلفات عن التاريخ البيزنطي تأثروا بملك المركزية بحكم أسقيتها ، وروادتها<sup>(١)</sup> ، ولم يكن في الإمكان الفكاك منها خاصة خلال تلك المرحلة المبكرة من مراحل التأليف التاريخي العربي الحديث عن بيزنطة وهو لا يتجاوز سبعة عقود ، ولاهراء في أن زلوية الترجمة كان لها دورها في ذلك المجال ، باستثناء مراحل تاريخية معينة كتلك التي حدث خلالها الصراع العربي - لبيزنطي كما نجده في عهود الأسرة الهرقلية ، والأيسورية ، والعمورية ، والقانونية ، وذلك كله بمعنى:

١- من أمثلة مثل ذلك التأثير ما نورهه عادل زنتون عن الصراع بين المسلمين والبنادقة في البحر الأدرياتيكي حيث ذكر ما نصه « في عام ١٠٠٤م هـ. التجار البنادقة القراصنة المسلمين في باري ورفعوا المنابر عنها . وطردوا المسلمين من أبوليا ، وبهذا نجح البنادقة في تنظيف البحر الأدرياتي من القراصنة وكسروا بذلك مخططاً هاماً إلى البحر المتوسط الشرقي » . انظر عادل زنتون ، العلاقات السياسية والكنسية ، ص ١١٥

مثل تلك العبارات أبعد ما تكون عن الواقع التاريخي لقد كان دور المسلمين حينذاك جهادياً بحتاً مشروعاً ولم يكونوا البتة قراصنة. ومثل ذلك الرأي قد يقبل من مؤرخ قروي لا من مؤرخ عربي مسلم مع نغري الشخص له ولتألفاته

أن المركزية الأوروبية كان تأثيرها محدوداً نسبياً فيما اتصل بالعلاقات الحدودية العربية-البيزنطية. أما ما يتعلق بالتاريخ السياسي، والمضاري لتلك الإمبراطورية - فالاعتماد الأوفر ساني من خلال كتابات المؤرخين الأوروبيين المحدثين.

وقد ساعد على تفاقم المشكلة: غياب مركزية عربية مقابلة، فالملاحظ أن جانباً وافرًا من الكتابات العربية المعينة في مجال البيزنطيات تقف عند حد الترجمة من المصادر البيزنطية، واللاتينية، والمراجع الحديثة الإنجليزية والفرنسية دون تصورات نقدية تحليلية مطلقة من مركزية خاصة مع وجود بعض الاستثناءات على أيدي مؤرخين وراة<sup>(١)</sup> ليس في الإمكان اغفال دورهم بأي حال من الأحوال.

ومن ناحية أخرى: من الملاحظ أن تلك المركزية الأوروبية. كان لها تأثيرها في مجال آخر، من حيث مهاجمة الدولة العثمانية "نسى كان لها فضل إسقاط العاصمة البيزنطية عام ١٤٥٣، والوصول بالإسلام إلى شرقي أوروبا، وجعل البحر الأحمر بعميرة إسلامية مغلقة وحماية الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز من مؤامرات البرتغاليين، كذلك عمل العثمانيون جاهدسين على إبقاء الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، وقد حرص المؤرخون الأوروبيون على الإساءة إليها بكل وسيلة بل والهجوم على شخص السلطان محمد الفاتح لإسقاطه من مكانته السامية كقائد عسكري شاف فذ وسياسي قدير حق - ومعهم المسلمون - ما عجز عنه السابقون عبر قرون عديدة واتهموها بأنها السبب الرئيسي في تخلف المسلمين خاصة مطلع العصر الحديث، وقد وقع ذلك الأمر، الذي تأثر به قطاع من المؤرخين العرب المحدثين - إلى قيام الراحل أ. د. عبد العزيز الشاوي بتأليف دراسته الشهيرة بعنوان الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها<sup>(٢)</sup>.

١ - في هذا الشأن انظر محمد منسى عوض، وراة العصور الوسطى في مصر ط القاهرة ٧ - ٢٠٠٢.

٢ - لم يكن للتدليل على ازدواجية المايير لدى الفريقين أن الدولة العثمانية - كما لاحظ عبد العزيز الشاوي - عسرت أكثر من ٦ قرون، أما إمبراطورية نابليون بونابرت فقد دامت ١١ عامًا فقط ١٨٠٤-١٨١٥م ثم انهضت عقب هزلة الفاصحة في ووترلو Waterloo، أما الإمبراطورية العثمانية التي انقاسا بالبحر ثلاثت فقد إتهارت في الأخرى بعد ١٨ عامًا - فقط (١٨٨٢-١٨٧٠م) عقب هزينة في معركة سيدان Sedan ومن الغريب أن - يوليو الأول والثالث لثيا اعتمادًا بالثا دعائًا من جانب المرحوب =

وهكذا : فإن المركزية الأوروبية تعد مشكلة حقيقية عند كتابة التاريخ البيزنطي؛ نظراً لكون بيزنطة تمثل جزءاً رئيسياً من تاريخ شرقى أوروبا في القرون الوسطى . ولأسبقية المؤرخين الأوروبيين المحدثين في التأليف التاريخي عنها، فلم يتركوا شاردة، ولا واردة عنها إلا وكتبوا بشأنها - من وجهة نظرهم بظيعة الحال.

ولاتفعل هنا زاوية على جانب كبير من الأهمية، تتمثل في أن تلك المركزية تدعت حالياً على نحو بارز من خلال شبكة المعلومات الدولية ("الانترنت") التي من خلال التعامل معها يتصح للباحث بجلاء وجود ما يوصف - بطرفان- من المصادر التاريخية ، والمراجع الحديثة خاصة الإنجليز، والفرنسية والروسية والألمانية في مجال الدراسات البيزنطية. أما الوجود العربي فيها فلا يكاد يذكر ، ولا نزاع في أنه خلال "عشر سنوات الأخيرة حدث ما يوصف " بانحمار معرفي، كان لتلك الدراسات نصيب منه. على نحو جعل التعامل مع نتائج الرؤية التاريخية الأوروبية أمراً لا مفر منه . وبكثافة كمية ووعوية غير مسبوقه ولم تحدث في عهود رواد الدراسات البيزنطية أنفسهم وبذلك فإن "الثورة المعرفية" تزيد من مأزق صالة الإسهام العربي في كتابة التاريخ البيزنطي وتدعم المركزية الأوروبية الطاغية

#### سادساً : مؤسسو الأبحاث البيزنطية الحاكمة ودورهم الريادي<sup>(١)</sup>.

يعد مؤسسو الأبحاث البيزنطية الحاكمة بمثابة القوة الفعلية، والمحرك للتاريخ البيزنطي مع عدم إغفال أوجه الاختلاف بينهم من حيث الدور التاريخي ذاته، والظروف الداخلية والدولية المصاحبة لحكمهم وكذلك المصادر المتاحة لكل منهم

" العربيين خاصة الفرنسيين على حين وصفوا الملوك العثمانيين على أنهم «السلطان المسد الجاهل المنعبر المستغرق في ملذاته مع جواريه الفاتحات» . «أمام كفة تلك التوجهات المتناقضة لم يكن غريباً أن يحار المذهب العنوني السائد الذم لكتابه. عبد العزيز تشديري الدولة العثمانية دولة إسلامية مفسرى عليها ج ١، ط القاهرة ١٩٨٠م، ص ٦-٧

ولا تغفل أن الفكر المصري د. حسن حنفي رأى في الحل يكمن في الاستغراب لواجهة الاستشراق وقد فصل ذلك في كتابه : انظر:

حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب ، ط بيروت مع ملاحظة أن تنفيذ ذلك على المستوى الواقعي أمر صعب المال لأمر ليس هنا مجال تفصيل الحديث فيها

١- تجدر الإشارة إلى أن القسم الثاني من كتابي أتناول فيه الأبحاث الحاكمة البيزنطية، ولا يدل ذلك =

وهكذا : من اليسر ملاحظة أن الأباطرة قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧م) ، وثيودوسيوس الأول (٣٧٩-٣٩٥م) وهرقل (٦١٠-٦٤١م) وليو الثالث الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) وميخائيل الثاني العموري (٨٢٠-٨٢٩م) والكسيوس كومنين (٨١١-٩١١م) ، وإسحق الثاني أنجيليوس (١١٨٥-١١٩٥م) ، وميخائيل باليولوغريس (١٢٦١-١٢٨٢م) ، هؤلاء وغيرهم هم التاريخ الفعلي البيزنطي - إلى حد كبير - ومن أتى من بعدهم يعدون في الغالب مجرد أباطرة ثانويين . ومعاني ذلك التاريخ مما يوصف «بعقده الامبراطور المؤسس» ، الذي يقوم بالدور التاريخي البارز ويحقق نجاحاً أو فشلاً ، ويجعل من يأتي من بعده من الأباطرة يجمعون حصداً ما يزوج إيجابها أو سلبها . ويلاحظ هنا : أن الإمبراطور المؤسس يحظى بوفرة مصدرية بارزة على عكس الاهتمام المحدود الذي وجهه المؤرخون البيزنطيون المعاصرون لم أتى من بعده . وأنعكس ذلك بالتالي على معالجات المؤرخين المحدثين أنفسهم.

بماً على ذلك : ليس من الغريب ملاحظة أن التاريخ البيزنطي واقر النشاط خلال عهد أولئك الأباطرة المؤسسين ومعاني من الحمول . والمنطوية في عهود الأباطرة التاليين مع وجود استثنائات بالطبع ولايستطيع الباحث في التاريخ البيزنطي التكاثر من ذلك الوضع الذي يأتي على حساب الدور التاريخي لباقي الأباطرة . وما أكثرهم . وهكذا يتأكد لنا أن محريات ذلك التاريخ تم حسمها في الغالب الأعم من خلال دور أولئك الأباطرة المؤسسين على نحو خاص

ومع ذلك : قد يرد البعض بأن هناك أباطرة بيزنطيين لعبوا أدواراً بارزة في التاريخ البيزنطي ولم يكونوا من مؤسسي الأسرات . ومن أمثلتهم الإمبراطور جستنيان الأول - Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، والإمبراطور باسل الثاني قصاب البلغار Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م) . وقد لعب كل منهما أدواراً محورية فالأول حلوب الهرمان . والثاني بعد - في تقدير البعض - آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار . وللدور على ذلك : يمكن القول بأن الإمبراطورين المذكورين يعدان من الحالات الاستثنائية النادرة غير أن مؤسسي الأسرات

---

على الوقوع في دائرة الإعجاب بمؤسسي تلك الأسرات غير أن تاريخ الامبراطورية البيزنطية يمكن ان يدرس من خلال ذلك التوجه مع الحرص على المقارنة بين التطورات التي حدثت في عهد كل أسرة.

انظر الملحق الخامس بأباطرة التاريخ البيزنطي وإتبعليق عليها خاصة من خلال دور مؤسسي الأسرات  
البرسطة المأكسة

-برجده عام- يعدلون أصحاب الأدوار الكبرى في التاريخ البيزنطي ومن أتى من بعدهم مجرد أباطرة تابعين ومدد حكمهم معروفة سلفاً من حيث طبيعتها على اعتبار أنهم صدى للأباطرة السابقين الكبار<sup>(١)</sup>.

سابعاً : مشكلة الطابع الذكوري للتاريخ البيزنطي وتقييد دور المرأة خاصة البعيدة عن السلطة:

من الملاحظ أن المجتمع البيزنطي كان مجتمعاً يسيطر عليه الرجل ولم يكن للمرأة<sup>(٢)</sup> الدور البارز فيه إذا ما قورنت بالرجل. وهكذا: كان المؤرخون من الرجال. ويكتبون تاريخ الإمبراطورية ويجهلوا المرأة. والإشارة إليها إلا في القليل النادر. ووجدت كتابات سخاوة بحكم التكوين الذكوري الكئسي لأغلب أولئك المؤرخين. وهكذا: كان الرجل هو المحسم والحكم في آن واحد مما انعكس بدوره على نصوص المصادر ذاتها.

وإذا ودَّ البعض بأن هناك إشارات ثرية عن المرأة البيزنطية خاصة في عالم السياسة مثل ثيودورا Theodora زوجة جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) والإمبراطورة إيريني Irene (٧٩٧-٨٠٢ م). وأناكومنينا Anna Comnena ابنة الإمبراطور الكيسوس كومنين (١٠٨١-١١١٨ م) وغيرهن. إلا أن الدور النسوي في الحياة العامة، لا تجد عنه إلا النذر اليسير. والتاريخ البيزنطي من خلال المصادر الأصلية غير متوازن والكفة الراجحة - على نحو مزكّد- في جانب الرجال لا النساء. وانعكست ذات الصفة على المعالجات الحديثة لدى المؤرخين الأوروبيين أنفسهم ومن الأمور ذات الدلالة: أنه في وسط الكم الكبير من المؤرخين الرجال لا يظهر لنا سوى مؤرخة واحدة هي أنا كومنين ابنة الكيسوس كومنين. ولو لم تكن ابنة ذلك الإمبراطور لما ظهرت إلى الساعة أصلاً كمؤرخة فديرة ذات تكوين ثقافي. وعلمى

١- سيتم تناول ذلك على نحو مفصل في ملحق خاص في القسم المخصص للملاحق.

٢- لا تزال الدراسة الثرية والقيمة التي ألفتها أ. د. عليّة المزموري: أستاذة العصور الوسطى بكلية البات - جامعة عين شمس عن المرأة البيزنطية والصادرة بالقاهرة عام ١٩٨٠م على مدى التاريخ البيزنطي بأكمله. بمثابة الدراسة المرافقة بالعربية في الموضوع للذكور ولموته بحثاً ودرساً على نحو يجهد كل من يحاول دراسته من بعدها. وعلى الرغم من صدور دراسات متعددة عن المرأة البيزنطية بالإنجليزية في الأعوام الأخيرة، إلا أنه لا توجد دراسات منشورة بالعربية- حتى الآن- تصل إلى مستوى دراسة تلك المؤرخة الرائدة وقد رأينا مزحة والذاك في مقعدها إنزال الجوانب النسبية المتصلة بتاريخ المرأة ناهيك عن تغربها على التحليل والعرض السطحي.

حاصر<sup>١</sup> ، وبذلك توصف بأنها مؤرخة استثنائية . ولا يمكن اتخاذها بالتالي كقاعدة عامة عن المرأة البيزنطية.

وهكذا : فإن المؤرخين المحدثين - دون قصد منهم- يكتبون « تاريخاً ذكورياً » للإمبراطورية البيزنطية، ودائماً كانت المرأة في تلك الامبراطورية بمثابة « المجتدى المجهول » الذى لم تسلط عليه الأضواء الكافية خاصة القطاعات البعيدة عن السلطة السياسية وهى القطاعات الأوسع نطاقاً بطبيعة الحال.

ولافتقل كذلك: أن المرأة البيزنطية دفعت الثمن غالباً خاصة خلال مراحل الحروب المتعددة التى حيقض غمارها مع الأعداء، وما أكثرهم، وكذلك خلال أحداث الثورات، والصراعات الداخلية وبالتالي : والصراعات الداخلية وبالتالي : فإن ذلك الوضع الذى لا يمكن الفكت من به يجعلنا ندرك أن تاريخ تلك الامبراطورية يشوبه النقص الدائم من خلال غياب عناصره أساسية فى تكوينه المصدري ويمثل تهميش دور المرأة عن عمد مظهرًا واضحًا دالاً على ذلك النقص.

ومع ذلك : فود أن ألفت نظر القارئ : إلى خطورة نهى توجهات بعض المؤرخات حاليًا- فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من أصحاب وجهات نظر الحركات النسوية التى تعصت لدور المرأة، ورأت أن التاريخ النسوى لم يكتب البتة بعد بروح الموضوعية ، وهكذا : فعندم قدم ذلك القطاع من المؤرخات إسهاماته وجدنا لديه التعصب للمرأة ودورها ، لتاريخي. وكأهب فى خصومة أبدية تاريخية مع الرجل ! وهو تصور مغلوط بكرر ذات المأزق الذى وقع فيه المؤرخون الرجال الذين تجاهلوا «حواء» البيزنطية» إلا ما ندر من إشارات متناثرة هه وهه . وأنصبر أن كلاً من الطرفين لم يقدم إلا رؤية جزئية متسمة لأحداث التاريخ البيزنطى الذى منعه الرجال والنساء معاً.

#### ثامناً : الطابع العلمى لمصادر تاريخ الإمبراطورية البيزنطية:

من الملاحظ أن تاريخ تلك الإمبراطورية تم تغليفه بالدين فى العديد من أحداثه فى عصور عرودت بعصور الإيمان من خلال تعاطف الظاهرة الدينية خلالها، وهكذا : نجد أن المصادر التاريخية التى ألفها مؤرخون تلقوا تعليماً كسبياً فى المقام الأول: تفيض كتاباتهم بلطابع

الديني . وهو أمر يجعل الموضع الذي يريد تفسير الأحداث تفسيراً عقلياً من خلال البحث عن الدوافع الحقيقية المحركة للحدث التاريخي . وكذلك النتائج الناتجة عنه - تجعله يواجه مشكلة حقيقية هي هل يأخذ دانساً بالتفسير الديني للأحداث ؟ أم أن هناك الجوانب الأخرى التي حرمت قطاع من المؤرخين المعاصرين على إختصاصها : دعماً للتفسير المذكور ؟ ولا يغفل أن الامبراطور البيزنطي نفسه : نظر إليه المعاصرون على أنه نائب السيد المسيح ولذلك تم ترك الجانب الأيسر من العرش شاغراً<sup>(١١)</sup> : على نحو لم يخل من الدلالة الدينية

كما أن الامبراطور كان امبراطوراً وأسقفاً معاً . ولا يغفل أيضاً أن الغرب الأوربي خلال القرون الوسطى شهد الصراع بين الامبراطورية والبابوية . أما هي بيزنطة فشلت ذلك الصراع لم يوجد إلا في حالات نادرة لاقتل بأي حال من الأحوال ما يوصف بأنه ظاهرة تاريخية

ولا تعمل : أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح مثل جدلاً محدثاً لا يمكن انكاره . وهي مرحلة من المراحل : حدث صراع محتدم على عبادة الأيقونات Icons . وكان لازماً على كل امبراطور أن يوضح موقفه من تلك القضية التي أثارت صراعاً واسع النطاق واستهلكت طاقة لإمبراطورية في مرحلة من مراحل تاريخها

وبندرج تحت ذات المشكلة : توافر عدد كبير من القديسين<sup>(١٢)</sup> في تاريخ بيزنطة . ومن أمثالهم وأشهرهم القديس يوحنا الذهبي الفم St. John Chrysostom<sup>(١٣)</sup> . والقديس

١- هسي . العالم البيزنطي . ص ٢٢٠

٢- عن ذلك انظر المدخل الجغرافي الجزء الخاص بالكتابات الهجيوغرافية

٣- القديس يوحنا الذهبي الفم . ولد في أنطاكية عام ٣٤٧م . وتعني كلمة Chrysostom أي ذهبي الفم Golden mouth . وكان الابن الوحيد لأحد ضباط الجيش الامبراطوري . وصار مبشراً بالمسيحية لند ١٢ عاماً وفي عام ٣٩٨م تم انتخابه رئيس أساقفة القسطنطينية . وقد واجه عدداً من جهين مخالفاً صدق صورته أبودوكسيا Eudoxia زوجة الامبراطور اركاديوس Arcadius ورئيس أساقفة الاسكندرية تيربولس Theophtus . ويلاحظ أن عدداً من أعماله قد ترجمت إلى الانجليزية . ونعرف أنه توفي في كرمانيا Cn-mana في بوترس Pontus في ١٤ سبتمبر عام ٤٠٧م . وبعده عهده هو ٢٧ يناير عنه انظر

Atwater, The Penguin dictionary of Saints , p. 198-199

حليل وستد . القديس يوحنا الذهبي الفم . ط . دمشق ١٩٨٢م .

حريجورى النزيانزى Gregory of Nazianzus<sup>١١١</sup> ، والقديس ديمترى St Demetry ، وغيرهم . وقد فصلت المصادر التاريخية - معجزاتهم - على نحو عكس اعتقاد معاصريهم الراسخ فيهم وتأثيرهم الكبير على الوجدان الشعبى البيزنطى العام .

وهكذا : فإن تاريخ بيزنطة يرتبط دائماً (بالتأبير) أو الدينى والمقدس الذى تعمق على مدى توالى القرون ، وصار جزءاً من «العقل الجمعى البيزنطى» حتى لحظة السقوط الأخيرة عام ١٤٥٣م .

ومن زاوية أخرى؛ كثيراً ما احتوى تاريخ تلك الإمبراطورية على ظاهرة واضحة المعالم فى صورة «تسييس الدين»؛ من أجل إضافة طابع أخلاقى تهربرى لسلوك ورجال السياسة الرحمانيين والإرضا - الجماهير التى كانت فى أحيان كثيرة تعاني من التدين العاطفى

وبلاحظ : أن تسييس الدين لم يقم به الأباطرة فقط ، بل شارك المؤرخون الرسميون فى أمره . وأيسر دليل وضاح دال على ذلك يتشتمل فى المؤرخ البيزنطى الأول يوساب القيسارى أسقف قيسارية فلسطين Eusebius Caesarinus Eusebius of Caesarea مؤلف كتاب حياة قسطنطين The life of Constantine, Vita Eusebius Caesarinus Eusebius of Caesarea حيث إعتبره الحوارى الثالث عشر للسيد المسيح عليه السلام . على الرغم من ان الدراسة المتأنية تثبت أنه كان رجلاً سياسياً ماهراً ، ودموياً عنيفاً حتى مع أقرب الأقربين ، ولم يكن الدين يمثل له أكثر من قنطرة عبور لتحقيق أهدافه السياسية العليا

تاسعاً : الطبيعة المعقدة للتاريخ البيزنطى ووجود أكثر من رؤية تفسيرية له .

واقع الأمر : يملك ذلك التاريخ طبيعة خاصة فى صورة الجدل بشأن أباطرته . ودوافع سياساتهم . وتثانيهما . ولذلك يختلف مؤرخو الدواسات البيزنطية فى العديد من وقائع ذلك

١ - حريجورى النزيانزى Gregory of Nazianzus عالم لاهوت . ولد فى أريانزوس Ananzen وكان والد أسقفاً على نزيانزوس Nazianzus فى كبادوكيا Cappadocia . وتم ترسيمه كاهناً على يد والد ، عام ٣٦٢م . وكان ذلك على عكس رغبته حيث أراد أن يكون راهباً . على أية حال فى عام ٣٧٩ . التحق بالأكاديمية فى القسطنطينية . ولاحظ أنه تولى بالقرب من أريانزوس Arianzen عام ٣٨٩ . ويعم

عبد برزق ٩ مايو . عنه أنظر Antwater, Dictionary of Saints. p. 160-161

التاريخ منذ بدايته حتى نهايته ، ولاتفعل ؛ أن الشعب البيزنطي نفسه أتمت حياته بالجدل حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام . وصار «الجدل البيزنطي» مضرب الأمثال .

ولاتفعل ؛ أن ذلك الوضع منح التاريخ المذكور نوعاً من الحيوية الخاصة ، على نحو لا نجد معه الاتفاق على مختلف قضايا الكيرى بل الإختلاف الجوى المستمر ، وهو أمر لا نجد على نفس الدرجة في تاريخ الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى المتزامن معه.

وبعبارة «الثابت» و«المتغير» فى التاريخ البيزنطي ؛ نجد أن عناصر التغير فى رصد أحداثه وتحليلها تعد متفوقة على عناصر «الثبات»<sup>(١١)</sup> ، ودعم ذلك كله اختلاف المؤرخين فى تقويمه ، وبكاد لا توجد أحداث فى ذلك التاريخ دون أن تكون فى دائرة الجدل بين المؤرخين

وأفع الأمر ؛ فقد مر التاريخ البيزنطي بعدة مراحل ، فخلال القرن ١٨م ، الذى عرف بمصر الإستندرة نجد أن فولتير ( ١٦٩٤-١٧٧٨م ) ندد بما أساء الامبراطورية الإغريقية ، ولم يجد فى أحداث تاريخها إلا كل ما يبعث على الحزى ، والعار كما لاحظ العلامة شفيق غربال<sup>(١٢)</sup> .

١- يلاحظ هنا أن تعبير «الثبات» هنا استعارى لأنه لا يوجد ثبات حقيقى فى حركة التاريخ والثبات الوحيد هو التغير

٢- عن ذلك انظر المقدمة التى كتبها المؤرخ الراحل فى تصديره لترجمة عبد العزيز توفيق جاويد للعصارة البيزنطية الذى ألفه متيقن وثقيلان

فولتير ؛ لقب أطلق على فرانسوا ماري أرويه Francois Marie Arouet de Voltaire وهو مفكر فرنسى عاش فيما بين عامى ١٦٩٤ ، ١٧٧٨م وقد تناول بالنقد اللاذع أفكار عصره وسخر من أغلب الشخصيات المعاصرة ، وتعرض من جراء ذلك للسجن فى الباستيل . كذلك تم نفيه إلى إنجلترا ، وقد خلفه لخيرته عن مأساته برونوس عام ١٧٣٠م وهاجم النظام السياسى الفرنسى من خلال الرسائل الفلسفية عام ١٧٢٤م ، وتعد مؤلفاته أحد الروافد الأساسية التى أدت إلى إنفلاق الثورة الفرنسية

عن فولتير انظر

Hunt, The French Revolution, London 1998, p. 7 .

Doyle, Origins of the French Revolution, Oxford 1990, p. 37, p. 82, p. 84

جورج كوسى ، تاريخ الثورة الفرنسية . ط . بيروت - باريس ١٩٨٩م . ص ٥٥-٥٦

محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا ، سلطة عالم المعرفة ط الكويت نوفمبر / تشرين الثامى ١٩٩٢م . ص ١٤٦ ، حاشية (٣١)

إسماعيل ياقى ، تاريخ أوروبا المعاصرة . ط الرياض ٢٠٠٣ . ص ١٠٠

وعلى ذات النهج: نجد أن المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon مؤلف الكتاب الشهير . A History of the decline and Fall of the Roman Empire أى تاريخ اصمحلل وسقوط الإمبراطورية الرومانية وقد نظر إلى تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة نظرة عقلانية وقد رأى أن تاريخ بيزنطة ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات من عمليات سفك الدماء . والاغشالات والمؤامرات للوصول إلى النصب الامبراطورى . وبوجه عام : لم ينظر نظرة تعاطف تجاهه . بل نظرة ازدراء<sup>(١)</sup>.

كذلك : لاتقبل إسهام فنلاى Finlay الذى ألف كتاباً عن تاريخ الاغريق من سيطرة الرومان حتى عصره أى حتى عام ١٨٦٤م على وجه التحديد ووقع فى (٧) مجلدات .

وبلاحظ أنه- على عكس جيبون- تحمس لتاريخ الاغريق خاصة لتدورتهم ضد الحكم التركى ، وقد نظر إلى تاريخ الدولة البيزنطية على أنه تاريخ دولة إفريقية قومية<sup>(٢)</sup> ، وبلاحظ هنا : أن المؤرخين الإغريق المحدثين نظروا إلى تاريخ تلك الدولة كما لو كانت دولة إفريقية قومية . ولذلك : أشادوا بها . ولم يعملوا على إبراز ما فيها من سلبيات

وقد انتقل الأمر إلى الروس : نظرا لكون القياصرة الروس قد اعتبروا أنفسهم خلفاء لأباطرة القسطنطينية<sup>(٣)</sup> . ولاتقبل دور بيزنطة السابق فى نشر المسيحية فى صفوف الروس . ونشر حضارتها بينهم . وهكذا : اهتم المؤرخون الروس المحدثون بإبراز التاريخ البيزنطى من خلال اهتمامهم بالتاريخ القومى الروسى .

وهكذا : نتضح لنا أبعاد المشكلة من خلال رصد سريع لتطور الاهتمام بالدراسات البيزنطية . فكل عصر كان يُشكّل تصورات مؤرخيه . وبالتالي يظهر لنا تبنى المؤرخين

١- عبد العزيز طيسان نوار . التاريخ الحديث أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية ، ١٧٨٩-١٩٧١ ، ط . القاهرة بيت . ص ٣٩-٤٣

٢- وبلاحظ أن أفضل عمل جماعى لدراسة فكر جيبون كمؤرخ من خلال كتابه المذكور هو Mckuenrick and quinauh (eds.) Edward Gibbon and Empire, Cambridge 1997

وبحنوى على (١٣) بحثاً لتقييم توجهات جيبون كمؤرخ ووقع الكتاب المذكور فى ٣٥٩ صفحة أما جيبون منه فانظر ما أسلفت الإشارة إليه من قبل

٣- رنسان . الحضارة البيزنطية . ص (من مقدمة شفيق غريمال)

اليونانيين والروس المحدثين للتاريخ البيزنطي على إعتبار أنه جزء لا يتجزأ من تاريخهم القومى<sup>١١</sup>، ويلاحظ أن كل فريق رأى فى ذلك التاريخ جوانب تدعم وجهة نظره بل ومصالحه القومية حتى فى العصر الحديث بشأصله تاريخياً وامتنك ليهزات الكنايسة من أجل دعم نصراته، ولذلك يعنى لنا القول : أن التاريخ البيزنطي: نظراً للوضع السالف الذكر احتوى على نصرات تتسم بالتباين، والاختلاف حتى أن الطبيعة الخلاقية صارت جزءاً لا يتجزأ منه . حقيقة أن ذلك أوجد نوعاً من الحيوية فى دولته غير أنه - من زاوية أخرى - يرهق باحثيه الجادين

والرافع : أن هناك جوانب بالغة القسوة ، والعنف ، والدعوة عبر فصوله لتعدد خاصة عند الصراع على المنصب الإمبراطورى مطلق السلطات ، ومع ذلك: هناك جوانب حضارية لا تنكر فيه فى صورة الحضارة الدينية ، والفنية والحربية وكذلك الأدب البيزنطي الكنسى ، والملحمى ولا تغفل : كتابات المؤرخين البيزنطيين الذين عبروا عن روح أمه كاملة : على نحو عكس أن الصورة لم تكن قائمة تماماً ، بل احتوت على جوانب أخرى مضيئة لا ننكر كذلك دور بيزنطة فى التبادل الحضارى فى العصور الوسطى مع العربيين ، والروس ، وغيرهم: مما دل على دورها الإيجابي حينذاك

وهكذا : فالمنطق يدعو إلى التصور بأن كلاً من الطرفين يحوى جانباً صائباً ، من خلال وقائع التاريخ البيزنطي ذاتها . وبصفة عامة: فإن الهجوم الزائد، والتعاطف الزائد لا يعيد فى تفريم ذلك التاريخ الحافل بالتناقضات التى قد نجدها فى سياسات أسرة حاكمة واحدة ، بل ربما سياسة إمبراطور واحد !

١- نفسه ، ص

٢- ولا أقل على ذلك من إشارة المؤرخ لستروجورسكى حيث قال ما نصه بشأن اليونانيين والتاريخ البيزنطي

"Greece had long been concerned with Byzantine history for to Greek Scholars Byzantium was simply apart of Their own national History". Ostrogorsky History of the Byzantine State, p. 11

### عاشرًا : مشكلة تأثير القِيادات الكاريزمية<sup>(١)</sup> :

احترى التاريخ البيزنطى على عدد من القِيادات السياسية والحربية التى تركت تأثيراً كبيراً على المؤرخين المعاصرين ، وكذلك المحدثين ، وكانت شخصياتهم أثره بحيث صعب التخلص من تأثيرها . وهكذا : فعندما تناولهم المؤرخون المعاصرون ، واللاحقون وجدنا قطاعاً منهم (ببهر بهم) . دُكِّت تاريخهم من خلال ذلك الطابع . وبالتالي لم يلتزم بروح الموضوعية العلمية الراجحة

وينطبق ذلك على عدد من الشخصيات مثل قسطنطين الأول (٣٢٤-٣٣٧) ، وباسل الناسى (٩٧٦-١٠٢٥م)

لانفعل : أن المؤرخين المعاصرين لذلك التاريخ ومنهم من اقترب بدرجات متفاوتة من عدد من الأباطرة بالقوا - فى أحيان متعددة- فى تقويمهم ، ولرنيطت زاوية الكاريزما بالدعائية التى نفيص بها المصادر التاريخية البيزنطية عندما يكون المؤرخ المعاصر متأثراً بأحد الأباطرة على نحو خاص عن شارك فى رفعة شأن الإمبراطورية على الصعيد الحربى والسياسى وزاد الأمر من خلال احاطة مثل تلك الشخصيات بالطابع الدينى كما أسلفت الإشارة من قبل.

ومن المهم الإشارة هنا : إلى أن تأثير الكاريزما يجعل المؤرخ لا يرى قادة التاريخ البيزنطى بالرؤية الموضوعية . بل من خلال نظرة الإعجاب الزائد بهم وتعظيم شأن كل عمل قاموا به . - على الرغم من أن المعاصرة حجاب- وهنا يتحول المؤرخ ليصبح جزءاً لا يتجزأ من مشكلة كتابة

١ الكاريزما Charisma هى إحدى المراسم التى تتصف بها القيادة ، وتعنى القدرة على بث واستلزام الإيمان لدى الآخرين والتأثير فيهم إلى حد كبير . ويرى ماكس فيبر Max Weber أن الكاريزمية قوة خلقة موزنة من التاريخ وأنه من الضروري دراستها من خلال البيئة الاجتماعية . والسياسية . والاقتصادية . والتقاليد التى تحيط بالرعيه صاحب مثل تلك الشخصية

عن مصطلح الكاريزما أنظر :

مقدمة محمد صلاح . «الكاريزمية- القدرة على التأثير على الآخرين» . مجلة علم النفس ، العدد (١٤) ، أبريل - مايو - يونيو ١٩٩٠م . ص ١٥٨-١٦٤ . أحمد الحشاش التفكير الاجتماعى ، ط ١ بيروت ١٩٨١م . ص ٥٦٩ . عبدالله محمد عبد الرحمن . علم اجتماع التنظيم . ط الاسكندرية ١٩٨٨م . ص ٧٢

حاجه بونتر الحزيرى . دور القيادة الكاريزمية . مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية . =

التاريخ المذكور : خاصة عندما يقوم بدراسة إمبراطور ما من الأباطرة لعدة أعوام من خلال « التوحيد » مع المادة التاريخية المصدرية، والمرجعية ، على نحو يجعله « جزءاً » لا يتجزأ ، منها ويلاحظ أن التاريخ البيزنطي حينئذ يعاني من تصارع « الذات » و« الموضوع »، ومثل تلك الحالة من « التشيع » بالبطل التاريخي يجعل المؤرخ الحديث يتحول كأنه مؤرخ وسمى معاصر يكتب دراسته بعيداً عن الموضوعية التاريخية الواجبة دون أن يدري . مع ملاحظة ، أن « التوحيد »، و« المعاشية » مع أحداث التاريخ البيزنطي - وما أكثرها تتعارض مع الانفصال الضروري من جانب المؤرخ عندما يقوم بالحكم بموضوعية على وقائع الأحداث، لكن ينجر بنفسه ، وبأبطاله، ومقراته - وهذا هو الأهم - من أسر الكاريزما التي من الصعب الفكاه منها

### حادى عشر : واقع الكتابة التاريخية العربية الحديثة عن التاريخ البيزنطي (المشكلة الإقليمية) :

نعاني الدراسات التاريخية البيزنطية في العالم العربى من عدم توافر مراكز بحثية متخصصة على شاكله المعروف على المستوى العالمى وكذلك المجالات العلمية المتخصصة ، ومن أمثلة تلك المراكز

- مركز الدراسات البيزنطية والبرناتية الحديثة والعثمانية فى برمتجهام بإمبشيرا

- مركز الدراسات البيزنطية فى سالونيك باليونان.

- مركز دامبرتون لويس براشطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

- مركز الدراسات البيزنطية التابع للأكاديمية المصرية للعلوم فى بلجراد.

- معهد دراسات العصور الوسطى والدراسات البيزنطية بجامعة نورثدام . وذلك على الرغم من توافر الإمكانيات المادية ، وأهمية العلاقات العربية البيزنطية وهي جزء لا يتجزأ من

= ط أبوطى ٢٠٠٣ : ص ١٠ : معهد مؤسس عربى «أضواء» على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢ - ١٣ م / ٧٠٦ هـ . ضمن حولية التاريخ الإسلامى والوسطى . م ١٣١ ، ص ٢٠٠٣ . ص ٣٦٧ . « من مشكلات دراسة تاريخ الحروب الصليبية » . ضمن كتاب الحروب الصليبية السبائك - المياه - الصليبية ط القاهرة ١٩٠٠-٢٠٠٠ . ص ٩-٢٤ ، ميشيل مان ، مرسوعة العلوم الاجتماعية . ت . عادل مختار الهوارى ، وسعيد عبد العزيز مطروح . ط الكويت ١٩٩٤م . ص ١٢

Jury and Jary, Collins dictionary of Sociology, Glasgow 1985, p. 68 .

تاريخياً الغربي . ولذلك فإن جهود الباحثين في المجال المذكور تعاني من التشرذم وعدم التنسيق . ولا أمل في تطويرها دون القيام بتأسيس مركز عربي متخصص في التاريخ البيزنطي؛ كما يعمل عليه حتى هذه اللحظة أي مؤتمر دولي واحد عن الدراسات البيزنطية في أي دولة من الدول العربية على الرغم من الإمكانيات المادية البارزة التي يشهد عليها الجميع

ولازعاً؛ في أن أي تطور في حقل الدراسات البيزنطية - على المستوى العربي - لا يمكن تحقيقه دون عقد مثل تلك المؤتمرات التي من شأنها تقديم الجديد من البحوث والدراسات واجتاد الاحتكاك مع المؤرخين الأوروبيين . لتكوين تصور واقعي عن الفجوة المعرفية التي نتمتع بين العالم العربي وبينهم.

على أية حال ؛ فإن كافة تلك المشكلات تعكس لنا أن التاريخ البيزنطي له خصوصيته خلال نواحي عدد منها عند التصدي له بالكتابة .

وقد يتصور البعض؛ أن كل كيان سياسي ما في العصور الوسطى سواء في "شرق الإسلام" أو في آسيا الصغرى أو شرقي أوروبا أو في الغرب الأوربي . كانت له مشكلاته الخاصة به في المعالجة التاريخية من خلال طبيعة المصادر ذاتها على نحو إنهكس بدوره في معالجة المؤرخين المحدثين أنفسهم . ومع ذلك ؛ تبقى هناك « خصوصية مشكلات الكتابة التاريخية » . وهكذا ؛ فإن الامبراطورية البيزنطية لها طابعها الخاص على نحو مبرزها على غيرها من الكيانات السياسية الكبرى حصة لدى عالم العصور الوسطى العام بالاحداث والصراع، والمواجهات بين مختلف القوى "دولية".

لذلك عرّض عن مصادر التاريخ "بيزنطي" ثم مشكلات دراسته . أما الصفحات التالية، فمن تعميمها لعرض أهم ملامح ذلك التاريخ من خلال تناول الأمر الحاكم.

القسم الثاني

تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٣٣٠ - ١٤٥٣ م



## تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة

٣٣-١٤٥٣م

يتعرض هذا القسم من الكتاب للملاح التاريخ البيزنطي على مدى القرون المتعددة التي شكلت التطور التاريخي لتلك الإمبراطورية المعصرة.

واقع الأمر؛ افتتحت بيزنطة تاريخها بالجلد بين الباحثين بشأن عام الميلاد<sup>(١١)</sup>، ولجسا إلى أقدم عرضاً موجزاً عن أهم الأراء التي قيلت في هذا الشأن:

أولاً: هناك من تصور أن عام ٢٨٤م يصلح ليلاد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية على اعتبار أنه يمثل حداً فاصلاً في تاريخ الدولة الرومانية حيث تولي حكمها الإمبراطور دقلديانوس وهو أول من اتجه إلى تقسيم الإمبراطورية إلى قسمين شرقي - وغربي<sup>(١٢)</sup>.

١- اعتمدت في هذا الشأن على ما أورده أ. س. جوزيف نسيم يوسف حيث تقدم أفضل عرض بالعربية أنظر

جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨-١٤٥٣ ط. الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص ١٥-٢٢  
كذلك هناك تناول مهم في المقدمة التي كتبها أ. س. رأفت عبد الحميد في تقديم الترجمة العربية لكتاب  
هسي ، أنظر هسي ، العالم البيزنطي ، ترجمة رأفت عبد الحميد ، ط القاهرة ١٩٩٧م ، ص ٣ - ٦٤

٢- يتطلب الأمر تسليط الضوء على ما عرفه الأزمنة للقرن الثالث الميلادي، حتى يمكن معرفة قيمة الدور الذي قام به دقلديانوس ، فلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية خلال المرحلة من ٢٣٥م إلى ٢٨٥م اعتلى العرش خلالها أكثر من ٢٦ إمبراطوراً وقد اغتيل أغلبهم وكان من يصل إلى العرش يقوم باغتيال معارصه ، ولا يعمل أن من مظاهر تلك الأزمنة عدم الاستقرار السياسي والإضطراب الاقتصادي ، وتأثير غارات القبائل الجرمانية والفرس وعند تولي دقلديانوس الحكم تتبع بموجة الإدارة ، فعمل على الفصل بين السلطتين العسكرية والمدنية ، وجعل الإمبراطورية تنقسم إلى قسمين قسم شرقي وآخر غربي وكل قسم يشرف إمبراطور يتنوب بلقب أغسطس Augustus كذلك اتخذوا إجراءات أخرى كان من شأنها إبقاء الإمبراطورية نفسها بعيد من اضطراب عن ذلك انظر

رستو فرتز ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الإحصائي والاقتصادي ، ت. زكي علي ومحمد سليم سالم ، ط القاهرة ١٩٥٧م ، ج ١ ، ص ٦٠٤-٦١٧

سيد الناصري ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والخصاري ، ط. القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٢٧٩- ٢٨٠

حسن ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣-١٨

ثانياً: رأى البعض أن عام ٣٢٣م. وهو عام تولية الامبراطور قسطنطين عرش الامبراطورية، هو الأجدد بذلك نظراً للتغيرات الفعالة التي حدثت خلال عهده، وهو أمر يستضح من خلال الصفحات التالية.

ثالثاً: وجد إيجاب آخر يقرر أن عام ٣٣٠م<sup>(١١)</sup>؛ الأجدد بأن يكون تاريخ ميلاد الامبراطورية البيزنطية نظراً لافتتاح القسطنطينية في ١١ مايو منه، والتي عدت عاصمة تلك الامبراطورية.

رابعاً: فُصل البعض عام ٣٩٥م على اعتباره أنه العام الذي قام فيه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I بتقسيم الامبراطورية إلى قسمين شرقي حكمه ابنه أركاديوس Arcadius، وغربي. وحكمه ابنه هونوريوس Honorius<sup>(١٢)</sup>.

خامساً: اتخذ فريق آخر من المؤرخين عام ٤٧٦م - بداية ذلك التاريخ على اعتبار إسقاط روما فيه على أيدي الجرمان بقيادة ادواكر Odoacer وانتهاء حكم الإمبراطور رومولوس أوجستولوس Romulus Augustulus آخر امبراطور روماني، وبذلك انتهت الامبراطورية في الغرب - وعند أصحاب ذلك الرأي - بدأت الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية

سادساً: هناك من قرر أنه حتى عهد الامبراطور جستينان الذي امتد عهده بين عامي ٥٢٧ إلى ٥٦٥م؛ لم يكن هناك دولة بيزنطية بالمعنى الشائع لتلك العبارة؛ إذ حاول استعادة 'لقسم الغربي من الإمبراطورية من أيدي الجرمان، ولذلك؛ اعتبره ذلك الفريق آخر إمبراطور روماني، كما أوضح جوزيف نيسيم يوسف<sup>(١٣)</sup>.

= أيضا هذه الدراسة:

محمد السيد محمد عبد الفتاح، بحث من تاريخ مصر تحت حكم الرومان، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م.

ص ١٢٧ - ص ١٤

١- وفي هذا المجال يقرر السير ستيفن رنسيمان ما نصه:

"The year 330 is the best date to take as The Starting-point for Byzantine History"

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11

٢- اعتقد محمد صلاح سالم؛ أن ذلك التقسيم حدث بعد مصرع الامبراطور جوليان وهو أمر بعيد عن

الدراب، انظر محمد صلاح سالم، القدس - الحق - التاريخ والمستقبل، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٥٢

٣- تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٨

سابعاً : رأى فريق آخر : أن بداية ذلك التاريخ عام ٥٦٥م؛ وهو عام وفاة الامبراطور السالف الذكر؛ حيث قُتلته جهوده في استعادة القسم المفقود من الامبراطورية . وكان على القسم الشرقي أن يتجه اتجاهاً جلياً خاصاً به .

ثامناً : وهو اتجاهاً يقول بهام ٧١٧م ؛ وهو عام تولية الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري Leo III The Isaauran الحكم في القسطنطينية وتصديه لحصار المسلمين لها حينذاك وكذلك ظهور الخلاف حول عبادة الأيقونات

تاسعاً : هناك قطاع من المؤرخين قرروا أن عام ٨٠٠م. هو العام الذي يبدأ به التاريخ البيزنطي؛ ففي ذلك العام: تم تتويج شارلمان إمبراطوراً في كنيسة القديس بطرس St. Peter في روما. فمنذ تلك الحادثة- في تقدير ذلك الفريق - شهدت إمبراطوريتان واحدة في الغرب وأخرى في الشرق في صورة الإمبراطورية البيزنطية.

ومن وجهة نظري : أرى أن عام ٣٣٠م ؛ وهو العام الذي شهدت فيه القسطنطينية العاصمة البيزنطية ، هو الأرجح لبداية التاريخ البيزنطي. حيث أن تلك المدينة كانت بمثابة القلب بالنسبة للإمبراطورية واستمرت الأخيرة قائمة طالما استمرت الحياة متدفقة في ذلك القلب وبالتالي ، فإن تأسيسها وافتتاحها في العام المذكور لا يمثل حدثاً عادياً ؛ بل محورياً في تاريخ تلك الإمبراطورية على نحو خاص . وتاريخ العصور الوسطى بصفة عامة.

على أية حال ؛ فإن ذلك الجدل حول الميلاد البيزنطي غير خير تعبير عن الطبيعة الجدلية العامة لذلك التاريخ منذ خطواته الأولى.

أما المساء البيزنطي فقد اتفق عليه غالبية المؤرخين بأنه ٢٩ مايو ١٤٥٣م عندما فتحت على أيدي الأتراك العثمانيين بقيادة محمد الفاتح وكان حاكمها حينذاك قسطنطين الحادي عشر آخر الأباطرة البيزنطية.

جدير بالتنويه: على مدى تاريخ تلك الإمبراطورية كان شعب الموت يتهددها . وفي مرات متعددة كانت على وشك السقوط إلا أنها قاومت ذلك بكل ما أوتيت من عزيمه وقوة وقدرة على البقاء . وقد أفادت من إمكاناتها المتوافرة ؛ الجغرافية والعسكرية والاقتصادية.

وهكذا : تدرك تمامًا أن تاريخ بيزنطة ذاته بما هو إلا تاريخ تصارعها مع فكرة الموت<sup>(١)</sup> إلى أن حل بها في العام السالف الذكر كقضاء محتوم لا يمكن الفرار منه. مهما يكن من أمر: نبدأ في تناول عرضنا للعالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية من خلال الأسرار الحاكمة ونبدأ بأسرتي قسطنطين وثيودوسيوس.

---

١ - ذكر الحياة والموت للكيانات الأبرية في المعصور الوسطى حتى أن تناولها كل من يريده بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية. ونورمان كانتور بالنسبة لتاريخ أوروبا المعصور الوسطى بصفة عامة . من ذلك مؤلفاتها وهي:

Brehier, Vie et mort de Byzance, Paris 1946 .

Cautper, Medieval History birth and death of civilization, New York 1969 .

وأنتور أن تلك الثانية حاضرة بأن تطرح بصفة مستمرة نظراً لثورتها وتعدد معالجتها في الحين والآخر

## أولاً : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس (٣٢٤-٣١٨ م) :

نتناول في العرض التالي : أسرتى قسطنطين وثيودوسيوس ودورهما فى التاريخ المبكر للإمبراطورية البيزنطية . ويلاحظ أنهما يمثلان وحدة تاريخية من خلال تواصل الأحداث التى وقت خلال عهديهما

أما فيما يتصل بأسرة قسطنطين : فقد حكم فيها عدد من الأباطرة فى صورة قسطنطين Constantine الذى يحطر للبعض تقييده بالكبير (٢٢٤-٣٣٧ م) و قسطنطين الثانى Con-stantine II (٣٣٧-٣٤٠ م) و قسطنطاز Constance (٣٣٧-٣٥٠ م) و قسطنطيرس Con-stantius (٣٣٧-٣٦١ م) . وجولييان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣ م) وجوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤ م) . وقسطنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨ م) . ويعد الامبراطور قسطنطين<sup>١١</sup> صاحب أكبر تأثير من بين أولئك الأباطرة جميعاً ليس فى تواريخ تلك الأسرة فقط ، بل على مدى مراحل التاريخ البيزنطى بصفة عامة.

ومن الممكن إبراز أعمال ذلك الامبراطور على النحو التالى :

أولاً : الاعتراف بالمسيحية كأحدى الديانات القائمة فى الامبراطورية . ودوره فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م.

ثانياً : تشييد مدينة القسطنطينية . وافتتاحها عام ٣٣٠ م.

وفى ما يتصل بالانحياز التاريخى الأول : من الملاحظ أن السيد المسيح عليه السلام ولد أثناء عهد الإمبراطور أغسطس Augustus (ت ١٤ م) فى بيت لحم واتجه إلى الدعوة للديانة الجديدة

١- قسطنطين الأول : هو فلانطوس فاليريوس كونستانتينوس Flavius Valerius Constantinus ، ابن كونستانتينوس وهيلينا . وقد قام الإمبراطور دقلديانوس بالإشراف على تربيته فى تقيية . وعندما تنازل عن العرش عام ٣٠٥ م شارك والده فى حكم القسم العربى . وعندما مات والده عام ٣٠٦ م نادى به جوده إمبراطوراً . وفى ما بعد قام بهزيمة ماكستيموس Maximus فى معركة جسر ميلفيان بالقرب من روما عام ٣١٢ م . كما قام فى عام ٣١٤ م بهزيمة ليكتينوس Licinius فى تراقيا . وقد تولى قسطنطين من سيقوسديا فى ٢٢ مايو ٣٢٧ م عنه أنظر .

Eusebius, Extrats from Eusebius life of Constantine. Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol I . London 1896 . Nicol, A Biographical dictionary . pp. 24-25 .

رأيت عبد الحميد . الدولة والكنيسة . ج ١ قسطنطين . ط القاهرة ١٩٩٩ م.

ونجد في العهد الجديد صوراً متعددة لسيرة حياته ودعوته والأفكار التي أتى بها مع ملاحظة أن القديس بولس<sup>(١)</sup> St. Paul قام يندور بارز في مجال تنظيم المجتمعات المسيحية المبكرة ، وكذلك وضع أسس اللاهوت المسيحي، ويلاحظ الإنتشار الواسع للمسيحية؛ جنباً إلى جنب بحوار العقائد الوثنية مثل ديانة ميبل Cybele في آسيا الصغرى، وديانة إيزيس<sup>(٢)</sup> Isis المصرية ، ومثرا Mithras الفارسي

جدير بالذكر؛ تمكن المسيحيون من تشكيل جالية في وقت مبكر خلال القرن الميلادي الأول، ويلاحظ أنها ظلت على مدى ثلاثة قرون؛ غير معترف بها من جانب الرومان

١ - "نديس بولس St. Paul ؛ ولد في طرسوس Tarsus في كيليكية Cilicia بآسيا الصغرى Asia Minor وقد عُرف باسم رسول Saul . ومن المعروف أنه ورث المواطنة الرومانية من والده اليهودي، وقد نزع في روما عام ٦٧م. ومن عبده يوافق ٢٩ يونيو . عنه أنظر .

Atwater The Penguin dictionary of Saints, pp.266-278 .

أحمد ركي . إنزعوا فتاع بولس عن المسيح . ط. الرياض ١٩٩٥م، أحمد علي عجيبة ، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط. القاهرة: ٢٠٠٤م، ص٦٢-٦٠

٢- إيزيس Isis - معبودة مصرية قديمة لها تاريخ تمتد عبر القرون وأول إشارة إليها نجدها في مصرى الأهرامات التي ترجع إلى عام ٢٢٥٠ ق.م ونجدها هي وأختها نفثيس Nephthys تلعب دوراً بارزاً في إعادة ميلاد الفرعون. ويلاحظ أنها كانت في الأصل تجسيدا للعرش واعتبرت الأم الرمزية للفرعون. ويلاحظ أنها ظهرت في صورة التماثيل البرونزية وهي جالسة تقوم بإرضاع طفلها حيث قامت تبحث عن جسد زوجها أوروريس الذي قتله ست واعتبر الأول إله الخير والثاني إله الشر. عنها أنظر: مائقرد لوزكر ، معجم المعبروات والرموز في مصر القديمة- ت. صلاح الدين رمضان- مراجعة محمود ماهر- ط القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٢ جورج بونتر ، معجم الحضارة المصرية القديمة. ت أمين سلامة، مراجعة سيد توفيق، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٦ - ص٧٧

E. W. W. R., Isis", ed. by Sraiby young vol 1, New York 1999, pp. 487-488 .

٣- ميثراس Mithras: إله آتري الأهل عبد في فارس بوصفه إلها للعقد، والاتفاقيات ، واعتبر حافظا للحن ، والنظام . وقد دخلت عبادته روما في القرن الأول للميلاد عنه أنظر

محمد الصاير سالم . عبادة ميثراس في روما ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عا. ١٩٩٦م، ص٩٧-٩٦

كذلك تعرض أتباعها للإضطهاد خاصة في عهد الإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨ م) ، ووصل الأمر إلى الفورة في عهد الإمبراطور دقلديانوس (284-313 م)<sup>(١١)</sup> حيث نعرف أنه أصدر خلال عامي ٣٠٣ . ٣٠٤ م ؛ أربعة مراسيم قضت بهدم الكنائس ، وإبعاد رجال الدين المسيحي السجن<sup>(١٢)</sup> ، وقد اشترط تقديم القرابين للألهة الوثنية ؛ حتى يتم إطلاق سراحهم . ويلاحظ أن المسيحيين؛ اعتبروا كثافة من قتلوا من جراء الإضطهاد الروماني خلال تلك المرحلة من الشهاد . وهكذا ؛ عرف ذلك العصر بعصر الشهاد . ولاتفعل هنا الإشارة ؛ إلى أن الكتيبة المصرية جعلت عام ٢٨٤م الذي اعتلى فيه الإمبراطور دقلديانوس العرش؛ بداية لتقويمها ؛ مما عكس أهمية ومهورية ذلك العام<sup>(١٣)</sup> . بالنسبة لأقطاب مصر

مهما يكن من أمر؛ استمر الحال على هذا النحو إلى أن قام الإمبراطور قسطنطين ، وشريكه في الحكم جنتاف ليكيونيوس بإصدار ما عرف بمرسوم ميلان عام ٣١٣م<sup>(١٤)</sup> ومن خلال نصوحه يمكن استنتاج الأتي :

١- عن الإمبراطور دقلديانوس انظر ما سبق ذكره عنه وأيضاً:

Dicht, History of the Byzantine Empire, Trans. by George B. Ivcs, Princeton 1925 , p 3  
Grant, The Collapse and Recovery of The Roman Empire, New York 1999, pp. 39-48 .

٢- عن ذلك انظر:

Jones, The Later Roman Empire 284-602 , vol . I, Baltimore 1986, pp. 71-76 .

Kamil, Coptic Egypt .History and Guide, Cairo, 1990, p. 25 -٣

٤- تجدر الإشارة إلى أن الترخيم الألماني أ.و. سيك O. Seeck خرج بنظرية عام ١٨٩١م ترى أنه لا يوجد هناك مرسوم يسمى بمرسوم ميلان Edict of Milan . إذ أن المرسوم الوحيد هو ذلك الذي عرف بمرسوم التسامح Edict of Tolerance الذي صدر من جانب جاليريوس Galerius عام ٣١١م . ولغة طويلة فإن أغلب الباحثين لم يتقبلوا ذلك التصور . وفي عام ١٩١٣ م ونسبة مرور ١٦٠٠ عام على تلك الهادئة ظهرت اختلافات في العديد من الأقطار المسيحية وظهرت كتابات متعددة حول ذلك الأمر . ويقرر فانيليف ان الوثيقة التي صدرت في ميلانو في مارس ٣١٣ م من جانب قسطنطين وليكيونيوس لم يكن مرسوماً بل مجرد خطاب إلى حكام مقاطعات آسيا الصغرى والشرق عمومًا شارحاً لهم كيفية التعامل مع المسيحيين وحالاً أدرك الباحثون ذلك التصور . عن ذلك انظر

- ١- إن المسيحية ظلت أشبه شيء بحركة سرية منذ بدايتها حتى إعلان المرسوم المذكور
- ٢- لم يكن ما عرف بمرسوم ميلان أول مرسوم من نوعه يعبر عن التسامح تجاه المسيحيين بل سبقه ذلك المرسوم الذي حمل اسم كل من جالريوس وليكيينيوس . وهذا من القبضات البارزة حينذاك . مع ملاحظة أنه لم يعمل به<sup>(١)</sup>
- ٣- أقر ما عرف بمرسوم ميلان برد كافة الحقوق الدينية للمسيحيين الذين حرصوا عنها . كذلك أقر بأن تعاد للكنيسة أماكن العبادة . والأراضي التي صودرت من المسيحيين دون إبطاء . مع الإقرار بدفع تعويض مالى كبير من الخزانة الإمبراطورية لأولئك الذين اشترؤا من قبل أملاك الكنيسة<sup>(٢)</sup> .
- ولانزع : فى أن ما عرف بمرسوم ميلان يعد تحولاً نوعياً له شأنه فى تاريخ تلك الديانة حيث نقلها من مرحلة الاضطهاد إلى مرحلة الاعتراف بها بين الأديان . والعقائد الموجودة فى ربوع الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف .
- على أية حال : ثار جدل واسع النطاق حول دوافع قسطنطين لإيقاف الاضطهاد بالمسيحية . وكذلك احتمالية إعنتاقه شخصياً تلك الديانة أو إتعماد ذلك<sup>(٣)</sup> . وبصفة عامة : من الممكن القول بإدراكه مبكراً أن المسيحية حتماً سيكون لها الشأن الأكبر فى مستقبل الأيام . وأن كافة المجهودات التى بذلتها الإمبراطورية الرومانية فى سبيل اضطهادها ذهبت أدراج الرياح لمنع
- 
- Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 51-52 .
- أنظر أيضاً : محمود درويش مصطفى . التاريخ الروماني من أقدم العصور حتى بداية العصر الإمبراطورى . ط الرياض ٢٠٠٤م . ص ٣٦٧ - ٣٦٨
- ١- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى . ط . الاسكندرية ١٩٩٨م . ص ٢٨ .
- معالم تاريخ الإمبراطورية . ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م . ص ٢٦
- ٢- وسام عبد العزيز فرج . دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية . ص ٦٤
- ٣- أفضل عرض باللغة العربية عن مسيحية قسطنطين نجده لدى المؤرخ الراحل الكبير أ.د. رأفت عبد الحميد . أنظر . وأقت عبد الحميد . الدولة والكنيسة . ج ٢ . قسطنطين . ط . القاهرة ١٩٩٩م . ص ١ - ١٤
- وهو انفصل مؤرخ عيسى تخنص فى التاريخ الكنسى للإمبراطورية البيزنطية وقدم فى هذا المجال ٤ أجزاء من كتابه الدولة والكنيسة . انظر القائمة البيبليوغرافية فى نهاية الكتاب

إبشارها ، وإجبار المسيحيين على العُدول عنها . ورأى الوسيلة الأفضل للاستقرار السياسي . وكذلك دعم النشاط الاقتصادي ؛ أن يتم الاعتراف بها ضمن المنظومة الدينية القائمة في الإمبراطورية الرومانية . ولا تغفل ؛ أن ذلك السياسي المحلّك ؛ أدرك ضرورة مشاركة المسيحيين في بناء الإمبراطورية . وذلك لن يتأتى إلا من خلال روح التسامح . ونيل الاضطهاد الذي لم يقد الإمبراطورية بشئ بل شجع المسيحيين على التمسك بمبادئهم . وسقط الكثيرون منهم ضحية له واعتبروا شهداء . حظوا بأكبر تقدير في صفوف مقتضى تلك الديانة

أما فيما يتعلق بمسحيته ؛ فمن التصور أنه كان رجلاً سياسياً . ولم يكن الدين يلعب دوراً بارزاً في تفكيره بل مارس براعة لعبة توازن القوى Balance of Powers ؛ فكان مسيحياً مع المسيحيين . ووثيقاً مع الوثنيين . ويقال أنه اعتنق المسيحية . وهو على فراش الموت . وإذا صحت تلك الرواية ؛ فإنها تؤكد أنه طوال حياته لم يكن مؤمناً بها واعتنقها في اللحظة الأخيرة!

من ناحية أخرى ؛ يلاحظ أن ذلك الإمبراطور تدخل في الخلاف الذي نشأ بين أريوس Arius ، وهو أحد رجال الدين المصريين . وبين أثناسيوس Athanasius أسقف الاسكندرية . وقد مآد الأول بوحدة الله . وعارض في فكرة مساواة الأكنوم الأول والثاني في نطاق الثالوث المقدس الذي يعتقد به المسيحيون .

وقد إنجبه ذلك الإمبراطور إلى معالجة الموقف من خلال دافع سياسي في صورة أن يظل السلام قائماً في روع الإمبراطورية . ولذلك؛ عقد مجمعاً كنسياً في مدينة نيقية<sup>(١)</sup> Nicea عام ٣٢٥م شارك فيه (٣١٨) عضواً . وفيه تم تأييد أفكار اثناسيوس . وتكفير أريوس الذي أمر الإمبراطور بنفيه

---

١- عن مجمع نيقية أنظر:

Diehl, History of The Byzantine Empire, p. 9

Jones, The later Roman Empire, p. 47 Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 44 .

السيد الباز العربي، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٨-٢٩ . ميشيل جرحس، الكنيسة المصرية . ط القاهرة ١٩٥٨م، ص ٧-٧١ صبرى أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، ط القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٤-٤٥

ويلاحظ هنا: أن الخلاف حول طبيعة السيد المسيح، وتصارع البعض على الجانبين البشرى والإلهي - كما يتصور المسيحيون ذلك - مثل ركنًا ركنًا في تاريخ الفكر الكنسي، وقد استهلك طاقة الامبراطورية في جعل واسع النطاق، ولا أدل على ذلك من أن نفس الامبراطور قام فيما بعد بعقد مجمع آخر في صور<sup>(١١)</sup> Tyre وذلك في عام ٣٣٤م؛ أي قبل وثنائه بنحو ثلاثة أعوام تم فيه إلقاء قرارات مجمع نيقية السالفة الذكر. وتم تأييد آراء أريوس Arius، على نحو عكس أن عصر المؤسس البارز شهد بداية صراعات الجامعات الكنسية حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام.

ويلاحظ هنا: أن موقف ذلك الإمبراطور، وتدخله في أمور الكنيسة قد بدأ به ما عرف بالقبحرية البابوية Caesariopapism<sup>(١٢)</sup>؛ أي أنه إمبراطور، وأقف مما

ولتوضيح ذلك: تؤكد على أن الامبراطور قسطنطين ومن أتى بعده من الأباطرة - وعلى نحو خاص جستنيان<sup>(١٣)</sup> (٥٢٧-٥٦٥م) - اعتقدوا أنهم أصحاب سلطة مزدوجة فباعثهم

= ويلاحظ هنا: أن ذلك المجمع أدى إلى صدور ما عرف بمقيدة الإيمان التي تنص على أن الإله مسار للأب من الجوهر Homousios (الهوموسية) وأن الابن مولود غير مخلوق (كما يعتقد قطاع من المسيحيين) وأصبح هذا الفاتن هو الأساس الإيمانى الأرثوذكسى إلى يومنا هذا على الرغم من التعديلات التى دلت عليه بصور متعددة - عن ذلك انظر:

وأنت عبد الحميد، «سوزومينوس Sozomenus المتروخ الفزائى»، ص ١٢١، حاشية (١٧٦). عبد الواحد داره الأشرى، الانجيل والفصلية، قدم له وعلق عليه محمد على سلامة، ط. القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٤.

١- عنه أنظر. وأنت عبد الحميد، «السور البابوى بين النظرية والتطبيق»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسط، ١٣١ - تحرير قاسم عبده قاسم، وأنت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٦٢.

٢- عن مصطلح القسارية البابوية أنظر

Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 148-150, pp. 257-258.

وأنت عبد الحميد، «السور البابوى بين النظرية والتطبيق»، ص ١٦٢.

٣- حدير بالإشارة أن جستنيان - الذى سنفصل الحديث عنه فيما بعد - قرر ما نصه: «حيث أن الامبراطورية Imperium، والكنهية Sacerdotium تتيجان من مصدر واحد، فليس هناك ما يهيم الامبراطور فى إلقاء الأذى إلا بحرية الكنيسة وسعتها»، عن ذلك أنظر: وأنت عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٦٢ وأيضاً

Vasilev Op. cit., p. 148.

رومان عدوا أنفسهم الورثة التاريخيين والشرعيين للأباطرة الرومان من الناحية السياسية . ومن الناحية الدينية اعتبروا أنفسهم ورثة الرسل . وقد أطلق المؤرخون على تلك السلطة المردوجة ؛ مصطلح «القيصرية البابوية» السالف الذكر . للدلالة على أن ما يمثله البابا في الكنيسة الغربية ؛ يمثله الإمبراطورية في الكنيسة الشرقية . وهو ما شكل ظاهرة عرفت باسم اللاهوت السياسي Political Theology في تاريخ الديانة المسيحية<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة؛ وضع ذلك الإمبراطور قاعدة انتهت الإباطرة الرومان المسيحيون . أو الأباطرة البيزنطيون . وهي وثابة الإمبراطور للمجامع الدينية<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالإشارة ؛ بعد تأسيس مدينة القسطنطينية بمثابة الإنجاز التاريخي البارز لذلك الإمبراطور وهي التي ستغدو بمثابة القلب البيزنطي . وقد فكر في بداية الأمر . في إتخاذ عاصمة جديدة بدلاً من روما . وقد راوده تفكيره في إتخاذ مسقط رأسه نيش Nish الواقعة في شمالي البلقان . كذلك تصور في مرحلة أخرى إمكانية إتخاذ مدينة سرديكا Sardica لذلك الغرض؛ وهي المعروفة باسم صوفيا Sophia<sup>(١٣)</sup> . في نيقوميديا Nicomedia في الطرف الشرقي من بحر مرمرة كعاصمة له<sup>(١٤)</sup> . غير أن كافة تلك الاختيارات ناعها جانباً . ومال تفكيره إلى إتخاذ العاصمة في جهة الشرق حتى يتمكن من مراقبة تحركات كل من الفرس . والعناصر الجرمانية<sup>(١٥)</sup>.

١- عرمان عبد الحميد فتاح . "تصورية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها" . ط . عمان - ٢٠٠٤ . ص ٧٥ دراسة ممتازة لباحث ممتاز بالتحليل والعمق.

Nicol A Biographical dictionary, p. 25

٢- شارلز فورمان . الإمبراطورية البيزنطية . ت . مصطفى حنظل . ط . القاهرة ١٩٥٣م . ص ٢٩

محرم سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص ٢٨-٢٩

٤- شارلز فورمان . المرجع السابق . ص ١٦

٥- محرم سعيد عمران . المرجع السابق . ص ٢٩ . وعن الجرمان بصفة عامة أنظر .

Tacitus, Tacitus on Britain and Germany, Trans. by H. Mommsen, The Penguin Book, London 1954, pp. 101-140. La Mome, The World of the Middle Ages, New York 1949, pp. 36-50.

وبالفعل كان ذلك الاختيار الأفضل مقارنة بغيره من الاختيارات السابقة وأكدت وقائع التاريخ صحته .

وأخيراً : توصل إلى موضع جغرافى عبقرى فى صورة قرية بيزنتيوم Byzantium النسي كان قد أسسها قائد يسمى بيزاس Byzace ومعه مجموعة من إغريق مدينة ميجارا Megara عام ٦٥٧ ق.م<sup>(١١)</sup> ضمن حركة الاستعمار الإغريقى الكبرى. وقد اتخذت شكل مثلث تحيط به المياه من ثلاثة جوانب فى صورة البسفور Bosphore، وبحر مرمرة Marmara Sea، والقرن الذهبى Golden Horn.

= Wolfram, History of the Goths. Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkeley 1990, pp. 14-571

من أفضل الدراسات فى موضوعها أنظر :

Howarth, Attila king of the Huns , The Man and Myth, New York 1994 .

Wells, The Barbarian Speak how: The Conquered Peoples Shaped Roman Europe , Princeton 1999 .

Katz The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York, 1960 , p. 88-89

إبراهيم طرخان ، تالكثيرس والغزوات الجرمانية . ط القاهرة ١٩٥٩م.

على الصراوى ، ملحمة البطولة الجرمانية. ط القاهرة ١٩٧٢م. محمد محمد مرسى الشيخ. المالك الجرمانية فى أوروبا فى العصور الوسطى. ط الاسكندرية ١٩٧٥م.

محمد شاكر محمود. الجرمان . نظمهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى . رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة عين شمس ١٩٩٣م. ص٩-١١. ص١٥٠-٢٣٥

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 57 -١

محمد محمد مرسى الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ط الاسكندرية ١٩٩٤م. ص١٢. حاشية

(١٦)

وميجارا Megara: مدينة وقعت فى وسط شبه جزيرة البرتان بالقرب من خليج كورنثا، وقصل ميجارا عن كورنثا بحلج جيرانير Geraniens . كذلك فصلها عن أثينا بحلج كيرانا Kirona . وقد عرفت ميجارا سكابا منذ الفترة التوكسية، وتعرضت فيها بعد الغزو الفورى. ويبدو أن الفوريين أطلقوا عليها اسم ميجارا نسبة إلى قصور الميجاريين. وهى على نطق مضاعف خاص. واشتهر أهل ميجارا بالملاحة، وبالفعل صاروا من أوائل الإغريق الذين انجهضوا إلى إنشاء المستوطنات خلال مركز الاستعمار الإغريقى الكبرى، وقد أقاموا :

جدير بالذكر : أن العاصمة الجديدة وقعت على خط عرض ٤٣ . وخط طول ٢٩ . وكان خليج البسفور . وكذلك خليج الدردنيل بمثابة بوابتين للمدينة<sup>١١</sup> التي حملت اسم مويسها مزار اسمها القسطنطينية Constantinople وقد أعطى لها ذلك الموقع الفريد إمكانية التحكم في حركة السفن القادمة من البحر الأسود والمتجهة إلى البحر المتوسط.

والأمر المؤكد : أن القرن الفهبي مثل أهمية خاصة بالنسبة لتلك الامبراطورية الوليدة. فقبل مرور مياه البسفور في بحر مرمرة وجد هناك من الداخل إلى الشمال انغريز خليج كبير مقوس بلغ طوله مئة أميال عرف بالقرن الذهبي. وكذلك وجد بين ذلك القرن وبحر مرمرة تنوع جبلي أشبه شي يمثلك متساوي الساقين له رأس مستويه في مواجهة قارة آسيا . وبالتالي صار البحر يحتميها من كافة الجهات باستثناء جهة واحدة<sup>١٢</sup>.

= مستوطنة ميجارا جبالاليا Megara Hyblaea في صقلية تقريباً في عام ٧٢٨ ق م ومستعمرة سليمبيا Solymbrina على بحر مرمرة عام ٦٦٧ ق م . كذلك أقاموا مستعمرة بيزنطة على البسفور. وبعد بعد صار أهل ميجارا يتحكمون في تجارة البحر الأسود. عن ذلك انظر: عزت زكي حامد قادوس ، المجلات البرنانية والبلنسية ، ط ١ الاسكندرية ٢٠٠١ م، ص ١١٩ - ١٢٠ ، محمد كامل عباد ، تاريخ اليونان ، ط دمشق ١٩٩٢ م، ج ١٩، ص ١٩٩ ، فوزي مكواي ، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته من أقدم عصوره ، ص ٤٠ ، ٢٢٢ ن م ط القاهرة ، ١٩٩٩ م، ص ٨١ ، حاشية (١٣) ، حسن صبيح بكري ، الاغريق والرومان والشرق الاغريقي الروماني، ط الرياض ١٩٨٨ م، ص ١٨

Faolab, "The Transformation of Athens in The Fifth century", in Boedcker & Raallaub (eds.), Democracy, Empire and the Arts in the Fifth Century Athens, Cambridge, 1998, p. 18

وعن حركة الاستعمار الاغريقي انظر:

حسين عبد الحميد الأشرف، دراسات في تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربي، ط بس غازی ١٩٩٩.

٩٩ ص

٢- محمد سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٩

٣- جويوف نسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٤٩

وهي هذا الشأن يذكر إسحاق بن الحسن (١٠ ق ١٠ م / ٤ هـ) عن القسطنطينية ما نصه : «لها ثلاثة أبراب وحواش ، جانب إلى البحر . وجانب إلى قبريما إلى الورد» عن ذلك انظر إسحاق بن الحسن ، أمك، المرجع في ذكر الناس المشهورة عن كل مكان ، إعتنا ، فهمي سعد ، ط بيروت ١٩٨٨ ، ص ١١٩

فإذا لاحظنا أن ذلك الموقع «العبقري» قد أعطاهما مناعة طبيعية تزايدت مر خلال الدفاعات الصناعية التي شيدت بها بالإضافة إلى أهلها الذين دافعوا عنها دفاعاً منسياً عندما ادلهمت الأخطار ؛ أدركنا كيف أن تلك المدينة وقفت خاصة في العصرين المبكر والأوسط كقلعة حصينة تنظر بعين السخوية الساخرة تجاه كل من ولم إسقاطها أو نجحت من ذلك على مدى عدة قرون باستثناء حادثتين تاريخيتين سوف يتم تفصيلهما في الصفحات التالية.

من زاوية أخرى؛ أدى ذلك الموقع الجغرافي القذ إلى أن لعبت بيزنطة دوراً محورياً في تجارة عالمي البحر الأسود والمتوسط وبحارة الشرق والغرب وغنت من وراء ذلك أموراً مثلة<sup>(١)</sup> وبالتالي ؛ حققت ثراءً عريضاً اعترفت به المصادر اللاتينية الغربية قبحاً بعد<sup>(٢)</sup> . وسارت موضع حد جيرانها، ودققت - فيما بعد - ثمناً قادحاً لذلك.

على أية حال ؛ لا يفهم من القول السابق؛ أن التاريخ البيزنطي أسير المحتمة الجغرافية ؛ إذ أن تلك الأخيرة لاقيمة لها دون الفعل الإنساني تفاعلاً معها. ومن المؤكد أن شعوب الإمبراطورية التي وصفت بالحيوية والنشاط الاقتصادي الزاخر؛ استثمرت ذلك الموقع الجغرافي لصالحها بوجه عام.

= ويغني ألا يفهم من المزايا المتعددة لموقع القسطنطينية أنها كانت مشكلة العاصر، إذ أن أحوالها الماحية اتسمت بالحر الشديد في الصيف، والرياح الشمالية الباردة في الشتاء، بحر البحر الأسود . عن ذلك أنظر حوريف تسيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٤٩

١- نورمان بيترو، الإمبراطورية البيزنطية، ت. حسين مؤنس ومحمود زايد ، ط القاهرة ١٩٥٧م، ص ٧-٨

وعن التجارة في الإمبراطورية البيزنطية أنظر

Runciman, Byzantine Civilization, pp 130-142

وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط من القرن السابع وحتى ثمة القرن الحادي عشر ، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٧٧-١٣

٢- عن ثراء القسطنطينية أنظر شهيد من الغرب الأوربي

Robert Carr, The Conquest of Constantinople , Trans. by E. O. Mc Neal, New York, 1916, p 81 & 101

وينجى بعض الباحثين الغربيين إلى تصوير دور قسطنطين في إختيار موقع العاصمة الجديدة على أنه يعكس «عبقرية» خاصة ، والأمر - في تقديرى - لا يبعد أن يكون إحياءاً لموقع حمراني قديم، وحسن تقدير . والعبقرية هنا هي في الأصل عبقرية المكان في المرتبة الأولى، ومن بعدها الخبرة الإنسانية حتى عصر قسطنطين .

مهما يكن من أمر : تم افتتاح العاصمة الجديدة في ١١ مايو عام ٣٣٠م<sup>(١)</sup>، وذلك بعد أن تم اعان الأموال الطائلة على تشييدها كي تتنافس روما النثير، ونعرف أن تشييدها استغرق المرحلة من عام ٣٢٤ إلى عام ٣٣٠م ؛ أى على مدى سبع سنوات إلى أن افتتحت في اليوم المذكور في احتفال إمبراطورى مهيب<sup>(٢)</sup>.

على أية حال : احتوت العاصمة على مرافق مدنية ودينية متعددة في عصر قسطنطين وامتد عمرانها إلى درجة كبيرة فيما بعد عهده . وبصفة عامة يمكن إيراد أهم معالم القسطنطينية على النحو التالي :

« Vitehardum, The Conquest of Constantinople , in Joinville and Vitehard own, Chronicles of the Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, 1963 , pp. 58-49

ومن المصنفين أنظر . مجهول : حدود العالم من الشرق إلى الغرب، تـ. عن المارسية ومحميت برسف الهادى . ط القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٨٤

١ - على الرغم من الاتفاق على أن لفتح القسطنطينية حدث في ١١ مايو - ٣٣٠م ، إلا أن موريش اعتقد أن ذلك حدث في يوم الاثنين ١٢ مايو ٣٣٠م، وهو ما لا يجد من يزيد ، انظر رأيه Norwich, Byzantium, The decline and Fall, New York 2000, p. XXXIII .

أما الرأي الصحاح لجدد لدى :

Runciman, Byzantine Civilization, p. 11

٢ - عن ذلك هذه المقالة المهمة

Emcreau, " Notes Sur Les Origines et la fondation de Constantinople " , R.A.T., XXI, 1925 . pp. 1-25

رابعاً

Diehl, Byzantium, Growth and Decline, New Jersey 1957, pp. 94-111

اشتملت على القصر الإمبراطوري ؛ وهو مركز المدينة ، ووقع في الجزء الجنوبي الشرقي  
- تم إقامة الهيبودروم Hippodrome أو ساحة السباق وظل على مرأى القصر . واحتوى  
على مقبورة عرفت باسم الكاسيسما Kathisma وظل من خلالها الإمبراطور على الشعب  
عد مخاطبته له

- ابتداءً من مدخل القصر وساحة السباق إلى امتداد ميلين كان هناك الشارع المسمى  
« الشارع الأوسط » وهو متسع تحف به من جانبيه العقود (البواكي) وكان يمر من خلال سوقين  
أحدهما سوق قسطنطين الملاصق للقصر ، وفيما بعد ؛ تم إقامة سوق ثيودوسيوس الذي فاقه  
في المساحة ، وفرغ في النهاية إلى شوارعين رئيسيين كذلك وجد عدد من الكنائس وبكثافة  
عديدة ومن أشهرها كنيسة القديس سرجيوس . والقديس ياكوس .

- لا تغفل اللسعة الجمالية التي وجدت في القسطنطينية ، حيث أقيمت التماثيل ومن  
بيها تمثال لأثروديت . - إلهة الجمال عند الإغريق في حي زيجما الواقع على القرن الذهبي .  
- احتوت المدينة على شوارع متعة ، وأخرى ضيقة ، وفيما بعد اشتملت على القصور  
القيمة ، والأكواخ الصغيرة ، كذلك الحدائق الغناء .

- أحيطت بسور قوي كان في عهد قسطنطين يمتد من القرن الذهبي إلى بحر مرمرة<sup>(١)</sup> .  
ومع تعاقب القرون بعد عصر قسطنطين ازداد عمرانها ، واحتوت على مظاهر للفخامة والعظمة  
حتى أن السانحين والرحالة الذين قدموا إليها أعجبوا بما شاهدوه فيها<sup>(٢)</sup>

Runciman, The Byzantine Civilization, p.

٢- عن أوصاف الرحالة والجغرافيين "سليج - على سبيل المثال - للقسطنطينية أنظر ابن العديم كتاب  
البلدان ، تحقيق يوسف النهادي ، ط بيروت ١٩٩٦م ، ص ١٨٣ ، ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ط القاهرة  
١٩٠٩-١١ ، ابن رسته ، الأغلاق النفيسة ، ط بيروت ١٨٩٢م ، ص ١١٩-١٢٣ ؛ ابن حوقل ،  
صورة الأرض ، ط بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٧٧ ، القفسي ، أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم ط بيروت  
١٩٤٥ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط بيروت ١٩٩٨م ، ص ٦٠ ؛ ليلى عبد الجواد ،  
«القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين» ، الموزن الحضري ، العدد (٣) ، يناير ١٩٨٩م ،  
ص ١٥١-٢٠٢ ، العدد (٤) ، ص ١٠٩-١٤٥ شمس الدين الكيلاني ، صورة أوروبا عند العرب في  
القصر المحيط ، ط دمشق ١٩٠٤م ، ص ٢-٣

ولاتفعل هنا الإشارة : إلى أن قيام الإمبراطور قسطنطين بالإنتقال إلى الشرق وتبنيده  
للك العاصمة جعلت بعض المتحمسين للبابوية يعتقدون أنه ابتلى بمرض الجفام ، ولم يشف إلا  
بصلوات من البابا سالغستور الأول<sup>(١١)</sup> (٣١٤-٣٣٥ م) ، ورددوا أن ذلك  
الإمبراطور كافأه بإصدار قانون يمنح البابا لبس التاج ، واستعمال الصولجان كالأباطرة تماماً ،  
وحتى لاتأثر السلطة البابوية بوجود الإمبراطور في روما؛ فكرر في تركها للبابوية. وقد اشتهر  
ذلك بما عرف بهبة قسطنطين Donation of Constantine. وهي هبة مزعومة ظلت ذات  
تأثير طوال العصور الوسطى إلى أن فندما الباحث الإيطالي لورانتزو فاللا Loranzo Valla  
عام ١٤٤٠م من خلال بحث تناولها بالدراسة والتحليل ، حيث قرر أن انتقال الإمبراطور  
قسطنطين إلى الشرق لادخل له اليته بتلك الهبة المزيفة<sup>(١٢)</sup> . وبالتالي سقطت تلك الهبة

= وعن الرحلة والرحالة الغربيين في الإمبراطورية البيزنطية أنظر هذه الدراسة الستارة:

Ciggaar , western Travellers to Constantinople . The West and Byzantium 962-1204 : cul-  
tural and Political Relations. Leiden 1996, pp. 1-77 .

وأيضاً

Majeska (G. I. Russian Travelers to Constantinople in The Fourteenth and Fifteenth Ce-  
nuries, Washington 1984 .

وعن الوصف الطبوغرافي للقسطنطينية وعمرانها أنظر:

Janin, Constantinople byzantine : developement urbain et repertoire Topographie , Paris,  
1950

١- مفكر الأول : بابا وقديس . تولي النصب البابوي خلال المرحلة من ٢٩ يناير ٣١٤ إلى ٢١ ديسمبر  
٣١١م إلى ١٠ يناير ٣١٤م. عن ذلك انظر.

Kelly , Oxford dictionary of Popes . pp. 26-28 .

٢- عن هبة قسطنطين أنظر هارتمان وإيراكلاف . الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى ، ت جريز  
سيم يوسف ط الاسكندرية ١٩٨٤م. ص٥٥

ميلاد القروى . تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م. منشورات جامعة قار يونس. ط. بتعازي ١٩٩٦.  
ص٢٥

الأكاديمية بعد أن ظلت سيقًا مشرعًا لعدة قرون يسقطه أنصار الباهوية ضد أنصار الإمبراطورية.

من ناحية أخرى ؛ نلاحظ عن ذلك الإمبراطور المؤسس روايات تاريخية صاحبها جانب أسطوري. وقام المؤرخ البيزنطي الأول يوساب القيساري Eusebius Caesarensis - كما وصفه البعض - بدور بارز في هذا المجال حيث اعتبره الحواري الثالث عشر السيد المسيح - كما أسلفت الإشارة من قبل - ومن قبيل تلك التصورات الأسطورية؛ تلك الرواية الشائعة عندما رأى في ليلة من ليالي خريف عام ٣١٢م صليبا من الثور مكتوب عليه «ههنا سرف تنصر»<sup>١١</sup>، وردده المؤرخون أن تلك الحادثة كانت سببا في إتخاذهم للصليب شعارا . ومن الجلي البين ؛ أن الوقائع التاريخية لا تفسر بمثل تلك التصورات بل من خلال الدوافع السببية وتناجها المتوقعة على المدى القصير والبعيد. خاصة بالنسبة لقيادة بارزة مثل قسطنطين

---

١- ترددت تلك الرواية كثيرا ، وتم الأخذ بها على اعتبار أنها حادثة من يوساب القيساري مزج حيرة حياة قسطنطين. بينما علينا ألا ننفل أن ورودها لديه؛ عكس الطابع الديني الذي أخفاه على الإمبراطور ، مع ملاحظة أن ما نسب إليه من قتله لزوجته الثانية. وابنه يتغيان تلك الصيغة الدينية التي أراد إصفاها ذلك المؤرخ على سبيل .

عن ذلك أنظر: هارولد أبلدن سمايل. مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ت عبد اللطيف أحمد على ومحمد عواد حسنين. ط. القاهرة ١٩٥٤م. ص١٣ . عبد القادر البروف . الإمبراطورية البيزنطية، ط بيروت ١٩٦٦م. ص١٣

من جهة أخرى؛ وتعميدا للفكرة السابقة؛ من الملاحظ أن زوجته الثانية فاوستا Fausta قامت بدور بارز في التأمر على ابنه كرسوس Crispus من زوجته الأولى سرثينا Minervina وقد اتهمته بأنه هام بها حبًا ، ولذا قرر قسطنطين بالفعل إعدام ابنه في بولا Pola عام ٢٦١م فمات إما بالبلع أو بالسقم. وفيما بعد عندما اكتشف براة ابنه من ذلك الاتهام؛ نعم ندمًا شديدًا وشبه له قتلًا دهيًا نقش عليه عبارة تقول «إلى ولدى الذي اعدمته بغير حق» «أما فاوستا ، فقد اتهمتها أمه هيلينا انتقامًا من مقتل كرسوس بوجود علاقة مشبهة لها مع أحد العبيد في الاسطبلات الإمبراطورية. وبالفعل ؛ تم قتلها عن طريق البعار المتصاعد الناتج عن غلي الماء.

عن ذلك انظر: إدوارد جيبون ، إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ت. محمد علي أبو درة. ط القاهرة ١٩٩٧م. ج ١ ص ٣٨٠ - ٣٨١ ؛ عليه الجنزوري . المرأة في الحضارة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٨م. ص٦٩٨-٧٠٠

لقد تأثر بالرواية اليوسابية المؤرخون في العصر الوسطى وامتد الأمر إلى العصر الحديث ودائماً يورد أسسه على أنه « قسطنطين الكبير »، وانتقل الأمر إلى المؤرخين العرب بالصورة ١؛ والأمر لا يخلو من زاوية الدعاية التي تفيض بها مصادر تاريخ العصور الوسطى سواء في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوروبي على حد سواء.

كذلك لا تنقل أن المؤرخين الذين وقفوا في أسر « كاريزما » البطل المؤسس؛ نظروا إليه بانبهار؛ فبالفرا في مختلف سياساته ، وأنعكس ذلك بدوره على كتاباتهم التاريخية .

تبقى زاوية محورية عن عهد الامبراطور قسطنطين ، تركت أثراً كبيراً على التراث الروحي خلال العصور الوسطى؛ إذ أن أمه هيلينا Helena<sup>(١١)</sup> ، زارت مدينة بيت المقدس، ويقال أنها عثرت هناك على بعض الآثار المسيحية المبكرة . وقامت بتشييد كنيسة المهد في بيت لحم . وكنيسة القيامة في بيت المقدس<sup>(١٢)</sup> اللتان صارتا أهم المزارات المسيحية في فلسطين طوال العصور الوسطى وحتى عصرنا الحالي.

#### ١- عن دور القديسة هيلانة أنظر:

Eusebius, *Extrait From Eusebius life of Constantine*, Trans. by John Bernard, P. P. T.S., vol. I, London 1896, p. 11 .

Kuelzer, " Byzantine and Early Post Byzantine Pilgrimage to The Holy Land Travel, in Macrids, (ed.) *Travel in Byzantine World* Byzantine World, Bulington 2002, 152-153

إسحق عبيد ، قصة عشور القديسة هيلانة على خشبة الصلب أسطورة أم حقيقة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، م ( ١٧ ) ، عام ١٩٧٠م، ص ٥-٧١ . عليه الجنتوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٢٩-١٣٤ . هنري كاك، القس الشريف، تد. نور الدين كنانة، ط. عمان ١٩٨٩م، ص ٥٨ . حاشية (٢) محمد مزني عوض ، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الغروب الصليبية، ع القاهرة ١٩٩٥م، ص ٦٢، حاشية (٥٠)

٢- كنيسة القيامة Church of Resurrection بتتها هيلانة أم قسطنطين عام ٣٢٥م، عند الجلجثة ، وهو الموقع الذي يقال أنه عندته تم اكتشاف ما يعتقد أنه خشبة الصلب . ويلاحظ أن الفرس قاموا بإحراقها في عهد كسرى عام ٦١٤م وقت إعادة بنائها على يد الراهب موهبتين عام ٦١٧م . وفيما بعد عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب إليها عام ٦٣٦م، رفض الصلاة فيها حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد، وقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ١٠٠٩م بتدميرها وإز عمل ابن الخليفة الظاهر على إعادة بنائها بمقاربة

لقد دعمت هيلانة أمر الحج إلى فلسطين ، ومنذ القرن الرابع الميلادي . تدفقت جموع عفيرة من الحجاج إلى هناك لزيارة تلك المواقف التي شهدت الذكريات المبكرة للمسيحية . وفيما بعد ، صارت هيلانة تحمل لقب قديسة . St. Helena .

بصفة عامة : وصلت إلينا كتابات عدد كبير من الحجاج الأوروبيين الذين زاروا تلك البقاع ، وسجلوا خواطهم . ومشاعهم حتى صار أدب<sup>١١</sup> الحج المسيحي وكثا ركيئا من أذاب العصور الوسطى . وصار مصدرا أساسيا من مصادر دراسة تلك الحقبة التاريخية التي نشطت فيها الظاهرة الدينية .

مهما يكن من أمر ؛ خلفت قسطنطين . أبنائه الثلاثة قسطنطين الثاني (٣٣٧ - ٣٤٠ م) ونسطانز (٣٣٧ - ٣٥٠ م) وقسطنطينس (٣٣٧ - ٣٦١ م)<sup>١٢</sup> .

= عام ١٨٣٤م ، ولم يتم إصلاحها إلا عام ١٨٦٩م بإتفاق فرنسا وروسيا وإشراف الدولة العثمانية . عن كيسة القيامة أنظر :

Arculfus, The Pilgrimage of Arculfus in The Holy land , Trans . by Macpherson .

P.P.T.S., vol . III, London 1885 , p. 45 .

ناصر حسرو ، سفرنامه ، ت . يحيى الخشاب . ط . بيروت ١٩٨٢م . ص ٧٤ - ٧٦ . الإديريسي . نزهة المشان في اختراق الألقاق . ط . بيروت ١٩٨٩م . ص ٢٥٨ . فاروق عز الدين . القدس تاريخيا وجرافيا . ط القاهرة ١٩٨١م . ص ٧٤ - ٧٥ . عماد الدين خليل . « فلسطين في الأدب الجغرافي العربي » ضمن كتاب . دراسات تاريخية . ط . بيروت ١٩٨٢م . ص ١٢٩ . رشدي الأشهب . المعالم الأثرية في فلسطين ط القدس ٢٠٠٢م . ص ٣٩ . محمود سعيد عمران . « أركونف وزحفه إلى الشرق . ندوة تشاويغ الإسلامية والوسط . م (٢) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد . ط . القاهرة ١٩٨٥م . ص ٢٢٧

وقد تصدّر زياد الذي أنشأ شعبته في عهد قسطنطين الرابع وهو وأبى جانيه الصواب . انظر زياد عبد العزيز الدس . مدينة القدس . وجولها خلال الفترة ١٧١٥م / ١٢٢٥هـ / ١٨٠٠ - ١٨٢٧م ط عمان ١٩٩٦م . ص ٢٩٦

٢ - محمود سعيد عمران . الامبراطورية البيزنطية وحضارتها . ط . بيروت ٢٠٠٢م . ص ٢٩  
توفي قسطنطينس وقسطانز . وهكذا ؛ انفراد قسطنطين الثاني بالسلطة عام ٣٥١م .

ليحكم الإمبراطورية عشر سنوات حتى موته عام ٣٦١م<sup>(١)</sup>، وخلالها : تنافس الخطران الفارسي والجرماني من خلال ظهور قبائل الهون. وإن أمكن تجنب ذلك الخطر مرحلياً من خلال الامبراطور جوليان .

على أية حال : يعد الامبراطور جوليان الملقب - من جانب أعدائه- بالمرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣م)<sup>(٢)</sup>، من أهم الأباطرة في أسرة قسطنطين وخلال مدة حكمه

١- محمود سعيد عمران، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٦١

٢- جوليان Julian هو فلافيوس كلاوديوس جوليانوس Flavius Claudius Julianus، وهو ابن أخي قسطنطين الأول، كما أنه ابن عم الإمبراطور قسطنطينوس Constantius وقد أطلقت عليه الكبة تعبير المرتد Apostate، وتولى في شهر يونيو عام ٣٦٣م. عنه أنظر Julian Works, Trans. by W.C. Wright. 3 vols., London 1913.

Gardiner, Julian Emperor and Philosopher and the last Struggle of Paganism against Christianity, London 1895.

Ridley Julian the Apostate and the Rise of Christianity, London . 1937

Browning . The Empeor Julian , London , 1975 .

Bowersock , Julian the Apostate, London 1978 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , California 1997, pp. 39-6

Jones, The Later Roman Empir, pp. 119-123 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, pp. 68-78 .

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, pp. 46-47

Norwich , A short History of Byzantium , Penguin Book, London 1997 . pp. 25-26

Nicol. A Biographical dictionary . p. 65 .

رأيت عبد الحميد «مصراع جوليان الفيلسوف الإمبراطور» . ضمن كتاب لطوف داتبة مهداة إلى ماسر الدين الأسد، لصحير عبد القادر الرباعي، ط١ - عمان ١٩٩٧م. ج١، ص ٤٨١- ٥٢٢ . نورمان بينز . الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤٦ . هارني برتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط١ القاهرة ١٩٩١، ص ٥٥١- ٥٥٢

القصة: اتجه إلى إحياء الوثنية من جديد، وبلا حظ تأثيره بأفكار الفيلسوف ليبانيوس Lihanius<sup>١١١</sup>، الذي نادى بأنظمة الوثنية مقارنة بالمسيحية<sup>١٢١</sup>. وقد اتجه إلى إصدار عدة قرارات من أجل إحيائها فأمر بإعادة فتح معابدها، وتقديم القرابين للآلهة الوثنية وفي بداية الأمر، وقف موقفاً وسطاً بين الوثنية والمسيحية، غير أنه فيما بعد: إلتحاز للأولى ضد الثانية؛ فعمل المسيحيين من المناصب العسكرية، وكذلك الفنية لتجسيم نفوذهم وحتى لا يمثلوا أية أخطار في مواجهة الإمبراطور، كذلك اتجه إلى إبعاد الصليبان، وصور السيد المسيح، والسيدة مريم العذراء عليهما السلام، وجعل بدلاً منهما الرموز الوثنية<sup>١٢٢</sup>.

والواقع أن سياسة جوليان كانت بمثابة الصخرة المؤقتة للوثنية؛ لأنه عملياً لم يكن من الممكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ولم يكن في الإمكان أن يتخلى المسيحيون عن المكاسب التي حققوها من خلال عهد الإمبراطور قسطنطين. وانتهت تلك المرحلة المؤقتة التي لم يكتب لها الاستمرار بمقتله عام ٣٦٣م<sup>١٢٣</sup>.

جدير بالذكر؛ لم يجد الإمبراطور جوليان من المؤرخين الكتيين إلا العداء الشديد، ولم يعملوا على إنصافه، وكالوا له الإتهامات على نحو ضاعت معه حقيقته

١- ليبانيوس، فيلسوف أنطاكي وشي رأى أن الآلهة الوثنية هي التي كانت من وراء صنع مجد روما، وقد تأثر به جوليان وقد اتهم المسيحيين صراحة بأنهم كانوا من وراء قتل ذلك الإمبراطور، عنه وأفت عهد المسيد، المرجع السابق، ص ٥٢٩

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٦٥

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 72-76 .

٤- عن ذلك أنظر.

Baynes, "The death of Julian The Apostate in a Christian Legend", in Byzantine Studies and other Essays, Connecticut 1974, pp. 271-281

بلا حظ أن هناك من قرر أن ذلك الإمبراطور لم يمارس أي نوع من أنواع الإضطهاد التي مارسها من قبل الأباطرة الوثنيين ضد المسيحيين؛ وإنما إتبع فقط تفكيراً اتفق مع تكوينه الفلسفي في مواجهة المسيحيين حتى أن القديس جيروم لقبه «الاضطهاد النبيل» عن ذلك أنظر:

رأفت هيد المسيد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ط. القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٨٨

على أية حال : تولى من بعده الإمبراطور جوفيان Jovian ٣٦٣-٣٦٤ م<sup>(١١)</sup> . السني لا يذكر له التاريخ سوى عقده هدنة مع الفرس بلغت مدتها ثلاثين عاماً ، وكأنه تصور أن الالتزام بها سيستمر إلى ذلك العدد البالغ فيه من الأعوام . وقد تنازل لهم عن مناطق في بلاد ما بين النهرين وكذلك أرمينيا<sup>(١٢)</sup> . ومن ناحية أخرى : نجد أنه عاد إلى رعاية المسيحية على حساب الوثنية . على عكس السياسة التي سار عليها سلفه جوليان من قبل .

بتفق كل من جوليان وجافيان : في قصر مدة الحكم وإن اختلفا في السياسة تجاه الفرس ؛ حيث حاربهم الأول . وهاذتهم على نحو مذل الثاني . كذلك أهد الأول الوثنية وخالفه جلعده بتأييد المسيحية . بصفة عامة : حكم الإمبراطورية خلال الأعوام الواقعة بين عامي ٣٦٤ ، ٣٧٨ م الإمبراطور فالنز Valens<sup>(١٣)</sup> . وفي عهده تنامي خطر عناصر القوط الشرقيين الذين

١- تولى جوليان المنصب الإمبراطوري في ٢٧ يونيو ٣٦٣ م وتوفي في ١٧ فبراير ٣٦٤ م . ويلاحظ أنه اختلف عن جوليان في بعض الجوانب منها التماهد نحو الحمر والنساء . كما أن تعليمه كان محدوداً وبالتالي اختلف عن سلفه . ويلاحظ أن جافيان على الرغم من كونه مسيحياً إلا أنه تصامح مع معتقدات الوثنيين عنه .

O. D.B., vol 2, pp. 107, 1077. Nicol, A Biographical dictionary, p. 65.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 78.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 47.

Jones, The Later Roman Empire, p. 138. Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, p. 62. O.D.B., vol 2, p. 1076-1077.

محمد سعيد عمران - الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها . ص ٢٢-٢٣ : نعيم قرح . تاريخ بيزنطة السياسي . ط ١ - دمشق ١٩٧٠ م . ص ٥٨ تورمان بيتز - الإمبراطورية البيزنطية . ص ٤١

Ostrogorsky, Op.cit., p. 47.

-٢-

٢- الإمبراطور فالنز Valens : ولد في سيلاي Cibulac في باتونيا Pannonia عام ٣٢٨ م . وبما بعد : تولى المنصب الإمبراطوري في ٢٨ مارس ٣٦٤ م . وكان ضابطاً في الجيش في عهدي جوليان Julian ، وجافيان Javian ، ولد تولى بالقرب من أدريانوبل Adrianople في ٩ أغسطس ٣٧٨ م .

O. D.B., Vol. 3, p. 3149

عبد أنظر

Nicol, Op. cit. p. 134. Dichi, History of the Byzantine Empire, p. 7

تزايد عددهم وكانوا قد اعتنقوا المسيحية على المذهب الأريوسي وبحسب ما عن مصادر للضعاف،  
وسمح لهم -مضطراً- بعبور نهر الدانوب، وكان ذلك من القرارات التاريخية المهمة التي  
اتخذها ودفع الإمبراطور ثمناً قادحاً في مقابلها

وقد أدى ذلك العبور : إلى استقرارهم داخل وربع الإمبراطورية . وقد قرر البعض اعتمادهم  
بحر ٢٠٠ شخص وذلك دون حساب ذريعتهم وعبيدهم<sup>(١)</sup>، دون إمكانية التأكد من مثل  
نلك الأرقام في عصر لم يشهد إحصاءات دقيقة وعنما اشتد بهم الجوع وقد بكور في الرقم  
مبالغة لكنه - على أية حال - لا يخلو من دلالة تاريخية . وفيما بعد : إزداد العدد ، بين  
الطرفين ، على نحو أدى إلى وقوع معركة أدورنه في ٩ أغسطس من عام ٣٧٨م<sup>(٢)</sup>، التي أورد  
وقائعها المؤرخ أميانوس ماركيانوس Ammianus Marcellinus<sup>(٣)</sup>، وهي - بلا ريب - من  
المعارك الحاسمة في التاريخ وقد نتج عنها عدة نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً : تم إلحاق الهزيمة المروعة بقوات الإمبراطور فالنز، بل قُتل خلالها ثلثي جيشه. وكان  
القتل كذلك من نصيب الإمبراطور شخصياً

ثانياً : من المقرر أن الرومان لم يصيبوا بهزيمة مروعة في تاريخهم مثل تلك الهزيمة في  
أدورنه منذ صراعهم مع القائد القرطاجي هانيبال<sup>(٤)</sup>.

١- إسحق عبيد . من ألاك إلى جستنيان . دراسة في حروب العصور المظلمة . ط. القاهرة ١٩٧٧م.  
ص ١١

٢- عن معركة أدورنه أنظر

Oran A History of the art of war in the Middle Ages vol 1, London 1927, p. 14-15  
Treadgold, A History of the Byzantine State and Society. p. 67

شارل أومان، الإمبراطورية البيزنطية . ص ٣٩ ٣٢ . وأقت عبد الحميد . الإمبراطورية البيزنطية .  
المقدمة والساسة ط القاهرة ٢٠٠٠م. ص ١٢٤ . الدولة والكنيسة، ج ٤ . ثيودوسيوس وأمبرور ط  
القاهرة ١٩٨٣م. ص ٤١-٤٢

حديث بالذكر : أن هناك من المؤرخين من تصور أن تلك المعركة فاشلة وتصلح لتكون بداية للعصور الوسطى  
الأوروبية

عن ذلك أنظر جوزيف نيسم يوسف ، دراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م،  
ص ٢ تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها . ط بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٧

٣- وأقت عبد الحميد . المرجع السابق.. ص ١٢٣

٤- شارل أومان ، المرجع السابق، ص ٣٣

ثالثاً : كانت النتيجة المباشرة لمعركة أدونة أن إنجيه القوط الشرقيون الذين انتشروا بخسر النصر إلى مهاجمة القسطنطينية ذاتها، إلا أن حصانتها، ومناعتها، وقفت حائلاً دون إخضاعهم لها . وهكذا : يمكن القول : أن أسوار تلك المدينة منعت القوط من استثمار إنتصارهم التاريخي وهو أمر تكرر مرات متعددة لأعداء آخرين على مدى عدة قرون تالية<sup>(١)</sup>.

وأخيراً : يقرر البعض أن تلك المعركة كانت بمثابة فاتحة عهد جديد بين الجرمان والإمبراطورية؛ فمن قبل كانوا ينظرون إليها بالتقدير والاحترام خاصة مع وجود الماري الحضاري الشاسع بينهم وبين الرومان. أما من بعد المعركة؛ زاد طموحهم إلى حد كبير ، ورجعوا في الإستفادة من حصاد الحضارة الرومانية<sup>(٢)</sup>.

حاصلاً : لا ننفل - في معرض عرضنا لنتائج تلك المعركة- الإشارة إلى أنها جاءت مقدمة لمرحلة صعبة في القرن التالي فبعدها بأقل من مائة عام وبالتحديد عام ٤٧٦م ؛ ستسقط روم القديمة Roma Antiqua حاضرة نهر التيبر على أيديهم ، وستبقى روما الجديدة Roma Nova أي القسطنطينية بعيدة عن ذلك المصير، لتقوم بدور المحق الاستراتيجي والعاصمة البديلة عن روما التي صارت خاضعة للسيادة الجرمانية .

على أية حال ؛ من الممكن إدراك عدة أحداث رئيسية وضعت من خلال دراسة أسرة قسطنطين وتتمثل في تأسيس العاصمة ، والتسامع مع المسيحية ، والارتداد القيصري إلى الوثنية ، ثم الهزيمة القادحة في أدونه .

أما أسرة ثيودوسيوس وهي مكملة في أعمالها لأسرة قسطنطين ؛ فقد حكمت خلال الأوام من ٣٧٩ إلى ٥١٨م ، وبالتالي؛ امتد عهدها إلى قرن، وقرابة أربعة عقود من الزمان، وتوالى عهدها من خلال عدد من الأباطرة في صورة ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩-٣٩٥م) ، وأركاديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨م) وثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)، وممرقيان Marcan (٤٥٠-٤٥٧م) . وليبر الأول الكبير Leo I (٤٥٧-٤٧٤م) ليو الثاني Leo II (٤٧٤م) وقزوين Zenon (٤٧٤-٤٩١م) وأناستاسيوس Anastasius (٤٩١-٥١٨م).

١- يستند عم ذلك خاصة بعد الدور الذي قام به الامبراطور ثيودوسيوس حيث عمل على إقامة أسرار مدعمة للأسوار الموجودة من قبل هو ما سنعلمه في موضع تال.

٢- وأفتت عبد الحميد، الإمبراطورية البيزنطية، العقيدة والسياسة، ج١ ، ص١٣.

والواقع : أن أهم أولئك الأباطرة من حكم خلال المرحلة المختصة من ٣٧٩ إلى ٣٩٥م وكذلك من ٤٠٨ إلى ٤٥٠م في صورة ثيودوسيوس الأول ، وثيودوسيوس الثاني ومن ثم سبتم تسليط الضوء عليهما نظراً للإنجازات التاريخية التي حدثت خلال عهديهما

وفيسما يتصل بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول<sup>(١١)</sup>؛ نجد أنه ما قام بمواجهة تزايد خطر العناصر الجرمانية بأن عمل على استيعابهم في الإمبراطورية ، ولذا عقد معاهدة مع عناصر الفوط وعلى أساسها : صاروا معاندين *Foederati* للإمبراطورية<sup>(١٢)</sup> ، كذلك تم اعتبارها قوة احتياطية للجيش الروماني . ثم أعطاهم إقليم تراقيا ليتخفوه مسكناً لهم . ولأرب : في أن كارثة معركة أدونة كانت ماثلة أمام ناظريه على نحو أكد له تزايد خطر العناصر الجرمانية وضرورة التعايش معها : تجنباً لثريد من الأخطار في المستقبل.

من زاوية أخرى: اتجه ذلك الإمبراطور إلى تقسيم الإمبراطور بين ولديه أركاديوس Ar-cadius الذي حصل على القسم الشرقي . وهونوريوس Honorius الذي نال القسم الغربي<sup>(١٣)</sup> ، وهكذا : فإنه بوفاته ثيودوسيوس الأول عام ٣٩٥م انفصل الشرق عن الغرب ، وصار كل في سار تاريخ مختلف عن الآخر.

١- ثيودوسيوس الأول : كان أسياداً تفوق في ساحات الرغى . وقد عينه الإمبراطور جراتيان Gratian عام ٣٧٩م بمثابة إمبراطور مشارك . وقد حكم خلال المرحلة من العام المذكور حتى عام ٣٩٥م حيث توفي في ميلان باطالبا وتم نقل جثته إلى القسطنطينية عنه أنظر

Nicoll, A Biographical dictionary . pp 124-125 .

Vashev, History of the Byzantine State, pp 48-50

عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧١

حسين ربيع . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية - ص ٤١

داوس . أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير ، ت لايرت بطرس . ط . بيروت ١٩٦٨م .

٢- عن ذلك انظر

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 48

Vashev, History of the Byzantine Empire, p. 88 .

Ostrogorsk , Op. cit., p. 49

حسين ربيع ، المرجع السابق ، ص ٤٢

عبد مروح ، تاريخ بيزنطة السياسي ، ص ٦٠

وفى عهد ثيودوسيوس : حدث تطور حاسم فى تاريخ الديانة المسيحية عندما إتخذها الديانة الرسمية للإمبراطورية ؛ وذلك تأكد لنا ؛ أن المسيحية مرت بثلاث مراحل على مدى أربعة قرون : الأولى مرحلة الإضطهاد ، ثم مرحلة التسامح والاعتراف بها كديانة من الديانات المجرودة فى الإمبراطورية، ثم التحول إلى أن تكون الديانة الرسمية ، وقد صغر فى عهد ثيودوسيوس مرسوم إمبراطورى يحظر على معتقى العقائد الوثنية أن يظهروا شعائهم الدينية ، وفرض عقوبات وادعة من أجل العمل على مقاومة الوثنية ومتاصرة المسيحية<sup>(١)</sup> وبذلك قام بخطوة جديدة لم تكن لدى الإمبراطور قسطنطين من قبل.

من ناحية أخرى؛ إنجبه إلى عقد مجمع كنسى عرف بمجمع القسطنطينية عام ٣٨١م<sup>(٢)</sup>، وأعلن فيه بصورة نهائية عدم مشروعية الأريوسية وبالتالي حاربها فى أنحاء الإمبراطورية ، وهكذا ؛ يتأكد لنا؛ أن عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول يعد مكملاً ومتشابهاً مع عهد المؤسس البارز قسطنطين ، وعلى نحو خاص فى الناحية الدينية من خلال دعم المسيحية ، وكذلك عقد المجمع الكنسى لناقشة الخلافات الدينية بين الفرق المسيحية المتصارعة.

أما عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى<sup>(٣)</sup> (٤٠٨ - ٤٥٠م)؛ فإن أهم ما حدث فيه يشتمل

١- عن إنجاء ثيودوسيوس الأول إلى إتخاذ المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية أنظر:

Angold , Byzantium The Bridge From Antiquity to the Middle Ages, London 2001, p.4

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 82

بارو ، الرومان ، تـ عبد الوازى بسرى، طـ القاهرة ١٩٦٨، ص ١٩٢-١٩٣

٢- عنه :

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 9

٣- ثيودوسيوس الثانى؛ له يكن قد تجاوز السابعة من عمره عندما توفى والده أركادىوس فى مايو عام ٤٠٨م فتولى الرضاعة عليه انتيموس وزير والده. ومن بعد ذلك أنه بونفريتا . وقد تزوج فيما بعد من ابليس برونكيا عام ٤٥٠م. عنه أنظر:

Diehl , History of The Byzantine Empire , p. 10 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 51, p. 55 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 66, p. 96 .

Nicol. A Biographical dictionary, pp. 126-126

في الإسهام القانوني البارز : حيث أصدر عام ٤٢٨م. مجموعة قانونية وهي التي عرفت باسم Codex Theodosianus<sup>(١١)</sup> التي يراها الباحثون حدثاً مهماً في تاريخ التشريع الروماني من مرحلة ما قبل جستنيان. قد دلت على ما حققته المسيحية من تأثير في مجال التشريع ، وكذلك في الحياة الاجتماعية<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالذكر: احتوت تلك المجموعة على التشريعات القانونية التي صدرت من عهد الامبراطور قسطنطين حتى تلك التي أصدرها ثيودوسيوس . ويلاحظ أنها كانت مصدر مهم من المصادر القانونية التي اعتمد عليها الإمبراطور جستنيان<sup>(١٣)</sup> في مرحلة تالية من التاريخ البيزنطي.

ولانغفل هنا : أن تلك التشريعات صدرت خلال مرحلة الغزو الجرمانى لمناطق العرب الأوربي وبالتالي أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على التشريعات الجرمانية التالية مثل قوانين القوط ويلاحظ أن جميعها كما قرر أحد المؤرخين البارزين إصطبقت بالصبغة المسيحية<sup>(١٤)</sup>.

بصفة عامة: من الملاحظ أن الأباطرة البيزنطيين الذين اهتموا بالجانب القانوني. كانوا أكثر بقاءً في التاريخ على المستوى الحضارى من أولئك الذين اهتموا فقط بهمالى الحرب والسياسة وتلك ملاحظة جديرة بالاهتمام في دراسة التاريخ البيزنطى. مع عدم إغفال حقيقة محورية وهي أن هناك أباطرة قلائل اهتموا بالجانبين : أي بالقانون والحرب والسياسة ، على نحو صرح لهم المكانة الأكثر فعالية في مسار ذلك التاريخ الماثل بالأحداث.

كذلك تم في عهد ثيودوسيوس الثانى حدث مهم على الصعيد الحربى الاستراتيجى في صورة إقامة أسوار جديدة للقسطنطينية امتدت من بحر مرمرة حتى القرن الذهبى نهر ميلين عربى السور القديم الذى شيد من قبل وقد حدث ذلك عام ٤١٣م. بعد خمس سنوات فقط من نولى ذلك الإمبراطور العرش : كما عكس إدراكه لأهمية تشييد ذلك السور خلال تلك المرحلة

١ - حتى يعرج - دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . ص. ٥٠ . حاشية (٧٠)

Vasiliev p. 101

٢- نفسه . نفس الصفحة والحاشية.

٣- نفسه . نفس الصفحة والحاشية.

٤- نفسه . نفس الصفحة والحاشية (٧)

المكركة من عهده . دعم الأمر من خلال إقامة أسوار بحرية عام ٤٣٩م<sup>(١)</sup>، اتصلت بالأسوار البرية السالفة الذكر، ولا ريب ؛ في أنها دعمت دفاعات القسطنطينية . وصارت هي مأمن من غزواتها على تعددهم، وقوتهم ، وعلى مدى عدة قرون تالية.

واقع الأمر؛ من الممكن القول أن ثيودوسيوس الثاني بطلب الأعمال العمرانية الحربية الدفاعية ؛ ساهم بصورة كبيرة في تدعيم القلب البيزنطي فظل يتنعم بالحياة قرون تالية دون أن يسهط في قبضة أعدائه، وذلك دون إغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال، كوجود الأباطرة الأخوياء، واستيصال البيزنطيين في الدفاع عن عاصمتهم ونحو ذلك.

للتعقل كذلك أنه خلال عهده حدث تطوير مهم في صورة صدور قرار تنظيم جامعة القسطنطينية عام ٤٢٥م التي كان لها دورها في الحياة العلمية البيزنطية وهو قرار محوري أثر على تاريخ بيزنطة الحضارى لعدة قرون تالية

على أية حال ؛ في عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤-٤٩١م) حدث تطور على جانب كبير من الأهمية في مسار القرب الأوربي في العصور الوسطى في العصور الوسطى ، في صورة سقوط روما على أيدي الجرمان وذلك في عام ٤٧٦هـ ، وقد تزعم الجرمان القائد ادواكرا Odauacer، الزعيم الجرمانى لقبائل الهرول Heruls، والروجيين Rugians ولم يكن الإمبراطور الرومانى الأخير رومولوس أوجستيلوس Romulus Augustulus<sup>(٢)</sup>

#### ١- جوزيف نيسم يوسف - تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٧٢

وبلاحظ أن تلك الأسوار لم يكتمل تشييدها إلا حوالي منتصف القرون الخامس الهلالي . ومما سهر ارتفاعه بلغ ١٢ متراً وتم تزويده بـ ٩٦ برج مراقبة، ومن وزاته وجد سور ثانى ارتفاعه ١٠ أمتار واحتوى هو الآخر على ٩٢ برجاً كما تم حفر خندق عميق تراوح عرضه بين ٥ ، ٧ أمتار . ومن بعد ذلك كان هناك سور ثالث

في تفصيل تشييد تلك الأسوار أنظر

محمود سعيد عمران . - تحصينات مدينة القسطنطينية في مواجهة الغزوات الخارجية .، بحث ألقى في ندوة الحصار الإسلامية وعالم البحار . وإعداد المؤرخين العرب . "تقاهرة ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م .

Whitow, The Making of Byzantium 600-1025, Los Angeles 1996, p. 426 .

Nicol, A Biographical dictionary, p. 125 .

٢- رومولوس أوجستيلوس - تولى العرش الإمبراطورى خلال المرحلة من ٣١ أكتوبر ٤٧٥م إلى =

(٤٧٥-٤٧٦م) الذي يصلح لمراجعة الأحداث الخطيرة التي واجهت الإمبراطورية حينذاك، ومن المهم ها الأخذ بهذا التصور الذي قال به المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold Toynbee صاحب نظرية التحدي والاستجابة Challenge and Respons التي أوردتها في كتاب دراسة التاريخ A study of History عندما أدرك أن إلوكر ليس له الادعاء بأنه صاحب إسقاط روما ؛ لأنها سقطت من الداخل قبل الخارج بعد أن إتهار نظامها السياسي ومعه البناء الاقتصادي ، والاجتماعي، والإداري.

جدير بالذكر؛ طلب ذلك القائد الجرماني من الإمبراطور زينون الموافقة على وضعه السياسي الجديد في الغرب الأوروبي لكن الإمبراطور البيزنطي لم يكن ليقبل ذلك؛ لإعتقاده بأن النظرية السياسية الرومانية لم تكن لتقبل سوى إمبراطور واحد لإمبراطورية واحدة.

لا يغفل أن تلك النظرية؛ متكلف بيزنطة ثمنًا باهظًا من الرجال، والأموال والوقت والجهد على الرغم من أن أحداث التاريخ كانت تتغير من حولها ، وإذا بها تصر على نفي تلك التصورات !! ولذلك لم تكن لتقبل باستمرار التغير الذي حدث على أرض الغرب الأوروبي، ومن ها ؛ كان تدخلها في قلب قضاياء دعماً لتلك النظرية السالفة الذكر.

مهما يكن من أمر؛ في عهد آخر إمبراطور من أباطرة أسرة ثيودوسيوس ؛ ونعني به أناستاس (٤٩١-٥١٨م) حدث إنقلاب عسكري من جانب أحد القادة هو جستين، وتمكن من خلاله من الوصول إلى العرش الإمبراطوري .

وجدير بالإشارة ؛ أن ذلك للشهد تكرر كثيراً في التاريخ البيزنطي، فكما ظهر في الجيش البيزنطي قائد بارع رفعه إنتصاره العسكري إلى عليين ؛ دفعه ذلك إلى التطلع إلى المصعب الإمبراطوري الوقح الشأن، وفيما بعد؛ حكم الإمبراطورية قادة عسكريون «ديماجوجيون»

= ٤ سبتمبر ٤٧٦ م. ومن المحتمل أنه توفي بعد عام ٧ أو ٥١١ م. وكان قد أعلن كلوجيسس Au- gustinus من جانب والده أروستس Orestes الذي عمل بمثابة السكرتير السابق لأثيلا Atila

عنه أنظر

( ) D B vol. III, p.1812. Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 267

ومن مخطوط الإمبراطورية الرومانية أنظر هذه العرولة المختصمة محمودة الحويدي باللغة العربية، رقية في سقوط الامبراطورية الرومانية . ط القاهرة ١٩٩٣م.  
وهي دراسة قيمة لم تتل اهتماماً يليق بها من الباحثين

عملوا على إثارة مشاعر الجماهير من خلال الانتصارات العسكرية . وهكذا : نذكر أن الجيش البيزنطي كان قادته أحياناً على استعداد لدخول معترك السياسة ، ولم يكن لهم مزلل لذلك سوى الحرب والتفوق فيها ودغغمة مشاعر الجماهير المنتهية بنتائجها المظفورة ومن أمثلة ذلك ما حدث خلال عهد الأسرة القلدونية حيث تولى أمرها بعض القادة العسكريين على نحو كشف عن دور المؤسسة العسكرية البيزنطية في صنع تاريخ تلك الإمبراطورية وبصورة عكست صعوبة الفضل أحياناً بين السياسة والحرب في ذلك التاريخ الحافل بالأحداث.

يبقى أن نذكر عن أسرة ثيودوسيوس أن الإمبراطور أناستاسيوس الأول (٤٩١-٥١٨م) عمل على تجديد أسوار القسطنطينية عام ٤٩٧م من أجل تأمينها في أعقاب هجوم الجرمان على البلقان عام ٤٩٣م<sup>١٩</sup> : مما عكس أن أكثر من امبراطور شارك في ذلك

وعند المقارنة بين أسرة قسطنطين وثيودوسيوس نجد أنهما يمثلان مرحلة تاريخية واحدة، ومتراصة، ولاريب في أن أسرة ثيودوسيوس تعد امتداداً طبيعياً لأسرة قسطنطين . فإذا كان الأخير شيد القسطنطينية وأوقف الاحتفاد الذي لحق بالمسيحية . فإن ثيودوسيوس الأول جعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية ، وقام ثيودوسيوس التالي بتدعيم حصانتها . على نحو أكد الترابط بين الأسرتين.

كذلك لا تغفل اهتمام المؤرخين القدامى ومن بعدهم المؤرخين للحديثين بـقسطنطين من خلال أعماله : فاق اهتمامهم بالإمبراطور ثيودوسيوس الأول على الرغم من أن كلا منهما من مزيى الأسرات البيزنطية الحاكمة، ولا تغفل أيضاً : أن الأول أحيط بهالة من التقديس أما الثاني فلم يتراقر له ذلك.

من ناحية أخرى : من الملاحظ أن أسرة ثيودوسيوس تميزت باهتمام إمبراطورها ثيودوسيوس الثاني بالإنان بالقانوني، كذلك هناك إصداره قرواً بتنظيم جامعة القسطنطينية؛ مما انعكس بدوره على النظم التعليمية البيزنطية فيما بعد؛ فإذا أضفنا إلى ذلك جميعه دعمه لدنعات المدينة وهي التي ظلت العامل الأول في مواجئة أعدائها؛ أدركنا أهمية تلك الأسرة في التاريخ البيزنطي.

ذلك أمر أسرتي قسطنطين . وثيودوسيوس ودورها في العصر البيزنطي المبكر؛ أما الصفحات التالية، فيتم فيها تناول أسرة جستنيان.

١- وسام عبد العزيز فرج . دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤٧

## ثانياً : أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠م)

شارب في الصفحات التالية؛ بالمعرض أبرز الأحداث التاريخية التي وقعت خلال عهد أسرة جستنيان : لتكوين رؤية موضوعية عن حجم الإنجاز التاريخي الذي تحقق حينذاك ، وتقريره بين الإيجابيات ، والسيئات وذلك ضمن المسار العام للتاريخ البيزنطي.

لقد تولى العرش الإمبراطوري من تلك الأسرة ٦ أباطرة هم: جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م) وجستين الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) ، وجستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيسيريوس الأول Tiberius I (٥٧٨-٥٨٢م) ، وموريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) ، وفوكاس Phocas (٦٠٢-٦١٠م) ، قد امتد عمر تلك الأسرة (٩٢) عاماً على أبة حال : تولى جستين حكم الإمبراطورية خلال الأعوام من ٥١٨ إلى ٥٢٧م وعاقبه ابنه جستين الذي كان على مستوى أفضل من التعليم ، وبعد انقضاء حكم جستين تولى الأمر الأخير حتى عام ٥٦٥م<sup>(١)</sup>.

مهما يكن من أمر : هناك عدة مشكلات تواجه الباحث عند التصدي لأعمال جستين على نحو خاص يمكن إجمالها في الآتي :

أولاً وجود مصادر تاريخية معدلة ، وأخرى سرية عن عهده ومن أمثلة الأولى؛ ما ألفه بروكوبيوس Procopius وكذلك يوحنا اليلدي John Lydus ، ومن أمثلة النوع الثاني من المؤلفات ما ألفه بروكوبيوس نفسه تحت عنوان التاريخ السري ، وهكذا : نجد روايات تاريخية متناقضة ومختلفة لتؤرخ واحد عن نفس الإمبراطور !!!.

### ١- عن عهد الإمبراطور جستين بصفة عامة أنظر

Procopius, Secret History, Trans. by Richard A. S. Whitcomb, Michigan 1961

Hiltnes, The Age of Justinian and Theodora , 2 vols., London 1912 .

Ure Justinian and his age , London 1951

Muhammad . Justinian , London 1964 .

Browning, Justinian and Theodora, London 1987

Evans , The Age of Justinian, the circumstances of imperial Power, London 1996

استغنى عن إمبراطورية جستينان . ط : جدة ١٩٧٧م ، محمد فتحي الشاعر - السبابة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي عصر جستينان رسالة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٥م

ثانياً : ظهر في عهد جستنيان تأثير قوى الحواء البيزنطية في صورة زوجته الإمبراطورة ثيسودورا Theodora<sup>(١١)</sup> التي - وفق ما أوردته - بروكوبوس كانت من أصول اجتماعية رديئة، وعملت كراقصة وانحرفت وتزوجها الإمبراطور ، وتمتعت بإرادة قوية ، وذلك ، حاد وبصفة عامة لا يمكن الفصل بين الإمبراطور وتأثير زوجته عليه حتى وفاتها عام ٥٤٨ م على امتداد ٢٦ عاماً ؛ أي أكثر من نصف مدة حكمه . ومن بعد ذلك العام المذكور حتى وفاته عام ٥٦٥ م من الممكن القول بإطمان أن جستنيان حكم منفرداً بعد أن حطمه وحيلها على مدى ١٨ عاماً هي الشررات العجاف على مستواه الشخصي

بصفة عامة ؛ من الممكن إجمال أهم أحداث عصره على النحو التالي.

أولاً : ثورة النصر Nika عام ٥٣٢ م.

ثانياً : حروبه ضد العناصر الجرمانية .

ثالثاً : النهضة القانونية والعمرانية

رابعاً . السياسة الدينية.

خامساً : الكوارث الطبيعية. سادساً : الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في عهده

١ - ثيودور : زوجة جستنيان ، كانت في الأصل ابنة ساق في إحدى المئات التي وجدت في الهيدرور (ساحة السباق) وعاشت حياة ماجنة طبع ، وسافرت إلى ليبيا ، وكذلك مصر ، وعهداً الاسكندرية ، وقبل أنه كان لها ابن غير شرعي . وعملت على إيلاء التنازلات من بالامات للهوى البيزنطية . وقد ماتت بمرض السرطان في ٢٨ يونيو عام ٥٤٨ م . وقال أن وفاتها أدت إلى أسوأ الأثر على نفسية جستنيان . وافقد القدرة على الابتكار كما قرر دونالد نيكول . عن ثيودورا بانتسيفيل أنظر:

Procopius . pp. 20-31

Evans , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002. pp. 13-119

Nicol, A Biographical dictionary . p. 120

Hussey , The Byzantium World , New York 1961 . p. 21

Id. Theodora , Empress of Byzantium . Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New York 1972, pp. 45-147

Diehl , History of the Byzantine Empire, p. 20-22 .

Evans. Procopius , New York 1972 , p. 128 .

حبيب حاماني. ثيودورا العنلة النرجة . ط. القاهرة بـست

أيضاً : بول وليمان. ثيودورا . جزأ ، ط. بيروت ١٩٩٥ م

وفيما يتصل بالعصر الأول؛ وجد في العاصمة البيزنطية حزبان سياسيان؛ حزب الرق وحزب المحضر . وقد تنافسا ، كما أن الإدارة الإمبراطورية اشتدت في فرض الضرائب على المعاصرين . وفيما بعد ؛ اتحد الحزبان المذكوران للشوة ضد جستنيان وقامت أحداث شغب واسعة النطاق في العاصمة البيزنطية وتمكن الثوار الذين قهر عددهم بعشرات الآلاف من هزيمة قوات الإمبراطور .

وعندما اضطرت الأمور خلال أحداث إنذلاع الشوة على مدى الأيام من ١١ - ١٩ يناير ٥٢٢م<sup>(١)</sup>؛ فكر الإمبراطور في أن يفر بالفرار ، إلا أن زوجته ثيودورا التي امتلكت إرادة قوية ، ورغبة صادقة في قبول التحدي ، قالت له عبارات حاسمة حازمة « ما من إنسان يأتي إلى هذه الدنيا إلا ومصيره الموت في النهاية . ومن يلمس السلطة لا يطبق الحياة في المنى ، فإذا أردت أن تنجو بنفسك أيها الإمبراطور فليس ثمة ما يمنعك من ذلك ، وهاك البحر والسفن والأموال تريت قليلاً ، وسل نفسك . ألا تندم على فرارك ، ووصولك إلى ملأ أمن فتد أن لو كنت أثرت الموت على النجاة بالهزيمة ؟ أما أنا فياقبة هنا والحلة الملكية الأرجوانية هي عندي أجمل الأكلان »<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت تلك الكلمات للتأثير البارز على الإمبراطور الذي استمد منها طاقة للمقاومة ، ومن المقترح أن ثيودورا نظراً لأصولها الاجتماعية الفقيرة كانت أقدر على التعامل مع تلك الشوة التي دامت ثمانية أيام عاصفة تعد من أصعب الأيام في حياة ذلك الإمبراطور على مدى سنوات حكمه فيما بين ٥٢٧-٥٦٥ م<sup>(٣)</sup>.

على أية حال ؛ تمكن الإمبراطور من مواجهة تلك الأحداث العاصفة ، وساعده على ذلك؛ حدوث انشقاق في صفوف الثوار ، حيث استطاع رئيس الحشيمان ويدعى تاريس من إنشالة رعباً ، حزب الزرق بالأموال ، ولذلك طالبوا أتصارهم بالتوقف عن المشاركة في تلك

١- نعيم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي ، ص ١٢٧ ، وعن ثورة النصر أنظر؛

Barker, Justinian and the Later Roman Empire, Wisconsin 1966, pp. 82-91

Vashev, History of the Byzantine Empire, pp. 154-157

رأت عبد الحميد . « الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٢٢م » . ضمن كتابه بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ط القاهرة ١٩٩٧م ، ص ١٩٩-٢٤٩ . وهي الدراسة العربية المتخصصة عن الموضوع

٢- عن ذلك انظر نعيم فرح ، المرجع السابق ، ص ١٢٧

الأحداث<sup>(١١)</sup>، كما لابد من الإشارة إلى دور بارز للقائد بلزاريوس Belisarius<sup>(١٢)</sup> الذي تمكن ومعه قواته من القضاء بقسوة بالآلاف الثوار الذين دفعوا حياتهم ثمنًا للثورة ونظر المزعجون الرسميون إليهم على أنهم مجرد مشيرى شغب. على اعتبار أن التاريخ دومًا يكتبه المنتصر.

في نهاية المطاف: أصبحت ثورة النصر بالهزيمة؛ ومن بعدها شدد الإمبراطور قبضته على العاصمة من أجل تجنب تكرارها في المستقبل بعد أن لفته درسًا قاسيًا

لأرب في أن الأهم العصبية السالفة الذكر كان لها أثرها على الأعرام التالية من حكم جستنيان، ويرى البعض أن هناك عدة نتائج نجمت عن ثورة المنتصر.

فقد أدى فشلها إلى انتصار الأوتوقراطية وتدعمت سلطة الإمبراطور بينما - من جهة أخرى - أصبحت الأحزاب السياسية بالشلل<sup>(١٣)</sup>، كما أن المدن البيزنطية قد فقدت الحرية المدنية، والمطامير البلدية التي كانت موجودة في مدن الامبراطورية الرومانية القديمة<sup>(١٤)</sup>.

كذلك أكدت وقائع تلك الثورة أهمية دور الشعب البيزنطي الذي كان يثور أحيانًا عندما يتعرض لضغط فسادى زائد خارج عن قدرته على تحمله.

= وعن موقف ثيودورا من تلك الثورة أنظر:

Evans, "The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. vol. LIV, 1984, pp. 380-387

١- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ١٣٦

٢- بلزاريوس: قائد عسكري خبير عمل في خدمة الإمبراطور جستنيان وهناك من يقول أنه كان المخطط لأعلى المعارك التي مكنت ذلك الإمبراطور من استرداد عدد من الأقاليم من أيدي الجرمان. خلال المرحلة الأولى من حروب الاسترداد، ويلاحظ مواجهة لعدد من الصائغ، من ذلك اتهامه بالخيانة، ولم يقده من ذلك سوى الإمبراطورة ثيودورا التي كانت صديقة لزوجته. ومن بعد وفاة ثيودورا انقلبت الأمور في غير صالحه، وتولى نارسيس قيادة الجيش وقاعد بلزاريوس وإن تم استدعاؤه فيما بعد لقتال الهون عام ٥٥٩ م. على أية حال: تولى في مارس ٥٦٥ م. وقد نسجت حوله عدة روايات من جانب البيزنطيين، عنه أنظر

Procopius, pp. 5-9

Nicol, Biographical dictionary, p. 19. Dicht, History of the Byzantine Empire, p.20, p. 22.

٣- نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ١٣٢

٤- نفسه، ص ١٣٢-١٣٣

أما التأثير الأكبر - في تصوري - الذي أحدثته ثورة النصر عام ٥٣٢م، فقد تمثل في السياسة الخارجية، فمن أجل أن يصرف الإمبراطور الشعب البيزنطي عن المشكلات الداخلية وليبرحه تحت شعار واحد وحلم جماعي يتمرنخ في النفوس جميعها، اتجه إلى إتباع سياسة توسعية على المستوى الخارجي، مع ملاحظة أن جانباً من تلك السياسة وقع من قبل أحداث تلك الثورة اتجه إلى نفس الوجة، لكن ثورة النصر دعمت ذلك التصور بقوة.

من ناحية أخرى: أكدت وقائع الثورة أهمية دور الذي لعبه بلزاريوس في إخضاعها، ولاريب في محورية دوره بصفة عام خلال عهد الإمبراطور المذكور على الرغم من أن المؤرخين الرسميين ركروا اهتمامهم على رأس السلطة ولم يعطوه التقدير الجدير به ويشبه دوره دور أسد الدين شيركز في عهد نور الدين محمود في القرن ١٢م<sup>(١)</sup>.

أما حروب جنتيان ضد القباطل الجرمانية<sup>(٢)</sup> : فقد امتعت حياتها؛ حيث استقرت عناصرهم في عدة أقاليم، فالقوط الشرقيون استقروا في إيطاليا، والقوط الغربيون في أسبانيا<sup>(٣)</sup>، والفرنجية في غالة (فرنسا)، والأنجلو سكسون في إنجلترا، والوندال في

١- نعم فرج، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ١٣٣

٢- عه أنظر

ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ١٢١

محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي-الصلبي السياسة الخارجية للدولة النورية ١١٤٦ - ١١٧٤ م، ط القاهرة ١٩٩٨م، ص ٨٩-٩٩، أحمد الببلي، حبال صلاح الدين الأيوبي، ط القاهرة، ١٩٤٦ م، ص ٨٤، حسن ابراهيم، الفاطميون في مصر ط القاهرة، ١٩٣٢م، ص ٣٠٣

٣- ارد ها توجيه نظر القارئ إلى عدم استعمال كلمة «البرابرة» في وصف الجرمان، ويلاحظ أن تلك الكلمة نطلق من المركزية الأوربية، ونحوها نوعاً واحداً من التحيز، حقيقة أن الجرمان قاموا بمناخ واعمال تهريب واسعة، لكن ماذا عن الصليبيين الذين اتوا من بعدهم بعد قرون وقاموا بمقاوح أشد منهم ولم يوصوا بالبرابرة، " اورد التأكيد على ازدواجية "لعمامير" التي المؤرخ الغربي اتحدث في نظرتة للفريقين الجرمان والصلبي، وإنتجازه للفريق الآخر، وعن الوصف الأول انظر الفصل الذي خصه نورمان كانتور تحت عنوان "The age of Barbarian invasions"

برون كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة البشابة والنهاية، ط، قاسم عبه قاسم، ط القاهرة ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٤٥-١٨٢

شمالي أفريقيا<sup>(١١)</sup>، وكانت مواجهة كافة تلك القوى بالإضافة إلى الفرس؛ يعني أن تتسع مبادي المارك التي على بيزنطة أن تقوضها خاصة مع توزعها بين أوروبا، وأفريقيا، وآسيا أي بقاع مختلفة من العالم القديم وهو أمر كان خارج إمكانياتها بطبيعة الحال.

على أية حال؛ هناك عدة ملاحظات أساسية من الضرورة إبرادها عن صراع بيزنطة مع الجرمان وهي كالآتي:

أولاً؛ لم يرد جستنيان أن تخلد اسمه القروانين والمنشآت المعمارية فقط، بل إنجه إلى ليكون حاكماً على روما حاضرة نهر التيبر، وبالتالي تخضع له روما القديمة، والجديدة معاً والأخيرة هي القسطنطينية على ضفاف البسفور. وقد دفعه إلى ذلك ثلاثة عناصر في صورة تفاليد الحكم الأوتوقراطي الإمبراطوري؛ كذلك لا تغفل تقاليد البلاط البيزنطي الذي سادته نفوس الإمبراطور، وجعله نائباً للسيد المسيح، ثم هناك الطموح غير المحدود الذي انصف به<sup>(١٢)</sup>.

ثانياً؛ كانت حروب جستنيان ضد عناصر القوط الشرقيين في إيطاليا<sup>(١٣)</sup>؛ وهي التي عرفت بالحروب القوطية موجهة إلى حد كبير من الناحية العسكرية، وقد استمرت أمداً طويلاً، واحتاجت الإمبراطورية إلى ثلاثين عاماً - أي معظم سنوات حكم جستنيان البالغة ٣٨ عاماً -

١- عن حروب جستنيان ضد القوط الغربيين في أسبانيا أنظر:

Cottins, Visigothic Spain 409-711, in Carr (ed.) Spin, A History, Oxford 2000, p 50

٢- عن حروبه ضد الوندال أنظر:

Procopius of Caesarea, the Vandal War, in Evans, Procopius, New York 19, pp.47-51

Procopius, The Vandalic War, Trans. by Dewing, Cambridge 1968.

أنظر أيضاً إسحق عبيد، من الآزك إلى جستنيان، ص ١٣٦-١٥٦؛ محمود سعيد عمران، تلكة الوندال في شمال أفريقيا، ط ١، لا سكندرية ١٩٨٥م، ص ٥٧-١٦٦، نعيم قرع، تاريخ بيزنطة السياسي ص ٩٢-٩٩

٣- نوومان كانتور، التاريخ الوسيط، ج ١، ص ١٨٧

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 24-25.

٤- عن ذلك أنظر:

Moorhead, Justinian, pp. 72-88.

وعن حروبه في إيطاليا أنظر:

من أجل القضاء على مقاومتهم<sup>(١)</sup>، وقد أدت إلى إتهام الإمبراطورية البيزنطية التي اضطرت إلى إعادة فرض الضرائب التي فرضت من قبل من جانب الإمبراطورية الرومانية، من ناحية أخرى؛ أثرت الحروب القوطية سلباً على إيطاليا حتى القرن العاشر الميلادي، وقد أدت - كما لاحظ نورمان كلنتور Norman Cantor - إلى إنخفاض حاد للسكان في المدن الكبرى هناك مثل روما Rome ، و نابولي Napoli ، وميلانو Milano، وتحولت مدن البحر المتوسط الكبرى إلى مدن تصنف بالحمول<sup>(٢)</sup> بعد أن أنهكتها الحرب وتداعياتها

والنزاع ؛ في أنه كان من الصعب بل من المستحيل؛ احتفاظ الإمبراطورية بإقتصاد حرب لسنوات طويلة بدعم تلك المعارك الطاحنة ضد أعداء متعددين، وعلى دواية واسعة بنفون القتال، دون أن تتأثر سلباً كافة قطاعاتها ، ولا يزال إذا ذكرنا أن الفرد البيزنطي العادي هو الذي دفع ثمن الطموح المتدفع لذلك الإمبراطور، وهو ما مجاهدته عن عمد المؤرخون الرسميون.

نأشاً؛ لانفعل ؛ أن حملات جستنيان كلفت الإمبراطورية زهرة شبابها ، وأموالها ووقتها وجهدها مع ملاحظة أنه لم يتمكن من استرجاع عدد من المناطق التي استمرت سيطرة الجرمان عليها مثل غالة ، وإنجلترا

على أية حال ؛ في كافة تلك العمليات العسكرية نلاحظ دوراً قيادياً بارزاً لاتبين من القادة في صورة بليزاريوس ، و نارميس غير أنه عتلمأ أخفقت مشروعاته الاستردادية ؛ تأكد للمؤرخ الموضوعي أنها صاروا ضحية تصورات ذلك الإمبراطور الراهل

لانفعل - من ناحية أخرى- أن جستنيان إنجيه إلى شراء السلام الشاحب الحظر مع الفرس بالذهب، لتجنب الوقوع بين شقي الرمح، أي بين علو فارسي في الشرق وجرماني في الغرب وملاحظ في هذا الشأن أن معاهدة عام ٥٣٢م التي عقدها مع الفرس أنهت ٣١ عاماً من العداء بين الجانبين<sup>(٣)</sup>، كما يقرر أحد المؤرخين.

١- نورمان كلنتور ، التاريخ الوسيط، ص ١٩٠

٢- نفسه، نفس الصفحة

و نجد نفس فكرة المؤرخ المذكور لدى ما أورده برونتيج أنظر:

Browning, The Byzantine Empire p. 221 .

٣- Scott, " Diplomacy in the Sixth century : The Evidence of John Malalas", = -٣

كى يتفرغ لحرب الآخرين ، غير أن فترات الهدوء بين الجاليين أدت - من حيث لا يدري - الى تقوية الفرس على نحو سيظهر فيما بعد .

على أية حال ؛ من بعد اللهث وراء وهم استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية من أبلى الجرمان ، شهدت الأعوام الأخيرة من حكمه عودة السيادة الجرمانية إلى سابق عهدها ، وهكذا ، كان جستنيان أشبه شئ من يحاول إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، أو من يضرب بسيفه طواحين الهواء ، فى يوم عاصف دون جدوى ، وقد أضاع جهده إمبراطوريته جريماً وراء نظرية عتيقة أكدت القبائل الجرمانية عدم جدواها ، وصارت جثة هامدة لآحراك فيها ١ .

على أية حال ؛ تأكد لنا أن العناصر الجرمانية ستشارك فى تكوين غربى أوروبا فى العصور الوسطى بالإضافة إلى عنصرين أساسيين آخرين فى صورة التراث الكلاسيكى البيزناني والرومانى ، والمسيحية .

أما ما اتصل بالناحية القانونية ، فقد عمل على جمع القانون الرومانى ، وأصدر ثلاثة مزلعات قانونية فى صورة Novellae Leges . Digesta ، Codex Justinianus ، وقد عُدَّ ذلك العمل من أكبر الأعمال شأنًا فى ذلك العصر<sup>١١</sup> ، وقد استغرق ذلك ١٤ عامًا من العمل

in Shepard and Franklin (eds.), Byzantine diplomacy,apers From the Twenty- Fourth = Spring Symposium of Byzantine Studies, by Society for The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003, p. 159

١- مجمع ذلك فى صورة مجموعة القانون القنى ، عنها أنظر

Corpus Juris Civilis, ed. T. Mommsen. p. kruger, R. Scholl, W. Kroll, 3 vols., Berlin 1945-1963

Hussey, The Byzantine World , pp. 22-23

Diehl. History of the Byzantine Empire, p. ١١

وعن جهده جستنيان القانونية أنظر .

Ure, Justinian and his age , pp. 139-167

استعنت عنها- إمبراطورية جستنيان- ص ٧١-٧٧ . السيد "البار المعونى" تاريخ أوروبا العصور الوسطى .

ط بيروت ١٩٦٨م ، ص ١٢٩

التواصل من جانب مجموعة من كبار رجال القانون<sup>(١١)</sup>. وقد أثر عمله الرائد على كافة المجهودات القانونية التالية التي قمت في العصور الوسطى بصفة عامة.

ولامراء . في أن إسهامه في المجال المذكور ضمن له المخلود في التاريخ البيزنطي، ومن مفارقات القدر: أن إنجازاته الحربية ضد الجرمان الباهظة التكاليف ذهبت سدى، وبقيت إسهاماته القانونية قائمة حتى يومنا هذا وهي التي لم تكلفه الأموال الباهظة التي دفع بها لأمة الحرب.

وإذا انجھنا إلى الناحية المعمارية في عهده . نجد أنه عنى بها عناية خاصة، إدراكاً منه أن البشر يمضون وبقى الآثار التي شيدوها شاهدة عليهم. تنطق بل وتصرخ بالتاريخ

وقد سعى إلى إصلاح ما هدمته ثورة النصر عام ٥٣٢م والإنجاز المعماري البارز الذي حقق شهرة واسعة النطاق. قتل في كنيسة المحكمة الإلهية Hagia Sophia<sup>(١٢)</sup>، التي عُدت من

١- سعيد عاشور. أوروبا العصور الوسطى. ط القاهرة ١٩٨١م. ص ١١٩

٢- كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia : أقامها جستنيان من أجل تكون مركزاً دينياً بارزاً، وحتى يتم تعليه اسمه على مر العصور. وقد بدأ في بنائها عام ٥٣٢م، وافتتحت في ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م. أي أن تشييدها استغرق نحو ست سنوات وأشرف على ذلك إيزيدور الملقب Isidore of Miletus واتيسوس التري Anthemus of Tralles . وقت الاستعانة في سبيل تشييدها بأموال الصانع من كافة أنحاء الإمبراطورية ويقال أن عددهم بلغ ألفاً ويلاحظ أن أعجب ما فيها قبتها الصخرة من الأعمدة . والأرض والأعمدة . والأنساـ السفلى من الجدران تكونت من الرخام أما الجدران والسقف فتكونت من التفسير . الذهبية. وظل النور على المصلين فيها عبر ٤ نافذة عند أسفل القبة. وكانت الأشعة تنعكس على التفسير . المنحبه . عبا أنظر .

Procopius, The Buildings, Trans. by H.B. Beaving and G. Downey , London 1940, pp. 172-174 Yücel , Hagia Sophia, Istanbul 1986 , pp. 3-44 .

Lethaby and Swainson , The Church of Sancta Sophia Constantinople. Astudy of Byzantine Buiking, London 1894, p. 21-297

Kleintraucs, white and Matthews, Hagia Sophia, Istanbul 2004, pp. 9-77

Mainstone , Hagia Sophia Architecture, Structure and liturgy of Justinian's Great church, Hungary 1997 , pp. 175-281

Nelson, Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom, Modern Movement, Chicago 2004, pp.

روائع المعمار والفن البيزنطي، ويلاحظ أنها شيدت على خط الطراز المعماري الذي وجد في أواخر عصر الإمبراطورية الرومانية : وهو طراز البازيليكا Basilica<sup>(١١)</sup> الرومانية وهي تكشف لنا عن المستوى الرفيع الذي وصلت إليه العمارة في عهد جستنيان . ولاتفعل أنها لانزال قائمة حتى يومنا هذا بعد أن تحولت إلى مسجد فخم على إثر الفتح العثماني للقسطنطينية عام ١٤٥٣م.

كذلك يذكر عن عهد ذلك الإمبراطور: تشييد دير سانت كاترين St Catherine<sup>(١٢)</sup> في أقصى جنوب شبه جزيرة سيناء . يصر ويلاحظ هنا: أن الموقع الجغرافي القريب للدير المذكور حماء عبر القرون . وقد احتوى على مجموعة نادرة من الأيقونات Icons ، وفيما بعد : عندما حدثت حركة مضادة لعبادة الأيقونات ، والتي نتج عنها: إلحاق الضرر بها في مختلف الكنائس

Asimov, Constantinople The forgotten Empire, Boston 1970, p. 69 .

Grabar, Byzantine Architecture and art, C.M.H., vol V, p.310-317

اسمت غم . إمبراطورية جستنيان ، ص ١٧ ، أسد رستم . الروم ، ج ١ ، ص ٢١٧

١ - الطراز البازيليكي Basilica- Shape : هو ذلك الطراز المعماري الذي انتشر في بناء الكنائس مبناً طويلاً ، واحتوى على صحن للكعبة . وأجنتها وسقفها القبة مع طور تشييد القبة وكلفة بازيليكى من الكلمة اليونانية Basilikos ومعناها « ملكي » . وهي في الأصل أطلقت على قصر الملك . عن ذلك أظهر شارلر أومان، الإمبراطورية البيزنطية . ص ٢٣ ، حاشية (١١)

٢ - القديسة كاترين : هي كاترين الإسكندرية Catherine of Alexandria . شهيدة مسيحية ، ولا تعرف تاريخاً محدداً لإستشهادها . وقد نسجت بشأنها أسطورة شهيرة ووفقاً للأسطورة يقال أن إمبراطوراً هو ماكسينتيرس Maxentius . أراد تزواج بها نظراً لما عرفت به من جمال فخاذ . وقد رفضت كاترين التحلى من ديانتها . ووفقاً لتلك الأسطورة ظهر لها السيد المسيح . وأن جسدها حمل عن طريق الملائكة إلى جبل سيناء . ويلاحظ أن عيدها يوافق يوم ٢٥ نوفمبر . عنها أنظر :

Artwater . The Penguin dictionary of Saints, p. 210 .

حاتم الطحطاوى « كورنثوس كورنثوس يدعو فرديناند وايزابيلا للشحن حملة صليبية والاستيلاء . على القدس ١٥٠١ م » . ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى . مجموعة من الأبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور فاسم عبيد فاسم بمناسبة بلوغه الستين عاماً . تحرير حاتم الطحطاوى . ط . القاهرة ٢٠٠٣ م . ص ٢٩ . حاشية (٢٦)

والأديرة . وجدنا أن المجموعة التي إقتناها ذلك الدير ظلت في مأمن من التخريب ، وهناك من يقر أنها لا تقدر بثمن ، كذلك لا تنغل أثراء مكتبته على مخطوطات ثمينه<sup>(١١)</sup> .

جدير بالإشارة هنا : أن رهبان ذلك الدير قنعوا بحصافة سياسية لا تتكرر على نحو جنهم الاصطدام بالقوى السياسية المتعاقبة التي قدمت إلى مصر وعبرت شبه جزيرة سيناء بوابتها الشرقية على مدى قرون متعددة .

كذلك تم تشييد عدد من الأديرة الكرومية الفخمة التي تليق بمكانة الامبراطورية .

أما فيما يتعلق بالسياسة الدينية لمجستينيان : فمن الملاحظ أن سياسته في ذلك المجال: وصفت بأنها ذات ميول غربية<sup>(١٢)</sup> شأنها في ذلك شأن سياسته الحربية ، وقد أراد إيجاد علاقات قوية مع البابوية في روما ، وهكذا : وجدناه يزيد مذهب الطبيعةيين ، ولذلك حارب أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة أو المذهب المونوفيزيتي<sup>(١٣)</sup> ، غير أن الأخيرين وجدوا دعماً

١- جوزيف نسم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٦ وعن دير سانت كاترين أنظر:

جيمس بيلي، اكتشاف الكتاب المقدس، قيادة المسيح في سيناء ، ت . آسيا محمد الطرسي، ط .

القاهرة ١٩٩٥م . ص ٥٩ - ٦٠

Weitzmann, The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai, The Icons, vol. 1, Princeton 1976

وهي أفضل دراسة تناولت أيقونات دير سانت كاترين ، نعوذ شقير . تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلاقات التجارية والحربية وعبرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلى اليوم . ط . بيروت ١٩٩١م . ص ٤٧٨ - ٥٠٢

الكتاب المذكور أول عمل عربي مفصل عن شبه جزيرة سيناء ويؤيد مصر الشرقية وهناك دراسة أخرى جديره بالتقدير أنظر : أحمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط . القاهرة ١٩٧٧م

أنظر أيضاً عن معاصر مكتبة الدير المذكور: جوزيف نسم يوسف ، المخطوطات العربية بدير النديسة كاترين في سيناء ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ / ١٩٦٩م . ص ٩٥ - ١٣٩

٢- هر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٩

٣- اعتقد المونوفيزيتيين أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية . ويسمى المذهب المونوفيزيتي Monophysitism وأتباعه هم المناصرة Monophysites . عن ذلك المذهب أنظر: شارلز أورمان . الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٦٠ - حاشية (١١)

ومساندة من ثيودورا التي اعتنقت مذهبهم وتزوجيًا صار جستانيان نفسه على نفس مذهبها بل وحارب أصحاب الطبيعتين<sup>(١١)</sup>.

بصفة عامة؛ أخفق ذلك الامبراطور في إيجاد توفيق بين أنصار المذهبين، ولا تفعل؛ أنه خلال تلك الأحداث ظهر دور بارز ليمقرب البرادعي الذي أدخل قوة جديدة على ثورة الميخوفيزيتيين، وصاروا يعرفون باليعاقبة<sup>(١٢)</sup>.

وجدير بالإشارة؛ اتجاه ذلك الإمبراطور إلى إغلاق مدرسة أثينا الفلسفية ذات التاريخ المجيد في خدمة الفكر الفلسفي الإنساني وذلك عام ٥٢٩م<sup>(١٣)</sup>، وكذلك إنجبه إلى إبعاد كل من أثبرت الشكوك حول عقيدته ونبغى التقرير هنا : أن الفكر دومًا يواجه بالعكر، أما أسلوب الإغلاق فلم يكن بمثابة القرار الصائب من جانب ذلك الإمبراطور على الرغم من المبررات الدينية الجاهزة التي يمكن أن يقدمها المؤرخون؛ لملافعهم عن سياسته.

أما فيما يتعلق بموقفه من اليهود؛ فالملاحظ أنه اصطدم بهم في عدة مناطق، ولا تفعل؛ ها أنهم حاربوا بجوار عناصر الوثقال، والقوط الشرقيين ضد محاولات البيزنطيين استرداد القسم الغربي من الإمبراطورية، كذلك هناك من يقرر اشتراكهم في ثورة النصر Nika عام ٥٣٢م السائفة الذكر<sup>(١٤)</sup>

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص-٩

٢- نفسه، نفس الصفحة. وعن سياسته الدينية انظر أيضًا: جوزيف تسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص٧٧

٣- عن ذلك أنظر:

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 150.

Ostrogorky, History of the Byzantine State, p. 77

(J.D.B., vol. 2, p. 1040.

Vasiliev, Op. cit, p. 149-150.

وأما

وعن علاقة اليهود بالإمبراطورية البيزنطية بصفة عامة أنظر: أحمد عامر، اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، التاريخ والمقبل، عدد يناير ٢٠٠٢م، ص١-٨٩

كذلك لا تغفل : أن عناصر السامرة Samaritans<sup>(١)</sup> الذين جعلوا مركزهم في نابلس ؛ وهم عنصر منشق عن اليهود ، تكررت : أحداث ثورتهم ضد الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان ، ويذكر التاريخ لهم ثورتين الأولى وقعت عام ٥٢٩م. بعد عامين من توليه العرش عام ٥٢٧م. والثانية عام ٥٥٥م<sup>(٢)</sup> . وقد تمكن الإمبراطور من القضاء عليهما

مهما يكن من أمر ؛ وجد المؤرخون اليهود المحدثون في موقف ذلك الإمبراطور ومن أتى من بعده الأباطرة البيزنطيين<sup>(٣)</sup> تأصيلاً لما عرف لديهم من معاداة السامية وعقيدة الاضطهاد وصبروا الأمر على أنهم دوماً ضحية حكاهم مغفلين أنهم تعاملوا بالريا من خلال الإقراض بعوائد باهظة<sup>(٤)</sup> ، كذلك كان لشرعهم وانزاهم في مناطق خاصة بهم أثره في إثارة الشكوك

١- السامرة : طائفة يهودية تركزت في نابلس Neapolis وقد انقسموا إلى قسمين أحدهما آمن عليه الكوشان ، والثاني «البوسثان» ، ويلاحظ عدم اعترافهم بما جا ، من بعد موسى عليه السلام من أسباط ، في إسرائيل ، وأطلقوا على أنفسهم تسمية الحاخامين على أسس محافظتهم على العقائد اليهودية بدون أي تعديل ، عن السامرة أنظر : أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، ص ٦١ . كرد على عظم الشام ، ج ٩ ، ص ١١٦

أحمد نزار سيد ، الحكم الإسلامي لفلسطين في ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ / ٤٩٦هـ . ط. القاهرة ١٩٢٠م ، ص ٢١١-٢١٢

حسن طافا - الفكر الديني اليهودي . ط. دمشق بيت . ص ٦-٢

٢- عن ذلك انظر : John Malalas, The Chronicle , p.294 Sharf, Byzantine Jewry From Justinian to the Fourth Crusade, New York 1971, pp.29-30, pp.44-45

وعن علاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان انظر :

محمد عثمان عبد الجليل - السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية (٢٠٥-١٦٣١م) ، المزمع المصري العدد (٧٥) ، يناير ٥٠-٢٠٠٥م ، ص ٨٧-٩٠

٣- لجور الإشارة : إلى ثرد اليهود عام ٥٧٨م بما فيها عناصر السامرة عام ٥٧٨م. كذلك ساعد العرس عبد غزيمه لفلسطين ٦١٧-٦١٨م. وقد اتجه الإمبراطور هرقل إلى التنازل بعدد منهم . عن ذلك : O.D B , vol . II , p. 1040 .

٤- عن ذلك انظر :

روبرت لويز - ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١١٩٧م . ص ٨٤ . محمود شاكر ، موسوعة تاريخ اليهود . ط. عمان ٧٠٠-٢٠٠٧م ، ص ٢٣٧

حولهم بما ساعد على تآمرى العفاء ضدهم فى القارة الأوروبية عموماً فى شرقها وكذلك غربها ، ولا تغفل أنهم ميزو أنفسهم عن سائر بنى البشر <sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر: لم يجد اليهود عموماً فى الإمبراطورية البيزنطية ما وجدوه فى المناطق التى أخضعها المسلمون لسيطرتهم بدءاً من القرن السابع الميلادى حيث تعمروا فى ديار الإسلام - بوجه عام- فى العصور الوسطى بالأمن والأمان، ووصلوا إلى مناصب سياسية رفيعة كما فى عهد الدولة الفاطمية فى مصر، كذلك : كان لهم نشاطهم البارز على الصعيد التجارى وأيضاً بالنسبة للناحية الطبية حيث برع منهم عدد من الأطباء . ولم يواجهوا تظهيراً عرقياً أو إجباراً على التحول من يهوديتهم إلى الإسلام <sup>(١٢)</sup>. وعلى حين وجدنا حوليات يهودية Jewish Chronicles تفيض بالحديث عن المذابح التى تعرض لها اليهود فى أوروبا العصور

١- وقد أطلق اليهود على شهرهم كلمة جرى *Yei* ولها دلالة عنصرية، عن ذلك انظر.

ديفيد سولير، جغرافية الأديان، د. أحمد لحسان سباتو، ط. دمشق ١٩٩٩م، ص ١٤-١٥

٢- عن تسامح المسلمين بصفة عامة مع اليهود فى العصور الوسطى انظر: مأمون كبريان، اليهود من الشرق الأوسط المخرج الأخير من الجيتو الجديد، ط. عمان ١٩٩٩م، ص ٢

برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، د. ماري شهستاني، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٦٤  
محمد بحر عبد المجيد، اليهود فى الأندلس، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ١١ - ١٧٧ إسرائيل ولفسون، موسى بن ميمون حياته ومعتقداته، ط. القاهرة ١٩٣٦م.

يحيى أحمد عبد الهادى أهل القنعة فى العراق فى العصر العباسى، الفترة السلجوقية نموذجاً ٤٤٧-٥٩٠ هـ / ١٠٥٥-١١٩٤م، ط. الكويت ٢٠٠٤م، ص ٥٨-٧٠، حسن الحبس، أهل القنعة فى الحضارة الإسلامية، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ١٢٢، فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل القنعة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٨٥-٢٨٦، عطية القرصى، اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١ - ١٧٥، سليم شمشوع، صفحات من التعاون اليهودى العربى فى الأندلس، شفا عمرو- فلسطين، ١٩٩٠م، ويلتر فيشيل، يهود عمى الحبش، الاقتصادية والسياسية للفرق الإسلامى العباسية - الفاطمية - الإغريقية، د. سهيل زكار، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص ١٥ - ١٥٥

Gottern, "Saladin and The Jews", H.U.C.A., vol. XXVII, 1956, pp. 305-326.

Awad, " Highlights on the Medical contribution of Musa Ibn Maimoun (1135-1204 A. 525-602 A H) during the Ayybid Rule in Egypt, " M. E.R.J., vol. 12, March 2003, pp 1-20  
Lewis, "Maimondes, Lineheart and Saladin", E.I., vol. VII, Jerusalem 1964, pp. 70-75

الوسطى<sup>١١١</sup>، لم نجد نظيراً لها عند عناصرهم التي عاشت جنباً إلى جنب بجوار المسلمين وشاركت في صنع الحضارة الإسلامية في تلك الحقبة التاريخية من ناحية أخرى.

وكامتداد لسياسته الدينية، إنجبه جستنيان إلى اتباع سياسة تنصيرية من خلال إدراكه لأهمية توسيع نفوذ كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية<sup>١١٢</sup>، ولذلك أرسل بالبعثات التبشيرية إلى مناطق مختلفة مثل مراحيل البحر الأسود القريبة وكذلك إلى الحبشة البعيدة<sup>١١٣</sup>، وغيره.

١- عن ذلك انظر: The Chronicle of Salomon bar Simson, in Eidelberg (ed.) The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades, Wisconsin 1977, 5-72 The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Eidelberg (ed.) The Jews and The Crusades, pp. 95-115.

رب عبد المجيد عبد القوى، اليهود في إنجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦-١٢٩٠م، ط. القاهرة: ١٩٦٦.

ص ٦٤، حاشية (١)

إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي، ت. صالح على سوادح، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص ١٠٩.

وهو لرحلي، الإسلام وغير المسلمين، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص ١٨٠، حيث يعرض لحقوق أهل الديانة في الإسلام.

٢- كلمة أرثوذكسية Orthodoxy: هي كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظة ها أرثوس، وتعني سليم أولوم، وروكسا، وتعني عقيدة - فيكون معناها المعتقد القويم. ويشتمل مصطلح الأرثوذكسية على الكنائس الشرقية غير الملقحونية وهي التي رفضت قرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١م، وتضم الكنيسة الأرمنية والسيروانية (كنيسة المعلقة) في سوريا، والهند، والكنيسة القبطية في مصر وكذلك في إثيوبيا، والكنائس الشرقية الملقحونية وتضم الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينية، والاسكندرية، وأنطاكية وبيت المقدس. عنها أنظر هذه الدراسة المهمة

سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية مناسبة احصاها، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص ٤٧-٤٨، ملحق الزويم، التسوية العربية المبصرة الأديان، المذاهب لمعتقدات المصطلحات الدينية، ط. دمشق، بيت-ص ٣٨٥، سعد السعدى، معجم الشرق الأوسط، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٣٤٩-٣٥٠.

٣- عن ذلك انظر: موسى، ميلاد العصور الوسطى، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ومراجعة السيد البار اعربى ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

من المناطق، ويلاحظ هنا؛ أن هناك عدة دوافع دفعت إلى إتباع تلك السياسة؛ فغلابه أنه أراد إعادة المجد الإمبراطوري من جديد تحت مظلة المسيحية الأرثوذكسية وتحقيق مكاسب اقتصادية من خلال فتح أسواق تجارية جديدة من خلال معتنقى تلك الديانة . كذلك إبعاد قوى مسيحية مجاورة يمكن أن تكون بمثابة « حزام أمن » يدعم الإمبراطورية في مواجهة أعدائها في الحاضر، وكذلك المستقبل.

بصفة عامة؛ يعد ذلك الإمبراطور من أوائل الأباطرة البيزنطيين الذين جعلوا التنصير جزءاً من العمل السياسي. وعلى نهج سار من بعده عدد من الأباطرة البيزنطيين.

وإلى جانب ما سبق من أحداث سياسية ، وإنجازات قانونية وعمرانية، واجهت الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد جستنيان بعض الكوارث الطبيعية مثل الأمراض الوبائية الفتاك، وكذلك حشرت هزات وزلازل عنيفة ولم يكن من السهول مواجهة مثل تلك الكوارث التي - من الطبيعي - أن حكومة ذلك الإمبراطور لم تكن لتتوقعها . وأضاعت أعباء ثقيلة إلى الأعباء الأصلية التي كانت تعلق منها

وفيما يتصل بالأمراض الوبائية نلاحظ انتشار الطاعون Plague في عصره<sup>(١)</sup>، وقد هاجم الإمبراطورية خلال الأعوام ٥٤٦ م. - ٥٤٤ م ولاوب في أن ذلك الامتداد على مدى عدة أعوام أكد أن "لأمر اتسع نطاقه الزمني وبالتالي امتد خطره على شعوب الإمبراطورية ، ونعرف أن الوباء بدأ - كما قرر البعض - من مصر<sup>(٢)</sup> ثم امتد إلى مقاطعات

= وعن التعبير بدقة عامة أنظر: على بن إبراهيم السلة. التنصير في المراجع العربية دراسة ورصد ورائي للطوط. ط الرياض. ٢٠٠٣ م. ص ٩ - ص ١٥٢

١ - Evagrius Scholasticus . The Ecclesiastical History, Trans. by Michael Whaley . Liverpool 2000, pp. 229-232 .

أيضاً هذه المقالة المتخصصة "منازل"

Allen . " The Justinianic Plague" . B. 49 . 1979 . pp. 5-20

Treadgold, A concise History of Byzantium , New York 2001, pp. 62-63 .

Angold, Byzantium, p. 25 .

والطاعون ؛ منه نوعان الضعفون الممدي ، والطاعون التروى. والأخير يوصف بأنه الأشد والأخطر. ويحصل عن الطاعون الفتدي في أن الفتدي في الطاعون الفتدي تنتقل عن طريق البراغيت التي تحملها =

أخرى في أنحاء الامبراطورية وقد وصف بأنه الطاعون الجسنتياتي The Justinianic Plague نسبة إلى الإمبراطور المعاصر له . ويلاحظ : أن عدداً من المؤرخين البيزنطيين أشاروا إليه مثل بروكوبيوس Procopius<sup>(١١)</sup> ، وروحنا الإفيسوس John of Ephesus ، وأقبياريوس Eph-egarius ومن خلال ما أوردوه أمكن الإطلاع على حجم الكارثة التي أصابت الإمبراطورية حينذاك

ويلاحظ أن عدد من فتك بهم الطاعون بلغ ٥ . ٠ . ٠ ٠ يومياً وفق ما قرره البعض<sup>(١٢)</sup> . وقد عجز الأطباء عن مواجهته أمام استفحال خطره على نحو حد البنية السكانية ، والأنشطة

---

= القفران ، والجردان ، أما الرثوى فتنتقل عدواه عن طريق الهواء القاسد ، والأول أعراضه تظهر من خلال ظهور أورام ويثور في أنحاء مختلفة من الجسم ، أما الثاني : فأعراضه تتمثل في أن المريض يعجز دماً بعد أن يصاب بالفتيان ، ويبدأ في القئ . عن ذلك أنظر :

إبراهيم خميس . «الأوبئة والأمراض التي نشبت بين الصليبيين في الشرق الأدنى الإسلامي وأثرها» ١٩٨٠-١٩٩١م / ٤٩١ - ٤٩٩هـ ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير علي أحمد السيد، وإبراهيم خميس، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٧٦-٧٨

وانظر هذه الأطروحة العلمية غير المنشورة :

Conrad (L.). The Plague in Early Medieval Near East, unpublished ph.D. diss. in Near Eastern Studies, Princeton University 1981 .

Evans, Procopius, p. 26 .

-١-

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية . ص ٧٩ . وخلال تلك الأحداث تعطلت جميع الأعمال العادية من الفسطاطية وحار السوق خالي إلا من يحملون جيش الموتى . وفي كثير من البوت لم تبق نفس واحدة على قيد الحياة وقد اضطرت الحكومة البيزنطية إلى اتخاذ إجراءات خاصة بدفن الجثث المجهولة . عن ذلك انظر

شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٩

أيضا ليد رستم . الروم . ج ١ ، ص ١٧٢

٢- شارلز أومان . المرجع السابق، ص ٧٩

الاقتصادية للإمبراطورية. كذلك كان لذلك الأمر أثره النفسي فقد نجح الناس في الكنائس على اعتبار تصورهم أنها: يمكن أن توفر لهم الحماية نظراً لطابعها الديني. ولانفعل أن العصور الوسطى بصفة عامة. سواءً في الشرق البيزنطي أو الغرب الأوروبي اتسمت بتعاظم الظاهرة الدينية التي تكتشف بصورة وضاحة خلال أحداث الكوارث الطبيعية على نحو خاص

وكما هو متوقع في مثل تلك الأحداث رأى المعاصرون أن ذلك الطاعون إنما حدث كعقاب إلهي نظراً للآثام التي ارتكبت<sup>(١١)</sup>، وكانت فداحة الخسائر - حيث تعلم أن هناك أسرات بيزنطية فقدت أغلب أفرادها<sup>(١٢)</sup> - كان ذلك أثره في تعميق الاتجاه إلى الجانب الديني كملاذ من الكارثة الوبائية الفتاكة.

جدير بالذكر : أن هناك حادثتين بارزتين في التاريخ البيزنطي بصفة عامة لانتشار الطاعون : الأولى تلك التي حدثت في عهد جستنيان والثانية في صورة الفناء الكبير The Black Death الذي وقع فيما بين عامي ١٣٤١ . ١٣٤٩ م. وهو ما سيتم تناوله في موضعه من هذه الدراسة.

بصفة عامة؛ يدل حدوث الطاعون المستتبان على تأثير الأمراض الوبائية الفتاكة على التاريخ البيزنطي وهو عنصر خارج عن حدود القتلوات البشرية على مواجهته حينذاك ، ومن الممكن القول أن ذلك الطاعون كان أشد تأثيراً من أي عامل آخر في إضعاف الامبراطورية البيزنطية على النحو الذي يلاحظه الباحثون في النصف الثاني من القرن السادس م<sup>(١٣)</sup>

من ناحية أخرى؛ حدثت في خلال حكم ذلك الامبراطور عزات زلزالية مدمرة<sup>(١٤)</sup>، وملاحظ وقوعها فيما قبل عصره ؛ إذ شهد عام ٥٢٥ م: أي قبل عامين فقط من توليه الحكم

Angold, Byzantium, p. 26

-١

Ibid, p. 26

٢

٣- شارلز فومان ، الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٩. وقد قرر أن ذلك الطاعون لم يحدث من قبل منذ

ثلاثمائة عام من خلال حجم تأثيره، أنظر، ص٧٩، ومنطقي أن ذلك يعكس بشاعة تأثيره وفكته بالكثير

٤- الزلازل Earthquakes- عبارة عن طلث سرعة متلاحقة وقصيرة المدى تصيب القشرة الأرضية خلال

فترات متقطعة نتيجة للاضطرابات الباطنية وتحدث كنتيجة لحركات القشرة الأرضية . ويعتقها احتكاك

عام ٥٢٧م بعضها . كذلك عادت الزلازل نشاطها . ويمكن القول أنه خلال المرحلة بين عامي ٥٢٦م ، ٥٤٧م<sup>(١٦)</sup> وقعت ٩ هزات زلزالية<sup>(١٧)</sup> وهي مدة زمنية تقدر بـ ٢١ عاماً من إجمالي مدة حكم جستنيان الواقعة بين عامي ٥٢٧ ، ٥٦٥م . أي ٣٨ عاماً . وكل ذلك يعني أن تلك الظاهرة الطبيعية المدمرة تكرر وقوعها على مدى أعوام حكمه . على نحو لا يستطيع المؤرخ تجاهل أحداثها وتأثيراتها على الصعيد الداخلي . مع ملاحظة أن الوضع الداخلي والخارجي يثقلان وجهتي عملة واحدة

على أمة حال : حدثت تلك الزلازل تأثيرها المدمر على الأبنية في العاصمة البيزنطية على نحو استدعى القيام بإعادة بنائها أو ترميمها . وتعرف أنه في يوم ١٤ ديسمبر ٥٥٧م - على

= الأجسام الصخرية التي يسكن منها الغلاف الخارجي . وتبدأ الموجات الزلزالية في المادة في صورة هزات حفيضة أو أولية تتزايد قوة حتى تصل إلى سطح الأرض الخارجي . وهناك عدة أنواع من الزلازل مثل البلوتونية Plutonic Earthquakes . ويكون مركزها في المادة في الأعماق البعيدة من باطن الأرض . ثم الزلازل التكتونية Tectonic Earthquakes وتحدث فجأة في المناطق التي توجد بها إنكسارات في القشرة الأرضية . أما النوع الثالث . فيتمثل في الزلازل البركانية Volcanic Earthquakes . وتحدث كنتيجة للمهزات الناجمة عن النشاط البركاني . عن الزلازل بصفة عامة أنظر :

Skinner, Physical Geology, New York 1974, p. 329, Stieglitz, Dictionary of earth Sciences, London 1976, p.95.

محمد علي المغربي . الزلازل الزلزالية . ط . القاهرة ١٩٥٨م . ص ٩ . فردريك بر . البراكين والزلازل . ت الدرداش سوحان . ط . القاهرة ١٩٨٩م . ص ٩٨ . على عبد العظيم نصيب . الحركات الحديثة للقشرة الأرضية . ط . القاهرة ١٩٩٠م . ص ٦ . حسن أبو العينين . كوكب الأرض ظواهر التضاريس الكبرى . ط بيروت ١٩٧٩م . ص ٢٣٦ . محمد صفى الدين . جيمورفولوجية قشرة الأرض . ط . بيروت ١٩٧١م . ص ٢٥١-٢٥٠ . صلاح الدين بحيري . أشكال الأرض . ط . دمشق ١٩٧٩م . ص ٢٢ . محمد منولى . وجه الأرض . ط القاهرة ١٩٧٧م . ص ٦٦ . محمد مؤنس عوف . الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية . ط القاهرة ١٩٩٦م . ص ٥٥ - ٦٢ . هدى الويسى . الزلازل في بلاد الشام في القرنين ١٢ ، ١٣ . رسالة ماجستير . غير منشورة . كلية الآداب - جامعة أسيوط . عام ٢٠٠٧م . ص ١٥-١٦

Agathas, The Histories, Trans. by (J.D. Freedo . New York 1975 . p. 128 .

Evans, Procopius, p.26

سبيل المثال- : حدثت هزة زلزالية عنيفة تركت آثارها على كنيسة أيا صوفيا<sup>(١١)</sup>.

جدير بالذكر؛ تعرضت الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها لعهد من الهزات الزلزالية التي اختلفت قوتها وتوزيعاتها. على مدى أعوام ٢٤٢م. ٤٥٤م. ٥٢٦م. ٥٥٧م. ٧٤٠م. ٨٨٦م. ٨٦٩م. ٩٨٩م. ١٠٦٤م. ١٢٩٦م. ١٣٤٦م<sup>(١٢)</sup>؛ أي خلال المرحلة الواقعة بين القرنين الرابع، والرابع عشر الميلاديين، ولاتفعل هنا آسيا الصغرى كانت مرتعاً لمثل تلك الهزات الزلزالية بالإضافة إلى قربها من منطقة جبال زاغروس التي امتلكت نفس الصفة ولم تكن الزلازل قاصرة على تلك الإمبراطورية فحسب؛ بل أحدثت تأثيرها على المناطق المجاورة أحبباً مثل بلاد الشام وما وراءها كمصر. وبالتالي غدت جزءاً من نطاق جغرافى أكبر.

على أية حال؛ تركت مثل تلك الزلازل تأثيراتها السلبية على البنية المعمارية والسكانية والنشاط الاقتصادى عمومًا

أما فيما يتصل بالمجتمعات الاقتصادية، والاجتماعى؛ فقد حدث خلال عهد ذلك الامبراطور حدث اقتصادى محوري؛ إذ توصل البيزنطيون إلى سر الحرير<sup>(١٣)</sup> الطبيعى من خلال دود القز،

-١-

Evans, Procopius, p.26.

-٢- عن ذلك أنظر:

Downey, "Earthquakes, at Constantinople and Vicinity (324-1453)", S., vol. XXX, 1955, pp. 596-600.

وتعد أفضل ما كتب عن الزلازل في التاريخ البيزنطى.

أيضاً:

O.D.B., vol. 1, pp. 629-670.

٣- فيما يتصل بالحرير؛ من المقرر أن مصدر دودة القز أو دودة الحرير كان في جبال آسام في شمالي الهند، وفي بلاد البنغال، إلا أنه في شمالي الصين تعلم الإنسان لأول مرة في تاريخه كيفية القيام بسج حيرط الحرير من القز، وتم ذلك في حوض نهر تاريم فيما عرف باسم تركستان الصينية. وفيما بعد ظهر إلى نوحود طريق الحرير Silk Road وقد بدأ من الصين، واخترق ما عرف ببنغوليا وحوض نهر تاريم ومرتات أفغانستان وبلاد فارس حتى يصل إلى بلاد الرافدين ثم إلى بلاد الشام، وهناك تفرع إلى آسيا الصغرى، ومنها إلى أوروبا، أو من الساحل الشامى إلى أوروبا؛ ويلاحظ أن الجيولوجى والرحالة الألماني فردراند فون ريشتهوفن Ferdinand von Richthoffen (١٨٣٣-١٩٠٥م) قام عام ١٨٦٠م برحلته في الشرق وعاد أدرجه إلى ألمانيا عام ١٨٧٧م وأطلق على الطريق المذكور تعبير «طريق الحرير» انظر: محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى ص٩٣

وقد اختلف في كيفية حدوث ذلك. إذ رأى البعض: أن عدداً من البيزنطيين ذهبوا إلى الصين، وتكسروا من حلب دود القز، وأوراق الثوت، أو أر أميرة صينية أحييت شاباً، وخانت بلادها وأشت أمر الحرير الذي كان حينذاك سراً صينياً قومياً لا يعرفه إلا الصينيون وحدهم، وعندما عرفت بهرطقة ذلك الأمر: دحلت في دائرة استخراج الحرير على نطاق متسع على نهر خاص في القسطنطينية وميروت، وصور، وأنطاكية، وبلاد اليونان خاصة طيبة.

ولانعقل: أن بيزنطة جنت من وراء ذلك أرباحاً طائلة مع ملاحظة أن أركان التجارة في "العصر الوسطى - بوجه عام - ثلثت في الحرير Silk، والذهب Gold، والرميق Slaves، والتوابل Spices، مع عدم اغفال بقى السلع الأخرى، ضمن المنظومة التجارية بطبيعة الحال، وبعد الامراطورية على التفرق التجاري موقعها الفريد بين آسيا وأوروبا وفي مواجهة أفريقيا

أما من الناحية الاجتماعية: فقد شهد عصر جستنيان محاولات للإصلاح الاجتماعي قامت بها زوجته ثيودورا التي عملت على مواجهة ظاهرة الدعارة Prostitution<sup>(١٢)</sup>، الشى

= هابـ تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. ت. أحمد محمد رضا. ط ١، القاهرة، ١٩٨٥، ج ١ ص ٨. مرييس لومبار "الاسلام في مجده الأول، ت. إسماعيل العربي، ط ١، دار البعث، ١٩٩١، ص ٢٧١-٢٧٢، مجدى غنيم، الحرير، ط ١، القاهرة ١٩٩٢م، عبد الرحمن سامى، القزل الحق في بيروت ودمشق، ط ١، بيروت ١٩٨١م، ص ١-٣، على أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، معاه دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٢)، العددان ٣٩، ٤٠، كانون الأول ١٩٩١، ص ٧٢-٨٢؛ عبد الرحم حبيفة، بين ابن بطوطه وماركوبولو، العدد المذكور، ص ٨٣-٩٥، محمد حرب موزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين و"شام"، العدد المذكور، ص ٩٦-١١٨، نعمان محسن جبران، محاولات "فهم السيطرة على طريق الحرير قسابق وتنتائج"، العدد المذكور ص ١٢٨-١٥٥

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 168 -١

عن الحرير في بيزنطة ترجمه عام، ط ١، "Silk Industry in The Byzantine Empire", S., vol. XX, 1945, pp. 1-42.

Menais, Organization, Market Structure and Mosais Operandi of The Private Silk Industry in 10 Thh century Byzantium", D.O.P., 53, 1999, pp. 203-334.

- وجدت الدعارة في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية على مدى تاريخها وفقدت على نهر منظم ووجدت مظهرها في المحاسنات والساحر وساحت، والمهانيات، ويلاحظ أن القوانين جرمت استغلال العنبيات

انتشرت في أنحاء العاصمة البيزنطية ، ولا تفضل أنه وفقاً لما قرره بروكوبيوس فإن ثيودورا ؛ وصفت بممارسة الدعارة . ولذلك كانت أكثر استعداداً للتعاقد مع باتعات الهوى ، وهكذا . انجذبت إلى معاونات التائبات منهن للإبتعاد عن ذلك الطريق الضال . وأقامت مراكز روبرتا للإصلاح ، كذلك شيدت دير ميتاتريا Metanoia : لا يراء أولئك التائبات <sup>(١)</sup> . ووفق ما قرره بروكوبيوس فقد عملت على رعاية ٥٠ عاهرة من خلال اللايوا ، في مثل ذلك الدير <sup>(٢)</sup>

ولا يفهم من العبارات السابقة أن زوجة جستنيان تمكنت نهائياً من معالجة مشكلة الدعارة . بل أنها استمرت فيما بعد على مدى التاريخ البيزنطي . وبصفة عامة ؛ فإن ذلك بعكس الدور الاصلاحى الاجتماعى الذى قامت به ثيودورا على نحو ضمن لها مكانة بارزة في ذلك العصر وأكد أهمية دورها في الامبراطورية جنباً إلى جنب مع جستنيان

على أية حال ؛ توفي أن جستنيان عام ٥٦٥ م ؛ عقب حياة حافلة بالأحداث على كافة المستويات ، تاركاً المؤرخين في جدل واسع بشأن تقويم إنجازات عهده بين مؤيد إلى حد بعيد ، ومعارض على نفس الدرجة على نحو لم يشأت لأى إمبراطور بيزنطى آخر خلال العصر

= القاصرات في أعمال الدعارة . ولجند أ جستنيان في التجددات أقر رفضه ذلك الأمر قائلاً : كما قلت من الموقف الكنيسة ، ومع ذلك عملت الفتيات الفقيرات كمومسات Prostitutes مع ملاحظة أن منهن من تاب وانصفت بالقداسة ، وهن أمم نجهد في سيرة بلاچين العاهرة Pelagia The Harlot . ومريم المصرية Mary of Egypt ، وهن في ذلك سرن على ذات الخطى التى سارت عليها من قبل مريم المجدالية - Mary of Magdalen . وعلى أية حال ؛ وصلت المومسات أحياناً إلى النصر الإمبراطورى : كما حدث في عهد الإمبراطور أنسترونيسكرس 1 Andronius (١١٨٣-١١٨٥)م الذى انجبه إلى التسمره عن نفسه من خلال المومسات والمحظبات . عن الدعارة في الإمبراطورية البيزنطية أنظر :

Procopius , Secret History , p. 84 .

Life of St Mary of Egypt , Trans. by Maria Koull , in Taltot (ed.) Holy Women Byzantium Ten esnt'a lives in English Translation. Washington 1996, pp. 65-93

O.D.B., vol III, p. 1741

Evans, The Empress Theodora Partner of Justinian, pp. 32-34 .

-١

O.D.B, vol III, p. 1741

Procopius, Op. cit ., p. 84 .

-٢

البيزنطي المبكر. والأوسط، والمتأخر. ودوماً مبالغة أو اعتصاف في الأحكام على نحو يؤكد لنا أن جستنيان عاش في التاريخ البيزنطي بفضل الجدل الذي أثير بشأن جدوى سياساته وأعماله أكثر مما عاش بفضل أعماله الحربية التي تؤكد إخفاقها حتى من قبيل وفاته، وبصفة عامة، وبمعنى النظر على أوجه الاختلاف حول تقييمه فالأمر المؤكد أنه من أبرز الأباطرة البيزنطيين.

ونأتي الآن إلى زاوية معروفة . وهي محاولة تقويم لعهد ذلك الإمبراطور.

والواقع أن هناك من قرر عنه ما نصه : « أن جستنيان أتم كثيراً من الأعمال فجعل العالم. وأمه بأدق مجموعة من القوانين . وأصبحت فتوحاته المضارة الرومانية في الغرب ، كما أنفدت سطوته الدينية، والعلمانية التي قدم بتطبيقها خلفاء الشرقيين من الإدلال في حادثة كانوسا، ولكن كان من نتيجة ذلك دوسان عظيمان ، إذ وضع أنه لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب . وأن المالية السليمة . والمنظمة هي أساس الحكومة الناجحة . ويتجاهل جستنيان هذه القواعد سبب للإمبراطورية خسارة لاتعوض بها أثرها وأضعاف عقب موته مباشرة»<sup>(١)</sup>.

والواقع أن الرأي المذكور يعكس لنا وجود جوانب إيجابية لا تنكر. وكذلك سلبية كبيرة دفع الشعب البيزنطي ثمنها قادحاً نتيجة لها . ولاتفعل أن « القوسية » المذكورين كان من الممكن تجنبها في حالة الاحتكام إلى العقل وعدم اللجوء وراء أفكار وتصورات أكل عليها الدهر وشرب خاص بإعادة مجد روما المتهار، ونعياً تحت ستار تلك خيل القبائل الجرمانية الغارية والمستفردة بالعقل.

#### حوريف تميم يوسف - تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٨٨

وحادثة كانوسا Canossa التي أشار إليها المؤرخ المذكور عبارة عن ذهاب الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV إلى البابا حرمجوري السابع Georgy VII في كانوسا Canossa في مقاطعة توسكانيا Tusany بإيطاليا لتقديم الاعتذار له وبالتالي يرفع عنه الحرمان الكنسي Excommunication الذي فرض عليه وقد مكث الإمبراطور ثلاثة أيام أمام أبواب القنطرة الموجودة هناك وفي يناير ١٠٧٧م . ثم فتح البابا أبواب القنطرة وخرج لديه، فضل الإمبراطور تقبليه واعتذر له وعلى ذلك : قبل البابا اعتذاره وتم رفع الحرمان الكنسي عن ذلك انظر.

Trout, The Empire and the Papacy . 918-1271, London 1914 . pp. 13-132

Rand Founders of the Middle Ages, New York 1975 . p. 77

ويقرر مؤرخ آخر ما نصه : « فلعل جستنيان يبدو من أكثر الشخصيات إثارة للحيرة ، فببما الإمبراطورية أشد ما تكون حاجة إلى سياسة حازمة تجنبها شر الفرس ، والصقالبة والآثار ، والبلغار ، فبحده يولج بمشروعات غريبة ربما لم تكن الدولة في أي حاجة إلى إقامها ، بل جلبت عليها الكوارث المروعة واستنزفت كثيراً من طاقاتها ، ومواردها ولم تزد هي النهاية إلا إلى اختطافها <sup>(١٦)</sup> .

وفي موضع آخر يقرر ذات المؤرخ « توفي جستنيان سنة ٥٦٥م عن ثلاثة وثمانين عاماً وترك الإمبراطورية أفقر مما كانت حين تولاه وأشد ما تكون قرباً من التدهور ، والإنهيار ، وأقل رومانبة مما كانت عليه . بل إن إيطاليا التي أجهد نفسه في انتزاعها من القوط الشرقيين ما لبث أن وقعت فريسة سهلة في أيدي اللسباردين ، وقويت فيها شرسة البابية . وترتحت فيها دعائم السيطرة البيزنطية لتزكد الفشل الذريع لسياسة هذا الإمبراطور العسكرية ، والدببية في إيطاليا قلب العالم الروماني ومركز الثقل فيه <sup>(١٧)</sup> .

وفي تصوري : أن ذلك الرأي يعكس - بواقعية - نتائج سياسة ذلك الإمبراطور الذي وصفه البعض بالعظمة دون إبراز دوره بما له وما عليه .

ومن ناحية أخرى : نجد أن المؤرخين الأوروبيين الذين وقعوا في أسر كارزما Charisma جستنيان رأوا فيه (إمبراطور) متفرداً : ولذلك وجدت مؤلفات تتناول عصر « جستنيان » أو « جستيان » العظيم بينما يؤكد الواقع التاريخي أنه لم يكن يمثل ذلك التصور إن تأكد لنا أننا أمام إمبراطور مخفق حاول أن يقاوم قوة غرست جذورها في التربة الأوروبية على مدى خمسة قرون كاملة خاصة بعد أن نجحت في إسقاط روما عام ٤٧٦م ، وبالتالي فذلك الجانب الدعائي هو نتاج المركزية الأوروبية دون أن نجد سنداً من الواقع التاريخي المرمي على الأقل .

لقد ألقى جستنيان خزان الإمبراطورية ، وترك خلفاته مشكلات مزمنة . كما هدد طاقات أباء الإمبراطورية جريماً واء سراب لاطائل من ورائه فهل بعد هذا يوصف بأنه إمبراطور عظيم ؟ إنها رؤية المؤرخين الأوروبيين الذين حاولوا إيجاد نموذج أوربي قروسطي للبطولة ووقع اختيارهم على ذلك الإمبراطور !!

١٦- محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٦٤

١٧- نفسه ، ص ٦٥

ومع ذلك : من الإنصاف الرأى بأن إنجازاته القانونية والمعمارية شهدت نجاحاً بارزاً . ومن الملفت للإنتباه : أن العليّات العسكرية التى أجهزت الإمبراطورية ذهبت هباءً منثوراً . أما الجانب المعماري : فلا يزال منه ما يقى على الرغم من تعاقب القرون . وكنيسة أيا صوفيا نطق بمصاحبة بالتاريخ الذى يرجع إلى عصره

من الملاحظ أن جستنيان استجاب لرؤية البيزنطيين الذين توهموا أن من الممكن استعادة القسم الغربى من الإمبراطورية ، وانهيروا بانتصارات جيوش الامبراطور خاصة في المرحلة المبكرة . دون أن يدرك أنها انتصارات مؤقتة ولن تستمر . وفي تقديرى : أنه فى حالة قيام جستنيان بالإتفاق على الجوانب الاقتصادية . والعمرانية فى داخل الامبراطورية لحقق نجاحاً أكثر دواماً بدلاً من اتفاق الأموال الطائلة على آلة الحرب ، وبالتالى ، يحق لى وفق سياسته بحر العرب بعدم الواقعية ونقص النظر

وهناك من المؤرخين من اعتاد إطلاق اسمه على عصر بأكمله فيسمونه عصر جستنيان<sup>(١)</sup> ، وليلامك الباحث أمام ذلك التصور : إلا أن يقرر أن مثل تلك الرؤية تتسم بالإتيهار بشخصية جستنيان<sup>(٢)</sup> ، وإنجازاته ولا يوجد مخرج من مثل تلك التصورات إلا من خلال الرؤية

١- فوضح مثال دال على ذلك كتاب إير

Ure Justinian and his age London 1951

فهو يطلق اسم جستنيان على عصر بأكمله وكأنه كان إمبراطوراً ناجحاً نجاحاً غير مسبوق

٢- نجد مثلاً دالاً على ذلك في صورة ما أوردته الفرجة أ.د. است غنيم عن جستنيان حيث ذكرت ما صعد . من أن عهد جستنيان قد بدأ بداية طيبة بشرت بالأعمال للزدهرة . ثم سار وهو مكمل بالأعمال الرائعة والمجهر (تخلصه من أهل النهوض بالإمبراطورية وتبنيها مكانة رفيعة سامية . ثم انتهى هذا العهد وهو محاط بحر من الفلوم ، والسخط الشديد على إمبراطور هو فى الحقيقة عمالة التاريخ الأوروى . ويمكن وصف الفرجة المعاصر أنجانيوس أنقى قال عن جستنيان إنه أبلى من دل بأقواله وأفعاله دين حسم أنطوة الدولة الرومانية أنه إمبراطوره أنظر .

است نسيم . إمبراطورية جستنيان . ص ٨٩ . وهي تصورى أن العبارة المذكورة تعكس إتهار المؤلمة بالإمبراطور المذكور . والعقلية المذكورة غير واردة على المستوى السياسى والجرى . أما قول الفرجة 'جانيوس' بعد تردد على ألسنة مورخين آخرين معاصرين لأبيرة بيزنطيين آخرين . هو لا يخرج من دائرة الادعاء =

الموضوعة التي توضح الإيجابيات والسلبيات مهما يكن من أمره على الرغم من رحيله عام ٥٦٥م ، إلا أن المرحلة الواقعة من العام المذكور حتى عام ٦١٠م وحتى من بعد ذلك كانت تعتبر حبر تعبيري عن أخطائه ترك إمبراطورية مجهدة ، ومنهكة ، وخزائنها خاوية ونكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب ، وينطبق ذلك على عهد كل من جستين الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) ، وتيبيريوس (٥٧٨-٥٨٢م) ، وموريس (٥٨٢-٦٠٢م) وغركساس (٦٠٢-٦١٠م) ؛ وهم أوائل ضحايا جستينان ! وبالتالي يتأكد لنا أن عصره لا يهمهم دون المرحلة التالية له التي دفعت الثمن فادحاً

وراد من اضطراب الأمور في الإمبراطورية البيزنطية : عودة الصراع بين حزبي الزرق والخضر السالفي الذكر ، كما تجدّد الصراع البيزنطي- الفارسي ، وقد استغل الفرس تلك الأحداث ؛ لتحقيق مكاسب عسكرية ، وسياسية بارزة في مرحلة ما بعد جستينان حيث مثل لهم ذلك الوضع فرصة ذهبية كان عليهم اغتالها ، والأمر المؤكد لمحاجهم في ذلك المجال

وهكذا ؛ تجدّد أحداث الحرب خلال المرحلة من ٥٧٢ إلى ٥٩١م لتشمل قسمًا من عهد الإمبراطور جستينان الثاني ، وكذلك تيبيريوس<sup>(١)</sup> ثم جاتيا من عهد الإمبراطور موريس ؛ مما عكس أن بيزنطة واجهت عدواً شرساً مصراً على هدفه ولم يكن من الممكن إلحاق الهزيمة به في يسر وسهولة.

= السياسة الواضحة ، ومن الهم الإشارة إلى أن رأى مؤرخ معاصر واحد لا يلزمنا أننا نجد عكس ما قاله في لدى بروكوبوس المؤرخ المعاصر.

١- عن حزبي الإمبراطورين أنظر:

Stein, Studien Zur Geschichte der byzantinischen Reiches Vornehmlich Unter den Kaisern Justinus II und Tiberius , Stuttgart 1919

وهي أشمل وأفضل دراسة في موضوعها

Jones , The Later Roman Empire, p.302-309 .

وأنظر أيضاً هذه الرسالة:

ناصر عبد الحميد زيلان ، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطورين جستين الثاني وتيبيريوس ٥٦٥ - ٥٨٢م

رسالة ماجستير بحري مشورة ، كلية الأدب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠ - ٧م

على أية حال ، من الممكن التنصر بأن خلفاء جستنيان وضعوا في ظروف اقتصادية وعسكرية وسياسية قاسية أكبر من قدراتهم ، ومن الخطأ البين : تصور أنهم كانوا يملكون قراراتهم في المجالات المذكورة بحرية : لأنهم كانوا يحكمون إمبراطورية متهكة كان يحكمها واقعياً جستنيان من قبله بفضل سياساته!!!

مهما يكن من أمر : في مقدورنا القول بأن الإمبراطور موريس<sup>(١)</sup> يعد أكثر الأباطرة الذين حكموا من بعد جستنيان كفاءة من الناحيتين العسكرية والسياسية وملاحظ أنه وضع نصب عييه ضرورة استمرار السيادة البيزنطية على كل من آسيا الصغرى ، وكذلك البلقان ، وفي سبيل ذلك : طرق أبواب الدبلوماسية فمقعد مع الفرس إتفاقاً عام ٥٩٢م بعد عشر سنوات من توليه السلطة ، وبموجبه تم الاتفاق على أن يتم ضم أرمينيا ، وقسم من شمالي بلاد ما بين النهرين Mesopotamia للإمبراطورية البيزنطية وفي المقابل : كان على الأخيرة أن تقدم مدينة سنوية للفرس ، ومن الملاحظ هنا : أن الاتفاق المذكور كان من شأنه سيطرة بيزنطة على مناطق استراتيجية في مواجهة الفرس ، كذلك التقاط الأنفاس لمواجهة الظروف الداخلية السيئة التي مثلت تحدياً حقيقياً في وجه ذلك الإمبراطور

والواقع : أن قبول الإمبراطور موريس للاتفاق المذكور ، وهو الرجل العسكري لا يعلم من دلالة ، وهو وعيته في تجنب الاستمرار في الصدام مع الفرس ، وإدراكه أن ذلك بعد انفصل الحلول التي يمكن الإقدام عليها وسط الظروف الراهنة التي عايشها.

مهما يكن من أمر : حدد خطر آخر الإمبراطورية في صورة هجمات عناصر السلاف ، والألار الذين تقدموا في مناطق تراقيا ، ومقدونيا ، وبالفعل تقدم الإمبراطور بقواته لصد الخطر 'تقدم عبر نهر الدانوب وتكون بعد عشر أعوام من الاتفاق السابق الذكر من تحقيق انتصار له من شأنه هناك إلا أن تمرداً حدث في صفوف جنوده ، أدى إلى قتله وظهر في الساحة قائد آخر هو مركاس Phocas الذي صار إمبراطوراً ، وذلك في عام ٦٠٢م.

١- عن ذلك للإمبراطور أنظر :

وفا ، محمد ، الإمبراطور موريس رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام

ومن الجلى البين : أن الإمبراطور موريس على الرغم من جهود الحربية والديبلوماسية في مواجهة القوى المعادية للإمبراطورية في جبهتين مختلفتين سواء في الشرق مع الفرس أو عبر نهر الدانوب مع السلاف ، والأكثار : إلا أنه لم يجد لدى أغلب المؤرخين إلا أقل القليل من الاهتمام ، بل وكذا الأمر على الإمبراطور جستنيان. وعند مقارنة الإمبراطور موريس بغيره من خلفاء جستنيان يتضح بجلاء أنه أكثرهم نشاطاً ، وواجه ظروفًا قاسية وحاول جاهداً مواحه الأعداء ، ومن أكثرهم ولم ينل (ما يستحقه من المؤرخين إلا ما ندر على نحو يجعلنا نعتبره من الأباطرة المظلومين في التاريخ البيزنطي المبكر.

مهما يكن من أمر ؛ انتهز الفرس الفرصة السانحة ، وأودادوا تحقيق انتصارات على الإمبراطورية الضعيفة الأوضاع واستطاعوا بالفعل التوغل في مناطق بلاد الشام. ومصر وآسيا الصغرى بل أمكنهم الوصول إلى مدينة خلقدونية ، ولأن خزائن الإمبراطورية كانت من قبل عاسرة ، وصارت الآن خاوية؛ لم يكن في الإمكان شراء السلام الشاحب الحنجر معهم هذه المرة.

وهكذا : من الممكن القول - دوناً مبالغه - أن تأثير بحرية جستنيان امتد حتى عهد الأسرة التالية وخاصة عهد مؤسسها وعنى به الإمبراطور هرقل إن لم يكن فيما بعد ذلك دون إمكانية تحديد النتائج البعيدة المدى لتلك المرحلة التاريخية على نحو خاص من مراحل التاريخ البيزنطي الحديث.

ذلك أمر جستنيان وأحداث عصره الصاخبة وتقديمه بين المؤيدين والمعارضين أما إذا الجها صوب عرض موجز لأهم الأعلام الذين ظهوروا خلال القرن السادس الميلادي فنذكر عدد من المؤرخين والجغرافيين في صورة بروكوبيوس<sup>(١)</sup> ، ويوحنا سالالاس<sup>(٢)</sup> ، ثم هناك قسوزما الملاح<sup>(٣)</sup>.

أما في مجال الأدب ؛ تذكر الشاعر رومانوس المرتل ، ويعد أفضل الشعراء في عهد جستنيان وهناك من يقرر اختصار أعماله على الابتهالات الدينية<sup>(٤)</sup>.

١- عنه أنظر: المدخل البيليوغرافي.

٢- عنه أنظر: المدخل البيليوغرافي.

٣- عنه أنظر المدخل البيليوغرافي.

٤- أند وستم، الروم ، ج ١ ، ص ٢٦٦ ، وأنظر أيضاً المدخل البيليوغرافي.

كذلك هناك شاعر آخر في صورة بولس المشيدى أى الصامت<sup>(١١)</sup>، الذى خص كنيسته المحكمة الإلهية Hagia Sophia بقصبتين تعد من مصادر تاريخ تلك التحفة المعمارية الباقية. وعند عقد مقارنة وجيزة بين أسرة جستنيان والأسرتين السابقتين في صورة قسطنطين وثيودوسيوس، نلاحظ أن أسرة جستنيان حكمت ٩٢ عاماً، وبالتالي؛ فافت زمنياً أسرة قسطنطين التى امتد حكمها إلى ٧٧ عاماً، وهى نفس الحقن أقصر عهداً من أسرة ثيودوسيوس التى امتد عصرها إلى ١٣٩ عاماً

ومع ذلك؛ من الأهمية بمكان هنا الإقرار، بأن الرجوع فى التاريخ ليس وجوداً زمنياً، بل من خلال الفعالية التاريخية ذاتها، ومن خلال ذلك؛ نفكر أن الأسرة الأولى امتازت برتق الاصطهاد الذى حل بالمسيحية، وتشيد العاصمة البيزنطية والثانية امتازت باتخاذ المسيحية ديانة رسمية والاهتمام بالقانون، أما الثالثة فقد أنجزت إسهامات قانونية ومعمارية ناجحة ونجربة عسكرية فاشلة؛

ولانفعل أن أسرة جستنيان أثارت جدلاً لم تثره الأسرتين السابقتين عليها

من جهة أخرى؛ تشترك الأسرات الثلاث فى أن هناك دوراً للمرأة بصورة أو بأخرى وتأثيراً على امبراطور يارز من الأباطرة، مثال ذلك تأثير هيلانة أم قسطنطين على ابنها، وكذلك تأثير إيناس يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثانى عليه وكان مطيحاً لها، ثم أثر ثيودورا على زوجها جستنيان، ومن الجلى البين؛ أن الأخيرة كانت أكثرهن قدرة على التأثير على مسار الأحداث، كما تفتحت بصفاتها عن سابقتها من خلال أن لفظاً أثير حول سلوكياتها من خلال ما أوردته بروكوبوس، كما أن هيلينا تحولت إلى قديسة وهو ما لم يتأت للشخصيتين التاليتين، ولأمرأ؛ فى أن ذلك يؤكد دور المرأة فى توجيه السياسة البيزنطية منذ ذلك العهد المبكر ذلك أمر أسرة جستنيان؛ أما الأسرة الهرقلية وهى التالية لها فتعرض لمعالم عصرها على مدى الصفحات التالية.

١- أند رستم، المرجع السابق، ص ٢١٦، عندما قمت شخصياً بزيارة تركيا، وشاهدت تلك الكنيسة التى صارت مسجداً أدركت بالفعل استحقاقها لتلك القصائد ويكنى الرضاخ قسماً بذلك القطار الشامخ

### ثالثاً : الأسرة الهرقلية ( ٦١٠ - ٧١٧ م )

نتعرض في هذا القسم من الكتاب لعهد الأسرة الهرقلية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٦١٠ إلى ٧١٧ م : أي ما زاد على قرن من الزمان

فتتار الأسرة الهرقلية بكثرة عدد أباطرتها الذين تولوا الحكم فيها على نحو فاق الأسرات السابقة عليها في صورة أسرات قسطنطين ، وثيودوروس ، وأسرة جستنيان وأباطرة الأسرة الهرقلية هم : هرقل Heraclius ( ٦١٠ - ٦٤١ م ) قسطنطين الثالث Constantine III ( ٦٤١ - ٦٤٢ م ) وقنسطانز الثاني Constance II ( ٦٤٢ - ٦٦٨ م ) ، وقسطنطين الرابع Constatine IV ( ٦٦٨ - ٦٨٥ م ) ، وجستنيان الثاني Justinian II ( ٦٨٥ - ٦٩٥ م ) وليونتيوس Leontius ( ٦٩٥ - ٦٩٨ م ) ، وتيبيريوس الثاني Tiberius II ( ٦٩٨ - ٧٠٥ م ) وجستنيان الثاني Justinian II ( ٧٠٥ - ٧١١ م ) ، وفيليبكوس Philippicus ( ٧١١ - ٧١٣ م ) ، اناسانس الثاني Justinian II ( ٧١٣ - ٧١٥ م ) ، وثيودوروس الثالث Theodosius III ( ٧١٥ - ٧١٧ م )

ومن الملاحظ : أن تلك الأسرة احتوت أباطرة حكموا مدة طويلة نسبياً كما في حالة كل من الإمبراطور هرقل ، وقنسطانز الثاني ، وقسطنطين الرابع . وهناك من لم يتجاوز حكمه عام أو عامين فقط مثل ثيودوروس الثالث : كما عكس الضعف السياسي ، وعدم الاستقرار خاصة خلال المرحلة الأخيرة من عهد تلك الأسرة

على أية حال : الأمر المؤكد أن أهم إمبراطور خلال حكم تلك الأسرة هو الإمبراطور هرقل<sup>(١)</sup> المؤسس البارز الذي كان إنشأ لحاكم قرطاجة ، وقدم إلى القسطنطينية ، وقام بإتقلاب أوصله إلى سدة الحكم عام ٦١٠ م في ظروف تاريخية معقدة وعصيبة خاصة على جبهة الصراع البيزنطي - الفارسي .

#### ١ - عن الإمبراطور هرقل أنظر

Reinink and Stolle (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and Confrontation, Paris, 2002

ويحتوي على ( ١٣ ) بحث من الأبحاث التي أنظمت في ورشة العمل التي عقدت في جامعة جرومبي خلال المدة من ١٩ إلى ٢١ أبريل ٢٠٠١ م .

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, Cambridge 2003

ومن الممكن إجمال أهم أعماله على النحو التالي:

أولاً : مواجهة الخطر الفارسي.

ثانياً المشكلة الدينية .

ثالثاً : الصراع البيزنطي - العربي.

وفيما يتصل بالخطر الفارسي؛ يلاحظ أن الفرس في عهد خسرو الثاني Khosrocs II (٥٩١-٦٢٨م) تمكنوا من تحقيق نجاحات غير مسبوقة على حساب بيزنطة وقد أسقطوا عدداً من مدن بلاد الشام ، بل تمكنوا من دخول بيت المقدس وذلك عام ٦١٥م بعد خمس سنوات فقط من تولية الإمبراطور هرقل أمر الإمبراطورية البيزنطية . وقد تم الاستيلاء على ما يعتقد المسيحيون أنه صليب الصليب . كذلك تم مهاجمة كنيسة القيامة، واشتعلت النيران فيها، ويعنى ذلك كله؛ أن الرموز الدينية المسيحية الكبرى صارت نهباً في أيدي الفرس. بل وصل الأمر إلى حد أنهم استولوا على مصر عام ٦١٧م كذلك واصلوا توسعاتهم إلى آسيا الصغرى Asia Minor ، وبلغوا خريسوبوليس Chrysopolis وكانت الأخيرة بمثابة آخر منطقة أمكن للفرس أن يتوسعوا فيها على حساب السيادة المباشرة البيزنطية حينذاك ، ويلاحظ أن آسيا الصغرى خلال تلك الأحداث العسيرة مثلت درعاً واقياً قام بحماية القلب البيزنطي وستهلك جرباً طاقات الفرس.

ونظراً للرابطة الجغرافية والتاريخية الأولية بين بلاد الشام ومصر (الشامصر) ، اتجه الفرس إلى الأبحر وتمكنوا من الاستيلاء عليها عام ٦١٩م. وفي كل مكان حلوا فيه نشروا الدمار والحراب<sup>(١)</sup>.

---

= وهي أحدث وأفضل دراسة بالإنجليزية وأنظر أيضاً

Haldon . Byzantium in The Seventh Century . the Transformation of a culture, Cambridge 1997 . pp 41-53 .

Diehl. History of the Byzantine Empire, pp.41-42 .

لبنى عبد الحماد . الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين ، ط. القاهرة ١٩٨٥م  
وهي أفضل دراسة أكاديمية متخصصة بالعربية في موضوعها

١- ثيودريش، وصف الأماكن المقدسة لدى فلسطين للحالة الألمانية ثيودريش القرن الثاني عشر الميلادي=

كان الإمبراطور هرقل بالفعل رجل الساعة للإمبراطورية ؛ وقد اتجه إلى مهلدة الأخطار الجانبية كما حدث بالنيقية لعناصر السلاخ ، والأقار . وتفرغ لمواجهة الخطر الأكبر في صورة الفرس ، وقام بالالتفاف على القوات الفارسية ، وهاجمهم في داخل بلادهم في عام ٦٢٧م . وحدث صدام حربي بين الجانبين في مقابل نينوى بالقرب من الموصل الواقعة في شمالي العراق . وكان النصر حليفاً له .<sup>(١١)</sup> وقد أدت نتيجة المعركة إلى عزل كسرى فارس ، وتولى من بعده ابنه القى وافق على شروط بيزنطة وإتسحب الفرس من المناطق التي استولوا عليها من قبل ، ومنها بلاد الشام ، ومصر

= السادس الهجري . تـ . سعيد عيقل الله المبتشاي ورياض شاهين . ط . عمان ٢٠٠٣م . ص ٢٥ حاشية (١١) .

عن خضوع مصر لسيطرة الفرس آنظر :

Diehl, History of the Byzantine Empire, p.41 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 196 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 86 .

Peters, Europe and the Middle Ages, New Jersey, 1997, . 88 .

محمود الحوري . مصر في العصور الوسطى . ط . القاهرة ١٩٩٦م . ص ٤٧ . ص ٤٨

١- عن حروب هرقل ضد الفرس آنظر :

Theophanes, The Chronicle of Theophanes An English Trans. of anni undi 6095 . 6305 (A.b.602-813) , by Harry Oortledove, Philadelphia 1982 , p. 29 .

Kaegi, Heraclius Emperor of Byzantium, pp. 156-191

Regan, First Crusader Byzantium's Holy Wars, New York 2003, pp. 75-80 .

Hussey , The Byzantine World , p. 25 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 92-93.

Treadgold. A History of the Byzantine State, and Society, pp. 293-301 .

عمان صيرة . «المجلة القرآنية بين الصراع الفارسي البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى الفتح الإسلامي ما قبل ٨ - ٦٦١ / ٦٦٩-٦٨٢م» . المجلة التاريخية المصرية ، م (٤٣) . عام ٢٠٠٥م . ص ١١٤  
ويلاحظ أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك في سورة مريم ٦-٤ في قوله تعالى : «الَّذِينَ شَهِبَتْ الرُّؤُوفُ (١٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَافِلُونَ (١٣) فِي يَهْجُ سَبِّحَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُنْفَخُ الصُّفُوفُ »

جدير بالذكر : صاحب حروب هرقل ضد الفرس استخدام اشارات دينية مثل الصليان ، وصور السيدة مريم العذراء عليها السلام وهي تحمل المسيح عليه السلام طفلاً : من أجل إثارة حماس الجنود ، ومع ذلك : لا يمكن إعتبار ما قام به نوعاً من الحروب الصليبية Crusades ، كما تصور المؤرخ الصليبي اليازور وليم الصوري William of Tyre إذ أنها قامت من الغروب الأوربي ، ولم تندلع من الإمبراطورية البيزنطية كما أنها نتاج أخريات القرن الحادى عشر الميلادى وليس القرن السابع الميلادى ، وفيما بعد : حاول بعض المؤرخين تكرار نفس التصوير بالنسبة لحروب شارلمان Carolus Magnus ضد المسلمين فى الأندلس، عندما انجبه إلى حصار سرقسطة<sup>(١٧)</sup> عام ٧٧٨م. غير أن ذلك يعد تحميلاً للأصوار أكثر مما

#### ١- عن فكرة الحرب المقدسة لدى العالمين المسيحي والإسلامي أنظر

Canard, " la guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chrétien" R. AF. T. LXXIX, 1956, pp. 605-623 .

Brundage, " Holy war and The Medieval Lawyers ", in, Brundage (ed.), the Holy war Ohio State 1977, pp. 99-139 .

Saunders, " The Gusesades as a holy war ", in Brundage (ed.) The Crusades, Motives and achievements, Boston 1964 .

تاسم عبد قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية - ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٤-٢٠ ، جان فلورى الحرب المقدسة، الجهاد والحرب الصليبية، ت. غسان مابيسو ومراجعة جلال شعاعته، ط دمشق ١٩٩٤م، ص ١٧٣ . ويلاحظ أن المؤلف متعصب ضد الاسلام- بوجه عام

٢- سرقسطة : Zaragoza، مدينة كبيرة وقعت فى شمال شرقى الأندلس . وامتازت بوجود خمسة أنهار بها فى صورة أنهار إبرو، جلق، ثلوسه، ورويه، وفنتشن. ويلاحظ : أن اسمها القديم هو Suldaba ، وعندما قام الرومان باحتلال أاسبانيا : أسس الامبراطور أغسطس Augustus مستعمرة بها أسماها Caesarea Auguste ثم تم تحويل الاسم خلال عهد القوط إلى Caesaragusta وصار خلال الحكم العربى سرقسطة، وقد قام طررز بن زياد بفتحها عام ٧٩٤م. واستمر الحكم العربى بها إلى أن تمكن الأتابان من إعادة السيطرة عليها فى عام ١١١٨م من خلال ما أطلقوا عليه «حرب الاسترداد» Reconquista عن سرقسطة أنظر

بافرت ، معجم البلدان، ط. بيروت بيت . ج ٢ . ص ٢١٢-٢١٤ . يوسف أحمد ياسين، بلقان الأندلسى فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية ( ٥٧٤-١١٢٦هـ / ١١٧٨-١١٢٦م ) . ط أبوظبى . مركز زايد للتراث ٢٠٠١م، ص ٣٢٤، حاشية (١١) . عبد السلام الترمانيى أزمة التاريخ الاسلامى، ج ١/ ٢ ، ط الكويت ١٩٨٢م، ص ١٥٢

تمتثل : فلا صليبيات قبل عام ١٠٩٥ م عندما قام البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٩-١٠٩٩م) بالدعوة إليها تحديداً في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م في مجمع كليرمونت Clermont فرنسا كما ستفصله فيما بعد .

والأمر المؤكد : أن هرقل يعد بالفعل الإمبراطور المنتد للامبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة التي مرت بها وبعد دوره في هذا المجال، أكثر أهمية من دور الامبراطور جستنيان خاصة أن الأخير في عهده لم تكن الامبراطورية مهددة بمثل تلك الدرجة التي كانت عليها في عهد الامبراطور هرقل.

من المؤكد أن المؤرخين الذين درسوا عهد ذلك الامبراطور : لم يعطوه حقه الجدير به نظراً لهيئته فيما بعد على أيدي المسلمين غير أن الإنصاف التاريخي يجعلنا نقرر أنه من وجهة نظر بيزنطية كان من أكثر الأباطرة البيزنطيين ولجأه في مواجهة الفرس خير دليل على ذلك.

على أية حال : يوصف هرقل «بالامبراطور التعيس» : إذ لم يهنأ بانتصاره على الفرس، فقد ظهر أمامه خطر داهم في صورة العرب الذين اعتنقوا الإسلام ، وصاروا قوة لا يستهان بها، وقد أثبت قدرتها الفذة على تغيير التاريخ في العصور الوسطى بصورة غير مسبوقة وخلال عقود قليلة !!!.

ومن الممكن أن تلقى نظرة عابرة على بدايات نمو تلك القوة التي لم يحسب لها البيزنطيون حساباً ! فقد ولد النبي محمد بن عبد الله عليه أشرف الصلاة وأزكى السلام في مكة المكرمة ٣٠ أغسطس عام ٥٧٠م من أسرة من أشرفها وفيما بعد عمل بالرعي، والتجارة ووصف بالصادق الأمين ، وعند بلوغه الأربعين عاماً جاءه الروحى من الله تبارك وتعالى وهو يتعبد في

= وعن رحلة شارلمان عليها عام ٧٧٨م انظر :

مجهول- أخبار مجسومة في فتح الأندلس وذكر أمراتها رحمهم الله والحروب الواقعة فيها بينهم . تحقيق إبراهيم الأبياري . ط . بيروت ١٩٨٩م . ص ١٠٣ حيث يقول « طبع لمارل في مدينة سرقسطة من أجل ذلك، فخرج حتى حل بها ، فقاتله أهلها ، ودفعوه أشد الدفع فخرج إلى بلده »، إسمايل ثوري ويحيى . تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . ص ٦٢ . صالح السعوف، العلاقات الخارجية للأندلس في عهد الإمارة . ط الرياض ب-ث . ص ٩٩-٩٨ . منى حسن محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجية ٩٢-٦٢ هـ / ٧١٤-٨١٥ م ط القاهرة ١٩٨٦م . ص ١٨٠-١٨١ ص ١٨٩

عار حراء . وكان نزول القرآن الكريم الذي يعد معجزة إلهية حية منذ ذلك الحين ، وإلى قيام الساعة . وفي يوم حده بعض المؤرخين بأنه ١٨ يولييه ٦٢٢م قام النبي عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة المكرمة إلى يثرب التي غدت تحمل اسم المدينة المنورة ، وقد واصل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، وتمكن من فتح مكة

بلا حظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بإرسال سفراء إلى حكام الدول المجاورة<sup>(١)</sup> ومنهم الدولة البيزنطية من أجل إطلاعهم برسالة الإسلام الذي هو في الحقيقة دين عالمي لكافة البشر صالح لكل زمان ومكان . فأحسن البعض استقبال سفراءه وأساء البعض الآخر إليهم ، وكان الامبراطور هرقل من أولئك الذين أرسل لهم نبي الاسلام رسالة للإبلاغ بالدين الجديد

جدير بالذكر : حدثت معركة مؤتة بين المسلمين والبيزنطيين<sup>(٢)</sup> عام ٦٢٩م انتصر فيها الاحبرو . واستشهد فيها ثلاثة من قادة المسلمين في صورة زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وتمكن خالد بن الوليد من الإسحاب بياقي القوات الإسلامية.

١ - عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل أنظر: أحمد فتوة سيد. الدعوة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين - بلاغ الدعوة ، ط. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٥٢٧-٥٢٨ وأرد الإشادة بالجهود العظيمة المبذورة في أطروحة الدكتوراه التي أعدها المؤرخ البارز الراحل د. أحمد فتوة سيد أنظر أيضاً : ليلى عبد الجواد. الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل. ص ٢٢٨ - ص ٢٤٠ ، محمد لقمان الأعظمي. السيرة النبوية. ط. جدة بيت . ص ٢٢٨-٢٥٨

وعن الرسائل التي أرسلها النبي (ص) بصفة عامة إلى الأباطرة والملوك أنظر.

محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . ط. بيروت ١٩٦٩م. ص ١٨١ ، عبد الجبار السامرائي . «الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة» . المجلد (٥٥) . (٢٦) عن معركة مؤتة أنظر.

٢ - عن معركة مؤتة أنظر.

ابن سعد . الطبقات الكبرى . ط. بيروت ١٩٥٨م. ج ٢. ص ١٢٨ . إبراهيم ببيخون . «حملة مؤتة مذربة لمشروع السياسي الأول للدولة الإسلامية في بلاد الشام» . حسن كتاب تاريخ بلاد الشام ، إشكالية الموقع والدين في العصور الإسلامية . ط. بيروت ١٩٩٧م. ص ٩٩-١٢٥ . عبد الرحمن أحمد صالح. المسلمون والزور. في عصر النبوة دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . ط. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٨٧-١٢١ . شكوي فيصل. حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول. ط. بيروت ١٩٧٤م. ص ٢٦-٢٧. إبراهيم المعدوي. الإمبراطورية البيزنطية. والدولة الإسلامية. ط. القاهرة ١٩٥١م. ص ٢٦-٢٧

وس الحلى البين : أن الامبراطورية البيزنطية التي كانت قد خرجت من صراعها مع الفرس بانتصار بلقين ، استخفت بقوة المسلمين وتصورت أنهم يقومون بمجرد مناوشات حدودية محدودة الشأن ولم يتصور البيزنطيون البتة أن يصل بهم الأمر إلى حد إلحاق هزائم مروعة بأباطرة القسطنطينية للكلبار الذين انتشروا بخسر الانتصار على الفرس منذ قليل.

ومن المهم هنا الإقرار : بأن حركة الفتوحات العربية الكبرى لم يكن دافعها الناحية الاقتصادية كما توهم قطاع من المؤرخين الماركسيين وكذلك المستشرقين . بل إبلاغ رسالة الإسلام ، وهي رسالة عالمية . وتخفيف الشعوب بين أن تعتقه أم لا دون أي إكراه في سبيل اعتناق الدين الجديد ، حيث قال تعالى في كتابه العزيز « لا إكراه في الدين »<sup>(١١)</sup> . ولا ريب : أن الإسلام إمتاز بوضوح الرؤية الدينية ولم يكن فيه ذلك الجدل الديني الذي لا ينتهي بشأن طبيعة السيد المسيح عليه السلام . على نحو سيؤدي إلى إقبال الكثيرين نحو اعتناقه باعتشاق المنصفين من المستشرقين<sup>(١٢)</sup> . لاتفعل هنا الإشارة إلى أن الإمبراطور هرقل اتجه إلى محاولة تسوية الصراع الدائر بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبعيين بأن أوجد مذهباً توفيقياً جديداً عبارة عن مذهب المشيئة الواحدة أو المونوثوليستي Monothelism<sup>(١٣)</sup> . من خلال مرسوم صدر عام ٦٢٨م. غير أنه أخفق في إقناع الطرفين به ، وقد حاولت بيزنطة فرضه على رعاياها كما

١- أحمد الشريف - دور المحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، ط القاهرة ١٩٦٨م. ص ١٦٧-١٨٠ حيث يتناول دوافع تلك الحركة وأفضل دراسة بالعربية تفقد أكاديمية انتشار الإسلام بعد السيف التي كثيراً ما ردها قطاع من الباحثين العربيين أنظر : نبيل لوقا يباري ، انتشار الإسلام بعد السيف بين الحقيقة والافتراء ، ط القاهرة ٢٠٠٢م. ص ٢٤-١٨٤

والمزلة القبطي متصف للإسلام وحاصل على عدة درجات للدكتوراه

٢- عن ذلك أنظر : Arnold, The Spread of Islam in the World , A History of Peaceful Preaching, India 2001

ويلاحظ أن الكتاب المذكور له ترجمة عربية أنظر :

توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، د. حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراري ، ط القاهرة ١٩٤٧م.

٣- عن ذلك انظر أنظر

شارلر أومان ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، د. مصطفى طه بدر ، ط القاهرة ١٩٥٣م. ص ١٣٤=

حدث في بلاد الشام ومصر. دون جدوى ، وفي الأخيرة - على سبيل المثال - عارض الأقباط بشدة سياسة هرقل الدينية في بيته عرفت بتدبيرها الفطري منذ أقدم الأزمان. وقد فر رأس الكنيسة القبطية بنيامين Benjamin إلى الصحراء بحقيقته هرباً من جراء الجور البيزنطي<sup>(١)</sup> الذي لاحق كل من لا يعتنق المذهب الرسمي للإمبراطورية .

يضاف إلى ذلك كانت السياسة البيزنطية الجائرة على المستوى الاقتصادي القائمة على فرض الضرائب واستنزاف ثروات الولايات الشرقية خاصة القمح كما في حالة مصر<sup>(٢)</sup>؛ كان ذلك أثره في اشتعال نيران السخط، والتمرد في نفوس سكان تلك الولايات وهكذا : قدم البيزنطيون بأخطائهم الفادحة قرصة ذهبية للفاشين العرب ليشفروا عليهم. ويحققوا انتصاراتهم في وقت قياسي غير مسبوق ومن قبل ذلك كله الجوانب الايجابية المتعددة التي حنواها الإسلام نفسه كدين سماوي خاتم.

= حاشية (١) ، السيد إلياز العرنى. الدولة البيزنطية. ط. القاهرة ١٩٦٠م. ص ١١٧ . عبد القادر البرسم ، الإمبراطورية البيزنطية. ط. بيروت ١٩٦٦م. ص ٩٧-٩٨ . أسد رستم . الروم. ط. بيروت ١٩٥٥م. ج ١. ص ٧٣ . وإكية وشي . « تاريخ الأدب السرياني »، مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس م (١٧) . عام ١٩٧٣م. ص ٣٦٤ . محمد مؤنس عوض . «أضواء على تاريخ موارنة لبنان عصر الحروب الصليبية» . ضمن كتاب دراسات في تاريخ القصور الوسطى. مجموعة أبحاث موهبة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم. بمناسبة بلوغه الستين. تحرير هاتم الطحطاوي. ط. القاهرة ٢٠٠٣م. ص ١٨٩ . حين المردات. العرب النصارى. عرض تاريخي. ط. دمشق ، ١٩٩٢م. ص ٥٤

Angold . Byzantium the Bridge from Antiquity to the Middle , Aps. p. 166 .

١- عنه أنظر : فايز نجيب إسكندر ، «بنيامين الأول البطرك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطي وبداية الفتح الإسلامي لمصر ٦٦٢-٦٦٣م . ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى. ط. القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٣٦٦-٣٦٧ . عزيز سوربال عطية. تاريخ المسيحية الشرقية، ت. اسحق عبيد. ط. القاهرة ٢٠٠٤م. ص ٩٨

٢- لاحظ أن الإمبراطورية الرومانية من قبل كانت ترى أن القمح المصري على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لها . وذلك من يقرر أنه في حالة سؤا ل أي امبراطور روماني عن العلاقة الوثيقة التي ربطت مصر بالإمبراطورية الرومانية لأجل أن يفرده القمح والنقود، وقبلا بعد : كان على مصر تقديم ما تراوح بين ٨ ، ٩ مليون أروبا من القمح ؛ مما عكس أهمية القمح الاقتصادي الذي لعبته بالنسبة لتلك الامبراطورية ومن بعدها البيزنطية . أنظر.

ومن الأهمية بمكان هنا الإشارة بمقال «تاريخي» خطه أ.د. اسحق عبيد أستاذ تاريخ المصور الرستمي بكلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان «شمس العرب تسطع على أرض السبيل»<sup>(١)</sup> أقر فيه بأن ذلك الفتح جاء بمثابة إنقاذ لمصر، وأعطاه الأقباط حينذاك من الإسطهاد البيزنطي، فكانت شهادة حق من مؤرخ ياروز ودأ على إدعائات واقتراءات لانف على قدميها.

على أية حال: تمكن المسلمون بقيادة عبقرى الحرب خالد بن الوليد- الذي لم يهزم طوال حياته في أية معركة حربية على نحو فريد لا تجد له نظير على الأقل في حقبة العصور الرستمي والذي لقبه نبي الاسلام ميكراً بسيف الله السلول، وأكثت وقائع التاريخ صحت ذلك الرصف - تمكن من قيادة المسلمين في انتصار تاريخي قد في صورة معركة اليرموك في ٢٢ أغسطس من عام ٦٣٦م<sup>(٢)</sup> وتفوق الفرسان المسلمون خيفي الحركة الذين برعوا في حرب الصحراء على القوات البيزنطية الثقيلة البطيئة الحركة، وكان الانتصار الإسلامي فيها حاسماً، وتعد أول

« رأيت عبد الحميد وطارق منصور . مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤-٦٤٦م. ط. القاهرة ٢٠٠١م. ص ٣-٥ . وأقمت عبد الحميد . «مصر والعرش البيزنطي» . ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط. إعداد وتقديم رؤوف عباس. ط. القاهرة ١٩٨٦م. ص ٧٧-٧٩

١- عن ذلك انظر: اسحق عبيد ، «شمس العرب تسطع على أرض النيل» ، ضمن كتاب أثر الاسلام في مصر وأثر مصر في الحياة العربية الاسلامية، اشرف أ.د. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٩٩م

Theophausc, p. 38.

٢- عن معركة اليرموك انظر: البلاذري . فتوح البلدان . ط. بيروت ١٩٥٨م. ص ١٣٦

ابن الاثير. الكامل. ط. بيروت 1994م. ج ٢. ص ٦٩-٧٢

Nicol, Yarmak ad 636 The Muslim conquest of Syria, Oxford 1994, pp. 46-86 .

Kaegi, Byzantium and the Early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 112-146

Whitow , The Making of Byzantium 600-1025 , Los Angeles 1996, p. 86, p. 89

ونلاحظ أن المؤرخ شارل ديل وصفها بأنها كارثة «اليرموك» "The disaster of Yarmuk" أنظر:

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 43 .

علاء الدين حسين مكي، فن الحرب عند العرب دراسة في الفتوحات الكبرى في العصر الراشدي، ط بغداد، ١٩٩٩م ص ٢٤٨-٣١٨ وهي دراسة تحليلية ذات طابع عسكري أعدها خير عسكري عراقي؛ حرم عبد القادر الراوي، الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في صدر الاسلام، ط. بغداد ١٩٩٨م.

مواجهة حرية كبيرة بين المسلمين ، والبيزنطيين ، وفيها تأكدت مقولة المفكر التونسي الكبير ابن خلدون أن البدو «أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم»<sup>(١١)</sup> . وجدير بالذكر أن القائد مارشال مونتيجموري القائد البريطاني الذي انتصر في معركة المسلمين على قوات المحور خلال الحرب العالمية الثانية ألف كتابا بعنوان : A History of Warfare ، أي الحرب عبر التاريخ وفيه أشاد بإنجاز الجيش المسلم بقيادة خالد بن الوليد القائد الفذ<sup>(١٢)</sup> .

بصفة عامة : حسمت تلك المعركة أمر السيادة السياسية على بلاد الشام لصالح المسلمين ، ولارب : في أنها بالإضافة إلى معركة القادسية ضد الفرس قد أحدثت واقعا جيوسلوكيا جديدا أثر بدوره في تغيير النظام العالمي حينذاك : إذ انحسرت الدولة البيزنطية غربا ، وجاء ذلك إبدانا لها فيما بعد في حركة تاريخية بطيئة بين القرنين ٧ - ١٥م. كذلك جعلت تلك المعركة المسلمين يقتربون من الساحل الشرقي للبحر المتوسط ملتقي الحضارات ، والسياسات في العصور الوسطى.

على أية حال : نسب المؤرخون المسلمون وغيرهم وداعا ومزينا للامبراطور البيزنطي هرقل لبلاد الشام إذ قال : Vale Syria et Ultimatum : أي «الوداع يا سورية وداعا» :

= «ويلاحظ أن من عوامل الانتصار في تلك المعركة براعة المسلمين من خلال خفة الحركة وحبرتهم في الحرك حركات تقدم والتسحاب واستداره وكذلك قطع خطوط المواصلات والتعمين للبيزنطيين ولم يكن من الممكن لمجرى البيزنطيين الثقيلة التفوق عليهم انظر . جلوب ، الفترحات العربية الكبرى ، ت . جبري حماد ط . بيروت ب - ت ، ص ١٤٢

١ - المقدمة تصحيح وفهرسة أبو عبدالله السعيد المدور . ط . بيروت ٥ - ٢٠٠٥ م ، ص ١٣٣

الأمر الموكد : أن ابن خلدون من عباقرة الإسلام في العصور الوسطى . وعناز بالأصالة الفكرية ، ولد تأثر فكم به في نظرية القوات ، كما أشاد به المؤرخ البريطاني أرتولد تومس مدبح التحدي والاستجابة

٢ - القائد مارشال مونتيجموري ، الحرب عبر التاريخ ، ت . عبدالله التمر . ط . القاهرة ١٩٧٣ ، ج ١ ، بعول ذلك القائد البريطاني المعك «في عام ١٣٦٦ حشد الامبراطور البيزنطي هرقل جيشا جيشا مكونا من حشود ألفا ليقااتل به العرب ، وكان جيشهم نصف عدد الجيش البيزنطي وبقيادة خالد بن الوليد والتقى الجيشان عند اليرموك . وأسفرت المعركة على هزيمة الجيش البيزنطي وتشتت صفوفه ولاقوا حتفهم على أيدي أهل الصحراء»

نهائياً<sup>(١١)</sup> على نحو عكس مدى إحساسه بالكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية من جراء التوسعات العربية الحاققة ، والناجحة .

وفيما بعد؛ تمكن المسلمون من إخضاع مدن بلاد الشام الكبرى بما فيها بيت المقدس التي دخلها الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧م<sup>(١٢)</sup>، دخولاً سلمياً متحضراً وأعطى أهلها الأمان على عتائدهم ، وأرواحهم ، وممتلكاتهم . ورفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يحولها المسلمون إلى مسجد فقدم درساً تاريخياً في التسامح والسلام منذ القرن السابع الميلادي، ويستكرر من بعد ذلك بعدة قرون عندما دخلها السلطان صلاح الدين الأيوبي محرراً في عام ١١٨٧م. وما ذلك إلا التعبير الحى الصادق عن أخلاق الإسلام النبيلة دونما شبهة تعصب

جدير بالذكر؛ إنجيه المسلمون بقيادة عمرو بن العاص إلى فتح مصر، وكانت مهيباً؛ لاستقبال العالمجيب الجديد . ويحدثنا موزع قبلى معاصر للفتح العربى وهو يوحنا النقيوسى أن لعرب وجدوا المساعدة من أقباط مصر<sup>(١٣)</sup> الذين رحبوا بهم وقدموا لهم الموزن والامفادات والأهم سلاح

١- الأزدى : فتوح الشام ، تحقيق عبد المتعم عامر، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٢٣٩

الطبرى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل . ط القاهرة ١٩٦٧م، ج ٣ . ص٦٠٣

لبلى عيد الجواد، الدولة البيزنطية ، ص٢٨٠ . عبد المتعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ط القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢

وعن الصراع البيزنطى- العربى حينذاك أنظر: Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 99

٢- عن دخول عمر بن الخطاب بيت المقدس أنظر: إبراهيم جابر . قضية القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين دراسات (٢٦) مركز دراسات الشرق الأوسط عمان ٢٠٠٧م، ص٢٢ . الأزدى . المصدر السابق، ص٢٥٩ . عبد الباسط التكرورى، موسوعة الخلفاء الراشدين . ط. عمان ٢٠٠٣م، ص١٢٧  
معمره السيد ، الفتوحات الإسلامية . ط. الاسكندرية ٢٠٠٦م، ص٤٧- ٤٥ . حدى شاعين ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٤- ٧٠ . فاروق عمر فوزى، مصر محمد حسن ، الوسيط فى تاريخ للسلطن فى العصر الإسلامى الوسيط، ط. رام الله، ١٩٩٨م، ص٤٧

٣- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر، المغرب ، ج ١، تحقيق عبد المتعم عامر، ط القاهرة ١٩٩٩م، ص٨٩ . يقول ما نصه «فيقال أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يؤمنون لعرو أعواناً» =

المعلومات للتخلص من الإضطهاد البيزنطى، وبالفعل؛ تم للمسلمين فتح مصر عام ٦٤٢م فى عهد قسطنطين الثالث. وكان ذلك كله دليلاً وضاحاً على أن القاطنين المهتمين ببلاد الشام، ومصر صارتا خارج نطاق السيادة البيزنطية، ولاشك أن ذلك حرم بيزنطة من القمح الذى كانت تقدمه مصر لها كامتداد لعلاقاتها السابقة بالإمبراطورية الرومانية، ولكن من ناحية أخرى؛ أدى ذلك إلى إيقاف المشكلات الدينية من خلال معارضة بلاد الشام، ومصر لمذهب المشبته الواحدة الذى حاول الإمبراطور هرقل فرضه هناك دون بطوى، وبصفة عامة؛ فإن الأمر المؤكد فداحة خسائر بيزنطة مقارنة بتلك الزاوية الإيجابية المحدودة.

= وعن تلك الأحداث أنظر:

John Bishop of Nikon, Trans. From Ethiopic by Zotenberg, Paris 1883, English Trans. by R M Charles 1916.

وهناك ترجمة عربية قام بها عمر صابر عبد الجليل، أنظر: يوحنا القيسرى، تاريخ مصر ليهوذا القيسرى، ت. عمر صابر، ط. القاهرة ٢-٣-٢٠٠٠م، ص ١٩٧ وما بعدها أيضاً؛

Amelineau, "La conquete de L'Egypte par les Arabes," R.H., T CXIX, 1915, pp. 273-310

١- يقول مفكر قبطي قديم ما نصه «على مدى ستة قرون كاملة تعرض المصريون للاضطهاد الشرس»، ويقصد بذلك اضطهاد البيزنطيين لهم أنظر:

وليم سلجمان قلادة، «العلاقات الإسلامية - المسيحية فى الواقع المصرى»، ضمن كتاب العلاقات الإسلامية المسيحية قراءات التاريخ والحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٥٦؛ أحمد عبد الرزاق، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٤-٩ ص ١٥

Arnold, The Speed of Islam in The World p. 102.

-٢-

ويقرر ذلك المؤرخ البريطانى عن تسامح الفاطميين العرب، ما نصه

"Muhammadian Conquest brought a freedom of religious life such as They had not enjoyed for acentury"

Arnold Ibid p. 102.

والاعتراض على عبارته فى كلمة «محمدي» والمفروض أن تكون «الإسلامي» بدلاً منها، فالإسلام ليس دين محمد بل دين الله جل سبحانه وتعالى ومحمد عليه الصلاة والسلام رسول الله جل شأنه المصطفى والمختار من جاته لإبلاغ رسالة الإسلام العالمية

لاتغفل هنا زاوية لها أهميتها ضمن الحديث عن الفتح العربي لمصر. إذ أنهم فريق من الباحثين الغربيين العرب بأنهم قاموا بإحراق مكتبة الاسكندرية التي كانت تحوى تراثاً إنسانياً ضخماً ومن الممكن الرد على تلك الفكرة من خلال النقاط المحددة التالية

أولاً : إن مكتبة الاسكندرية قد أصابها الحريق مرتين الأولى عام ٤٨ ق.م إثر حريق أسطول بوليبيوس قيصر Julius Caesar، والثانية خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧١-٣٩٥ م) وذلك في عام ٣٩١ م ؛ أى من قبل مقدم الفاتحين العرب بعدة قرون.

ثانياً : من الملاحظ أن رواية إحراق المكتبة المذكورة لا يؤيدها أحد من المؤرخين المعاصرين مثل أوتبخا . الذى قدم تفاصيل مسهبة عن الفتح العربي لمصر، كذلك لم نجد أثرًا للحديث عنها لدى المؤرخين الآخرين مثل اليعاقبة ، والبلاذرى ، وابن عبد الحكم، والطبرى، والكندى، وكذلك لدى المؤرخين المتأخرين مثل المقرئى (ت ١٤٤٦م) شيخ مؤرخى مصر الإسلامية ، وأبى المعاسن (ت ١٤٩٩م) والسيوطى (ت ١٥٠٥م)

ثالثاً : هناك من يقرر أن المؤرخ أوراسيوس Orosius قرر أنه وجد وفوف المكتبة خالية من الكتب وذلك عندما قام بزيارة مدينة الاسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى، مما عكس عدم وجود تلك المكتبة من قبل مقدم الفاتحين العرب، واستيلائهم على الاسكندرية .

خامساً : من المفترض فى حالة بقاء تلك المكتبة إلى الفتح العربى؛ لم يكن هناك ما يمنع من نقلها إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية على أبهى البيزنطيين خاصة أن عمرو بن العاص قرر فى الصلح الذى عقده معهم ؛ أن من حقهم أن ينقلوا ما يستطيعون حمله، وهناك من أوضح أنه كان بإمكانهم حينذاك نقل عدة مكتبات لا مكتبة واحدة<sup>(١١)</sup>.

١- عن الرد على افتراءات إحراق مكتبة الاسكندرية أنظر -

ألفريد بلتر ، فتح العرب لمصر ٢٤٨- ٣٧٠ ص، حيث يقدم أفضل عرض عن الموضوع بصورة مفصلة .  
جس ابراهيم ، تاريخ الإسلام السلبى والدينى والثقافى والاجتماعى . ط بيروت ٢٠٠١م . ص ١٩٧ - ٢٠١

محمد عبد النعم . الاسكندرية . المكتبة الأكاديمية فى العالم القديم . ط . القاهرة ٢٠٠٠م . ص ١١٨ - ١١٩

أبراهيم عبد الفتاح التناوى . فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية . ط طرابلس ١٩٣١- ١٩٣٦

سادساً : لا تغفل : أن قطاعاً من الباحثين الغربيين، حرصوا الحرص أجمعه على أن يضعوا الإسلام، والمسلمين دوماً في قصص الاتهام حتى ينتفروا وفتحهم وجههم في الرد على الاتهامات وتنبئها، ويكنى أن ترد عليهم بأن المسلمين في المصور الوسطى كانوا من أكبر الأمم اهتماماً بالكتب تأليفها ، وترجمة . ونسجاً على نحو لم نجده لدى أية أمة أخرى بإعتراف المصنفين من المستشرقين الذين اعترفوا بتلك الحقيقة الراسخة القدم، ولجد ذلك واضحاً في مؤلفاتهم ذاتها

سابعاً : يقرر البعض نشوء تلك الشبهة التي تم إلصاقها بالعرب للمفاجئين في الأصل في بلاد الشام في أعقاب فترة حاسمة من تاريخ الحروب الصليبية، ومن المرجح أن السبب المباشر لإثارتها : التغطية على ما ارتكبه الصليبيون في طرابلس الشام عتلاً اقتصرهما عام ١١٠٩م . وأوتكبوا بها مذبحة ودمروا دار العلم هناك وهي التي احتوت على كنوز المعرفة<sup>(١)</sup>، ناهيك عن الاستيلاء على تلك المكتبة التي قام بجمعها الفارس والشاعر أسامة بن منقذ والتي تركت حادثة فقعاتها أثراً نفسياً سيئاً لديه وضمت أربعة آلاف من الكتب البائدة.

ويقر العلامة الراحل أ.د. السيد عبد العزيز سالم، أن الصليبيين قاموا بإختلاق القصة المزعومة السابقة التي أوردها ابن القفطي: كي تكون سابقة على ما حدث في طرابلس الشام. وقد شاعت تلك القصة، ومن المفترض أن والد ابن القفطي عمل في حياته في خدمة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام حينما انتشرت روايتها فتناقلها والده ، وقام بترويجها؛ نظراً لارتباطه بالسلطان الأيوبي الذي كان له دور بارز في «تفريق وبيع بقايا المكتبة الفاطمية» ، وكانما أراد بترويجه لهذه القصة أن يزيل ما تعرض له صلاح الدين من انتقادات<sup>(٢)</sup> بسبب ذلك الموقف .

١- السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ١٩٤، حاشية (٢)

وفد اعتمد عرضه على: مصطفى العبادي- مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي- ص ١٤٢ وعن تلك الدار أنظر: عمر عبد السلام تدمري، دار العلم في طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري، مجلة عالم الفكر، م (١٢) ج (٣) الكويت ١٩٨١م، ص ٨٧-٩١٨

٢- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٩٤- حاشية (٢) .

وفى تقديرى ؛ أن الرأى المذكور على جانب من الأهمية والقيمة. ومع ذلك بظل يمثل احتمالاً من الاحتمالات، دون أن يقلل ذلك من معارضة الرواية المذكورة.

وهكذا ؛ يتأكد لنا أن رواية إحراق مكتبة الاسكندرية؛ فرية لاتقف على قدميها أمام النقد التاريخى الموضوعى.

على أية حال ؛ كانت طموحات المسلمين قوية؛ لإبلاغ الدعوة الإسلامية فى كافة البقاع ، وقد انطلقوا من مصر فربما لإخضاع الشمال الأفريقى، ولأريب؛ فى أنهم مثلوا عدوا لم تألمه بيزنطة على مدى تاريخها المديد؛ حيث واجهوها بركا . وبحرا من خلال الصراع على الأطراف، وكذلك القلب من بعد ذلك، وقدر لهم إسقاطها فى نهاية المطاف عام ٦٤٢م؛ مما عكس أهمية دورهم فى صنع تاريخ تلك الإمبراطورية على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السابع والخامس عشر الميلاديين.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أن الأسرة الهرقلية حدث خلال حكمها حدثان محوريان يمكن إجمالهما على النحو التالى

أولاً ؛ إنجلاء الإمبراطورية إلى إقامة نظام دفاعى عرف بنظام التيمات Themes<sup>(١)</sup> أو الألوية . وقد قدمت الإدارة الإمبراطورية قطعاً من الأرض الزراعية للجنود فى صورة منح التصرف فيها شريطة أن يقوم الجندى بتقديم الخدمة الحربية فى جند هذه المنطقة أو الشيم وتقرر أن يتم توريث تلك الخدمة الحربية، كذلك توريث الأرض.

= بصفة عامة بعد ذلك الموقف بالفعل خطأ تاريخياً وقع فيه ذلك السلطان الأيوبي البازر ، ومع ذلك نذكر أن سروره يرجع إلى معاداته للفكر الشعبى الإنشاعى غير أن ذلك المبرر لاينفى عنه مسئولية تبديد تلك الثروة العلمية الكبرى.

١- عن نظام التيمات البيزنطى انظر:

Brooks, "Arabic Lists of the Byzantine Themes", J.H.S., vol. XXI, 1901, pp. 63-77

Cheira, la lune entre Arabes et Byzantines: la Conquete et l'Organisation des Frontieres au VII et VIII siecles, Alexandrie 1947

Kaegi, Byzantium and The early Islamic Conquests , Cambridge 2000, pp. 279-28

Hussey , The Byzantine World , p. 2 .

Bridge , " The History ", in Danel (ed.), The Byzantines, London 1962 , pp. 47-50

على أي حال ؛ كان هناك قائد على رأس كل ثيم سمي الاستراتيجيةجوس (strategos)<sup>(١١)</sup> ويقرر البعض؛ أنه في آخريات عهد الامبراطور هرقل ظهرت ملامح أربع ثيمات يمكن إجمالها كالآتي

١- ثيم الأناضول Anatolikoi . من الكلمة اليونانية Anatoli ؛ وتعني الشرق، وقد تكون - كما قرر البعض- من الفرق الحربية البيزنطية التي كانت موجودة من قبل في بلاد الشام . وأنشئت من هناك عقب التوسع العربي<sup>(١٢)</sup>.

٢- الثيم الأرمني Armeniakoi ؛ ويلاحظ أنه ارتبط بمنطقة شمال شرقي آسيا الصغرى على الحدود الأرمينية وقد تألف من الفرق الحربية التي كانت متحركة في منطقة أرمينية البيزنطية. ثم إنشئت بعد فتح العرب للشام ثم مهاجمتهم لأرمينيا<sup>(١٣)</sup>.

= السيد البار العريسي، أجداد الروم، ط. القاهرة ١٩٥٦م، تحق عثمان، الحدود الإسلامي البيزنطية، ج ١، ص ١٠٤، ص ١١٣ . وسام عبد العزيز فرج ، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٩-٢٠٢

١- الاستراتيجيةجوس؛ هو قائد الإقليم الإداري والعسكري وله جند خاص به يتلون الحرس الشخصي ، ويعد نائباً للإمبراطور في إقليسه ويتحمل مسئولتي الأمن والإدارة ، وفي حال كون الثيم على جانب كبير من الأهمية يتم وصف حاكمه عندئذ بالقوق بدلاً من الاستراتيجيةجوس، عن ذلك انظر:

فايز نجيب اسكندر، أسرة برينيوس ودورها في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص ١٧ ، حاشية (١٦)

Haldon, Byzantium in the Seventh Century, p. 62 , p. 72 .

Browning, The Byzantine Empire, p. 48 , p. 50 .

Bosworth , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab incursions", Proceedings of the Second Symposium on the History of Bilad al - Sham during the early Islamic Period up to 40 A.H / A.D. 640, the fourth international conference ed by N. A. Bakhat vol. I . Amman 1987 , p. 122 .

ابراهيم المدني ، «قواتي الإصلاح الزراعي في الامبراطورية البيزنطية»، مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة الكويت، العدد (٤٠٣) يونيو ١٩٧٣م، ص ١٥٦

وسام عبد العزيز فرج ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ . حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٧٥

Theophanes, p. 151

-٣-

وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠١ . حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ٧٥

٣- التيم البحري : الذى سمي فيما بعد في القرن الثامن الميلادي كيبيروت Cıbyrak في الشاطئ الجنوبي لمنطقة آسيا الصغرى، وكذلك الجزر المجاورة لها<sup>(١)</sup>.

٤- تيم الأومسيق Opsikion في آسيا الصغرى في إقليم بونييا بالقرب من العاصمة البيزنطية وقام بالدفاع عنها من جهة الشرق<sup>(٢)</sup>.

وبصفة عامة؛ إقتصرت نظام الثيمات خلال النصف الثاني من القرن السابع الميلادي على منطقة آسيا الصغرى، ومن المرجح؛ أنه لم يمتد إلى شبه جزيرة البلقان حينذاك، بل تم ذلك في مرحلة تالية يرى البعض أنها تمهد بالنصف الثاني من القرن التاسع الميلادي<sup>(٣)</sup>؛ مما عكس نموه وتطوره كنظام دفاعي بيزنطي فعال.

ثانياً - اتخذت بيزنطة خلال عهد تلك الأسرة إجراءات دلت على الوجهة الشرقية لها، فصارت اللغة اليونانية بمثابة اللغة الرسمية للدولة، بل إن الإمبراطوري البيزنطية نفسها

١- حشوة ربيع، دولسات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص٧٩  
Busworth, The Byzantine defence., p. 122 .

٢- ص٢٠٦، ص٢٠٦

Ibid, p. 122. O.D.B., vol . III, p. 1528-1529

حذير بالإشارة : تطورت الثيمات فيما بعد وتزايد عددها من ذلك مثلاً أنه خلال عهد الإمبراطور نسطور السابع (٩١٢-٩٥٩م) من الأسرة المقدونية وجدتا في شرقي أوروبا، عدة ثيمات نرى صورة

١- تيم كفالونيا ٢- تيم نيقوبوليس

٣- تيم البلبونيز ٤- تيم دراكيم

٥- تيم ميلادس ٦- تيم سالونيك

٧- تيم سترمون ٨- تيم مقدونيا

٩- تيم تراقية

عن ذلك أنظر الخريطة المرفقة بالثيمات حينذاك في القسم الخاص بالخرائط.

٣- يسام عبد العزيز قوج - دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٢

صار اسمه بازيليس Basileus<sup>(١١)</sup>؛ الذي يعنى «ملك» باليونانية وذلك بدلا من «أنقاب» رومانية سابقة مثل إمبراطور Imperator ، وقيصر Caesar ، ولذا ؛ وجد من المؤرخين من اعتبر تلك المرحلة بمثابة نهاية الفترة الرومانية ، وبداية البيزنطية نظراً للتغيرات العسكرية والحضارية التي حدثت حينذاك .

هكذا ؛ كان تاريخ الأسرة الهركلية إنتصاراً ضد الفرس، وهزيمة فادحة أمام العرب، وبالتالي نرى التناقض فى داخل الأسرة الواحدة. بل فى عهد الإمبراطور الواحد كما فى حالة الامبراطور هرقل.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن عهد ذلك الامبراطور يعد بمثابة مرحلة فاصلة فى التاريخ البيزنطى؛ إذ نتيجة للفتوحات الإسلامية ، اتخفت الإمبراطورية البيزنطية بصفة نهائية شكلها الذى عرفت به فى العصور الوسطى، وقيما عدا آسيا الصغرى وضواحي العاصمة، فقد تقلصت رقعة الأراضى البيزنطية بالإضافة إلى تلك التتومات المتبقية على الساحل الشمالى لموضع البحر المتوسط، وتنتضح الصورة أكثر عندما تشير إلى أنه خلال القرن السابع استلمت مراكزها الاسبانية لعناصر القوط الغربيين بينما وقع الجزء الشمالى الغربى من أفريقيا تحت السيادة الإسلامية<sup>(١٢)</sup>، وبذلك يحق لنا القول أن القرن السابع الميلادى - خاصة عهد هرقل - شهد تقديم «التنازلات الجغرافية الكبرى فى التاريخ البيزنطى» ، ووفق ما قرره مؤرخ بارز ذكر ما نصه «لقد ولت الآن أيام روما الجديدة - باعتبارها قوة برية عظمى»<sup>(١٣)</sup>، وسلاحظ أن المساحات التى تنازلت عنها الامبراطورية مرغمة تعد من أكبر ما تنازلت عنه على مدى تاريخها من القرن السابع حتى القرن الخامس عشر م مما عكس أهمية محورية تلك الأحداث الحاسمة فى ذلك القرن.

١١ - من الملاحظ أنه فى عهد تلك الأسرة - ظهر للمرة الأولى - تعبير الباسيليوس القسطنطينى - وهو بالإنجليزية "Basileus Enkhel on God" - وهو تعبير استعمل من جانب كافة الأباطرة البيزنطيين - وصارت الرومانية هى الرسمية كما ذكرت ، وقد جعل ذلك المؤرخ شارل ديل يقر ما نصه "In the Seventh Century the Empire became Hellenized".

Diehl History of the Byzantine Empire, p. 48

أنظر

٢ - جيريغ تسم يوسف - تاريخ الدولة البيزنطية ص ١١٥

٣ - نفسه ، نفس الصفحة.

من الملاحظ عند تقييم الأسرة الهرقلية، وإنجازاتها: نجد أنها أنهكت بالصراع مع الفرس، ومن بعد ذلك؛ وحتى بعد انتصارها عليهم لم يحسن البيزنطيون تقدير حجم قوة المسلمين وعندما التقى الطرفان في ساحات المعارك: كان الانتصار حليف أصحاب الدين الجديد على الرغم من التفوق العددي والتسلحي البيزنطي. ولامراء البيزنطي في أن القوة الروحية التي أعطاها الدين الختامي للعرب الفاتحين كانت من وراء انتصارهم على البيزنطيين بالإضافة إلى إنهاك دولتهم بعد صراعها مع الفرس، ثم كانت المشكلة الدينية والصراع اللاهوتي من عوامل إخفاق بيزنطة وهكذا؛ جاء الفاتحون العرب إلى مناطق تفتت ذراعها لهم مرجية بهم<sup>١</sup>!

ويشار هنا تساؤل: هل كان الإمبراطور هرقل إمبراطوراً ناجحاً أم فاشلاً؟ والواقع أن الصمتين معاً تتوافران فيه: فقد نجح مع الفرس وافتق مع المسلمين ومع ذلك؛ من الملاحظ أنه ورث تركة مثقلة، وواجه عدواً لم يكن من الممكن هزيمته في صورة المسلمين الذين نشعوا بروح الجهاد والخلقة خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، وفي تقديره أن أي حاكم آخر لبيزنطة لم يكن من الممكن أن يحقق انتصاراً عليهم من خلال فهم حقيقي لطبيعة المرحلة وليس من خلال دعائية مبرجة للمسلمين.

ينبغي أن نذكر: أن المؤرخ البلجيكي هنري بيري في كتابه محمد وشارلمان، اعتقد أن الفاتحين العرب يتحملون مسئولية إنهاء وحدة البحر المتوسط القديمة The ancient Unity of the Mediterranean وأنهم فرضوا احتكارات على بعض السلع التجارية<sup>(١)</sup> على نحو أدى إلى عدم وصولها إلى الغرب الأوروبي، وظلت تلك النظرية تجد من يؤيدها إلى أن ظهر من عارضها من الباحثين الأوروبيين أنفسهم، وقد أكدوا أن الوحدة المزعومة لعالم البحر المتوسط

١- عن تصورات ذلك المؤرخ انظر:

Pirenne, Mohammed and Charlemagne, London 2001, pp. 147-185

Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972, p. 2, Medieval Cities,

Their igit and The revival of Trade, Princeton 1929, p. 23-31

أيضاً هذه الدراسة

Hodget and whitthouse, Mohammed Charlemagne and the Origins of Europe, Archaeology and the Pirenne thesis, New York 1983

إبهارت من قبل الفتح العربي بعدة قرون<sup>(١١)</sup> . وأن ذلك الفتح لم يؤد إلى إبهارها كذلك فإن العرب لم يارسوا سياسة الاحتكار التجارى بل مارستها ببيئته ذاتها التى رأت أن ذلك حبر وسيلة لمراعاة الغرب الأوربى، وبصفة عامة، فالأمر المؤكد أن البحر المتوسط يعد أن كان يطلق عليه الرومان من قبل بحرنا Mare Nostrum صار بالتدريج بحيرة عربية<sup>(١٢)</sup>.

ولامغل هنا : الإشارة إلى أن من الباحثين الأوروبيين من سار وراء أية فكرة جديدة تهاجم المسلمين وتشيع فى نفوسهم عداوات تاريخية ضد الإسلام وأهله دون أدنى قدر من المروعية، وبالتالي مارسوا «الحروب الصليبية» على صفحات مؤلفاتهم .

من ناحية أخرى : من غير التطفى أن يتحول المسلمون دوماً إلى أن يكونوا فى قصص الاتهام العربى لهم على نحر مستمر إذ أن ذلك أبعد ما يكون من الكتابة التاريخية الراحبة، ويلاحظ أن ذلك صار نوعاً من «ثوبت» الكتابة التاريخية الغربية عنهم إلا من القليل البادر

مهسا يكن من أسر : توالى على حكم الإمبراطورية البيزنطية من بعد وفاة الإمبراطور المؤسس البارز هرقل<sup>(١٣)</sup> عدد من الأباطرة وقد حكموا خلال المرحلة المتفة بين عامى ٦٤١م،

١- من أهم الآراء المعارضة له انظر على الصراوى، مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربى الوسيط، ط القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٨٧-٣٠٥ . حيث يقدم الفرغ المذكور أمغل عرم باللغة العربية عن النظرية ومعارضتها بالاعتماد على المراجع . الانجليزية والفرنسية والألمانية المتخصصة .

عادل زيمون . «ملاحظات على أطروحة هنرى بيرين من خلال كتاب محمد وشارلمان» . ضمن الدراسات التاريخية للحفلة النقاشية (السنار) قس التاريخ . كلية الآداب- جامعة الكويت عام ١٩٩٣- ١٩٩٤م ، ص ٦٥- ٨٩

حسن مؤنس. تاريخ الملمى فى البحر المتوسط، الأرضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط القاهرة ١٩٩٢م، ص ١١٨-١٣٥

وأفضل دراسة احترت على الردود على قضية برين نجدها لدى:

Havighurst . The Pirenne Thesis : analysis Criticism and Revision , Boston 1958

٢- توفى الإمبراطور هرقل فى ١١ فبراير ٦٤١م . وفى تصورى - كنوع من الاكتراب من نسبة قادة التاريخ البسيطى- أن أصعب أعوام عمره تمتلك خلال المرحلة من ٢٢ أغسطس ٦٣٩م وهو يوم معركة

٧١٧م. لكنهم لم يصلوا إلى حجم التأثير الذي حدث خلال عهد هرقل المنتصر ثم المهزوم ! ومن الملفت للانتباه : أن أعوام حكمه التي لم تتجاوز (٣٦) عاماً ، فاقت في أهميتها مدة حكمهم مجتمعين وهي التي بلغت (٧٦) عاماً ، ولأرب في أن تاريخ الأسرة الهرقلية يكشف بجلاء ، عن استحواذ تأثير الإمبراطور المؤسس على غيره من الأباطرة إيجاباً وسلباً

بصفة عامة : من الملاحظ أن أهم أحداث مرحلة ما بعد هرقل تتمثل في نجاح المسلمين في السيطرة على مصر ، ثم احتلالهم لجزيرة قبرص Cyprus ذات الموقع الاستراتيجي في مواجهة الساحل الشامي وذلك عام ٦٤٩م. وفي العام التالي ٦٥٠م احتلوا جزيرة أرواد<sup>(٢١)</sup>.

وفي عام ٦٥٤م: أخضعوا جزيرة رودس Rhodes ومن بعد ذلك ، وفي العام التالي مباشرة أي عام ٦٥٥م: حققوا انتصاراً بحرياً ميكراً ، وملفناً للإنتباه في صورة معركة ذات الصراوي<sup>(٢٢)</sup> ، التي سميت بذلك : نظراً لكتوة عدد السفن المشاركة فيها: وهو أمر يشير

= اليوموك حتى وفاته في اليوم المذكور حيث إقتربه على الأرجح الشعور بالهزيمة بعد الانتصار الساحق الذي حققه المسلمون فيها. أنظر لمعيد يوم وفاته لدى: نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السيلسي، ص١٥٤

ويرفر دونالد بيكرول أنه مات مريضاً ويانس Nicol , ABiographical dictionary , p. 49

١- عن المرحلة التالية لعهد الإمبراطور هرقل ثم نهاية الأسرة الهرقلية أنظر :

Theophanes, pp. 40-83 .

Dichl , History of the Byzantine Empire, p. 51 .

٢- قرر هازي تورديليوف في تطبيقه على نص ثيوفانيس أن أرواد هي مدينة ساحلية في مينبسا أي لبنان ، وهو قول جانبه الصواب لأن أرواد جزيرة في مقابل الساحل السوري . وليست مدينة ساحلية . كما أن بافوت المسوي أخطأ عندما تصور أنها بالقرب من القسطنطينية . من ذلك انظر .

Theophanes, p. 43, note (101)

بافوت ، معجم البلدان، ط بيروت ١٩٩٧م، ٩، ص١٧٤ وعن استيلاء المسلمين عليها انظر .

شجاعة على الناطور، تاريخ صدر الاسلام وقهره، ط. عمان ٢٠٠٦م، ص٢٦٩

وعن سيطرتهم على جزر البحر المتوسط بصفة عامة مثل قبرص وارواد وغيرها انظر بالتفصيل ابراهيم طرخان ، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، ط القاهرة ١٩٦٦م ، ص٧٩-٨٧

٣- عن معركة ذات الصراوي أنظر

الإعجاب أيضاً من جراء هزيمة الإمبراطورية البيزنطية ذات الصيت الواسع النطاق في المجال البحري على الرغم من أن المسلمين كانوا حديثي عهد بذلك المجال الحربي ومن قبل كانت معاركهم مع تلك الإمبراطورية تتخذ الشكل البري، ومع ذلك يلاحظ أن تلك المعركة لم يتمكن المسلمون من استثمارها عسكرياً وسياسياً : نظراً لحلول ما عرف بالفتنة الكبرى في أعقاب مصرع الخليفة عثمان بن عفان عام ٦٥٦ م<sup>(١)</sup>.

على أية حال من الملاحظ أن طموحات المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام كانت واسعة : إذ أننا نجدهم من بعد ذلك يتطلعون إلى إسقاط العاصمة البيزنطية، وهكذا : حاصروها عام ٦٦٩ م . وذلك خلال عهد الامبراطور قسطنطين الرابع، وأثناء خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان مرتين<sup>(٢)</sup> . ويلاحظ أن تلك العملية العسكرية شارك فيها أحد الصحابة

= الكندي، ولا مصر، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص ٣٦-٣٧ . السعدي، التنبيه والارشاد، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص ١٣٥ . الذهبي، السير في خبر من غير، تحقيق أبو طاهر محمد العبد، ط. بيروت ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص ٤٢. لوشبالد لويس، القوي البحرية والتجارة في البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠، ن أحمد عيسى، ط. القاهرة ١٩٦٠، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٩١-٩٢ . أنور عبد العظيم، الملاح وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عام المعرفة، ط. الكويت ١٩٧٩م، ص ٩٢-٩٣. السيد الباز العريش، الدولة البيزنطية، ص ١٣٦. محمد ثابت توفيق، ذات الصوري، ط. الرياض ٢٠٠١م، ص ٥-٦. زبيب بيجكلي، ذات الصوري، ط. الشارقة ٢٠٠٦م، ابراهيم الحدي، الدولة الأموية والبيزنطية، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص ٩٨ . عليه المجتوزي، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥١-٦٠ . سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية قاعدة عسكرية في القرن الأول من تاريخها العربي ومولعة الصوري، ندوة سواحل مصر عبر العصور سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٣٤-١٣٥ . على محمد الصلاحي، الشرق والتخمين بحركة الفتح الإسلامي، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

Fahmy, Muslim Sea Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A.D., Cairo 1966, pp. 85-89.

Bosworth, " Byzantium and the Arabs: War and Peace between Two Civilizations",

J.O.A.S. 3-4, ATHeas 1991 - 1992, p. 2.

١- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٩٦

٢- عن حصار القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان أنظر

وهو أبر أيوبى الانتصارى الذى كان طاعناً فى السن فى صحبة قائد الحملة يزيد بن معاوية كنوع من التبرك ولكن أدركته المنية. ودفن هناك<sup>(١١)</sup>.

على أية حال ؛ قشلت تلك الحملة نظراً لحصانة القسطنطينية<sup>(١٢)</sup> وعدم امتلاك المسلمين خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم القوة اللازمة لتحقيق مثل ذلك الهدف الاستراتيجى

Theophanes, The Chronicle of Theophanes, An English Translation of anni mundi = 60-95- 6305 (A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove, Pennsylvania 1982, p. 45.

Michael le Syrien, Chronique, T. p. 455.

الطبرى ، تاريخ الرسل والملوكة، ج ٥ ، ص ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل، ج ٣ ، ص ٤٥٩ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٦٠٦ ، حبيب الله بطائنة، دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٧م. ص ٢٥٢- ٢٥٤ ، على محمد الصلاي، القوة الأموية عوامل الإزدهار وتفاعيات الإثبات، ط الشارقة ٢٠٠٦م، ج ١ ص ٢٨٠-٢٩٢ ، نبيه عاقل، تاريخ خلافة بنى أمية ، ج ١، دمشق ١٩٧٥م، ص ٨٦-٨٧ ، عبد النالى محمد عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠م)، ط القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٤٩-٢٥٣

Bosworth, Byzantium and the Arabs, p. 2.

١- تجدر الإشارة ؛ تم اكتشاف قبر ذلك الصحابى - كما يقال عام ١٤٥٨م أى بعد حرس سترات فقط من الفتح العثمانى للقسطنطينية عام ١٤٥٣م عن ذلك انظر:

المرس مارييا شيندر، «قبور الصحابة فى القسطنطينية»، ضمن كتاب المتقى من دراسات للمفسرين من صلاح الدين النجيد، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ج ١، ص ١٥٣-١٥٩

وقد امتدحه الشاعر التركى السعد أختى بأبيات رائعة قال فيها

شهد الشاهد جاهداً ومجاهداً ومكابداً بهرويه ما كابدنا

حتى أفضى بصلافة ومهابطة فى آخر القزوات هذا المشهدنا

فد مات مبطلوناً غريباً غارِباً ففداً شهيداً قبل أن يستشهدنا

أنظر على محمد الصلاي، الشرف والناسى بحركة الفتح الإسلامى ، ص ٢٨٨

Lewis, Naval Power and Trade in the Mediterranean A.D. 500- 1100, Princeton -٢

1951 p. 61

المسيح التال حيثناك . ومع ذلك ، فإن تلك المحاولة على الرغم من عدم توفيقها ، فإنها تثبت لنا إتساع دائرة الطغوحات الإسلامية خلال تلك المرحلة . وإن استمرت محاولاتهم كما حدث عام ٧١٧م . ١٤٥٣م إلى أن قدر لهم في نهاية المطاف فتحها في العام الأخير

أما بالنسبة لأبرز الأعلام في عهد الأسرة الهولبية فنذكر منهم: المؤرخ يوحنا الأنطاكي الذي ألف كتاباً تناول فيه الأحداث منذ آدم حتى آخر أيام فركاكس عام ٦١٠م<sup>(١)</sup>.

وهناك أيضاً المؤرخ المجهول لحولية الفصح المعروفة باسم Chronicon Paschale<sup>(٢)</sup>

أما في مجال اللاهوت نذكر يوحنا الدمشقي<sup>(٣)</sup> (٦٧٦-٧٤٠م) وهناك من يقرر أن أفضل أعماله كتابه «سبوع المعرفة» الذي عرض فيه للعقيدة المسيحية متأثراً بالنطق الأرسطي

كذلك لا تغفل الراهب مرسخوس Meschos<sup>(٤)</sup> (يوكراتاس) (ت ٦١٩م) والذي أقام في دير القديس ثيودوسيوس St. Theodosius بالقرب من بيت القدس . وقد تصادق مع

١- عنه أنظر: أسد رستم . الروم . ج ١ . ص ٢٨٤

٢- عنه أنظر: المنفل البليوغرافي .

٣- عنه أنظر: أسد رستم . المرجع السابق . ص ٣٤٦-٣٤٧ . اليكس جرافسكي . الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ط . دمشق سنة ٢٠٠٠م . ص ٩٨ . طائفة (١١) . شجرة الإشارة إلى أن يوحنا الدمشقي شارك في المناظرات التي كانت تعقد للمقارنة بين المسيحية والإسلام وكل طرف كانت له وجهات نظر مختلفة عن ديانتها بطبيعة الحال . وامتدت وطأة السجال الديني من القرن السابع الميلادي فصاعداً وشارك فيها المسلمون بمؤلفات من أمثلتها

المباحث (ق-٩) الرد على النصارى . الفزالي (ت ١١١١م) الرد الجليل في بيان الهدية المسيح بصريح الانجيل لمحقق . محمد عبد القادر الشرقاوي . ط القاهرة ١٩٨٦م ط القاهرة ب-ت . الخواصر القرطبي (ت ١١٨٦) بين الإسلام والمسيحية . لمحقق محمد شامه . ط القاهرة ١٩٧٣م . الامام القرطبي (ت ١٢٧٢م) الإعلام . لمحقق حجازي السقا . ط القاهرة ١٩٨٠م . الفزالي (ت ١٢٨٥م) الأجرية النادرة . القاهرة . د . ت . لمحقق السكتلي (ت ١٢٣٠م) دولة الروحانية في الرد على الحملة النصرانية . لمحقق خليل الحاج . ط القاهرة ١٩٨١م . البرصيري . منظومة الامام البرصيري في الرد على النصارى واليهود . ط القاهرة (ت ١٣٤٩م) حماية الخباري في أجوبة اليهود والنصارى . ط القاهرة ب-ت

٤- عنه أنظر . Nicol, A Biographical Dictionary, p.93 .

John Moschos, The Spiritual Meadow (Pratum Spirituale), trans. by John Wortley . Kalamazoo . Michigan 1992 . pp. XVI - XVII.

سفر ونيسوس بطريق المدينة المقدسة وتنقل بين مصر وقبرص وروما ، واشتهر بكتابه المرح  
الروحى Pratum Spirituale, The Spiritual Meadow

مهما يكن من أمر؛ ذلك عرض عن الأسرة الهرقلية ، وقد ظهر بهجلاء من خلال كيف أن  
الإمبراطورية البيزنطية شهدت تغيرات جذرية في مختلف المجالات السياسية ، والمالية ،  
والثقافية <sup>(١)</sup> ؛ على نحو كشف عن أن عصر تلك الأسرة شكل مرحلة فارقة في التاريخ  
البيزنطى .

أما إذا قارنا بين تلك الأسرة والأسرات السابقة عليها ، من الممكن أن نجد تشابهًا بينها  
وبين أسرة جستنيان ؛ إذ أن القرن السادس شهد انفصال المقاطعات الغربية من خلال تسمى  
القرن الجرمانية . أما القرن التالى وهو القرون السابع فقد شهد اقتطاعًا لعدد من المقاطعات  
من خلال الصنط العسكرى العربى والقبلى مع الفارق بطبيعة الحال . ويرجع عام يتأكد لنا من  
حالة دراسة الأسرة الهرقلية أن الخطر قدم من الشرق في صورة الفرس والعرب مع ملاحظه أن  
جهة الشرق ستظل تمثل الخطر الأكبر المستمر لبيزنطية حتى اللحظة الأخيرة من تاريخها دون  
أن نحسن من إيجاد حل لها

ولاتفعل كذلك؛ أن كلاً من الإمبراطورين ، جستنيان وهرقل قاما بحركة استرداد صد  
الجرمان والفرس . غير أن جهدهما في ذلك المجال ذهب أدراج الرياح ، وأن اختطف كلاً منها في  
جهد الصراع كما أوضحت .

ومع ذلك ، فالأمر المؤكد أن سياسة جستنيان من خلال شراء السلامة مع الفرس بالذهب  
ليستمرغ للصراع مع الجرمان جعلت قوتهم تنامي على نحو جعل الأمر شاقاً أمام هرقل فيما  
بعد عندما اتجه إلى محاربتهم ، واسترداد ما أخضعه من مقاطعات الإمبراطورية . ذلك أمر  
الأسرة الهرقلية ؛ أما الأسرة الأمورية؛ فتناولها في الصفحات التالية.

١ عن تلك التغيرات بعضة عامة : أنظر .

Halton, *Byzantium in the Seventh Century, The Transformation of a culture*, Cambridge  
1997

من أفضل الدراسات في مجالها

عائشة سعيد أبو الجدايل، الامبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادى / الأول التجري . دراسة في  
التحولات والتطورات، الرياض ١٤١٥ هـ . ص ١٦٩-٤٤٢ وهي دراسة علمية مقيمة أعدتها باحثة سعودية  
وتخصصت في قرون واحد من قرون التاريخ البيزنطى الممتد ووقعت في دراسته بحكم اقتضاها على مدة تعد  
تـ ١ / ١١ من التاريخ البيزنطى ومن هنا تكون الإضافة العلمية الحقيقية

## رابعاً : الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٢٠م) :

نتناول في الصفحات التالية : عهد الأسرة الأيسورية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٨٢٠م؛ أي ما زاد على قرن من الزمان

تولى الحكم في تلك الأسرة تسعة أباطرة . في صورة ليو الثالث الأيسوري Leo III The Isaurian (٧١٧ - ٧٤١م) . وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١ - ٧٧٥م) . و ليو الرابع Leo IV (٧٧٥ - ٧٨٠م) . وقسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠ - ٧٩٧م) . والإمبراطورة إيريني Irene (٧٩٧ - ٨٠٢م) ثم هناك خلفاء الأيسوريين وهم : نيقفور الأول Nicophorus I (٨٠٢ - ٨١١م) وستوراكيس Stauracius (٨١١م) . وميخائيل الأول راجباب Michael I Rangab (٨١١ - ٨١٣م) . و ليو الخامس Leo V (٨١٣ - ٨٢٠م) : وبصفة عامة سنركز الحديث على أبرز الأباطرة.

على أية حال؛ فإن الامبراطور المؤسس ليو الثالث، قدم من منطقة ايسوريا Isauria نسي جرب شرقي آسيا الصغرى . ووصل إلى المنصب الإمبراطوري من خلال مؤامرة . على نحو يؤكد لنا مقولة المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon السالفة الذكر من قبل : وهكذا . سنفر أن نجد أسرة بيزنطية حاكمة دون مؤامرات هنا أو هناك خاصة في نهاية عهد كل أسرة تقريباً على نحو صار معه الأمر كطابع تقليدي يميز للتاريخ البيزنطي . وبصورة لا يجدها بنفس الدرجة في تاريخ الغرب الأوروبي في العصور الوسطى.

بصفة عامة؛ من الممكن القول؛ بأن أهم أعمال الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً : مواجهة الحصار الإسلامي للعاصمة البيزنطية ٧١٧-٧١٨م

ثانياً : التشريعات القانونية

ثالثاً : الحركة اللاأيقونية<sup>(١)</sup>.

١ - ليو الثالث الأيسوري؛ مؤسس الأسرة الأيسورية وقد حكم خلال المرحلة من ٧١٧ إلى ٧٤١م . ومن المفضل انه قدم من شمالي بلاد الشام . وقد وصف بأنه عمل فلتاً أو استراتيجوس لشير الأناضول Ann totkun . وقد أعلته جنوده كإمبراطور بدلاً من ثيودوسيوس الثالث . وفي ٢٥ مارس عام ٧١٧م تم تنصيبه كإمبراطور في القسطنطينية . وبعد ذلك بسنة أشهر . واجه أمر الحصار الذي فرضه المسلمين على المدينة البيزنطية . وقد توفي في يونيو ٧٤١م . عنه أنظر

ولارب ، في أن تلك الأعمال ضمنت لمؤسس الأسرة الأيبسورية مكانة بارزة في التاريخ البيزنطي.

وفيما يتصل بالأمر الأول : من الملاحظ أن المسلمين في عهد الدولة الأموية اتجهوا إلى حصار القسطنطينية وذلك في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وبالتحديد في المرحلة بين عامي ٧١٧-٧١٨م<sup>(١)</sup>، وقد بلغوا في تحقيق هدفهم مجهودات مضنية ؛ إلا أنهم عجزوا عن فتحها ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل يمكن إيجازها كالتالي:

Browning, The Byzantine Empire, pp. 53-56 .

Nicol, A Biographical dictionary, pp. 72-73 .

(Kinzorsky, History of the Byzantine State . pp. 138-147

Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 194 , p.230 , pp. 252-253 .

Hussey, The Byzantine World , p. 28-31

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 110-113 .

وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، ط . الاسكندرية ١٩٨٦م.

والدراسة الأخيرة أفضل دراسة عربية في موضوعها

١- عن تفاصيل حملة المسلمين ضد القسطنطينية عام ٧١٧- ٧١٨م أنظر:

Theophanes, The Chronicle of Theophanes . p. 88 ,

ابن حبان ، تاريخ ابن حبان ، تحقيق مصطفى نجيب تونز وحسنت تونز ، ط . بيروت ١٩٩٥م . ص ٢٠١- ص ٢٠٩ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك . ط القاهرة ١٩٩٣م، ج ١، ص ٥٢- ص ٥٣٩ ، ابن العسري، تاريخ مختصر الدول ، ط . القاهرة ٢٠٠١م، ص ١١٤ ، وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ص ١٢١- ص ١٧٥ ، إيسار أحمد السيد عاسر، سراج القوى في البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب في الفترة من ٢٥- ٢٤٢٢ هـ / ١٤٥- ٨٤٦ م رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد دراسات البحر المتوسط ، جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م، ص ١٢- ص ١٢٩ ، عمر عبد السلام تدمري ، لبنان من الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة، الأموية ١٢- ١٢٢ هـ / ٦٣٤- ٧٥٠ م . ط القاهرة ١٩٧٩م، ج ١، ص ٢٤٤- ص ٢٤٩ ، فحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ج ٢ ، ص ٨٦- ص ٩٥

Brooks, "The Campaign of 716- 718 from Arabic sources", J. H. S., T. XIX , 1899, pp

19-31 Lewis Naval Powers and Trade , pp. 66-67

Hussey The Byzantine World , p. 28

أولاً: اتساع الطبيعة والصناعية للقسطنطينية بحيث لم يكن من الممكن للأسطول الإسلامي تحقيق نجاحات فعلية في مواجهتها ، كذلك لا تغفل أمر دفاع البيزنطيين عن عاصمتهم

ثانياً: نجاح البيزنطيين من خلال عمليات التجسس المختلفة في معرفة استعدادات الأرمين بحر حصار مدينتهم ، ولذلك تجهزوا من أجل حصار أموي طويل ، وعملوا على تخزين السلع التموينية؛ مما عكس أهمية «سلاح المعلومات» في ذلك العصر وفي كل عصر في واقع الأمر. ثالثاً: استخدام البيزنطيين لسلاح فئاك في صورة النار الاغريقية (Greek Fire)<sup>(١)</sup> التي اخترعها مهندس يدعى كالينيكوس Kallinikos . وقد فتكت بعدد كبير من قطع الأسطول الأموي وكانت من العوامل الفعالة والمؤثرة في حسم الصراع لصالح البيزنطيين .

رابعاً : كان شتاء ٧١٧-٧١٨ م قاسياً لم يأنفه المسلمون، وخلالها تزلزلت من السماء كرات الثلج<sup>(٢)</sup>، وهكذا ؛ فإن البيئة الجغرافية الأوروبية لم تكن ملائمة لهم، ولا تغفل أنه في العصور القديمة ، والوسطى بصفة عامة ؛ كانت الجغرافيا توجه التاريخ، ثم أن التاريخ ذات ما هو إلا صراعاً على الجغرافيا بأبعادها المختلفة مع عدم إغفال دور الإنسان نفسه كفاعل تاريخي بطبيعة الحال.

١- عن النار الاغريقية أنظر.

Theophanes, p. 52, note (114).

Enan, Decisive moments in the History of Islam, New Delhi 2001, pp. 109-126

سعاد ماهر، البحيرة في عصر الاسلام، ص ٢٢٣- ٢٢٤، وسام محمد العزيز فرج، «النار الاغريقية طبعة توكيما» أثرها في نشاط المسلمين البحري، ضمن كتاب بزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإدري ط القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٤٣، ص ١٥٦، طارق منصور - «النار الاغريقية - قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية» - حولية التاريخ الإسلامي والوسطى، م (٤١)، عام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م، ص ١١٥- ١٥٩، طارق منصور ومحمدين الوقاد، النفط استغلاله وتطوره عند المسلمين ٦٤-٩٢٣هـ / ٦٨٤-١٥١٧م، ط القاهرة ٢٠٠٦م، ص ١٢، ص ١٧

عن الظروف المناخية القاسية في شتاء ذلك العام، أنظر

خامساً الأمر المؤكد : أن وصول ليو الثالث الأيسوري للمنصب الإمبراطوري مثل نقطة تحول مهمة من خلال قيادته للإمبراطورية البيزنطية خلال تلك الظروف العصيبة، وقد اتجه إلى التحالف مع عناصر الخزر<sup>(١١)</sup>، والبقاء كي يدعم قوته في مواجهة المسلمين، وهو أسلوب بيزنطي معتاد، وتكرر مرات مختلفة على مدى التاريخ.

على أية حال : هناك من المؤرخين الأوروبيين من أصابهم عقدة «الإسلاموفوبيا» دون أي مبرر، وقد نظروا للإمبراطور المذكور على أنه المخلص لشرقي أوروبا مما وصفوه بأنه الخطر الإسلامي، واهتموا بإبراز دوره في التصدي للأخطار الإسلامي أكثر من إبرازهم لأية أدوار

= شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٦.

وأرد أن أقود ما ذكره ذلك المؤرخ حيث قال : «كان نزول الجليد لا يقطع أبداً مدة إثني عشر أسبوعاً و استطاع ليو أن يهزم مثل القيصر نقولا بأن ديسمبر، ويناير وفبراير كانوا أعظم قواده لأن تلك الشهور أهلكت الجند المسلمين بشكل مخيف، ولم يستطع المسلمون الذين يرتدون الملابس الخفيفة أن يهاضموا الجرماتو كالذباب من الشتاء» ، والبريد.

ولا أحتاج -في الواقع- إلى التعليق على ذلك المؤرخ التعصب الذي ألف كتابه وقت أن كانت بريطانيا تلقب نفسها بالعظمى فاعتكس ذلك على استعلاية كتابته التاريخية

٩- عن العلاقات البيزنطية مع الخزر بصفة عامة أنظر.

Noonan, " Byzantium and The Khazars aspecial relationship ? " in Shepard (J.) and Franklin (S.), eds . Byzantine Diplomacy , Papers from the twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies Cambridge 1990, Hampshire 2003, pp. 109-132 .

محمد محمد مرسى التليخ، «الخزر وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية» ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، العدد (٤٤) عام ١٩٨٠م، ص ٤٤٨- ٣٧٧

وعن العلاقات بين تلك الامبراطورية في عهد ليو الثالث الأيسوري، والخزر أنظر. محمد عبد الشامي المصري، ملوك الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين، ص ١٠٩- ١١١

وعن الخزر بصفة عامة أنظر الدمشقي، نخبة الأهر في عجائب البر والبحر تحقيق مهدي، ط ١٩٢٣م، ص ٢٦٢ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدعنان، ط بيروت ١٩٨٧م، ص ١٦٩- ١٧٢

دلمبر، تاريخ يهود الخزر، ت. سهيل وكرار، ط. دمشق ١٩٩٠م وأيضاً بارتولد الترك، في أسبا الوسطى، ت أحمد السيد سليمان، ط القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٦٣- ٦٤

تاريخية أخرى له وقد تشابه موقفهم ذلك مع موقف أولئك المؤرخين الذين هلكوا لهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، أوتور Tours أو بواتييه Poitiers التي جرت وقائعها - بعد ذلك بأعوام قليلة بفرنسا- بين والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي، وقواته، وبين ملك الفرنجة شارل مارتل عام ٧٣٢م<sup>(١١)</sup>، وحاولوا الربط بين إنكسار المسلمين أمام القلب البيزنطي النبع عام ٧١٧م، والهزيمة من جانب الفرنجة في فرنسا ويمكن الرد على ذلك من خلال ما قاله المؤرخ الفرنسي النصف جوستاف لوبون عندما قرر أن أسوأ يوم في تاريخ أوروبا عندما هزم المسلمون في تلك المعركة ؛ لأنه كان على أوروبا الإنتظار عدة قرون، من أجل أن تلتقي بالمسلمين وتؤثر بحضارتهم<sup>(١٢)</sup> من خلال الحروب الصليبية . فكانت شهادته النصفة كلمة حق كالروسط دياجير الظلام.

١- عن معركة بلاط الشهداء، أنظر: ابن الأثير . الكامل، ج. ٥، ص ٦٤ ؛ ابن خلدون، المعبر، ج ٤ ،

ص ١١٤

أيضاً . مونتيجرمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيه، ت محمد رضا المصري، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٣٩- ٣٩ ، على حين الشطشاط . تاريخ الإسلام في الأندلس من النبع العربي حتى سقوط الخلافة، ط القاهرة ٢٠٠١م، ص ٧٩- ٧٥

Fouracre, The Age of Charles Manel, Essex 2000, p. 148-149

صبيح عبد الحسيد . معارك العرب الحاسمة، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص ١٧٣- ١٨٤ . عبد الفتاح العيسى، معركة بلاط الشهداء، في التاريخ الاسلامي والأوروبي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٥١- ١٠٩

ودا . عبدالله المزروع، جهاد المسلمين خلف جبال اليرقات من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري . ط القاهرة . بيت، ص ١٠٨- ١٣٩ حيث تقدم تناولاً مفصلاً للمعركة المذكورة . خليل السامرائي ، وعبد الواحد دنون طه، وتاطن صالح، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ص ٥٨- ٦ ، حين مؤسس، فجر الأندلس، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٢٢٧- ٢٢٠ . حتى حين معسرود . السطر في الأندلس وعلاقتهم بالفرقة ٩٢- ٩٠٦ هـ / ٧١٤- ٨١٥م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٤٩- ١٦٠ ، نور الدين حاطرم، تاريخ العصر الوسيط في ليبيا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٨٨

ومن المهم هنا الإشارة أن المسلمين في أعقاب تلك المعركة، عملوا على استرداد مراكزهم السابقة، وقد استقروا بمرسا كرتين من الزمان . ومن المعروف أن حاكم مرسلية سلم لهم مقاطعة بروقانس في عام ٧٣٧م . وسرلوا على الأول، ودخلوا مقاطعة سان نرويز عام ٨٨٩م، واستمر وجودهم في بروقانس حتى ختام القرن عني وبناظر جوستاف لوبون، حصار العرب، ت. عادل زعيتر، ط القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٣١٦

٢ المرجع السابق، ص ٣١٧

وهكذا ؛ يتضح لنا أن مثل تلك الأحداث تكشف لنا عن الجوانب النفسية العدائية لدى الغرب الأوروبى أكثر من أى شئ آخر. وقد ورد أحد كبار المؤرخين العرب فى مجال الدراسات البيزنطية عبارة هنا نصها «مع فشل هذه الحملة تبدأ عظمة ليو كرجل وقف ضد الزحف الإسلامى إلى أوروبا، حتى أنه يقال ، أنه لولا ليو الأيسورى لأنتشر الإسلام فى أوروبا كما تنتشر النار فى البرارى»<sup>(١١١)</sup>؛ وهى عبارة من الممكن قبولها - فقط- فى حالة إيراد عبارة « من وجهة نظر بيزنطية ». ويلاحظ أنه الآن، ينتشر الإسلام فى أوروبا من خلال قلوباته الذاتية كذبح يملك القدرة على الحوار مع الأديان الأخرى، والأمر المؤكد أن الإسلام قويا<sup>(١١٢)</sup> أو الرعب من الإسلام . وهم غربي إنعكس على معالجات قطاع من المؤرخين الأوروبيين للعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى دون مبرر منطقي. وما زال يتعرع حاليًا فى ظل الوضع الدولى المتأزم الراهن !

= بدل جولستاف لويون «ولكن لنفرض جدلاً أن التصارى عجزوا عن دحر العرب ، ولأن العرب وجدوا جر شمالي فرنسا غير بارد، ولا ماطر كجزر أسبانيا فطالب لهم الإقامة للعامة به، فلماذا كان يصبب أوروبا ؟ كان يصبب أوروبا النصرانية المتبررة مثل ما أصاب أسبانيا من الحضارة للزاهرة تحت راية النسي العربى ، وكان لا يحدث فى أوروبا التى تكون قد هبطت ما حدث فيها من الكيثار كالمغرب النبية ، وطلحة سان بارتلى، ومطالم محاكم التفتيش وكل من يعرفه المسلمون من الوقائع التى ضربت أوروبا بالدمار. عدة قرون»<sup>ص ٣١٧</sup>

١- محمود سعيد عمران - معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٨

٢- عن ذلك أصيل التارن إلى هذه الدراسة المتأخرة التى أعدها باحث أسباني معاصر:

جورن ل. إسبوزيتو، التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ت. قاسم عياد قاسم ، ط. القاهرة ١٩٨٠م

وتعد أفضل دراسة كتبها باحث غربي عن ظاهرة الاسلاموفوبيا أو الرعب من الإسلام . ولجدها عرضاً مفيداً لدى

حاتم الطعاوى ، جون ل. 'سبوزيتو- التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ١ ترجمة / قاسم عياد قاسم ، ٢٠٠١، ٤٢١

J Esposito, The Islamic Threat Myth or Reality, Oxford 1999

حولية التاريخ الإسلامى والوسطى، م (٣)، عام ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧، ص ٣٠٩، (أيضاً).

إبراهيم مافج - جنود «المحضر الأخضر» وحملة تشريعه الإسلام ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص ١٦٧- ١٨٣

مهما يكن من أمر: فالملامح أن هناك مواجهة أخرى حدثت بين قوات ذلك الامبراطور والمسلمين في معركة أكرونيون Acronion عام ٧٤٤م وهي التي هزم فيها الآخرون واستشهد فيها عبدالله البطل<sup>(١)</sup>.

أما الرواية الثانية الخاصة بالجانب القانوني: فيلاحظ اتجاه ليو الثالث الأسورى إلى الاختصاص بالناحية التشريعية وقد ارتبط اسمه بمجموعة قانونية عرفت باسم الاكلوجا - Eclo- ga<sup>(٢)</sup> أو المختارات القانونية التي صدرت عام ٧٢٦م، وقد دفعته عدة دوافع نحو إصدارها؛ إذ أن قوانين الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وضعت باللاتينية، وأراد ليو الثالث أن يضع قوانينه باليونانية، بعد أن تقلصت مساحة الإمبراطورية نتيجة لتوسعات المسلمين، والسلاط، وقدقت أغلب المقاطعات الشرقية كذلك فإن احتياطات الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية والاجتماعية تطورت على مدى المرحلة الواقعة فيما بين القرنين السادس، والثامن الميلاديين. ولذلك احتاجت إلى قوانين تتفق مع ذلك التطور<sup>(٣)</sup>.

وقد وقعت الاكلوجا في (١٨) فصلاً احتوت على جوانب متعددة في القانون المدني<sup>(٤)</sup>، منها ما اتصل بالزواج، والميراث، والودائع والامانات، وتوزيع المغانم، وغيرها.

١- عن ذلك انظر: أنطرى، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١٩١، ابن كثير، البداية والنهاية، ط بيروت ١٩٩٨م، ج ٩، ص ٢٨٤ - ٢٨٧

وعن عبدالله البطل انظر.

وشاد محمد خيس، سيرة سيد بطال غازي في القصص الشعبية التركية وأثر الصراع الإسلامي البيزنطي فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م. السيد الباز العربي الدولة البيزنطية، ص ١٦٧، محمد فتحى عثمان، المدونة الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٤

٢- عن الاكلوجا انظر

Spulter, L. Eclogae des Isauricus, Texte, Traduction, et Histoire, Cernuschi 1929

Hussey, The Byzantine World, p. 30, p. 43, p. 132.

Browning The Byzantine Empire, p. 53

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, pp. 242-244.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 134, p. 141

Nicol, A Biographical dictionary, p. 73.

والمدخل الجيوجغرافي

٣- معجم فرح، المختارة البيزنطية، ص ١٣٥

٤- تكونت الاكلوجا من ١٨ فصلاً موزعة كالتالى

جدير بالذكر ؛ على الرغم من استفادة الاكلوجا من قوانين جستنيان ، إلا أنها اختلفت عنها في بعض الجوانب، بل كانت متقدمة عنها- وهو أمر متوقع- وقد فرضت عقوبات موحدة على المجرانم التي تشابه ويرتكبها الأمراء أو العامة ، بينما كانت للعقوبات في قوانين جستنيان تفرض وفق الوضع والمكانة الاجتماعية للشخص الذي قام بالارتكاب المجرمة<sup>(١١)</sup> وقد تأثرت الاكلوجا بالأعراف والعادات الشرقية أكثر من قوانين القرن السادس م ، وعبد فيها احتراماً أكبر لعقد الزواج، وكذلك حقوق الزوج، والأبناء . وقد ظهر فيها التأثير المسيحي أكثر من ذي قبل<sup>(١٢)</sup>.

كما أن هناك القانون الزراعي *Leges rusticae* ويتكون من ٨٥ مادة قانونية ولا يعمل كذلك ؛ صدور القانون البحري *Lege navales* ، والهدف منه تنظيم التجارة البحرية، وقد احتوى على سجل للعادات ، وكذلك التقاليد التي تم مراعاتها في أمور الملاحة البحرية .

أما القانون العسكري *Leges Militares*<sup>(١٣)</sup> ؛ فيلاحظ أنه تناول على نحو أساسي العقوبات التي كانت تفرض على الجنود عندما أقدموا على ارتكاب المجرانم مثل التمرد ، أو الفرار ، وبحوها ، ومنطقي تصور أن مثل ذلك القانون هدف إلى فرض الإنضباط في الجيش البيزنطي ليتمكن من تحقيق الأهداف المطارة به

= المظرة ٢- عقد الزواج بين المسيحيين ٣- جهاز العروس وصدقها ٤- هدايا العروس ٥- الرصبة والأشعاص الذين يحق لهم الرصبة ٦- الإرث والورثة ٧- الشمس والرصبة عليهم ٨- تحرير العبيد والاستعباد ٩- البيع والشراء ١٠- مخرج عقد مكتوب أو التعهد للشخص والعاملين التي تم دفعها ١١- الديون والفروض ١٢- الروائع والأمانيات ١٣- الضمان والتأمين ١٤- الإيجار والاستئجار ١٥- الشهادة المقبولة وشهاداتهم وغير المقبولين ١٦- اتفاقيات الصلح ١٧- أملاك المجدد ١٨- العقوبات على إرتكاب المجرانم، ١٩- توزيع غنائم الحرب.

عن ذلك انظر نعيم فرح - الحضارة البيزنطية، ص ١٣٦ - ص ١٣٧

١- نفسه ، ص ١٣٧

٢- نفسه ، نفس الصفحة ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١١٩

٣- نعيم فرح ، المرجع السابق، ص ١٤٦ - ص ١٤٧ ، عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١١٨ -

ص ١١٩

وهكذا : صارت القوانين التي صدرت في عهد الامبراطور ليو الثالث الأيسوري وسيلة من أجل تدعيم السلطة الامبراطورية من ناحية ، وكذلك إخضاع شعوب الامبراطورية لسلطة قانونية واحدة تتفق مع الاحتياجات المتطورة لشعوبها ولاشك في أن القانون كان عنصراً فاعلاً من وراء - استمرارية تلك الامبراطور أحد عشر قرناً من الزمان مع عدم اغفال أهمية العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

أما فيما يتصل بالحركة الأيقونية؛ فمن الملاحظ أن التدين العاطفي للشعب البيزنطي دفعه إلى التعلق الزائد بصور القديسين أو الأيقونات Icons<sup>(١)</sup> فتم تقديسها ، وهاك من يقرر أنه منذ القرن الثامن الميلادي؛ حدثت ميلافة في التعلق بالأيقونات وتقديسها وصارت تلك الصور في الكنائس ، والأديرة وكذلك في كافة المنشآت المدنية الخاصة ، العامة ، وصار الناس يسجدون أمامها تقديساً لها<sup>(٢)</sup>

على أية حال؛ كان ليو الثالث الأيسوري من أبسوريا Isauria بأسيا الصغرى Asa Minor من منطقة لم تكن قماوس فيها عبادة الأيقونات وبالتالي : لواء تخليص الإمبراطورية بما اعتقد أنه «البدعة» التي عارضها عدد من كبار أبا - الكنيّة من قبل .

كذلك ؛ لا تغفل التأثير الإسلامي . فالمسلمون كانوا ينظرون باستهجان لقيام البيزنطيين بالسجود أمام صور القديسين كما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (٧٢ - ٧٢٤) أزال الأيقونات المرحوده . وقيل إن ذلك كان يذوق من تأثير أحد اليهود<sup>(٣)</sup> . وهكذا ؛ فإن العلاقات بين

١ - كلمة أيقونة Icon مشتقة من الفعل Eiko في اليونانية ومعناه، يشبه أو يماثل ، والاسم Eikon بمعنى صورة أو صورة مقدسة، ويسمى معلم الصور ايكونوكلاست Iconoclast ، ومعارضة عبادة الأيقونات تسمى ايكونوكلاسم Iconoclasm . عن ذلك أنظر : إبراهيم طرخان ، الحركة اللا أيقونية في الدولة البيزنطية، ط القاهرة ١٩٥٦م، ص٦

٢ - عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٧٩

٣ - عني ذلك أنظر " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721 " Vasiliev, D.O.P., Nos. 9-10, Massachusetts 1956, pp. 24-27

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط القاهرة ١٩٧٢م، ص١٢٩ ، سبده كاشف ، مصر من عصر الولا ، ط القاهرة بيت ، ص١٧١ ، قاسم عبيد قاسم ، أهل الأئمة في مصر العصور الوسطى، ط القاهرة ١٩٧٩م، ص٣٤ ، حسان حلاق، تعريب النقود والدولون في العصر الأموي الحياة المالية والاقتصادية والإدارية ، ط بيروت ١٩٨٨م، ص٥٨ وصيغة عامة؛ أفضل دراسة بالعربية عن التأثيرات المتبادلة بين لحسن العربي والبيزنطي هي فتحي عثمان، الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحري والاتصال المحب ، ص٢١ امرا ، ط القاهرة ١٩٦٦م

الطرفين لم تكن كلها ذات طابع حربي عدائي . بل امتد الأمر للجوانب الدينية. ومن المفترض حدوث حوار أو جدال ديني بين الجانبين .

من جهة أخرى؛ أراد ذلك الامبراطور الحد من نفوذ وجال الكنيسة ، وكذلك الحصول على دعم النساطرة، واليعاقبة، وبالتالي ؛ يمكن القول أن هناك عدة دوافع وراء تلك التغيرات على المستوى الديني في عهد ليو الثالث الأيسوري كما أن هناك عدة نتائج على الصعيد الدولي نجمت عن تلك السياسة كما سيتضح لنا.

مهما يكن من أمر؛ تم عقد مجلس شارك فيه عدد من الأساقفة عام ٧٢٦ م<sup>(١)</sup> بعد تسع سنوات من توليه الحكم- وتم فيه الإقرار بإزالة كافة الصور والتمائيل ذات الطابع الديني من

= وهي في الأصل أطروحة دكتوراه من كلية الآداب- جامعة القاهرة إشراف الراحل أ.د. حسين مزس بعنوان التعديل الشامية والجزيرة إلى عهد المتوكل العباسي

ومن المهم هنا الإقرار أنه بعد أربعين عامًا على صدورهما يصعب وجود دراسة مماثلة لها باللغة العربية، دون اغفال أنها ألفت - بطبيعة الحال- بإسكانات المسيحية . ولا بعد ذلك تلك لها

١- عن الحركة اللايقونية بحصة عامة أنظر:

Theophanes, pp. 93-94

Brubaker and Haldon , Byzantium in the Iconoclast Era ( ca 680-850) : The Sources, An annotated Survey, B.B.O.M., Birmingham 2001 .

Bryer and Hertz, Iconoclasm, Birmingham 1977 .

Martin, A History of the Iconoclastic Controversy, London 1978

Hussey, The Byzantine World , pp. 30-32 .

Angold, Byzantium , pp. 70-93 .

ابراهيم طرخان . الحركة اللايقونية في الدولة البيزنطية، ط القاهرة ١٩٥٦م

وعن الحركة اللايقونية في عهد ليو الثالث الأيسوري أنظر

Gero, Byzantine Iconoclasm during the Reign of Leo III , with Particular attention to the Oriental Sources, Louvain 1999

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 57-61 .

حسب ربيع . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٨١ - ص ١١٥ . شارلز أوصان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٩ - ص ١٥٣ . جوزيف نعيم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٢ - ص ١٢٣

الكنائس . كما تم تحريم تصوير السيد المسيح والسيدة مريم العذراء عليهما السلام وأدى ذلك إلى اندلاع معارضة شديدة من جانب الرهبان وصغار رجال الدين . إلا أن الامبراطور تمكن من إخضاعهم . وتطور الأمر عندما وقف البطريرك البيزنطي حينذاك ضد الإمبراطور ففاد الأخير بعزله عام ٧٢٠م. ولا ريب في أنه أدرك أن مثل تلك الحركة التي وأها ضرورية من وجهة نظره لإصلاح المعتقد اللبني في الامبراطورية . محتاج إلى قبضة جديدة من أجل تنفيذها وتمهيتها

وبلاحظ أن معارضة البطريرك للامبراطور مثلت حالة من الحالات المتداوة في التاريخ البيزنطي .

حدير بالإشارة: أن الأحداث التي وقعت في بيزنطة لم تكن ذات بعد محلي محدود . بل امتد تأثيرها خارج حدود الإمبراطورية وهنا ممكن خطورتها . فلم يكن في الإمكان أن تنف البابوية في روما مكتوفة اليدين حيال ما يحدث في القسطنطينية . وهكذا : قام البابا حريجوري الثاني Gregory II (٧١٥ - ٧٣١م) بمقعد مجلس ديني من أساقفة العرب الأوروبي . وأصدر قراراً يعتبر ما قام به . أولئك الذين يحاربون الأيقونات هرطقة<sup>(١١)</sup> . وامتد الأمر في عهد البابا الثاني؛ وهو جريجوري الثالث Gregory III (٧٣١ - ٧٤١) . أدى عمل على إزلال اللعنة على كل من يؤيد مبعطى الأيقونات<sup>(١٢)</sup>؛ مما عكس إتخاذ حضرة أقوى أبعد من السابقة التي اتخذها سلفه

= محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٠١ - ص ٩ ، محمد محمد مرس السبع، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١١٨ - ص ١٢٧ ، وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وصار الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧١ - ص ١٧٩

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٥

و جريجوري الثاني: بابا وقديس . ولد في روما عام ٦٦٩م من أسرة ثرية، وقد تولى المنصب البابوي من ١١ مايو ٧١٥ إلى ١١ فبراير ٧٣١م. وبلاحظ أن يوم عيد يوليان ١١ فبراير. عت أنظر Kelly Oxford Dictionary of Popes, Oxford 1996, p. 86-87

٢- جريجوري الثالث، بابا وقديس تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ مارس ٧٣١م إلى ٢٨ نوفمبر ٧٤١م . ووصف بأنه كان راجعاً فصيحاً . وتتمثل أهمية دوره في معاصرته لمرحلة الصراع على الأيقونات . عه  
Ibid p 88-89

Diehl History of The Byzantine Empire, p. 59

لا تغفل هنا ؛ أن أحداث التاريخ كانت تتلاحق خلال القرن الثامن الميلادي وفيما بعد على نحو زاد من التباعد بين كيبستي القسطنطينية وروما من خلال قطيعة قوشوس في القرن التاسع الميلادي ومن بعدها القرن الحادي عشر الميلادي عندما حدث الانشقاق الأعظم بينهما خاصة عام ١٠٥٤م فكانت نهاية رحلة طويلة وشاقة من الشكوك، والتناقض، والعدا، المتبادل المتراكم والمتوالي عبر القرون ، الأمر الذي متوضعه الصفحات التالية.

مهما يكن من أمر؛ توفي ليو الثالث الأيسوري عام ٧٤٦م ، وذلك بعد أن أحدث تأثيراً مهماً في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية سياسياً ، وعقائدياً على الصعيد الداخلي والخارجي.

ومن بعده ؛ تولى العرض البيزنطي ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup> الذي حكم خلال المرحلة من ٧٤٦ إلى ٧٧٥م وبعد عهده مكملاً ، ومتحسناً لعهد والده من قبل، ويمكن إبراز أهم معالم التاريخ البيزنطي في عهده على النحو التالي:

أولاً ؛ سياسة تجاه عبادة الأيقونات .

ثانياً ؛ الصراع مع المسلمين .

ثالثاً ؛ مواجهة للمباردين والبلغار

جدير بالذكر ، أن قسطنطين الخامس حكم مدة زمنية أكثر امتداداً من تلك التي حكمها والده ، إذ امتدت ٣٤ عاماً ، على حين حكم ليو الثالث ٢٤ عاماً فقط، وقد أعانته ذلك على مواصلة سياسته على نطاق زمني أكبر وإن كانت في معالمها العامة مكملة للعهد السابق

---

١- عن الإمبراطور قسطنطين الخامس أنظر -

Theophanes, p. 125 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 234 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 147-155 .

Norwich , A Short History of Byzantium, pp. 113-115 .

Angold, Byzantium, p. 77-78 , pp. 78-84 .

Hussey, The Byzantine World, p. 28, p. 29, p. 31

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 53-55

وفسما يتصل بمواجهة عبادة الأيقونات ، أثبت الإمبراطور أنه أكثر تشدداً من والده ، ولذلك حتى خطوات أبعد في عثاتها ، وقد قام بعقد مجمع ديني عام ٧٥٤م حضرته (٢٣٨) من الأساقفة في مدينة هيريا Hiera بالقرب من القسطنطينية<sup>(١١)</sup> . وقد أبدوا العقيدة اللاأيقونية ، وقرر أن من يعارض السياسة العامة للإمبراطورية تجاه تلك القضية سوف يتعرض للعقاب وفق القانون ، ولذلك يتضح لنا حرص ذلك الإمبراطور على الحصول على الشرعية الدينية قبل تعيد سياسته ويقدم ذلك نموذجاً على أن الدين كان في خدمة السياسة حينذاك .

هكذا ؛ تمكن قسطنطين الخامس من الحصول على دعم ذلك المجمع الديني لسياسته العدائية تجاه عبادة الأيقونات ، ومن الممكن القول أن عهده ظهر فيه الإرتباط الوثيق بين السباستين الداخلية ، والخارجية فظالما أن الإمبراطورية كان يهددها الخطر الخارجي - كالبغار على سبيل المثال- لم يكن الإمبراطور في مقدوره التوسع في سياسته اللاأيقونية ، ولذلك فإنه عندما تمكن من توقيع إتفاق للصلح مع عناصر البغار عام ٧٦٥م ؛ إنجبه من بعد ذلك لفرص سياسته بقسوة ، وعنف وقتل عدوه الرئيسي في صورة عناصر الرهبان الذين تمسكوا بعبادتها وقد اتخذ ضدهم عدة إجراءات ، إذ أنه إنجبه إلى تسميل عيون الرهبان المعارضين<sup>(١٢)</sup> ، وبلاحظ أن ذلك الأسلوب العقابي البشع يعد نمطاً تقليدياً في التاريخ البيزنطي على نحو يجعل المذبح النصف يشع بمدى الوحشية ، والرغبة الغير سوية في الإنتقام ، وقد وصل ذلك الأسلوب إلى أبشع مراحل على يد الإمبراطور باسل الثاني في عهد الأسرة المقدونية كما سيتضح لنا فيما بعد مما دل على تواصله تاريخياً من بعد ذلك ، كما أمر الإمبراطور بقطع

---

١- عن ذلك انظر

Angold, Byzantium p. 79-80 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 113 .

Talbot (ed.) Byzantine defenders of Images Eight Saints Lives in English Translation

Dambarton Oaks , Washington 1998, p. X .

٢- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٧٨

Dehl, History of the Byzantine Empire, p. 60 .

Talbot (ed.) Byzantine defenders of Images , p. X

أسنة وأنوف معارضيه . كذلك إجه إلى إيداعهم في السجن أو إبعادهم من خلال النفي،  
والتشريد<sup>(١)</sup>.

وهكذا؛ كشفت لنا سياسة ذلك الإمبراطور تجاه الرهبان الذين اعتقدوا في عبادة الأيقونات  
؛ عن رغبته في عقاب معارضيه كأنهم أعداء، حقيقين للإمبراطورية البيزنطية وليسوا من  
أبنائها المحالفين في معتقداتهم اتجاه الإمبراطور ويمكن وصف السنوات العشر الواقعة بين  
عامي ٧٦٥م. و٧٧٥م بأنها سنوات الحرب الأهلية الدينية العنيفة بين السلطة الحاكمة ،  
والرهبان مما عكس طول مدة الصراع . والأمر المؤكد ؛ أن ليو الثالث الأيسوري كان أقل عنفاً  
تجاه معارضيه إذا ما قورن بالقسوة البالغة التي اتبعها ابنه من بعده ومن المفترض أنه في  
حالة استمرار حربه ضد ما اتبع تلك السياسة ضد أولئك الرهبان.

من الملفت للإنتباه أن من المؤرخين الأوروبيين المحدثين من إنبهز بالأباطرة اللاأيقونيين،  
وصورهم على أنهم دعاة إصلاحيين، وتم التضاضى على وسائل التنكيل، والاضطهاد  
والتعذيب البشعة التي أثبتت أن الإمبراطورية عاشت وحينذاك مرحلة بالغة العنف من  
تاريخها، وسوف تدفع الإمبراطورية الثمن فادحاً في صورة اتساع الهوة بيننا وبين الغرب  
الأوربي

#### ١- عمر كمال توفيق- تاريخ الدولة البيزنطية . ص١٧٨

ولا نفعل أنه خلال تلك الأحداث ؛ قتل بعض الرهبان مثل القديس ستيفن الصغير St. Stephen The  
Younger . وكان قد ولد في العاصمة البيزنطية في عام ٧١٥م. وعندما حدثت الصراعات حول الأيقونات  
خلال عهد قسطنطين الخامس، دافع عن عاداتها . وقد تم قتله عام ٧٦٥م . ويقال أن الإمبراطور المذكور لم  
يشأ قتله وبذلك تشابه تلك الحادثة مع حادثة تالية وقعت في عهد الملك الإنجليزي هنري الثاني Henry II  
(١١٥٤ - ١١٨٩م) عندما قتل أتباعه توماس بكت St. Thomas Becket رئيس أساقفة كنزيري -Canter-  
bury ويلاحظ أن عيد القديس ستيفن الصغير يقابل يوم ٢٨ نوفمبر . عنه أنظر؛

سفر أعمال الرسل، الإصحاحين (٧، ٨)

L fe of St. Stephen The Younger, Trans. by Alice - Mary Talbot, in Talbot (ed.), Byzantine  
Defenders of Images, pp. 9-12 .

John of Würzburg, Description of The Holy Land , Trans . by A. Stewart , P.P.T.S., vol  
XII, London 1892, p. 40.

Artwater, The Penguin dictionary of Saints , pp. 313-34

Diehl - History of The Byzantine Empire. p. 60

تجدر الإشارة؛ وجدت عبادة الأيقونات أنصاراً لها ودافعوا عنها أحياناً حتى الموت، وقد حفظ التاريخ لنا ضمن المصادر الهجيوجرافية سير عدد منهم في صورة القديس ثيودورسبا القسطنطينية Theodosia of Constantinople، والقديس ستيفن الصغير St. Stephen The Younger، والقديسة أنثوسا المتينونية St. Anthousa of antinon، والقديسة انتوسا ابنة الامبراطور قسطنطين الخامس St. Anthousa daughter of Constantine V. وهي تعكس حركات المعارضة ضد سياسة الأباطرة اللاأيقونيين خلال المرحلة ٧٢٦ إلى ٧٨٧م<sup>(١)</sup>. أما المرحلة التالية هي الممتدة من ٨١٥ إلى ٨٤٣ م. فلدينا سير حياة عدد من المعارضين في صورة البطريرك نقفور الأول بطريرك القسطنطينية I Patriarch Nicephoros، وعبدة القديسين ديفيد وسيمون وجورج لسبوس St. S. David, Symeon and George of Lesbos، والقديس ايونيكيوس St. Icaunnikos، والقديسة الامبراطورة ثيودورا St. Theodora The Empress<sup>(٢)</sup>.

جدير بالإشارة؛ أن البابية في روما في عهد قسطنطين الخامس بحثت عن حليف في الغرب الأوربي من خلاله تتمكن من تحقيق أهدافها وتوجه من خلاله ضرباتها المتلاحقة تجاه الأباطرة اللاأيقونيين. إذ أن هجمات اللومباردين في إقليم راينا بإيطاليا جعلت البابية تتجه صوب دولة الفرنجة، وتترك الإمبراطور البيزنطي. وظهر خلال تلك الأحداث ما عرف بهبة بين<sup>(٣)</sup> Pepin The Donation والتي يقتضاهما تردد أن الملك الفرنجي بين القصير

١ - عن تلك السير التي تعد مصدراً أساسياً عن تلك المرحلة أنظر:

Talbot (ed.), Byzantine defenders of Images pp. 1 - 21.

وكذلك المدخل البيزنطي

Ibid, pp. 25- 382

٢ - حبة بين Pepin's Donation تنسب إلى بين القصير الذي عد لخر وزراً المهرقنيجي، وأول ملوك الأسرة الكارولنجية. وقد عمرو في أواسط القرن ٨ الميلادي الاستيلاء على التاج المهرقنيجي سياسياً ودبلوماسياً وليس عن طريق القوة. وقد أرسل إلى البابية في روما بعتة يعرض عليها تساقول عما إذا كان التاج الفرنجي يظل على رأس من هو بلا قوة، وأن يكون على رأس من بيده القوة الفعلية حتى لو لم يكن يحمل لقب الملك، ويقرر جوزيف نسيم يوسف أن البابا ذكرها (٧٤١-٧٥٢م) وصف بالحكمة وأدرك أن من =

Short (٧٥١-٧٦٨م) منح البابا حبة بقمتمضاها أعطاه الحق في حكم روما ، ورافنا ، وكان البابا حتى ذلك الحين يمارس سلطاته في روما من خلال النفوذ البيزنطي ، وهكذا ، دفع الأباطرة اللأقبوريون ثمن سياستهم على حساب النفوذ البيزنطي في إيطاليا

أما السياسة البيزنطية تجاه المسلمين : فقد حرص قسطنطين الخامس على تحقيق عدد من الانتصارات في مناطق الحدود البيزنطية - العربية حتى يطور الجهد المهرى الدفاعي الذي حققه والده ليور الثالث ، ويحقق وقوف الشعب البيزنطي وراء امبراطورهم المنتصر ضد أعداء الامبراطورية منذ عهد الإمبراطور هرقل.

على أية حال، حدثت تطورات تاريخية حاسمة إذ سقطت الخلافة الأموية عام ٧٥٠م وقامت في أعقابها الخلافة العباسية ، واستغل الإمبراطور توفيق العباسيين عن محاربة ببيزطة لتحقيق بعض الانتصارات . يلاحظ استقلاله لإضطراب أوضاع الأمويين قبل سقوطهم حيث استرلى على مرعش عام ٧٤٦م وقام بترحيل سكانها . ومن بعد ذلك بعد سقوط دولتهم تقدم في صراعه معهم وفي عام ٧٥٢-٧٥٣م اتجه إلى إخضاع مافليه ، وبصفة عامة؛ نلاحظ تبدل الأدوار ، فقد تحول المسلمون حينذاك من الهجوم في عهد الدولة الأموية حتى صاروا في موقف الدفاع . أما الدولة البيزنطية : فقد تحولت من الدفاع في عهد ليو الثالث إلى الهجوم في عهد ابنه قسطنطين الخامس<sup>(١)</sup> ، ومكس ذلك الارتباط الوثيق بين الأوضاع الداخلية في الدولة الإسلامية ونجاح البيزنطيين في تحقيق مكاسب استراتيجية .

= الفصل الثالث واكتسابه إلى جانبه وأجابه إلى صفه . وهكذا : قام بين بنقل التاج من آخر الملوك المبرونجيين؛ وهو شريك ذلك الثالث عام ٧٥١م. وهو العام الذي بعده المذبحون بباية عهد الأسرة الكارولنجية ويلاحظ أنه في عام ٧٥٤م. قدم البابا ستيفن الذي توفي من بعد البابا المذكور - قدم إلى غاليه حيث خرج بين ملكاً على الفرنجة ولاتفضل أنه في عام ٧٥٤م أنزل ذلك الملك الهزيمة بالليبارديين . وذهب بين البابوية إلى جانب كباية الرومي كالة إيطاليا كي تصبح ملكاً لها . عن حبة بين أنشر

Angold , Byzantium , p. 102 .

دارفان ديلاكلاف. الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى. ص ١٤١ . حاشية (٢)

١- من اللهم هنا الإشارة بهذه المقالة:

Brooks, " Byzantium and Arabs in The Time of The Early Abbassids". E.H.R., vol XV ,

1900, pp. 728-747

أما فيما يتعلق بمراجعة اللبّارديين : من الملاحظ أنهم عملوا على توجيه هجماتهم ضد النفوذ البيزنطي في إيطاليا. وفي عام ٧٥١م حققوا إنجازاً كبيراً على حساب بيزنطة من خلال السيطرة على رافنا<sup>(١)</sup> Ravenna. وفيما بعد حدث صدام بين الملك بين القصير السالف الذكر ، واللبّارديين ، وتمكن من هزيمتهم. ولم يكن يفعل ذلك للصالح البيزنطي، بل من أجل مصلحته العليا بطبيعة الحال . وحاول الإمبراطور قسطنطين الخامس جاهداً مقاومة النفوذ البايوي، وكذلك نفوذ تلك الفرقة بين دون جدوى ، وتأكد بالفعل أن النفوذ البيزنطي يحصر عن إيطاليا وذلك مع ملاحظة استمراره في كل من القسم الشمالي الشرقي في البندقية Ven-ice ، وكذلك في القسم الجنوبي .

وهكذا ، تأكد إحقاق ذلك الإمبراطور في التعامل مع اللبّارديين . ومن المؤكد أن سياسته تجاه أنصار عبادة الأيقونات عجلت بارتما . البايوية في أحضان بين القصير . وبالتالي دعت بيزنطة الثمن في ضياع قسم من أملاكها في إيطاليا

أما فيما يتعلق بسياسة تجاه البلقان<sup>(٢)</sup> الذين شكلوا خطراً دائماً على الإمبراطورية ، نجد أنه إصطدم معهم في عدة حملات خلال الأعوام من ٧٥٩ إلى ٧٧٥م . ويلاحظ أنه تمكن

١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٧٩

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 174-176 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 151

٢- رجع البلقان إلى أهل تركي ، وقد استقروا في نهاية الأمر في المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين . هناك خضعوا لسيطرة عناصر الأتار ، وقد ضعفت تلك العناصر بعد قتل حصارها للقسطنطينية عام ٦٢٦م ، وهنا ثار البلقان عليهم وبدأت الإدارة البيزنطية مرفقهم ضد الأتار . وفيما بعد نتج عن نشاط عناصر الخنز اعظم البلقان إلى الانقياد غرباً حتى وصلوا عا ٦٧٠م إلى دلتا نهر الدانوب. عى ذلك أنظر

وصام عبد العزيز فرج. السلال (الصقالبة) في شبه جزيرة البلقان، ص ١٨٨- ١٨٩

ومن البلقان وعلاوة بيزنطة بهم أنظر

Theophanes, p. 12 .

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier, A Political Study of the Northern Balkan 900-1204 Cambridge 2000 .

من الإنتصار عليهم عام ٧٦٣م<sup>(١)</sup>، وتجددت إنتصاراته عندما تمكن من هزيمتهم في عام ٧٧٢م، أي بعد عشرة أعوام من الانتصار السابق.

هكذا كانت جبهة البلغار مرفقة النتائج بالنسبة لبيزنطة وإن مات الإمبراطور خلال إحدى المعارك معهم عام ٧٧٥م. وبذلك اتضح لنا أنه أخفق مع اللعباردين . ويجمع مع البلغار مع عدم إغفال أن الصراع البيزنطي - البلغاري؛ لم ينته عند ذلك الحد ؛ بل استمر في عهد أباطرة بيزنطة فيما بعد خاصة في عهد الإمبراطور باسل الثاني ٩٧٦-١٠٢٥م.

من بعد عهد قسطنطين الخامس؛ تولى الحكم عدد من الأباطرة مثل ليو الرابع . وقسطنطين السادس . وإبريى . ونقفور الأول. وستوراكيس . وميخائيل الأول. وليو الخامس الأرميني؛ ومع ذلك ؛ فمن المهم تسليط الضوء على عدد منهم ليس لكفائتهم ، بل لوجود أحداث مميزة كشف فيها التاريخ البيزنطي عن بعض خصائصه التي قد لا تتضح في يسر . وسهولة لدى عهود أباطرة بيزنطيين سابقين آخرين

وبالنسبة لليو الرابع؛ الذي حكم خمس سنوات من ٧٧٥ إلى ٧٨٠م. نلاحظ أنه لم يكن له شأن بارز في التاريخ البيزنطي. ومن بعده حكمت الإمبراطورة إيريني<sup>(٢)</sup> باعتبارها وصية على

= هي أنصل دراسة في الموضوع المذكور من خلال المعالجة العلمية وكذلك المصادر والمراجع المتعددة . وهي أحدث ما كتب عن العلاقات بين الجانبين بالإنجليزية.

هاني عبد القهاسي الشير ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١-٨١٠ م رسالة دكتوراه . كلية الآداب . جامعة طنطا عام ١٩٩٩م. وهي أطروحة متنازة لباحث متمكن  
١- عن صراع قسطنطين الخامس مع البلغار أنظر:

Theophanes, p. 13 .

Norwich, Short History of Byzantium . p. 11 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , p. 10-11

Dvhl, History of the Byzantine Empire. pp. 35-36 .

محمد سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٠-١٠٨

٢- عن الإمبراطورة إيريني بمعنى اسمها «السلام» أنظر:

Theophanes , pp. 155-157

ابنها قسطنطين السادس، وإمتد حكمها من ٧٨٠-٧٨٢م ومن أهم ملامح عهدها إيجابها إلى إعادة عبيدة الأيقونات<sup>(١١)</sup>، وبالتالي عارضت تماماً سياسة ليو الثالث، وقسطنطين الخامس، كذلك أجهت إلى عقد صلح مهين مع الخلافة العباسية عام ٧٨٢م<sup>(١٢)</sup>، حيث عاصره الخليفة الفاتح الصيت هارون الرشيد؛ وذلك كي تتفرغ لتقضايا الداخل البيزنطي خاصة أنه لم يكن لها قبل مجابهة ذلك الخليفة الذي بلغت الدولة العباسية في عهده مرحلة من أقرى مراحل تاريخها.

= عليه الجنزوري، الإمبراطورة إيرين، ط. القاهرة ١٩٨١م.

Angold, Byzantium, p.84, p. 86.

Herrin, Women in purple Rulers of Medieval Byzantium, Princeton 2001, p. 51-129

حيث خصصت الميزة الأمريكية جوديث هيرن الفصل الثاني من كتابها للحدث الفصل عن الإمبراطورة إيرين، وقد دافعت عنها دفاعاً مجيداً خاصة من خلال المصيرنات الأخيرة في حكمها

من ناحية أخرى لا يمكن دراسة عهد إيرين دون إدراك دور مهم لأحد الخصيان، وهو ستوراكيوس Strau raktos الذي وصف بأنه مستشار الإمبراطورة واحتل مكانة بارزة وتولى مهمة كل شيء « كما وصفه نيرفابيس، ويلاحظ أنه شارك في الصراع مع العرب، كذلك حارب ضد السلاف في بلاد البوسان حتى البلمبوسيز عام ٧٨٢م، واحتفل بانتصاره في القسطنطينية في يناير ٧٨٤م، وفي عام ٧٨٦م، عاون الإمبراطرة المذكورة في مواجهة أعداء، عيادة الأيقونات، وقد توفي في ٢ يونيو - ٨٠٠م، عنه أنظر:

O D B, vol. 3, p. 1945.

ولانفعل أن الخصيان لعبوا دوراً بارزاً في العصر البيزنطي الأوسط عن ذلك أنظر

Rungrose "Eunuchs as Cultural Mediators", in Walter E. Kaegi (ed.) B.F., vol XXIII Amsterdam 1996, pp. 75-93, vol. XXIII.

١- نبيه عاقل، الإمبراطورة البيزنطية، ط. دمشق ١٩٦٩م، ص ١٦٤

٢- عن علاقات الإمبراطورة إيرين بالخليفة هارون الرشيد ودور الأخير في مواجهة بيزنطة أنظر إبراهيم أبوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٥٤

وديع فتحي، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، ص ٢٢٦، حيث يقدم عرضاً متافراً، أيضاً: معصود الخوري، العربازدين في التاريخ والحضارة، ٥٦٨-٧٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

ص ١٦١

Bosworth, Byzantium and the Syrian Frontier in the Early Abbasid Period, Bitad al- Sham

جدير بالذكر ! لُزادت إيرين الإستحواذ على السلطة على حساب ابنها ، وكثيراً ما تأمرت عليه ، بعد أن تجردت من مشاعر الأمومة ، ووصل بها الأمر إلى حد قيامها بعد تنازلها عن العرش له عام ٧٩٠ بواسطة مؤامراتها ، وقام أنصارها بالقبض عليه ، ومن خلال أولامرها قاموا بتسليم عينه<sup>(١١)</sup> يوم ١٥ أغسطس ٧٩٧م. في واقعة قريبة في التاريخ البيزنطي.

إن المؤرخين الأوروبيين الذين اتبهاوا بأباطرة بيزنطة لم يلقوا طويلاً أمام ذلك المشهد الأسود الفريد في مأساويته حيث تجردت إيريني من كافة المشاعر الإنسانية واقتضت عدم استوائها نفسياً دون إمكانية دعم ذلك من نصوص مصدرة أو مرجعية . إلا أن الواقعة التاريخية يصنعها المؤكدة تدل بجملاء على ترجيح ذلك الاحتمال . ولاتفعل هنا القول بأن التاريخ أحياناً العبر أسرياً من الناحية النفسية<sup>(١٢)</sup>.

على أية حال: فتلك المرأة المتسلطة حصلت على لقب إمبراطور وظلت في السلطة بعد أن جعلت مكانة بيزنطة الأدبية في الحضيض ولذا: لم يكن غريباً أن أقدم البابا ليو الثالث<sup>(١٣)</sup> Leo III (٧٩٥-٨١٦م) على ترويع شارلمان Carlus Magnus في ليلة عيد الميلاد من

= during the Abbasid Period ( 132- S.A.H/ S.A.P. 750 - 491 A.H. ( A.p. 1059) Proceedings of the Fifth international conference on the History of Bilad Al- Sham ed. by M. Albakht , Amman 1991) . p. 59-60.

١- عن صراع الإمبراطورة إيرين مع ابنها وتسليم عينه أنظر:

Norwich . A Short History of Byzantium . p. 117-118 .

Bosworth , Byzantium and the Syrian Frontier, p. 59 .

وديع فتحي ، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي ٧٤٦ - ٨٢٠م ط الاسكندرية ١٩٩٠م ، ص ٢٦٩

٢- عن ذلك أنظر

رهبة البيلي ، التاريخ يستعفه المرضى . ط القاهرة ١٩٨٥م ، وتعد الترجمة في القام الأول الرضى النفسى

٣- ليو الثالث ، بابا وقديس . تولي المنصب البابوي في ٢٦ ديسمبر ٧٩٥م حتى ١٢ يونيو ٨١٦م . وهو من أصل روماني من جنوى إيطاليا . وقد عمل راهباً ، ولقباً بعد كروتالاً ونسب إليه أمر تشريع شارلمان في ليلة عيد الميلاد من عام ٨٠٠م . وعرفت عنه كفايته الإدارية ، وبلاط أن عبده يوافق يوم ١٢ يونيو .  
عنه انظر

عام ٨٠٠م<sup>(١١)</sup>، وذلك بعد أن أثبت براعته في محاربة اللومباردين ، ووفر الحماية للبابوية ، وقد أرادت الأخيرة خلق قوة سياسية كبيرة في الغرب الأوروبي تواجه بيزنطة ، وبالتالي؛ صارت هناك قوتان سياسيتان كبيرتان متنافستان تحاولان مغالبة ود البابوية ؛ في النسطنطينية وأخن Aachen (أكس لاشابيل Aix La Chapelle عاصمة شارلمان

لا تغفل أن تلك الحادثة ، عدت حادثة محورية في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية على نحر جعل بعض المؤرخين يتصورون أن ميلاد تلك العصور يمكن أن يبدأ منذ عام ٨٠٠م، وإن كان ذلك رأى مستبعد على أية حال؛ لعدم منطقته نظراً لتأخره الزمني مع عدم إغفال مركزية الحادثة ذاتها كحادثة تاريخية لها شأنها في تاريخ الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، وكذلك في علاقاته مع الشرق البيزنطي.

لقد ساعدت الإمبراطورة إيريني - دون أن ندري - ساعدت البابوية في توجيه صدمة قوية لبيزنطة ، لقد كان هناك الضعف السياسي ، ثم السقوط الأدبي، ومن قبل كانت هناك سياسة الأباطرة اللأيمقوتيين . وأدى ذلك كله ؛ إلى أن توافقت الظروف التاريخية الملائمة لتشريع شارلمان خاصة أن الأخير أثبت كفايته الحربية. ومهاراته السياسية ، بالإضافة إلى زاوية التنصير التي سار عليها مثلما حدث من خلال تنصيره لعناصر الميسكون. واستخدامه الفسوة البالغة في سبيل تحقيق ذلك إلى حد قيامه بمذبحة مروعة في فردان Verdon (١٢) عام ٧٨٢م.

= Kelly . Oxford dictionary of Poper pp. 97-99 .

#### ١- عن تنوع شارلمان أنظر

Einhard, Vita Caroli Magni, Trans. by Lewis Thorpe In Two Lives of Charlemagne by Einhard and Notker the Stammerer, Penguin Book London 1969, pp. 80-81

Theophanes, p. 157 .

Becher, Charlemagne, Trans. by David S. Balchrach , London 2003, pp. 7-17 .

ديمر. شارلمان - ت. السيد الباز المرنى. ط. القاهرة ١٩٥٩م. ص ١٧٧-١٨٧

#### ٢- عن موقف شارلمان من الميسكون: أنظر

Notker the Stammerer, in Two Lives of Charlemagne , Trans.

By Lewis Thorpe. Penguin Book, London 1969, p. 136-137

وهي التي قتل فيها ٤٥٠٠ شخص منهم. وهكذا : توافرت لديه كافة الشروط اللازمة : من أجل تحالف البابوية معه . مع إدراك أن البابية دائسًا ما تحالفت مع الأقوى على مدى تاريخها خلال حقبة العصور الوسطى.

على أية حال: كان تنوع شارلمان بمثابة صدمة كبيرة للأباطرة البيزنطيين كما قرر البعض. وقد رفضت بيزنطة في أول الأمر : الاعتراف بذلك التطور السياسي المحوري الذي حدث في روما. وظلت ترفض الأمر طوال نحو ١٢ عامًا . إلى أن اضطرت للاعتراف : بالأمر الراقع *Ipsa Facto*. ويلاحظ : أن شارلمان - وهو أول امبراطور مسيحي لا يجري في عروقه الدم الروماني، أو البيزنطي إذ أنه يبرى الأصل فرنجي المنبت<sup>١١</sup> نفسه كان حريصًا المحرص أجمعه على أن تعترف الإمبراطورية البيزنطية به.

على أية حال : إتيه شارلمان عام ٨١٠ م . أي بعد عشر سنوات على تنويجه إلى أن يطلب من ابنه بين *Pepin* احتلال فينيسيا *Venice*<sup>١٢</sup> (البندقية) في شمال شرقى إيطاليا. وكانت خاضعة لسيطرة بيزنطة والهدف من ذلك كان جليًا : إذ أراد الضغط عليها من خلال دور تلك المدينة ذات الأهمية الاقتصادية التجارية في العلاقات بين الشرق البيزنطي والغرب الأوربي حينذاك وقد حدث إسقاطها في عهد الإمبراطور ثقفور في وقت واجه فيه البلغار في البلقان والمسلمين في آسيا الصغرى وقد دخل ثقفور في مفاوضات مع شارلمان : من أجل الإنسحاب

« وعن مذهبة فردان أنظر :

Becher, Charlemagne, p. 67

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج ١، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص ٢-٣ . محمد مرسى الشبح، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ط . الاسكندرية ١٩٩٤م، ص ٢٥٩

وهناك من يقر ما نصه « كان من نتيجة حروب شارلمان التي امتدت من ٧٧٢ حتى ٨٠٤ غدا، جبل بأكله، ولم ينته إلا بعد أن أكره عددًا كبيرًا من السكسون مع أسرهم على ترك سكسونيا والاستقرار في الأقاليم الفرنجية» عن ذلك أنظر :

رأفت عبد الحميد، «الملكية الأكلاني بين الرواية والانتخاب في العصور الوسطى»، « قوة التاريخ الإسلامي والوسط، م (١٦) ، عام ١٩٨٣م، ص ٩٨ . حاشية (٢٧)

١- نعم فرح . تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى . ط. دمشق ١٩٩٥م.

٢- نفسه، ص ٦٢

من تلك المدينة المحبوبة، وتم إرسال وفد إلى أخن Achen من أجل عقد صلح مع الإمبراطور الجديد وتم التوصل إلى إتفاق يقر بأن يتم الإسحاب من تلك المدينة الإيطالية . وأن تعترف بربطة بايمبراطورية شارلمان . ولاتفعل ، أن تقف قتل عام ٨١١م، وفي العام التالي ٨١٢م؛ وافق الإمبراطور ميخائيل الأول على الإتفاق السابق<sup>(١)</sup>.

على أية حال؛ تأكد لنا أن شارلمان تمكن من إدارة التنافس بين القسطنطينية، وأرض بدها ، واستطاع أن يفرض على الإمبراطورية البيزنطية القبول بالأمر الواقع الجليد في الغرب الأوربي من خلال الضغط العسكري.

على أية حال ؛ كانت بيزنطة المحاصرة الأولى من وراء أحداث عام ٨٠٠م . حيث تفجرت خريطة القوى السياسية في الغرب الأوربي؛ الأمر الذي انعكس تأثيره بالضرورة على شرقى القارة

هكذا ؛ يمكن القول أن الإمبراطورية إيرين وسلوكياتها أدت إلى خلق الأجواء المساعدة على ماحدث في العام المذكور دون إغفال عوامل أخرى خاصة بتوازنات القوى في السياسة الدولية حينذاك . من خلال التنافس التقليدي بين الغرب الأوربي والشرق البيزنطى على القصدارة .

مهما يكن من أمر ؛ بالنسبة لتلك الإمبراطورية ؛ كان للفرق كلمته، فشلتا غفرت باسمها عذر بها أخذ كبار رجال دولتها وهم تقف قتل عام ٨٠٢م<sup>(٢)</sup>، وتم تقيها من بعد ذلك، وماتت لى

العام التالي تاوكة وراما ذكرى امرأة قاسية فتنت بالمصعب الإمبراطورى البراق المطلق السلطات

مهما يكن من أمر ؛ تولى أمر الإمبراطورية خلال المرحلة المتتالية بين عامي ٨٠٢ . ٨٢٠م عدد من الأباطرة الثانويين- وما أكثرهم في التاريخ البيزنطى المديد - وقد أطلق عليهم المزحجون تعبير «خلفاء الأسوريين» ، ولعل أهم ما يذكر عنهم الإمبراطور تقف قتل عام ٨٠٢م<sup>(٣)</sup>، وأهم ما حدث في عهده صراعه مع هارون الرشيد

١- نعم فرح . تاريخ أوروبا السياسي . ص ٦١

Theophanes, p. 158

٢- عن ذلك أنظر

Dahl, History of the Byzantine Empire, p. 67

Theophanes, pp. 158-163

٣ عن الامبراطور تقف قتل عام

(٧٨٦-٨٠٩م) الذي رفض أن يدفع له الفدية التي دفعتها له صاغرة من قبل إيرين؛ فأرسل له ذلك الخليفة رسالة طهت شهرتها الأخاف وحرصت المصادر التاريخية العربية على إبرادها ، تعبيرا عن قوة العباسيين في عصرهم الذهبي. وإذا لاهم للبيزنطيين ، وكنوع من العناية السياسية القوية<sup>(١)</sup>، وأرسل إليه جيشا كبيرا يحمل الثقل السياسي للخلافة العباسية حينذاك، حيث تمكن من اختراق الدفاعات البيزنطية في آسيا الصغرى عام ٨٠٣ ، ٨٠٤م وتم إجبار ذلك الإمبراطور الواهم على دفع تلك الفدية التي لم يكن هارون الرشيد يحتاجها في

Niavis, The Reign of the Byzantine Emperor Nicephorus I (802-811), Athens 1987

وتأني أصبتها من خلال تخصصها في أعلام قليلة من التاريخ البيزنطي العديد

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 166-177

Norwich, Ashest History of Byzantium, p. 123 .

وديع فتحي عبدالله ، العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصر نقفور الأول - ٨٠٧-٨١١م (المؤرخ المصري، العدد (٧٨) - يناير ٧٠٠٥م، ص١٠٧ - ص١٦٠ . عمر كمال توليقي، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٩ ، حسين وهيب، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٣٢ - ص١٣٣

١- نص الرسالة : «من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور ملك الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمحه والسلام».

عنها أنظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل ، ط. القاهرة ، ج٤ ص٣٠٧-٣٠٨ . الفلندس ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط. القاهرة، ج٦ ، ص٤٥٧ . يوسف العشي، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط . دمشق ١٩٩٨م، ص٨٩ ، إبراهيم النفدي ، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٩٧ ، حسين وهيب، المرجع السابق، ص١٣٩

Treadgold, A History of the Byzantine State and وعن علاقات نقفور الأول مع هارون الرشيد أنظر : Society, p. 425 .

محمد عبد الحفيظ الناصير ، الجيش في العصر العباسي الأول، ١٣٢-٧٧٢ هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص٦٠٥-٦١٩

حيث يقدم عرضا مهما لحرف هارون الرشيد من نقفور وكذلك، إيرين ودور الجيش العباسي في فرض الارادة السياسية للعباسيين.

أيضا غاروق صر فوزي، العباسيون الأوائل ١٣٧-٢٤٧ هـ / ٧٤٩-٨٦١ م، الدولة - المعارضة، ط. عمان، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٦٠٩-٦١٢

الأصل نظراً للثراء العريض لدولته . بل أنه إتخذها أدلة ضغط . وإذلال لبيزنطة لا أكثر . كما تم تبادل الأسرى بين الجانبين عام ٨٠٥ م : مما عكس أهمية الدبلوماسية في العلاقات بين الطرفين .

وهناك قضية على جانب كبير من الأهمية . فقد زعم أحد الباحثين الغربيين أن هناك حلفاً حدث بين هارون الرشيد في بغداد وشارلمان في آخن<sup>(١١)</sup> على أساس أن يحارب الأول البيزنطيين أعداء شارلمان وفي المقابل يقوم الأخير مهاجمة الأمويين في الأندلس وهم أعداء العباسيين . ويستدل على ذلك بالسفارات المتبادلة بين الجانبين ومهاجمة هارون الرشيد لبيزنطة وحملة شارلمان على سرقسطة عام ٧٧٨م .

إلا أن ذلك التصور لا يمكن قبوله لعدة اعتبارات<sup>(١٢)</sup> :

أولاً : لم يرد في أي مصدر تاريخي عربي ذكر لفلك التحالف الزعموم . وبالنسبة لمصادر تاريخ دولة الفرنجة : لا نجد في ما ألفه إينهارد Einhard تحت عنوان Vita Caroli Magni وكذلك الحوليات المكية Royal Chronicles ما يدل على ذلك صراحة . ومعنى ذلك أن التصور المذكور لا يستند إلى أساس مصدري صريح لدى أحد الطرفين . والتاريخ بصفه عامة لا يكتب إلا اعتماداً على النصوص الصريحة الواضحة التي لا تحتمل تأويلات يلعب الخيال فيها دوراً أساسياً كما في حالة تلك الواقعة

Buckler , Harunl Rashid and Charles The Great, Massachusetts 1931

٢- من أهم الدراسات بالعربية عن الموضوع المذكور أنظر .

معيد حدوري . الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان . ط . بغداد ١٩٣٩م

مليحان الرحبلى . العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهدي الخليفة هارون الرشيد والاميراطور شارلمان . ط . الرياض بـست ص ٢٥- ص ٦٤

وهي دراسة مهمة على الرغم من طابع الاختصار الذي يلقب عليها

عبد الجبار الجومرد . هارون الرشيد . حقائق عن عهده وخلافته . ط . بيروت ١٩٩٩م . ص ٣١٢- ص ٣١٦

عبد العزيز الدوري . العصر العباسي الأول . دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي . ط . بيروت ١٩٩٧م . ص ١١٨- ١١٩

عبد المجدد ماجد . العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسي . ط . القاهرة ١٩٧٣م . ص ٢٦٩

ثانيًا . الصفارات التي تم تبادلها بين الجانبين كان هدفها دبلوماسيًا في المقام الأول .  
والمرجع أن الخليفة العباسي السالف الذكر : أرواد فتح أسواق جديدة للمنتجات العباسية  
الراقية في قلب أوروبا ، وكان للدخل الطبيعي لذلك يتشمل في الدولة الكارولنجية

ثالثًا : إن الهدف من وراء فكرة التحالف الموهوم أن يتم إظهار هارون الرشيد بمظهر الخليفة  
الذي يحركه إمبراطور أوروبي ، وهو أمر مغلوط لأن من أساسيات عمل الخليفة المسلم مجاهدة  
الكفار . وهو ما قام به ذلك الخليفة فعلاً تجاه بيزنطة

رابعًا : لا تغفل أن كلاً من شارلمان وهارون الرشيد أحبطا بروايات مغلوطة وهو أمر نجده  
لدى الأول من خلال أسطورة حج شارلمان . والثاني ما نجده في « ألف ليلة وليلة » التي عملت  
على نشره سيرته وظهره يظهر اللاه العايت على الرغم من أنه كان مجاهدًا ، وأول من  
حج من الخلفاء . مثلياً . ولاحظ أن تكبته للبرامكة جعلت الفرس يسيرون إليه على نحو انصح  
في ذلك العمل الأدبي السالف الذكر . وهكذا : فإن المغالطة في تاريخ هارون الرشيد أمر قديم  
حديث .

خلاصة القول : حارب هارون الرشيد بيزنطة كامتداد لسياسة الخلفاء الراشدين والأمويين من  
قبل في مواجهة تلك الإمبراطورية .

على أية حال : يبقى أن نذكر عن الإمبراطور نقضو أنه حارب البلغار غير أنهم تمكروا من  
هزيمته ، بل قتلوه عام ٨١١م . وعملت جميعته كوعاء لاحتواء الحمر من جانب خان البلغار<sup>(١)</sup>  
الذي احتل بانتصاره على البيزنطيين بتلك الصورة الشديدة القسوة . مع ملاحظة : أنه انتقام  
فردى لاجساعى . وهو يخالف ما ستقوم به بيزنطة فيما بعد ضد البلغار على نحو خاص في  
عهد الأسرة المقدونية وهو ما سوف يتم التعرض له في الصفحات التالية

منها يمكن من أمر : كان الإمبراطور ليو الخامس الذي حكم من ٨١٢ إلى ٨٢٠م . آخر  
خلفاء الأيسوريين . وفي العام الأخير : تكرر المشهد الرئيسي في التاريخ البيزنطي : ونعني به  
مزاورة بقدرها أحد كبار القادة العسكريين . أو بمن كانوا موضع ثقة الإمبراطور . وهكذا : قام  
ميخائيل العموري . وهو من أولئك القادة - بمزاورة أدت إلى القضاء على ليو الخامس<sup>(٢)</sup> :

١- نعم فرح ، تاريخ أوروبا السياسي . ص ٦٤

Dich History of the Byzantine Empire. p. 67

٢- عن تلك المزاورة انظر :

Leo V ، وبالتالي الأسرة الأيسورية، وكان نجاحه في ذلك له أثره في إعلان ميلاد أسرة حاكمة جديدة لتلك الإمبراطورية.

والواقع : أن نظرة متأنية لأباطرة الأسرة الأيسورية تكشف لنا عن أهمية دور الإمبراطور المؤسس لير الثالث ومن بعده ابنه قسطنطين الخامس ، أما الأباطرة الآخرين، فعالمًا ما كان دورهم محدودًا وليس من اليسير إعتبارهم من أصحاب الإنجازات البارزة في مسار تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وعند مقارنة الأسرة الأيسورية بأسرة جستنيان ؛ نجد بعض أوجه التشابه ، وأخرى للاختلاف؛ ويكفي أن نذكر الجانب القانوني لدى الأستين خاصة جستنيان كما أن كلا منهما أثار جدلاً الأول بحرب الاسترداد والثاني بمقاومته لعبادة الأيقونات ، ومع ذلك ؛ فإن لير الثالث كان أكثر نجاحًا من الناحية العسكرية - ذات الطابع الدفاعي في المقام الأول خاصة تجاه المسلمين في حالة مقارنته بالأول.

من ناحية أخرى؛ من الصعب أن يكتب تاريخ الإمبراطورية البيزنطية في عهد كل من الأستين المذكورين دون العلاقة المتصاعدة مع الغرب الأوروبي وإن كان الاختلاف الجوهري بينهما أن أسرة جستنيان قامت بحرب استرداد طويلة ومجيدة حيال الغرب ؛ لاستعادته من أبدى المجرمان. أما الأسرة الأيسورية فيلاحظ أن سياستها تجاه الغرب لم تكن ذات بعد حربي واضح المعالم ، بل تم تنحية ذلك التوجه خاصة مع ظهور قوة عسكرية ، وسياسية لها شأنها في صورة الدولة الكارولنجية خاصة بعد عام ٨٠٠م ولاريب ؛ في أن شارلمان وصف بالخنكة السبية مقارنة بالأباطرة الأيسوريين حينذاك.

ذلك عرض عن الأسرة الأيسورية؛ أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة العمورية.

---

= جيري ربيع . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية. ص ١٢٥ . نعم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي .

### خامساً : الأسرة العمورية ( ٨٢٠ - ٨٦٧م ) :

نعرض في الصفحات التالية لدور الأسرة العمورية في التاريخ البيزنطي، كذلك يتم المقارنة بينها وبين الأسرات البيزنطية السابقة عليها

حدير بالإشارة : تولى حكم الأسرة العمورية ثلاثة من الأباطرة في صورة ميخائيل الثاني Michael II ( ٨٢٠ - ٨٢٩م ) وثيوفيلوس Theophilus ( ٨٢٩ - ٨٤٢م ) وميخائيل الثالث الكبير Michael III The Drunkard ( ٨٤٢ - ٨٦٧م ) ويلاحظ عن تلك الأسرة على نحو خاص : أن المؤسس حكم عشر سنوات فقط، وتعنى به ميخائيل الثاني، أما ميخائيل الثالث؛ فقد استمر حكمه ربع قرن من الزمان ؛ أي أكثر من نصف مدة حكم الأسرة المذكورة التي امتد حكمها على مدى ٤٧ عاماً وتعد من أقصر الأسرات البيزنطية الحاكمة وإن وجدت أسرة أخرى نالته حكمت مدة زمنية أقصر في القرن ١٢م، وأوائل القرن ١٣م في صورة أسرة أنجيلوس التي حكمت ( ١٩ عاماً ) وهي التي سيتم تناولها فيما بعد .

أما فيما يتعلق بالإمبراطور المؤسس ميخائيل الثاني<sup>(١)</sup> ٨٢٠ - ٨٢٩م؛ فيمكن إبراز أهم أحداث عصره على النحو التالي:

١- ميخائيل الثاني العموري : إمبراطور بيزنطي حكم خلال المرحلة بين عامي ٨٢٠ - ٨٢٩م ولد من أبوين من أسرة متواضعة في فريجيا Phrugia . وفيما بعد التحق بالجيش البيزنطي ورافق الإمبراطور ليو الخامس . وقد ألقي القبض عليه بتهمة الخيانة وفيما بعد دبر مؤامرة للتخلص من ذلك الإمبراطور وبالفعل تم تسميمه بدلاً منه . وقد مات ميخائيل الثاني العموري في أكتوبر عام ٨٢٩م وحكم من بعده ثيوفيلوس وهو ابنه من زوجته تيلا Thecla . عنه أنظر

Nicol, A Biographical dictionary . p. 87.

O.D.B., vol . 2. p. 1363 .

Browning, The Byzantine Empire . p. 64 .

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society, op. 433-436 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 285-286 .

Ostrogorsky . History of the Byzantine State, p. 180-183

Diehl, History of the Byzantine Empire. p. 65, p. 67

أولاً قمع حركات المعارضة الداخلية خاصة ثورة توماس الصقلي.

ثانياً الصراع مع المسلمين بشأن جزيرتي كريت Crete ، وصقلية Sicily

وبما يتصل بالعصر الأول: تعرضت الإمبراطورية البيزنطية في عهده لشوكة عارمة من جانب توماس الصقلي ، وهو ثائر على الإمبراطور كان مؤيماً لعبادة الأيقونات . وقد عارض سياسة الإمبراطورية في مجال "ضرائب التي أثقلت كاهل السكان في آسيا الصغرى، ولاغفل: أن لإمبراطورية قامت بنقل أعداد كبيرة من الصقلية إلى آسيا كنوع من التحريك الديمغرافي خدمة لمصالحها الأمنية العليا حتى يسهل عليها إخضاعهم فيما بعد وهو أمر أبعثه بيزنطة ذميمة خلال الثورات العنيفة من جانب أمم وأعراق مختلفة.

ثملت أهمية تلك الثورة من خلال كثرة المؤيدين لها. وكذلك من خلال أن الخليفة العباسي المأمون (٨١٣-٨٣٣م) : قام بتقديم المساعدات العسكرية لتوماس الصقلي ليدعمه ضد الإمبراطور البيزنطي<sup>(١)</sup>، كنوع من الضغط العسكري والسياسي على الأخير. بل إن قسماً من الأسطول البيزنطي ذاته إنضم إلى جانبه : مما عكس اتساع حركته وقدرتها على اكتساب مؤيدين تقليديين ضد الجائلس على العرش البيزنطي سواء في داخل بيزنطة أو في خارجها، بل وصل الأمر به أن تم تنصيب توماس الصقلي إمبراطوراً من جانب بطريق أنطاكية وتمكن من محاصرة القسطنطينية برك، وبحرك في عام ٨٢١م، ولكن مجهوداته في ذلك المجال لم تكفل بالجاح ، وذلك لعدة أسباب يمكن إجمالها في الآتي :

١- عن حركة توماس الصقلي أنظر:

Vasiliev . History of the Byzantine Empire . p. 274-275 .

Ostrogorsky . History of the Byzantine State . p. 181-182 .

Nicol . A Biographical dictionary . p. 87

محمد عثمان عبد الحليل ، ثورة توماس الصقلي في الإمبراطورية البيزنطية (٨٢١-٨٢٣م) / ٥-٧-٢٠١٢م رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب جامعة طنطا عام ١٩٩٢م

ماريليب . العرب والروم، ص ٢٨-٥١ ، حيث يقدم عرضاً شاملاً . معجم لرح . تاريخ بصرطة السياسي . ص ٢٣١-٢٣٤ ، حنين زبيح . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . ص ١٦-١٧٢ مادية حمى سفر . السطح في العلاقات العباسية السطرية في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الراتب بالله . ط مكة المكرمة ١٩٨٥م . ص ٨٣-٨٤ . للدراسة المذكورة لا أحد فيها تحليلاً بالعم الأكاديمي للكلمة ، ويغلب عليها النهج السردى الرصفي

أولاً : إستراتيجية الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري؛ في الدفاع عن العاصمة البيزنطية ضد تلك الثورة العنيفة ، وأيده في ذلك ابنه ثيوفيلوس. ولا ريب : في أن قطاعات واسعة من الشعب البيزنطي وققت مزينة لها ضد ذلك الثائر . وقد استمر الحصار عدة شهور دون جدوى لعبت فيه - مرة أخرى- حصانة العاصمة الدور الفعال

ثانياً : جلب تحالف توماس الصقلي مع المأمون العباسي تأثيراً سلبياً عليه : إذ انصرف عنه الكثيرون نظراً لتعاونه مع المسلمين الذين مثلوا العدو التقليدي لبيزنطة .

تجدر الإشارة : تمكن الإمبراطور ميخائيل الثاني العموري من القضاء على حركة توماس الصقلي عام ٨٢٢م وذلك بعد أن أجهدت الإمبراطورية البيزنطية، وبالتالي تمكن من توطيد أركان حكمه بعد أن أفضل التحالف العباسي مع ذلك المتحدر

أما فيما يتعلق بالمواجهة مع المسلمين في شأن جزيرتي كريت وصقلية : نلاحظ أن الصراع بين الجانبين انتقل من جهة الحدود البرية بينهما في آسيا الصغرى ليشمل جزر البحر المتوسط، ويلاحظ أن المسلمين أرادوا إلى جانب زلوة الجهاد وضع أيديهم على مثل تلك الجزر التي تمر بها خطوط التجارة العالمية بين الشرق والغرب عبر البحر المتوسط كذلك أرادوا جعلها نقطة إنطلاق إلى مناطق أبعد من أملاك الدولة البيزنطية في الأدراتيكا والبلقان

وفيما يتعلق بجزيرة كريت؛ يلاحظ أن ثورة نشبت في قرطبة بالأندلس ضد الأمير الأموي الحاكم الأول الذي عرف فيما بعد بالحكم الرضي<sup>(١١)</sup> (٧٩٦-٨٢٢م) وعندما أخفقت؛ عاقب الثوار بأن أمر بطردهم من الأندلس ، فالتجها صوب مصر وتجهذاً الاسكتندرية، واستولوا عليها، واستغلوا في ذلك الحرب الأهلية التي جرت بين الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد في بغداد وعندما توطدت الأمور للمأمون؛ عمل على التخلص منهم بأن طلب منهم مغادرة المدينة

١- عن ذلك انظر :

مجهول . أخبار مجسوعة في فتح الأندلس . ص١١٨- ص١١٩ . محمد أبو الفضل . قصة نزار في الأندلس . نزهة التاريخ الإسلامي والوسط . ج ٢ . ص ٢٦٧- ص٢٦٨

محمد خالد المومني . الفقهاء وثورة أهل الرضى في الأندلس ( ١٨٠-٢٠٠ هـ / ٧٩٦-٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان ١٩٩٥م.

وبالفعل انجحوا صوب جزيرة كريت وتمكنوا من إخضاعها عام ٨٢٧م بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى البيلوطي<sup>(١١)</sup>، وبذلك أمكن إخضاع جزيرة أخرى من جزر البحر المتوسط للسيادة الإسلامية وحرمت بيزنطة من نقطة لوتكانز عسكري دفاعية وهجومية بالإضافة إلى أهميتها في طرق التجارة كما أسلفت القول. واستمر الوجود الإسلامي فيها إلى أن تمكنت بيزنطة من استردادها خلال القرن العاشر الميلادي خلال عهد الأسرة المقدونية أما صقلية Sicily ذات الموقع الاستراتيجي المتميز في جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وفي مقابل تونس، فقد حدث فيها صراع بين اثنين من القادة البيزنطيين في صورة قائد الأسطول البيزنطي، ودعوى يوفيموس Euphemius، وقسطنطين<sup>(١٢)</sup> الذي كان واليا من جانب الامبراطور على صقلية وعلى إثر ذلك : طلب الأول مساعدة المسلمين في صورة دولة الأغالية<sup>(١٣)</sup> التي

#### ١- عن ذلك انظر

أسست نجم . الدولة البيزنطية وكريت الإسلامية، ص ٣٩-٩٧، إبراهيم العلوي، هاريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي، الحلقة للتاريخية المصرية، م (٣) العدد (٢) أكتوبر - ١٩٥٠م، ص ٥٣-٦٨، قاريليف، العرب والروم، ص ٥٨-٦١

Brooks, " The Arab occupation of Crete ", A.H.R., vol . XXVIII, 1913, pp. 431-441

محمد الهشري والسيد أبو القشوح وعلى اسماعيل موسى، انتشار الإسلام في أوروبا، ط. الرياض

١٩٩٧م، ص ١٨٨

٢- ولي الإمبراطور ميخائيل الثاني على صقلية وجلاً يلحق قسطنطين وقد دب نزاع بينه وبين قائد الأسطول البيزنطي أيرفيموس Euphemius وكان قد سبق له الإغارة على شمالي أفريقيا عدة مرات . وذكر البعض أن أيرفيموس أعجب واهية اسمها هومونيزا Homoniza وتزوجها كرهة عنها فصاحبه الامبراطور عن ذلك بأن طلب من واليه جلع قنعه . فتمرد عليه وقام باحتلال مرسطة ، وتمكن من هزيمة قسطنطين وأسره ثم أعداه عن ذلك أنظر: محمود اسماعيل، الأغالية ١٨٤-٢٩٦هـ سياستهم الخارجية، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ت أمين توفيق الطيب، ص ١٤٨-١٤٩، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص ١٢، تركي مسير العتيبي، الحياة الاقتصادية في صقلية الإسلامية، ط. الرياض ١٩٨٧م، ص ١٢، ميكيلي أنطوني، تاريخ مسلمي صقلية تـ محب محمد إبراهيم، م ١، ط. فلورنسا ٢٠٠٢م، ص ٩٠، وأورد الإشارة بالمجهد البارز الذي بذله المترجم المصري البارز في مجال اللغة الإيطالية أ.د. محب محمد إبراهيم بكلية الألسن جامعة عين شمس

٣- عن دولة الأغالية أنظر:-

أقامها الخليفة هارون الرشيد كي تكون بمثابة دولة حاجزة Buffer State بين الأملاك العباسية في بلاد المغرب ودول الخوارج الصفرية والإباضية هناك.

الأمر المؤكد أن هناك عدة دوافع دفعت بالمسلمين للتدخل في ذلك الصراع البيزنطي، إذ أن الموقع السالف الذكر لتلك الجزيرة من شأنه تدعيم أقدامهم في القارة الأوروبية من طرفها الجنوبي، بعد أن تمكنت من دخولها من غربها في صورة شبه الجزيرة الأيبيرية من قبل وعجزوا عن دخولها من هوائها الشرقية في صورة القسطنطينية كذلك لانفعل رغبة المسلمين الصادقة في الجهاد وإبلاغ رسالة الإسلام إلى تلك المنطقة، ولاتنفل أنهم أدركوا كذلك أن إخضاع صقلية من شأنه تأمين وجدهم في المغرب الأدنى على الأقل، وكذلك اتخاذها قاعدة انطلاق لما هو أبعد من مناطق السيادة البيزنطية وفرض سيطرة المسلمين عليها خاصة في مجال الأدريناتيكي.

مهما يكن من أمر؛ قامت حملة بقيادة أسد بن الفرات واستطاع المسلمون في نهاية المطاف إخضاع صقلية عام ٨٣١م<sup>(١)</sup> محققين بذلك إنتصاراً بارزاً على الدولة البيزنطية، ومن المهم هنا إدراكه، أن الصراع بينهم وبين تلك الأخيرة على جزر البحر المتوسط مثل قبرص ورودس وكريت وصقلية وصقلية لايفصل البتة عن الصراع في بلاد الشام ومصر من قبل في عهد الأسرة الهرقلية لأن تلك الجزر بدون إخضاعها لسيادتهم لظلت مراكز هجوم بيزنطي ضد المناطق التي سيطروا عليها في السواحل الشرقية والجنوبية من البحر المتوسط.

« ابن وردان، تاريخ الأغلبية، تحقيق محمد زعيم، ط ١ القاهرة ١٩٨٨م، محمد الخالسي، الدولة الأغلبية ٢٩٦-١٨٤ / ٩٥٩-٨٠٠، التاريخ السياسي، ت. المنجي الصباي، ط. بيروت ١٩٨٥م

وتعد الدراسة المذكورة لوفى وأفضل دراسة بالعربية عن الدولة الأغلبية اعتمدت على المصادر والمراجع المتعددة ووقعت في (٨٥٥) صفحة من القطع المتوسط. وجدير بالذكر أن قائمة المصادر والمراجع امتدت لتشمل الصفحات من ص ٧٦٥- إلى ص ٧٨٧ وامتازت بالتحليل والنقاش، تابعه عن ثلاثة العرص، واعتمد في تأليفها المؤرخ التونسي البارز على مؤلفات بالعربية والانجليزية والفرنسية، والأطانية، وفي النهاية فإن الكتاب للذكور، بلا أدنى شك، بعد مغفرة لجهود المؤرخين التونسيين المحدثين.

١- عن ذلك انظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب كولان ولبني برنيسال ط بيروت ١٩٤٨م، ص ١٠٢-١٠٦، إحسان عباس، المغرب في حقبة، ط القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٢-٣٩، فاريليف، العرب والروم، ص ٦٧-٨٤

تجدر الإشارة : أن المسلمين ظلوا في جزيرة صقلية إلى أن قدم إليهم النورمان وتكبرا من إخضاعها عام ١٠٩١م وقد تمكنوا بالفعل من هزيمة المسلمين عسكرياً وسياسياً إلا أن التأثير الذي تركه المسلمون في تلك الجزيرة يكشف على نحو واضح أنهم تفوقوا عليهم حضارياً ، وهو أمر اعترف به المنصفون من المستشرقين الإيطاليين<sup>(١)</sup> مثل أماري Amari ، وجابرييلي Gabrieli ، وغيرها

ومن الأهمية هنا الاقرار بحقيقة أولية ، وهي أن صقلية وجنوب إيطاليا ، ومن قبل الأندلس ، ومن بعد بلاد الشام عصر الحروب الصليبية غدت بمثابة المعابر الثلاثة للحضارة الإسلامية في العصور الوسطى إلى أوروبا ، وهي حضارة توصف بأنها عالمية النبع عالمية المصب تلتفت على أيدي أعلامها أوروبا

وهكذا شهد عصر ميخائيل الثاني العموري تمكنه من القضاء على حركة توماس الصقلي ، وكذلك استعاد الامبراطورية لكل من جزيرتي كريت وصقلية ؛ وبالتالي صارت هناك عدة حزر تحت سيادتهم السياسية وهي قبرص ، وألرواد ، ورووس ، وكريت ، وصقلية ، مع ملاحظة أن الجزيرة الأخيرة احتلت أهمية استراتيجية خاصة نظراً لموقعها الجغرافي المتميز مقارنة بالجزر الأربعة الأولى ، مع ملاحظة أن القضية ليس موقع جغرافي متميز بل أستعماله من جانب المسلمين لتحقيق مكاسب عسكرية وسياسية ، من بعد ذلك : تولى العرش البيزنطي الإمبراطور ثيوفيلوس Theophilus (٨٤٢ ~ ٨٤٢م) وخلال عهده ثار ضده ثائر يدعى بايك الحرمي ، ووجدت الامبراطورية البيزنطية ممثلة في ثيوفيلوس الفرصة سانحة للتدخل لدعمه ودأ على سياسة الخليفة المأمون عندما وقف إلى جانب توماس الصقلي ، كما ذكرت من

#### ١ عن الاستشراق الإيطالي بصفة عامة أنظر

- نجيب العقيقي، المستشرقون ، ط القاهرة ١٩٨٠م، ج ١، ص ٤٠٥ - ٤٦٧ كارولين جويل ، مستشرقو المدرسة الإيطالية ت رانبا قرواحي ، ط دمشق ٥٠ - ٢٥٠م، ص ١٧٩  
يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاستشراق في أوروبا حتى بداية القرن العشرين  
ث- عمر لطفي العالم ، ط بيروت ٢٠٠٠م، ص ٤٥ - ٨٩  
ميشيل جعاه ، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ط بيروت ١٩٨٢م، ص ٨٣ - ١٧٧  
الرباسي ، رابرة جديدة للاستشراق ، ط القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٦٤ - ٢٦٥

قبل ، وقد سمح ذلك الامبراطور بإيواء نحو ١٥.٠٠٠ من اتباع بابك في داخل مناطق الامبراطورية واستنكهم في مناطق الحدود مع المسلمين ، مما عكس أن تغيرات جيوغرافية حدثت حينذاك من جراء الصراع العباسي - البيزنطي.

من ناحية أخرى: عمل ثيوفيلوس على استغلال الموقف لصالحه فبادر بمهاجمة بعض المدن الحدودية مثل زبطرة Zapetra التي استولى عليها عام ٨٣٧م. ومن التصور أنه كان يريد اختبار قوة المعتصم ورد فعله خاصة أن دخول البيزنطيين لزبطرة صاحبه عمليات وحشية مثل تسميل العيون، وجذع الأشرف والسبي وغيرها

لم يكن من الممكن للمعتصم أن يقف مكتوف اليدين أمام ما حدث . وقد يادر بإرسال قائده البارغ الأتشين إلى البيزنطيين وبالفعل تمكن من إلحاق الهزيمة بهم في معركة دازيمون Darimon في ٢٢ يوليو ٨٣٨م وتكن على أثره من دخول أنقرة Antara . ومن بعد ذلك يادر بالهجوم على عمورية Amorion التي منها قفمت الأسرة البيزنطية الحاكمة ، وتمكن من الاستيلاء عليها ، وبالتالي وجه لطمة قوية لهيبة الامبراطورية . ومع ذلك ، فالأمر المؤكد أن

١ - ثيوفيلوس العموري: هو الامبراطور الثاني من أفراد الأسرة العمورية . وقد أظهر ميلاً لتحر العلم وقد تلقى تعليمه على يدي العالم يوحنا السابع الجراماتيكي . وهذه عامة : يوصف بأنه من أولئك الذين عملوا على إحداث نهضة علمية في الإمبراطورية البيزنطية. وقد توفي عام ٨٤٢م. عنه أنظر:

Nicol , A Biographical Dictionary . p. 128-129 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، سياسة الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس تجاه الخلافة العباسية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد (١٣) ، عام ١٩٧٩م

٢- عن حركة بابك الخرمي أنظر .

منطاني، مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق آسيا كليان على البارغ ، ط القاهرة ١٩٠٦م، ص ١١٩، عبد الحميد ماجد ، العصر العباسي الأول، ص ٢٩٩-٤٠٦ . محمد السيد الركيل، العصر الذهبي للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة، ط دمشق ١٩٩٨م، ص ٤٢٩-٤٣٢

٣- محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٦٦

٤ نفسه، ص ١٧٧

٥- عن فتح عمورية أنظر . =

ذلك الخليفة العباسي لم يكن يضع القلب البيزنطي في تصوراتهِ الحربية ؛ إذ أراد فقط القيام بعمل عسكري ضد بيزنطة لإشعار إمبراطورها بأن العباسيين ما وهوا وأن في مقدورهم الصطح الحربي والسياسي على أباطرة القسطنطينية ، والنطق التاريخي يدعونا إلى التصرد أن محنة الأمويين السابقة عام ٧١٧-٧١٨م كانت لا تزال ماثلة لدى العباسيين . ولم يكن في الإمكان تكرار الأمر جرياً وراء شعارات جرفاء لاطائل من وولتها ؛ مما يجعلنا نصف ذلك الخليفة بالحكمة في مواجهاته لبيزنطة .

أما آخر أباطرة الأسرة العمورية فهو ميخائيل الثالث الملقب بالكبير<sup>(١)</sup> الذي حكم من عام ٨٤٤ إلى ٨٦٧م . وقد تولت الرصاية عليه أمه ثيودورا وأهم أحداث عصره حدوث تبادل

محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٥٩- ١٦٧ . أبرقام ، ديوان أبرقام ، ط بيروت بيت ، ص ١٥ . قازليف ، العرب والروم ، ص ١٣٠ . ص ١٥٣  
وما يذكر في هذا الصدد : أن الشاعر البارز أبرقام نظم قصيدة من عيون الشعر العربي مجد فيها ذلك المتع والال فيها

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حصد الحمد بين المجد واللعب
بعض الصفائح لا سود الصحائف في	متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شبه الأرواح لا معة	بين الحميين لا في المسعة الشهب
به يوم وقعة عمورية انصرفت	عنك التي حفلاً معسولة الخلب

أبرقام ، ديوان أبرقام ، ط ، بيروت بيت ، ص ١٥

١- ميخائيل الثالث الكبير ؛ مات والده في يناير عام ٨٤٧م . وكان في الثانية من عمره فقامت أمه ثيودورا بأمر الرصاية عليه وعاونها مجلس على رأسه عشيقها الوزير ثوكستوس Thokistos ولم ينطع ميخائيل حتى عام ٨٨٦م تكبد حلفته الإمبراطورية بيزنطية حتى تمكن من التخلص من ثوكستوس وجعل بدلاً منه يردلي . وبعد العام المذكور بمثابة الحياة الفعلية لعهد ميخائيل الثالث ، وغزو دوبالد بيكول أن وصفه بالكبير ليس موضوعياً ، وربما مارس طوك الشياط العايت الألى عبر أنه في عهد ، بدأت طلائع النهضة التي شهدتها الأسرة القنونية . ولد توفي في سبتمبر عام ٨٦٧م . عنه أطر

Nicol, A Biographical dictionary , p. 87-88

Treadgold, A History of the Byzantine State and Society , pp. 430-435

O.D.B., vol. II , p. 1364 .

Vashev, History of the Byzantine Empire, p. 272 .

Ostrogorsky . History of the Byzantine State, p. 187 , pp. 197-206 .

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 70 - 71

للأسرى مع المسلمين عام ٨٤٥م<sup>(١)</sup> ، مما عكس إدراك الطرفين لأهمية الدبلوماسية من أجل تقليل حدة الصراع الحربي والسياسي بين القسطنطينية وسامراء مؤقتاً

يبقى أن نشير إلى حادثة محدودة في تاريخ الأسرة العمورية ، وفي تاريخ العلاقات البيزنطية - اللاتينية في صورة- النزاع بين أسقف القسطنطينية فوشيسوس<sup>(٢)</sup> Photus (٨٥٨-٩٦٧م) أسقف وكنيسة روما على بعض الجوانب العقائدية ، وكذلك القدس النفلندي بين الكنيستين. وقد عقد فوشيسوس ، مجلساً كنسياً عام ٨٦٧م ، أعلن فيه اختلاعه عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup> ولذلك لم يجد إلا اللعنات من المصادر التاريخية اللاتينية المعاصرة.

١- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٣١

٢- اتنى فوشيسوس إلى إحدى الأسرات البيزنطية الأستقرابية، وقد نال تصيباً وإثراً من محتلب العلوم والمعارف إلى حد أن وصف بأنه كان أشبه بدائرة معارف. وقد عين عام ٨٥٨م بطريركاً خلفاً لأغناطيوس وعما بعد ترب على تفرير الأباطرة عام ٨٦٧م: أن تم خلع فوشيسوس . ولكن أعاده باسل الأول إلى منصبه ، ثم عقد مجمعا في العاصمة البيزنطية، عام ٨٧٦م وصدر قرار بخله عام ٨٩٤م ، ومن المعروف أن فوشيسوس كتب مقالاً بعنوان De Spiritu Mystagogia ، هاجم فيه ما أسماه بانحراف قانون الإيمان عند اللاتين بسبب إضافة كلمته Filioque «الروح القدس تنشق من الابن أيضاً» كما يعتقد فريق من المسيحيين وقد اعتقد أن تلك الإضافة تعد إنحرافاً عما اتفق عليه آباء الكنيسة الأوائل . ويلاحظ أن الكنيسة الأرثوذكسية تعدد قديساً . عنه ومن مؤلفاته أنظر:

Photus , The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople , Trans. by Cyril Mango , D.O.S., 3 Cambridge 1958 .

Nicol, A Biographical dictionary , p. 106-107 .

وعد أنظر «دولة هرجوتتر الموسعة،

Hergenrother, Photius Patriarch von Konstantinopel, Seine Leben, Seine Schriften und das griechische Schisma , 3 vols , Regensburg 1867 - 1869 .

وإسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ص ١١

أسد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، ط- بيروت ١٩٨٨م ، ج ٢، ص ١٢٨- ص ١٦٠

٣- وعن قطعة فوشيسوس بصله عامة أنظر:

Dvornik , The Photian Schism, History and Legend Cambridge 1948

عبد الرحمن عبد الفتى ، «فوشيسوس والطبعة بين كنيسة روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي»، عالم الفكر، العدد (٣) أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٦ ج، ص ٢٠٥- ٢٣٤

لا تغفل هنا؛ الإشارة إلى أن العلاقات بين كيسي القسطنطينية وروما مرت بتقطعتين الأولى قطعية فوشيسوس السابقة الذكر. ثم الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤ م. وعلى أرضية القطيعة المذكورتين؛ حدث كارثة عام ١٢٠٤ م. ويلاحظ أن كافة محاولات الترفيق بين الكنيستين ذهبت أدراج الرياح وتحمل الطرفان المسئولية في ذلك الجلال. مع عدم إغفال سطوة وسيطرة كنيسة روما التي لم تكن لتقبل إلا خضوع الكنيسة الأرثوذكسية لهيمنتها على اعتبار أن القديس بطرس St. Peter<sup>(١)</sup> رأس الحواريين هو الذي أسسها.

وهناك حدث مهم كان له أثره على مسار التاريخ البيزنطي فيما بعد في صورة مهاجمة الروس للقسطنطينية وصلبها. ونهتها. وذلك في عام ٨٦٠ م. وقد اغتصموا قنطرة وجرد الإمبراطور ميخائيل الثالث خارج العاصمة وقاموا بمهاجمتها. وأدى ذلك إلى 'امتلاك' بالكنسرين من البيزنطيين<sup>(٢)</sup>.

١ - القديس بطرس St. Peter : رأس الحواريين. كان في الأصل صياداً للمسك في بحيرة خيرية التي عرفت ببحر الجليل، وبعد أخا للقديس أندرو St. Andrew. وفي الأصل دعى سمعان بن يرس. غير أن السيد المسيح عليه السلام أطلق عليه اللقب الأرامي Kapha الذي يعنى Petrus أو الصخرة Rock وهو ما عرف به. ويعطى العهد الجديد للقديس بطرس مكانة بارزة من بين الحواريين، ويتضح ذلك بجلال من خلال مطالعة نصوص إنجيل متى. إذ أن السيد المسيح عليه السلام يقول مخاطباً بطرس: «أنا أقول لك أنت أنت بهرس. وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة. وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيتك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات». وقد تمت الاستفادة من تلك العبارات إلى حد كبير من أجل دعم مكانة كنيسة روما، وتفرقها على غيرها من الكنائس. عن ذلك انظر:

متى. الإصحاح (١٦). من ١٨ - ٢٠

إسحق عبيد. الامبراطورية الرومانية بين الدين والسياسة. ط. القاهرة ١٩٧٢م. من ١٧٢ - ١٧٣  
شارل جيبير. المسيحية نشأتها وتطورها. ت. عبد الحليم محمود. ط. القاهرة ١٩٨٥م. من ١٦٧. بول  
يوهر. العائكار عاصته الكنيسة في العالم. ت. انطوان الهاشم. ج. ١. بيروت ١٩٩٦م. من ١٤

Attwater. The Penguin dictionary of Saints, p. 273-274

٢ عن ذلك انظر: Photius The Homilies, Trans. by Cyril Mango. Harvard 1958, pp. 82-95

Jenkins. The Supposed Russian attack on Constantinople in 907. S., 1949. pp. 403-409

Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p. 202-203

Vasiliev History of the Byzantine Empire, p. 277-278

جدير بالإشارة : أن الإمبراطورية البيزنطية بصفة عام عندما كانت لا تتمسك من مواجعة عدو أوروبي قريب من حدودها الجغرافية على الصعيد العسكري، عتقت كان عليها التفكير في وسيلة أكثر نجاحاً واستمرارية وتتأكد على مدى القرون في صرورة التنصير . وبالتالي يتم تحويل الأعداء المجاورين إلى حلفاء يمنحهم معاً رباط الدين وبالتالي المصالح المشتركة على كافة المستويات مع عدم إغفال أهمية الجانب الديني في عالم العصور الوسطى؛ حيث تعاطف شأن الظاهرة اللغوية .

وهكذا : اتجهت بيزنطة إلى السعي إلى تنصير العناصر السلافية في مورافيا، ويتطلب الأمر تسليط الأنواء على دولتهم لإدراك حجم الإنجاز البيزنطي هناك .

حدير بالإشارة : شهد القرن التاسع الميلادي نشوء دولة للسلاف الغربيين التي اشتملت على تشيكيا . وسلوفاكيا . ومورافيا<sup>(١)</sup>، وكذلك بعض المناطق السلافية المجاورة . وأطلق على تلك الدولة اسم «الغولة المورافية العظمى» . وقد شهدت ازدهاراً خلال عهد أميرها روسنبسلاف Rastislav (٨٤٦-٨٧٠م) وما يذكر عنه تصارعه مع الألمان؛ من أجل الحفاظ على استقلالية دولته<sup>(٢)</sup>، ويلاحظ أن السلاف الغربيين انتصروا بالوثنية ووجد الملوك الألمان الفرصة سانحة من أجل تنصيرهم ويصبحوا بالتالي تابعين للكنيسة الألمانية الكاثوليكية التابعة بدورها للكنيسة وروما<sup>(٣)</sup> .

١ - طارق منصور، الروس والجنس النبوي ٩٤٥ - ١٠٥٤ م ط. القاهرة ١ - ٢٠٠٧ م، ص ٢٠٠ . محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٢٢

٢ - مورافيا Moravia، وتسمى أيضاً Great Moravia . وهي دولة ظهرت في يانوفيا في وقت مبكر من القرن التاسع م . ووصلت إلى ذروة توسعها وتنفذها في عهد الأمير واستبسلاف Rastislav وسجانونيون Svatopluk . وقد اكتشفت علماء الآثار بقايا كنائس تعود إلى القرن التاسع الميلادي وبعضها ذات طراز معماري بيزنطي . وقد كان المورافيون وثنيين إلى أن اعتنقوا المسيحية فيما بعد في القرن التاسع م

عنها أنظر: Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, p. 181 .

O.D.B., vol II, p. 1409 .

٣ - نعيم فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ٢٢٥

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 203 .

٤ - نعيم فرح، المرجع السابق، ص ٢٢٥

مهما يكن من أمر : هناك من يقرر : أن روستيسلال سعى إلى مراجعة المخططات الألمانية بالاتجاه إلى تأسيس كنيسة سلاقيه مورافية تتمتع بالاستقلال عن الكنيسة الألمانية الكاثوليكية<sup>١١١</sup>، واتجه بصره صوب الإمبراطورية البيزنطية ، وطالها بأن ترسل إلى بلاده منصرين يعرّفون اللغة السلاقيه ، وقد هدف من وراء ذلك أن يجد في المستقبل الدعم البيزنطي في مواجهة الألمان وكذلك البلغار الذين ناصبوه العدا . بالإضافة إلى دعم العلاقات التجارية بين حكام مورافيا ، والقسطنطينية . ولذلك يادر بإرسال سفارة دبلوماسية إلى العاصمة البيزنطية عام ٨٦٣م<sup>١١٢</sup> . ومن بعدها ؛ بادرت الامبراطورية بإرسال بعثة تنصيرية يرأسها قسطنطين الحكيم Constantine The Philosopher الذي لقب فيما بعد كيريلوس وكذلك ميثودوس<sup>١١٣</sup> . وتم ترجمة الانجيل من اليونانية إلى السلاقيه في خطوة كشفت عن حرص بيزنطة على توسيع نطاق الارثوذكسية وأن الأمر لم يكن يتم بصورة عشوائية ، بل من خلال تحيط علمي دقيق . كما تمت ترجمة بعض الكتب والصلوات الدينية إلى السلاقيه<sup>١١٤</sup> .

وفي تقديري : أن إنجاء السلاف الغربيين صوب بيزنطة قد لقي قبولاً من الامبراطورية البيزنطية التي احتاجت إلى حليف قوى جدير يرتبط بها برباط وثيق . ويمكنها من أن تجد دعماً في المستقبل عندما تتعرض لخطر من جانب الروس وغيرهم من القوى الماثرة لها سلباً . ومن الممكن القول : أن عهد الأسرة المعنوية شهد تنصير السلاف الغربيين . ومن بعد ذلك : في عهد الأسرة المقدونية سيتم تنصير الروس على نحو مثل نجاحات متعددة للإمبراطورية

١- نعيم فرج . تاريخ بيزنطة السيلاس . ص ٢٢٥

٢- شبه . ص ٢٢٦

انظر أيضاً : معهود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص ١٧٢

٣- عن ذلك انظر

Ostrogovsky, History of the Byzantine State . p. 202-203

Dohl, History of Byzantine Empire, p. 69 .

وساء عبد العزيز فرج ، السلاف Slavs في شبه جزيرة البلقان و جهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها . ص ١٧٦

٤- نعيم فرج . المرجع السابق . ص ٢٢٦

٥- وساء عبد العزيز فرج . المرجع السابق . ص ١٧٧

البيزنطية ، ومثل الأمر؛ ضربات متلاحقة في مواجهة كنيسة روما الكاثوليكية التي كانت  
تظر نظرة عدا . لأية توسعات أثوثة كسبة على حساب سيادتها الكاثوليكية

مهما يكن من أمر؛ إذ نحينا جانباً كافة الأحداث السالف الذكر؛ نجد أن الخيانة كانت لها  
القدح الملقى في تحديد مصير الأسرة العمورية : إذ قام قائد عسكري يدعى بأزل بمقتل  
الامبراطور ميخائيل الثالث عام ٨٦٧م ليؤسس أسرة جديدة هي التي عرفت في التاريخ باسم  
الأسرة المقدونية . وذلك يدل على أن تاريخ تلك الأسرة بدأ بالخيانة وانتهى بها «وذلك مفارقة  
تحتاج إلى التأمل .

ذلك أمر الأسرة العمورية . تاريخ قصير شهد الصراع العنيف مع توماس الصقلي ،  
واقترده الامبراطورية جزييرتي كريت ، وصقلية ، والهجوم الروسي الدموي على القسطنطينية  
التي لم يتمكن المسلمون من اقتحامها من قبل عام ٧١٧م ، ولكن تم اختراقه بعد ذلك من  
جانب الروس بقرن ونصف . كما حدث عام ٨٦٧م والسياسة للتنصيرية تجاه السلاف الغربيين ،  
ثم الهابة التقليدية القاتلة لعدد وافر من الأسرات البيزنطية من خلال الخيانة أو الغدر دون  
تحامل على التاريخ البيزنطي الذي يعد متحفظاً حيال كافة الطوائع والفراتز البشرية بإيجابياتها  
وسلباتها مثل أية حقيقة تاريخية أخرى.

والواقع : أن الأسرة العمورية تقع في موقع متوسط فيما بين أسرتين حاكمتين كبيرتين هي  
صورة الأسرة الأيسورية من ناحية والأسرة المقدونية الأيسورية من ناحية أخرى .

وإذا حارلنا المقارنة بين الأسرة العمورية والهرقلية يتضح لنا من خلالها : أن الامبراطورية  
في عهد الأسرة الأولى فقدت أقاليم مهمة كانت تابعة لها في صورة بلاد الشام ومصر مع  
ملاحظة أن الإقليم الأول كان يعني لها - إلى جانب أهمية اقتصادية - أهمية خاصة دينية من  
حلال وجود الأماكن المقدسة المسيحية فيه وارتباط الحج بها ، أما في عهد الأسرة العمورية ،  
فالملاحظ أن الإمبراطورية فقدت مناطق ليست لها الصفة الدينية في صورة جزييرتي كريت ،  
وصقلية ، وإن امتلكت أهمية استراتيجية عسكرية ووقعت على خطوط التجارة في عالم البحر  
المتوسط .

ولانفعل أنها مستمكن فيما بعد من إستعادة الجزيرتين المذكورتين خلال حكم الأسرة  
المقدونية أما الإقليم المذكورين فقد ظل تحت السيادة الإسلامية ولم تتمكن الإمبراطورية  
البيزنطية من إعادة عقارب الساعة إلى الوراء باستعادتهما .

أما إذا ما قارنا بين الأسترين العمورية والأيسورية : نجد أن الأولى تولي الحكم فيها ثلاثة أباطرة، أما الثانية فقد احتوت على خمسة أباطرة وإذا أضفنا خلفاءهم صاروا تسعة ومع ذلك، لا نجد من بين الأباطرة العموريين من يصل إلى دور الإمبراطور لير الثالث الأيسوري عسكرياً وقانونياً وذلك من وجهة النظر البيزنطية بطبيعة الحال، كذلك نلاحظ أن قوة المسلمين في بداية عهد الأيسوريين جعلتهم يتهددون القلب البيزنطي. أما في عهد العموريين فقد صاروا يتهددون الأطراف الجزرية فقط نظراً لتغير الظروف السياسية والاستراتيجية لدى كل من الخلافتين الأموية والعباسية .

من جهة أخرى : لم يحدث في عهد الأسرة الأيسورية حركة مضادة ومعارضة في حجم حركة توماس الصقلي خاصة أنها دعمت من جانب الخلافة الإسلامية ، مع ملاحظة أن المعارضة تمثلت في عناصر مزبذبة عبادة الأيقونات أي في صورة غير عسكرية كما هي حالة الشمر المذكور.

ولانغفل كذلك: أن الأسرة العمورية لم تجد فيها اهتماماً بالجانب القانوني، وهو أمر لاحظناه بجلال في عهد لير الثالث الأيسوري

من زاوية أخرى: هناك عناصر إتفاق بين الأسترين المذكورتين، إذ إن كلا منها واجه عدواً بارزاً في صورة المسلمين مع اختلاف درجة فعالياته ، كذلك نلاحظ أن العداء مع العرب الأوربي سار خطوات واسعة في عهديهما من خلال النزاع على عبادة الأيقونات ، ثم فطية فورسبوس . ويلاحظ أن الهوة أظنت في الانساع التدريجي بين الجانبين منذ ذلك الحين.

بصفة عامة: تعد الأسرة العمورية بمثابة الجسر بين أسترين بايزنيتين في العصر البيزنطي الأوسط في صورة الأسرة الأيسورية ومن بعدها 'المقدونية'

ذلك عرض عن الأسرة العمورية : أما الصفحات التالية فتتناول الأسرة المقدونية

## سادساً : الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)

نتناول الصفحات التالية بالعرض : عهد الأسرة المقدونية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية على مدى مرحلة زمنية طويلة امتدت من النصف الثاني من القرن التاسع إلى ما زاد على منتصف القرن الحادى عشر الميلاديين؛ أى ما قارب قرنين من الزمان .

لقد حكم فى تلك الأسرة عدد كبير من الأباطرة فى صورة : باسل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليه السادس (الحكيم) Leo VI the philosopher (٨٨٦-٩١٢م) الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م) ، قسطنطين السابع هورغيو وجيتس Constanune VII Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م) ورومانوس الثانى Romanus II (٩٥٩-٩١٢م) ، ونقفور فوكاس Nicephor Phocas (٩٦٣-٩٦٩م) ، يوحنا الأول تزيميسكس John I Tz- (٩٦٩-٩٧٦م) ، باسل الثانى (قصاب البغفار) Basil II Bulgaroctonos (٩٧٦-١٠٢٨م) ، قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٨-١٠٢٥م) ، زوى Zoe (١٠٢٨-١٠٥٠م) وقد شاركها فى الحكم أزواجهما رومانوس الثالث Romanus III (أرجيس ١٠٢٨-١٠٣٤م) ، ميخائيل الرابع Michael IV البافلاجيونى (١٠٣٤-١٠٤١م) ، ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م) ، قسطنطين التاسع مرونماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) ، ثم ثيودورا Theodora (١٠٥٤-١٠٥٦م) ، ميخائيل السادس Micael VI (١٠٥٦-١٠٥٧م) .

وهكذا يتضح لنا بجلاء : أن تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة إستمرت بالإتساع الزمانى ، وكذلك تعدد الأباطرة فيها ، وإن أمكننا القول - دوماً مبالغة - أن أبرز أباطرتها هم باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وليه السادس (٨٨٦-٩١٢م) ، ومرحلة القادة العسكرية (٩٦٣-٩٧٦م) وباسل الثانى (٩٧٦-١٠٢٥م) ، وسوف أتمرض لأهم أحداث عصرهم نظراً لدورهم المحورى فى تاريخ الدولة البيزنطية حينذاك .

وفىما يتصل بالإمبراطور باسل الأول<sup>(١)</sup> : من الممكن القول بأن من أهم أعماله الأتى :

١ - باسل الأول ، ولد عام ٨٢٦م إتحضر من أسرة أرمنية غير أنها استقرت فى مقدونيا ولذا عرفت بالأسرة المقدونية - ولم يحقق قدراً من التعليم ، ولكن بفضل ذكائه من الوصول إلى بلاط الإمبراطور ميخائيل الثالث آخر أباطرة الأسرة الصغوية . ولد تولى خلال حادث للصيد فى أغسطس عام ٨٨٦م =

أولاً : مواجهة حركة التوسع الإسلامي في الأدرباتيك .

ثانياً : مواجهة حركة البوليسيين.

ثالثاً : الإسهام القانوني .

وعبما يتصل بالعصر الأول : من الملاحظ أن منطقة الأدرباتيك شهدت نشاطاً واضحاً للبحرية الإسلامية انطلاقاً من جنوبى إيطاليا . وهكذا : نجد أن المسلمين تمكنوا من مهاجمة بودوا Budua ، كذلك حاصروا واجوزة Ragusa - فى الضفة الشرقية من الأدرباتيكى ؛ وذلك عام ٨٦٧م . واستنجدت الأخيرة بالقسطنطينية التى قدمت إليها العون البحرى الذى تمكن من رفع الحصار عنها من جانب المسلمين بعد أن استمر شهراً طويلاً .

ويلاحظ أن المسلمين . على الرغم من اضطراهم إلى رفع الحصار عن واجوزة إلا أنهم بعد ذلك بثلاث سنوات وتحديداً عام ٨٧٠م ، حققوا إنتصاراً جديداً فى البحر المتوسط هذه المرة بإخضاعهم جزيرة مالطة Malta وتؤكد لنا أن مرحلة الصراع على جزر البحر المتوسط لم تنته بعد ، وبذلك أنهتوا قدرتهم على تجاوز الهزيمة إلى الانتصار (١٢) .

= عن الإمبراطور باسل الأول أنظر :

Pesellus. Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia of Michael psellus, Trans. by Sewter, penguin Book, London 1966, p. 63.

Vogot , Basile ler empereur de Byzance (967-986) et la Civilisation Byzantine à la fin du IXe Siecle, Paris 1908 .

وأيضاً

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 207-214

Nicol, A Biographical dictionary, p. 16-17

Angold, Byzantium , p. 135 , 136 .

Norwich, A Short History of Byzantium , p. 148-149 . p. 156 .

أحد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٢-١٤

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٩

٢ عن الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين حينذاك أنظر

وديع محسن عبدالله، بيزنطة وصلمو إيطاليا وصقلية فى عهد باسلى الأول المقفونى (٨٦٧-٨٨٦م /

٢٥٢-٢٧٣هـ) ، ط الاسكندرية ١٩٩٣م ، ص ٧-٨٢

جذب بالإشارة : المجهد الباحثون الأوروبيون إلى تصوير نشاط المسلمين البحري في البحر المتوسط على أنه من قبيل القرصنة التي هدفت إلى السلب والنهب ويحث الاضطراب والعرضى في الأسلاك البيزنطية على حين كان الأمر جهادا يحررنا مشروعا طالما أن حالة الحرب بين المسلمين والبيزنطيين لم تنته. ولا ينكر المؤرخ النصف أن المسلمين كانوا رسل حضارة ولم يكونوا رسل تدمير وتخريب كما توهم ذلك القطاع المتعصب من الباحثين الأوروبيين، الذين ترصدوا للمسلمين . وصرخوا في المقابل البيزنطيين على أنهم رسل الاخاء والمحبة وغضوا الطرف عن جوانب الصراع الدموي الداخلي وكذلك في علاقات بيزنطة مع العالم الخارجي.

على أية حال : من الممكن القول أن الدولة البيزنطية في عهد باسل الأول حاولت إيقاظ المد البحري الإسلامي قدر استطاعتها . ولكن ذلك لم يغير شيئا في الموقف . حيث تحول البحر المتوسط<sup>(١)</sup> الذي كان بحيرة رومانية من قبل عندما أطلق عليه الرومان تعبير «بحرنا» Marc Nostrum<sup>(٢)</sup> : تحول إلى أن يكون بحيرة عربية . وهكذا صارت المواجهة بين الطرفين مواجهة

= منى البرى- العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والمسلمين في صقلية . وجنوب إيطاليا ريم الأسرة الفدوية ١٢٣-٤٣٧ هـ / ٨٨٦-١٠٤٠ م، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٩ م، ص٥٣-٩٢

١ - مجرد الإشارة : إلى أن البحر المتوسط تبلغ مساحته ٢.٥ مليون كم<sup>٢</sup> ، ومتوسط عمق مياهه ١.٥ كم . ويبلغ طول شواطئه ٤٦.٠٠٠ كم منها ١٩.٠٠٠ كم تحتل شواطئ الجزر المنتشرة به مثل غيرها . وكريت ، رودس ، ومالطة ، وغيرها . ولد أسماء المصريين القدماء «الأخضر العظيم» أما الهينقيين فقد اسماه «الأزرق الرابع» . ومن المقرر أن الكاتب الروماني كايوس جوليس سوليتوس -Caius Julius Sol- inus هو أول من أطلق عليه تعبير البحر المتوسط على اعتبار أنه يتوسط قارات العالم القديم، أفريقيا وآسيا وأوروبا . ونظرا لأهميته سميت كافة قوى العصور الحديثة والوسطى لاختصاصه لسيطرتها . عن البحر المتوسط بصفة عامة أنظر:

يسرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، قرنان بروديل، البحر المتوسط الحال والباربع، ح. يوسف شلب الشام، ط. حصص ١٠٠٠م، (دراسة مركزة وممتازة)

Siegfried , The Mediterranean, Trans. by Doris Hemming London 1948, pp. 49-65 .

Horden and Purcell, The Corrupting Sea , A study of Mediterranean History, Oxford 2001

بعد دراسة موسعة عن البحر المتوسط عن مختلف جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية

٢ - أطلق الرومان عليه لكبير بحرنا Marc Nostrum أو البحر الأعظم Mare Magnum أو البحر =

شهدنها أنماج ذلك البحر، انحسرت المواجهات البرية على أرض آسيا الصغرى : مما عكس كفاءة المسلمين وقدرتهم على أن يكونوا نذًا حربيًا للقوة العسكرية البيزنطية في صور متعددة على مدى المرحلة الواقعة بين القرنين السابع والتاسع الميلاديين .

أما فيما يتصل بحركة البولسين Paulicians<sup>(١)</sup>، فهي حركة دينية من أصل أرمني عارضت الكنيسة البيزنطية ونظرت إليها الأخيرة على أنها حركة مهرطقة.

#### ١٠ الداخلي Mase interium .

عن ذلك انظر

جوفري ريكمان، بحرنا البحر المتوسط . ضمن كتاب البحر والتاريخ لمدونات الطبيعة واستجابات البشر، محرر آ. رايس، ت. عاقت أحمد، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت أبريل ٢٠٠٥م، ص ٢٩ -٦ عن الحركة البولسية أنظر:

Gibbon , The decline and Fall of the Roman Empire, vol . III, New York 1995, p. 1925

Dagron, Emperor and Priest, The Imperial office in Byzantium, ١١١١-١٠٥٩, by J.Birell, Cambridge 2003 . p. 194 , p. 224 , p. 232 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 303 .

Browning , The Byzantine Empire, p. 66, p. 76-77, p. 96

Treadgold, History, p. 430-451 .

O.D B., vol. 3, p. 1606 .

هاني عبد الهادي الشخير، «البياضة في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس القسطنطيني» المأثور المصري، العدد (٢٤١) . يناير ٢٠٠١م، ص ٤٥-٤٨

فنحى عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٢٢١-٢٢٢ . نعيم فرح، الحضارة البيزنطية، ص ٢١٤-٢١٧ ويكاد يكون المأثور العربي الوحيد الذي فصل الحديث عنهم في كتاب يتناول ملاحم الحضارة البيزنطية بصفة عامة.

وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٥٩

شارلر أرومر، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٦٧، حاشية (١) . محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٤٩

وهذا من يقرر أن منشورها هو بولس السيمساطي Paul of Samosata الذي عمل أسقفًا لأطكية خلال المرحلة من ٢٦٠ إلى ٢٦٨ م ، وقد أنكر ألوهية السيد المسيح عليه السلام ، ونظر إليه على أنه مجرد مخلوق صالح ورفض تمامًا فكرة تأليهه<sup>(١١)</sup>.

ويلاحظ أن بطرس الصقلي Peter of Sicily يقرر اعتماد البولسيين في تعاليمهم على رسائل بولس الرسول لتعليم السيد المسيح.

من ناحية أخرى؛ من المقرر أن البولسية التفت مع أفكار الفرس الدينية خاصة الحركة المانوية<sup>(١٢)</sup> نسبة إلى ماني. والتي أمنت بدورها بالصراع بين النور والظلام، أو الخير، والشر، وأطلقت على إله النور أهورامزدا ، وإله الشر أهرمن .

ويلاحظ أن البولسيين رفضوا تقديس الصليب، والأيقونات، ولم يعترفوا بأسرار الكنيسة<sup>(١٣)</sup>

١- نعيم فرج، الحضارة البيزنطية، ص ٢١٤ ، سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا ، ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ٢٥

٢- المانوية ، تنسب إلى ماني ابن فاطك الحكيم الذي ظهر في عهد شاپور بن أردشير الذي تولى الحكم في فارس عام ٢٤٢م، وقد ولد في عام ٢١٥م أو ٢١٦م ، وهناك من يذكر أن تعاليمه مزجت بين المسيحية والزرادشتية ، ولعتقد بفكرة الحلول التي آمن بها الهنود. عنه أنظر. عبد الرزاق محمد أسود، مرسعة لأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٤٤، ص ٤٧ ، أوتر كريستن ، إيران في عهد الساسانيين، ت يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام ط ١ . القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٦٩-١٩٥ ، مفيد رائف محمود العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١ م. ط. دمشق ١٩٩٩م دمجري غوثاس ، الفكر اليوناني والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر القرن الثاني - الرابع القوي الثامن - القرن العاشر ، ت. تقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية للترجمة العربية للنسجة ، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ١٢٤-١٢٥

٣- نعيم فرج ، المرجع السابق، ص ٢١٤

وس للمار أن أسرار الكنيسة السبعة هي: العباد، المبرون، القربان المقدس، الكهانة ، التكفير ، مسحة المرض، الزواج. ويلاحظ أنه تو إيرادها في الاعترافات الأرثوذكسية التي صدرت في القرن ١٧م ردًا على حركة الإصلاح الديني ، عن ذلك أنظر:

سعد رستم ، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية، جندسية، ط. دمشق ٢٠٠٤، ص ٥٦

حسن الباش ، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل ، ط. دمشق ٢٠٠١م، ص ١٩٣-١٩٧

وكان لهم أديهم الخاص بهم وتصوراتهم حيال الكتاب المقدس<sup>(١١)</sup>.

وبصفة عامة ؛ يلاحظ أن التاريخ المبكر للبولسيين يكتنفه الضموض وموضع خلاف وجدل بين الباحثين. وعلى العكس من ذلك، نجد أن تاريخهم المتأخر منذ تأسيس دولتهم حتى القضاء عليهم من جانب الإمبراطور باسل الأول في القرن التاسع الميلادي ، وهجرة الكثير منهم إلى بلاد الشام، وجنوبي إيطاليا، والبلقان، حيث كانوا لا يزالون هناك حتى عهد الإمبراطور الكسيريوس كومنن (١٠٨٠-١١١٨ م) ؛ كل ذلك يعد معروفاً بصورة واضحة<sup>(١٢)</sup>، إذا ما قورن بنشأتهم

مهما يكن من أمر ؛ تزايد نشاط البولسيين وحصلوا على دعم كبير من جانب الولايات البيزنطية الشرقية، ونجد أنهم حملوا السلاح<sup>(١٣)</sup> ومثلوا خطراً يهدد الإمبراطورية ، وقد أدت مقاومة الأخيرة لهم منذ وفاة الإمبراطور نقفور الأول عام ٨١١م ؛ إلى اتجاها الكثيرين منهم إلى الاتصال بالمسلمين بل وهاجروا إلى بلاد الشام. وهناك من يقرر أنهم تعاونوا معهم ضد حكام القسطنطينية<sup>(١٤)</sup>.

وبصفة عامة؛ من المقرر أن خطر البولسيين هدد المقاطعات الشرقية للإمبراطورية خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٨٤٣ . ٨٧٩م<sup>(١٥)</sup>، وقد كانت لهم . دولتهم المستقلة في تعريك Tephrike (حالياً Divrigi) غربي أرمينيا وقد جعلوها بمثابة عاصمة لهم<sup>(١٦)</sup>.

١- عن ذلك انظر: Hamilton , "Wisdom from the East: The Reception among the Cathars of Eastern Dualis Texts ", in Billar (ed.) Heresy and hierarchy , 1000-1530 . Cambridge 1994, p. 38 .

٢- O D.B., vol 3, p. 1606 .

٣- Browning, The Byzantine Empire , p. 66 .

٤- Ibid, p. 66 .

٥- O D B , vol . 3, p. 1606 .

٦- Browning, op. cit.,p. 96 .

ولقد تزايد شأنهم تحت قيادة رجل يدعى كاريباس Karbas<sup>(١١)</sup>. ومن بعد ذلك ، تولى قيادة البولسيين قائد آخر هو كريصوخيروس Chrysocheirus<sup>(١٢)</sup>، وقد تعاونوا عسكرياً مع المسلمين الذين انشقت مصالحهم السياسية معهم من أجل إضعاف الامبراطورية البيزنطية ووصلت إغاراتهم إلى نيقية Nicea بل إنهم نهبوا إفسس Ephesus في ٨٦٩-٨٧٠م<sup>(١٣)</sup>.

على أية حال ؛ اشتد خطر البولسيين في عهد الإمبراطور باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) ، وقد أرسل إليهم سفارة على رأسها بطرس الصقلي خلال المرحلة بين عامي ٨٦٩-٨٧٠م، وقد قدم لنا وصفاً مسهباً لتلك السفارة التي وصل بها إلى مدينة تفريك<sup>(١٤)</sup> ، ووصفة عامة ، بعد عامين من تلك السفارة وتحديدًا في عام ٨٧٢م تمكن الإمبراطور من خلال دور عسكري بارز لشقيق زوجته كريستوفر Christophe وقائد قواته الشرق من تحقيق الانتصار الحاسم عليهم ، وخرّب عاصمتهم وكذلك عدة قلاع أخرى وقتل زعيمهم كريصوخيروس<sup>(١٥)</sup>.

بصفة عامة ؛ يمكن للباحث الخروج بعدة دلالات من خلال صراع باسل الأول مع حركة البولسيين.

فيلاحظ أن تلك الحركة لها جانبها الاقتصادي إذ عبرت عن حركات المعارضة ضد العلاقات الإقطاعية . وكذلك الفوارق بين الطبقات في آسيا الصغرى<sup>(١٦)</sup> وكذلك سلطة الكنيسة البيزنطية وعقائدها وهي تعد جزءاً لا يتجزأ من حركات المعارضة الدينية سواء في الشرق البيزنطي أو في الغرب الأوربي مثل ما قام به الكتاريين<sup>(١٧)</sup> في جنوبي فرنسا في

١- O.D.B., vol 3, p. 1606 .

٢- O.D.B., vol . 3 , p. 1606 .

٣- Ibid, p. 1606 .

٤- أورد تفاصيل ذلك في كتابه تاريخ البرسبين؛ نعم فرح . المحاضرة البيزنطية . ص٢١٤

٥- محمّد سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٤٩

٦- تعريب فرح، المرجع السابق ، ص٧١٥

٧- عن الكتاريين أنظر:

Pierre des Vaux de Cornay , The Historia Albigensis, in Peters (ed.), Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980 , pp. 123-125 .

أخريات القرن ١٢م . وهناك من يقرر أنه خلال عصر الحروب الصليبية انتشرت أفكار البوليسين من خلال التجارة إلى إيطاليا<sup>(١)</sup> وفرنسا : مما عكس قوة تأثيرها فيما بعد عصر باسل الأول.

من زاوية أخرى ، نذكر أن القضاء على نشاطهم دعم الرضعية السياسية لذلك الامبراطور الذي تمكن بعد جهد جهيد من فرض السيادة الإمبراطورية على مناطقهم، كذلك تمكنت بيزنطة من خلال تلك الأحداث من إيقاظ تحالف المسلمين مع البوليسين باعتبارهم قوة معارضة ، ولذلك لا تعجب من إدراكنا أنه خلال العام التالي مباشرة للقضاء عليهم عام ٨٧٣م، أمكن لبيزنطة إخضاع سبطات Samost , Samosat ما دعم وضع الامبراطورية العسكرية في مراجعها عدوها التقليدي في صورة المسلمين .

أما بالنسبة للإسهام القانوني : فيلاحظ أن عهد باسل الأول شهد ظهور القانون اليسر وهو Procheiron<sup>(٢)</sup> الذي كان الهدف منه أن تكون مواد القانونية ميسرة لعامة المعاصرين وهو عبارة عن مختارات مأخوذة من القوانين السائدة حينذاك ، وكذلك مجموعة قانونية شاملة هي

Ramier Saccotti , in Peters (ed.), Mercy and Authority, pp. 125-132 .

Colish, Medieval Foundations of the Western Intellectual Tradition 400-1400, London 1998 , p. 250-251 .

Sumption The Albigensian Crusade, London 1988, pp. 43-60 .

Cowdrey , " The Carthusians and Their Contemporary World : The Evidence of the Twelfth - century Bishops , Villae", in The Crusades and Latin Monasticism , 11 th centuries, Great yarmouth 1999, , pp. 26-43 .

المؤرخ المذكور من أفضل من كتب عن الكتابين.

Hamilton, The Cultures and the Seven Churches of Asia , in Howard and Johnstone (eds.) Byzantium and The West (850-1200), Amsterdam 1988 , p. 295-296

ix Due The Chair of Saint Peter , A History of the Papacy , New York 1999, p. 114. p 127 p 146

أسحق عبيد . محاكم التفتيش نشأتها وتشاطها . ط القاهرة ١٩٧٨م . شارلز قومان . تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص١٦٧ ، حاشية (٧)

١- شارلز قومان . تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ . حاشية (١١)

٢- عنه أنظر محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص١٤٣

التي عرفت باسم الإباناجوج Epanagoge<sup>(٢١)</sup> وتعني المقدمة Introduction . ووفقاً لما ورد في افتتاحيتها نعرف أنها كانت بمثابة مقدمة للأجزاء الأربعين لمجموعة قانونية تليق عرفت بعموان

#### Collectio Librorum Juris Graeco Romani Ineditorum.<sup>(٢٢)</sup>

جدير بالذكر : احتوت الإباناجوج في القسم الأول منها على فصول على جانب كبير من الأهمية عن السلطة الإمبراطورية، وكذلك سلطة البطريرك وغيرها من الوظائف المدنية والكنسية الأخرى على نحو يعين في تقديم صورة واضحة للغاية عن مؤسسات الدولة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية، وكذلك العلاقات بين الكنيسة والدولة<sup>(٢٣)</sup>.

ولانغفل في معرض الحديث عن جهود الإمبراطور باسل القانونية الإشارة إلى أن الإباناجوج كانت تمثل مورعاً من إعادة القانون المبسر ولكن مع "تعديلات المهمة وكذلك إعادة التنظيم"<sup>(٢٤)</sup>، نجد الاستفادة من الجهد القانوني الذي بذل في عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري من قبل، مما عكس التواصل والاستمرارية بين أدوار الأباطرة البيزنطيين في ذلك المجال.

وهكذا : يتضح لنا على نحو جلي أن من الأباطرة البيزنطيين المقدونيين من أدرك - عن حق - أهمية القانون في توحيد شعوب الإمبراطورية البيزنطية . وفي تدعيم السلطة الإمبراطورية .

مهما يكن من أمر ، نختتم الحديث عن مؤسس الأسرة المقدونية بمحتش الشخصية ، إذ أن باسل تعرض لوفاة ابنه في أخريات سنوات حكمه . على نحو أحدث أثراً نفسياً سيئاً<sup>(٢٥)</sup> عليه فانترسد الحزن الشديد، وقد وضع الرث حدًا لذلك عام ٨٨٦م.

#### ١- من الإباناجوج أنظر

Vasiliev , History of The Byzantine Empire . pp. 341-342

Ostrogorsky History of the Byzantine State. p. 192, p. 213 .

Vasiliev, Op. cit., p. 341 , note (110)

-٢-

Vasiliev , Op. cit., p. 341 .

-٣-

٤- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٤

٥- نفسه ، ص ١٤٥

وجدير بالإشارة : أن الباحث في التاريخ البيزنطي في حاجة ماسة إلى معرفة أثر الزوايا النفسية لدى كبار الأباطرة على صنع القرار السياسي وبالتالي على تاريخ الشعب البيزنطي ذاته، غير أنه أمام صمت المصادر ليس في الإمكان تجلية تلك الناحية التي لا تزال غامضة على الرغم من أهميتها الخاصة .

أما الإمبراطور ليو السادس Leo II (الملقب بالحكيم)<sup>(١)</sup> الذي حكم فيما بين عامي ٨٨٦م، ٩١٢م، فيمكن إجمال أهم أعماله من خلال الآتي:

أولاً : الإسهام القانوني.

ثانياً : سياسة تجاه البلغار.

ثالثاً : المواجهة مع المسلمين .

رابعاً : زيجاته المتعددة بحثاً عن وريث للعرش.

وفيما يتصل بالتعصر الأول: من الملاحظ إصدار الأوامر الإمبراطورية Basilica في عصر ذلك الإمبراطور، وقد تكونت من ٦٠ فصلاً ويلاحظ أنها اعتمدت على قوانين جستنيان ، ومن المهم هنا الإقرار بدور ليو لأحد رجال القانون في بيزنطة في صورة سيميانيوس -Symba-<sup>(٢)</sup> الذي كثيراً ما يذكر اسمه وجهده وينسب الأمر يرمته للإمبراطور ليو السادس، وهي رواية تعددت في مواقف مختلفة من التاريخ البيزنطي.

على أية حال : فإن تلك المجموعة القانونية كان لها أثرها الرمثاح من حيث أن فاق استعمالها استعمال المجموعة القانونية التي تنسب للإمبراطور جستنيان ، ومع ذلك : فمن المهم هنا الإقرار بأن النشاط القانوني البيزنطي في عهد ليو السادس شمل ما يعرف بالمتجددات التي اعتمدت اعتماداً كبيراً على متجددات جستنيان السالفة الذكر.

---

١- ليو السادس Leo VI : إمبراطور بالاشتراك من ٦ يناير ٨٧٠م وإمبراطور من ٣٠ يوليو ٨٨٦ إلى ٩١٢م، ولد في القسطنطينية في ١٩ سبتمبر عام ٨٦٦م . وهو الابن الثاني للإمبراطور باسل الأول ، وقد لقب بالحكيم . وكان مستشاره الكبير هو : زوثيس Zoetzes ، والحصى ساموناس Samonas ، والحصى Constantine ، ولد توفي ليو السادس في ١١ مايو عام ٩١٢م عنه أنظر بالتفصيل : Tougher, The Reign of Leo VI (886-912) , Politics, and People, Leiden 1997 .

وهي دراسة مفصلة وموسعة عنه من خلال لوثي الصادر والمراجع.

O.D.B. , vol 2, pp. 1210-1211

Nicol, A Biographical dictionary. p. 74 .

٢ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية - ص ١٤٦

أما ما اتصل بالموقف البيزنطي من البلغار<sup>(١١)</sup>؛ نجد توتر العلاقات البيزنطية - البلغارية ؛ وذلك بسبب إتيان بيزنطة إلى اتباع أسلوب الاحتكار في تجارة بلغاريا على نهر أنخر بمصالح الأخيرة ، وحدث صدام عسكري من خلاله هاجم البلغار أراضي بيزنطة عام ٨٩٤م، فلجأت إلى التحالف مع الما جيوار الذين قاموا بهاجمة المناطق الشمالية من بلغاريا . وتمكنوا من تحقيق انتصارات هناك ، وبالتالي ؛ أكدت بيزنطة قدرتها على إيجاد حلفاء أقوى ، يقدمون لها المساعدة العسكرية عندما تضيق بها السبل ، وفي الوقت المناسب . ويلاحظ أن البلغار تحالفوا في مواجهة ذلك الأمر . مع البجنان الذين تمكنوا بالتعاون معهم من هزيمة الما جيوار عام ٨٩٦م، واضطرت بيزنطة لمواجهة البلغار بعد أن قوى شأنهم بالتحالف المذكور . وهزمت على أيديهم واضطرت إلى مصالحتهم بالفعل دفعت لهم فدية سنوية ؛ مما عكس أن الصراع مع البلغار لم يكن في صالح الامبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة .

أما بالنسبة للصراع مع المسلمين ؛ فيلاحظ أنهم واصلوا بحماس هجماتهم ضد أملاك الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور ليو السادس ، وقرى أحد المؤرخين العرب البارزين في حفل الدراسات البيزنطية ه ... على فترات متقطعة نهب العرب وخرّبوا أروخيل ، وساحل شبه جزيرة المورة Morea ، و تساليا Thessaly ، وفي عام ٩٠٢م، دمرت مدينة ديمترياس Demetrias القنية على ساحل تساليا<sup>(١٢)</sup> .

ولست في حاجة إلى معارضة ذلك الرأي الذي يعكس بجملاء المركزية الأوروبية ، ومرة أخرى . فإن ما قام به المسلمون ضد بيزنطة حينئذ جاهد مشروع طالما أن حالة الحرب كانت فائحة بين الطرفين ، ولا تغفل أن البيزنطيين اتبعوا نفس الأسلوب في صراعهم مع المسلمين وليس من الموضوعية بمكان تبني وجهة نظر غريبة على هذه الصورة .

١- عن صراع ليو السادس مع البلغار انظر

Constantine Porphyrogenitus , De Administrando Imperio, p. 253

Runciman, A History of The First Bulgarian Empire, London 1930. pp. 145-146

Ostrogorsky , History of the Byzantine State , pp. 231-239 .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٢-١٦٤

محمدي ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٨

٢- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطور البيزنطية ، ص ١٥٢

وينبغي أن نتذكر جيداً إنه في عالم الحرب حينذاك ؛ كافة أشكالها متروقة والهدف منها أصلاً كسر إرادة الخصم وإجباره على تقديم تنازلات سياسية.

ومن المهم هنا ملاحظة ؛ دور باروز لقيادتين ممن اعتنقوا الإسلام من البيزنطيين وعملوا على جهاد الإمبراطورية البيزنطية ، ومن أمثلتهم ليو الطرابلس Leo of Tripolis<sup>(١١)</sup> ، ودسميان الصوري Damian of Tyre<sup>(١٢)</sup> . ولذلك تطلب الأمر؛ تسليط الضوء عليهما لما لهما من أهمية خاصة خلال تلك المرحلة المؤثرة من مراحل العلاقات الإسلامية- البيزنطية.

على أية حال ؛ هناك من يقرر أن ليو الطرابلس ؛ قد ولد من أبوين مسيحيين في مدينة أنابlia Amlia الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى وفيما بعد؛ تم أسرهم من جانب المسلمين . ويعتقد أنه جن به إلى طرابلس حاضرة شمالي لبنان بين عامي ٨٦٣ ، ٨٦٦م. ثم تلقى نسراً القتل البحري وصار خبيراً بها حتى أنه لقب «بأبي الحرب» ؛ على نحو عكس أهمية دوره . وبالتالي إنطلاق ذلك الرصف عليه

بصفة عامة؛ نعرف أن ليو الطرابلس قام بمهاجمة مناطق تابعة للدولة البيزنطية . وذلك بعد أن اعتنق الإسلام وهو لا يزال صغيراً كما قرر البعض، ومن المناطق التي عمل على مهاجمتها أنابlia.

١- عن ليو الطرابلس انظر.

Gregoire - Le Communiqué arabe sur la prise de thessalonique 904- B.Z., 82 , 1989 . pp. 373-378

Vastiev , History of the Byzantine Empire, p. 305-306 .

محمد درج، تاريخ بيزنطة السياسي . ص٢٤٨

عمر عبد السلام تعمري، لبنان من قبل الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشينية ١٢٢-٣٥٨هـ / ٧٥-٩٦٩م. ط. طرابلس ١٩٩٧م، ص٨٩-٨٦

وأنتوجه بالشكر العميق للمؤرخ اللبناني الكبير أ.د. عمر عبد السلام تعمري الذي أفادني بمقتضاه العلية الشريفة معه في يناير ٢٠٠٦م بلمحة الشارقة خلال زيارته لها

٢- عن دسميان الصوري انظر

عمر عبد السلام تعمري، المرجع السابق، ص٢٨-٩٤ . مدينة صور في كتابات المؤرخين والأحالة من الفتح الاسلامي حتى التحرير من الصليبيين» ضمن كتاب صور من العهد القريب إلى القرن العشرين، منتدى سرور الثقافي ١٦-١٥ حزيران ١٩٩٧م. ط. صور ١٩٩٧م، ص١٣٥ . والمؤرخ المذكور بعد أول من سطر السور على دسميان الصوري

جدير بالذكر ؛ بعد الدور البارز الذي قام به ليو الطرابلسي ؛ المشاركة في الاستيلاء على مدينة سالونيك Thessalonica التي تمكن المسلمون من إخضاعها في أوائل القرن العاشر الميلادي. وتحديدًا عام ٩٠٤م. وبعد ذلك مكسبًا بارزًا للمسلمين على حساب البيزنطيين ؛ إذ أن سالونيك عدت حينذاك إحدى المحواضر البيزنطية البارزة<sup>(١)</sup>. ولا ريب في أنها عدت في الدرجة الثانية بعد القسطنطينية من المراكز الصناعية والتجارية بل والفكرية كما يقرر البعض<sup>(٢)</sup>.

أما القائد الثاني فهو دميان الصوري ؛ وقد ولد هو الآخر من أبوين مسيحيين . وتم أسرُه خلال إحدى المعارك مع المسلمين. وقد تم نقله إلى مدينة صور؛ ولذلك عرف بدميان الصوري<sup>(٣)</sup>. وفيما بعد قام بدور بارز في جهاد البيزنطيين. وهناك من يقرر أن عام ٨٩٥م؛ عد بداية ظهور ذلك القائد على مسرح الأحداث حينذاك.

ويلاحظ أن دميان الصوري اكتسب خبرة عميقة بأساليب البيزنطيين الحربية. ونعرف أنه تولي أمر ثغر طرسوس ؛ مما عكس أهمية ذلك المنصب الذي تولاه على الأوسع من خلال كفاءته الحربية التي برزت في ميادين القتال .

١- عن سقوط سالونيك في يد ليو الطرابلسي أنظر:

Osrogorsky, History of The Byzantine State, p. 228 .

محمود محمد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص١٨٢

٢- نعيم فرح . الحضارة البيزنطية . ص٢٢٧

ولا نعمل هنا الإشارة إلى أن سالونيك . إزداد عدد سكانها زيادة كبيرة مع بداية القرن العاشر . حيث عدت ملجأ لسكان الجزر والسهول التي تعرضت لهجمات المسلمين خاصة أنها تقعت بأسوار متينة فصار من الصعب الاستيلاء عليها . ويلاحظ أنها تقعت بمكانة تجارية من خلال وقوعها على الطريق التجاري الروماني القديم المعروف باسم Via Egnatia الذي أوصلها بشواطئ الادرياتيكي في الغرب والقسطنطينية في جهة الشرق كذلك تعرفت تشتهارها بمعدن الحديد . والنحاس . والقصدير . وصناعات الزجاج . والصرب . والكتان . والسمن والألعة وكل ذلك يوضح لنا أهمية الميناء للمسلمين عام ٩٠٤م.

عن ذلك أنظر . O.D.B., vol. 3, p. 2071 - 2072 .

نعيم فرح. المرجع السابق. ص٢٢٧

٣- عمر عبد السلام تدمري. مدينة صور . ص١٢٥

جدير بالإشارة : عمل المؤرخون الغربيون على مهاجمة ليو الطرابلسي، ودميان الصوري، وتم تصغيرهما على أنهما مرتدين<sup>(١١)</sup>، ولم يبرزوا حقيقة الدور الجهادي الفعال الذي قاما به، إلى أن قام المؤرخ اللبناني البارز عمر عيد السلام تدمري بتسليط الضوء على ذلك الدور لكل منهما بصورة غير مسبقة .

بصفة عامة؛ يدل أمر هذين القائدین على قدرة الإسلام على الانتشار في قلوب البيزنطيين بل وتحولهم إلى الجهاد ضد تلك الإمبراطورية التي ناصبت المسلمين العدا .

ترك الآن الصراع بين بيزنطة والمسلمين، ونتجه إلى ناحية أخرى مغايرة في صورة زواج الامبراطور البيزنطي ليو السادس وجدير بالإشارة : أن ذلك الامبراطور تزوج أربع زيجات - سبعا إلى وريث للحكم- ويمكن إجمالها على النحو التالي :

أولاً : تزوج من إحدى قريباته تدعى ثيوفانو Theophano<sup>(١٢)</sup> عام ٨٨٥م. وأنجبت له طفلة : وقد ماتت الأخيرة، ومن بعدها أمها<sup>(١٣)</sup>.

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 78 .

-١-

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 228 .

٢- عن قضية زواج الإمبراطور ليو السادس أنظر

Tougher, The Reign of Leo VI , pp. 133-163 .

Gurland , Byzantine Empresses Woman and Power in Byzantium, A. D. 527-1204 , London 1999, pp. 109-124 .

حيث خصص المؤلف في دراسته المشارة فصلاً مستقلاً عن ذلك الموضوع

أما أفضل دراسة بالعربية فهي تلك التي قام بها وسام عبد العزيز فرج . أنظر : وسام عبد العزيز فرج ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١٢) ، ط- الاسكندرية ١٩٩١م، وقد عاك ونشرها في كتابه الحديث بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري . ط- القاهرة ٢٠٠٤م، ص٦٥-١٤٢

وعن ذلك الأمر أنظر

عليه الجنزوري . المرأة في الحضارة البيزنطية . ص١٩٢-١٩٤

محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٥٧-١٥٨

٢- عليه الجنزوري . المرجع السابق، ص١٩٢

ثانيًا : دخل في علاقة مع زوي Zoe ابنة الوزير ستيليانوس<sup>(١١)</sup> زوتيس - Stylianus Zaus zes وعندما أراد إضفاء صفة الشرعية عليه عام ٨٩٨م؛ اعترض بطريرك القسطنطينية حينذاك . إلا أن كاهن البلاط الإمبراطوري؛ وافق على الأمر. وتوفيت زوي في العام التالي؛ أي عام ٨٩٩م، بعد إنجابها لطفلة .

ثالثًا : كثر الامبراطور مرة ثالثة في صورة يودوكيا بايانا Eudocia Baiana، عام ٩٠٠م وأنجبت له طفلًا هو باسل Basil إلا أنها ماتت ومن بعدها توفي الابن عام ٩٠١م .

رابعًا : أقام الامبراطور علاقة مع محظية هي زوي كاربونسينا Zoe Carbonsina التي حققت له حلمه الذي تحرق شوقًا إليه حيث أنجبت له عام ٩٠٥م ابنًا سيئسلي العرش الإمبراطوري تحت اسم قسطنطين السابع بورفيريوجيتيس<sup>(١٢)</sup> - Constantine VII Porphyro- genitus، وعندما أراد أن يجعل ذلك الزواج رسميًا اعترض عليه البطريرك نيقولا مستيكوس Nicolas Mysticus<sup>(١٣)</sup>، وحدثت أزمة عنيفة بين الإمبراطور . والبطريرك - وهي من

١- عليه المختوري . المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٩٢

٢- قسطنطين السابع بورفيريوجيتيس Constantine VII Porphyrogenitus . هو الابن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI من زوجته زوي كاربونسينا Zoe Carbonsino . ويلاحظ أن كلمة بورفيريوجيتيس تعني المولود في العلية الأوجراتية أو اللحية واشتق من الكلمة Porphyro؛ وتعني ذهب أرجواني . أما كلمة genitus فتعني مولود والمقصود بها التعبير أن ذلك الإمبراطور وصل إلى العرش بشرعية كاملة، ولم يكن من مفتصبه . ومن المقرر أنه - كما قرأ دونالد نيكول- على مدى ٢٤ عامًا حكم في ظل حبه رومانوس . ولكن عندما مات الأخير عام ٩١٤م تولى الحكم منفردًا . عنه أنظر .

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, Trans. by P.S.H. Jenkins, Dumbarton Oaks Center, Washington 1967, pp. 7-79. Toybee, Constantine Porphyrogenitus and his World, London 1973 .

Nicol, A Biographical Dictionary . p. 27 Little and Coulson, The Shorter Oxford English Dictionary on historical Principles, vol II, Oxford 1950, p. 1546 .

Dehl, History of the Byzantine Empire, p. 75-76. Vasiliev, History of the Byzantine State, p. 246-251

عبد القادر البومق، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٢٨

محمد منيس عروشي، الرحالة الأوربيون في ملكة بيت المقدس الصليبية . ص ٢٢١، حاشية (٢٩)

٢- نيقولا مستيكوس. هو بطريرك القسطنطينية خلال للرحلة من ٩٠١-٩٠٧م. ٩١٢-٩٢٤ . وقد وصف بأنه كان من أصل إيطالي . وتأثر بأفكار فوشبوس، عنه أنظر محمود سعيد عمران، نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقرى الإسلامية من خلال مراسلاته، ط. بيروت بيت . أحمد عبد الكريم =

الأحداث التادوة في التاريخ البيزنطي إنتهت بأن وافق البطريرق على تعميد الطفل وتعميد الإمبراطور ليو السادس بأن بطريرك زوى كارينسيا من القصر.

على أية حال : تم تعميد الطفل في كنيسة أيا صوفيا الشهيرة وتم طرد أمه، إلا أن ليو السادس سرعان ما أعادها بعد أن تزوجها على يد الأسقف توماس . بل وتزوجها كامبراطورة، ومنحها لقب أوغسطس Augusta مما أدى إلى تجدد الصراع بين الامبراطور وسيفولا مستيكوس الذي اتجه الامبراطور إلى عزله

بصفته عامة؛ اتجه ليو السادس إلى تنويع ابنه امبراطوراً عام ٩١١م وقد صار للإمبراطورية ثلاثة باطرة هم ليو السادس . وأخوه الكسندر . ثم قسطنطين السابع، وعلى إثر وفاة ليو عام ٩١٢م: تولى الكسندر الوصاية على قسطنطين السابع : نظراً لصغره

و"لواقع أن نظرة متأنية إلى ليو السادس على المستوى الشخصي تجد أنه تصارع مع الزمن والموت معاً في ثنائية تشير التأمل - فقد كان في سياق محموم مع الزمن : ليحقق أملة في وجود وريث للعرش؛ إلا أن الموت كان يلاحقه من خلال وحيل من تزوج . ومع ذلك واصل السعي دون هراة - في سبيل تحقيق هدفه . ويمكن القول أن حياته تصلح لتكون صرصة مصغرة من تاريخ الامبراطورية البيزنطية ذاتها التي تصارعت مع الموت مرات عديدة إلى أن نال منها في نهاية المطاف .

ويلاحظ أنه حقق طموحاته في تلك الزلوية قبل وفاته بأعوام قليلة أي بسبع سنوات فقط وبذلك أمكن أن يطمئن لوجود وريث يرث العرش الامبراطوري بعد أن تراوحت نفسية أبيه بين الأمل واليأس وقلقه ألم الانتظار لأعوام عديدة.

على أية حال : تولى العرش البيزنطي الكسندر Alexander مدة قصيرة ٩١٢-٩١٣م، وفي تمام الأخير : توفي . ومن بعد ذلك . تكن القائد البحري رومانوس الأول ليكابينوس Romanos I Lecapenus<sup>(١)</sup> من الوصول إلى العرش عام ٩١٩م . وذلك بعد أن تولى

= سليمان . رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس إلى العباسي . المجلة التاريخية المصرية . ( ٢٨ ) .  
( ٢٩٩ ) - ١٩٨٦ - ١٩٨٧م

١ - رومانوس الأول ليكابينوس : هو الابن الوحيد لأحد الفلاحين الأرمن من لاكابييه في شرقي الأناضول Anatolia ، وقد شغل منصب قائد الأسطول البيزنطي . أو ما أطلق عليه درونجاريوس Drongarios ، ومن المعروف أن ذلك الإمبراطور عرف عنه الدهاء . والصبر في التعامل مع خصومه السياسيين ويوصف بأنه الامبراطور الذي حارب عناصر ملاك الأراضي الذين تزايدت قوتهم في الامبراطورية البيزنطية بعد قيامهم بشراء أراضي صغار الفلاحين

مجلس وصاية الرواية على قسطنطين السابع خلال المرحلة الواقعة بين عامي ٩١٣ إلى ٩١٩م

بلا حظ : أن رومانوس ليكاينوس يعد إمتداداً طبيعياً لظاهرة القادة العسكريين الذين أنحيهم الجيش أو الأسطول البيزنطيين ، وتكثروا من خلال كفاءتهم الحربية وكذلك طموحهم الطامح من الوصول إلى التتصب بالإمبراطورية الذي صار هدفاً لكل من رأى في نفسه قدرة على التأمر للوصول إليه .

على أية حال : عمل رومانوس ليكاينوس جاهداً على إخفاء طابع الشرعية على حكمه ، فزوج قسطنطين السابع من ابنته عام ٩١٩م . كذلك تزوج من الإمبراطورة زوى وذلك بعد وفاة زوجها ، ويلاحظ أن ابنيه ستيان ، وقسطنطين ، تأمروا عليه للاستحراذ على المصب الإمبراطوري ، ومن بعد تلك المأساة الشخصية إنتقطع إلى سلك الرجعة كحل هروبي . ومات عام ٩٤٨م ، بعد معاناة نفسية لا تنكر .

مهما يكن من أمر ؛ ألقى قسطنطين السابع القبض على الابنيتين العاقبتين ، وتولى العرش خلال المرحلة من ٩٤٥ إلى ٩٥٩م وقد دخل في صراع مرير مع البلغار خاصة مع وجود زعيم قوي قادهم ضد الإمبراطورية هر سيمون <sup>(١)</sup> Simon . وبعد وفاته عام ٩٢٧م ، قاد الأمر بدلاً من ابنه بطرس خلال المرحلة الطويلة الممتدة من ٩٢٧م إلى ٩٦٩م . قد اتجه إلى مهادنة الإمبراطورية البيزنطية <sup>(٢)</sup> . وقد أفاد ذلك الإمبراطورية في التقاط الأتقاس بعد صراع مرير مع البلغار أجهد جيشها وميزانياتها على نحو كبير .

عن رومانوس ليكاينوس انظر :

= Runciman , The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign, Cambridge 1963

O.D.B , vol . 3 , p. 1806 .

Nicol , A Biographical dictionary , pp. 72-73 , Head, Imperial Byzantine Portraits . Averhal and graphic Gallery , New York 1982, pp. 81-82 .

Vasiliev, History of the byzantine Empire, p. 187

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, pp. 476-486 .

Osrogorsky, History of the Byzantine State, p. 234-247

١- عنه أنظر : حنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٨

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 318-319 .

- ٢

أما فيما يتعلق بالصراع البيزنطي مع المسلمين : فيلاحظ بروز قيادة فعالة لدى الأخيرين في صورة سيف الدولة الحمداني<sup>(١١)</sup> (٩٤٤-٩٦٧م) ، وهو الذي قام بدور بارز في جهاد البيزنطيين : بعد أن ضعفت الخلافة العباسية ، ولم تعد تستطيع القيام بدورها في التصدي لهم على خلاف ما قامت به من قبل في العصر العباسي الأول ٧٥٠-٨٥٠م . بل إن البيزنطيين حسنوا علاقاتهم معها ومع الاخشيديين في مصر<sup>(١٢)</sup> ، لقد تمكن سيف الدولة الحمداني من تحقيق عدد من الانتصارات ضد البيزنطيين عام ٩٢٨م حيث تمكن من هزيمة القوات البيزنطية أمام حصن زياد في منطقة أعالي الفرات . وكانت بقيادة حنا كوركواس John Kourkouas<sup>(١٣)</sup> ، كذلك تمكن من التوسع في عدد من المناطق الأرمينية . وتم إجبار عدد كبير من الأمراء هناك على الخضوع له . كما أنه في عام ٩٤٠م هاجم منطقة

١- يلاحظ أن سيف الدولة الحمداني . جعل من حلب مركزاً ثقافياً وعسكرياً إلى جانب كونها مركزاً للجهاد ضد البيزنطيين وكفى لتدليل على ذلك أن بلاطه قصد قصد المثنى وأبو الفرج الاصفهاني والدارابي . وعمر جهاده للروم أنظر :

مسكويه ، معارج الأمم ، ط . القاهرة بيت . ج ٧ . ص ١٨٠

المثنى . ديوان المثنى . لتحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، ط بيروت ١٩٨٠م . ج ٤ . ص ٩٤-١٠٨  
Canard , Sayf Aldaula, Alger 1934  
Id, Histoire de la dynastie de Hamdanides, de Jazira et de Syrie , T.I, Paris 1953 .

وتعد دراسة كتار رائدة في مجال تاريخ الحمدانيين على الرغم من صدورهما في النصف الأول من القرن الماضي . مع عدم إغفال أن صاحبها مستشرق فرنسي .

أيضاً معطى الشكعة . سيف الدولة الحمداني ملكة السيف ودولة الأتلام ، ط القاهرة ١١٧-١٢٢ ص وهي دراسة مهمة على الرغم من أن مؤلفها إهتمامه الأصلي بتاريخ الأدب ، أيضاً أحد اساعيل على . تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٤٦٣ هـ / ٧٤٩-١٠٧٠م ودراسة سياسية واجتماعية . ط دمشق ١٩٨٣م . ص ١٠٤-١١٠

٢- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٦  
Ostrogorsky, History of the Byzantine State, op. cit, p. 245

٣- حنا كوركواس . يعد من رجال القرن العاشر الميلادي . وقد تخرج من مجرد جندي أرميني حتى وصل إلى درجة رفيعة في صورة رئيس الحرس الامبراطوري . ثم صار دوميستيك Domestic أو قائد الجيوش =

كولونيا Colonia<sup>(١١)</sup> . وبعد عامين فقط من تلك الأحداث وقعت معركة بقراس ، ومرعش عام ٩٤٢م. ولكن فيها من هزيمة البيزنطيين.

على أية حال ؛ لم تقف الإمبراطورية البيزنطية مكتوفة الأيدي أمام هجمات ذلك القائد المسلم. وهكذا ؛ قامت بتوجيه قواتها عام ٩٤٣م في منطقة الجزيرة الفراتية وقمكت من الاستيلاء على مارتيروبوليس ، وأن ، ودارا ، ونصيبين<sup>(١٢)</sup> وذلك تحت قيادة القائد السالف الذكر<sup>(١٣)</sup> ، وقد أطمعته انتصاراته في أن يتوجه إلى الرها Edessa عام ٩٤٤م على نحر جعلها بمثابة قصة انتصاراته في تلك المرحلة . وكانت في قبضة المسلمين عام ٩٤١م ويلاحظ أنها مثلت مكانة دينية خاصة مع وجود المنديل المقدس The Sacred Mandilon الخاص بالسيد المسيح<sup>(١٤)</sup> كما يعتقد المسيحيون في كنيستها

« الشرقية ضد المسلمين في عهد الامبراطور رومانوس الأول ليكاپينوس Romanus I Lakapenos . ويقرر دونالدنيكول عنه أنه تولى أسر الدقاق عن العاصمة البيزنطية في مواجهة الروس عام ٩٤١م. ولد وصفه رنسيمايان بأنه أعظم جندي انجبهته بيزنطة لعدة أجيال . كذلك حارب المسلمين في الجبهة الشرقية . وعندما أسقط الامبراطور المذكور من عرشه عام ٩٤٤م تبدلت الأمور بالنسبة لثناكروكولس فصار في طلال السيان بعد أن جرد من مناصبه عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary . pp. 70-71 . Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p 245.

Norwich, Short History of Byzantium, p. 177

Runciman, Romanus Lecapenus, p. 146-150 .

سبون ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية. ص ١٥٧ محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. ص ١٨٧

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 .

-١-

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245 .

-٢-

أبنا محمود سعيد عمران. المرجع السابق. ص ١٨٧

Ostrogorsky, Op. cit., p. 245

-٣-

Norwich, Op. cit., p. 177 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 306 .

Nicol, Op. cit., p. 71

-٤-

ولا يعنى ذلك بالطبع : تصور أن سيف الدولة الحمداني لم يرد على تلك الترسعات البيزنطية ؛ إذ دارت الحرب بينه وبين البيزنطيين سجالاً وتراوحت بين الانتصار والهزيمة. حدثت معركة حصى برزويه عام ٩٤٧م ، وفى عام ٩٥٠م . توغل فى مناطق البيزنطيين وصعب عليه أمر العودة ومعنى بالهزيمة والريب فى أن الطبيعة الجبلية، والظروف المناخية القاسية حالت دون تحقيق الانتصار مع عدم اغفال فعاليات الجيش البيزنطى بطبيعة الحال .

تجدر الإشارة إلى أن ذلك القائد لم توقفه الهزيمة المذكورة عن مواصلة الجهاد، بل استمر يواجه البيزنطيين روح وثابه فقام بغزوتين عام ٩٥٣م وفى العامين التاليين واصل تقدمه بل تمكن من الانتصار فى معركة الحدث وامتدحه أبو الطيب بقصيدة رائعة قال فى مطلعها

على قبر أهل العزم تأتى العزائم

وتأتى على قدر الكرام الكارم

وتعظم فى عين الصغير صفارها

وتصغر فى عين العظيم العظام<sup>(١)</sup>

جدير بالذكر : حرص المؤرخون الأوروبيون الذين تحمسوا للتاريخ البيزنطى على تصور سيف الدولة الحمداني على أنه أحد اللصوص الذين هاجموا بيزنطة، وتصوروا أن كافة عسليانه العسكرية لم يكن لها من هدف سوى السلب والنهب<sup>(٢)</sup> والعودة بالقناتم . والأسلاب . وفى المقابل : أظهروا الحملات العسكرية البيزنطية حينذاك على أنها بمثابة محاولة لإعادة الأمن لثطق الجزيرة القراتية . وبالتالي نسوا أو تناسوا أن ذلك القائد كان من كبار قادة الجهاد الإسلامى فى ذلك العصر، وقد أبلى بلاءً حسناً فى مواجهة العدوان البيزنطى على أملاك المسلمين حينذاك

بوجه عام؛ ثم يجد ذلك القائد المسلم من ينصفه إلا بعض أبيات رائعة لعبقري شاعر العربى أبو الطيب المتنبي هي- بلاريب- درة ديوانه . وكذلك القليل من الباحثين من ثم يتأثر بالرؤية المركزية الأوروبية

١- عن جهاد سيف الدولة ضد البيزنطيين أنظر:

مكريد ، مجارب الأمم، ج٢، ص ١٨٠، مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمداني، ص ١١٧-١٣٢

٢- على سبيل المثال أنظر:

Schlumberger, Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle, Nicéphore Phocas phocas. Paris 1890 p. 227 .

من بعد ذلك : تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور رومانوس الثاني<sup>(١)</sup> ٩٥٩-٩٦٢م. الذي حقق لإمبراطوريته إنجازاً في صورة استرداد كريت Creta من السيادة الإسلامية . وذلك عام ٩٦١م<sup>(٢)</sup>؛ بعد أن ضعفت أحوال المسلمين السياسية بصفة عامة، وهكذا؛ دأب نجاح البيزنطيين في استرداد تلك الجزيرة لم يكن لهم دين ضعفهم . ويقرر أحد كبار المؤرخين العرب ما نصه « ترتب على سقوط الجزيرة : عودة الأمن إلى بحر إيجه بعد أن تعرض لفترة طويلة لهجمات المسلمين . وعادت كريت مركزاً تجارياً بيزنطياً هاماً في حوض البحر المتوسط »<sup>(٣)</sup>. الواقع : أن ذلك الرأي يمكن توثقه مؤرخ غربي؛ أما أن يصدر من مؤرخ عربي فهو أمر يدعو للدهشة ولا يمكن الموافقة عليه وقد تقبل العبارة في حالة الإشارة إلى أن ذلك من وجه النظر البيزنطية ومرة أخرى : ما قام به المسلمون في بحر إيجه جهاد بحري مشروع . من خلال استمرار حالة الحرب بينهم وبين بيزنطة.

على أية حال : من الملاحظ أن عهد الأسرة المقدونية احتوى على ما يعرف بمحلة الغداة العسكريين وتعنى عهد الإمبراطورين؛ نقفور فوكاس<sup>(٤)</sup> (٩٦٣-٩٦٩م). ويوحنا تريماكس

١- رومانوس الثاني بن قسطنطين السابع : من المقرر أنه عندما توفي أبوه كان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره في نوفمبر عام ٩٥٩م . ويقرر دونالد نيكول إتصافه بالفرعة ، والعبث، ومع ذلك وجد حوله عدد من كبار رجال السياسة والحرب على نحو أفاد الإمبراطورية البيزنطية، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 112 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. vol. I, p. 302 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251-252 .

٢- أفضل دراسة بالعربية عن كريت والصراع الإسلامي- البيزنطي عليها . أعدتها أ.د. است عبد الله استعم. الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٨٢م. وعن استرداد بمرطة لها أنظر: ص ٢٣٧-٢٣٩ وهي في الأصل أطروحة علمية من كلية الآداب- جامعة الاسكندرية

٣- محمد سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٨

٤- نقفور فوكاس ولد من أسرة من الأسر العسكرية العربية في آسيا الصغرى ويلاحظ أنه عمل في خدمة الإمبراطورين؛ يانز الأول ولبو السادس وأبوه يرداس فوكاس عمل كقائد عام في عهد قسطنطين السادس، عنه أنظر

اس النديم، زبدة الخلب من تاريخ حلب، لتحقيق سامي الدخان، ط. دمشق ١٩٥٦م. ج ١، ص ٢٩ وما بعدها =

(٩٧٦-٩٦٩م)، وقد حققت الامبراطورية البيزنطية خلال حكمهما عدداً من الانتصارات على المسلمين؛ نظراً لضعفهم، وكذلك كفاءة القوة العسكرية البيزنطية التي توافرت لها خبرة عريقة في مواجهة المسلمين في ساحات المعارك، ولاتقفل إنتهاز بيزنطة لوضع المسلمين السياسي المتدهور من أجل خلق واقع جيوبوليتكى على الأرض لصالحها.

ومن الممكن ملاحظة أن صراع تقفور فوكاس ضد المسلمين مر بثلاث مراحل أساسية هي كالآتي.

المرحلة الأولى: وتقع بين عامي ٩٦٣، ٩٦٥م. وقد تركزت حروبه خلالها في إقليم كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى Asia Minor: من أجل التمهيد للقوات البيزنطية للفرغل في بلاد الشام. وقد انتهت تلك المرحلة باخضاعه أدنه Adana، والمصيصة، وطرسوس، وقد اعتبرت من أهم المراكز الحربية

المرحلة الثانية: وهي فيما بين عامي ٩٦٦م، ٩٦٧م وفيها دخل مناطق دارا، ونصيبين في أعالي الفرات، ويقال أنه خلال ذلك إضطرب سيف الدولة الحمداني إلى التراجع إلى شيزر، ولم يواصل تقفور فوكاس حملاته، وعاد أدراجه إلى مناطقه الأصلية عام ٩٦٧م؛ للحصول على الإمدادات اللازمة بالإضافة إلى أن أوضاع الإمبراطورية الداخلية استدعت عزمته<sup>(١)</sup>

Schlumberger, Un Empereur Byzantin au Dixieme Siecle Nicéphore Phocas Paris = 1890

دراسة مهمة مع عدم إغفال أن مؤلفها كتبها بإمكانات أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومع ذلك؛ فبلى الآن لابد من الإفادة منها بعد مرور (١١٦٦) عاماً على صدورها

عبد كمال توفيق، الإمبراطور تقفور فوكاس واسترجاع الأراضي المفقدة، ط. الاسكندرية ١٩٥٩م

Nicol, A Biographical dictionary, p. 96-97.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 252-260.

Vashev, History of the Byzantine Empire, p. 302, p. 403.

Norwich, A short History of Byzantium, p. 181, p. 184 - 185.

محمّد قرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص٢٥٨-٢٦١؛ حصتين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،

ص١٥٧

١- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٦

ونلاحظ أنه خلال تلك المرحلة تم طرق بوابة الدبلوماسية ، ولذلك اتجهت بيزنطة الى أن تتناول الأسرى مع المسلمين ومنهم الشاعر أبو فراس الحمداني بعد أن مكث أربعة أعوام في أسر البيزنطيين مروت عليه كالنهر<sup>(١١)</sup> ، عام ٩٦٦م. ومن المتصور أن الاتجاه إلى الدبلوماسية يعكس عدم قدرتها على الحسم العسكري في صراعها مع المسلمين

أما المرحلة الثالثة : فقد تمثلت في وقائع عام ٩٦٨م، وفيها تمكنت من دخول معرة النعمان ، وشيزو وحماه ، وحمص وأظهرت بيزنطة تعصبها الأعمى ضد الاسلام بإحراق المسجد ولأمر المؤكد : أن أهم نجاح تحقق من جانب بيزنطة ضد المسلمين خلال تلك المرحلة تمثل في نجاح إنثين من القادة البيزنطيين في دخول أنطاكية<sup>(١٢)</sup> Antioch مرة شمالي بلاد الشام عام ٩٦٩م، ومن بعد ذلك : ظلت في قبضة البيزنطيين لما زاد على قرن من الزمان وبالتحديد ١١٥ عاماً إلى أن قام المسلمون بإستردادها عام ١٠٨٤ على أيدي الأتراك السلجقة ، إلى أن استولى عليها الصليبيون خلال أحداث الحملة الأولى عام ١٠٩٨م.

من جهة أخرى: تمكن ذلك الإمبراطور البيزنطي من دخول مدينة حلب<sup>(١٣)</sup> ، وفرض على أهلها شروطاً قاسية، كذلك بلغ به الأمر حداً جعله يرسل رسالة تهديد في صيغة قصيدة شعرية<sup>(١٤)</sup> ، للخليفة العباسي المطيع لله (٩٤٦-٩٧٤هـ) نظماً له أحد كتابه على نحو دلي على أن الشعر - ديوان العرب - دخل في معترك الصراع البيزنطي - العربي حيثقات وهو أمر

= ونجد عرضاً مهماً لصراع البيزنطيين وسيف الدولة الحمداني لدى ابن العديم ، زبدة الخلب ، ج ١ ص ١١١ - ١٥٢ وأهمية ابن العديم تكمن في أنه خصص كتابه لتناول شمالي بلاد الشام خاصة حلب من أبكر الأزمنة حتى القرن الثالث عشر الميلادي.

١- معهود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٠.

٢- عن استيلاء ثقفور فركاس على أنطاكية أنظر:

ابن العديم ، زبدة الخلب، ج ١ ، ص ١٦٢-١٦٣

وسيبه دثقفور بن الفخاس ، أيضاً أحمد مختار العبادي في التاريخ العباسي والفاطمي ، ط بيروت

ب- ص ٣٢٩

Canard, Histoire de la dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie , Paris 1953, p. - ٣ 814-815 .

٤- عنها أنظر ابن كثير، البداية والنهاية ، ط القاهرة، ب- ص ١١٦، ج ١١، ص ٢٤٤-٢٤٧ =

ما كان يفعله ذلك الإمبراطور إلا من خلال مرحلة الضعف الشديد التي مرت بها الخلافة العباسية حينذاك .

ومن الأهمية بمكان الإقرار بدوافع التوسع البيزنطي خلال القرن العاشر الميلادي، إذ يقرر أحد كبار مؤرخي الدولات البيزنطية ، أن قيام الإمبراطورية بالتوسع في الأقاليم الشرقية على حساب المسلمين مثل عملاً قامت به طبقة الأكراد Dynastii<sup>(١)</sup>، وهو تعبير أطلقه البيزنطيون على الطبقة العسكرية الأرستقراطية ، والتي خرج منها كل من تقصور فوكاس ، ورجنا تريمكس . وقد إنجبه أبناء تلك الطبقة إلى الشرق للحصول على الأرض<sup>(٢)</sup>، خاصة أن ذلك الاتجاه صار مأموراً من أجل الاستعمار . ولا تغفل أن السبب في الاستعمار في الانقطاعات الزراعية، يرجع إلى أنها مثلت المجال الوحيد المتاح نظراً لكون مجالات الصناعة والتجارة عدت من المجالات المقيدة<sup>(٣)</sup>.

وهناك عدة ملاحظات تعليمية على حملات تقصور فوكاس يمكن إبرازها على النحو الآتي

أولاً : حاول بعض الباحثين الأوروبيين<sup>(٤)</sup>، وأيدهم في ذلك بعض الباحثين العرب<sup>(٥)</sup> القول

= وقد أوردت عدداً من قبياتها في الملاحق

١- وسام عبد العزيز فوج، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٩٢

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- نفسه، نفس الصفحة.

وبعد أ. د. وسام عبد العزيز فوج قول باحث عرس حوص على إبراز الدوافع الاقتصادية التي كانت من وراء توسع الإمبراطورية البيزنطية خلال تلك المرحلة.

٤- أنظر على سبيل المثال :

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 403 .

٥- من أمثالهم عمر كمال توفيق، الإمبراطور تقصور فوكاس واسترجاع الأراضي المقتنصة، ط الاسكندرية ١٩٥٩م.

أيضاً محمد صالح منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية - مشهورات جامعة قارونس، ط. بس غاري، ١٩٩٦م، ص ١٤٦

بأن حملات ذلك الإمبراطور البيزنطي تمثل نوعاً من الحروب الصليبية . والواقع التاريخي عكس ذلك تماماً : إذ لا صليبيات قبل عام ١٠٩٥ م. كما أسلفت الإشارة من قبل ويمكن وصف الأمر بتمهيد ما قبل الصليبيات Pre- Crusades عليها . ومن الممكن القول : أن تلك الحملات البيزنطية ما هي إلا محاولات عسكرية : من أجل زيادة النفوذ الإمبراطوري في تلك المنطقة للجاورة لها دون أن تكون هناك «أيديولوجية» معينة خاصة بالحروب المقدسة تلك المنطقة للجاورة لها دون أن تكون هناك «أيديولوجية» معينة خاصة بالحروب المقدسة Bellum Sacrum, The Holy War خاصة أن الكنيسة البيزنطية لم تكن تفصل تلك الفكرة.

ولنتفعل : أن عدداً من الباحثين الأوروبيين تأثروا بأقوال الإمبراطور نقفور فوكلس عندما خاطب الجماهير الغفيرة المحتشدة في ساحة السباق أو الهيبودروم Hippodrome موضحاً لهم أنه يريد الوصول إلى بيت المقدس . لتحريرها من قبضة المسلمين . وقد تصوروا نتيجة لذلك أن الأمر يتدرج تحت مسمى الحروب الصليبية Crusades, Croisades<sup>١٢٦</sup> . وبالتالي : حملوا الأمر أكثر مما يحتمل . كذلك حاولوا إيجاد أصول تاريخية لتلك الظاهرة التاريخية المحررة والبعالة في عالم المصور الوسطى.

---

« حيث يذكر » إعتبر بعض الباحثين هذه المحاولات لإرغامات للحروب الصليبية . « أنظر نفس الصفحة أيضاً صابر دياب حيث يشير إلى ما نصه : «تقرر بشئ من الثقة أن عصر الحروب الصليبية إنما يرجع إلى القرن الرابع للهجرى (العاشر الميلادي) وليس إلى تلك الصيغة الرعنا . التي نطق بها البابا أوربان الثاني من مجمع كليرمونت سنة ١٠٩٩ . (أواخر القرن الخامس الهجرى)

صابر دياب . السلسون . وجهادهم ضد الروم في أرمينية والتشغور الجزيرية . والشامية خلال القرن الرابع الهجرى . ط القاهرة ١٩٨٤ م . ص ٣٩

وملاحظ أن المجمع المذكور عقد في ١٠٩٥ م . وليس ١٠٩٩ م . كما تصور القزح الفاضل .

٣- عن يهوجرافيا تاريخ الحروب الصليبية أنظر :

Auya, The Crusade . Historiography and Bibliography , London 1962 .

Mayer , Bibliographie Zur Geschichte des Kreuzzüge . Hannover 1960.

إن الرؤية الموضوعية تدعونا إلى تصور : أن ذلك الإمبراطور البيزنطي أطلق تلك الشعارات كتعويض من الدعاية السياسية؛ من أجل إثارة الجماهير وليضمن تأييدها لتوسعاته العسكرية . ولم تحتوي الشعارات الدينية على أي «مشروع» يوصف بأنه مشروع صليبي متكامل على شاكلة ما ظهر في الغرب الأوروبي في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي فيما بعد .

ثالثاً : لم يكن نجاح نفقور فوكاس في كافة الأحداث السابقة نوعاً من الإنتصارات البيزنطية «المبارقة» التي تعبر عن قدرة بارزة على تغيير الواقع الجيوبولوتيكي في بلاد الشام . فالملاحظ أن بقاءه في تلك المناطق لم يستمر طويلاً بالنسبة للإمبراطورية ، والعبرة في التاريخ عموماً ليس بالاستيلاء على المواقع بل البقاء فيها لأمد طويل وكذلك تقديم رسالة حضارية لأبناء تلك المواقع وهو أمر يتفق تماماً في حالة الإمبراطور المغامر المذكور .

رابعاً : كان ضعف المسلمين في العصر العباسي الثاني له دوره البارز في نجاح أعدائهم التاريخيين البيزنطيين في تحقيق تلك الانتصارات خاصة . أن العلاقات بين الطرفين كانت لصالح المسلمين بصورة تامة منذ ثلاثة قرون مضت .

وعليه ألا نتبع كل ما ورد في المصادر البيزنطية المعاصرة بشأن توسعات نفقور فوكاس إذ أنها تعاملت مع تلك الأحداث بنوع سافر من الدعاية الدينية والسياسة ، وطابع المبالغة بصفة

= Mayer, Literaturbericht über die Geschichte der Kreuzzüge: Veröffentlicht ungem 1958 - 1967 . Historische Zeitschrift 3 1969 . pp. 641-731 . Mayer and McEllean . Select Bibliography of the Crusades . in Setton (ed.) A History of the Crusades . vol VI . Wisconsin 1989

نسططين زريق . «ما ساهم به المؤرخون العرب في القارة للآخرة في دراسة التاريخ العربي عن فترة الحروب الصليبية» مجلة الأبحاث الجامعة الأمريكية ببيروت لسنة (٢٠٠٦) ج٢ ، يونيو ١٩٨٩م . وهو مؤرخ ورائد بعد أول من كتب في «بيبلوجرافيا الحروب الصليبية» . محمد مؤنس عوض ، «بيبلوجرافيا الحروب الصليبية - المرحع العربية والمغربية» . نقلة التاريخ الإسلامي والوسط . م (٣) عام ١٩٨٥م . ص٣٩٤-٤٣٣ . فصول بسلوخرافية في تاريخ الحروب الصليبية . ط . للقاهرة ١٩٩٩م . ويوجد القارئ آلاف العناوين عن الحروب الصليبية قدر الجهد المتواضع

عامة، على الرغم من أن الأمر كان أيسر من ذلك ؛ فالفراغ السياسي الذي عانت منه المنطقة مهمد لذلك الإمبراطور النجاح ، وبعبارة أخرى ساعد المسلمون بضعفهم ذلك الإمبراطور - دون أن يشعروا على الانتصار البيزنطي !.

خامساً لا تغفل أن من الباحثين الغربيين من إعتبر عهد الأسرة المقدونية بمثابة العصر الذهبي في تاريخ الدولة البيزنطية ، وكان من أسباب تلك التسمية لديهم؛ إلى جانب التفوق في المجالات الحضارية المتعددة النجاحات العسكرية التي بالقوا بشأنه من جانب تغفور فركاس - ومن بعده يوحنا ترميسكس - ومن الممكن تقديم ملاحظة أساسية هنا وهي أن أباطرة العصر الذهبي The Golden Age المذكور أباطرة غلبت عليهم الروح العسكرية المتعصبة ، وصعدوا مجدهم الحربي على جماجم آلاف القتلى.

مهما يكن من أمر؛ تولى بعد تغفور فركاس الإمبراطور يوحنا ترميسكس (٩٦٩-٩٧٦م) وملاحظ هنا : تكرار المشهد الرئيسى في القصر الامبراطوري على نحو أكثر حصة ، إذ أن تغفور كان قد تزوج من ثيوفانا Theophano<sup>١١</sup> ، وقد تأمرت الأخيرة على زوجها للإرباط بعشيقها ليو حنا ترميسكس، وبالفعل تم تدبير مؤامرة أعدتها الزوجة الخائنة، وذبح تغفور عام ٩٦٩م في غرفة نومها !

١ - الإمبراطورة ثيوفانو Theophano، زوجة رومانوس الثاني ثم تغفور فركاس . ومن بعده حان ترميسكس وسعت بالجمال ، والظهور، والدها .. وهناك من يقرر أنه عرف عنها التحلل الخلقى، ولقد نكت جمالها الإمبراطور رومانوس الثاني الذي عرف عنه ضعف الشخصية فأتخفها زوجة، ومن بعده تزوجها تغفور ، وقبل أنها لم تكن ترغب في الزواج منه، وتقرر المؤرقة القديرة، أ. د. عليه الجنزوري؛ أن زواجها من تغفور آثار دحشة المفاصمين ؛ نظراً لما عرف عنه من زهد - كما رده السيزنطيون - خاصة ما عرف عنها من أعلان متعذرة، وقد سجل نقش على قبره يقول: إن ذلك الإمبراطور تمكن من هزيمة كل شيء إلا المرأة ، وعلى ابنه حال لم يستمر ذلك الزواج إذ تأمرت ثيوفانو مع عشيقها يوحنا ترميسكس لقتل زوجها، عنها أنظر

Nicol, A Biographical dictionary, p. 127-128 .

Vasilev, History of The Byzantine Empire, p. 302, p. 335 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 251, p. 260 .

عليه الجنزوري ، المرأة في الحضارة البيزنطية، ص ١٩٦-١٩٧، محمود سعيد عمران؛ معالم تاريخ

الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٩

وهكذا : يتأكد لنا أن شهرة السلطنة ، والرغبة في المجد السياسي ، دفعت الكثيرين إلى الوصول إلى المنصب الإمبراطوري بالدعما ، والحيلة ، وتلك صفة لا يمكن أن ينكرها مزور منصب تعامل مع ذلك المنصب الذي أغرى الكثيرين بالتجرد من المشاعر الإنسانية من أجل السعي إليه ، وذلك قلعت لنا بيزنطة صورا بالغة السوء في المجال المذكور

على أية حال : ليس هناك في عهد يوحنا ترميسكس من أحداث جديرة بالتسجيل إلا صراعه مع المسلمين ، ويلاحظ أنه - من جهة أخرى - دخل في صراع مع الروس حققت فيها بيزنطة نجاحاً<sup>(١)</sup> مع ملاحظة أن حسم الأمر سيكون لبيزنطة في علاقتها مع الروس من خلال التنصير وليس القوة العسكرية فيما بعد .

أما العلاقات مع المسلمين : فيلاحظ أن عهد يوحنا ترميسكس (المعروف في المصادر العربية باسم ابن شقيق<sup>(٢)</sup>) بعد إمتداداً واحداً لعهد سلقه تقفور فوكاس ، وقد أعزاه ضعف الخلافة لعباية ، وظهور القاطسين الشيعة والصراع القائم بين التوتين المتنافستين سياسياً ومنهجياً - أغرله ذلك على التوسع على حساب المسلمين وقد هدف - فيما هدف - إلى إعادة الأملاك التي كانت للإمبراطورية البيزنطية منذ ثلاثة قرون خلت ، كذلك يتكررين مجد عسكري بارز يدعم وضعته السياسية داخل ربوع الإمبراطورية البيزنطية ، ولا تغفل ، ورغبته في إكمال النشاط العسكري الذي قام به سلفه<sup>(٣)</sup> .

كذلك لا تغفل الأهمية الاقتصادية - خاصة التجارية - لمنطقة شمالي بلاد الشام ولا رتاب في أنها أغرته في التقدم بقراته إليها<sup>(٤)</sup> .

١ - عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٨ - ص ١٦٩

٢ - نظر على سبيل المثال ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٢٦

٣ - ومع ذلك - فمما يخالف الحقيقة التاريخية ما تصوره أ . د . أحمد مختار العبادي حيث ذكر أن غارات ذلك الإمبراطور البيزنطي وصلت إلى أرياض بيت المقدس وبغداد ، وقال ما نصه : « يوحنا الأول الشبسن (تريميسكس) الذي بلغت غاراته أرياض بيت المقدس وبغداد » ولا يرجد في المصادر التاريخية ما يوكده مثل ذلك التصور الخاطئ فيه تماماً ، أنظر إشارة

أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والقاطسي ، ط بيروت ب - ت ، ص ٢٢٩ ، ص ٩ ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، ط بيروت ب - ت ، ص ٩٠

٤ - من الأحذية التجارية لتلك المنطقة أنظر : شيخ الزيرة ، نغمة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مبرور ، ط بطرسبرج ١٨٨٣م ، ص ٢٢ ، الفزى ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط حلب ١٩٤٢ ، ج ١ ، ص ١٤٤ ، هاب ، تاريخ التجارة ، ص ١٨٠ ، أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٧١

وقد تمكن الإمبراطور البيزنطي المذكور من الإستيلاء على حمص ، وكذلك على حلب ، وفرض على دمشق ؛ ضرورة أن تدفع له فدية مالية ، وتعرف عنه قيامه بعدة حملات على إقليم الجزيرة في شمالي العراق ليمسك السيادة البيزنطية هناك وتستولي خلال ذلك على آمد ، وميافارقين ، ونصيبين ؛ وذلك عام ٩٧٤م<sup>(١)</sup>.

ومن المهم هنا ملاحظة : عقد حلفاً دفاعياً مع الملك آشوت الثالث الأرمني Ashot III ، الذي حكم خلال الرحلة الممتدة بين عامي ٩٥٢ ، ٩٧٧م<sup>(٢)</sup> ليواصل أعماله الحربية في إقليم الجزيرة بعد العودة إلى بيزنطة غير أن الحليف الأرمني باء مسعاه بالفشل المبين .

على أية حال ؛ حرص المؤرخون الأوروبيون على التركيز على البعد الديني في حملات يوحنا تريميسكس<sup>(٣)</sup> وأبرزوا رغبته في تحرير القدس من السيادة الإسلامية ، وبذلك ؛ خلطوا بين القدرة الفعلية على تحقيق ذلك والبقاء باستمرار هناك ، وبين عنصر الدعاية السياسية الذي تبغض به المصادر التاريخية البيزنطية ولا ريب في أن نوعية مثل ذلك الإمبراطور استهوت الكثيرين منهم لأسباب لا تخفى على أحد.

١- يجدر الإشارة إلى أن العلماء والفقهاء لم يترددوا في إثارة الحاسي للجهاد ضد البيزنطيين حينذاك . ويذكر في هذا الشأن : ابن نباتة (ت ٩٨٥م) ، وهو أبي يحيى عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارسي من أهل ميافارقين وقد التقى في حلب بالتمني في خدمة سيف الدولة ، وارتبط بالخطب الحساسة وقد أحدثت أثر كبيراً في نفوس معاصريه ، عنه أنظر ، ديوان ابن نباتة ، ط . بيروت ١٣١١هـ

الذهبي ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، عبد اللطيف حصره ، أدب المغرب الصليبية ، ط القاهرة ١٩٤٩م ، ص ٢١٤ ، آدم منتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تـ عبد الهادي أبي ردة ، ط القاهرة ١٩٥٧م ، ج ٢ ، ص ٩٤ . عمر كمال توفيق ، مقدمات "عهدوا الصليبي" ص ١٧٢ . محمد مزس عومي ، عصر المغرب الصليبية بحوث ومقالات ، ط القاهرة ٢٠٠٦م ، ص ٦١ ، حاشية ( ١٤٠ )

Hillenbrand , The Crusades, Islamic Perspectives, Illinois 1999, p. 101 .

وهي دراسة مثارة غير أنها رؤية أوروبية على أية حال

٢- محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠٥ . طارق منصور ، بيزنطة والعالم الخارجي ، ج ١ ، البيزنطيون والعالم الإسلامي ، ط القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٢١٩ ، ص ٢٢٢

٣- من أمثلة ذلك المؤرخ ، أنظر مقالته

Walker , " The Crusade of John Trismes in The Light of New Arabic Evidence" B , vol XLVII, 1477, pp. 301-327

ومرة أخرى : من المهم الإقرار بأن العبرة في التاريخ بالبقاء في المواقع التي تم السيطرة عليها : وهو أمر لم يحدث في القامرات العسكرية لذلك الإمبراطور البيزنطي التي إتمست بالنصر وعدم الاستمرارية .

على أية حال : توفي يوحنا تيمسكس المذكور عام ٩٧٦م : ليشو من بعده أحد أشهر أباطرة الدولة البيزنطية ألا وهو بيسل الثاني ٩٧٦-١٠٢٥م<sup>(١)</sup>.

حذر بالإشارة : أن أغلب المؤرخين الأوروبيين الذين تخصصوا في حق الدراسات البيزنطية راهنا على أعمال ذلك الإمبراطور التي وصفوه بأنه آخر الأباطرة البيزنطيين الكبار ، واعتبروا وفاته عام ١٠٢٥م ، بمثابة نهاية العصر الذهبي للأسرة المقدونية<sup>(٢)</sup> ، وبالتالي علينا تسلط الضوء على أعماله والحكم عليها بموضوعية .

١- بيسل الثاني : إمبراطور بيزنطي حكم خلال المرحلة بين عامي ٩٧٦ ، ١٠٢٥م وبعد من أبرز الأباطرة في عهد الأسرة المقدونية . وقد تولى في العام الأخير عن عمر بلغ الثمان والستين عامًا ويلاحظ أنه لم يتزوج ، عه أنظر :

Pselus , *Fourteen Byzantine Rulers , The Chronographia* , pp. 27-49 .

Gibbon , *The History of the decline and Fall* , vol . III , p. 1939- 1942 Nicol , A Biographical dictionary , pp. 17-18 .

Farag , *Byzantium and its Muslim Neighbours during The Reign of Basil II* , 96-1025 , ph D., University of Birmingham 1979 .

تعد أفضل دراسة بالإنجليزية كتبها مؤرخ عربي بارز في مجال الدراسات البيزنطية صاحب مكانة دولية مرموقة ، انظر : وسام عبد العزيز فرج ، «الإمبراطور بيسل الثاني سفاح القناري» (٩٧٦-١٠٢٥م) ، الصراويل التي أثرت على السيرة في عصره ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسط ، م (١١) ، عام ١٩٨٢م ، ص ١٦٩-٢٠٠ . وهي أفضل دراسة عربية مركزة عن ذلك الإمبراطور .

وسام عبد العزيز فرج - «قوانين الملكية الزراعية في الامبراطورية البيزنطية في القرن العاشر الميلادي دراسة تحليلية» ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسط ، م (٢١) ، ط١ القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٢٢٨-٢٢٩ ، والبحث الأخير من أمسح ما كتب هذا المؤرخ تدعى تفين له الدراسات البيزنطية في مصر والكثير

أنظر عنه أيضًا : عمر كمال توفيق - تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٦٩ - ١٧٨ ، أسد وسم ، الروم ، ج ٢ ، ص ٤٩-٦٠ ، حنين ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٨-١٦٠ ، است غيم ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٣

يلاحظ أن أبرز ما قام به باسل الثاني بموضوعية يمكن ملاحظته على النحر الآتي:  
أولاً: تنصير الروس.

ثانياً: العلاقات مع الفاطميين في مصر والشام.

ثالثاً: الصراع مع البلغار والتشكل القاسي بهم.

جدير بالإشارة: أن الإمبراطورية دخلت في صراع مرير مع الروس. وقد لاحظنا كيف أنهم هاجموا من قبل عام ٨٦٠م العاصمة البيزنطية وأعملوا فيها التخريب والقتل؛ على نحر أبرزته المصادر التاريخية، ولكن فيما بعد تحسنت العلاقات بين الطرفين وأخذت بهذا سبباً وديناً آخر في عهد باسل الثاني.

لانغل: أن العرش البيزنطي تعرض لمحنة كبيرة في عهد باسل الثاني، وإذا أنه لم يرق في صراعه الميكرو مع البلغار، وثار ضده اثنان من القيادات البيزنطية في صورة برداس فركاس Bordas Phocas، وبرداس سكليروس Bordas Skleros، وأعلن الأخير نفسه إمبراطوراً خاصة أنه كان يمت بصلة القرابة لتقفور فوكاس؛ إذ كان عمّاً له. وقد حدث انعاز بين الفئتين على أساس أن ينال برداس فركاس القسم الأوروبي من الإمبراطورية بما فيه العاصمة، ويحصل برداس سكليروس على القسم الآسيوي. غير أن الخلاف دب بينهما، وألقى برداس فوكاس القبض على منافسه وصار مطالبا بالعرش الإمبراطوري<sup>١١</sup> وتلزم الوضع العسكري للإمبراطور باسل الثاني وبحث عن حليف في تلك الظروف العصيبة فتمثل في

١- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢١٧. أنظر أيضاً طاون منصور، الروس والمذبح الدولي ٩٤٥ - ١٠٥٤ م، ص ٩٥.

وعن العلاقات بين الروس والإمبراطورية البيزنطية في عهد الأسرة المقدونية بصفة عامة أنظر هذه الدراسة المتصلة والعصيفة عليه الجزيري، العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الأسرة المقدونية، ط القاهرة ١٩٨٩م.

وهي أفضل دراسة بالعربية في موضوعها، وتنازل بالتفصيل والعمق من مؤرخة قديمة في حقلي الدراسات البيزنطية والصليبية.

٢ Obolensky, The Byzantine commonwealth Eastern Europe 500-1453. Washington 1971, p. 255

الأمير الروسي فلاديمير <sup>(١١)</sup> Vladimir (٩٨٠-١٠١٥ م) - فيما بعد القديس فلاديمير - وبالفعل أرسل له فرقة عسكرية من ٦ آلاف مقاتل لدعم الإمبراطور الشرعي على نحو أدى إلى هزيمة برداس فوكاس عام ٩٨٩م في معركة أبيدوس <sup>(١٢)</sup> Abydos وفي مقابل ذلك : قدم الإمبراطور باسل الثاني وعفاً بالغ القسيمة للأمير الروسي بأن يزوجه من أخته الأميرة : أنا Anna شريطة أن يعتنق المسيحية <sup>(١٣)</sup> . وكذلك يفرضها على شعبه .

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society, p.

= أيضاً

517

Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 332, 347

Ostrogorsky, History of the Byzantine State , p. 269 .

١- ملاديمير أو القديس فلاديمير St. Vladimir : هو فلاديمير الأول بن سفياتوسلاف . ولد عام ٩٥٥م . وتولى إمارة كييف عام ٩٨٠م تقريباً . وفي عام ٩٨٩م : صار أميراً على نوفغورد Novgorod وذلك بمساعدة حاله دوبرينيا . وقد أقام خطاً دفاعياً لمواجهة قبائل الـجيتاك على نهر دنيبا . وسولويو . وغيرهما . وهناك من يقرر أن عهد فلاديمير شهد نهوضاً للدولة كييف . وارتبط بتقوية الحكم في الداخل . وحملات خارجية للفوز . على أية حال : توفي فلاديمير عام ١٠١٥م وتم منحه لقب قديس . عنه أنظر :

Pselus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia , p. 201 . Atwater , Penguin Dictionary of Saints , London 1977, p. 338-339 .

مجهول . قصة حملة الأمير أليغور . من خميس فرج . ط . موسكو ١٩٨٩م . ص ١٤٧ . وهو مصدر روسي

٢٤٨

ول دوبرينيا قصة الحظيرة . ج ١٤ . ط . معهد بدران . ط . القاهرة ١٩٧٥م . ص ١٩٩

Obolensky The Byzantium Commonwealth, p. 255

٢- عن اعتناق فلاديمير للمسيحية انظر :

Mcysendorff and paynes, " The Byzantine inheritance in Russia", in Paynes and Moss, Byzantium , An Introduction to East Roman civilization , Oxford 1932 , p. 371- 372 . Rybarov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51. Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

Ryharov, Early Centuries of Russian History , Moscow 1965 , p. 51. Browning, The Byzantine Empire, New York 1980, p. 90 .

على أمة حال : بعد زوال الخطر : ماطل الامبراطور في تنفيذ الاتفاق، وأمام ذلك الموقف البيزنطي قام فلاديس كروج من الضغط العسكري، والسياسي بالاستيلاء على ميناء حرسون Cherson<sup>١١</sup> الاستراتيجية والمجرى على البحر الأسود . وفيما بعد : وافق الإمبراطور على أمر المصاهرة مع الروس . في واحدة من أهم أحداث الزواج السياسي Polulcal Marriage في شرق أوروبا في العصور الوسطى .

من ناحية أخرى : عمل باسل الثاني على تزويج إحدى قريباته وهي ماريا أرجيروبولينا Maria Argyropoulaina من ابن دوق البندقية عام ١٠٠٤م، كما أنه تزوج ابنة أخته روى Zoc إلى أوتو الثالث ملك ألمانيا<sup>١٢</sup>.

جدير بالذكر : أن أمر الزيجات السياسية استمرت من بعد ذلك بين الروس والامبراطورية البيزنطية، ولا أدل على ذلك: من أن فريغولد ابن باروسلاف قد تزوج من ماريا ابنة الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤م) وذلك في عام ١٠٤٦م ومن بعد ذلك : نجد أن دوق روسيا إيفان الثالث فاسيليفتش Ivan III Vasi- levich (١٤٦٢-١٥٠٥م) تزوج من صوفي باليولوغوس Sophie Palaeologue ابنة شقيق قسطنطين الحادي عشر Constantine XI (١٤٥٢-١٤٦٨م)<sup>١٣</sup>. على نحو أكد أن زواج

= Bréhier, Vie et Mort de Byzance, Paris 1946, p. 222, 2000, p. 34. Ziegler, History of Russia, London 1999, p. 12.

لبنى عبد الجواد . تاريخ الروس من خلال المصادر العربية . ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص ٥٤ . بريس رواستباخ . تعميد كييف . مجلة رسالة البونسكو . العدد التذكاري بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كييف، رقم (٣٢٥) يونيو ١٩٨٨م، ص ٤-٨، معهد مؤنس عوض. الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، ص ٢٨

كوبستوف دوسون، تكوين أوروبا ، ت. مصطفى زيادة وسعيد عاشور. ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص ٢١٦

١- عنها Constantine Porphyrogenitus, De Administrando imperio, p. 259

٢- Nicol, A Biographical dictionary, p. 18.

٣- عن ذلك أنظر : عليه الجنتوري . العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الأسرة المقدونية ٨١٧-١٠٥٦م، ص ١٧٥، فيير نجيب اسكندر. مصر في كتابات المهجاج الروس في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص ٥-٦

فلاديمير من آنا شقيقة بإسك الثاني كان مقدمة لحالات أخرى من الزواج السياسي بين الجانبين والملاحظ أن تحول روسيا إلى النصرانية : قد تم بصورة تدريجية فقد بدأ بالفتنات العليا من المجتمع الروسى، ثم انتشر ببطء بين العناصر الأدنى، ولا يفهم من ذلك أن العناصر الرثية لم تظهر مقاومة؛ إذ لاقت بالفرار إلى الأدغال ، والغابات<sup>(١)</sup>، وظلت أشكال الوثنية قائمة لعدة قرون نالية ، ولكن من خلال الكنائس والأديرة صارت روسيا تحتل مكانها ضمن المراكز الروحية المسيحية في ذلك العصر<sup>(٢)</sup>.

على أية حال؛ لتحويل روسيا إلى المسيحية : تم بناء العديد من الكنائس في كافة أنحاء البلاد في عهد فلاديمير . وقد قرر أن يتم إقامة الكنائس في ذات الأماكن التي شهدت من قبل تشييد المعابد الوثنية، كذلك تم تشييد الأديرة ليس فقط في كييف Kiev بل حتى في مناطق الغابات دعماً للدين الجديدة . وليتوحد الرهبان مع الطبيعة - كما يتصورون- كذلك أنبثت في عهده- المدارس التي حرصت الفئات العليا على إغناء أبنائها فيها، ومثلت الأساس الذي قامت عليه المدارس الكنسية التي هدفت إلى تخريج عناصر تعمل بالسلوك الكنسى فيما بعد<sup>(٣)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ تطور الأمر من بعد ذلك على نحو جعل الروس يحججون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين وسجلون خواطر رحلاتهم إلى هناك كجزء من أدب الحج الأوروبى في العصور الوسطى، ومن أمثلتهم في القرن الثانى عشر؛ Daniel دانيال<sup>(٤)</sup>.

١- Parus, A History of Russia, London 1962, p. 52 .

٢- Harcave, Russia, A History, London, Russia, A History, London 1954, p. 14 .

٣- لاحظ أنه فيما بعد؛ عمل الروس على نشر المسيحية عبر سيبيريا إلى الاسكا عن ذلك أنظر حسين ربح . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية. ص١٦٦

٤- Wren, A course of Russian History, New York 1958, p. 52 .

٤- أنظر رحلته

Daniel, Pilgrimage of The Russian Abbot Danic in The Holy Land, Trans. by Wilson . P.P TS., vol . IV , London 1895 .

والترجمة العربية التي قام بها سعيد البشايوى :

دانيال الروسى، رحلة الحاج الروسى دانيال الرهبان في الأراضي المقدسة، سعيد البشايوى، ط١. عمان ١٩٩٢م، وعن ذلك الرحالة ورجلته أنظر

والأميرة أيوفروزين Euphrosine<sup>(١١)</sup>، وغيرها

ولانواع . في أن الروس كانوا بمثابة الميدان البكر لبيزنطة في سياستها التصيرية بهذا. وما حققته هناك مثل إقتصار بارزاً على كنيستها المنافسة لها : روما، ومن الممكن القول- دون مبالغة أن بيزنطة في عهد بلسل الثاني الثاني توسعت جغرافياً خارج حدودها ولم يكن ذلك عن طريق الجيوش ، ولكن بالتصير والتوسع العقائدي والثقافي.

بصفة عامة: نلاحظ أن الدبلوماسية البيزنطية<sup>(١٢)</sup> وضعت من بين أهدافها الكبرى : السعى إلى تنصير الشعوب المجاورة التي من الممكن أن تشكل خطراً داهماً على الامبراطورية، ولأربب؛ في أن خبراتها التاريخية في ذلك المجال كان لها دورها، فمس قبل لاحظنا أن عصر الإمبراطور جيتيان (٥٢٧-٥٦٥ م) : أي منذ القرن السادس الميلادي شهد نشاطاً تنصيرياً خلال الصراع مع الدولة الساسانية، ومنذ ذلك الحين امتد النشاط التنصيري، ويجد في القرن التاسع الميلادي إنجاءاً نحو تنصير مورافيا Moravia كما أسلفت الإشارة من قبل.

---

برغولبريسكي، «رحلة السائح الروسي دانيال الرابع في الأراضي المقدسة، في أول عهد الصليبيين»، مجلة المشرق - العدد (١٩) ، السنة (٢٤) عام ١٩٢٦م، ص٦٤٤-٦٤٩ ، نقلاً زيادة . رواد القرن العربي في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص٨٧-٨٣ . محمد مؤنس عوض. الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٧٣ - ص١٠٠

١- أنظر رحلتها Euphrosine, "Pilgrimage on Palestine", Trans. by De Khitrowo, R.O.L., T III Année 1895.

محمد مؤنس عوض . المرجع السابق، ص٦٤٤-٦٥٥

٢- عن الدبلوماسية البيزنطية أنظر:

Shepard and Franklin (eds.) Byzantine Diplomacy, Papers From The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Publication, N. I, Hampshire 2003.

ويحتوي الكتاب المذكور على ٢١ بحثاً عن الدبلوماسية البيزنطية، ومن أفضلها Haldon, "Blood and ink, Some Observations on Byzantine attitudes Towards Warfare and diplomacy, pp. 281-294 .

وأنظر أيضاً : رأفت عبد الحسيد، بيزنطة الدين والفكر والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٣-١٤١

حيث يخصص العالم الراحل فصلاً مستقلاً عن الدبلوماسية البيزنطية

جدير بالذكر ، مثل ذلك الجانب سياسة عامة للإمبراطورية البيزنطية لم تكن لتتغير بتغير الأباطرة . وقد أدركت أن من عناصر استمرارها ، ويقاها وسط عالم شديد الاضطراب والصراع نظراً لاختلاف الأمم ، والأعراق ، والأديان ، والمصالح والأهداف أن تتجه نحو التسبر . ولا تغفل وجود دوافع سياسية واقتصادية لا تنكر ، ولا تنكر أنه خلف القوة العسكرية وجدت التجارة والتسبير ، وحتى عندما كانت هناك العلاقات السلمية لم تتخلل بيزنطة عن التسبير لتحقيق مكاسب متعددة جنتها من ورائه .

وهكذا ، كان تسبير الروس نقطة تحول مهمة ومحورية في العلاقات البيزنطية الروسية: خاصة أنها حينذاك توافرت لديها خبرة خاصة بذلك المجال: فمع التغير الجديد لن يكون الروس بمثابة أعداء يهددون القسطنطينية مثلما حدث عام ٨٦٠م ، بل إنهم عندئذ صاروا ناهدين ديباً ، ومحبباً للإمبراطورية البيزنطية على نحو جعلهم بمثابة عمق استراتيجي بحسب له حساب لصالح تلك الإمبراطورية

يبقى أن نذكر هنا ، أن كافة الكيانات السياسية البارزة في العصور الوسطى سواء في العرب الأوروس ، أو في شرقي أوروبا وآسيا الصغرى كما في حالة بيزنطة ، وحتى في مملكة بيت المقدس اللاتينية Latin kingdom of Jerusalem في بلاد الشام فيما بعد على مدى القرنين ١٢ ، ١٣م<sup>١١</sup> وضعت نصب عينيها القيام بالتسبير: دعماً لوضعها السياسي ولتحقيق أهداف متعددة من خلال مظلة نشر المسيحية سواء كانت كاثوليكية تابعة لكنيسة روما أو أرثوذكسية تابعة لكنيسة القسطنطينية ، خاصة المكاسب الاقتصادية لأسباب التجارية.

وصفة عامة: مهما اختلفت التوجهات السياسية للكيانات السياسية في أوروبا العصور الوسطى فقد اتفقت في زاوية التسبير بصورة ملقطة للانتباه ، وحقيقة الأمر: أن التسبير كان الدافع الظاهري الذي استتورت من ورائه عدة دوافع أخرى اقتصادية وسياسية لا يمكن إنكارها وبعبارة أخرى: كان التسبير بمثابة الغطاء الذي وجدت من ورائه دوافع أخرى على جانب كبير من الأهمية والمخطورة.

١- عن التسبير في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م ، أنظر: أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حقي ، ط. بيروت ١٩٨١م ، ص ١٦٨ . ابن جبير ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م ، ص ٢٨١

Baldwin "Mission to the east in The Thirteenth and Fourteenth Centuries" in Sotom (ed.), A History of the Crusades, vol. V, Philadelphia 1985, pp. 432-518 .

Kedar , Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton 1988

وتبقى هنا زاوية أخيرة فيما يتصل بالعلاقات البيزنطية - الروسية في عهد باسل الثاني؛ فالملامح أن التأثير لم يكن بيزنطياً فقط مثلما قد يتبادر للأذهان ، بل أن الروس تركوا تأثيرهم هم أيضاً في الإمبراطورية البيزنطية لاسيما من الناحية العسكرية ، وكما لاحظ المؤرخ ديمتري أربولنسكي إذ أن العناصر التي أرسلها فلاديمير إلى القسطنطينية بعد أن أنهت من تأديتها مهنتها الحربية لصالح الإمبراطور الشرعي ظل عدد منهم في العاصمة البيزنطية ووجد منهم أعضاء في الحرس الفرنجي Varangian Guard؛ الذي مثل الحرس الشخصي للإمبراطور الذي تولى مهمة الدفاع عن القصر، وشارك في جيوش الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup>، وهكذا؛ فإن الكفاءة الحربية لتلك العناصر الروسية ضمنت لها دورها جنتاذاً وفيما بعد.

وفيما يتصل بالصراع بين بيزنطة والفاطميين في مصر والشام ؛ ملاحظ أن اعتماد نمرد الفاطميين من المغرب إلى مصر ، ثم بلاد الشام جعلهم في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية، وقد عاصر الإمبراطور باسل الثاني إثنين من الخلفاء الفاطميين هما: العزيز بالله (٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠١١م) .

وبصفة عامة ؛ اتجه العزيز بالله إلى أن تكون بلاد الشام خاضعة لسيطرته من خلال رغبته في نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي هناك، ولكن يكون مجاوراً للخلافة العباسية السنية العدو الرئيسي للفاطميين الشيعة. وقد إستظم مع الحمدانيين في حلب على نحو سعي بزيادة هجمات البيزنطيين هناك . واتجه الحمدانيون فيما بعد إلى مهادنة الفاطميين ، وبالفعل إتجه سعيد الدولة الحمداني (٩٩١-١٠١٠م) إلى الاعتراف بالنيحية للخليفة الفاطمي العزيز بالله

= وهي دراسة تعد أفضل ما كتب بالإنجليزية في موضوعها.

محمد مؤمن عويش ، الإسلام والسبحة بين الاعتناق والارتداد عصر الحروب الصليبية، ص ١١٧  
الحروب الصليبية السابعة - ثوب - المقيسة ، ط القاهرة ١ - ٢٠٠٧م، ص ٩١ - ١١٧

ويقوم حالياً الطالب اليمني النابه / محمد القمى بإعداد رسالة الدكتوراه عن نفس الموضوع من كلية الآداب - جامعة القاهرة

١ - وفي هذا المجال يقول ذلك المؤرخ ما نصه:

"These Russian mercenaries , Their mission completed continued to play a role in Byzantine history . Some of them at least remained in Constantinople and became members of the Varangian Guard, The Emperor's Personal bodyguard who defended the Palace and where Sometimes enrolled in the field armies of Byzantium"

(Oholensky , The Byzantine Commonwealth , p. 255-256 .

إنجد الخليفة المذكور إلى محاربة البيزنطية وأعد جيشاً كبيراً لذلك غير أن المنية لاحقت عام ٩٩٦م. فتولى من بعده الحاكم بأمر الله الذي واصل سياسة والده حبال البيزنطيين . وقد حدث في عام ٩٩٧: أي العام التالي مباشرة لتولية الحاكم السلطة. أن قامت في مدينة صرد حركة ترمز بقيادة بُخَار سُمِّيَ علاقته <sup>(١)</sup>، الذي أعلن استقلاله وقد قام باسل بتقديم العون له بكابة في الفاطميين، وقد أرسل إليه الحاكم بأمر الله جيشاً بقيادة ابن الصمصامة استطاع حصار صور Tyre- التي اشتهرت بمناعتها وحصانتها على مر عصور التاريخ<sup>(٢)</sup> - وحرصت برأ وبحراً وتم إلقاء القبض على ذلك المتمرّد وأرسل إلى مصر. وتابع الجيش الفاطمي تقدمه في بلاد الشام، من أجل محاربة البيزنطيين ، وبالفعل إصطدم بهم عند أنصامية، وتمكن من الانتصار عليهم . بل قتت مطاردتهم حتى أنطاكية.

عززت هزيمة الفاطميين للجيش البيزنطي باسل الثاني ليخرج على رأس قواته ليعبد هبة البيزنطيين وقام بالإغارة على المنطقة الممتدة من أنطاكية إلى بيروت<sup>(٣)</sup>، وهكذا إصطدم

١- عن الحاكم بأمر الله أنظر: القرطبي، إكمال الحقائق بأخبار الأئمة الفاطميين إغلقا. محقيق محمد حلي أحمد، ط. القاهرة- بيروت، ج ٧، ص ٢- ص ١٢٣

محمد عبد الله غنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٣٧م: عيد النعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدى عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م، عارف تامر، الموسوعة التاريخية للحملات، انطاكيين، الحاكم بأمر الله، ط. بيروت ١٩٨٠م، أحمد كامل محمود، الحاكم بأمر الله وعصره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

٢- عن ذلك أنظر: جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٢٧٣

٣- عن حصانة مدينة صور التي عرفت بها منذ عهد الاسكندر الأكبر أنظر: ابن حوقل، صورة لأرض، محمد دى جوه، ط. لبنان ١٩٩٧م، ص ١٧٤. ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٧-٢٧٨، ياقوت، المشترك وصفاً والمفتري صفاً، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٨٦، ابن بطوطة، الرحلة، ط. بيروت- بيروت ٧٥ م الحرب عشان، مدينة صور في القرنين ١٧، ١٢، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ٤، ص ٧، محسن محمد حسين، «مشولية صلاح الدين في فشل حصار صور»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م (٧)، العدد (٢٦١)، الكويت ١٩٨٧م، ص ٣٢

٤- عن حملات باسل الثاني على بلاد الشام أنظر

بالفاطمين في طرابلس في عام ٩٩٩م. إلا أنه خسر المعركة ، واضطر إلى رفع الحصار عنها ، وعاد أدراجه إلى أنطاكية.

على أية حال : ظهر اتجاه لدى الفاطميين يدعو إلى تجنب اتساع الصدام مع بيزنطة ، بل والدخول معها في علاقات سلمية يستفيد منها الطرفان. وهكذا : عقدت هدنة بين الجانبين عام ١٠٠١م مدتها عشر سنوات. وتعهدت بيزنطة من خلال باسل الثاني بتقديم الحبوب الذي تحتاجها مصر الفاطمية ، مع ملاحظة أن مرحلة الاهدنة لم تكتمل نظراً لعودة العلاقات للثوتر بينهما<sup>(١)</sup>.

أما الصراع مع البلغار<sup>(٢)</sup>؛ فقد حقق فيه ذلك الإمبراطور إيتصار بارزاً في آخر المطاف. ومنحه لقبه الديموي الذي اشتهر به ، وهو قصاب البلغار Bulgaroctonus. فقد حصل فيه المزرخون الأمر ، على نحو لا يدعو إلى تقديم المزيد من التفاصيل بشأنه ، ومع ذلك ، من الممكن تقديم أهم اللامع العامة عن الصراع البيزنطي- البلغاري حينذاك من خلال النقاط التالية.

أولاً : اعتبر القيصر صموئيل Samuel<sup>(٣)</sup> (٩٧٦-١٠١٤م) من أبرز القيادات البلغارية ،

= ابن نفري بردي ، التاجم الزاهرة ، ج٤ ، ص ١٢١ ، السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، ط. الاسكندرية ، ١٩٠١م ، ص ٥٦-٥٧ ، محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ، ومصر وبلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠١م ، ص ٢٤٨ ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج٢ ، ص ٢٤٥ ، عمر عبد السلام تدمري ، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بين الصليبين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦٩-١١٢٤م ، ط. طرابلس ١٩٩٤م ، ص ٣٧-٤٥

Vasiliev , History of the Byzantine Empire , p. 311

(Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 273

١- محمد سهيل طقوش ، التاريخ الإسلامي الوجيز ، ص ٢٩٧

٢- عن تفاصيل صراع باسل الثاني مع البلغار أنظر :

Gibbon, The History of the decline and fall , vol . III , p. 1939-1942

Ostrogorsky , Op. cit, p. 268 .

Stephenson, The Legend of Basil The Bulgar Slayer, Cambridge 2003, pp. 32-48 .

Ostrogorsky , p. 268 , note (1).

٣- عنه أنظر

حيث يناقش أصول ملكة صمويل واختلاف الباحثين بشأنها ، أيضاً : است غنيم ، تاريخ الإمبراطورية

البيزنطية ، ص ١٣٣

وبعد البعض من أكبر حكام ما عرف بالدولة البلغارية الأولى. وقد تمكن من إعادة تكوين بلغاريا ، وحرر مناطقها الواقعة على نهر الدانوب . بل نجح في غزو مقدونيا ، وتسالبا ، بل وصل به الأمر إلى أن وصل إلى شبه جزيرة البلقان . وقد ساعده على تحقيق مثل تلك الانتصارات الغير المسبوقة عدم استقرار الأوضاع للإمبراطور باسل الثاني في بدايات عهده ، بالإضافة إلى كفاءة قواته من الناحية العسكرية وخبرتها السابقة في مواجهة البيزنطيين .

ثانياً : تعرض الإمبراطور باسل الثاني للهزيمة من جانب الزعيم البلغاري عندما تمكن من مهاجمة قواته عند بحر تراجان أو ما عرف باسم Tragan's Gates في البلغار : وذلك في أغسطس عام ٩٨٦ م . ومن بعدها تمكن صمويل من مد حدوده من البحر الأسود إلى الأدريناتيكي<sup>(١)</sup> .

ومن المؤكد أنها كانت هزيمة كبيرة بكافة المقاييس. ومن المرجح أنها تركت أثراً نفسياً بالغا على الإمبراطور وولدت لديه رغبة قوية نحو الشار من البلغار . وقد تعاضت تلك الرغبة مع توالي الأعوام .

ويلاحظ أنه لم يتمكن من الرد عليها إلا بعد أن أنفق ثلاثة عقود تقريباً . حرص فيها على تكوين «قاعدة معلومات» وفيرة عن عدوه اللبؤ وكذلك إعداد جيش قوى على نحو يمكنه من الانتصار فى مواجهة ذلك العدو العتيق المتمد التقوى من نهر الدانوب شمالاً إلى البحر الأدريناتيكي، وبحر إيجه Aegean Sea جنوباً .

على أية حال ؛ أمام صمت المصادر ليس فى مقدور الباحث أن يبرز التفسير النعسى لسياسات ذلك الإمبراطور حيال عناصر البلغار . غير أن الأمر يظل فى دائرة الترجيح دون التأكيد التام . ولاتفعل ؛ أن المصاعب التى واجهته فى سنوات حكمه الأولى . وكذلك أحداث لشرد التى واجهها كل ذلك من المحتمل أنه ولد لديه نوعاً من الشراسة والعنف

ناتلاً : تمكن باسل الثاني من الرد على الهزيمة السابقة من خلال إنتصاره الحاسم فى بحر يسمى كيمبالونجو Kimbalongou فى يوليو عام ١٠١٤م<sup>(٢)</sup> . وقد نتج عن تلك المعركة

٢ - Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 275

حسب ربيع . دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية . ص ١٥٨ . عمر كمال توفيق- تاريخ الدولة البيزنطية . ص ١٧٠ . أسد رستم . الروم . ج ٢ . ص ٥٨

وقرع عدد كبير من البلغار بين قتيل، وأسير، ويقال أن الأسرى بلغوا ١٤,٠٠٠ أسير، وقد أظهر الإمبراطور - الذي حركته - على الأرجح - الهزيمة والرغبة في التنازل منذ ٢٨ عامًا - وحشية بالغة عندما قام بتسميل أعينهم، وجعل على رأس كل مائة رجل أسور يقردهم ومنطفي أنه هدف من وراء ذلك إشباع رغبته في الانتقام. ثم جعل أولئك الأسرى لابلصلون للحرب ضد بيزنطة في المستقبل وكذلك توجه ضربة نفسية موجّهة لعناصر البلغار ليجنبوا محاربة الإمبراطورية البيزنطية مرة أخرى. وقد أرسل أولئك الأسرى إلى القيصر المهروم صمرنيل ومن هنا: تولدت التسمية الشهيرة «قصاب البلغار» السالفة الذكر، ويلاحظ أن القيصر البلغاري التعيس؛ لم يلبث أن توفي بعد تلك الحادثة الشعة كمدًا وحسرة<sup>(١٦)</sup>

من الملاحظ أن المؤرخين الأوربيين الذين استهوتهم الأعمال الحربية، واعتبرا على ذلك الإمبراطور وتصورا أنه من أعظم الأباطرة البيزنطيين، وسار على مسيرتهم المؤرخون العرب مرددوا ذات العبارات، والأفكار دونًا معارضة تذكر، بل وصل الأمر إلى أن أورد أحد كبار المؤرخين العرب من دُرسوا عصر ذلك الإمبراطور عبارات تفيض بالاعجاب به<sup>(١٧)</sup>، وأتصور أن باسل الثاني كشف عن عنصرية قهر مسبقة في تعامله مع الأسرى البلغار؛ على نحو بندر أن يجد له نظيرًا في القرون الوسطى قاطبة، ومن الغريب؛ أن أولئك المؤرخين الغربيين، ومن أهدم من المؤرخين العرب لم يهاجموا ذلك الإمبراطور الذي قام بسلوك بومبي كشف عن طابع يميز في «السادية» أو حب تعذيب الآخرين، ولا يستطيع المؤرخ النصف إلا الإقرار بما في ملكه من عنف ووحشية غير مسبوقة.

Gibbon, The History of the decline Fall, vol. III, p. 1942

-١-

Stephenson, Byzantium's Balkan Frontier, A Political Study of the Northern Balkan, p. 72

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930, p. 240.

Crampton, A concise History of Bulgaria, Cambridge 1997, pp. 21-22

٢- رسام عبد العزيز فرج، «الإمبراطور باسل الثاني (سفاح البلغار ٩٦٧-٩٦٨) يقول ما نصه «والجدير بالذكر أن الإمبراطور باسل الثاني لقترب بحكمه - أكثر من كل أباطرة بيزنطة - إلى تحقيق المثل الإمبراطوري الأعلى، والتمثل في سر لامتثال له، وسلطان بلا حدود، فقد كان القائد لجيشه، ورأس الإدارة المدنية والكنسية على حد سواء، وبفضل نشاطه حققت الإمبراطورية امتدادًا إقليميًا وإزدهارًا اقتصاديًا لم يتحقق من قبل ولا من بعده»، أنظر: «الامبراطور باسل الثاني (سفاح البلغار ٩٦٧-٩٦٨)»، ص ١٦٩

لقد أكد ذلك الموقف على حقيقة محورية، وهي أن العنف والقسوة، والتكثيف بالحصر، والتأمر بصوره المتعددة؛ جزء رئيسي في التاريخ البيزنطي لا يمكن إنكاره، وإن اختلفت أساء وأشكال الأباطرة وكذلك الضحايا.

ومن المهم هنا عقد مقارنة عامة بين توسعات ذلك الإمبراطور البيزنطي، ومعاملته للأسرى البلغار، ومعاملة المسلمين في العصور الوسطى لأسراهم وقد أثبتوا - بما لا يدع مجالاً للشك - مخزئهم، ولم يرد في المصادر التاريخية، مثل تلك العمليات البشعة من التعذيب الجماعي مثلما حدث مع الأسرى البلغار.

هكذا؛ خسرت الإمبراطورية على المستوى الإنساني بذلك الصلوك، على الرغم من أنها ربحت على الصعيد المربي والسباسي؛ إذ تمكنت من القضاء على المملكة البلغارية الأولى عام ١٠١٨م<sup>(١)</sup> - بعد أن تمكن باسل الثاني من دخول أوخريدا Ochrida عاصمتها - التي ناصبتها العداء زمناً طويلاً، وذلك امتدت وقعتها من نهر الدانوب إلى البحر الأدرياتيكي، وصولاً إلى جنوب شبه جزيرة البليوتيز.

مهما يكن من أمر؛ توفي باسل الثاني عام ١٠٢٥م بعد تاريخ عامر بالأحداث السياسية والحربية الخضبة بالدعاء والتعذيب.

١- درسها بالتفصيل رنسيمان في دراسته التالية

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, London 1930

وعن المملكة البلغارية الأولى انظر أيضاً

هانى عبد الهادي البشير - علاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى ٦٨١ - ٨١٠م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٣م.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 112-114, p. 226-227, p. 231-236.

Ibid, p. 358-360.

وفي المرحلة الثانية انظر:

وانظر عن دخول باسل الثاني العاصمة البلغارية، إلى عبد الجواد، «أشواق جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطي ١٠١٨-١٠٩٧م»، مجلة المشرق المصري، العدد (١٤)، يناير ١٩٩٦م.

يبقى أن نذكر عن الإمبراطور باسل الثاني حرصه على تعجيم دور كبار الملاك الأثرياء في الأقاليم؛ وهم الذين أطلق عليهم تعبير *Dynasti*، وفي هذا الصدد: يقرر مؤرخ بارز بارز للتاريخ البيزنطي أن استقرار المجتمع البيزنطي اعتمد على جماعات الفلاحين الأحرار في صورة صغار المزارعين؛ وهم الذين تعاملوا بصورة مباشرة مع الحكومة المركزية، وقد اعتمدت قوة بيزنطة العسكرية، والمالية عليهم خاصة أنهم دفعوا الضرائب للحكومة المركزية بالتضامن، كذلك أدوا الخدمة العسكرية من خلال خدمتهم في الشيحات للدفاع عن أقاليم الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١١)</sup>. غير أنه في القرن العاشر الميلادي تعرضت طبقة صغار المزارعين لقطع الأثرياء، مما دفع الأباطرة البيزنطيين إلى القيام بدورهم من أجل حمايتهم. وهناك ثلاثة عوامل أدت إلى تعرض الطبقة المذكورة لذلك الموقف في صورة سياسة التوسع العسكري صوب الشرق وقد صاحبه توجه الأثرياء إلى شراء المزيد من الأراضي<sup>(١٢)</sup>. ثم هناك المصاعبة التي لحقت بالإمبراطورية البيزنطية عامي ٩٢٧م، ٩٢٨م، حيث ارتفعت نسبة الرقبات، كذلك انجبه فقراء الفلاحين إلى بيع أراضيهم للأثرياء واشتراها الأخيرون بأسعار زهيدة<sup>(١٣)</sup>. أما العصر الثالث فيتمثل في سياسة الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦-٩١١م) التشريعية التي كانت في صالح الأثرياء<sup>(١٤)</sup>.

أما بالنسبة لباسل الثاني؛ فقد انجبه إلى تعجيم دور الطبقة العليا التي تأمر عليه من قبل، وهكذا؛ وجدناه في أعوام ٩٨٨م، ٩٩٦م؛ سعى إلى تحقيق ذلك الهدف، وجدير بالذكر في أوائل القرن الحادي عشر أصدر مرسوماً قرر فيه أن الأغنياء عليهم وحدهم تحمل المسئولية

١- وسام عبد العزيز فرج . قوانين الملكية الزراعية في الإمبراطورية البيزنطية، ص ١-٢

وبلاحظ أن نفس المقالة المذكورة؛ أصدرها المؤلف ضمن كتابه: بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط ٢، القاهرة ٢٠٠٠م، ولكن تحت عنوان تضمنات الملكية الزراعية في الدولة البيزنطية في القرن العاشر الميلادي، ص ٤٥-٧٦

٢- وسام عبد العزيز فرج، المرجع السابق، ص ٣-٢. ويقرر دونالد نيكول ما نصه: «عمل على تعجيم الأرستقراطية من ملاك الأراضي وقروض حماية على صغار الفلاحين الذين كانوا عتصراً حيوياً للغاية بالنسبة لوجود الجيش» أنظر، Nicol A Biographical dictionary, p. 18.

٣- وسام عبد العزيز فرج . قوانين الملكية الزراعية . ص ١-٢

٤- نفسه . ص ٢٠٥

الجماعية نحو دفع الضرائب التي يتم تقديرها في كل منطقة من المناطق<sup>(١١)</sup>، وتم إعفاء الفقراء من دفعها في المستقبل. وإن لاحظ البعض أن التنفيذ الفعلي لذلك لم يتم واقعياً حيث حدث توافق بين كبار الملاك، والقضاء وحياة الضرائب؛ لعدم تنفيذ إنجاء ذلك الإمبراطور<sup>(١٢)</sup>.

وراء الأمر؛ يذكر لياسل الثاني حرصه على تحقيق قوة تلك العناصر للحفاظ على مكاسب الامبراطورية البيزنطية حيثذاك من خطر كبار الملاك الأثرياء.

بصفة عامة؛ تعد المرحلة الواقعة بين عامي ١٠٧٥ - م ١٠٥٧؛ مرحلة قلقة على المستوى السياسي. ولاروب؛ أن وحيل باسل الثاني عن الساحة البيزنطية قد ترك فراغاً حساباً لا يمكن إنكاره بغض النظر عن أوجه النقد التي سبق إيرادها من قبل

بصفة عامة؛ ومن بين عدد من الأباطرة الذين خلفوه؛ من الممكن إتخاذ الإمبراطور قسطنطين التاسع<sup>(١٣)</sup> مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢-١٠٥٤ م) كأحد أهم الأباطرة في مرحلة ما بعد باسل الثاني.

١- وسام عبد العزيز فوج . قوانين الملكية الزراعية . ص٢٢٢

٢- نفسه، ص٢٢٤

٣- قسطنطين التاسع مونوماخوس تولى العرش البيزنطي كنتيجة لزوجته من زوى عام ١٠٤٢. ويقرر دوماك نيكول عنه أنه عرف عنه الإسراف في اللهو وشاركتته زوى ذات الأمر على نحو أدى إلى الإطلاس والمجاز الأصرار بالحرقنة الإمبراطورية . وقد توفي في يناير عام ١٠٥٥ م. عنه أنظر:

Pcellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 365-360.

Hussey, The Byzantine World, p. 47. p. 48.

Norwich, A Short History of Byzantium, p. 226-228. p. 230-232. Nicol, A Biographical

dictionary, p. 28. Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 315, p. 355.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 294-298.

Dichl History of the Byzantine Empire, p. 76. p. 97

محمود سعيد عمران. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٢٧-٢٢٩

شارل فورمان، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٩٢-١٩٤، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٩٩-٣٠٠

لقد حدث في عهد ذلك الإمبراطور حدثان على جانب كبير من الأهمية أولهما في مجال التعليم البيزنطي والثاني خاص بالعلاقات مع الغرب اللاتيني ويتصلان في:  
أولاً : إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية عام ١٠٤٥ م.

ثانياً . الإنشقاق الأعظم The Great Schism بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤ م وفيما يتعلق بالعصر الأول : من المقرر أن قرار تنظيمها كان قد صدر من قبل في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني؛ وذلك عام ٤٢٥ م، وفيما بعد: في القرن التاسع الميلادي، إتحده الإمبراطور ميخائيل الثالث (السكر) (٨٤٢-٨٦٧ م) إلى الاهتمام بها من خلال حاله براداس فعمل على تنظيمها مرة أخرى<sup>(١)</sup> بعد أن توالى عليها القرون، وبصفة عامة؛ غدت الجامعة المذكورة : مركزاً وقيعاً من مراكز العلم البيزنطي غير أن الإهتمام بالجانب العسكري في عهدها كل من الأباطرة نقفور فوكاس، ويوحنا تريمكس، وكذلك باسلي الثاني؛ جاء، على حساب الناحية العلمية التي توارت أمام ارتفاع صوت آلة الحرب مقارنة بالورق، والمداد على الرغم من خلودها مقارنة بالأولى الممهرة !

على أية حال : إتحده الإمبراطور قسطنطين التاسع إلى العناية بالجامعة المذكورة<sup>(٢)</sup>، ويقال أنها احتوت على كليتين في مجالات القانون، والفلسفة ، وكذلك الدراسات الانسانية .

١- Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 198 .

٢- Hussey , The Byzantine World, p. 147

Ostrogorsky, op. cit., p. 290 .

معهم فوج، الحضارة البيزنطية، ص ٢٥٧

أما عن الجامعات في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى من أجل عقد المقارنة التاريخية أنظر  
Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .

دراسة وائفة لا يمكن الاستغناء عنها

جورج نيسم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، ط الاسكندرية ١٩٨١م.

باسر عبد المعود ، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية بأوروبا في العصر الوسيط، رسالة ماجستير غير مشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٧٠٠٢ هـ، ولقد الإشادة بهذه الدراسة حيث تمتاز بالجهد العلمي البارز من جانب صاحبها الباحث الرابع

وسيد عبد القوي ، « جامعة اكسفورد في العصور الوسطى »، حولية التاريخ الإسلامي والوسطى، م (٣) ، عام ٢٠٠٢ م، ص ٦٩-٧٤، منها إبراهيم منصور ، جامعة اكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤ م، دراسة مهمة ومتميزة

وبما يذكر : أن تلك الجامعة تم فيها تدريس ما عرف بالفنون السبعة الحرة التي عرفت باسم *Septhen arts liberales* ، والتي ضمت النحو ، والبلاغة ، والمنطق الجدلي ، والحساب ، والهندسة ، والفلك ، والموسيقى<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى : قامت الدولة البيزنطية بتخصيص رواتب وملايش رسمية ، وكذلك مساكن لأساتذة الجامعة<sup>(٢)</sup> ، مما عكس وجود تنظيم دقيق لكافة جوانب النشاط العلمي داخل تلك المؤسسة التعليمية العليا .

على أية حال ؛ اتجه ذلك الإمبراطور السالف الذكر : نحو استخدام كبار علماء عصره ، ومن أمثلتهم يوحنا إكسيفليينوس *John Xiphilinus* ، وميخائيل بسلوس *Michael Psellus*<sup>(٣)</sup> وغيرهما . وقد ترك علماء تلك الجامعة تراثاً دالاً على المستوى التعليمي الرفيع الذي شهدته بيزنطة حينذاك .

ومع ذلك ؛ من المهم الإقرار بأنه في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي فيما بعد وفي أعقاب عام ١٢٠٤م قلبت النظم التعليمية ، البيزنطية رأساً على عقب وكانت جامعة القسطنطينية من المؤسسات التعليمية التي تأثرت بذلك الحدث الجلل .

أما الحدث الثاني المحوري الذي حدث خلال حكم قسطنطين التاسع ؛ فقد تمثل في الانحلال الذي حدث بين كنيسة القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤م .

وهالك من يقرر ؛ أن البطريرك البيزنطي حينذاك وهو ميخائيل كيرولاريوس *Michael Cerularius*<sup>(٤)</sup> (٩٣-١٠٥٨م) سعى إلى أن يكون صاحب نفوذ بارز شأنه في ذلك شأن بابا روما ، وقد اختار عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع للقيام بحركته الانفصالية .

١- تعبير قرح ، المصارة البيزنطية ، ص ٢٥٧

٢- نفسه ، نفس الصفحة

٣- رأت عبد الحميد ، الإمبراطورية البيزنطية ، الحقيقة والسياسة ، ص ٣١٢

و عن ميخائيل بسلوس أنظر الفصل الجليو جرافاني .

٤- ميخائيل كيرولاريوس *Michael Keroularios* ، تولى بطريركية القسطنطينية ، وفيما بعد ؛ صار في سلك الرهبنة وشارك في المؤامرة ضد الإمبراطور ميخائيل الرابع ؛ يلاحظ أن قسطنطين التاسع كبر =

على أية حال : أعلن البطريرك أن البابوية<sup>(١)</sup> معثلة في ليو التاسع Leo IX (١٠٤٩ - ١٠٥٤ م) صارت أداة تم تسخيرها في أيدي النورمان وأنها تبذل جهدها من أجل إبعاد السيادة البيزنطية عن جنوبي إيطاليا من خلال تأييدها للنورمانية<sup>(٢)</sup>.

وقد رأى أن خير ضمان للإمبراطورية البيزنطية أن تكون كنيستها منفصلة ومستقلة بشؤونها. ويلاحظ أنه أرسل في عام ١٠٥٣ م إلى أساقفته خطباً شن فيه هجوماً على البابوية في روما. وقد اعتبر هذا الأمر بمثابة إعلان « حرب » على الأخيرة، خاصة أن البابا القائم حينذاك هو ليو التاسع كان من أشد أنصار دعم نفوذ البابوية . وقد أرسل رسالة بقر فيها بأفضلية كنيسة روما وأحققتها في السيادة على الكنيسة الشرقية، إلا أن النية أدركته عام ١٠٥٤ م. وخلال مرحلة خلل النصب البابوي ، تمكن ميخائيل كيرولاريوس من استقالة الإمبراطور البيزنطي. وبالفعل : تم الإعلان رسمياً في كنيسة أيا صوفيا في مايو ١٠٥٤ م عن أن كنيسة القسطنطينية صارت كنيسة مستقلة عن كنيسة روما<sup>(٣)</sup>.

« مشاركاً له فيها، وقد اختاره ليكون بطريركاً على القسطنطينية - واشتهر بجده مع الكاردينال هبيرت Humbert الرسول البابوي عام ١٠٥٤ م. وأسفر ذلك المجلد عن حدوث ما عرف بالانتفاخ الأعظم، وقرر دونالد نيكول أن ميخائيل كيرولاريوس لم يكن باللاهوتي البارز، ولم يكن أيضاً بالعالم الذي يشار له بالبابا. عه أنظر:

Runciman, *The Eastern Schism. A study of The Papacy and The Eastern Churches during The XI and XII centuries*, Oxford 1956 . pp. 28-54 .

Nicol, *A Biographical dictionary*, p. 91

أشد ومشم ، الروم، ج ٢ ، ص ٢٠٣

١- ليو التاسع Leo IX : بابا وقيس . تولى النصب البابوي خلال الرحلة من ١٢ فبراير ١٠٤٩ إلى ١٩ أبريل ١٠٥٤ م. وكان ليلاً للكرت هير الإيجسيي Hugh of Eglisein . ونام بدور بارز في إصلاح الكنيسة وتطهيرها من السبوتية أو مع الناصب الدينية. عنه أنظر

Kelly, *Oxford dictionary of Popes*, pp. 147-148 .

Attwells, *The Penguin dictionary of Saints*, p. 217-218 .

٢- هارلان وهاراكلاف، الدولة والإمبراطورية ، ص ٢١٧ . حاشية. (٢)

٣- نفسه، نفس الصفحة والملاحظة

جدير بالإشارة : مثل ذلك الأمر الذي اشتهر لدى المؤرخين «بالإنشقاق الأعظم» The Great Schism (١٠٥٤ يوليو ١٠٥٤ م)؛ مرحلة على جانب كبير من الخطورة في العلاقات بين الشرق البيزنطي، والغرب اللاتيني. وقد ساعد ذلك على إنتهاء الحكم البيزنطي في إيطاليا، كذلك اتسعت الهوة بين الطرفين ظلت قائمة حتى سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية عام ١٢٠٤م وفيما بعد ذلك : ولاتفعل أن الأجيال المتعاقبة لدى كل كيان تشرت الكراهية ورصعت منذ نعومة أظفارها حليب العداء المتبادل، ومن الآن فصاعداً : يمكن القول أن كل طرف صار يكن للآخر طرفاً كبرياً من العداء، والكراهية، وكان كل تصرف يحدث يتم تغليفه بقدر كبير من الشك، والإرتياب على نحو يمكن أن يجعل المؤرخ النصف يصعب العلاقات بين الجانبين بأنها «علاقة مسببة» مزهلة للانفجار في أية لحظة ! وقد دفع البيزنطيون ثمناً قادحاً لما حدث عام ١٠٥٤م فيما بعد

من ناحية أخرى: من الملاحظ أن عصر الأسرة المقدونية- على نحو خاص- شهد نهضة حصارية في مختلف المجالات على نحو دفع بالمؤرخين إلى إعتباره «العصر الذهبي

#### ١- عن الإنشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م أنظر

Brehier, La Schisme Oriental du XIe Siecle Paris 1899.

دراسة أساسية على الرغم من أنها نتاج أواخر القرن التاسع عشر

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 107 . Ware, The Orthodox Church, Penguin Book, London 1997, p. 58 - 59 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282 .

إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ط القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٦-٢٦

عادل ريتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، ط دمشق ١٩٨٠م، ص ٢٢٥، ص ٣٥٥ - جيهان عبد المنصور فتحي، السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية ١٠٢٥-١٠٥٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، عام ٢٠٠٢م، ص ٩٢-٩٦  
١٩٦٦م، أسد وسم، الروم، ج ٢، ص ٧١-٧٦

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٨٥-١٨٦، حنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ١٦٤ ص ١٦٥ نورمان بيز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٦٥

للإمبراطورية البيزنطية، ويلاحظ هنا؛ أن تقدم الاقتصاد البيزنطي، والنجاح في فتح أسواق تجارية جديدة، كل ذلك؛ دُرّ على ميزانية تلك الدولة أموالاً طائلة مكنتها من الإتيان بسخاء على كافة المظاهر المعمارية التي شيدت . وكذلك رعاية الآداب والفنون التي ازدهرت حينذاك. ويمكن إبراز أهم تلك الإنجازات - على نحو موجز- على النحو التالي:

أولاً : ازدهرت العلوم، والفنون في عصر تلك الأسرة. وإذا اتخذنا «التاريخ» Historia نوردجاً على سبيل المثال، نجد ظهور عدد من كبار المؤرخين في صورة ميخائيل بسلوس Mi-chael Psellus . و لير الشمس<sup>١١</sup> Leo The Deacon .

كذلك لا تغفل ؛ أن الكتابة التاريخية حظيت باهتمام الأباطرة حينذاك . ولنا نجد أن الامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجينيتس Constantine Porphyrogenitus يقرم بتأليف عدة مؤلفات مثل كتاب عن الشجور . وآخر عن المراسيم . وكتاب ثالث عن الإدارة الإمبراطورية<sup>١٢</sup> وهي مصادر على جانب كبير من الأهمية وتعكس جوانب متعددة من تاريخ تلك الأسرة وعلاقات بيزنطة الخارجية.

ثانياً : فيما يتصل بإزدهار الأدب البيزنطي؛ يكفي أن نشير هنا إلى ظهور ملحمة بيزنطية شهيرة في صورة ملحمة ديجنيس أكرينيس Diogenis Akritis<sup>١٣</sup> التي تكونت من خلال الإمتزاج الثقافي على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية . وقد وصفها المؤرخة القديرة جران هس J. Hussey بقولها « أشعلت خيال الأجيال التالية، ودفعت المراحل الشعبية عند الصقالية . واليونان على حد سواء، حتى إذا كانت العصور الوسطى المتأخرة، ظهرت القصائد الرومانسية الطويلة في اللغة الوطنية متأثرة بالقروسية الاقترنجية. والتواتر الملحس اليوناني»<sup>١٤</sup>. بينما وصفها مؤرخ آخر بأنها تضارع أشودة وولان La Chanson de Roland

١- عنه أنظر المدخل البيليوغرافي.

٢- عنه أنظر المدخل البيليوغرافي

٣- عن ملحمة ديجنيس أكرينيس Diogenis Akritis: أنظر المدخل البيليوغرافي

٤- Hussey, The Byzantine World, p. 152 .

جدير بالذكر ؛ من خلال الاحتكاك بين المسلمين والبيزنطيين على الحدود ؛ ظهرت سيرة الأميرة ذات الهمه، عنها أنظر: تبلة ابراهيم . سيرة الأميرة ذات الهمه، دراسة مقارنة ط القاهرة ١٩٩٤م

التي تنازلت حملة شارلمان على الأنطلس عام ٧٧٨م، ومصرع رولان وهو أحد قادة جيشه ومع عدد من الجنود من جراء هجوم عناصر الباسك أثناء الانتعاب عبر جبال البرانس خاصة عبر روتشفال، مع ملاحظة أن أشعرة رولان كانت أكثر شهرة من الملحمة البيزنطية المذكورة خاصة أنها استمرت في أعماق العقل الأوربي حتى إنذلاع الحروب الصليبية أواخر القرن ١١م. رابعاً ازدهرت العمارة والفنون في عهد تلك الأسرة، وتم تشييد عدد من الكنائس - التي اعتقد البيزنطيون أنها ستبقى ما بقي الأيمان في تصورهـم- على شاكلة كنيسة أيا صوميا (القرن ٦م) التي صارت بمثابة النموذج الأعلى في تشييد الكنائس على المستوى البيزنطي وحتى خارج أنعاه الإمبراطورية<sup>(١٢)</sup>. كذلك كثرت أعمال الفسيفساء التي حققت شهرة عالمية ونفس الأمر بالنسبة للعمرايكو<sup>(١٣)</sup>، والمصنوعات العاجية؛ على نحو عكس رقي الأعمال الفنية في ذلك العصر، وأكد على حقيقة مهمة وهي أن ذلك الرقي إنعكس إيجابياً على التجارة الخارجية حيث طافت المنتجات الفنية البيزنطية الراقية مختلف الأسواق العالمية سفيرة لبلادها وحقت مكانة قياسية مرموقة. وصارت موضع ثقة المستهلكين.

بصفة عامة؛ وحل أباطرة الأسرة المقدونية وبقيت لدينا كتابات مزوخي ذلك العصر وبعض العمارات والمتحف الفنية للشاهدة على المستوى الحضاري الذي يفتنه بيزنطة حينذاك فالبشر يصورون في آثارهم شاهدة عليهم وتنطق بل تصرخ بالتاريخ على اية حال ! وصل إلى السلطة قسطنطين دوكاس ليؤسس أسرة بيزنطية حاكمة جديدة صمد الرحلة الطويلة الشاقة لذلك التاريخ !

- 
- نشر كمال توفيق، تاريخ الدولة "البيزنطية"، ص ١٨٠، وعن أشعرة رولان أنظر:  
 The Song of Roland, Trans. by Sayers, Penguin Book, London 1977,  
 ج. حنيف نسيم يوسف، «أشعرة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل وتناظر»، في كتاب  
 د. ر. ت. من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٧٥، وهي الدراسة الوحيدة المتخصصة باللغة العربية  
 ناس. عبده قاسم، «الشعر والتاريخ»، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية، المجلة التاريخية  
 المصرية، م (٢٨)، (٢٩)، عا ١٩٨٩ - ١٩٨٢، ص ٧٨  
 ولاحظ أن الترجمة العربية للأشعرة توجد لدى سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ط دمشق ١٩٩٢م،  
 ج ٩، ص ٩٠-١٨٧  
 عنها أنظر ما سبق إيراد الحديث عن أسرة جنتان،  
 ٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١٨٩

وعند مقارنة الأسرة المقدونية بالأسرات البيزنطية السابقة؛ نجد أنها تفوقت على ما سبقها من أسرات من خلال طول المدة الزمنية التي حكمت خلالها حيث امتد عهدها - كما أسلفت إلى ما زاد على قرنين من الزمان. كذلك نلاحظ تعدد الأباطرة فيها بصورة فاقت ما لدى كل أسرة من الأسرات السابقة.

من جهة أخريك تفوقت الأسرة المقدونية في أمر توسعاتها العسكرية - وإن كانت مؤقتة أحياناً خاصة في الجبهة مع المسلمين، كذلك نلاحظ ظهور أباطرة كبار فيها مثل؛ باسل الثاني وهو أمر افترقته الأسرة العمورية على سبيل المثال.

ولانفصل كذلك: أن الإنجازات الحضارية وخاصة العلمية في عهد تلك الأسرة على نحو خاص؛ جعل البعض من المؤرخين يعتبر عهدها بمثابة العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup> خاصة المرحلة الممتدة من ٨٦٧م إلى ١٠٢٥م كما أسلفت الإشارة من قبل ، مع عدم إغفال أن التوسعات العسكرية خلالها دعم لديهم مثل ذلك التصور.

كذلك من الأمور الملفتة للإنتباه ؛ أن الأسرة المقدونية تشابه مع الأسرة العمورية من خلال أن كلا منهما شهد مرحلة من مراحل التباعد الكنسي بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتسي، ففي خلال حكم الأسرة العمورية حدثت قطيعة فوشيسوس في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث ، أما في أثناء حكم الأسرة المقدونية فقد وقعت أحداث ما عرف بالإتشقاق الأعظم في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع وإن كنا نلاحظ أن الإتشقاق الأخير فاق في آثاره البعيدة القطيعة الأولى وإن جاء ليؤكددها ويعبر بحقق عن تأزم العلاقة بين الكنيستين الشرقية والغربية.

وهكذا ؛ وجدت عدة أوجه للمقارنة بين الأسرة المقدونية وغيرها من الأسرات البيزنطية السابقة .

#### ١- أنظر على سبيل المثال

عمر كمال غوليق ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٩٤٧

ومى نصوري ؛ أن يطلق على مرحلة معينة من مراحل التاريخ البيزنطي بأنها العصر الذهبي؛ فذلك بحري قوليه واضحاً ، إذ أن كل أسرة من الأسرات الحاكمة كانت لها فترات قوة وفترات ضعف ، ومثل ذلك التصور بجمالنا فنصور أن الأسرات السابقة، والتالية لم تنعم بإسهامات بارزة في ذلك التاريخ المتعد ما راد علي ١١ قرناً من الزمان. وبالتالي ليس من المنطقي أن تطلق ذلك الوصف على ما زاد قليلاً على قرن ونصف فقط من الزمن

## سابعاً : أسرتي دو كاس وآل كومنين (١٠٥٧-١١٨٥م)

نتجه الصفحات التالية إلى عرض ملامع عهد أسرتي دو كاس. وآل كومنين على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٥٧ إلى ١١٨٥م؛ لرصد التطورات المحورية التي حلت بالامبراطورية البيزنطية خلال مدة حكم تلك الأسرتين

لقد امتدت تلك المرحلة نحو ١٢٨ عاماً ، وحكم خلالها عدد من الأباطرة هم: إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus ( ١٠٥٧-١٠٥٩ م) ، وقسطنطين العاشر دو كاس-Constans X Ducas ( ١٠٥٩ -١٠٦٧ م) ، ورومانوس الرابع ديوجينيس-Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١ م) ، وميخائيل السابع دو كاس-Michael VII Ducas (١٠٧١-١٠٧٨ م) ، ونقفور الثالث بوتانياتس-Nicephor III Potamates (١٠٧٨-١٠٨١ م) ، والكيسوس الأول كومنين Alexius I Comnenus ( ١٠٨١-١١١٨ م) ، ويوحنا الثاني كومنين John II Comnenus ( ١١١٨-١١٤٣ م) ، ومانويل الأول كومنين (١١٤٣-١١٨٠ م) الكيسوس الثاني كومنين Alexius II Comnenus ( ١١٨٠-١١٨٣ م) ، وأندرونيكوس الأول كومنين Andronicus I Comnenus (١١٨٣-١١٨٥ م)

وليس الهدف من عرضنا الحالي التعمق لكل إمبراطور بيزنطي بالتفصيل ، بل تقديم ملامع عامة عن أهم أحداث ذلك العصر

ومكنا؛ يظهر لنا ضرورة التحدث عن قوتين خارجيتين قدر لهما القيام بتأثير مركزي في التاريخ البيزنطي في صورة الأتراك السلاجقة ، والتورمان.

جدير بالإشارة: أن السلاجقة -في الأصل- عناصر من القبائل التركية أقامت في منطقة التركستان ، ويلاذ ما وراء النهر، ويلاحظ: أن مؤسسها يدعى سلجوق بن دقاق<sup>(١)</sup>، وقد

١- الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ، تحقيق عيسى إقبال ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص ٢-٣

وعن أصل السلاجقة أنظر

El- Azhari, The Saljuks of Syria during the Crusades, 493-549 A.H. / 1070-1154 A. D., Berlin 1997, pp. 26-77

Cahen, Pre-Ottoman Turkey ageneral Survey of the matercy and Splritual Culture , 1011-1130, Trans. by J.J. Jones - Williams, New York 1968 .

اعشقوا الإسلام، وصاروا من أشد المزيدين له ، ومن كبار زعمائهم طغرل بك الذي تمكن من دخول بغداد عام ١٠٥٥م ونجح في إنهاء حكم البويهيين هناك الذين كانوا من الشيعة بينما كان السلاجقة ومن بعد طغرل بك: تولى أمرهم ألب أرسلان (١٠٦٥-١٠٧٢م) وفي عهده حدث الاصطفاء العنيف مع الإمبراطورية البيزنطية التي حكمها حينذاك الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس<sup>(١)</sup> في صورة معركة مانزكرت الخامسة عام ١٠٧١م، وقد وقعت مانزكرت في شمالي بحيرة فان عند جنوب شرقي البحر الأسود

جدير بالذكر : أن العام المذكور حدثت فيه تلك المعركة الشهيرة بين جيش بيزنطي ضخم قدره البعض - من قبيل المبالغة - بـ ٣٠٠.٠٠٠ من الفرسان، والمشاة ، أما القوات السلجوقية: فقدر البعض عددها بـ ١٥.٠٠٠<sup>(٢)</sup>؛ وهي أرقام من العسير الأخذ بها ، نظراً لصحافة الرقم الأول، ومحدودية الرقم الثاني مقارنة به . وعدم وجود إحصاءات محددة

= مني محمد بدر محمد. أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيرانية والمملوكية . ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٧-١٨ ، محمد سهيل طقوش. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط بيروت ٢٠٠٢م، ص٧٦-٧٧، أحمد كمال الدين حلسي. السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط الكويت ١٩٨٩م، ص٢٩ - ٣٣ ، أمين فؤاد حيد. الدولة السلجوقية في مصر تفسير جديد. ط. الرياض ١٩٩٨م، ص ١٨

١- رومانوس الرابع ديوجينيس : تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٨م. ويلاحظ أنه بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين العاشر : أغرى البعض أولمته أبودوكيا مكرمهو ليتسا بالزواج من أحد القادة العسكريين وهو الذي تولى العرش البيزنطي بالاسم المذكور، ويصفه دونالد نيكول بأنه كان قائداً محكماً ، إلا أنه حكم خلال مرحلة تنحدر للإمبراطورية البيزنطية، وفي أعقاب هزيمته في مانزكرت عام ١٠٧١م ، تم تسبيل عينيه وأرسل إلى المنفى حيث مات عام ١٠٧١م. وتولى الحكم من بعده الإمبراطور ميخائيل السابع . عن رومانوس الرابع أنظر:

Psellus, Fourteen Byzantine Rulers, The Chronographia, pp. 350-366 . O.D.B., vol 3, p 1807 .

Nicol, Biographical dictionary, p. 113 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 352-353 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 304, p. 320 .

حينذاك ، كذلك فإن المصادر العربية حرصت- بصفة عامة- على المبالغة في أرقام القوات المعادية وتقليل عدد قوات السلاجقة لإظهار عظم شأن النصر الذي حدث على الرغم من قلة عدد الطرف الإسلامي، وإن لاحظنا- بصفة عامة- أن هناك تافراً واضحاً في عدد قوات السلاجقة مقارنة بأعدادهم دون إمكانيات تحديد الأمر في صورة رقمية واضحة للإعتبار المشار إليه .

على أية حال: جرت معركة مانزكرت الخامسة في يوم ١٦ أغسطس ١٠٧١م<sup>(١)</sup> . وهناك من

#### ١- عن معركة مانزكرت أنظر:

- ابن القلائس، قبل تاريخ دمشق . تحقيق أمبروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م، ص. ٤- ص. ٤٤ ، البردي،  
المرامة في الحكاية السلجوقية ، ت. عبد النعم محمود ، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص. ٤٧  
Psellus Chironographia , in Ashour and Rahic, Fifty documents in Medieval History , Cairo 1971, pp. 58-60 .  
Cahen, " la Campagne de Mantzikert d'apres des Sources musulmans " , D., vol IX, p. 934 , pp. 613-642, Id . " The Turkish Invasion", in Setton, A History of the Crusades, vol . I, pp. 148-149  
Charanis, "The Byzantine Empire in the eleventh Century " , in Setton, A History of the Crusades, vol I, pp. 19-192 .  
Friendly , The dreadful Day: The Battle of Mantzikert 1071 , London , 1981 .  
France, Victory in the East , A military History of the First Crusade, Cambridge 1996, pp 152-153 .  
Holt, The Crusader States and Their Neighbours, London 2004 , p. 11  
فايز نجيب إسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد (١٠٧١-٤٤٦٣) في محفل  
نفعور بريستوس دراسة مقارنة للمصادر . ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص. ٧- ص. ١٠ . أسست نجيم، «معركة  
مانزكرت في ضوء وثائق بيسالوس» . مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، شاكرو  
مصطفى ، ودخول الترك الفز إلى الشام ضمن كتاب مؤخر تاريخ بلاد الشام . ط. عمان ١٩٧٤م، ص. ٣٥٨-  
ص. ٣٥٩ ، أرشيد يوسف ، سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥ - ٥٧٠هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م،  
ص. ٥١- ص. ٥٤ . سهيل زكرا ، الدخول إلى تاريخ الحروب الصليبية . ط. دمشق ١٩٨١م، ص. ١٤٤- ص. ١٥١  
، سعيد عاشور ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص. ٤٤ ، لستريج،  
بلدان الخلافة الشرقية ، ت. شير فرنسيس وكوركيس عواد، ط. بغداد ١٩٥٤م، ص. ١٧٢ ، روبرتس ، موجز  
تاريخ العالم، ت. فارس قلانز، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص. ٣٤٥ . وتصور خطأ حدوث المعركة عام ٧١٢ م

يقرر أن عناصر الاحتياط البيزنطية كان على رأسها قائد يدعى أنثرونيكوس ابن يوحنا دو كاس الذي وصف بأنه من أشهر من عادوا الإمبراطور وسمائوس الرابع، وقد أشاع لدى القوات البيزنطية نبأ هزيمتها على نحو أدى إلى بحث الاضطراب فيها<sup>(١١)</sup>؛ مما انعكس سلباً على مصير المعركة، كذلك لاتغفل حساسة السلاجقة للقتال، وتأجج روح الجهاد في نفوسهم على نحو كان له الأثر الأكبر في الانتصار على البيزنطيين.

وأخيراً : تحقق الانتصار السلجوقي الحاسم ، وسقط الجيش البيزنطي الضخم بين قنبل وجرح . وأسير . ووقع الإمبراطور نفسه في الأسر على نحو مهين، وتآذر التكرار في التاريخ البيزنطي، وهو يذكرنا بموقف حدث بعد ذلك بـ ١١٦ عاماً عندما أسر الملك الصليبي جى لوزينيان في حطين ١١٨٧ م . وكذلك فيما بعد ذلك بقراءة ١٨٠ عاماً؛ عندما أسر الملك الفرنسي لويس التاسع (١٢٢٦-١٢٧٠م) بعد هزيمته في المنصورة عام ١٢٥٠م<sup>(١٢)</sup>، حيث شهدت تلك البقعة إزلاق فرنسا في العصور الوسطى على أرض القنبل الخالد

على أية حال؛ من الملاحظ أن القائد المسلم المتحضر ألب أرسلان أحسن معاملة أسيريه البارز . وأود هنا أن أقدم نصاً مصدرياً من جانب المؤرخ البيزنطي ميخائيل بيللرس Mi-chael Psellus واضحاً تلك اللحظة التاريخية الفاصلة حيث قال : «إن قائد جيش السلاجقة بدلاً من أن يصيبه الغرور . ويبالغ في مظاهر السعادة نظراً لوقوع الإمبراطور الروماني أسيراً غلب عليه التواضع واحتفل بنصره بصورة غير متوقعة في اعتدالها ، فقد وأسى الإمبراطور

١- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٤٨

٢- عن ذلك أنظر

Jean de Joinville, The life of St. Louis, in Chronicles of The Crusades, Trans. by M R B Shaw, Penguin Book, London 1976 . p. 259

جورج نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ط القاهرة م-ب-ت، ص١١٦ . العبدان الصليبي على مصر، ط. الاسكندرية ١٩٦٧ م، ص٢٨٥ . حسن حشيش ، الشرق الأوسط بين شرق الرعي، ط القاهرة ١٩٤٩م، ص١٠٩ . محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ، ط القاهرة ١٩٦٦م، ص١٠٩

والدراسة الأخيرة من أفضل ما كتب المؤرخ الرائد الراحل البارز . وبعد أربعة عقود من صنيبرها للحميد نظراً لها بالعربية في موضوعه

الواقع في الأسر، بل دعاء إلى مشاركته الطعام، وعامله كضيف يليق به التكريم، وخصص له محبسة تتولى حراسته، بل فكه أغلال بعض رفقائه، وأخيراً؛ قام قائد السلاجقة بتحرير رومانوس ذاته، وعقد معه معاهدة صداقة وأخذ منه إيماناً بالولاء، وقد أطلق سراحه سامحاً له بالرجوع إلى بلاده<sup>(١)</sup>.

والسطور السابقة؛ شهادة بيزنطية لانتقيل الشك، لأن شهادة الأعداء لها شأنها البارز في كل عصر خاصة خلال العصور الوسطى، حيث ترك العناء الديني والسياسي آثاره البارزة على الكتابة التاريخية حينذاك، وهي تعكس الكفاءة العسكرية والرقى الحضاري الذي تمتع به ذلك القائد المسلم البازر، وأهمية ذلك السلوك؛ أنه حدث في عصور اشتهرت بالانكسار بالأعداء.

ومن المهم هنا؛ عقد مقارنة بين ذلك السلوك التحضري من جانب ألب أرسلان، والسلوك المنهري الذي اقترفه من قبل الإمبراطور باسل الثاني من قبل مع أسراء البلغار، وهو الإمبراطور الذي طلل له الباحثون الغربيون من خلال زاوية تعصبية تعجب بكل قيادة قوية تسفك الدماء ١١ وفي تقديره؛ أن القائد السلجوقي-دوقا مبالغة أو شيفونية جرفاء- يتفوق على ذلك الإمبراطور البيزنطي في مجالى الحرب والتسامح معاً<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك لم ينل أدنى تقدير من مؤرخي الدراسات البيزنطية الغربيين ومنهم من هم أصحاب المعايير المزدوجة، ولم تكن له نهمة سوى أنه يدين بالإسلام!!!

على أية حال، نتج عن معركة مانزكوت نتائج بالغة الأهمية على مسار التاريخ البيزنطي من القرن الحادى عشر حتى القرن الخامس عشر الميلادى دوقا مبالغة، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, p. 60.

-١-

وأنظر أيضاً ترجمة مهمة لدى: سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط القاهرة ١٩٨٦م ص ٧٢٣

وقد أفدت من الترجمة المذكورة ونجد نص وصف بسلوس للمعركة لدى:

Hollister, Medieval Europe A Short Source Book, U.S.A. 1992, pp. 38-40

-٢- بصفحة عامة؛ تعامل المسلمون مع أسراهم معاملة أفضل من غيرهم سواء من البيزنطيين أو الصليبيين وذلك دور التفرغ في ملأى التعصب أو الشيفونية، ومن الممكن الرجوع لإحدى الدراسات المهمة المهمة في هذا الشأن، أنظر: فاطمة الشناوي، معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر ١١٣٧-١٢٩١م / ٥٢١-٦٩١هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧م

والواقع أن الرحلة المذكورة هي امتداد طبيعي للرحلة السلجوقية المبكرة

أولاً أدت المعركة المذكورة إلى فتح آسيا الصغرى Asia Minor أمام الفتح السلجوقي، وهناك من يقرر أنه إذا كانت معركة البيرومك عام ١٠٦٦م قد حسنت مصير بلاد الشام وخضوعها للمسلمين، فإن معركة مانزكوت قررت- هي الأخرى- مصير آسيا الصغرى لهم<sup>(١)</sup>، وهكذا؛ عدت نقطة تحول أساسية في تاريخ السلاجقة؛ إذ ظهروا يظهر المعاهدس الذين أزلوا الهزيمة النكراء بالبيزنطيين، وهم بمثابة العدو الثقيل للمسلمين من قبل ظهور الصليبيين في آخريات القرن الحادى عشر الميلادى، ولأربيب، في أن السلاجقة من الآن فصاعداً صاروا عنصرًا فاعلاً ومؤثراً في موازين القوى الدولية في ذلك العصر، ولاتفعل هنا الإشارة إلى أنه بعد سبع سنوات من المعركة المذكورة؛ استولى السلاجقة على دوة شمالى بلاد الشام، وأغنى بها أنطاكية عام ١٠٧٨م.

ثانياً؛ لاتفعل أنه نتج عن تلك المعركة؛ تقلص أملاك الإمبراطورية البيزنطية في أرمنية، وآسيا الصغرى، ولم يعد لها سوى بعض المناطق المعزولة الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ولم يعد لها القدرة على استعادة ما فقدته<sup>(٢)</sup> وعلى نحو خاص بعد أن وجه السلطان ألب أرسلان ابن عمه سليمان بن قتلش نحو الاستيلاء على سهول وسط آسيا الصغرى وبلاد الشام والجزيرة الفراتية دون أن يواجهوا أية قوة عسكرية توقف ترسمهم.

من ناحية أخرى؛ انتشرت في أعقاب تلك المعركة داخل الامبراطورية البيزنطية الحروب الأهلية وتدهورت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية على نحو يجعلنا نقرر أن مانزكوت جاءت لتكشف الوضع المتردى الذى وصلت إليه تلك الامبراطورية، ولاتفعل أن وعاياها من الأرمن عملوا على إنشاء إمارات مستقلة لهم في المنطقة كما قرر البعض<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً؛ افتقدت الامبراطورية البيزنطية من جراء تلك الهزيمة الفادحة المناطق التى كانت تدها بمحاصر المرتزقة، وهى عناصر أساسية للجيش البيزنطى<sup>(٤)</sup>، ولم تعد تستطيع تعويض

١- حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص. ١٩٠.

٢- محمود محمد الروضى ومحمد نايف العصاره، معركة مانزكوت، جانب من العلاقات السلجوبه البيزنطيه، الفكر الأذن، ٤-٢٠٠٤م، ص. ١٨.

٣- محمود الرويسى ومحمد نايف العصاره؛ معركة مانزكوت، ص. ١٩.

٤- حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص. ١٩١.

وعن الجيش البيزنطى أنظر طارق منصور، الجيش فى الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى عابه القرن التاسع الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الزقازيق فرع بها عام ١٩٩٢م، ورهبة عطا، المقاتل البيزنطى، ط. المنيا، ١٩٨٢م.

ذلك النقص في الإمداد البشري وإن اتجهت من بعد عام ١٠٧١م إلى محاولة الاستفادة من قدرات عناصر الاسكندنافيين، والآنجلوسكسون، غير أن ذلك بالنسبة لها حلاً جزئياً لم يكن ليعيد لها وضعها فيما قبل معركة كارثة مانزكوت التي حلت بها.

رابعاً لا ننكر أن تلك المعركة وتبعاتها المستقبلية قد أدت إلى حرمان الإمبراطورية البيزنطية من الأنهار العديدة التي توافرت بكثرة وغزارة في آسيا الصغرى، ولا تشكك في أن آسيا الصغرى مثلت أهمية خاصة فيما يتصل بالأمن المائي البيزنطي، وإذا كانت الإمبراطورية قد فقدت في القرن السابع التل، والعاصي، وقسم من نهر الفرات بالإضافة إلى الأنهار اللبنانية<sup>(١)</sup> فإنها الآن وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر فقدت للسيادة السياسية على أنهار أخرى في آسيا الصغرى على نحو كان له تأثيره السلبي المؤكد عليها

ولا تغفل كذلك، أن الطرق التجارية المارة بتلك المنطقة، قد خضعت لسيطرة قوة عسكرية وسياسية جديدة متجس في الأموال الطائلة من وراء ذلك الوضع الجديد على حساب خزانة الإمبراطورية البيزنطية بطبيعة الحال.

خامساً - جدير بالذكر: قامت دويلات تركمانية مستقلة فيما بعد عامي ١٠٧١م، ١٠٨٧م، تحت قيادة زعماء من الأتراك في أنحاء مختلفة من آسيا الصغرى، ويلاحظ أن الحضارة الإسلامية بدأت تحدث تأثيرها في تلك المناطق التي كانت من قبل متأثرة بالحضارة البيزنطية<sup>(٢)</sup>، ولا تغفل أن عمليات تنريك الأناضول هذه استمرت زمناً طويلاً ويقال أنها اكتملت من الوسط إلى السواحل خلال القرنين ١٢، ١٤م<sup>(٣)</sup>، وفي تقديرى أن ذلك كان أخطر ما نتج عن تلك المعركة الخامسة.

١- مثل: اللباني، الزيداني، المصاوي، الأولى، أسطون، الجز، البره، ابراهيم، الكلب، بيروت، أبو علي، عرفة، الفاسور، الزهراني، أنظر سامر مخضرم وخالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية المغناطيس والمناخ للسكن، سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت ١٩٩٦م، ص ٣٩-٣٧ ونجد خريطة تلك الأنهار في ص ٣٧

٢- عبد الصميم حسين، ملايكة إيران والعراق، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٥٨، دولة السلاجقة، ط. القاهرة ١٩٧٥م، ص ٥٧

٣- عن موضوع تنريك آسيا الصغرى بعد مانزكوت أنظر.  
Brice, "The Turkish Colonization of Anatolia", B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955- 1956, pp. 18-44.  
Vryonis, The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh Through the fifteenth Century. Berkeley, Los Angeles 1971

سادساً : أحدثت تلك المعركة تغييراً سياسياً مهماً ، في الإمبراطورية المجرية في شرقها العسكري ؛ حيث تم إقصاء الإمبراطور المهزوم ، ووصل إلى السلطة إمبراطور آخر عقدت عليه بيزنطة الأمل العريضة؛ وهو ميخائيل السابع Michael VII Doukas ، وهو أمر يؤكد لنا أن الانتصار في ساحة المعركة ؛ كان يؤدي - أحياناً - إلى تمكين القائد المنتصر من اعتلاء العرش ، والعكس صحيح تماماً ، وهو ما نجده على نحو واضح في أعقاب مانزكرت حيث كانت بمثابة إعلان نهاية رومانوس الرابع سياسياً .

سابعاً : لا تغفل ؛ لأن ذلك الانتصار السلجوقي البارز ، أكد عجز بيزنطة عن القيام بدورها الذي قامت به على مدى أربعة قرون (من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر م) ، وهو الخاص بحماية المسيحية الشرقية من هجمات المسلمين ، وكذلك في حراسة الباب الشرقي لقارة أوروبا من غزو الآسيويين<sup>(١)</sup> . وهناك تصور قائم يفيد بأنه عقب تلك المعركة ، بدأت بيزنطة في الاستغاثة بالغرب الأوربي على نحو أدى فيما بعد إلى حدوث الحروب الصليبية Crusades, Croisades, Kreuzzuge

أما بالنسبة للقوة الثانية المؤثرة في التاريخ البيزنطي حينذاك فهي في صورة النورمان الذين لعبوا دوراً بارزاً في تاريخ أوروبا العصور الوسطى على مدى القرن الحادي عشر الميلادي على نحو خاص . فلاحظ أن زعماءهم من أسرة هوفيل Hauteville تمكنوا في نفس العام أي ١٠٧١ م من الاستيلاء على ياروي Bari بجنوبي إيطاليا<sup>(٢)</sup> ، وكانت حينذاك آخر الأملاك البيزنطية هناك . وقد حدث ذلك التطور الاستراتيجي بقيادة الزعيم النورماني روبرت

---

وهي أهم دراسة في موضوعها . وأيضاً : عثمان تروان . الأناضول في عهد السلالة والإمارات التركمانية  
ت على عهده الخامس ط . أرياض ١٤١٨ هـ ، ص ٤ . حنين زبيح . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ط  
القاهرة ١٩٨٧ م ، ص ١٩٢

١ - سعيد عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط . بيروت ٢٠٠٢ .

ص ٤٤

٢ - عن التوسع النورماني في أملاك الدولة البيزنطية حينذاك انظر :  
Holmes (ed.), The Oxford History of Italy, Oxford 1997 , p. 48 .

وعن سقوط ياروي انظر :

Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 , p. 223

سلسلة مقال . العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان في جنوب إيطاليا وصقلية من ١٠١٥ - ١١١٧ م .  
رسالة دكتوراه - غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩ م ، ص ٩٦ =

جويسكارڊ Robert Guiscard<sup>(١)</sup> ويدعم من البابوية التي كانت تناصب الإمبراطورية البيزنطية العداء المستمر خاصة بعد الانشقاق الأعظم عام ١٠٥٤م السالف الذكر.

وهكذا: يتأكد لنا أن الإمبراطورية التي كانت من قبل في عهد أباطرتها المؤسسين الكبار تنبسط على مناطق عديدة: تعرضت مكانتها السياسية إلى هزة عنيفة بعد هزيمتها في صاركوت، وسقوط باري في عام واحد، دون أن تتمكن من مواجهة زحف الأتراك السلجقة من الشرق، والنورمان في الغرب.

على أية حال؛ من الملاحظ أن الحدث الحسوري في تاريخ بيزنطة والغرب الأوروبي في أحرىات القرن الحادي عشر الميلادي قتل في اندلاع الحرب العالمية في العصور الوسطى ونعني بها الحروب الصليبية: تلك الظاهرة التاريخية ذات التأثير الكاسع في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في تلك العصور.

والواقع توجد هناك عدة تعريفات لها: منها أنها تلك الحملات العسكرية التي شنها العرب الأوروبي في أحرىات القرن ١١م مستشرقاً بالدين، والرغبة في السيطرة على الأماكن

= سميرة بونس، النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، ط. القاهرة ١٩٩٥، ص ٧٩.  
 . سيد المصري، الروم والشرق العربي، ط. القاهرة ١٩٩٣م، ص ٣٧٣، جمعه المجتدي، حكم النورمان في صقلية ٤٨٤ - ٥٨٦ / ١٠٩١ - ١١٩٤م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٨م، ص ٤٤.

١- روبرت جويسكارڊ Robert Guiscard (١٠٨٥-١٠٨٥م) زعيم نورمانى، وكلية جويسكارڊ تعنى «النابذة». خلف أخاه كديق لأبوليا Apulia عام ١٠٥٧م، وفي عام ١٠٧١م أخضع باري Bari: آخر المراكز البيزنطية في الغرب. وحاول أن يكون حبيبا على الإمبراطورية البيزنطية بأن دافع عن قسطنطين دوكاس ابن صبحانيل السابع خاصة بعد زواج قسطنطين حقا من ابنة روبرت جويسكارڊ. وقد تمكن من هزيمة الإمبراطور الكيسبروس كومتين، واحتل كورفو ودريازو عام ١٠٨٧م، وزحف على القسطنطينية إلا أنه اضطر للعودة إلى إيطاليا لحماية البابا جييجورى السابع ضد عدوه الإمبراطور هنرى الرابع بعد أن ترك قيادة قواته وابه برهبنة وقد توفي روبرت جويسكارڊ عام ١٠٨٥م. عنه أنظر.

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by Sewick Penguin Book, London 1982, p. 51

(1) D.B., vol 3, p. 1799.

Chiball, The Normans, Oxford 2000, p. 77-78, p. 116-119.

Van Heuts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 243.

لفلسفة المسيحية في فلسطين بينما أخفى من وراء ذلك عدة دوافع سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية لا يمكن إنكار تأثيرها الهائز حينذاك ، كذلك هناك من اعتقد أنها السياسة الخارجية البابوية *The foreign Policy of the Papacy* <sup>(١١)</sup> ، أو أنها حركة الاستعمار الأوربي في العصور الوسطى . *The European Colonialism in the Middle Ages* <sup>(١٢)</sup> . مع ملاحظة أن الرأي الأخير يفهم - من جانب - على اعتبار أن « الاستعمار » بمعنى « الاستعمار » ، والنهب النظم لثروات المسلمين ونحوها إلى الغرب الأوربي .

كذلك هناك من اعتقد أنها جزء من المسألة الشرقية <sup>(١٣)</sup> *The Eastern question* وفيما يتصل بدوافع تلك الحركة التاريخية ؛ هناك الدافع الديني ورغبة الغرب الأوربي في إخضاع المناطق التي ارتبطت بذكرىات المسيحية المبكرة في فلسطين <sup>(١٤)</sup> - كما أسلفت الإشارة - . ويلاحظ أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله قد أمر بهدم كنيسة القيامة بيت المقدس عام ١٠٠٩ م <sup>(١٥)</sup> . وقد أحدث ذلك أثراً عنيفاً في الغرب الأوربي مع ملاحظة أنه تم إعادة بنائها ؛ إذ قام الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثالث *Romanus III* ( ١٠٢٨ - ١٠٢٢ - ١٠١١ م . بالإنفاق مع الدولة الفاطمية من بعد عهد الحاكم ؛ من أجل إعادة بنائها ، وبالفعل قام الإمبراطور قسطنطين IX *Constantine IX* ( ١٠٤٢ - ١٠٥٥ م ) بإرسال عماله للمشاركة في عمليات

Barker , *The Crusades*, London 1949 , p. 3 .

١ - عن ذلك انظر : Praver, *The Latin kingdom of Jerusalem . European Colonialism in the Middle Ages*, London 1979 .

Marrat , *The Eastern question*, Oxford 1958 , p. 1 .

Riant , " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades " A.O.L., T.I, An- - ٤ née 1880 , p. 2 .

٥ - عن ذلك انظر :

Canard , " La destruction de l'Eglise de la resurrection par le Calife Hakim et l'Histoire de la descente du Feu Sacré " , B. XXXV , Année 1965 , pp. 16-43 .

أيضاً انظر فانيليف للتعدد الزمني المذكور ؛

Vasilev, *History of the Byzantine Empire*, p. 311 .

البناء، ويلاحظ أن حركة الحج المسيحي استمرت عبر الشغور الواقعة على الحدود بين مناطق المسلمين والبيزنطيين<sup>(١)</sup>؛ مما عكس أن الحادثة السالفة الذكر تعد استثناءً وسط الطابع التسامح العام للمسلمين تجاه تلك الأماكن المقدسة للمسيحيين ومن المهم هنا الإقرار بأن سياسة الحاكم بأمر الله - وهو الذي عرف بتناقض سياساته - تعد استثناءً تاريخياً في سياسة المسلمين التسامحة بصفة عامة تجاه أهل الخدمة ولا يمكن اتخاذ سياسة ذلك الخليفة العظمى في أساسات للعلاقة بين الإسلام ورواياه من غير معتقده<sup>(٢)</sup>.

وقد أقر مؤرخون أوروبيون محدثون ومن أمثلتهم ، هانز أ. ماير Hans E. Mary بعدم حدوث ما يوصف باعتطهاد ديني ضد المسيحيين الشرقيين أو الحجاج الأوروبيين فيما قبل

Runciman, "The Pilgrimage to Palestine before 1095", in Setton (ed.) A History of -  
the Crusades, vol . Pennsylvania 1969, p. 74 .

محمد مزني عرض ، لرحالة الأوروبيون في ملكة بيت المقدس الصليبية، ص ٢٢

واظر أيضاً هذه الدراسة المهمة التي تجري عدداً من الرحلات التي قام بها الحجاج الأوروبيون إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين وقت ترجمتها إلى الإنجليزية

Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before the Crusades, London, 1977 .

٢- عن الحاكم بأمر الله وسياسة تجاه أهل الذمة أنظر : ابن الأثير ، الكامل، ج ٧، ص ٢٤٠ ، ابن حنبل ، أخبار ملوك بني عبدة وسيرتهم، تحقيق التهامي نقره وعبد الحليم عيسى ، ط القاهرة ١٤٠١هـ، ص ٩٩- ص ١٠٠ ، المقرئ ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأمة الفاطميين الحنفا، تحقيق محمد طلس ، ط القاهرة ١٩٩١م، ج ٢، ص ٩٤

Vatikiotis, " Al- Hakim Bi- Amrillah : The God- king idea realised", I.C., vol . XXIX , No 1 , January 1955, pp. 6-10 .

عبد المتعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المختبر عليه، ط القاهرة ١٩٥٩م، ص ٩٩- ص ١٠٠ ، ظهور خلافة الفاطميين وبقوتها في مصر ، ط القاهرة ١٩٨٥م، ص ٢٥٧- ص ٣٦٠ ، محمد علي القطب ، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ ، ط حيد ٢٠٠٢م، ص ٥٨- ص ٦٢ ، إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمي السياسي، ط بيروت ١٩٩٧م، ص ٩٠- ١١٠ ، تزيين أهل الذمة في الإسلام، تـ حسن حبشي ، ط القاهرة ١٩٦٧م، ص ٥٦- ص ٥٧ ، علي حسني القزويني، الإسلام وأهل الذمة، ط القاهرة ١٩٦٩م، ص ١٧٥ ، دافيد صوميل مرجليوت ، القاهرة وبيت المقدس، دمشق ، تـ خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سيانو، ط دمشق ٢٠٠٠م، ص ٤٥

إبدلاع آتريز الحروب الصليبية<sup>(١)</sup>؛ مما دلّ على أن كافة ما قيل عن ذلك ما هو إلا جزءاً لا يتجزأ من الدعاية Propaganda للمشروع الصليبي التي لم تكن قائمة على سند من الواقع التاريخي مع عدم اغفال أن الصراع الفاطمي- السلجوقي - فيما بعد جعل طريق الحج المسيحي ليس في السياق السابق<sup>(٢)</sup>. أما الدافع السياسي؛ فيلاحظ أن ملوك وأمرأ أوروبا حينذاك أرادوا دعم نفوذهم السياسي في أملاكهم من خلال الاشتراك في تلك الحروب<sup>(٣)</sup> ضد الشرق الإسلامي وبالتالي؛ فالحروب الصليبية تعبر عن التنافس السياسي بين الدول الأوروبية مثل فرنسا، وإنجلترا، وألمانيا والمدن الإيطالية مثل جنوة وبيزا والبنديقية كذلك لاغفل أن البابوية- على الرغم من أنها في الأصل مؤسسة دينية- إلا أنها مارست السياسة من رأسها إلى أخمص قدميها من خلال مشروع الصليبيات وغية في تحقيق مصالحها الخاصة بإحكام قبضتها على ملوك المغرب الأوربي وكذلك إخضاع الكنيسة الشرقية لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية الأم في روما<sup>(٤)</sup>.

١- Mayer, The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987, p.6.

وعن الباحث الفيني بصفة عامة أنظر: عبدالله الريبي، «الدوافع الدينية للحركة الصليبية»، جسر ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية، «الحمد للزخرف العرب»، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٧٩ - ص ١٢٢

محمد صابر منصور، أثر العامل الديني في توجيه الحركة الصليبية، ط. بني غازي، ١٩٩٦م

٢- عن ذلك انظر سليمان المرابط، الصراع الفاطمي- السلجوقي في بلاد الشام ٤٤٧-٤٦٦ هـ / ١٠٥٥ - ١١٧٠م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م، ص ٩ - ٢ ص ٣١٧

٣- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٠

٤- نفسه، ج ١، ص ٢٤ - ٣٧

وعن دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية أنظر

Byrne, " Genoese Trade with Syria in The Twelfth Century ", A.H.R., vol. XXV, 1919-1920, pp. 191-219 .

شارل ديل، «البندقية جمهورية أروستقراطية»، د. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق لسكرتير، ط. القاهرة ١٩٤٨م، عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٨٠م، مصطفى الكاشي، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي ١١٧١-١٢٩٩م / ٥٦٧-٦٦٠ هـ.

وفيما يتصل بالدافع الاقتصادي؛ نلاحظ أهميته الخاصة ؛ حيث أرادت أوروبا القضاء على دور المسلمين كوسطاء تجاريين بين الشرق والغرب، وهكذا رغبتم المدن التجارية الإيطالية التي شاركت في ذلك المشروع المدون على الشرق - رغبتم في المال وكان للينادقة- على سبيل المثال- يقولون «نحن تجار أولاً ثم مسيحيون من بعد ذلك»؛ مما عكس طبيعتهم البرجمانية المتأصلة ، من زاوية أخرى؛ أرادت النبتندية القضاء على منافسة بيزنطة التجارية ، وهو أمر تحقّق لها في أوائل القرن ١٣م كما ستوضحه الصفحات التالية.

أما من الناحية الاجتماعية ؛ نجد أن الحروب الصليبية هي إفراز صادق للنظام الإقطاعي حيث احتوى على الفرسان أو الذين يحاربون، ورجال الكنيسة أي الذين يتبعون ، ثم الأتقان وهم الذين يزرعون ، وعائى الأخيرون من سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولذلك ؛ إندفروا للمشاركة في الصليبيات لتحسين أوضاعهم المعيشية المتردية. ولاربي في أنهم دفعوا الثمن قادمًا من خلال اشتراكهم في أتونها<sup>(١)</sup>.

على أية حال ؛ قامت الحروب الصليبية من القرب الأوربي ، ومن كنيسة روما حيث أن تلك الحروب توصف بأنها فعله كنيسة Action d'Eglise وقد أرادت تلك الكنيسة الأم إخضاع كنيسة القسطنطينية المارقة بأية وسيلة لسيطرتها.

١ - ط الاسكندرية ١٩٨١م، عناق صبرة، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠ إلى ١٤٠٠ ط القاهرة ١٩٨٣م، أحمد عبدالله، التجارة في الساحل الشامي في القرون ١٢ و١٣، رسالة ماجستير غير منشورة - دراسة أكاديمية قيمة بالعربية عن الجانب التجاري عصر الحروب الصليبية وقد أشرت عليها بالاشتراك مع أ.د أحمد رمضان ، مهير نجيع ، «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية» ، وعصر والشام في القرنين ١١ و١٢ الميلاديين في ضوء «توثائق تاريخية» ، ضمن كتاب بحوث في تاريخ المصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير علي أحمد السيد وإبراهيم خبسي، ط الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٢٨-٣٧١

٢ - عن النظام الإقطاعي في الغرب الأوربي في المصور الوسطى أنظر:

Coulthou (ed.) Feudalism in History, Princeton 1956 .

كويلاز وفينوجرادوف ، الإقطاع في المصور الوسطى بغرب أوروبا ، ت محمد مصطفى زيادة ط القاهرة ١٩٤٥م، إسحق عبيد، الفرسان والأتقان في مجتمع الإقطاع، ط مبنى غازي ١٩٧٥م  
وعن الباعث الاجتماعي للحروب الصليبية أنظر -

جدير بالذكر : فكر البابا جريجوري السابع Gregory VII<sup>(١١)</sup> (١٠٧٣-١٠٨٥ م) في الدعوة إلى الحروب الصليبية ، ويلاحظ أن دوره كان بارزاً في التمهيد لقيامها وهناك من يقرر أنه قام بجهد واضح في إحداث تغيرات جوهرية تجاه الموقف المسيحي من حمل السلاح وبالتالي بوصف بأنه مهد السبيل لقيام المشروع الصليبي ولا تغفل أنه عمل على جذب العناصر المعارضة ، وحاول إكسابها إلى صف خدمة الكنيسة<sup>(١٢)</sup>

ومع ذلك : فمن المقرر أن صراع ذلك البابا مع الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV (١٠٥٦-١١١٠ م) أعاقه عن تنفيذ مشروعه في شن الحروب الصليبية<sup>(١٣)</sup> تاركاً ذلك الأمر لمن أتى من بعده من البابوات .

= قاسم عبد قاسم «الوقائع الاجتماعية في الحركة الصليبية» ، نفذة التاريخ الإسلامي والوسطى ، م (٢) ط . القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٨٩ - ص ٢٢٢

١- جريجوري السابع : بابا ، وقديس تولى المنصب البابوي خلال المرحلة الممتدة من ٢٢ أبريل ١٠٧٢م إلى ١٥ مايو ١٠٨٥م خلفاً للبابا هونوريوس الثاني الذي تولى المنصب البابوي من ٢٨ أكتوبر ١٠٦٦ إلى ٣١ مايو ١٠٧٢م ، وقد آمن جريجوري السابع بسيادة البابوية المطلقة على الإمبراطورية ، وتسبب له الأمر البابوية Dictatus Papae التي تعكس ذلك ، عنه أنظر :

Kelly , Oxford dictionary of Popes, pp. 154-156 . Ullmann , History of Political Thought ,

The Middle Ages, London 1978, pp. 106-107 , pp. 112-113 .

Keen , The Pelican History of Medieval Europe, London 1976, pp. 77-80 .

ومن المهم هنا النظر إلى ذلك البابا على أنه اقتران لأوضاع الغرب الأوربي حينذاك ومن تلك الأوضاع انظر عادل ريتون ، تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ط . دمشق ١٩٨٢م ، ص ١٦٠

٢- هنري الرابع البابا جريجوري السابع في خدمة فكرة الحرب الصليبية ، أنظر :

Cowdrey , " Pope Gregory VII and The Bearing of Arms, " in Kedar , Riley - Smith and Hiestand (eds.) , Monjoie Studies in Crusade History in Honour of Hans Eberhard Mayer, Aldershot 1997 , pp. 21-35 .

وبعد كودري من أهم من تخصص في دراسة ذلك البابا ، ولتمتاز كتاباته بالعمق والتحليل لوقائع البابوية حينذاك .

٣- عن الصراع بين جريجوري السابع وهنري الرابع أنظر =

على أية حال: وصل إلى المنصب البابوي البابا أوربان الثاني Urbanus II<sup>(١)</sup> (١٠٨٩-١٠٩٩م) الذي تخرج مثل سابقيه من دير كلوني Cluny بفرنسا ، وانجبه إلى دعم النفوذ البابوي ، وقد عقد مجمعا كسبيا في بيافنزا Piacenza بإيطاليا من أجل الدعوة إلى المشروع الصليبي ، غير أنه لم يوفق وفكر في عقد مجمع آخر في وطنه فرنسا وبالتحديد في كليرمنت Clermont وفي ذلك المجمع أشعل البابا نيران الحرب العادلة في العصور الوسطى من خلال الدعوة إلى للمشروع الصليبي . ويصفه عامة : لا يمكن أن تقبل ما ذهب إليه المؤرخ الأمريكي مايكل هارت عندما تصور أن ذلك البابا من العظماء المائة الذين صنعوا التاريخ فالعظماء التاريخيين يصنعون التاريخ من خلال روح التسامح لا التعصب وسفك الدماء<sup>(٢)</sup>.

تجدر الإشارة : ألقى البابا أوربان الثاني في يوم ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م. خطابا في المجمع المذكور<sup>(٣)</sup> لم يستغرق إلا وقتا قصيرا دعا فيها إلى الذهاب إلى الشرق لتخليص

La due , The Chair of Saint Peter, A History of the Papacy , p. 100-101 .

سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى ، ص٢٥٢-٢٥٧ . نعيم فرح ، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ص٢٠٦ ، هارتمان وماركلاف ، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ص٥٠

١- البابا أوربان الثاني: ولد في شاتيون سيرمارين Chatillon - Sur-Marne ، وتولى المنصب البابوي من ١٢ مارس ١٠٨٨ إلى ٢٩ يوليو ١٠٩٩م. وذلك خلفا للبابا فيكتور الثالث Victor III الذي تولى المنصب المذكور من ٨-١ إلى ١٠-٨٧م عنه أنظر:

Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp. 158-160 . Cowdrey, " Pope Urban II and the Idea of Crusade .. S.M., 36 . 1995, pp. 721 -742 .

محسنة الفريضي ، «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية» ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ليبيا العدد (٤١) ، يوليو ١-٢٠٠٨

٢- مايكل هارت، الأوائل المائة ، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سناو، ط دمشق (٢٠٠١)

ص٦٨٥

٣- عن خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمنت أنظر:

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Tennessee, 1967 , pp. 62-65

الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين من قبضة السلاجقة ، وإدعى أنهم قتلوا المسيحيين الشرقيين، وذكر أن دماهم المراقاة تنادى وتستصرخ القرعجه ؛ من أجل عجلهم ، وكل ذلك جاء - محض افتراء - تام- وقدم البابا إنغمراحت اقتصادية . من أجل صسان لمجابهة واكتساب ذكر قاعدة مؤيده له ، كذلك تعرض لمحنة القدس باعتبارها هدف رحلة الحج المسيحي . وتحدث عنها باعتبارها الجنة الأرضية التي شهدت ذكريات المسيحية في عهدها الباكر.

وقال صراحة للعاشرين « اذهبوا إلى أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً » ، كذلك قدم العمران الكنسي للمشاركين في المشروع المرتقب ، وفور انتهاء البابا من خطابه ؛ صالح الحاضرون صيحة واحدة هي " Deus Vult " : أي « الله يريد ذلك » . وكانت صيحة المسيحية في حربها ضد الإسلام ، ومن المرجح أن ذلك المجمع كان أشبه شئ بمسرحية مدبرة من جانب البابا والمخضوع على نحو أدى إلى مثل تلك الاستجابة القوية الجماعية ونجاح المجمع المذكور بعد فشل مجمع بياكترا السالف الذكر على أية حال؛ قامت الحملة الشعبية أو ما عرفت بحملة

---

Robert The Monk , in Peters (ed.), *The First Crusade , The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials*, Philadelphia (1971) , pp. 1-4 .

Guilbert of Nogent , in Peters, pp. 6-10 .

جوزيف نصيب يوسف ، الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية» ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، ( ١٩٦١ ) عام ١٩٦٩ م . ص ١٩٨ - ص ٢٠٥

Munro , "The Speech of Pope Urbanus II at Clermont " , A.H.R., vol III. 1905, pp 2310

242

وهي لاتزال أهم مقالة حتى الآن عن الموضوع المذكور

Asbridge, *The First Crusade , A New History , Roots of Conflict between Christianity and Islam*, Oxford 2004, pp. 32-36 .

والرائع أن المؤلف لا يقدم « تاريخاً » جديداً كما يدل على ذلك العنوان الذي يقاب عليه الطابع الدعائي بما يتعارض مع قواعد الكتابة التاريخية المألوفة

الفلاحين التي غلب عليها الإنذاع العاطفي ، وعدم الدراية بالقوة السلجوقية ، وظهر فيها دور بارو لرجل يدعى بطرس الناسك<sup>(١١)</sup> . ويلاحظ أن أولئك الفلاحين إندفعوا من الغرب الأوربي إلى بيزنطة ووصلوا إلى القسطنطينية وذلك في عهد الإمبراطور الكيسوس كومنين Alexis Comnenus (١٠٨٠-١١١٨م)<sup>(١٢)</sup> . ومن المهم إدراك أن بيزنطة عندما طلبت مساعدة الغرب الأوربي كانت تريد عناصر عسكرية محترفة من المرتزقة ، ولم يمكن بدر في خد قاداتها البتة أن يصل إليها الآلاف من الفلاحين الذين لا ينفقوا شيئاً في فن القتال ضد السلاجقة الذين كانوا فرساناً أشداء . باعترااف المصادر الصليبية ذاتها ، وقد أوردت المؤرخة البيزنطية أنا كومنين Anna Comnena<sup>(١٣)</sup> وصفا لعناصر الحملة الشعبية فكشفت لنا عن انضمام اللصوص ، وقطاع الطرق والمجرمين في صفوفها ، وهؤلاء هم الذين وصفتهم المؤلات الصليبية بأنهم جند المسيح !!

وقد طالبوا الإمبراطور الكيسوس كومنين بالسماح لهم بعبور البسفور : ليصلوا إلى آسيا الصغرى ويحاربوا السلاجقة ، وعندما رفض محفزاً لهم من خطورة عدوهم . وبراغته العسكرية : قاموا بسلب ونهب الأملاك الإمبراطورية؛ ولذلك اضطر إلي السماح لهم بالعبور ، وعندما عبروا إلى هناك تلقفتهم جيوش السلاجقة ، وأجهزت على عدد كبير منهم ، ويلاحظ أن الغرب الأوربي اعتقد أن السبب الرئيسي لفشل الحملة الشعبية<sup>(١٤)</sup> يتمثل في

١ - عنه أنظر دراسة هينماير القديمة والجديدة في آن واحد

Hagenmeyer, Peter der Ernte, Leipzig 1879

٢ - عنه أنظر : عبد الفتى محمود عبد العاطى . السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الكيسوس كومنين . ط القاهرة ١٩٨٢ .

٣ - Anna Comnena, The Alexand Trans. by Sewer Penguin Book, London , 1979

وأظهر الترجمة العربية الرائعة التي قام بها حسن عيسى . أنا كومينا . الكساد . ت حسن عيسى . الشروح النصوص للترجمة . ط القاهرة ٢٠٠٥

عن الحملة الشعبية ، وشملها أنظر :

Albert d'Aux. Historia Hierosolymitana in R.H. C., T.V, Paris 1879, p. 284-289 .

Hagenmeyer, Peter der Ernte, Leipzig 1879. Runciman, A History of The Crusades, vol 1, p. 121-133 .

بيزنطة دون إدراك أن عناصر تلك الحملة لم تكن تصلح للقتال ولكن ميرات الكراهية والشك كان دائماً يظهر على السطح لكي يفسر كافة السياسات البيزنطية من خلال تصورات خاصة بالغرب الأوربي، وضد مصلحة بيزنطة بطبيعة الحال، ولا ريب في أن مرحلة الحروب الصليبية شكلت المرحلة التي تصادمت فيها القوتان الصليبية والبيزنطية .

نتج عن إخفاق الحملة الشعبية : أن قام الغرب الأوربي بتكوين حملة من الأمراء البارزين لكي يقاتلوا السلاجقة، وبالفعل شارك فيها كل من بوهيموند <sup>(٢٦)</sup> Bohemond ابن روبرت جوريسكاره Rober Guiscard <sup>(٢٧)</sup> الزعيم النورمانى ، وتانكرد Tancred وروغوند كونت تولوز Raymond of Toulouse <sup>(٢٨)</sup> وجودفرى دى بويون Godfrey de Bouillon <sup>(٢٩)</sup> ، وشقيقه بلدوين، كذلك كان هناك المتدوب البابوي أدهمار Adhimar ، وعندما وصلت حملة الأمراء إلى بيزنطة، تجددت الشكوك بين الطرفين . وأراد الإمبراطور الكيسوس كومنين أن يقسم له أفرادها بين اللولاء ، والطاعة فقبل البعض ، ورفض البعض الآخر ، وانجبه إلى أن

جوريف نعيم يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٢م ، ص ١٤١ - ص ١٧٠

يقدم حاليا تليفزيونى محمود كامل محمد للعبد بكلية الآداب - جامعة أسيوط بإعداد أخروجه للماجستير عن الحملة الشعبية ، تحت إشرافى بالاشتراك مع د. عز العرب محمد

٢- عنه أنظر: Fulcher of Chartres, 28-29

٣- عنه أنظر: Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch . Amsterdam 1970 . pp. 9-51 .

٤- عنه أنظر: Nicholson, Tancred . A study of his Career and Work in Their relation to the Latin States in Syria and Palestine . Chicago 1940 , pp. 20-102 .

٥- عنه أنظر: William of Tyre, vol . I , p. 139 . Hill . Raymond IV Count of Toulouse . Syracuse 1902 .

٦- عنه أنظر: William of Tyre, vol . I , p.

سرور عبد الحميد ، جودفرى بويون حاكماً للكيان الصليبي في الشام مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط ، عدد (١٤) مارس عام ٢٠٠٤م ، ص ٢٢٩ - ص ٢٧٩

بحفظ حقوق الإمبراطورية من خلال عقد إتفاقية القسطنطينية مع الصليبيين عام ١٠٩٧ م<sup>(١)</sup> وكان أهم ما ورد في تلك المعاهدة تعهد الصليبيين بأن يردوا للإمبراطورية المناطق التي كانت تابعة لها ثم استولى عليها السلاجقة وفي المقابل، تقوم بيزنطة بتقديم المؤن والإمدادات والمرشدين، والأدلاء : لمساعدة الصليبيين على تحقيق هدفهم المعلن بالوصول إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين

حدير بالإشارة؛ تمكن فرسان الحملة المنظمة من استعادة نيقية Nicae التي عادت إلى

#### ١ - عن إتفاقية القسطنطينية :

William of Tyre, vol. I, p. 130. Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) avec la Continuation de Gregoire le Pretre Jusque a 1162, ed. M.E. Dulquier, Paris 1858, p. 214.

Lilie, Byzantium and the Crusader States (1096-1204), Trans. by J.C., Oxford 1993, p. 21

متحية السراوي، « حياة الامبراطور الكسبوس كومنن كمنصر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرن ١٢م »، المجلة التاريخية المصرية، م (٢٧) عام ١٩٨١م، ص ٤٧ - ص ٤٨

عبد القوي عبد العاطي، السياسة الشرقية، ص ٢٩٢

جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين، ص ٢٢٢ - ص ٢٢٣

ومع ذلك : من المهم ألا ننفل أن تلك المعاهدة نسختها معاهدة عقدت بين بيزنطة ورومينا عام ١١٨٠م وديها اعتر الأخير نفسه فصلاً تابعاً للكسبوس كومنن وكذلك ولي عهده من بعده، عن تلك المعاهدة أنظر

Anna Comnena, p. 354 - 355

Fully, History of Greece, Oxford 1877, vol III, pp. 122-123.

Yewald, Bohemond, pp. 127-130.

#### ٢ - عن سقوط نيقية أنظر.

بغرس تودبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، دة حسين عطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص ١١١

الامبراطورية البيزنطية. ثم تمت هزيمة السلاجقة في معركة ضورليوم عام ١٠٩٧م بعد أن ضعفت الدولة السلجوقية في أعقاب وفاة ملكها آخر السلاطين الكبار عام ١٠٩٧م.

على أية حال : تمكن الصليبيون من تحقيق عدد من الانتصارات على المسلمين من خلال قوتهم الفنية ، وكذلك الصراع السلجوقي- الفاطمي بالإضافة إلى الاستفادة من الخلافات الطائفية في بلاد الشام حيث استفادوا من دعم عناصر الموارنة في لبنان وغيرهم ؛ وقكوا من تكوين عدة كيانات سياسية في صورة إمارة الرها Edessa<sup>(١٦)</sup>.

Raymond d'Aguilers, *Historia Francorum*, Trans. by John Hill and Laurita Hill, -١ Philadelphia 1968, p. 27-28.

مجهول . أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس . تـ حسن حبشي . ط . القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٣٨ - ٤٢ .  
٢- الرها : مدينة بالقليم الجزيرة وقعت فيما بين الموصل وشمالي وبلاد الشام ما بين مرعش ومنبع ، واعتبرت ذات مكانة خاصة لدى المسيحيين نظراً لبرود التبادل الذي يتقال أن السيد المسيح إستقبله ولذلك حظيت باهتمام الرحالة الأوروبيين الذين زاروها . وأشاروا إليها في مؤلفاتهم كذلك عني بإيراد أسرها الجرمانيون المسلمون ، عنها أنظر : أبر الفداء ، تقوم البلدان . ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ابن شاهين . زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك . تحقيق بول واقس . ط . باريس ١٨٩٧م . ص ٥٩ . الحنبلي . الفروض المطار في خبر الأنطار ، تحقيق إحسان عباس . ط . بيروت ١٩٧٥م . ص ٢٧٣

Eucherius, *Description of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., vol. III, London, 1892, p. 19

Silva of Aquitana, *Pilgrimage to the Holy Places*, pp. 34-35.

Segal, *Edessa, The Blessed City*, Oxford 1970.

برسب بنداى . والرها ، المشرق، السنة (٨) . العدد (٤) . بيروت ١٩٠٥م ، ص ٣٩ . شاكور أبريدر ، الحروب الصليبية ، والأسرة الزنكية ، ط . بيروت ، ميت . ص ١٤٧  
وعن إمارة الرها أنظر : عليه الجنزوري . إمارة الرها الصليبية . ط . القاهرة ١٩٨٦م . دراسة رائدة عن تاريخ تلك الإمارة لمؤرخة قديمة . محمود الروماني ، إمارة الرها الصليبية . ط . موكه ٧ - ٢٠م . دراسة مهمة . أيضاً عندي السيد محمود تلكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلعوين الأول ٤٩٤-٥١٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٦٠٢٠م ، تحت إشرافى وأ.د. أحمد رمضان ، ص ٢٠ - ٢٧

وإشارة أنطاكية<sup>(١)</sup> ومملكة بيت المقدس وذلك بعد أن دخل الغزاة المدينة المقدسة في يوم الجمعة ١٥ يوليو ١٠٩٩م<sup>(٢)</sup>. حيث احتلوا بها مقبحة مروعة راح ضحيتها عشرات الآلاف

١ - مدينة بفسالي بلاد الشام وهي حاضرة نهر العاصي - وتقع على بعد نحو ٢٠٠ كم تقريباً إلى الغرب من حلب ، استولى عليها المسلمون عام ١٠٣٥م على يدى أبو عبيدة بن الجراح ، ومن بعد ذلك سيطر عليها البيزنطيون واستعادها السلاجقة ، عنها انظر بالقرت - معجم البلدان ، ج ١، ص ٢١٢-٢١٦

أحمد وصفي زكريا، بحلة أثرية في بعض البلاد الشامية ط. دمشق ١٩٨٤م. ص ٩٦-١١٤ ، وعن تلك الإمارات الصليبية أنظر : Cahen, La Syrie du nord à l'époque des Croisades, Paris 1940.

وهي أفضل دراسة عنها حتى الآن. أنظر أيضاً: حسين عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية . رسالة ماعتبر عبر مشروقة، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م. إمارة أنطاكية والمسلمون، ط. الاسكندرية ١٩٨٩. كمال أمين محمد حسب الله، إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨-١٢٦٨م، رسالة دكتوراه عبر مشروقة - كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م، وهي دراسة مهمة تناولت تلك الإمارة الصليبية من الناحية حتى السقوط

٢- عن تلك اللهبعة انظر:

Anonymous, The deeds of The Franks and other Pilgrims to Jerusalem, Trans. by R Hill, London 1962, p. 51, Fulcher of Chartres, p. 122.

Hagenmeyer, " Chronologie de la Première Croisade", R.O.L., T.VII, Année 1899, p. 477-479

ابن الفلاس . دبل تاريخ دمشق، ص ٩٣٧ . ابن ميسر . منتخبات من تاريخ مصر P.H.C, Hist. On...I, III, p. 463 . ابن كثير . الاجتهاد في طلب الجهاد . ط القاهرة ١٣٤٧هـ . ص ١٩ ، الصبوي، تاريخ الخلفاء، ط القاهرة ١٩٦٩م. ، ص ٤٧٧ ، اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ . ج ٢، ص ١٥٤ ، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ . ج ٩، ص ١٨ . ريسان . المسيحيون العرب في فلسطين ط. اسكس ١٩٦٨م، ص ١٤ . ميخائيل اسكندر القدس عبر التاريخ ، ط القاهرة ١٩٧٧م، ص ٥٧- ٥٨ ، سعيد عاشور ، أشواق جديفة على الحروب الصليبية. ط القاهرة ١٩٦٤م، ص ١٠ ، مصطفى الحياوي، القدس زمن الفاطميين والفرنجية، ط عمان ١٩٩٤م. ص ٤٤ . شوقي شعث . القدس العمرة الإسلامية الماضي، الحاضر المستقبل، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٣٩- ٤٠

Gouen, " Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by The Crusaders", J J S, vol IX, 1932, pp. 162-177

من المسلمين، وفيما بعد أقاموا إمارة في طرابلس بشمالى لبنان<sup>(١)</sup>.

وبلاحظ هنا : أن الوجود الصليبي في بلاد الشام جعل الإمبراطورية البيزنطية أمام عدة اختيارات صعبة بل ومتناقضة في آن واحد. فهي تكره الصليبيين ولا تثق فيهم خاصة من خلال التراث والعدائى المتراكم السالف الذكر، وفي ذات الحين : تحتسى بذلك العهد الذى ليس من صداقته بد لمواجهة الخطر السلجوقي. ومن ناحية أخرى : لا تريد أن يقضى الصليبيون على القوى الإسلامية المحلية البارزة حتى لا تواجه بيزنطة بعد ذلك الخطر الصليبي منفردة، وهكذا لعبت تلك الإمبراطورية ذات الحيرة العريضة في التعامل مع الأعداء . وما أكثرهم ، والأصدقاء وما أقلهم : لعبة توازن القوى Balance of Powers . وهى لعبة خطيرة خاصة أنها تأكدت فيما بعد من أنها استعانت بلص غربى لمساعدتها في التعامل مع الأتراك السلاجقة! ولا تعمل ها : الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية دفعت ثمنها فادحاً خاصة مع تزايد الأطماع اللاتينية فيها

على أية حال : كان القرن الثانى عشر قهقريه مريرة في أمر العلاقات البيزنطية - الصليبية وشكل ميراثاً مريراً للعناء بين الطرفين .

بصفة عامة ت: توفي الكسبوس كومنين عام ١١١٨م. بعد أن قام بطور بارز في التاريخ البيزنطى ومن خلال استخفاؤه لأقصى وسائل الدبلوماسية والمهينة والمنور في التعامل مع الصليبيين. وتمكن من اشتغال الضعف الذى حل بالسلاجقة عقب وفاة زعيمهم قلع أرسلان وشن هجومًا عليهم عام ١١١٦م<sup>(٢)</sup>، وهكذا . عندما توفي كانت الإمبراطورية تسبحر على

١ - عنها أنظر . Richard , le comté de Tripolis sous la Dynastie Toulouseime , Paris, 1945 .

عبد العزيز عبدالدايم . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م . من الموهوبين بإعداد أطروحتها للماجستير عن إمارة طرابلس في القرن ١٣م . رسالة ماجستير غير منشورة عام ٧ ٢٠٠٢م . فليبس حتى لبنان في التاريخ . ت: أنيس فريجه . وتقول زباد ، ط بيروت ١٩٥٩م، ص ١٨٨ . أنيس فريجه . اساءة الفن والفكرى اللبانية . وتفسير معانيها : الجامعة الأمريكية بيروت ط ١٩٥٦م . ص ٢٠٧ . حكمت بك شريف . تاريخ طرابلس . الشام من أقدم أزمانها . تحقيق منى حداد بكن، ومارى عيسى خورى . ط طرابلس ١٩٨٧م، ص ١١-٢٤

٢ - عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٩٢ . وعن الكسبوس كومنين أنظر بالتفصيل =

الأناتول ، وطرابزون ، والساحل الجنوبي لآسيا الصغرى ، وكذلك ساحل البحر الأسود ، ودل ذلك ، على قنوته على محاولة إعادة بعض الأملاك البيزنطية التي فقدت من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ؛ إلا أن المسار العام للتاريخ البيزنطى لم يعد إلى الصعود الذى وجدناه من مراحل سابقة ، ويمكن اعتبار عهد آل كومنين بصفة عام بأنه «صحة» مؤقتة من بعدها كان يتظر بيزنطة حدث جلل : كما سيتضح من عرضنا التالى<sup>(١١)</sup>.

من بعد الكيسوس كومنين : تولى العرش حنا كومنين<sup>(١٢)</sup> John Comnenus خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣م. وقد حاول جاهداً إرجاع بعض المناطق التي فقدتها الإمبراطورية منذ

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. by E.R.A.Sewter, Penguin Book, London 1979 .

عبد الحمى محمود عبد الحامى ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الكيسوس كومنين ، ط القاهرة ١٩٨٢م. وهي أفضل دراسة عربية في موضوعها . فتحية التبرلى ، «حياة الإمبراطور الكيسوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرن الثانى عشر الميلادى» . المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٧) عام ١٩٨١م.

امال حامد غانم زيان ، الإمبراطور الكيسوس كومنين والمملكة الصليبية الأولى في ضوء كتاب الكيساد رساله ماستر غير منشورة . كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥م.

ولا يخلو كتاب عن الحروب الصليبية أو التاريخ البيزنطى بصفة عامة . إلا وتتناوله بصورة أو بأخرى

١- عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية . ص ١٩٢

٢- حنا كومنين : هو الابن الأكبر للإمبراطور الكيسوس كومنين وقد حكم خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١١٤٣ وقد توفى خلال حادثة صيد في أبريل من العام المذكور ، عنه أنظر :

حنا كومنين بالتفصيل أنظر :

Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans. by Charles M. Brand, Columbia 1976 , pp 13-31

Nicol, A Biographical dictionary . p. 55 .

Hussey , The Byzantine World , pp. 60-62 .

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, vol . II, p. 375- 376 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, pp. 333-337

عبد الحفيظ محمد على ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٣م رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨١م. ص ٧٣-٧٩ .

زمن بعيد ؛ غير أنه لم ينجح في حل المشكلة الأنطاكية المزمعة ؛ مما عكس أن هناك حدوداً محددة كانت تواجه اتفاق السياسة البيزنطية ولم يكن من الممكن البتة أن تتجعب بيزنطة في عهده وكذلك عهد سلفه من تحقيق «الحلم الأنطاكي» البعيد المثال والذي كان أشبه شيء بالمرآة ؛

ومع ذلك يذكر لنا كومتين حصانته السياسية وعدم إندفاعه ووجود مستشارين أفاده في صنع قراراته السياسية<sup>(١)</sup>.

ومن بعده ؛ تولى العرش الإمبراطوري مانويل كومنين الذي حكم خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ م<sup>(٢)</sup> فترة من أخطر الفترات في التاريخ البيزنطي والعلاقات بين الشرق والغرب عصر الصليبيات.

« وتعد الدراسة الأكاديمية الوحيدة باللغة العربية المتخصصة عن ذلك الإمبراطور البيزنطي. وقد أجاد فيها مؤرخها للراحل .

١- محمد محمد مرسى الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. ص ٢٤٦-٢٤٧

٢- مانويل كومنين ؛ هو مانويل كومنينوس الذي عرف بالأول وتولى العرش البيزنطي خلال المرحلة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ وبعد الأربعين الرابع ليوحنا الثاني كومنينوس الذي قام باختياره كولي للعهد عام ١١٤٣ م . ويلاحظ أن أمه تنحدر من الأصل . عنه أنظر :

Nicol, A. Biographical dictionary, pp. 78-79 .

وأفضل ، وأشمل دراسة عن ذلك الإمبراطور هي تلك التي أعدها بول ماجدالينو Paul Magdalino بعصر إمبراطورية مانويل كومنين ١١٤٣-١١٨٠ وصدرت من حنطب جامعة كامبردج عام ١٩٩٧ م. أنظر Magdalino, The Empire of Manuel I Comnenos 1143 - 1180, Cambridge 1997

وقد وقعت في ٥٥٧ صفحة اعتماداً على غزارة بيبليوغرافية مصدرة ومرجعية غير مسبقة وفرة على التعليل والعرض من جانب أستاذ حقوقي خبير في الدراسات البيزنطية . وهذه هي المرة الأولى على ما أعلم التي يعصم فيها مؤرخ أوربي دراسة يمثل هذا التوسع والتشمول عن ٢٧ عاماً فقط من عمر التاريخ البيزنطي الممتد البالغ أكثر من ١١ قرناً كما أسلفت مراراً من قبل . وليس معنى ذلك الاتفاق التام مع كل ما ورد فيه بشأن تقويم ذلك الإمبراطور البيزنطي أنظر أيضاً

Vasilev History of the Byzantine Empire, p. 417-418 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 337-350

ويلاحظ أن سياسته الشرقية، والغربية: ارتبطتا معاً ارتباطاً وثيقاً؛ فنجد أنه واکب مشروعاته في تدعيم السيادة البيزنطية في الشرق اللاتيني؛ تدهور وضّاح في تمرده، في الغرب؛ إذ ثارت البندقية ضده، وقد باء مشروعه مع البابوية في توحيد الكنيستين الشرقية، والمعمرية بالإخفاق<sup>(١)</sup>؛ إذ أن البابا لم يكن ليقبل أن يكون مجرد بطريرك بيزنطي في روما<sup>(٢)</sup>.

وقد شغل مانويل كومنين اهتمامه بمشاكل الغرب عن مواجهة صراعات الشرق، وهذا من يقرر من أنه خلال منتصف القرن الثاني عشر كان يحتاج فقط إلى حشد قواته لكي يقضي على سلطة قونية السلجوقية غير أنه اهتمت عن ذلك بسبب طمرحاته المتعلقة بالسياسة العربية<sup>(٣)</sup>. وكذلك استحقاقه بالخطر السلجوقي خلال تلك المرحلة.

ويأخذ البعض على ذلك الإمبراطور: إتياعه سياسة دفاعية لدة طويلة، إذ أنه خلال الأعوام الواقعة بين عامي ١١٦٤، ١١٧٥ م؛ أي على مدى أحد عشر عاماً كاملة. ألزم نفسه بإتباع تلك السياسة، واتجه إلى تحصين تخومه، وعندما أدرك الخطر متأخراً؛ إتجه إلى إتباع سياسة هجومية غير أن ذلك جاء بعد فوات الأوان، وكان ذلك من عوامل الهزيمة الفادحة المنكرة، والقضيمة، التي لقيها على يدي قلع أرسلان السلجوقي في موقعة من كيبفالون Myrioccephalon<sup>(٤)</sup> في ١٧ سبتمبر ١١٧٦ م، والتي شهدها الإمبراطور نفسه بأنها مثل معركة مانزكوت التي وقعت في ١٦ أغسطس ١٠٧١ م. وقد أدت معركة ميكاكيبفالون إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها على النحو التالي:

١ - عمر كمال توليق، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ١٩٨.

٢ - نفسه، نفس الصفحة.

٣ - نفسه، ص ١٩٤.

٤ - وقعت ميكاكيبفالون Myrioccephalon في منطقة قريبة لـ Phrygia في آسيا الصغرى Asia Minor إلى الشرق من كوما Choma. ويلاحظ أن كلمة ميكاكيبفالون ذاتها تعني ألف رأسى وثما يتكرر أن الآلاف من البيزنطيين هلكوا في ذلك الموقع أكثر من مرة !

رغم تلك المعركة انظر

أولاً : خفضت على هيبة البيزنطة، ومكانتها السياسية والعسكرية التي كانت سلاحها الأول في مواجهة منافسيها في القرب الأوربي وكذلك الصليبيين في الشرق اللاتيني.

ثانياً : أدت تلك المعركة إلى القضاء على أي أمل بيزنطي في استعادة آسيا الصغرى من قبضة السلاجقة القوية؛ على نحو يجعلنا نقرر أن كيغاثون مكملة لما ذكرت .

ثالثاً : أعتبرت المعركة المذكورة إنتصاراً كبيراً للإمبراطورية القروية ولنفردريك باربا روسا (١١٥٢-١١٩٠م) نفسه الذي توهم ذلك الإمبراطور البيزنطي أنه تد له. ولكن على الرغم من كل ما حل بالإمبراطورية؛ إلا أن قاداتها السياسية لجأت إلى الانتقام من الإمبراطور

Nicetas Chonates, *Of city of Byzantium. Annals of Niketas Chonates*, Trans. by = Harry Magoulias, Trans. by Harry Magoulias, Wayne State University, Detroit 1984 , pp. 101-107 .

Michael Le Syrien , *Chronique*, T. III, p. 371 .

O.D B., vol . 2 , p. 1449 .

Vasiliev, *History of the Byzantine Empire*, p. 426- 429

Hussey , *The Byzantine World*, p. 66 .

Nicol, *A Biographical dictionary* , p. 79

Treadgold, *A History of the Byzantine State and Society*, p. 649 .

Diehl, *History of the Byzantine Empire*, p. 119 .

Ostrogorsky, *History of the Byzantine State* , p. 347 .

على عمده العامدى . «معركة مريكفالتون ١١٧٦» . «مجلة كلية الشريعة - جامعة أ.أ. القري- مكة المكرمة، العدد (١) . العام الأول عام ١٤٠٩هـ، ص١٢٢- ص١٥٠ . شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص٢١١ . محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطى دراسة في التاريخ السياسي والحضارى (القرن ١١-١٢)، ط١ الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص٢٢٠- ص٢٢١ محمد محمد عيسى الشبح، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٧٢ ص٢٧٣ . أند رستم، الروم، ج٢، ص١٥٧- ص١٥٨ . جوزيف سيم يورسف، تاريخ الدولة البيزنطية . ص٢٢٨ . على صالح المحميد، المائتستديون وجهادهم في بلاد الأناضول . ط١ الاسكندرية، ١٩٩٤م، ص٢٢٣، حاشية (١١) . محمد زكى نجيب، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١- ١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م، ص١٨٤

الامبراطور الألماني. وذلك من خلال تشجيع القوى النازية ضده في إيطاليا وامتدادها بالأمرال . واستمر ذلك الأمر قائماً حتى وفاة مانويل كومنين عام ١١٨٠م<sup>(١١)</sup>.

ولانغل. أن ذلك الامبراطور توافرت لديه اهتمامات كبيرة بالسياسة الغربية . ويلاحظ أن تلك الاهتمامات شغلت عن سياسته الشرقية التي اتبع فيها الجانب الدفاعي كما أسلفت . ولانغل أن عجزه عن التوازن بين السياستين الشرقية والغربية كان خطأ القتال الذي وقع فيه بسبب ضعفه السياسية.

جدير بالإشارة : حاول الإمبراطور المذكور حل « العقدة المستعكة » في العلاقات البيزنطية - الصليبية محلة في المشكلة الأنطاكية . والواقع : أنه كان أضعف من أن يجد لها حلاً ؛ وعلى الرغم من استخدامه كافة الوسائل السياسية، والدبلوماسية إلا أن ذلك لم يحكه من تجاوزها

لقد ألزم مانويل كومنين أمير أنطاكية ريموند دي بواتيه Raymond de Poitiers (١١٣٦-١١٤٩م) على الحضور إلى القسطنطينية . وقدم اعتذاره للإمبراطور بل إنه اعتبر نفسه فضلاً تاهماً له عام ١١٤٥م. ومن بعد ذلك؛ وفي عام ١١٥٨م؛ قام ذلك الإمبراطور بعزير كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى . وعامل أمير أنطاكية رينود دي شاتيون Renauld de Chaulion (١١٥٣-١١٦٢م) على نحو قاسٍ وألزمه بالخضوع له<sup>(١٢)</sup> . ويلاحظ هنا: أن انتصاره في كيليكيا رجع إلى فرار ثوروس الأرمني Thoros of Armenia<sup>(١٣)</sup> وعندما علم رينودى شاتيون بتلك التطورات اتجه إلى تقديم الاعتذار للإمبراطور شراً لمسامحته . وتوج

١- جريج تيمب بوسف. تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٣٨

William of Tyre, vol. II, p. 276 .

-٢-

Schiumberger, Renauld de Chaulion Prince d'Antioch au Temps des Croisades. Paris 1933  
p. 102

Diehl, History of the Byzantine Empire, p. 125 .

٢- محمد مؤنس عرش. في الصراع الإسلامي - الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية . ص ١٩٢

ورينودى شاتيون: فارس فرنسي قدم إلى بلاد الشام خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩ مرفقة الملك لويس السابع. وقد تزوج من الأميرة كونستانس أميرة أنطاكية عام ١١٥٣م. وقد وقع في أسر المسلمين سبعة عشر عام . وتزوج سيلياني دي ميل في نوفمبر عام ١١٧٧م . وقد أضعف قلعة المكر =

سانرييل كومنين حكاه السليمانية بأن دخل مدينة أنطاكية عام ١١٥٩م<sup>(١)</sup> في عركب مهيب،

هـ لسيطره والقبلى اعترض طريقه دمشق - القاهرة . وأعد حملته على الأماكن المقدسة الإسلامية عام ١١٨٧م، ولكن تم إيجاشها . وقد قتل صلاح الدين الأيوبي أرناط في ٤ يوليو ١١٨٧م في معركة حطين الحاسمة. عت أنظر

Ernoul , *Chronique d' Ernoul Bernard le Tresorier* , ed., Mas Latrie , Paris, 1971 , p. 69-70

أبن منكلى ، الأحكام للركبة والضوابط النمسية في فن القتال في البحر ، تحقيق عبد العزيز عبد الدليم ، رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م ، ص ٨٥-٨٦ ، حستين ربيع ، « البحر الأحمر في العصر الأيوبي » ، ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسيلسة الدولية المعاصرة ، إشراف أحمد عزت عبد الكريم . ط. القاهرة ١٩٨٠م ، ص ١٠٨-١١١ ، عائشة بنت عبد الله ، البحر الأحمر في العصر الأيوبي . ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م ، ص ٤٩-٤٤ . حسن عبد الوهاب ، « مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية » ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية ، ط الاسكندرية ١٩٩٧م ، ص ٢٠٣-٢٠٤ . عبد النعم ماجد ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، ط القاهرة ١٩٩٧م ، ص ٧٤ ، يوسف درويش غولقة ، إمارة الكرك الأيوبي ، ط. عمان ١٩٨٧م ، ص ١٢٧-١٣٦ ، عبد الرحمن زكى ومحمود عيسى ، الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . ط. القاهرة ١٩٤٧م ، ص ٣٧ ، جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ط. جدة ١٩٨٥م ، ص ٦٨-٧٥ . محمود رزق محمود ، الصلافة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس .

Hamilton, " The Elephant of Christ , Reynald of The Crusades, 900-1300, in *Monastic Reform Catharism and The Crusades, 900-1300*. London 1979, pp. 40-103

Hamilton, *The Leper King and his heirs , Baldwin IV and the Crusader Kingdom of Jerusalem* Id, Cambridge 2000, p. 178-1179 . Friedman, *Encounter between Enemies, Captivity and Ransom in the latin kingdom of Jerusalem*, Leiden 2002 , pp. 85-86 .

سعيد البشايو، الأراضي الزراعية ومستجانتها في الحليل في العصر الفريجي ٤٩٢-٤٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م. ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصر الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض . ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٦٦ حاشية (١٨)

Kinnamus, p. 142-143 .

-٩-

Chalandon, *Jean II Comnenes et Manuel I Comnene*, T II, Paris 1912 , p. 451-452

ومعه كافة الأشعة الإمبراطورية ومن خلفه الملك الصليبي بالدين الثالث Baldwin Renauld de Chatillon III ( ١١٤٤ - ١١٦٣ م). وريتودى شاتيون ، وقد تصور العلامة فازيليف Vasiliev : أن دخول مانويل أنطاكية بعد انتصاره البارز للسياسة البيزنطية وجاء نتاجاً لما زاد على الستين عاماً من الجهد البارز في ذلك النطاق<sup>(١)</sup>. وإن كنت أتصور أنه انتصار ه شكلي ، يرضى طموحه كإمبراطور دون أن ينتج عنه أية نتائج سياسية حقيقية لصالح بيزنطة على الأرض .

من ناحية أخرى؛ يوجد في كنيسة الميلاد بيت لحم نقش يرد فيه اسم مانويل كومنين جنباً إلى جنب مع اسم الملك الصليبي عموري الأول<sup>(٢)</sup> Amaury I (١١٦٣ - ١١٧٤ م) بمناسبة أحداث تجديدات بها شاركت بيزنطة فيها ، وقد وقع الخلاف بين المؤرخين في تحليل دلالات ذلك النقش ، وهل يعنى أن الإمبراطورية البيزنطية كانت لها سيادتها على الكيان الصليبي. والمراجع أن النقش المذكور دلّ على رغبة بيزنطة في رعاية الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين حيث اتجهت إلى ترميم تلك الكنيسة ، والأمر المؤكد ؛ أن ذلك الموقف من جانب تلك الإمبراطورية استفادت منه في الدعاية السياسية لها إذ أنها تصورت وجود سيادة لها على الوجود الصليبي شرقي البحر المتوسط Levant ؛ غير أنه من الناحية العملية لم يكن هناك تأثير حقيقي بيزنطي من الناحية السياسية على الصليبيين. وفي حالة حدوث ذلك لملت المشكلة الأنطاكية الأمر الذي لم يحدث .

Hussey , " The Later Macedonians, The Comnens and The Angels" . C.M.H., vol V, - p. 264

Baldwin , " The Latin States under", Baldwin III and Amari I 1143-1174 in Setton (ed ), II, Pennsylvania 1958, p. 344

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 80

Corpus Inscriptorum Graecorum , vol . IV , p. 339 .

٢ - عهد أنطز

وند شاهد النقش المذكور الرحالة البرتغالي يوحنا فوكلس - عن ذلك أنظر :

Joannes Phocas, Abrief Description of the Holy land . Trans. by A. Stewart, P.P T.S, vol V , London 1896 , p. 19

واقع الأمر : أن الصليبيين كانوا أكثر دهاءً من الإمبراطور مانويل كومنين. فقد جعلوه يشعرون أنه صاحب سيادة سياسية عليهم<sup>(١١)</sup>. لكن واقعياً لم يكن له تأثير عملي ملموس على محور يؤكد عكس إدعاءات الإمبراطورية بأنها نالت مكاسب جديدة على الصعيد السياسي سواء في أطاكية أو في قلب مملكة بيت المقدس اللاتينية مثلما توحي بذلك بعض الكتابات المصدرة البيزنطية وكذلك المراجع المتحيزة لذلك الإمبراطور

وقد تصور البعض أن مانويل كومنين حقق إنجازات تاريخية كبرى وبالتالي : لم ينسبوا إليه أية سلبيات وذلك بعد أن وقعوا في أسر الإعجاب المفرط به وكانوا بذلك ضحية كاريزما القائد، ولقد على ذلك الانحياز نورد الآتي:

أولاً- جاءت هزيمة مريكيفالون السالفة الذكر. وعلى ذلك النحو المهين من جانب الأتراك السلاجقة. وكأنها تقترب من أن تكون بمثابة «الاحتفال الثوري بكارثة مانزكوت»<sup>(١٢)</sup>. مع استثناء ستة أعوام فقط على الهزيمة الأولى- وقد جاء الإنتصار السلجوقي على بيزنطة في أحد المرات الجبلية بأسيا الصغرى؛ ليقضى على ما بقي للجيش البيزنطي من هيبة وهى تذكرنا بهزيمة باسل الثاني في بحر جيلي على أيدي البلغار من قبل .

١- من المهم الرجوع إلى ذلك المقال المتنازع القديم الجديد الذى أعده جون لامونت .

La Monte, " To what extent was The Byzantine Empire The Suzerain of the Latin Crusading State, " B., vol . 1923, pp. 253-264 .

٢- ويقر المؤرخ البارز برنارد هاميلتون Bernard Hamilton فى معرض تناوله لمعركة مريكيفالون أنها كانت صدمة لمكانة وهبة مانويل كومنين أكثر من كونها موجهة إلى قوته العسكرية ولأنه فضل أن يفلح أرسلان لم يكسب مناطق جديدة على الأرض. دون أن يتكر ذلك المؤرخ أنها كانت هزيمة كبيرة على نحو جعلها تشبه معركة مانزكوت . وقد قرر أن بيزنطة كانت لديها القوة فى صورة أسطوها الذى عمل مانويل كومنين على إعادة بنائه. وكانت بيزنطة بمثابة القوة القادرة على دعم الشرق اللاتينى فى مواجهة المسلمين ولم تقدرى إن ذلك رأى جانبته الصواب . فلو لم تكن ذات تأثير عسكرى كبير لا شبت بكارثة مانزكوت . وهو أمر أقره ذلك الإمبراطور شخصياً وللمؤرخ برنارد هاميلتون نفسه . وأنصرو أن هبة مانويل وهبة الجيش البيزنطى تأثرت تأثيراً كبيراً بأحداث مريكيفالون بغض النظر عن جزئية اكتساب قلع أرسلان لأرض جديدة أم لا . ولا تغفل أن تشبت الرعب القائم لصالح السلاجقة بعد مكسباً عسكرياً . وسياسياً بكل المقاييس وهو ما أعمله المؤرخ المذكور أنظر رأيه :-

لقد نظر الغرب الأوربي إلى الامبراطورية البيزنطية من بعد تلك الحادثة نظرة الاستهانة والإدراء أكثر من ذي قبل؛ إذ أن هيبة . ومكانة الإمبراطورية البيزنطية صارت موضع شك كبير . بل ولم يعد هناك من يتصور أن الجالس على خفاف البسفر يمكن أن يتحدى بالسيادة العالمية التي لم تكن سوى في مخيلته فقط دون أن يملك شيئاً من الواقع خاصة بعد أحداث كارثة ١١٧٦ م . ويلاحظ أنه خلال القرن ١٢ م : نجد أن الإمبراطور فردريك بارباروسا خليفة أثر مراكيفالون؛ كتب يازدوا لمانويل كومنين رسالة يخاطبه فيها بأنه ملك اليونان، وأنه وملكته بعدلن جزءاً لا يتجزأ من إمبراطوريته الرومانية<sup>(١)</sup>.

جدير بالإشارة أن الهزائم العسكرية، والإخفاق السياسي صاحب ذلك الإمبراطور عدة مرات وكى لا يتصور البعض أن مراكيفالون بمثابة الهزيمة الشفردة في تاريخه : نود الإشارة إلى مرتعين يهكسان تأصل «مفهوم» الهزيمة في سلوك مانويل كومنين على النحو التالي:

١- يكفى الإشارة إلى معركة حارم التي وقعت عام ١١٦٤م<sup>(٢)</sup>، التي حدثت بين التحالف البيزنطي- الصليبي- الأرمني ضد نور الدين محمود مؤسس الدولة النورية

Hamilton, " Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in Chrysostomides (ed.) *Kathegetria, Essays Presented to Jean Hussey for her 80 th birthday*, Cambridge 1988, p. 361

١- محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١١

٢- وقعت حارم ضمن إمارة أنطاكية الصليبية . وهي حالياً ضمن محافظة أدلب عنها أنظر : محمود سعيد عمران . السياسة الشرقية، ص ١٨٥ . فتحى عثمان . المعهود الإسلامية- البيزنطية . ج ١، ص ٢٢١ وعن معركة حارم أنظر

عبدالله بن سعيد القمامدي . مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكى وأبيه نور الدين محمود . جامعة أم القرى . سلسلة بحوث الدراسات التاريخية . مكة المكرمة ١٤١٦ هـ . ص ٤٨

Anonymous Syriac Chronicle . p. 303 .

William of Tyre . vol . II . p. 306-308 .

Jacques de Vitry . History of Jerusalem , Trans . by A. Stewart, P.P.T.S., vol . XI . London 1896 . p. 94 .

(١١٧٤-١١٧٦م) وقد قاد القوات البيزنطية القائد قسطنطين كارلومان Constantine Car-roman ، وخلال أحداثها هزمت قوات التحالف وتم الفتح بعدد وافق من القوات البيزنطية بفضل دور بارز لقوات الموصل . ولذا؛ استحق البيزنطيون الذين شاركوا فيها وقدّموا كمستلّين عن إمبراطورهم؛ سحرية الصليبيين اللاذعة !

٢- تحالف مانويل كومنين مع الملك الصليبي عموري Amoury (١١٦٣-١١٧٤م) لحرر مصر ، وقد حركت الامبراطور البيزنطي أوهام أن أرض الكتانة كانت يوماً ما من أسلاك بيرطة قبل حقد الفتح العربي لها في القرن السابع الميلادي . وقد قام صلاح الدين الأيوبي بنحصب بلبس . والقاهرة . والاسكندرية، وهاجم الحلف المشترك دمياط عام ١١٦٩م<sup>(١)</sup> . على نحو أدى إلى فشل ذلك التحالف .

كل ذلك يدل على أن أعوام ١١٦٤م، ١١٦٩م، ١١٧٦م علامات مميزة في تاريخ حياة إمبراطور بيزنطي فاشل إلا أن عام ١١٧٦م عكس هزيمة بارزة لكثانة بيزنطة ذاتها حتى عند الغرب الأوربي .

= ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل . تحقيق عبد القادر طليسات . ط القاهرة ١٩٦٣م، ص١٢٤ . ابن عساكر . ترجمة محمود بن زكي . تحقيق نيكيتا السيوف . مجلة الدراسات الشرقية م (٢٥) عام ١٩٧٢م B.E.O., T.XXV, Année 1972 . ص١٢٨ . العباد الأصفهاني . لبنان المامع لمصيح تولوع الزمان . تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية عدد عامي ١٩٣٧- ١٩٣٨م، ابن واصل . معراج الكروب في أخبار بني أيوب . تحقيق جمال الدين الشبال . ط القاهرة من ١٩٥٣م . ص ١٤٣ . ابن العباد الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ط القاهرة ١٣٥١هـ . ج ٤ . ص ١٨٦ . العدوي . الرب .اب . تحقيق صلاح الدين لمجد . ط دمشق ١٩٥٦م . ص ٤٠ . محمود سعيد عمران . معركة حارم ١١٦٤م . قصة التحالف البيزنطي الصليبي الأرميني ضد نور الدين . مجلة المورخ العربي . العدد (٨) عام ١٩٧٧م . ص ٩٠ - ١١٢ . السياسة الشرقية، ص ٢٨٥ . عليه ديب نيرزي، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود . ط . صيدا ، ٢٠٠٣م . ص ١١٦ ١١٧

Cahen, la Syria du nord , p. 204

حيث يصفها بكارثة حارم "La desastre de Harim"

١- محمود سعيد عمران . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ص ٢١٧- ٢٢٤

حيث يقف مجلبلاً مثاراً اعتماداً على مقالته القيمة عن معركة حارم

ومع ذلك : لا تنضج لنا الصورة كاملة إلا من خلال سياسة الامتيازات التجارية التي بالغ في تقديمها ماثول كومنن للبتادقة، على نحو خاص ثم عاد وقام بإلغائها، فيلاحظ أنه أصدر مرسومًا عام ١١٤٨م : جدد فيه الامتيازات التي كان قد منحها الكسيوس كومنن من قبل عام ١٠٨٢م<sup>(١١)</sup>، وقد أقر ذلك المرسوم على حق البتادقة في مد حدود جههم الخاص بهم في العاصمة البيزنطية، كما أن الإمبراطور قرر كذلك إعفاءهم من الجمارك في بيزنري قبرص، وكريت التي لم يشملها مرسوم عام ١٠٨٢م<sup>(١٢)</sup>.

جدير بالذكر : أن سياسة الامتيازات التجارية للتجار الإيطاليين التي سار عليها ذلك الإمبراطور كان لها أسوأ الأثر على بيزنطة واقتصادها ويقرر البعض ما نصه : «لرب في أن الامتيازات التي منحت للتجار الإيطاليين، وبصفة خاصة للبتادقة ، قد ألغيت أبلغ الأضرار، وأخطرها في بيزنطة واقتصادها . وأدت إلى منافسات غير شريفة بين هؤلاء التجار الإيطاليين عبر الإمبراطورية، وخلقت الحقد، والحسد في نفوس البيزنطيين الذين نظروا إلى هؤلاء الأجانب وهم ينهبون ثرواتهم، وسيطرون على أسواق إمبراطوريتهم، واقتصادها بقرة السيف»<sup>(١٣)</sup>.

من بعد ذلك : قام الإمبراطور في ١٢ مارس ١١٧١م، باعتقال البتادقة ومصادرة أملاكهم على نحو مثل نكبة حقيقية بالنسبة لهم<sup>(١٤)</sup>، ومن بعد وفاته عام ١١٨٠م، قامت ثورة شنبعة

١ - عى تلك المعاهدة بين الكسيوس كومنن والبتادقة انظر :

Anna Comnena , pp. 146-147

Gadolin, "Alexios I Comnenus and The Venetians Trade Privileges: A New interpretation", B 50, 1980, pp. 439-445

Adelson, Medieval Commerce, NewYork 1962, p. 160

عادل زيتون ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ص٣٣٦ ، حاشية (١٢)

٢ - عادل زيتون ، المرجع السابق، ص٩٧ . وأنظر أيضًا هذه المقالة المهمة

Donstrup, " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of Byzantine Commercial Policy" C.M.L., T.X, 1949, pp. 195-219 .

٣ - عادل زيتون ، المرجع السابق ، ص٦٨

١ - هايد ، تاريخ التجارة، ص٢٢٧

صد اللاتين تفجرت عام ١١٨٢م<sup>١١</sup> وتم فيها مهاجمة الحى البندقي وفتك بهم رجالاً ونساءً وأطفالاً بعد أن ظهرت إلى السطح الأحقاد القديمة ولا تنفل هنا أن مبررات الكراهية المتبادل . وأحداث العام الأخير سيكون رد البنادقة عليها مثلاً فى ما حدث فى العاصمة البيزنطية أوائل القرن الثالث عشر الميلادى .

هكذا : كان الأمر مع مانويل كومنين الذى لا ريب فى محمله أكثر من غيره نتائج ذلك، ومن الجلى البين عدم إدراكه لتناسى الخطر السلجوقى إذ تحرك متأخراً بعد أن اختلت كفة ميزان القوى لصالح المسلمين بطبيعة الحال. وهكذا؛ صار متردداً بين سياسته القويمة والشرقية، وعندما إتجه إلى الشرق، كانت مرياكيفالون بمثابة الدرس القاسى للإمبراطور الذى تأخر طويلاً وأراد أن يقوم بدور أكبر بإراحل من حجه الثانوى . وذلك بموضوعية دون التأثير بالروية البندقية المعتادة له

ومن الأمور ذات الدلالة ؛ أنه بعد (٢٨) عاماً فقط من تلك الهزيمة؛ كانت الفترات الصليبية من الغرب الأوروبى تعمس قسداً فى القسطنطينية<sup>١٢</sup> وتحتلها لأول مرة فى تاريخها وذلك عام ١٢٠٤م . بعد أن تزايدت الأطماع اللاتينية فيها ، وجاءت الحركة المذكورة تعبيراً عن الضعف الداخلى الذى لم يترك الإمبراطور المذكور حقيقته .

ثانياً : تصور البعض أنه كان محققاً عندما تصور أمره السيادة العالمية ، واعتبروا ذلك تقليداً بيزنطياً امتد عبر القرون ، والواقع أن ذلك التصور كان أشبه بمحاولة إعادة عقارب الساعة إلى الوراء . فقد رأينا من خلال العرض السابق، كيف أن بيزنطة فقدت أملاكها تدريجياً فى إيطاليا، وفى عام ١٠٧١م أبى قبل تولى مانويل كومنين للعرش البيزنطى بنحو ٧ عاماً - فقدت بارى Bari - آخر أملاكها فى تنغريب على أيدي النورمان. وهم فترة

٦- عن أحداث الحى البندقي أنظر:

حاتم الطحطاوى، بيزنطة والمدن الإيطالية ١٠٨١-١٢٠٩، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٠٦ . وأرد الإشادة بهذه الدراسة العسيفة المركزة من جانب باحث يمتلك كفاءة مقومات النجاح فى مجال التاريخ البيزنطى

أنظر أيضاً - محمد مؤنس عيسى، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٦٥  
Kaplan, "Le Sac de Constantinople", H., T.LXVI, Année 1962, p. 114

٧- عن تفاصيل ذلك أنظر أحداث أسرة أنجيليوس

لا يستهان بها في معترك السياسة الدولية حينذاك، وتصور مانويل، أنه ند لأباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة مثل فردريك بارباروسا<sup>(١١)</sup> Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) وكان ذلك قصر نظر واضح تماماً : فالسيادة العالية لم يكن من الممكن أن يسمي إليها إمبراطور بيزنطي واقفي يلهم وقائع التاريخ وتعلم منها.

ثالث : يتحمل ذلك الإمبراطور نصيباً كبيراً في كارثة عام ١١٧٠-٤م على بيزنطة مع عدم اغفال العوامل الأخرى - فقد أعطى امتيازات كبيرة للنادقة ووجه إمبراطوريته نحو وجهة غربية، بل هو نفسه كانت أمه هنغارية، وزوجاته نفسها من الغرب في صورة برنغا أخت زوجة كورنارد ملك ألمانيا، ومن بعدها ماري الأنطاكية<sup>(١٢)</sup>.

ومن خلال ميوله الغربية؛ قدم إلى الإمبراطورية الكثيرون من الغربيين، على نحو أدى إلى تعميق كراهية البيزنطيين لهم وبصورة أدت إلى الصدام بين الجانبين الذي جر نتائج وخيمة على بيزنطة.

#### ١- عن فردريك بارباروسا أنظر:

Otto of Freising, *The Deeds of Frederick Barbarossa*, Trans. by Charles Christopher Mierow, Toronto 1966.

Otto of St. Blasien, *The Third Crusade 1187-1190*, from *The Chronicle of Otto of St. Blasien*, in Thatcher, *Source Book of Medieval History*, New York 1902, pp. 529-553

Munz, *Frederick Barbarossa: A study in Medieval Politics*, London 1969.

حامد ريان- فردريك بارباروسا والحركة الصليبية الثالثة ط القاهرة ١٩٧٧م، كمال اندرسكي، تاريخ الماسا، ط القاهرة ١٩٦٩م، ص ٣٩

٢- ماري الأنطاكية Mary of Antioch، هي ابنة ريموند دي بواتييه Raymond de Poitiers وكونستانس Constance، وقد تزوجها مانويل كومنين بعد وفاة زوجته الأولى عام ١١٥٩م، وتم الزواج في ديسمبر عام ١١٦١م، ويلاحظ أنها كانت أختاً لبوهيموند الثالث Bohemond III أمير أنطاكية (١١٦٣-١١٩٠م) عنها أنظر:

Garland *Byzantine Empresses Women and Power in Byzantium*, A.D. 527-1204, pp. 199-209

Hill, *Imperial Woman in Byzantium 1025-1204: Power, Patronage and Ideology*, London 1999, pp. 201-204.

رابعاً : وجد من المؤرخين الغربيين من اتبهر بذلك الإمبراطور فالمؤرخة البريطانية القديرة جوان هسسى J. Hussey فى كتابها المرجع القيم العالم البيزنطى The Byzantine World أورد عنه ما نصه «وخلال تلك الظروف انتقل التاج البيزنطى إلى مانويل الابن الرابع لبرحنا، ومثله فى ذلك مثل بطل الملحمة البيزنطية ديجينيس اكرتاس Digenis Akritas سيد البر الذى يعود فى أصله إلى شعبين كان مانويل كومتوس يتسمى لعالمين . وليس من حزن الخيال أن يتصور تناقضاً كبيراً مع أباطرة الأسرة السالفة مثل جوستيان أو قسطنطين السابع بوربر وجنتوس، فقد كان مانويل حاكماً مثاقفاً . جندياً، ودبلوماسياً ، ورجل دولة»<sup>١١</sup>.

والواقع أن رأى السالف على الرغم من علو شأن صاحبه فى حقل الدراسات البيزنطية إلا أنه يكتشف بجلاء عن الاتيهار بشخص الإمبراطور، ومن الممكن تشبيهه بجستيان - فقط - من خلال أنهما الاثنان سارا وراءهم السيادة العالمية التى ولت وأدبرت عبر أن جستيان يتفوق عليه : نظراً لإسهامه القانونى السالف الذكر الذى عاش من بعد وفاته : وهو أمر انتقده مانويل كومنين .

ومن الملفت للإنتباه : أن نفس المؤرخة بعد أن أظهرت ولعها، وإفتنانها بذلك الإمبراطور إلى حد أوصلها إلى تشبيهه بأبطال الملحمة البيزنطية !!! وهو تشبيه إنفعالى عاطفى يتنامى مع الموضوعية التاريخية والواجبة ثم عادت وناقضت نفسها فى موضع آخر من كتابها وقالت ما نصه : «إن فى سياسة مانويل الشئ الكثير من التقليدية. ومع ذلك : فقد كانت لها بعض الملامح غير الاعادية التى أثارت كوامن الطموح المتدفع البعيد عن الحكمة، وخاصة فيما يتصل بمشروعاته نحو إيطاليا. ولكن يبدو أن الظروف التى أحاطت به لم تترك له مجالاً للإختبار. بل فرضت عليه ما ظهر جلياً فى سياسته صوب الغرب»<sup>١٢</sup>.

Hussey, The Byzantine World, p. 62 .

-١-

نقول ما يمه "It was in such circumstances That the Byzantine Crown passed to John's Fourth son Manuel . like The hero of The Byzantine epic, Digenis Akrites, The marcher Lord of double race, Manuel Comnenus was of Two World . No Greater Contrast could be Imagined to the Emperors of earlier dynasties , a Justinian or a Constantine VII Porphyrogenus. Manuel was a brilliant ruler, Soldier and diplomat and Statesman ".

-٢- أنظر نفس قولها

ومن الجلى البين: محاولة تلك المؤرخة لجميل عصر مانويل كومنين ، وإجهت إلى محاولة البحث عن الفرائع والحجج الواهية التى تبرر سياساته الخرقاء ، ووجدتها فى ذلك «الحل» السهل المبسر فى صورة «الظروف» . وهو أمر يتناقض مع ألف باء المنهج التاريخى الذى يدرك أن الإنسان كفاعل تارىخى مسئول عن تصرفاته ويشارك عملياً فى صنع الظروف المحيطة به ومن الممكن رفض «الظروف» إذا كانت بمثابة الشجب الذى تعلّق عليه الأخطاء القائلة .

وهكذا؛ لم تستطع جوان هس إقناعنا بعكس تصورتنا ولا ريب أن الامبراطور المذكور امتاز بمشطين مغباً فى الغرب والشرق على شاكلة الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) الذى أخفق فى حملته على مصر عام ١٢٥٠م. ومن بعدها على تونس عام ١٢٧٠م. ويتفق الاثنان فى عدم الاستفادة من دروس التاريخ !

حامساً : من الخطأ البين - فى تقديرى- دراسة ذلك الامبراطور والتوقف عند عام ١١٨٠. بل الاجدى الامتداد إلى عام ١٢٠٤م إذ أن قرابة الربع قرن من الزمان التالى على مدة حكمه هى الكفيلة بأن تحكم عليه الحكم الموضوعى بموضوعية ، وبدون ذلك لا يمكن رصد وفائع مرحلة ما قبل السقوط الأول فى التاريخ البيزنطى.

على أية حال ؛ هناك رأى تقويمى مهم أوردته بنصه لما له من دلالة خاصة حيث رأى البعض - نوفى مانويل سنة ١١٨٠م بعد أن تسبب فى ضياع هيبة بيزنطة وهيبة الأسرة الكومنينية التى أخذت فى طريق الزوال بعد ذلك بسنوات قليلة، خاصة بعد أن أدت حروب مانويل الكثيرة إلى زيادة نفوذ الإقطاعيين حتى أصبحوا دويلات داخل الدولة، وأضعفوا السلطة المركزية فى الوقت الذى ترددت فيه الأحوال الاقتصادية لكثرة الضرائب لتمويل الحروب

---

" In Manuel's Policy There was much that was Traditional , it is certain more unusual Features which have given rise to the Charge of rashness and unwise ambitions particularly in connection with his Italian designs it was not entirely choice that directed the apparent western emphasis of Manuel's Policy . it was essential to Find Some modus vivendi With The Western Power"

Hussey, The Byzantine World , p. 63 .

بالإضافة إلى أن ما لجأ إليه مانويل من طرد التجار البنادقة ، دون ترتيب سابق ، أحدث هزة اقتصادية في السوق التجارية ، وأدى بالتالي إلى إنهيار مفاجئ في الاقتصاد البيزنطي<sup>(١)</sup> .

ويعكس الرأي السابق خطورة سياسات ذلك الامبراطور والنتائج السيئة التي تترتب عليها على نحر أثر على تاريخ إمبراطورية بأكملها ويقرر أ.د. عمر كمال توفيق تعليقاً على سياسات نفس الإمبراطور ما نصه : « إن طموح مانويل عاد بنتائج ويلة على الإمبراطورية ، فإن هذا الإمبراطور قد ووط الإمبراطورية في مشاكل مع أوروبا الغربية بإصراره على تحقيق أحلامه هناك ، ولم ينتبه للخطر الذي يعيق بالإمبراطورية . وقد أثار مانويل مخاوف اللاتين عندما أنصب مولود الإمبراطورية ، ولأن الكراهية والحقد اللذين أثارهما يتصرفاته ، وحشع المصائر الغربية التي سمح له بالإزدياد ؛ كانت أمور تنفر بنتائج سيئة عندما يتولى رسم الدولة حكام ضعفاء »<sup>(٢)</sup> .

أما أ.د. اسحق عبيد؛ فقد قرر عن سياسة مانويل كومتين ما نصه « كانت حماهير الشعب تن من وطأة الفقر الذي عم بسبب مشروعات عمانويل الباهظة الفاشلة في غرب أوروبا ، ونظر أهل العاصمة من حولهم ليروا جاليات البنادقة والبيزنين والمجنونين تعيش في رفاهية زائفة »<sup>(٣)</sup> والتعليق على هذا القول الموضوعي قائماً : أن سياسات ذلك الامبراطور جاءت على حساب شعبه الذي كان وضعه الأولي

وترى مؤرخة بارزة عن عهد مانويل كومتين وعواقب سياسته ما نصه : « كان متأثراً إلى حد بعيد بأسلوب الفروسية الغربية ، وقد أحب المعدات الغربية ، وأدخلها في تقاليد البلاط البيزنطي كما أنه تزوج من أميرتين غربيين هما بوث الألمانية ، وصاري الفرنسية الأمر الذي أضفى على قصره مظهراً غريباً وجعله يختلف عما كان عليه الحال زمن أسلافه . وقد أدى هذا الإنحياز نحو الغرب ؛ إلى إفتتاح حدود الإمبراطورية البيزنطية أمام اللاتين الغربيين الذين

١ - محمد محمد مرسى الشيخ . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص ٣٧٤

٢ - تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٥٠

٣ - روما وبيزنطة ، ص ٢٧٩

تدفقوا إليها وزادت أعدادهم داخل العاصمة . وقد تقلد عدد كبير منهم بعض المناصب العليا في الدولة، مما أدى إلى قلق . وتظهر العناصر البيزنطية داخل الإمبراطورية<sup>(١٦)</sup> .

وهكذا : يتضح لنا من ذلك الرأي أن التلمس الذي حدث داخل أوجا - الإمبراطورية البيزنطية سيؤدي حتماً إلى الاندجار وهو ما وقع بالفعل بعد انتهاء عصر مانويل كومنين، ولاربع أن مشكلة ذلك الإمبراطور تتمثل في مهابة التغريب Westernization التي سار عليها باندفاع دون روية أو إدراك للمواقف التي ستتبع عنها

أما المؤرخ أ.د. جوزيف نسيم يوسف فقد قرر تعليقاً على سياسات ذلك الإمبراطور ما نصه : « لكن فكرة مانويل في إحياء الإمبراطورية القديمة لم تكن في الواقع إلا حلمًا من أحلام الماضي البعيد، إذ لم يؤد التراضي بينه وبين البابا الكاثوليكي إلى شيء مما كان يأمله . كذلك لم تؤد المساعدات المادية التي قدمها مانويل إلى المدن الإيطالية في تضالها ضد الإمبراطور الألماتي شيئاً ، والدليل على ذلك : الصلح الذي تم بينه وبين البابا إسكندر الثالث، والإمبراطور فردريك بارباروسا سنة ١١٧٧م، الذي عرف بصلح التلقة ... وكان الاتفاق بين عاهلي المسيحية في الغرب لطمعة أصابت آمال بيزنطة في الصميم»<sup>(١٧)</sup> .

وبدل الرأي السالف المذكور : على أن « أحلام » ذلك الامبراطور لم تسم بالواقعية . ثم أن مجهوداته في التحالف مع البابوية ضد فردريك بارباروسا ذهبت أدراج الرياح عام ١١٧٧م بالإنعاق المذكور . وذلك في العالم التالي مباشرة لفضيحة مريافيغليون ١١٧٦م . وهكذا توالت عليه الإخفاقات العسكرية والسياسية من كل حذب وصوب ، وبصورة متعقدة ومتنوعة ينذر تكرارها في التاريخ البيزنطي على الأقل في العصر الأوسط منه على نحو يجعل الباحث يشاغل ما هو المجال الذي نجح فيه ذلك الامبراطور ١١٢ ومن الممكن القول أنه يتشابه مع الملك الإنجليزي ريتشارد (١١٩٩ - ١٢١٦م) الذي وصف بأنه دخل التاريخ بسبب أخطائه<sup>(١٨)</sup> .

١- أوست نخيم. تاريخ الامبراطورية البيزنطية. ص ١٤٦

٢- تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٢٢

٣- سعيد عاشور . أوروبا العصور الوسطى. ط القاهرة ١٩٨٦م. ص ٢٧٦- ص ٢٧٧

والملك ريتشارد : هو ابن هنري الثاني Henry II ولد حكم ريتشارد خلال المرحلة من ١١٩٩ إلى ١٢١٦م.

أما العلامة دونالد نيكول Donald Nicol : فقد رأى في ذلك الإمبراطور أنه : « أخطأ في تقدير قوة خصومه ... وقد خرج في عام ١١٧٦م على رأس جيشه غير أنه هزم هزيمة فادحة في مواجهة الأتراك في ميكايفالون غير أنه لم يلبث أن مات بعد أربعة أعوام في سبتمبر عام ١١٨٠م »<sup>(١١)</sup>.

وفي موضع آخر يقرر ما نصه « أما صورته في مخيلة شعبه فهو أنه بالغ في ميله للاتين واهجه في هذا الشأن إلى مدى أبعد مما كان ينبغي عليه ».

كذلك أقر ذلك المؤرخ البارز صراحة عن مانويل كومنين ما نصه « ترك مانويل من ورائه تركمة من الشآن والتعصب العرقي الذي سريعا ما تفجر على نحو عنيف وقد شارك قريبه اندرونيكوى كومنينوس على زيادته ».

والفقرة الأخيرة - على نحو خاص - تكشف لنا عن مسئولية ذلك الإمبراطور في الأحداث الصاخبة التي وقعت فيما بعد رحيله .

أما المؤرخ هايد Heyd : فيقرر عن سياسته مانويل كومنين تجاه البنادقة ما نصه : « إن منظر الثروات الضخمة التي جمعها بنادقة القسطنطينية قد أثارت جشعه ، إذ أنه كان في حاجة إلى الكثير من المال ليواصل الحروب التي تورط فيها والإتفاق على أساليب الرشوة التي كان يستعملها بسخاء ، وضروب البذخ التي يمارسها ، ورغم الأعباء التي كان يشغل بها كاهل رعيته ، فإن خزانة الدولة لم تكن كافية للرفاء بطلابه »<sup>(١٢)</sup>.

---

= وكان أختا لريتشارد قلب الأسد Richard Lion hearted ( ١١٨٨ - ١١٩٩م ) . وفي عهد فرد عليه البلا . على نحو أدى إلى الاتفاق المعروف بالعهد الأعظم Magna Charta . عام ١٢١٥م . وبعده عامه لم بوصف ذلك الملك بالهجرة السياسية . وقد توفي عام ١٢١٦م . عنه أنظر

جيسس . الماجنا كارتا (العهد الأعظم) . ت. مصطفى طه . ط. القاهرة ١٩٦٥م . سعيد حاشور . أوروبا العصور الوسطى . ص ٤٧٤ . عبد القادر اليوسف . العصور الوسطى الأوربية . ط. صيدا ١٩٦٧م . ص ١٨٤ - ص ١٨٥ . إساعيل توري الربيعي . تاريخ أوزبيا في العصور الوسطى . ط. هسان . ٢ - ٢٠٠م . ص ١١١

وفي موضع آخر يقول ما نصه « حين أكمل استعداداته أصدر أمره بالقبض على كل البنادقة ومصادرة أسلحتهم ، واحتجاز سفنهم وكان ذلك في ١٢ من مارس عام ١١٧٩ ، ومن القسطنطينية وحدها واح ١٠٠٠ من البنادقة ضحية هذا الاعتداء »<sup>(١)</sup>

وأخر شهادة تفريغية لعهد ذلك الإمبراطور تقدمها من خلال المؤرخ شارلز أومان Charles Oman صاحب الدراسة الشهيرة عن فن الحرب في العصور الوسطى<sup>(٢)</sup> ، وبالتالي من المقرر أنه على معرفة بأقدار الرجال جيداً خلال تلك العصور خاصة أولئك الذين قادوا الجيوش ، وخاضوا المعارك ، وفي عرضه عن الإمبراطور مانويل كومنين نجده يقول ما نصه « خلف جون الطيب على العرش ابنه مانويل ، وقد اجتمعت فيه عناصر القوة والضعف لتكون سبباً في تسديد ضربة قاتلة إلى الإمبراطورية - وكان مانويل مجرد فارس متجول أحب القتال لذاته وسع لعاطفة الحساس والمخاطرة أن تكون رائدتها الوحيد وكان عهده كله سلسلة طويلة من الهروب بدحلهما ويخرج منها طائشاً »<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر يذكر عنه ما نصه : « لم يكن سوى سياسي خامل » ، كما قرر « كانت العلة » ، الأساسية في حروب مانويل أنها دبرت مع إغفال الاعتبارات المالية إغفالاً يهكاد يكون تاماً ، فقد أصر على إشعال الحرب بعد الحرب وملكته سائرة نحو الإفلاس ببطء ، ودخلها كان ينقص نقصاً مستمراً كما أنه كرّس كل ميزة Bezant كان يستطيع استخلاصها من رعاياه لإغاثة الجيش وحده ، فاختلت الإدارة المدنية اختلالاً شديداً وفسدت إدارة العدل وتهدمت الطرق والجسور وأهملت المرافق والموانئ »<sup>(٤)</sup>.

وأنصهر أن تلك الشهادات التاريخية لكونية من كبار المؤرخين من الشرق والغرب من ذوي الخبرة الأكاديمية البارزة كافية لوضع الإمبراطور مانويل كومنين في حجه الحقيقي دون مبالغة.

#### ١ - هايد ، تاريخ التجارة ، ص ٢٢٧

من المهم هنا عدم إتهام هايد وبغبره من كبار المؤرخين الأوروبيين الذين هاجموا مانويل كومنين بالاعتماد على وجهة النظر البدئية ، فالأمر يتجاوز تلك الزاوية على نحو مؤكد ومن غير النطق تصور أن كافة أولئك المؤرخين وهم كبار الباحثين على المستوى الدولي والعربي في حقل الدراسات البيزنطية وقموا أسرى الرؤية التاريخية البدئية كما يتصور البعض<sup>(٥)</sup>

٢ - أنظر Oman , A History of the art of War in the Middle Ages , 2 vols ., London 1924

٣ - شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠٩

٤ - نفسه ، ص ٢١٠

مهما يكن من أمر؛ كانت الامبراطورية البيزنطية في أعقاب عهد الإمبراطور مانويل كومنين في حاجة ماسة لأن تنعم بالأمن والاستقرار وتطلب الأمر وجود رجل قوى حازم يملك القدرة على قيادة تلك الإمبراطورية بعد الحكم «الكارثي» لمانويل كومنين، غير أن الأحداث أنت بحكم ذلك؛ إذ خلف ذلك الإمبراطور ابنًا صغيرًا في صورة الكسبروس الثاني، ونظرًا لضعفه، تولت الرعايا عليه أمه ماري الأنطاكية خلال المرحلة من ١١٨٠ إلى ١١٨٢ م وصارت صاحبة الكلمة العليا في إدارة دفة أمور الامبراطور<sup>(١)</sup> دون أن تملك الكفاية السياسية المزملة لذلك، وهكذا صار مصير تلك الإمبراطورية في قبضة امرأة<sup>(٢)</sup>.

ويذكر التاريخ لتلك المرأة أنها كانت تلهث وراء المظاهر الحادة، دون أن تفكر أن حب الظهور يقسم الظهور بل أطلقت العنان لقلبيها كي يهوى ويعشق الكسبروس ابن أخ مانويل دون الالتفات إلى الخطر المحدق بالامبراطورية. ولاربط في أن غرامياتها، وكونها أجنبية كل ذلك جعل البيزنطيين يشفرون إليها نظرة عدا<sup>(٣)</sup> كانت متأصلة في نفوسهم صد كل من هو غير بيزنطي، ومن بعد ذلك تمكن أنغرونيكوس الأول ابن عم مانويل من انتزاع المنصب الامبراطوري من الكسبروس الثاني وأمه عام ١١٨٣<sup>(٤)</sup>. وكان متقدمًا في السن ولم يستطع القيام بدور بارز في حكم الإمبراطورية.

ذلك أسر السياسة وجعلها المعارك وغيارها ومع ذلك؛ فمن الإصاف أن نذكر أن حاك بعض الإنجازات الحضارية لأسرة كومنين في التاريخ البيزنطي<sup>(٥)</sup> ويمكن ملاحظتها من خلال المظاهر الآتية.

١- جوزيف نعيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٣٨. (أيضاً: أُنست غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٦ - ص ١٤٧)

٢- جوزيف نعيم، المرجع السابق، ص ٢٣٩

٣- أنغرونيكوس الأول؛ كان قريباً للإمبراطور مانويل الأول وعندهما مات مانويل عام ١١٨٠ م كان أندرونيكوس في الثنتين من عمره يسيراً ترك مانويل ولده الصغير الكسبروس الثاني تحت وصاية أمه ماريه الأنطاكية، ونفساً بعد في عام ١١٨٢ م؛ اتجه إلى القسطنطينية على رأس قواته ونصب نفسه في الرعايا على لمسى ووضع التاج على رأسه في عام ١١٨٣ م. وتكن من قتل الكسبروس الثاني وكذلك أمه. ويلاحظ أنه حكم خلال المرحلة من ١١٨٣ إلى ١١٨٥ م عنه أنظر

Vashev, History of the Byzantine Empire, pp. 377-379.

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 350-356.

Nicol, A Biographical Dictionary, p. 7

حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢٢ - ص ٢٢٣

٤- عن الجانب الحضاري في تاريخ أسرة آل كومنين أنظر:

أولاً : ظهر خلال عهد تلك الأسرة عدد من المؤرخين ومن أمثالهم أنا كومنينا إبنة الامبراطور الكيسوس كومتين وهي المؤرخة الوحيدة وسط الغالبية الساحقة من المؤرخين البيزنطيين المذكورين التي ألقت كتابها الشهير الكيساد Alexiad<sup>١١١</sup> . وقد تناولت فيه أحداث عهد والدها . والأوضاع الداخلية . والعلاقات الخارجية حينذاك على مدى المرحلة من ١٠٨٠ إلى ١١١٨م . وبعد الكتاب المذكور مصدراً تاريخياً لاغنى عنه لمن يتصدى بالكتابة عن تلك المرحلة . ويلاحظ . أن المؤرخة المذكورة إتبهرت برأدها . وقلمت لنا رؤية منحازة له من خلال افتتانها بكاريزما ذلك الامبراطور الذي كان بالنسبة لها أباً وامبراطوراً في نفس الحين مما ضاعف المشكلة لديها ولدى الباحثين أنفسهم.

ولانغفل كذلك ظهور مؤرخين آخرين حيثناك مثل: نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates<sup>١١٢</sup> . ويوستاش السالونيكى Eustathius of The ssalonica<sup>١١٣</sup> من كبار المؤرخين البيزنطيين.

ثانياً : اهتم آل كومتين بالجانب المعماري سواء في صورة الأديرة أو القصور . حيث شيدوا عدة أديرة مثل دير باتموس Patmos الذي شيده القبط كريسستو دولوس

= أبحاث المؤتمر الدولي العشرين للدراسات البيزنطية الذي عقد في ولاية ميشيغان بالولايات المتحدة الأمريكية في ٢٩ سبتمبر عام ١٩٩٤م . وشارك في تحرير أعماله أنا ماري وكار Anuemarie Weyl Carr . وبربارا هيل Barburd Hill . وشاولز م . براند Charles M. Brand . وتاليا جوما بترسون Thalín Gourma Peterson . وسارولتا أ . تلاكس Sarah A. Takacs وعتراته : Komnenian Culture . ونجد بعض أعمال ذلك المؤتمر باللغة (١٠) دراسات منشورة في مجلة (B.F.) في العدد (١٣١) . الصادر في أمستردام بهولندا عام ١٩٩٦م . عن ذلك أنظر :

Car, Hill, Brand, Peterson and Takacs (eds.) "Komnenian Culture" at the 20th Annual Byzantine Studies Conference , An Arbor, Michigan, on 21 September 1994. (in B.F. vol ١٠ - XXIII, Amsterdam 1996) .

١- عنها أنظر : المختل اليهوغرافى

٢- عنه أنظر: نفس المختل .

٣- عنه أنظر : نفس المختل .

Christodulus<sup>(١١)</sup> في عهد الإمبراطور الكيسريوس كومنين. كذلك تم تشييد دير بانتر كراتور Pantocrator<sup>(١٢)</sup> في عهد الإمبراطور يوحنا كومنين .

ولاتفعل كذلك تشييد القصور ومن أمثلتها . قصر بلنشيريس Blencheres الذي وقع على رأس القرن الذهبي وقد وصف بالفخامة والأبهة<sup>(١٣)</sup>، ولدينا وصف له من جانب الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela<sup>(١٤)</sup> الذي زار العاصمة البيزنطية في النصف الثاني من القرن ١٢ م. حيث ذكر ما نصه «فيه الأساطير والمحيطان الموشاة بالتبر الخالص والنقوش البديعة التي تصور المعارك القديمة والحروب التي خاضها هذا الملك، وفي القصر عرش من خالص الذهب مقصص بالمجوار الكريمة يتدلى من أعلاه بما يحاذي هامة الرأس تاج من ذهب معلق بسلاسل من ذهب، مرصع بالمجواهر النادرة الثمينة . ولع هذه المجواهر ينير القاعة في الفسق . فيغنيها عن نور المصابيح . وهناك عدا هذا من التحف ما يقصر عن تعصبله اللسان»<sup>(١٥)</sup>؛ والمعبارة الأخيرة تحوي إيجازاً يفتى عن التفاصيل

ولارب : في أن ذلك الوصف القوي الدلالة والموجز في ذات الحين، يكشف لنا بما لا يدع مجالاً للارتياب عن مدى الثراء الذي كانت عليه تلك الأديرة، فلما عجب إذا ما أدركنا أنه خلال أحداث عام ١٢٠٤م؛ تعرضت لعمليات سلب ونهب ولارب في أن سلبها لأدركنا مدى ما عليه من ثراء هريض

وبعد : فذلك عرض عن أسرة آل كومنين، وأحداث عصرها سياسياً والإشجازات المحاصرية في عصرها، أما الصفحات التالية فتعرض لأسرة أنجيلوس .

١- عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢-٣

٢- نفسه . نفس الصفحة . وعن الأديرة أنظر: عبد العزيز محمد عبد الميز، الرثة البيزنطية، ص ٢٠٢

٣- عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠٣

٤- عنه أنظر . المدخل اليهوغرافي.

٥- بنيامين التطيلي . الرحلة . دراسة وتقديم عبد الرحمن الشيخ . المجمع الثقافي بأبوظبي، ط

٦- ٢٢١-٢٢٢ ص ٢٢٢

وبصفة عامة عن الفن البيزنطي وهو أمر متصل بالمعمارة اتصالاً وثيقاً أنظر

Vikan, " Byzantine Art ", in Angelika Laron and Maguire (eds.) Byzantium Award Civilization, Dunberrin Oaks Research Library, Washington 1992, pp. 81-118 .

Hussey, The Byzantine World, pp. 156-165

### ثامناً : أسرة أنجيلوس والاحتلال اللاتيني (١١٨٥ - ١٢٦١م)

نتعرض في الصفحات التالية: لأسرة أنجيلوس التي تولت حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١١٨٥ . ١٢٠٤م ثم الاحتلال اللاتيني لها حتى عام ١٢٦١م

وقد تولى الحكم عدد من الأباطرة هم إسحق الثاني . Issac II . (١١٨٥ - ١١٩٥م) ، والكيسوس الثالث Alexius III (١١٩٥ - ١٢٠٣م) ، وإسحق الثاني بعد أن عادوا واشترك مع ابنه الكيسوس الرابع Alexius IV (١٢٠٣ - ١٢٠٤م) . ثم الكيسوس الرابع Alexius IV (١٢٠٤م) وأخيراً الكيسوس الخامس Alexius V (١٢٠٤م)

مهما يكن من أمر لا يمكن فهم عهد هذه الأسرة على نحو خاص دون إدراك طبيعة العلاقات المتصارعة بين بيزنطة والغرب الأوروبي من خلال تجربة الحروب الصليبية على نحو خاص مع عدم إغفال تراث العداء السابق بين الجانبين، وهو أمر لاحظناه منذ عهد الأسرة الأيسورية حتى أسرة أنجيلوس ذاتها .

والواقع أن الحروب الصليبية جعلت بيزنطة وجهاً لوجه مع الغرب الأوروبي على أرض بلاد الشام القريبة منها ، وفيما بعد على الأرض البيزنطية ذاتها .

ولانفعل : أن خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية<sup>(١)</sup> ١١٤٧ - ١١٤٩م . وهي التي شارك فيها الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII (١١٣٧ - ١١٨٠م) والإمبراطور الألماني

١ - عن الحملة الصليبية الثانية أنظر .

Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux, Trans. by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies, Western Michigan University 1998, p. 274, p. 288 William of Tyre, vol. II, pp. 163-194 .

The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle, ed. and Trans. by A.S. Tritton and Hamilton Gibb, J.R.A.S., vol 92, 1933, pp. 298-299 .

Odo of Deut, De Profectione Ludovici VII in Orientem, ed. V. Gwyerick Berry, New York 1948, pp 7-143 .

كونراد الثالث (Conrad III) (١١٣٨-١١٥٢م) وذلك بعد أن تمكن المسلمون عام ١١٤٤م بقيادة الأتابك عماد الدين زنكي من إخضاع إمارة الرها Edessa الصليبية لسيطرتهم<sup>(١)</sup> . وقد انضج خلالها مدى ما كنهه القرب الأوربي لبيزنطة بل تأكد له أن تلك الإمبراطورية تناصبه العدا . من خلال اختراق المصالح السياسية بطبيعة الحال.

Berry, "The Second Crusade", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. I, pp. 463-512.

تسببه الضباب ، صرد دمشق أمام الحملات الصليبية، ط. دمشق ١٩٩٨م. عبد السلام زيدان ، الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٠٢م، وهي أطروحة مختارة ، تسمية محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٧٤ - ص ٢٠٦ ، جبار ديجورج ، دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ط. معهد رفعت عزالدين، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ١٥٠.

وأيضاً هذا الكتاب

Philips and Hoch (eds.), The Second Crusade, Scope and Consequences, Manchester 2001

والكتاب المذكور يحتوي على (١٠١) دراسات عن الحملة الصليبية الثانية، وهي في الأصل أبحاث أقيمت في المؤتمر الدولي للعصور الوسطى الذي عقد في جامعة ليفز Leeds والمختتم في ١٤ يوليو ١٩٩٨م بماسبة مرور ٨٥٠ عاماً على الهجوم الصليبي على مدينة دمشق في ١١ يوليو ١١٤٨م ، ويلاحظ أن تلك الذكرى مرث على الباحثين العرب دون الانتباه إليها للأسف الشديد . وهكذا : يهتم القرب الأوربي بمحدث تاريخي وقع على أرضنا ونحن عنه غافلون!

١- عن استرداد المسلمين للرها أنظر: ابن العديم، بحية الطلب في تاريخ حلب - القسم الخامس سراج السلاجقة ، تحقيق علي صوم، الجمعية التاريخية، ط. اثرة ١٩٨٦م، ص ٢٧٢

ابن الفلاس ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ ، Michael le Symon, Chronique, T.III, p. 260-262 ، عليه الجزيري ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص ٣١٦-٣١٧

Gibb, "Zeugl and The Fall of Edessa", in Setton, ed. A History of the Crusades , vol. I, Pennsylvania 1952 , p. 461 .

وفي الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩-١١٩٢م: التي حدثت بعد أن تمكن المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس بعد معركة حطين الخامسة في ٤ برلير ١١٨٧م<sup>(١)</sup>. وخلالها: تحالفت الإمبراطورية البيزنطية مع ذلك السلطان الأيوبي المجاهد لمواجهة الحملة الألمانية بقيادة فردريك بارباروسا Frederick Barbarossa (أو اللحية الحمراء). ويلاحظ أن العداء بين الجانبين بلغ حد الصدام المسلح بين القوات الألمانية، والبيزنطية، نظراً لموقف بيزنطة المعادي له، وللمشروع الصليبي برمه<sup>(٢)</sup>، وفكر ذلك الإمبراطور في مهاجمة العاصمة البيزنطية غير أنه فيما بعد: غرق في نهر سالف Saleph من أنهار كيليكيا Cilicia في آسيا الصغرى Asia Minor. فتأجل مشروع غزو القسطنطينية إلى حين.

ولدينا وثيقة أوردتها المؤرخ بها الدين بن شداد مؤرخ سيرة صلاح الدين الأيوبي: تكشف لنا عن التحالف الذي نجح ذلك السلطان بدها في إقامته مع إسحق الثاني إنجيلوس<sup>(٣)</sup>

١- عن معركة حطين أنظر: ابن شداد، التوادر السلطانية والعامان البيزنطية، تحقيق جمال الدين الشبال، ط القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٥-٧٩، العماد الأصمهاني، الفتح القس في الفتح القدس، تحقيق محمد صبيح، ط القاهرة ١٩٦٥م، ص ٨١

Richard, "La Bataille de Hattin, Saladin defeat l'Occident", H., T.XLVII, Anote 1982, pp. 104-111. fuller, Decisive battles of Western Europe and their Influences History, London 1954 p. 427.

٢- وعن العلاقات بين فردريك بارباروسا وبيزنطة أنظر: Brand, Byzantium Confronts The West 1180-1204, Cambridge 1968, pp. 176-188.

قاسم عبده قاسم وعلى السيد، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط القاهرة ١٩٩٦م، ص ٦١

٣- ابن شداد، المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٢. وعن علاقة صلاح الدين الأيوبي ببيزنطة خلال الصليبية الثالثة أنظر:

Brand, "Byzantium and Saladin 1185-1192, opponents of the Third Crusade" S. vol XXXVII, 1962, pp. 167-181

على نحو ممكن من إعالة تقدم القوات الأكرانية وتزويده بالمعلومات - وهي أخطر سلاح - من أجل متابعة تقدمها ، مما عكس حكمة مؤسس الدولة الأيوبية الذي تمكن على العزف على وتر الصراعات البيزنطية - اللاتينية لتحقيق مصالح دولته العليا على نحو يخدم قضية الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بوجه عام ، وبالتالي استطاع أن يخطر خطوة للأمام متقدمة على السياسة التي اتبعها من قبل نور الدين محمود عندما حاول تجميع بيزنطة - قطر الامكان - على نحو انضج في الاتفاق الموقع معها عام ١١٥٩م في عهد مانويل كومنين .

من زاوية أخرى: خلال أحداث تلك الحملة الصليبية ذاتها ، تمكن ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted <sup>(١)</sup> (١١٨٩-١١٩٩م) من الاستيلاء على جزيرة قبرص

زبيده عطا . الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين . ط . القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٨٧-١٠٠ .  
 محمد أحمد محمد ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ط . الرياض ٢٠٠٤م ص ٦٠ . ابراهيم سعيد فهم  
 وحسن دولرغمان وصالح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام . ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصر الوسيط  
 كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران . تحرير على أحمد السيد وإبراهيم شمس . ط  
 الاسكندرية ٢٠٠٤م ، ص ٢٨٧ . حاشية (٢) . حسن عبد الوهاب ، معالم التاريخ البيزنطي السياسي  
 والحضاري ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٦م ، ص ٢٠٢

١- عن ريتشارد قلب الأسد أنظر:

= Geoffrey of Vinsauf, *Crusade of Richard Coeur de Lion* , in *Chronicles of The Crusades*, London , 1908 .

Ambrose, *The Crusade of Richard Heart of Lion* , Trans. by Hubert, New York 1943 .

Anonymous *Chronicle of the Third Crusade*, A Translation of I Tenebrum Peregrinorum of Gesta Regis Ricardi, Trans. by Helen Nicholson, London 1996 .

Richard of Devries, *Crusade of Richard Cour de Lion* , in *Chronicles of the Crusades* . London 1908 .

Richard, *The Crusades 1071-1921*, Trans. by Jean Birrell, Cambridge 1999, pp. 218.

Cyprus عام ١١٩١ م<sup>(١)</sup>، وكانت من قبل تابعة للأملاك البيزنطية ؛ على نحو كشف عن حجم الطامع اللاتينية في أملاك تلك الإمبراطورية وكأنها خطوات مرحلية يتخلفها الغرب الأوربي بدأت من الأطراف إلى أن يتمكن في نهاية المطاف من الإنتقاض على القلب البيزنطي.

على أية حال؛ اوتبنت الحملة الصليبية الرابعة بالبابا أنوس الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦ م) . ويلاحظ هنا ، أنه لم يكن يهدف إلا إلى توحيد الكنائس الشرقية وخاصة كنيسة القسطنطينية وإخضاعها لسيطرة كنيسة روما ، يلاحظ أن قلة من القبادات الأوروبية استعابت له في صورة ثيود كونت شامبني Thibault of Champagne ثم بلدوين الفلاندرزي Baldwin of Flanders وغيرها

وجدير بالذكر ؛ أن الشخصية ذات الدور الفعال في أحداث الصليبية الرابعة نمت في السياسي المداهية المخضرم الدوج هنري داندلو Henry Dandolo<sup>(٢)</sup> دوق البندقية Venice وكان يحركه ثأر شخصي جامع ضد الإمبراطورية البيزنطية بعد أن فقد بصره من جراء الحلاف مع البيزنطيين من قبل -

= مطبر حسان معلوي . تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى . ط القاهرة ١٩٦٨م . ص ٩٢- ص ٩٣ زيني عبد القوى . الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ . ط القاهرة ١٩٩٦م . ص ١٢٢-١٢٣ . محمد دسوقي محمد حسن . العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثره على الحروب الصليبية في الشرق والغرب الإسلاميين ١١٢٧- / ١٢٢٢ ٥٣١ - ٥٦٢ . رسالة ماجستير غير مشورة . كلية الألفه- جامعة الاسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠١م . ص ١٨٤-٢١٦

١- . Edlbury. The kingdom of Cyprus and The Crusades. 1191-1374, Cambridge 1981.

p. 7

عاطف مرقص . قبرص والحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م . رسالة دكتوراه غير مشورة . كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م . ص ٩٧ ، جيمس رستون (الابن) . مقاتلون في سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة . ت. رضوان السيد . ط. الرياض ٢٠٠٢م . ص ٢١٥-٢١٦

٢- حسي ربيع . دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٥

على أية حال ؛ توفي ثيبرت كونت شامبني عام ١٢٠١م، فتولى الأمر من بعده بونيفاس المونتفيراتي Boniface Of Montferrat<sup>(١١)</sup> . ووصلت الحملة إلى البندقية ، ولم يتمكن الصليبيون من دفع البايغ الذي طلبه من البنادقة من أجل إستغلال سفنهم لنقل المشاركين في الحملة إلى هدفها ، وقد تم الاتفاق على نصيحة داتلو ومقتضاها أن يتم تأجيل دفع المال حتى يساعد الصليبيون البنادقة على إسترداد مدينة زارا Zara الهنغارية في دالماتيا (من قبل يوغوسلافيا) التي كانت مركزاً تجارياً كبيراً، وكانت تخضع للمجر التي دخلت في صراع مرير مع البندقية ليس في نطاق الأدرياتيک فقط؛ بل أيضاً خارجه . وقد حوصرت من جانب الصليبيين ودمرت<sup>(١٢)</sup>، وتم نقل أهلها عام ١٢٠٢م. مما عكس أن تلك الحملة الصليبية صارت تستهدف مدناً صليبية .

بصفة عامة؛ يقال أن هدف تلك الحملة الصليبية كان صوب مصر . إلا أن سفراء البندقية عقدوا إتفاقية في عهد السلطان العادل أبو بكر الأيوبي عام ١٢٠٢م<sup>(١٣)</sup> . بمقتضاها منحهم

#### ١- عنه وعن انتخابه أنظر:

Villehardouin, The Conquest of Constantinople , in Chronicles of the Crusades , Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book, London 1963 , p. 38 .

queller, The Fourth Crusade, The Conquest of Constantinople 1201-1204 , Leiceterd 1978 , pp. 19-35 .

Nicol, Byzantium and Venice , Astudy in Diplomatic and Cultural relations, Cambridge 1995 , p. 129 .

Norwich Byzantium, The decline and Fall. pp. 168-170 .

Villehardouin, Op. cit., pp. 46-49 .

-٧-

ونلاحظ أن مدينة زارا بعد تلك الأحداث ؛ لم يبق فيها حيز يساند حيزاً آخر، أنظر

إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص٣٢٥-ص٣٣٦

٢- فايد حماد عاشور . العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي . ط الاسكندرية ١٩٨٠م. ص١٨٠ . وعن العادل أنظر: محمود الحوري- العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية. ط القاهرة ١٩٨٠م.

السلطان عدداً من الفنادق في الاسكندرية بالإضافة إلى بعض الامتيازات التجارية ، وأمام الإغراء المادي؛ سأل لعاب البنادقة وتعهدوا بعدم توجيه أية حملة صليبية صوب مصر .

ولانغل هنا؛ الإشارة إلى أن البندقية نمت على بيزنطة قيام الإمبراطور الكسبوس الثالث Alexius III بحرماتها من عدة امتيازات تجارية، وفي المقابل؛ قام بتقديم امتيازات للبيارة الذين نافسوا البنادقة منافسة شديدة<sup>(١)</sup> . وكان البنادقة يتحرقون شوقاً للتأثر من بيزنطة مقابل ما حدث عام ١١٨٢م عندما تم إحراق الحى البندقي في القسطنطينية<sup>(٢)</sup> . كما أسلفت الذكر من قبل .

على أية حال : قدم البيزنطيون بصراعمهم الأحقق على العرش الامبراطورى الفرصة الذهبية للبنادقة للتأثر منهم وكان ذلك بمثابة الخطأ الفتاك الذي وقعوا فيه . وكان الكسبوس الثالث قد نولى العرش باحدى الطرق المعتادة . والتقليدية في التاريخ البيزنطى؛ أى القيام بالثورة على أخيه إسحق الثانى، وزج به وبابنه الكسبوس الرابع فى غياهب السجن إلا أن الأخير فر من سجنه وطلب مساعدة الغرب الأوروبى لإعادته إلى العرش. والتخلص من الكسبوس الثالث وتعهد بأن يدفع للصليبيين المبلغ الذى كان ديناً للبنادقة للأخمين واستغل الدوق داندلر كل ذلك . وتوجه الصليبيون إلى العاصمة البيزنطية، وبالفعل تمكنوا من دخولها عام ١٢٠٢م. واسترد إسحق الثانى أنجيلوس العرش وتم تنصيب ابنه الكسبوس الرابع مساعداً للإمبراطور. ويلاحظ أن الكسبوس الرابع<sup>(٣)</sup> هذا لم يتمكن من الايقاع بالوعد وتقديم الأموال المطلوبة للبنادقة؛ مما أدى إلى تأزم الموقفة.

١- حنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٢

عن ذلك أنظر:

حاتم الطحاوى . بيزنطة والمين الإيطالية . ص١٠٦ . عمر كمال نرفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط الاسكندرية ١٩٩٥م. ص٢٠٧

Kaplan, Le Sac de Constantinople, p. 114

أنظر أيضاً عن البنادقة والحى البندقي في العاصمة البيزنطية في أواخر القرن ١٢م.

Brown, " The Venetians and Venetian quarter in Constantinople in Close of the Twelfth Century ", J.H.S. vol. XL, 1920. pp. 68-88 .

٢- الكسبوس الرابع حكم خلال الفترة ما بين ١٢٠٢ - ١٢٠٤م وحرر الإمبراطور إسحق الثانى الذى =

جدير بالذكر؛ قامت ثورة في العاصمة البيزنطية أطاحت بإسحاق الثاني، والكيسروس الرابع وقتلا بعد أن اتهمتهما الجماهير الفاضية بالخيانة، ومالأة أعداء الإمبراطورية وتولى العرش الكيسروس الخامس Alexius V الذي وقف موقفاً مضاداً من الصليبيين وأبدى الانجلاء الشعبى الكاره لهم. وأمام ذلك التطور، وأمام ذلك التطور؛ إنجبه الصليبيون إلى إسقاط القسطنطينية في ١٣ أبريل عام ١٢٠٤م<sup>(١)</sup>.

---

= أودع السجن بعد الإطّلاب الذي قاده عمه الكيسروس الثالث عام ١٠٩٥م، وقد مات مشوّماً عام ١٢٠٤م، عنه أنظر:

Nicol, A Biographical dictionary, p. 3-4.

Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 440, p. 449.

Ostrogorsky, History of The Byzantine State, p. 368-370.

Diehl, History of the Byzantine Empire, pp. 135-136.

٦- عن سقوط القسطنطينية أنظر:

Robert Cisi, The Conquest of Constantinople, Trans. by E. H. Mc Neel, New York 1936.

Villeharduin, The Conquest of Constantinople, in Joinville and Villeharduin, Chronicles of the Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw, Penguin Book 1963.

وأظهر الترجمة العربية من جانب العلامة حسن حبشي: نظراً لتعليقاته الثرية عن ذلك أنظر: المدخل البليغرافي.

The Register of Innocent III, in Contemporary Sources for The fourth crusade, ed. by Alfred J. Andrea and Brett E. Whalen, Leiden 2000, pp. 7-176.

The Anonymous of Soissons, in Contemporary Sources, pp. 223-238.

Count Hugh of Saint pol's Report to the West, in Contemporary Sources, pp. 177-202.

Ralph of Coggeshall, Chronicle, in Contemporary Sources, pp. 277-290.

Alberic of Trois Fontaines, Chronicle, in Contemporary Sources, pp. 291-310.

Anonymous, The Descriptio Constantinopolitana, in Contemporary Sources, pp. 205-222.

Bartlett, An Ungodly war, The Sack of Constantinople and the Fourth Crusade, Gloucestershire 2000, pp. 142-152.

على أية حال؛ لا بد لنا من التعرف هنا؛ من أجل رصد سلوك الصليبيين في العاصمة الإمبراطورية التي ظلت منذ عام ٣٣٠ إلى ١٢٠٤م تتعالى على غزاتها، وتتفاخر بحصانتها الطبيعية، والصناعية التي غدت مضرب الأمثال، وملاحظ هنا؛ أنها احتوت على تحف ومفانيس رائعة<sup>(١)</sup> كانت تليق بالفعل بعاصمة إمبراطورية عديدة، وعريقة، ولاشك في أنها حينذاك كانت بمثابة متحف ضخم للتحف الفنية عابر للقرون، خاصة أنها كانت ذات ثقل بارز في التجارة الدولية في نطاق البحر الأسود، والبحر المتوسط، والعلاقات التجارية فيما بين آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، ويمكن إيجاز سلوك الصليبيين على النحو التالي:

أولاً: تعرضت المدينة إلى السلب والنهب بصورة لم تحدث على مدى تاريخها، حتى أن الجياد الأربعة التي كانت تزين ميدان السباق في العاصمة البيزنطية قام الدوق هنري داندلو بحملها إلى البندقية<sup>(٢)</sup> وهي موجودة إلى يومنا هذا تزين واجهة كاتدرائية القديس مارك St Mark في البندقية. دليلاً على واحدة من أكبر عمليات السلب، والنهب على مدى العصر الوسطى، ولاتفعل هنا الإشارة إلى أن عدة تحف، وثقائس بيزنطية بيعت في أسواق حلب ودمشق، وبغداد، والقاهرة، مما عكس ضخامة القنصة كذلك وأرباح اللصوص الذين استولوا عليها وبيعوها في أسواق مدن كبرى خارج بيزنطة.

١- شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٢٥-٢٢٦

وعن أحداث الصليبية الرابعة بصفة عامة أنظر:

Gauthier of Paris, in Allen and Ant (eds.) The Crusades Arcader, Toronto 2003, pp. 236-238.

محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م/ ٦٠٠هـ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة النجف ١٩٨٨م.

Harris, Byzantium and the Crusades, London 2003, pp. 145-162.

٢- حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٧

Mayer, The Crusades, p. 191

انظر أيضاً

كذلك سم نهب قبور الأباطرة البيزنطيين المدفونين في القسطنطينية. وقام الصليبيون بسرقة ما فيها من مذهبات وجواهر، أنظر: عصام محمد شبارو، السلاطين في الشرق العربي، معالم دورهم السياسى والمصارى، ط بيروت ١٩٩٤م، ص ١٧٦

ثانياً: قتل عدد من البيزنطيين، كما تم اغتصاب الرهبان في الأديرة<sup>١١</sup>؛ مما عكس أن الصليبيين يجردوا من أية مشاعر إنسانية، على نحو جعلهم يفعلون ذلك مع المتطوعات للعبادة من الفتيات للبيزنطيات المسيحيات<sup>١٢</sup>!

ثالثاً: أحضر الغزاة الذين لعبت الحمر برؤوسهم إحدى العاهرات كى ترقص أمام مذبح كنيسة أيا صوفيا التي عدت مفخرة العمارة والفن البيزنطي والتي شيدت منذ ما زاد على ستة قرون، وقامت بإشاد الأغاني البغية، وجلست على العرش البيروكي<sup>١٣</sup>. وقام المزاة باحتسا، الحصور، احتفالاً بسقوط مدينة قسطنطين فلاعجب، والأمر كذلك: أن قام المؤرخ المعاصر نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates الذي شاهد تلك الأحداث المروعة ورؤية عبسية ولم يكن يصدق ما يحدث أمام ناظرية من بشاعته قام برثاء القسطنطينية قائلاً

« أيتها المدينة! يا حديث العالم، يا منار الأرض، يا حامية الكنائس، ويا سيدة الإيمان! يا قلعة العلم، لقد جبرعتي كئس غضب الله حتى الثمالة، ولقد حاق بك آتون أكثر بشاعة من ذلك الذي أصاب قديماً المدن الخمس<sup>١٤</sup>، وهكذا جاءت عبارات ذلك المؤرخ المؤثرة لتسل على أنه وهو يكتبها كان يرثي نفسه أولاً قبل أن يرثي مدينته الأثيرة إلى نفسه!!

ولا تغفل هنا الإشارة إلى استمرار ذلك السلوك نفسه الشهير ثلاثة أيام<sup>١٥</sup>. وقد نسي

١- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٦٧

٢- إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص ٢٤٢ وعن نهب ولبب الصليبيين للقسطنطينية أنظر: برنادين كلى، فتح القسطنطينية، ص: شكرى محسن تميم، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص ٦١

٣- Nicetas Choniates, p. 314.

Eberd, " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the Fourth Crusade 1204 ", E.H.R., vol XV, Cairo 1969, p. 19 .

وقد أفدت من الأسلوب الأدبي الرائى للأستاذ الدكتور إسحق عبيد

Madden, Aconcise History of the Crusades, London 1999, p. 104 .

محمد مؤنس عوض، متبادى فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٥٢

٢- فاسم عبيد فاسم، مباحية الحروب الصليبية، الأيدولوجية، الدوافع، النتائج، ط. الكويت.

١٩٩٣م، ص ١٤٨

ذلك المزج أن تسقط مدينته على أيدي المسلمين وليس على أيدي يبربرة الغرب الأوربي<sup>(١)</sup> ؛ نظراً لأنهم ما كانوا يفعلوا بها ما فعله اللاتين ؛ مما عكس إدراكه الكامل للفارق الحضارى بين الجانبين

واقع الأمر ؛ من الممكن المقارنة بين غزو القسطنطينية عام ١٢٠٤م وحادثة محورية سابقة عليها فى صورة غزو بيت المقدس على أيدي الصليبيين أيضاً عام ١٠٩٩م، فيلاحظ ؛ أن العام الأخير شهد مذبحه مروعة للمسلمين فى المدينة المقدسة اعترفت بها المصادر الصليبية ذاتها مثل مؤرخ الجستا Gesta المجهول ، وفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres ، ووليم الصوري William of Tyre<sup>(٢)</sup> نفسه وقد بلغ عدد القتلى عشرات الآلاف وإن لم بصاحب تلك الأحداث القديمة عمليات سلب ونهب كبير . نظراً لفقر تلك المدينة بصفة عامة ، أما فى عام ١٢٠٤م ، فالهدف لم يكن مدينة مقدسة بل عاصمة إمبراطورية ، وصاحب غزوها سلب ونهب واسع النطاق . نظراً لثرائها العريض ، كما أن الفارق الجوهرى بين عامى ١٠٩٩م ، ١٢٠٤م ، أن العام الأول هاجم فيه الصليبيون مدينة إسلامية أما العام الثانى فقد هاجموا فيه مدينة مسيحية<sup>(٣)</sup> ؛ مما عكس أن المشروع الصليبي أشبه بأخطبوط يأذرع متعددة بهدف إلى تخفيف مظالمه دون اعتبارات دينية . وتتفق الحادثنان من خلال تعبيرهما عن الرجة الدموى القبيح للحركة الصليبية ذات الطابع المتعصب حتى مع أبناء المسيحية ذاتها

١- حنين ربيع . دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٥٦ . استقنتهم ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص١٥٨

وعن استيلاء الصليبيين عن العاصمة البيزنطية أنظر .

لى عيد الجواد ، السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية ١٢٠٤-١٢٦١م ، رسالة ماستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م ، ص٢٢- ص٢٤ . وهى دراسة علمية جيدة لمؤرخة لقيمة

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل .

٣- عن أصول وتطور الحملات الصليبية ضد المسلمين أنظر هذه الدراسة المتخصصة

Housely , " Crusades against Christians: Their Origin and Early development 1000-1216 . Crusade and Settlement ed. by Peter W. Edbury, Cardiff 1982, pp. 17-36 .

وبلاحظ أن المزج : تبارز ثورمان هاوسلى تخصص فى أمر الصليبيات المتأخرة

مهما يكن من أمر؛ تم إقامة حكم لاتيني في القسطنطينية وتم انتخاب بلدوين العاشر إمبراطوراً، كذلك تم تنصيب بطريك جديد في صورة توماس موروسيني Thomas Morosini<sup>(١)</sup>، أما الفئات؛ فقد تم تقسيمها على كبار المشاركين في تلك الأحداث، وعلى ذلك حصل بلدوين الثالث على جنوب تراقيا، وخمسة أثمان العاصمة البيزنطية، وبعض جزر بحر إيجه مثل ساموس، وخبوس، ولسبوس، أما قائد الحملة يونيفاس؛ فقد نال سالونيك، ونجد أن نصيب الأسد حصلت عليه البنتقية، ولا أدل على ذلك من استمرار حجم المناطق التي سيطرت عليها، وهي كالآتي:

- ١- ابيروس، واكارثانيا، وإيثوليا، مع مدن دورازو وارثا، وغيرها<sup>(٢)</sup>.
- ٢- الجزر الأيونية، وعلى نحو خاص كورفو، وكيفالونيا، وسانت مور، وزانتى.
- ٣- البلبونيز في صورة مدن بتراس، وكالفريتا، ولستروفا، ومودون، ولاكيدونيا<sup>(٣)</sup>.

---

١- حنتج ربيع، دولسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٥٧- ص ٢٥٨

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢١١

أنظر وصفه لدى: ليلى عبد الجواد، «البايزية والإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية» (١٢٠٤-١٢٦١م)، ص ضمن كتاب دولسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (المصور الوسطى) تكميلاً للأستاذ الدكتور / إسحق عبيد، محرر محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٤٣، حاشية (٢٠)

- ٢- هاید، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في المصور الوسطى، ج ١، ص ٢٧٧، حيث يقدم تفصيلات مهمة عن توزيع المعادن والأسلاب البيزنطية، وأنظر كذلك اللحن الخامس بما سيطرت عليه البندقية
- ٣- عن ذلك بالتفصيل أنظر هذه الدراسة للتميزة.

Lock, The Franks in the Aegean, 1204-1500, London 1995, pp. 35-66, pp. 68-104

The Chronicle of Morea. ويلاحظ اعتماد هذه الدراسة القيمة على حوالة المורה

عنها أنظر المدخل البيروغرافي.

ولم هذا الشأن أنظر،

Longnon, "The Frankish in Greece (1204-1311), in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. II, Wisconsin 1989, pp. 235-274.

Topping, "The Morea 1374-1470", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol II, m Wisconsin 1989, pp. 141-166.

١- جزر جنوبى وغربى بحر ايجه، ومنها ناكسوس وأندروس وجزيرة بويه، خاصة مدينتى اوربوس وكاروستوس

٥- مجموعة من المدن متراسة على طول الشاطئ الأوروبى لضيق الدردنيل، وبحر مرمره أهمها جالبرلى، وروستو، وهيراقليا.

٦- بعض مدن داخل تراقيا أكبرها أندريونيل بالإضافة إلى جزيرة كريت (١١).

ويقرر العلامة هايد Hcyd فى دراسته القديمة الجديدة عن تاريخ التجارة فى العصور الوسطى : أن أغلب تلك المناطق كانت خصبة وتصل إليها السفن على نهر ميسر، وكلها على بحر تبرىس، وقمت على الطريق البحرى الكبير الذى يصل البندقية بالقسطنطينية.

وقد يتساءل البعض عن موقف البايبرية من كافة تلك الأحداث، وفى الواقع أنها مشغولة فى أوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) كانت تدرك إدراكاً يقينياً أن الصليبية الرابعة استهدفت الهجوم على القسطنطينية كما أنه تواطأ فى إدانة الحجاج الصليبيين نحو مدينة زلرا Zaira الهنغارية العاصمة البيزنطية، وبذلك يكون قد سمح لقادة تلك الحملة الصليبية بالحجاج قداماً فى مخططاتهم العدوانية (١٢).

= مدوح مغازى، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى إمارة الليرة الصليبية فى عهد أسرة فيلياردوس  
١٢٥ - ١٣١٦م، رسالة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا، عام ٧٠٠م.

١- هايد، تاريخ التجارة، ص ٢٧٨

٢- أفضل دراسة كشفت النقاب عن تواطؤ البايبرية فى أحداث الصليبية الرابعة أعدها أ.د. اسحق عبيد، اطرح روما وبيزنطة، ط القاهرة ١٩٧٠م وأيضاً:

Ebeld. " Was Pope Innocent III an accomplice in The diversion of the Fourth Crusade  
1204 E.H.R., vol XV, 1969, pp. 2-19.

اوسنت الثالث، هو البابا الذى تولى منصبه خلال المرحلة من ٨ يناير ١١٩٨م إلى ١٦ يوليو ١٢١٦م خلفاً للبابا كلستين الثالث Clesin III (١١٩١-١١٩٨م). وهو فى الأصل من لوتاريو Lotario، ولد حوالى عام ١١٦٦م ودرس اللاهوت فى باريس والقانون الكنسى فى بولونيا، وصار كardinale عام ١١٩٩م، وبعد ألف عدة مؤلفات، وأظهر مهارة إدارية، ومن أعماله الدعوة إلى شن حملة صليبية ضد العاصم الألبانية فى جنوبى فرنسا، كما يذكر له عقد لجميع كنسى فى نوفمبر عام ١٢١٥م وهو ما عرّف بمعجم

من ناحية أخرى؛ من الممكن إدراك كارثة ما حدث للعاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م، إذا ما قارناه بما حدث ليقظة فيما بعد بأربعة وخمسين عامًا وتحديدًا عام ١٢٥٨م، في نفس القرن الثالث عشر على أيدي المغول<sup>(١)</sup>؛ إذ أن السلوك التبرير هو نفسه وإن اختلفت وجوه القاسم به. إذ الأمر المؤكد أن ما حدث في المدينتين والأول عاصمة إمبراطورية عريقة، والثانية عاصمة الخلافة العباسية التي عُدت مدينة عالمية إزدهر فيها العلم، والتجارة وقد دفعت

= الاتينان الرابع The Fourth Lateran Council وهناك من يقر أنه من أكبر انجذاب في أوروبا  
المعمر الوسطى، عن ألبا انوست الثالث انظر بالتفصيل

Roger of Wendover, The Chronicle of Roger of Wendover, in Peters, Christian Society  
and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by  
Oliver of Padua, Pennsylvania 1971, pp. 37-40

Buns, Innocent III, London 1931, Lachaux, Innocent III, 6 vols., Paris 1905-1908

وهي أشمل وأوسع دراسة بالفرنسية في موضوعها

Ruscher, Papst Innocenz III und die Kreuzzüge, Göttingen 1969, Kelly, Oxford dic-  
tionary of Popes, pp. 186-188.

١- عن ذلك أنظر:

أبن تغري بردى، التاجم الزاهرة، ج ٧، ص ٤٨-٥٢، بيبس الدوداري، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة  
لمحقق زبدة عطا، ط القاهرة ٢٠٠١م، ج ٩، ص ٦٦-٦٧، أمين أبيك الدوداري، الفرة الذكبية في الدولة  
التركية، محققين أولرخ هارمان، ط القاهرة ١٩٧١م، ص ٢٤-٣٧، ابن الوردي، نشأة المختصر في أخبار  
البشر، ط النجف ١٩٩٩م، ج ٧، ص ٢٧-٢٨، السيد الباز العريبي، المغول، ط بيروت ١٩٨٦،  
ص ٢١٦-٢٨٠، فتاة عبد المعطي الصبياد، المغول في التاريخ، ط بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٤٩-  
ص ٢٨٦، مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول،  
ط القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٥٦-١٨٦، محمد نصر مهنا، الإسلام في آسيا من الفزو المغولي دراسة في  
تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية، ط الاسكندرية ١٩٩٠م، ص ٢١-٣٥، أحمد مختار العمادي، قيام  
دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط بيروت ١٩٨٦م، ص ١٤٧-١٤٩، سيد أمير علي، مختصر  
تاريخ العرب، ت. عفيفي البطيكي، ط بيروت ١٩٩٠م، ص ٢٤٦

الكتب، والتحف والنقائس - وهي ميراث حضارى لا يقدر بثمن وملاك للإنسانية جمعاء، الثمن فادحاً فى كل من العاصمتين الأوروبية والآسيوية. والفارق الزمنى بينهما لا يتجاوز ٥٤ عاماً فقط من عمر الزمان، وبالتالي يكون القرن المذكور . قد شهد أكبر حادثى سلب ونهب ، وتدمير فى تاريخ كل من البيزنطيين والعباسيين الذين كثيراً ما تصارعوا فى حروب متعددة خاصة خلال العصر العباسى الأول والآن انفقوا فى المصير المأساوى الواحد ١ وتلك من مفارقات التاريخ التى تدعو المرء للتأمل بإمعان .

ونفر ونسيمان - وهو الذى وصف الحروب الصليبية بأنها آخر الغزوات الشبيهة Last of the Barbarian Invasions<sup>(١)</sup> وما كانت تلك العبارة الغريبة الصادرة من مؤرخ بيطرانى مسيحى إلا تعقيباً على الصليبية الرابعة- يقرر تعقيباً على آثار تلك الصليبية : د من العبر علينا المبالغة فى الأثر الذى أحدثته نهب القسطنطينية فى الحضارة الأوربية. فإن كنوز المدينة، والكتب، والآثار الفنية التى احتفظ بها منذ دهور سحيقة قد بددت جميعاً، ودمر معظمها . ثم إن الإمبراطورية تلك الحصن العظيم النجى لعالم المسيحية قد قصمت كدولة كما أن تنظيمها الشديد المركزة دمر وقضى عليه، واضطرت الولايات، والمقاطعات إلى التحول عن الدولة؛ لتتخذ نفسها، وكانت ثمرة جريمة الصليبيين تمهيد السبيل، وتسهيل الأمر أمام الفتح العثماني<sup>(٢)</sup>، وهكذا : فوجز ذلك المؤرخ حجة العرسلات البيزنطية فأوعى ! ومن المفترض أنه لو لم يكن مؤرخاً بيزنطياً ما أدرك فداحة ما حدث . وما وصف للصليبيين ذلك الرفض « التاريخى » الذى لم نسمعه من مؤرخ غربى مسيحى آخر

#### ١- Runciman , A History of the Crusades, vol. I, The Prefare

جدير بالذكر أن العلامة أ.د. إسحق عبيد وصف الحركة الصليبية وصفاً ذكر ما نصه « قتل الحروب الصليبية مخطئ سودا . فى تاريخ العلاقات بين الغرب الأوروبى المسيحى والشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، فلقد حارب مفسر القلاع الإنقطاعية ، وقطاع الطرق وأرباب السجون، والقتلة، بل ونمر من بنات الهوى من كل فجوع أوروبا الأفرنجية شعوب الشرق الأدنى الأمتين للتهب، والسلب، والتدمير، والقتل وذلك بنحرى من ألبا أوروبا فى القرنين ١٠-١١م. أنظر:

رودر استانبولى، مفتاح أورشليم القدس، حملتان صليبيتان على مصر ١٢٠١-١٢٥٠ ، ت عابدة البامبرى مراجعة وتقديم إسحق عبيد، ط القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٩ . من مقدمة المرجع القديم

وهي شهادة موضوعية تذكر ذلك المؤرخ الكبير

نأش الآن إلى زاوية مشيرة للجدل في صورة مسئولية توجه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية .

والواقع أنه وفقاً لما قرره مؤرخ متخصص في العلاقات اللاتينية البيزنطية فإنه حتى عام ١٨٦٠م؛ إعتقد كثير من المؤرخين في صحته أورد المؤرخ فيلهاردوين الذي ذكر أن ه إنعزاف الحملة إلى القسطنطينية كان من قبيل المصادفة . وهكذا : لم يشر إلى أية خطة متعمدة في هذا الشأن، غير أنه قى عام ١٨٦١م . إنهم المؤرخ ماس لاتيير Mass- Latrie البندقية بعقدها لاتفاق سرى مع الأيوبيين مما جعلها تضغط على الصليبيين لتوجيه مسار الحملة صوب العاصمة البيزنطية<sup>(١)</sup>، ومن بعد ذلك أقر المؤرخ الألماني كارل هوف Karl hoph بأن الاتفاقي المذكور وقع بالفعل وحده زميناً بيوم ١٣ مايو عام ١٢٠٢م<sup>(٢)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ قام المؤرخ الفرنسي هانوتو Hanotaur في عام ١٨٨٧م ؛ برفض ما ذهب إليه المؤرخان السابقان ولم يؤيد فكرة الاتفاق السري، بل رأى أن البندقية تصرفت خلال الأحداث من خلال مصالحتها الاقتصادية العليا التي كانت تقتضي إسقاط تلك العاصمة المنافسة<sup>(٣)</sup>

وفيما بعد من خلال أطروحة الدكتوراه التي أعدها أ. د. إسحق عبيد بإشراف المؤرخ الإنجليزي الشهير برنارد هاملتون Bernard Hamilton من جامعة نوتنجهام Nottingham عن العلاقة بين روما وبيزنطة من قطيعة قوشيدس حتى الغزو اللاتيني لفينة قسطنطين ١٢٠٤م<sup>(٤)</sup>، نأكد للدارسين أن محور مسار الحملة الرابعة لم يكن من خلال الصدفة . بل نتج

١- عادل ديشون، العلاقات السياسية والكنسية . ص ١٠٢

وقد أبد ذلك الاتجاه كل من جمال الدين الشبال ومحمود الحويدي أنظر. جمال الدين الشبال . تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، القصران الأيوبي والملوكي، ط الاسكندرية ١٩٩٧م، ص ٩٩

محمود الحويدي، المعادل الأيوبي، ص ٨٢

٢- صمد، نفس الصفحة.

٣- نفسه، ص ١٠٣ - ١٠٢

٤- ناقش الرسالة المذكورة كل من المؤرخين البارزين السير ستيفن رانسيمان Sir Steven Runcima وجران هسي Joan Hassy . ووصفت بأنها مصححة Corrective لتصورات المؤرخين السابقين عليها

عن خطة مسبقة مدبرة<sup>(١١)</sup>، كما أن البابا أنوسنت الثالث يحتل جانباً من المسؤولية، وفي إحدى رسائله إلى رئيس أساقفة مدينة تور Tours ذكر البابا مبلغ سعادته بإذلال كبسة القسطنطينية والقضاء على عجرة البيزنطيين. ويعلق ذلك المؤرخ قائلاً: «على ضوء الوثائق سالفة الذكر؛ يتضح موقف البابا أنوسنت الثالث تجاه غزو القسطنطينية دون لبس أو عمو، وليس من باب الصدفة أن نجد كثيراً من المعاني التي وردت في هذه الرسائل مطابقة تماماً لما كان البابا ذاته قد كتب إلى السلطات البيزنطية في عام ١١٩٨م حينما كان يهددها باتخاذ إجراءات عنيفة لإخضاع كنيسة القسطنطينية المنشقة».

من جهة أخرى؛ لا تغفل أن أحداث التاريخ تحدث من خلال وقائع متعددة وجزئية المصادفة ليس من الممكن تصورها في حالة تلك الحملة. وفي تقديرى أنه في حالة افتراض المصادفة - وهو أمر مرفوض أصلاً، ما تم تنفيذ مخططات البابوية يمثل ذلك الاحكام. ويعلق البعض على ذلك بقوله: «نجحت القوى الإيطالية في حل المسألة البيزنطية عن طريق احتلالها بعد محاولات تمت أكثر من قرن إلى الوجود، محاولات بدأها روبرت جويسكارد عام ١٠٨١-١٠٨٥م وابنه يوهيند عام ١١٠٧-١١٠٨م وروجر الثاني عام ١١٤٧-١١٥٠م ووليام الثاني عام ١١٨٥م»<sup>(١٢)</sup>. من الممكن التقرير بأن مسئولية سقوط العاصمة البيزنطية موزعة بين البيزنطيين أنفسهم والبابا أنوسنت الثالث، والبنادقة. وقد يتصور البعض أن البيزنطيين هم الضحية في كافة تلك الأحداث التي وقعت على أرض إمبراطوريتهم غير أن الواقع التاريخي يؤكد أن بيزنطة سقطت من الداخل قبل أن تسقط من الخارج وهي في ذلك، تشابه مع روما التي سقطت على أيدي الجرمان من قبل القسطنطينية. بما زاد على السبعة قرون وتحديدًا عام ١٤٧٦م<sup>(١٣)</sup>، ولا تغفل أن الصراع على المنصب الإمبراطوري الذي سمح بالتدخل الأجنبي.

١- وفي ذلك يقول ما نصه: «إن الغزو الصليبي لبيزنطة سنة ١٢٠٤ لم يكن وليد «إنحراف» أو صدفة؛ كما يذهب الكثيرون. ولذا كان لزاماً على الكاتب الرجوع إلى جذور المشكلة من عام ٨٦٩. عام القطعة الذهبية بين روما القديمة وروما الجديدة، ولذلك لتقصي الحقائق الكافية وراء هذا الصراع الذي إنشئ بسقوط مدينة قسطنطينية العظيم سنة ١٢٠٤ في أيدي جنود البابا أنوسنت الثالث. أنظر: إسحق عبد، روما وبيزنطة، التمهيد.

٢- عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية، ص-٢٠.

٣- أنظر ما تم إيراده من قبل.

مثل مرحلة ذهبية أمام الغرب الأوروبي أحسن استفلالها : من أجل توجيه ضربة قاضية لبيزنطة . ثم أن الضعف العام لتلك الإمبراطورية شجع أعداها على الإقتضاض عليها في غير هراة.

إن الإمبراطورية التي استدعت الغرب الأوروبي من أجل مواجهة الأتراك السلاجقة في النصف الثاني من القرن الحادى عشر ، دفعت الثمن فادحاً من حريتها في أوائل القرن الثالث عشر م . وبذلك تأكد للقاضى والدانى أن تلك الإمبراطورية التي لعبت بمهارة فائقة - ولعدة قرون خلت- لعبة توازن القوى . واستطاعت عبور كافة الأزمات التي واجهتها ، إلا أنها الآن تقع في مأزق مواجهة العدو الذي استعانت به يوماً ، وتلك مقارقة ساخرة في التاريخ البيزنطى يفسر أن نجد لها مثيلاً في العصور الوسطى!

ومن الملفت للإتباه : أن أطماع الغرب الأوروبي في بيزنطة كانت واضحة للمبار على مدى القرن ١٢م . غير أن البيزنطيين لم يتعدوا من أجل مواجهة تلك الأطماع السالمة .

ولانفعل كذلك؛ أن عصر الأباطرة الكبار قد ولى وأدبر . ولم يعد في جعبة بيزنطة أباطرة على شاكلة هرقل ، وليو الثالث الأيسورى ، وباسل الثانى، والآن ؛ لم يكن لدى تلك الامبراطورية إلا أباطرة صفار والأحداث كبار . ومهارة أخرى لقد عمم الرمح البيزنطى حينذاك عن إنجاب إمبراطور يواجه كافة تلك العواصف والأثواء التي أقصمت على اقتلاع بيزنطة من جذورها

وهكذا : أدت أحداث تلك الحملة الصليبية إلى تغيير جذوى في خريطة توزيعات الجغرافيا السياسية لشرقى أوروبا إلى درجة غير مسبوقة . وإذا كانت بيزنطة قد نجحت من قبل من مصير روما في القرن الخامس الميلادى ، ولم يسقطها عندئذ الجرمان إلا أن حادثة أولئك الجرمان نجحوا في ذلك الأمر بعد ما زاد على السبعة قرون !!!

جدير بالإشارة: أن أحداث عام ١٢٠٤م ؛ أدت إلى التمهيد- بصورة أو بأخرى - لمحدث الإنهيار البيزنطى النهائى على أيدي الأتراك العثمانيين ١٤٥٣م<sup>(١)</sup> في عهد قسطنطين الحادى عشر (١٤٤٩-١٤٥٣م) على نحو سيتم تفصيله فيما بعد.

١- اعتقد المؤرخ سيمى بيسير من قبل: أن المرحلة الواقعة من القرن الحادى عشر الميلادى . وعلى نحو خاص عام ٥٧ م إلى القرن الخامس عشر الميلادى والتحديد ١٤٥٣م مثلت أربعة قرون من الضعف =

ذلك أمر كاثرنة عام ١٢٠٤م ؛ وهي بالتأكيد حدث محوري ليس في تاريخ بيزنطة فقط ، بل في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى بصفة عامة ، ولا يغفل ؛ أن العدوان الصليبي الذي كان يضع نصب عينيه المسلمين إتعرّف الآن عنهم ، وإتجه إلى وجهة معاكسة ، كذلك فإن تلك الحملة جعلت الكثيرين من الصليبيين في بلاد الشام يقدمون إلى الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، بحثاً عن غنائم لهم على نحو أضعف الكيان الصليبي هناك <sup>(١١)</sup> ، وبصورة أفادت - بالضرورة - المسلمين ، ولا ريب في أن ذلك كله مثل نوعاً من إلتحار الصليبيات ، ولذا لم يكن غريباً أن اعتبر البعض تلك الحملة الصليبية الرابعة قد حامت لتنفذ بإحفاق المشروع الصليبي برمته <sup>(١٢)</sup> ، مع ملاحظة أن التنفّر الأولى الدالة على فشل ذلك المشروع بدأت منذ بداية الدعوة له من خلال كونه مشروعاً متعصباً يرفض الحوار بين الحضارات وقائم على سفك الدماء ، دون تقديم أية رسالة حضارية للأخرين .

---

= والتدهور البيزنطي إلى أن تم إسقاطها على أيدي الأتراك العثمانيين ، ومعنى ذلك أن يرجعه إلى ما قبل عام ١٢٠٤م ، انظر قوله :

" The last four centuries of the empire's existence , from 1057 to 1453 , was a period of gradual decadence in power , Enemies from both east and west cut her provinces way one by one until The great capital , Constantinople , was finally overwhelmed by the Ottoman Turks "

أنظر رأيّه

Painter . A History of the Middle Ages 284-1500 , New York 1954 , p. 35 .

ومع رجاحة ذلك التصور إلا أن عام ١٢٠٤م وما حدث فيه يظل نقطة تحول فارقة في التاريخ البيزنطي رغم بعدها تزايدت ظاهرة التصف البيزنطي إلى أن حست عام ١٤٥٣م

١ - سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٧ ، ص ٩٤ .

٢ - نفسه ، نفس الصفحة .

ويعرض عليه جروسية René Grousset تعليقاً على سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤ ما نصه : « سب مصارح خطيرة للسوية الفرنجية ، فقد حرّمها من تعزّيات لم يكن بالإمكان الاستغناء عنها ، كما أدّت بعثرته لفردى الفرنجية في الأواشي القاحلة ، حتى أن يجوز لنا أن نقول بأن قيام هذه الامبراطورية اللاتينية قد أدّنى إلى تمجيد الحياة في سورية الفرنجية »

عن ذلك فنظّر : =

على أية حال، هناك من يعتقد أن كثيراً من المؤرخين لا يعترفون بالفترة البيزنطية نسياً بعد حكم اللاتين . وأن عام ١٢٠٤م . يمثل نهاية لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية حيث سقطت على أيدي اللاتين<sup>(١)</sup>.

وواقع الأمر : أن أهمية التاريخ البيزنطي - قى أحد جوانبه بتطبيعة الحال - الفترة على الاستمرار على الرغم من الكوارث، والمعن التي واجهت تلك الإمبراطورية . وهكذا : فإن المرحلة الواقعة من ١٢٠٤ إلى ١٤٥٣م على الرغم من العنف الذي شابها : إلا أنها جزء لا يتجزأ من مسار التاريخ البيزنطي وهي بالتالي تحتل مكانة بارزة فيه وليس في الإمكان إسقاطها تحت أي مبرر وإذا وجد هناك من المؤرخين من توقفوا بدواساتهم عن عام ١٢٠٤م مثل نورمان بينز Norman Paynes - على سبيل المثال - فإن ذلك لا يلزم بالضرورة ، والعصر الذي كان يكتب فيه ذلك المؤرخ الرائد كانت التصورات تجاه ذلك التاريخ ليست بنفس الاتساع المتوافر حالياً مع الأخذ في الاعتبار الزخم المعرفي الكبير الحادث حالياً وانعكس بالضرورة على دراسته .

تلك ملامح عهد أسرة أنجيلوس التي حكمت الإمبراطورية المتناقضة التاريخ بين صفحات الفترة وصفحات السقوط إلى الحضيض ، لقد استمر عهد تلك الأسرة ١٩ عاماً فقط ولأرب في أنها قصيرة في تاريخ إمبراطورية امتد بها العمر إلى نحو ١١٢٣ عاماً غير أنها تعد

١ - ريبه جروسه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت. أحمد أبيش، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٨١  
وغير أمين معلوف ما نعه « بدلاً من أن توطد حملة الممستططينة المجردة دعائم النشأت الفرنجية في بلاد الشام : فقد أصابتها حضرة قاصمة»

أنظر أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٧٧

١ - محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٩

وقد أنهى كتابه عند عام ١٢٠٤.. ولم يواصل عرض أحداث التاريخ البيزنطي المتتمة من ذلك العام حتى ١٤٥٣م . واتخذ نفس التعليق الذي ذهب إليه من قبل توماس بينز ، ومع تقديرى لجهد ذلك المؤرخ البارز فإنه اختلف معه في الرأي

وعن نفس تلك الزاوية أنظر جوزيف نيسم يوسف ، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٤٧

ماسة، وفارقة في التاريخ البيزنطي، خاصة المرحلة التالية عليها على نحو يجعلنا لانبالغ إذ ذكرنا أنه فيما قبل عام ١٢٠٤م كان التاريخ البيزنطي له قط محدد أما بعد العام المذكور فلاحظ تحريكاً جوهرياً واضحاً ظهر فيه حيث بدأ العد التنازلي البطيء لذلك الكيان الذي صارع الزمن لقرون طويلة .

والواقع أن تقدير المسؤولية التاريخية عن تلك الأحداث يجعلنا نركز تصوراتنا على ثلاثة أباطرة فقط هم إسحق الثاني ، والكسيوس الثالث ، والكسيوس الرابع، ومع ذلك ، فمن الإنصاف التقرير بأن تاريخ تلك الأسرة يفضى النظر عن مواقف أباطرتها من مسار الأحداث السياسية وما عرفوا به من ضحالة الخبرة السياسية في التعامل مع القرب الأوربي المنسمر بالامبراطورية أثر فيها إمبراطور سابق كان يواجه تاريخ تلك الأسرة ، وما حكم لباطرتها إلا الحصاد الحقيقي لسياساته في صورة مانويل كومنين، وهكذا؛ فعند الحكم التاريخي على أسرة أنجيلوس من الأهمية بمكان؛ إدراك أنها أسرة جاءت في ظروف بالغة التعقيد ، وكانت مقدمات الانفجار في العلاقات البيزنطية - اللاتينية قد وجدت من قبل توليها السلطة !

منطقي أن السطور السابقة لا يفهم منها إبعاد المسؤولية عن أولئك الأباطرة وصراعات العرش البيزنطي في عهدهم ، بل أنهم يتحملون جانباً مهماً منها .

ومع ذلك ؛ فإن تلك الامبراطورية المتصارعة مع الزمن أبت إلا أن تواصل الاستمرار ، ملاحظ قيام عدة إمارات بيزنطية منها ما عمل على استعادة القسطنطينية أو القلب السليب، ففي طرابيزون قامت إمارة انتسبت إلى آل كومنين، وقد مددت نفوذها لبشمل الشريط الساحلي للبحر الأسود من هرقلية إلى القوقاز<sup>(١)</sup>، وفيما بعد امتد عمر تلك الإدارة حتى عام ١٤٦١م؛ أي حتى بعد السقوط النهائي لبيزنطة عام ١٤٥٣م.

#### ١- عن إمبراطورية طرابيزون أنظر بالتفصيل

Michael Panaretos , *Chronicle of the Empire of Trebizond* , ed. O. Lampsides , Athens 1958

Vasilev " The Foundation of The Empire of Trebizond (1204- 1222) , S., vol . XI, 1936 , pp. 3-37

Id , *The Empire of Trebizond in History and Literature* . \* B. , vol . XV, 1940- 1941 , pp 316-326 .

Ostrogorsky , *History of the Byzantine State* . p. 378

أما في إبيروس Epirus فقد أقام ميخائيل الأول كومنينوس دوкас Michael I Komnenos Ducas (١٢-٤-١٢١٥م) إمارة امتدت من ليباتو إلى دوزلو<sup>(١)</sup>

وفي نيقية Nicca استطاع تيردور لاسكاريس Theodore Lascaris صهر الكسبروس الثالث أن يجمع عدداً من أفراد الطبقة الأرستقراطية ، وتوج كإمبراطور للرومان عام ١٢٠٨م<sup>(٢)</sup> . دون إغفال كيانات بيزنطية صغيرة في وودس وفيلادلفيا

هنا ، بركات التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى سقوطها ١٤٦١م ، رسالة منسوبة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طططا عام ١٩٩٨م .

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢١١ - ص ٢١٢

Osrogorsky , p. 452

١- عن إمبراطورية إبيروس أنظر

Nicol, A Biographical dictionary , p. 92 .

عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢١٢

وميخائيل الأول كمينوس دوкас كان قد هرب إلى شمال شرقي بلاد اليونان بعد الفتح اللاتيني للقسطنطينية عام ١٢٠٤م وهناك في جبال پندوس Pindos صار قائداً لمقاطعات إبيروس Epirus وإكاريانا Akarnania ، وبما أن تلك المناطق من جيوش الصليبيين ، وقد تمكن من مد أملاكه إلى تساليا Thessaly في الشرق وحتى دوزلو Doriazo وجزيرة كورفو Corfu في الشمال ، وقد توفي عام ١٢١٥م تاركاً الأمر في بعده لتيردور كومنينوس دوкас Theodore Komnenos Ducas

Nicol, op. cit., p. 92

عنه أنظر :

٢- عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢١٢

Dicht , History of the Byzantine Empire, p. 143

أيضاً

وتيردور لاسكاريس؛ هو إمبراطور نيقية خلال المرحلة من ١٢٠٨ إلى ١٢٢٧م ، وكان قد ولد عام ١١٢٥م ، تقريباً وتزوج من أنا Anna ابنة الإمبراطور الكسبروس الثالث أنجيلوس وفي عام ١٢٠٨م توجه البطريرك ميخائيل الرابع كإمبراطور ولكن من أن يقبض إمبراطورية ذات اقتصاد قوي وجهاز إداري ودعائى متحارب على بحر كان له دوره في إعادة الحكومة البيزنطية إلى القسطنطينية . ولما يذكر له هزيمته للسلاجقة عام ١٢١١م ، كذلك إرغامه إمبراطور القسطنطينية اللاتيني هنري ثوف قلاتوز على احترام حدود رومعه إمبراطورية نيقية ، ولد توفي عام ١٢٢٧ دون أن يتربى من يرثه ، عنه أنظر : Nicol , Op. cit., pp. 121- 122

Vasilev, History of the Byzantine Empire, pp. 507-508

Osrogorsky , History of the Byzantine State, pp. 378-385 .

وبكشف ذلك عن تحول الكيان الامبراطوري الكبير إلى شذرات متناثرة مؤقتة إلى أن تعود إلى حضن القلب السليب .

من ناحية أخرى: تكونت- كما أسلفت الإشارة من قبل- إمبراطورية لانيبية في القسطنطينية وقد قامت على أصول إقطاعية<sup>(١)</sup>، وعاشت في ظل الصراع الداخلي وكذلك مع جيرانها ، وصقة عامة؛ حدث الصراع بين الإمبراطور، والأمراء- التابعين له الذين نظموا إلى زيادة نفوذهم على حساب سلطاته ، وسال لعاب الجميع من أجل نهب ثروات بيزنطة التي كانت بمثابة عروس وقعت في قبضة من يريدون اغتصابها جماعياً !!

ويجدر بنا : أن نلقي نظرة موجزة على أوضاع تلك الإمبراطورية اللانيبية الاستثنائية في التاريخ البيزنطي. ويلاحظ أن بلدوين أول فلاتنوز الذي حكم من ١٢٠٤-١٢٠٥ م . وهر أول الأباطرة كان قليل الكفاءة ، ولم يزد عن أن يكون بمثابة الأول بين أقرانه Primus inter Pares<sup>(٢)</sup> وقد قتل في عام ١٢٠٥م في صدام وقع بينه وبين الهلفار ومن بعد وحيله تولى الحكم شقيقه هنري (١٢٠٥-١٢١٦م)<sup>(٣)</sup>.

#### ١- عن ذلك بالتفصيل أنظر:

عبد الحافظ البنا، النظام الإقطاعي في المملكة اللانيبية في القسطنطينية ١٢٠٤-١٢١٦، رسالة دكتوراه، غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٩٤م، وهي الدراسة الأكاديمية المهمة الوحيدة في الموضوع المذكور.

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٧١٢

وعمر بلدوين أول فلاتنوز أنظر:

Wolff " Baldwin of Flanders and Hainaut first Latin Emperor of Constantinople (his life, death and resurrection", S., vol XXVII, 1952, pp. 281 - 322 .

Lock, The Franks in Aegean, pp. 43-45 .

Runn, man, Byzantine Civilization , p. 46 .

-٣-

Diehl . History of the Byzantine Empire, p. 140 .

عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص٢١٥

وقد سعى جاهداً إلى استمالة البيزنطيين إلا أن غالبيتهم اتجهت صوب أمير بطريركية  
بقبادية تيودور لاسكاريس بحثاً عن الحرية التي تافت إليها نفوسهم بعد كثافة الاحتلال  
اللاتيني، ومات عام ١٢١٦م<sup>(١)</sup>

بعد أن نشل في إيجاد أدنى قدر من التعايش بين البيزنطيين والغزاة اللاتين، وخلفه على  
العرش أخيه يولند Yolande وزوجها بطرس دي كورتناي Peter de Courtenay غير أن  
القتل كان مصيره قبل الوصول إلى القسطنطينية عام ١٢١٧م<sup>(٢)</sup>، وقامت يولند بحكم البلاد  
على مدى المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م<sup>(٣)</sup>، وتنازلت من بعد ذلك لابنتها وويرت الذي تم  
حلله نظراً لحدودية خبرته السياسية<sup>(٤)</sup> عام ١٢٢٨م، ومن بعده : تولى الحكم بلديون  
الثاني تحت وصاية حنا أوف برين ملك مملكة عكا الصليبية John of Bienne (١٢٢٨-  
١٢٣٧م)<sup>(٥)</sup>، ثم تولى الحكم منفرداً خلال المرحلة من ١٢٤٠ إلى ١٢٦١م.

١- Ditch , History of the Byzantine Empire, p. 143 .

٢- Runciman, Byzantine Civilization, p. 47

٣- يولند Yolande : أميرة لاتينية للقسطنطينية خلال المرحلة من ١٢١٧م إلى ١٢١٩م ، وهي أخت  
بلديون الميلانديزي Baldwin I Flanders ، وهري أوف هيموت Henry of Hinnant ، وبعد زوجها بطرس  
كورتنياي Peter of Courtenay ، حكمت الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، وأسست لها حاكمة  
قوية ، وقد زوجت اثنين من بناتها : ريجان تحالف الأولى : وهي أجيس Agnes التي تزوجها هودفري الثاني  
دلمباردوس Godfrey II Villehardouin ، والثانية : وهي ماري Marie التي تزوجت شيودور الأول  
لاسكاريس Theodore I Laskaris . وقد أثارت وفاتها مسكة خلافاتها إلى أن تولى من بعدها ابنها الأكبر  
روبرت أوف كورتناي ثم من بعده : بنتها الأصغر بلديون الثاني . عنها أنظر

Norwich , Byzantium, The decline and Fall, pp. 191-193 .

O D B , vol III, p. 2215 .

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 282, p. 284 .

Vasilev, History of the Byzantine Empire, pp. 519- p. 520

Runciman, Op. cit ., p. 47

٤- حنا أوف برين هو ملك مسكة بيت المقدس خلال المرحلة ما بين عامي ١٢٢٠م، ١٢٢٥م، وأمير بطرير

وهكذا : نلاحظ أن تلك الإمبراطورية لم يتحول حكمها من يوصف بالحنكة السياسية أو الحجة التي تمكته من توطيد أركانها ولاتزاع في أنها منذ يومها الأول عجزت عن تحقيق الأمن والاستقرار لها وللبيزنطيين الذين نظروا إليها نظرة عدائية وقاموها بكل وسيلة بمحنة

بصفة عامة : لم تعمر تلك الإمبراطورية طويلاً بل تعد أقصر إمبراطورية شهدت العصر الوسطى، إذ لم يتجاوز عمرها المرحلة من ١٢٠٤م إلى ١٢٦١م<sup>١١١</sup>. من الممكن إدراك العوامل التي وفقت لتضع نهاية لذلك الجنتين المشوه الذي خرج إلى الدنيا سقافاً في صورة الإمبراطورية اللاتينية المذكورة من خلال الأتي

أولاً : كان الأمراء اللاتين وكذلك البنادقة - وهم الذين اشتركوا في الصليبية الرابعة لتحقيق مصالحهم الشخصية - أقل نفعاً لتلك الإمبراطورية . وقد حدث التناحر، والتصارع بين الإمبراطور، والأمراء، التابعين؛ على نحو أضاع ذلك الكيان السياسي الهش والدخل على الأرض البيزنطية . وبذلك : وجدت عوامل الإثنيار الداخلي قبل العوامل الخارجية . وتبدلت تلك العوامل معاً في توافق مشير للفهشة : من أجل الإجهاد عليها بعد مرور ٥٧ عاماً فقط من ميلادها

ثانياً : من الملاحظ أن تلك الإمبراطورية : لم تتمسك من صنع أية جسور للتصالح، والتواصل . والتعايش مع البيزنطيين الذين صاوت كارثة عام ١٢٠٤م حية في عقولهم،

= النسطورية فيما بين عامي ١٢٢٨م . ١٢٢٧م. وقد تلقى تاج ملكة عكا عندما تزوج ماري دي مونتفورت Montfort عام ١٢١٠م وفقد عام ١٢٢٥م عندما تزوجت ابنته إيزابيلا Isabella مريدك الثاني Frederick II . ونلاحظ أن هنا دي برين يشتهر في تاريخ الحروب الصليبية بقيادته الحملة على مصر بالاشتراك مع المنسوب البابوي بلاجيوس دهي التي عرفت بالحملة الخامسة . عنه انظر Oliver of Paderborn The Capture of Damietta, Trans. by Joseph J. Cavigan in Peters, Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn, Pennsylvania 1971, p. note (3)

محمود سعيد عمرلي . الحملة الصليبية الخامسة ، ط . الاسكندرية ١٩٧٨م.

١- من المجد الإشارة إلى أن من المؤرخين المسلمين من أشار إلى الفتح اللاتيني لدمية قسطنطين . ومن اختلفهم ابن الفرات : حيث أشار إلى أن البيزنطيين استردوا عاصمتهم عام ١٢٦١م وهي تقابل عام ١٢٦١م. ما عدا - لم تزل في أيدي الفرنج إلى سنة ستمائة وسنتين فاستعادها الروم . عن ذلك انظر ابن العبريات . تاريخ ابن العبريات . م ( ١٥١ ) ج ١ . تحقيق حسين محمد التماص . ط . البصرة . بيت . م ١٧

متأججة في نفوسهم<sup>١١</sup>، وبذلك تمكن اللاتين بسلوكهم المتبرير؛ من كسب عداة البيزنطيين منذ اللحظة الأولى التي احتلوا فيها العاصمة الإمبراطورية. - وهم يشبهون في ذلك مرقف الصليبيين عندما قدموا إلى بلاد الشام وسياساتهم تجاه المسلمين وجاءت أحداث العداة والكراهية القديمة عبر قرون سابقة لتدعم العداء تجاه اللاتين .

ثالثاً كانت معنة الاحتلال اللاتيني بمثابة الفرصة الذهبية لبعث الروح البيزنطية من جديد !! وإذا كانت عوامل الاختلاف الطائفي ، والعرقى ، والسياسى فرقت مرات ومرات بين البيزنطيين من قبل؛ فإن كارثة الاحتلال المرير عادت لتجمعهم من جديد ، ومن ثم بدأ الناس بين الامارات المتعددة؛ من أجل تحقيق الهدف الرئيسى ؛ وهو استرداد القسطنطينية التي لم تعد حينذاك مجرد عاصمة فقط بل رمزاً تاريخياً وسياسياً بالغ التأثير في البيزنطيين الذين تحرروا شرفاً من أجل تخليصها من الاستعمار اللاتيني البغيض إلى نفوسهم

رابعاً لا ننكر أن اللقائين على الإمبراطورية "اللاتينية" ارتكبوا أخطاء سياسية فائقة أصادت - دون أن يدروا - البيزنطيين ، فبالحظ أنهم لم يتحالفا مع البلغار وعلى رأسهم جوهانيزا Johannaiza<sup>١٢</sup> وهكذا؛ وجدنا أن إمبراطورية نيقية البيزنطية تتحالفت مع اللعار ضد المحتل اللاتيني. على نحو أكسبها قوة على قوتها ؛ وبالتالي حققت مكاسب سياسية كبيرة من وراء ذلك ضد الإمبراطورية اللاتينية الوليدة.

مهما يكن من أمر؛ تأكد للباحثين أن إمبراطورية نيقية على نحو خاص كان لها دورها في استعادة القلب البيزنطى كى يتدفق بالحياة من جديد.

١- وفي هذا الشأن يقرر المؤرخ تورمان هاوسلى ما نصه

"The Sack of Constantinople by the Crusaders and Venetians has been neither forgotten nor Forgiven by the Greek World"

عن ذلك أنظر:

Housely , The Crusaders, London 2002, p. 79 .

٢- عمر كمال توفيق، تاريخ "دولة البيزنطية" ، ص ١١٤

لقد قام تيودور الثاني لاسكاروس بدور بارز في دعم قوة البيزنطيين خلال المرحلة من ١٢٥٤م إلى ١٢٥٨م<sup>١١١</sup>. على حين كان اللاتين يمرون بمرحلة من الضعف المبكر لم يكن لهم من الممكن الخروج منها.

على أن أكبر الشخصيات البيزنطية البارزة حينذاك - بلاتزاق - يتمثل في ميخائيل الثامن باليولوجوس Michael VIII Palaeologus الذي حكم خلال المرحلة من ١٢٥٩ إلى ١٢٨٢<sup>١١٢</sup>. وبعد صراع مرير مع قوى متعددة : لاح من جديد الأمل الذي تصارع من أجله

وك - قد تولى حكم الإمبراطورية اللاتينية باليونان الثاني ١٢٧٨-١٢٦١م الذي طالت مدة حكمه ولم يكن يستطيع مواجهة المشكلات المتعددة التي أحاطت بإمبراطوريته التي عاشت وسط صدق بيزنطي عدائي ينتظر لحظة سقوطها التاريخية . وقد طلب مساعدة العرب الأوربيين

حديث بالذكور : كإن وضع تلك الإمبراطورية شبه في ملامحه العامة مع وجود توارق طبيعية الحال وضع ملكة بيت المقدس الصليبية التي عاشت وسط محيط إسلامي بإصبعها

سعد اعظم حسن ربيع - دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية - ص ٢٨٤

Nicol. A Biographical dictionary . p. 122

ميجائيل الثامن باليولوجوس Michael VIII Palaeologos. تولى العرش الإمبراطوري خلال المرحلة ما بين عامي ١٢٦١ - ١٢٨٢م. وقد ولد عام ١٢٢٥م. ويلاحظ توليه الرضاعة على المفضل برحما الرابع لاسكاروس . وكان قد تمكن من أن يجعل لقب إمبراطور للإمبراطورية العائدة من ١٢٥٩ إلى ١٢٦١م. ومن هنا (أخبر تولاه في القسطنطينية ذاتها عنه أنظر:

Nicol. Op cit . pp. 89-90.

Chapman Michael Palaeologus Restaurateur de L'empire byzantine (1261-1282). Paris 1926

Greenkoplos. Emperor Michael Palaeologus and the west 1258-1282. Cambridge . 1959

أحمد إسحق عبيد. الدولة البيزنطية في عصر آل باليولوجوس ١٢٦١-١٢٨٢م . منشورات جامعة بسى عالى - ط بيروت - ص ١٧

لبن عبد الجواد علاقة الدولة العثمانية بمنطقة الشمال البحرية ٦٥٩-٧٨٤هـ / ١٢٦٦-١٢٨٢م. مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة العدد (٤٦) (٤٧) عام ١٩٨٦م. ص ٥٧ - ص ١٢٩. است سم . ربيع الإمبراطورية البيزنطية . ص ١٦٨ - ص ١٧٠

العناء المستمر وكانت بالفعل ملكة في نظر المسلمين غير شرعية . كذلك استمر وجودها بمثابة عبء على الغرب الأوروبي الذي انجذبت إليه دوماً للحصول على حاجتها المتزايدة للرجال . أما الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية فقد نظر إليها البيزنطيون أيضاً على أنها غير شرعية هي الأخرى . ومع ذلك ينبغي أن نذكر أن هناك فوارق واضحة بين "كبايس" ويكمي أن الكيان الصليبي عمر نحو مائتي عام في بلاد الشام؛ أي ما زاد على أربعة أضعاف المدة التي عمرتها الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية . كذلك لا تفعل . أن الكيان الصليبي ذاته كان كياناً أسيوياً من الناحية الجغرافية مرتبطاً بالقارة الأوروبية من خلال اتصال الصليبيين بالوطن الأم للحركة الصليبية في أوروبا عبر البحر المتوسط . أما الإمبراطورية اللاتينية فكانت كياناً أوروبياً خالصاً . وإن تركت تأثيرها على الكيان الصليبي كما اسلفت الذكر من قبل .

على أية حال : بعد عام ١٢٦١م عاماً فارقاً في تاريخ البيزنطيين بصفة عامة ، وكذلك في تاريخ ميخائيل باليولوغوس على نحو خاص . وقد تمكن من خلال جهد جهيد من إخضاع كافة المناطق التي سيطر عليها اللاتين خارج أسوار القسطنطينية . وقد أدرك بثاقب بصره . عدم قدرته على مواجهة البنادقة إلا من خلال أعتابهم التقليديين وهم في صورة الجنيرين . وقد عقد معهم حلفاً من خلال معاهدة نيمفاتيوم Nymphaeum عام ١٢٦١م وعرض عليهم مصر امتيازات البنادقة السابقة . ولاريب في أن ذلك العرض كان سخياً وأسأل لعابهم ووافق الجنيريون أمام يريق الذهب البيزنطي الذي طالما خلب لهم

وفي يوم ٢٥ يوليو من عام ١٢٦١م : عندما رحل الأسطول البندقي من القرن الذهبي . وحه أحد قادة ميخائيل باليولوغوس ضرمته بأن قامت قواربه بدخول القسطنطينية<sup>(١٢)</sup> وكان العرار من

١- عمر كمال توفيق. تاريخ الدولة البيزنطية. ص- ٧٢

وعن المعاهدة المذكورة أنظر

هايز مجيب اسكندر. دراسة لاتفاقية تجارية بين إمبراطورية طريزون والقسطنطينية سنة ١٣٦٤م. ط

الاسكندرية ١٩٨٣م. ص ٨

٢- عمر كمال توفيق. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. ص- ٧٢

جانب الحكومة اللاتينية الفخيلة أكبر دليل وضاح دال على العجز عن مواجهة رد الفعل البيزنطي المحتوم ، وفي الشهر التالي ؛ وبالتحديد في ١٥ أغسطس من ذات العام دخل ميخائيل باليولوغوس<sup>(١)</sup> القسطنطينية متحصرا وتم تنويجه في كنيسة أباصوفيا Hagia Sophia بعد أن ظلت في قبضة اللاتين نحو ٥٧ عاما هي من أصعب الأعوام في تاريخ بيزنطة بصفة عامة.

ولا مرء ، في أن يوم ١٥ أغسطس ١٢٦١م<sup>(٢)</sup> ، يعد يوما محوريا في التاريخ البيزنطي؛ لأه دلالة وضاحة على قدرة تلك الإمبراطورية على مقاومة أعدائها ، والتجدد رغم تكالب الأعداء ، والمحس التي عصفت بها

ومع ذلك ؛ من المهم الحفر من توهم أن تلك القيادة البيزنطية بمفردها تمكنت من تحقيق ذلك الإنجاز التاريخي إذ أن مئات الآلاف من البيزنطيين الذين لا تعرف أسماءهم شاركوا في صنع ذلك اليوم التاريخي ، وهناك بصفة مستمرة الحفر من نسبة الإنجازات الكبرى لأفراد وإبعاد الشعوب عنها ، وعندئذ تصلق العبارة القائلة : « إن التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون للمحكام »

بلا حظ أن من المؤرخين الأوروبيين ؛ بمن نظروا إلى دور ميخائيل باليولوغوس على أنه البطل « الأسطوري » المنقذ الذي أرسلته الأقدار ليقوم بذلك الدور التاريخي . وسط مصاعب ، ومضائق جمة غير مسبوقه في التاريخ البيزنطي<sup>(٣)</sup> .

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- أنظر على سبيل المثال:

Chapman , Michel Paléologue restaurateur de l'empire byzantin (1261-1282), Paris, 1926

وأرد أن ألفت إثنين اللذين إلى المقدمة القيمة التي وضعها أ.د. اسحق عبيد لكتابه عن الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢ . ط. بيروت ، ب-ت ، ص ٩٠ ، ص ٩٧ . حيث انكر الدور الفردي فقط في توجه التاريخ وأشار إلى دور العوامل الداخلية ونفعايتها وتعاونها مع القيادة الفردية.

ومع تقديرى لذلك التصور جزئياً من خلال دور ذلك القائد الفذ الذى قام بدوره فى وقت إحتاجت فيه بيزنطة له احتياجاً ماساً وكان بالفعل رجل الساعة ، إلا أن الكيان اللاتسى ذاته كان قد دب فيه الضعف خاصة أنه كان كياناً أشبه بجزيرة منعزلة تحيطها أمواج العداء ، والكراهية وبالتالى لايمكّن مقومات وجوده الأصلية ، وبدون ذلك العنصر وهو عنصر حاسم بلاريب- ما كان من الممكن ليختابل بالبولوغوس أن يقود البيزنطيين نحو تحقيق ذلك الإنجاز التاريخى فى ١٥ أغسطس ١٢٦١م. وبالتالى ؛ نقرر أن العوامل الداخلية والخارجية تعاونت معاً بالإضافة إلى أن الشعب البيزنطى تحت قيادته صنع معه ذلك اليوم بالإنجازاته بقيادته الرائعة ، دون أن يفهم من تلك العيارات أى تقليل من دوره ومكانته فى التاريخ البيزطى فى عصره المتأخر

وبعد ؛ فلتلك كانت ملامح المرحلة المعاصرة والعصيبة من التاريخ البيزنطى التى امتد بين عامى ١٢٠٤م. و ١٢٦١م. وهى بلاريب مرحلة تعد استثنائية لانظير لها على ما راد على (١١) قرناً من عمر الزمان؛ فالإمبراطورية التى من قبل استعمرت غيرها صارت هى نفسها مستعمرة ومن جانب أعداء كانت تكن لهم الاحترار والكراهية؛ وهكذا؛ دفع البيزنطيون الثمن من حريتهم نتيجة للصراع الاحمق على المنصب الإمبراطورى، ناهيك عن «غيباب الوعى بالتاريخ» ، حيث لم يدرك رجال السياسة حينذاك أن الاستعانة بالغرب لن تكون فى صالح أحد الأطراف المتنازعة بل سينشأ مخالبه فى الجسد البيزنطى بلاريب.

ذلك أمر السياسة وتقلباتها ، أما الجوانب الحضارية ؛ فنذكر خلال تلك المرحلة ظهور عدد من الأعلام البيزنطيين فى مجالات متعددة ونكتفى بتقديم أمثلة فقط عنهم، وفى مجال التاريخ ؛ هناك المؤرخ نيكيتاس خونيئاتس Nicetas Choniates (١١٨٥-١٢٦١م الذى يرتبط اسمه دوماً بسقوط معشوقته ؛ بيزنطة، ولذلك تعد كتاباته مرة صادقة لتطور أحداث تاريخها خلال المرحلة من ١١١٨ إلى ١٢٠٤م وخاصة كاثرة العام الأخير ، ومع ذلك يسمى الاتصير أن اهتماماته اقتصرت على الكتابة التاريخية فقط ، إذ أن هناك من يقرر تأليه لكتاب كبير فى النطاق العقائدى عرف باسم «ثروة الأرثوذكسية»<sup>(١٦)</sup> مما عكس نقصه من الجاهل الحقيقية .

١- أنظر عنه المدخل البيروغرانى

وفي ذات مجال الكتابة التاريخية ، نشر إلى قسطنطين مانيسيس Constantine Manassis (ت ١١٨٥م) وقد وصف بأنه اتجه إلى العمل في الملك الكنسي ، وألف كتابه حروب العالم بدءاً منذ الخليقة حتى عام ١٠٨٠م<sup>(١١)</sup>.

ثم هناك أيضاً : ميخائيل جليكاس Michael Glykas (ت بعد عام ١٢٠٠م) وعرف أيضاً باسم سيكيتيز Sikadines وهو مؤرخ عمل في ديوان مراسلات الإمبراطور مانويل الأول إلى سنة ١١٥٩م . وقد ألف كتاباً في التاريخ تناول الأحداث منذ بدء الخليقة حتى عام ١١١٨م<sup>(١٢)</sup>.

أما في المجال الكنسي؛ فنذكر من الاعلام الذين ظهوروا خلال تلك المرحلة يوحنا ميساريثيس John Mesarites، وقد ترحب في دير من الأديرة المتعددة التي وجدت في القسطنطينية، ونسباً بعد؛ صار أستاذاً لتفسير الكتاب المقدس، وما يذكر عنه؛ معارضة الشديدة للكنيسة الرومانية وقد قام بالاشتراك مع أخيه نيكولا بالدفاع عن الأرثوذكسية من خلال محاورات مع مندوبي البابوية وذلك في عام ١٢٠٤م<sup>(١٣)</sup>.

وفي المجال الحربي؛ نذكر من الاعلام الكسيوس ستراتيجيولس Alexius Strategopoulos الذي عمل كضابط في جيش ميخائيل الثاني باليولوغوس . وقد ساهم في معركة حدثت ضد الحاكم ميخائيل الثاني سيد ايروس وحلفائه عام ١٢٥٩م، واشتهر في التاريخ باقتحامه المصاحي للعاصمة البيزنطية في يوليو عام ١٢٦١م ؛ مما نتج عنه تغلبها من السيطرة اللاتينية<sup>(١٤)</sup>.

على أية حال ؛ من الأمور المؤكدة أن ظهور أولئك الاعلام في مختلف المجالات يعكس لنا قدرة بيزنطة «الجزيرة» على أن تنجب لنا الأبناء البارزين الذين مثلت أحداث ١٢٠٤م تحدياً لقدراتهم فكانت تلك الاستجابة التي حفظها لها التاريخ . ولا ريب أن وقت الخطر نستلهم المراهب من أجل إبرازها، وهذا ما حدث بالفعل على المستوي التاريخي حينذاك، حيث أن التاريخ ذاته تمحى به واستجاب.

Nicol . A Biographical dictionary, pp. 77-78 .

Ibid p 44 .

Ibid p 84 .

Ibid, p 116 .

مهسا يكن من أمر : عند مقارنة أسرة أنجيلوس مع غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة عليها ، نجد أنها حكمت سنوات قليلة لا تتجاوز العقدين من عمر الزمان ، وهي مرحلة قصيرة لاتصل أحياناً إلى حكم إمبراطور بيزنطى واحد قى عهود الأسرات الأيسورية أو المقدونية كذلك حكم خلال عهدها خمسة أباطرة فقط .

والر ف ، أنها تعد أسرة أقل شأنًا إذا ما قورنت بالأسرات السابقة من حيث السياسة والحضارة ، فلم تفرز لنا إمبراطوراً فى أهمية هرقل أو ليو الثالث الأيسورى ، أو بامل الثانى .

ومع ذلك : من الإنصاف القول : أن مراحل التدهور والضعف البيزنطى التى لمسها بجلاء على مدى المرحلة الممتدة من ١٠٢٥ مع وفاة بامل الثانى حتى ١٢٠٤م تجسدت فى أسرة أنجيلوس . وبعبارة أخرى : فإن أخطاء الأسرات السابقة سواءً المقدونية - وفى قسم منها - وأسرتى دوكاس وكومنين كان حصادها فى تلك 'أسرة دون أن يعنى ذلك تبرير أو نسنة أباطرتها من مسئولية ما حل ببيزنطة عام ١٢٠٤م .

ومن الممكن القول بموضوعة : أن أسرة أنجيلوس هى النتاج الحقيقى لسياسات آل كومنين خاصة من صورة الإمبراطور مانويل كومنين الذى فصلت أمر سياساته وتقويعها من قبل ، ولذلك لاتتجاوز الحقيقة إذا تم التأكيد على أنها كانت مهية أكثر من غيرها من الأسرات البيزنطية السابقة لبعثت فى عهدها سقوط القسطنطينية الأولى .

ذلك عرض عن تاريخ أسرة أنجيلوس : أما أسرة بليولوج التالية لها فتتناوله الصفحات التالية

## تاسعاً : أسرة بالولوح (١٢٦١-١٤٥٣م)

نتعرض الصفحات التالية : الآخر الأسرات البيزنطية الحاكمة : ألا وهي أسرة بالولوح<sup>(١)</sup> التي امتد حكمها إلى أكثر من قرنين من الزمان. لرصد عوامل الإتهيار النهائي التي انضحت بجلاء . في خلال تلك المرحلة أكثر من المراحل السابقة في التاريخ البيزنطي بما أعطاها طابعاً مميزاً عن غيرها من الأسرات الحاكمة .

جدير بالإشارة : تولي الحكم خلال القرنين المذكورين عدد من الأباطرة : ميخائيل الثامن Michael VIII ( ١٢٦١ - ١٢٨٢م ) وأندرونيكوس الثاني Andronicos II بالاشتراك مع ابنه ميخائيل التاسع Michael IX ( ١٢٨٢ - ١٣٢٨م ) . وأندرونيكوس الثالث Andron-icos III ( ١٣٢٨ - ١٣٤١م ) . ويوحنا الخامس John V ( ١٣٤١ - ١٣٤٦م ) . ويوحنا السادس John VI كنتاكوين Cantacuzene ( ١٣٤٦ - ١٣٥٥م ) . وأندرونيكوس الرابع Andronikos IV ( ١٣٥٥ - ١٣٧٩م ) ويوحنا الخامس (المرّة الثانية ) ( ١٣٧٩ - ١٣٩١م ) . ويوحنا السابع John VII ( ١٣٩٠م ) . ومانويل الثاني Manuel II ( ١٣٩١ - ١٤٢٥م ) . ويوحنا الثامن John VIII ( ١٤٢٥ - ١٤٤٨ ) . وأخيراً قسطنطين الحادي عشر Constantine ( ١٤٤٨ - ١٤٥٣م )

### ١- عن أسرة بالولوح أنظر :

Head , *Imperial Twilight : The Palaeologous Dynasty and the decline of Byzantium* , Chicago 1977

مع ملاحظة أن الإضمحلال البيزنطي سابق على عهد تلك الأسرة

Diehl, *Etudes Byzantines, Introduction a L'Histoire de Byzance*, Paris 1905 , pp. 217-240

Vasilev , *History of the Byzantine Empire*, pp. 580-721

Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, pp. 401-509

Browning , *The Byzantine Empire*, pp. 228-292

Norwich, *Short History of Byzantium*, pp. 307-381

صلاح صبيح . العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر آل بالولوح ١٢٦١ - ١٤٥٣م . رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي عام ١٩٩٨م . وأرد الإشارة بالمجهود المبذول في هذه الأطروحة العلمية

إن نظرة متأنية لأولئك الأباطرة يتضح لنا من خلالها : أن هناك من حكم أعواماً طويلة مثل أندرونيكوس الثاني الذى حكم ٤٦ عاماً ، ومن بعده مانويل الثانى الذى امتدت مدة حكمه ٣٤ عاماً ، ولا تغفل أيضاً : أندرونيكوس الرابع الذى شغل المنصب الإمبراطورى ٢٤ عاماً ، وفى المقابل هناك من الأباطرة من أدار أمور الإمبراطورية مدة زمنية قصيرة فى صورة يوحنا السابع الذى لم يحكم إلا عاماً واحداً .

ونلاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة تعد مرة - بصفة عامة - للأسرات البيزنطية السابقة على مدى القرون العديدة التى عاشتها تلك الإمبراطورية « المعمرة » : إذ هناك الإمبراطور المؤسس وهو ميخائيل باليولوغوس وهو أهم الأباطرة الذين حكموا خلال القرنين البيزنطيين الأخيرين وتعنى بهما المرحلة الممتدة من العقد السادس من القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن الخامس عشر . والأمر المؤكد : أن الإمبراطور المؤسس حطى باهتمام المؤرخين أكثر من أى إمبراطور آخر : وهى ظاهرة أدركناها من خلال عرضنا السابق .

كذلك هناك ظاهرة الإمبراطور الذى يحكم بمساعدة آخر . كما لاحظنا ذلك فى حالة أندرونيكوس الثانى الذى حكم خلال الأعوام من ١٢٨٢ إلى ١٣٢٨م بالاشتراك مع ابنه ميخائيل السابع . كذلك نلمح ظاهرة أخرى من الظواهر المرتبطة بالتاريخ البيزنطى وهى اعتصاب العرش ونجد مثالا دالاً عليها فى يوحنا السادس الذى حكم من ١٣٤٦م إلى ١٣٥٥م .

والواقع ، أن تلك الأسرة تختص بخاصية تميزها عن غيرها من الأسرات السابقة وهى أنها شهدت السقوط النهائى لبيزنطة ، ولذلك كثر تصور المؤرخين بأنها المشولة عن الإنهيار البيزنطى عام ١٤٥٣م . ولذلك فهى بالتالى من أكثر الأسرات التى من الممكن على مستوى الكتابة التاريخية أن نتكلم من خلال دراسة السقوط دون البحث فى جفوره التاريخية الدقيقة وهكذا ، فإن ذلك الأمر يجعلها تمتاز بأنها شهدت حادثة الممات البيزنطى وبالتالى فهى الأسرة التى بعدها وجد الإنقطاع وعدم التواصل .

---

١- عنه أنظر : ناهد عمر صالح ، السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور أنطونيوس الثانى باليولوغوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) . رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٩م

على أية حال: من الملاحظ أن الأسرة البيزنطية الأخيرة حكمت كياناً محدوداً في صورة ما تمكن ميخائيل الثامن باليولوجوس في إستراده في صورة ما سيطرت عليه إمبراطورية نيقية في آسيا الصغرى، ثم هناك القسطنطينية، وثرانيا، وقسم من مقدونيا، وقد صارت مدينة سالونيك بمثابة مدينة محورية، ولا تغفل كذلك عدة جزر أبرزها رودس، ومن الملاحظ عن عهد ميخائيل الثامن إشغاله بالصراع مع القوى السياسية في الغرب الأوربي مثل شارل الأنجوي Charles d'Anjou<sup>(١)</sup>، الذي وضع خطة لهاجمة الأراضي البيزنطية وكذلك الصراع بينه وبين البسرية والبنادقة؛ كل ذلك جعله لا يتفرغ لمواجهة الخطر المحدق بالإمبراطورية البيزنطية من جهة الشرق في صورة الأتراك العثمانيين، وبالتالي واجه جبهتين حربية في الشرق وسياسية في الغرب دون أن يتفرغ تماماً لأية واحدة منهما، ولا تغفل هنا الإشارة إلى

١- شارل الأنجوي Charles d'Anjou (١٢٧٦-١٢٨٥م): هو شقيق الملك لويس التاسع Louis IX (١٢٢٣-١٢٧٠م) ملك فرنسا. وبعد أن صغر إخوته، وبالمثل أنه انتصر على خصمه ماتفرد بن فردريك الثاني هو هشتاوين في معركة بنفيتو Benevento في ٢٦ فبراير ١٢٦٨م وأتت له أملاك الصقليتين، وقد توجه البابا كليمنت الرابع Clemens IV (١٢٦٥-١٢٦٨م) عام ١٢٦٦م ملكاً على نابولي Napoli، وصقلية Sicily، وما يذكر عنه اهتمامه لتأليفه كونرادين عام ١٢٦٨م. كما قام بانتزاع ألبانيا من الإمبراطورية البيزنطية. كذلك اشترك في حملة لويس التاسع على تونس. وهي التي توفي فيها ملك فرنسا في ٢٥ أغسطس ١٢٧٠م. عنه أنظر

محمود سعيد عمران، «شارل كوت أنجوي بين القسطنطينية وتونس والقدس»، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م. أميرة مصطفى أمين يوسف، «كونراد وعرش الصقليتين»، الموزع المصري، العدد (٢٥١) يناير ٢٠٠٨م. محمد عبد العزيز، «تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩٩م»، مس كتاب بحوث في تاريخ المصور الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خضير، ط. الاسكندرية ٢٠٠٧م، ص. ٤٧، ستيفن رنيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت السيد إلياز العزيمي، ط. بيروت ١٩٩٣م، ج ٢، ص. ٥٠-٥٠٠، مصطفى الكاكي، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٩هـ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص. ٢٢٦-٢٢٧، ليلي عبد الجواد، علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص. ٧٥، حاشية (١١)، محمد شقيق عمرال (محرر)، الموسوعة العربية الميسرة، ط. بيروت ١٩٩٥م، (٢)، ص. ١٠٩٤.

Waley, Late Medieval Europe from St. Louis to Luther, London 1976, p. 38.

أن الإمبراطورية المذكورة على مدى تاريخها اللديد ؛ واجهت خطرين من جهتين مختلفتين ؛ وهو أمر لاحظناه منذ مرحلة مبكرة من عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد أسرة جستنيان عندما واجه الفرس والجرمان على سبيل المثال على نحو جعلها مبعثرة الجهود في مواجهة الخطرين في وقت متزامن .

من زاوية أخرى ؛ يذكر عن عهد الامبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس ؛ التحاذه إلى الحصول على دعم البابوية لشرعية حكمه في مقابل اعترافه بتبعية الكنيسة الأرثوذكسية للبابوية من خلال مجمع ليون Lyons<sup>(١١)</sup> عام ١٢٧٤م ، والواقع ؛ أنه مارس بمهارة لعبة توازن القوى Balance of Powers لتتهدد فرصة إزعاج البابا جريجوري العاشر Gregory X<sup>(١٢)</sup> (١٢٧١ - ١٢٧٦م) من تنامي قوة شارل الأنجلوي ، كما أستفاد من رغبة البابوية في فرض سيادتها على كنيسة القسطنطينية وبالتالي ؛ عقد الاتفاق المذكور ، وقد أفاده ذلك في أن إعطاء حرية الحركة ضد خصومه حيث قام بشن هجوم على ابيروس ضد قوات شارل الأنجلوي

١- عن ذلك انظر : أمل أحمد حامد ، مجمع ليون الثاني ١٢٧٤م ، دراسة في مشروع الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وروما في القرن الثالث عشر الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م ، وهي الدراسة العربية الوحيدة في موضوعها

Constantinides , Byzantine Scholars and the Union of Lyons (1274) , in Bouton and Ro-  
veche , (eds.) The Making of Byzantine History , Studies dedicated to Donald M. Nicol,  
Centre for Hellenic Studies , King's College , London 1993, pp. 86-93 .

Vasiliev , History of the Byzantine Empire, p. 657-659, p. 662-663 . Ostrogorsky, History of  
the Byzantine State, p. 409, p. 433 , p. 500 .

Kelly , Oxford dictionary of Popes, p. 198 .

٢- البابا جريجوري العاشر Gregory (١٢٧١ - ١٢٧٦م) ؛ تولى المنصب البابوي من يوم ١ سبتمبر ١٢٧١ إلى ١ يناير ١٢٧٦م وذلك عقب وفاة البابا كليمنت الرابع Clement IV ( ١٢٦٥ - ١٢٦٨ ) .  
ونلاحظ أنه وضع نصب عينيه القيام بحملة صليبية ، كذلك يذكر عن ذلك البابا أنه مات في العاشر من يناير عام ١٢٧٦م ، وقد دفن في دومو Duomo ، وأضاف بتذكار الرابع عشر Benedict XIV ، اسمه إلى سجل علم الشهداء الروماني The Roman Martyrology . ويرافق عيد هو يوم ١٠ يناير غير أنه منذ عام ١٩٦٣م ، صار ذلك يوم ٩ يناير عنه أنظر .

Kelly, Op. cit. p. 197- 199 .

كما تدخل في تساليا Thessalia كذلك حارب البنادقة في أبوليا Apolia وتوغل في أخايا التي مرت بمرحلة ضعف في أعقاب وفاة وليام فلهاردين بعد توقيع الاتفاق مع البابوية بأربعة أعوام وتحديداً عام ١٢٧٨م<sup>(١)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ من الضرورة بمكان إلقاء الضوء على نحو موجز على الأتراك العثمانيين؛ وهم الذين شكلوا القوة الخارجية الفعالة في التاريخ البيزنطي حينذاك حتى نهايته.

وبصفة عامة : فإن الأصول الأولى للأتراك العثمانيين يكتنفه الغموض ، ومع ذلك من المحكر القول بأنهم ينتمون إلى قبيلة تدعى قبيلة قابي التركية ، وهي إحدى العشائر البدوية شديدة المراس من بين عناصر الأتراك الأوغوز<sup>(٢)</sup> . وقد قدمت من أواسط قارة آسيا حيث شكل استبس وسط تلك القارة عنصراً مكوناً لشرقي وغربي أوروبا على مدى تاريخه ، ووصلت إلى أعلى منطقة الجزيرة الفراتية ، واستقرت من بعد ذلك في منطقة خلاط ، ويقال أنها

١- عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢٥

٢- عن أصل الأتراك العثمانيين أنظر :

ابن أبي السرور البكري ، فتح الرحمانية في الدولة العثمانية ، تـ. ليلى الصاغ طـ. دس ١٩٩٥ ، ص ٨- ١٨ . محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، تـ. أحمد السعيد سليمان ، ط القاهرة ١٩٩٣م . ص ١١٩- ١٢٢ . وبعد أفضل من درس تلك الزاوية بالإضافة إلى جيبونز ، إسماعيل ياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، طـ. الرياض ١٩٩٨م . ص ٩- ١٠ . العالم العربي في التاريخ الحديث ، طـ الرياض ١٩٩٧م ، ص ١٤ . أكسل أمين حسام أوغلي (محرر) ، الدولة العثمانية بتاريخ وحضارة ، تـ . صالح سملوكي ، طـ. استانبول ١٩٩٩م . ص ٨- ١٠ . نبيل عبد الحى وضوان ، جمهور العثمانيين لانتفاذ الأندلس وإسترداده في مطلع العصر الحديث ، طـ مكة المكرمة ١٩٨٨م . ص ١٦- ١٧ . صلاح حريص ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، طـ الاسكندرية ١٩٩٩- ٧٠٠٠م . ص ١٧ . وأنت الشيخ ومحمد رعت ، آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر ، ط القاهرة ١٩٩٧م . ص ١٩٧

quotact. The Ottoman Empire 1200-1922, Cambridge 2000, p. 13 .

Inalçik , " L' Empire Ottoman " , Actes du Congrès international des études balkaniques et Sud-est européennes, III, Sophia 1969, p. 76-77

Gibbons, The Foundations of the Ottoman Empire, Oxford 1916

وبعد أفضل دراسة في موضوعها بالإنجليزية حتى الآن وتقابلها بالتركية دراسة محمد فؤاد كوبرلي  
البلغة المذكور

غادرتها من بعد ذلك عام ١٢٢٩ م . ثم هبطت من بعد ذلك إلى حوض نهر دجلة ، ثم قامت بالهجرة إلى أروغيجان في آسيا الصغرى، وهكذا تدرك تمامًا : أن تلك التحركات اللغوية حدثت في وقت كانت فيه الإمبراطورية البيزنطية تعاني من الاحتلال اللاتيني لعاصمتها .

على أية حال، فإن ذلك التحول إلى آسيا الصغرى حدث بقيادة أرطغرل (ت ١٢٨١م) وقد حمل لقب الشاذلي لكثرة معركة ضد البيزنطيين<sup>(١١)</sup> . ومن بعده : تولى الحكم ابنه عثمان (١٢٨٨-١٣٢٦م) الذي يذكر له التاريخ تأسيسه على مدى سنوات متعددة تلك الدولة التي حملت اسمه . وهناك من يقرر أن عهده شهد تجديد الوضع السياسي والديني والعسكري للأتراك العثمانيين<sup>(١٢)</sup> .

بصفة عامة، فإن تحول تاريخ العثمانيين من مجرد إمارة حدودية إلى إمبراطورية كبيرة كان بمثابة ولغز تاريخي<sup>(١٣)</sup> ، في تصور البعض وفي تقديرى أن الجهاد الإسلامي مع عدم إغفال الدوافع الاقتصادية الأخرى هي المفتاح الحقيقي لفهم ذلك التطور التاريخي الفعال والمزتر في تاريخ العلاقات الدولية حينذاك .

لقد كانت الدولة البيزنطية التي خرجت منهكة من الصراع مع اللاتين . بمثابة الميدان الحيدري لشروحات الأتراك العثمانيين وقد تمكن عثمان بن أرطغرل من السيطرة على مدينة بورصة في العام الأخير من حكمه أي عام ١٣٢٦م .

أي عام ١٣٢٦م<sup>(١٤)</sup> . ومن بعده : تولى الحكم خلفه أورهان : الذي امتد عهده من ١٣٢٦م

١- أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، ت. عبد القادر الفتا، تحقيق عبد الطيف الحسني، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص ٩٨

سهيل طغوش، التاريخ الإسلامي المرحز، ص ٣٤٥

٢- نفسه، ص ٣٤٦ . وعنه أنظر: حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص ٣١١

٣- Inalcik Op. cit., p. 76 .

٤- عن عثمان أنظر :

سعيد أوجدي، الدولة العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، ط. بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٥

نبيل عبد الحى وضوان، جهود العثمانيين لإخلاء الأندلس، ص ١٨- ١٩

زيب بيرجكلى، شعر للفنانات الداعية في العهد العثماني، ط. عمار، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٧

إلى ١٣٥٩م<sup>(١١)</sup>، وقد قام بإخضاع مدينة نيقية Nicea بأسيا الصغرى بعد ٦ أعوام فقط من توليه السلطة، كما حاول جاهداً أن يتطرق من آسيا الصغرى إلى أوروبا عبر البسفور، وبعد عام ١٣٣٧م تمكن من الوصول إلى قلب العاصمة القسطنطينية - في تطور غير مسبوق - إلا أنه انسحب من جراء المقاومة البيزنطية له<sup>(١٢)</sup>، وأهمية محاولته أنها كشفت عن أن عمر محاولات الأتراك العثمانيين لإخضاع تلك العاصمة امتد من عام ١٣٣٧م إلى ١٤٥٢م فنال الأتراك العثمانيون خبرة حربية بارزة في صراعاتهم معها، ويلاحظ أن نفوذهم أخذ يمتد على نحو أدى إلى حياكة الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى، بل إن الأتراك العثمانيين عملوا على مهاجمة المدن البيزنطية بصورة عكست مدى الضعف والهوان الذي وصلت إليه تلك الإمبراطورية التي بلغت من الكبر عتياً

لنمقل هنا: أن الإمبراطور أندرونيكوس الثالث<sup>(١٣)</sup> بالبولوغوس Andronicos III Palaiologos (١٣٢٨-١٣٤١م) أمام تزايد خطر الأتراك العثمانيين حاول جاهداً أن يطلب من

١- وعن عهد أورخان أنظر.

Pücher, An Historical Geography of The Ottoman Empire from earliest times to the end of the Sixteenth Century, Leiden 1972, pp. 38-40

Norwich Short History of Byzantium, pp. 339-340.

سبار الجليل، العثمانيون وتكوين اتعرب الحديث، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص ٢٠٤- ٢٠٥، أحمد عثمان، تاريخ البهره، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٩  
٢- عن ذلك أنظر:

نبيل عبد الحى وضوان، جهود العثمانيين لاتخاذ الأندلس، ص ١٩- ٤٣

٣- أندرونيكوس الثالث هو الابن الأكبر ليهانيل التاسع الثوفى عام ١٣٢٠م، كما أنه بعد حفيد لأندريكوس الثانى، ولد تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية خلال المرحلة الواقعة بين عام ١٣٢٨، ١٣٤١م، عه أنظر.

Browning, History of the Byzantine Empire, p. 234, Nicol A Biographical Dictionary.

p. 8

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 337-338.

Vasilev, History of The Byzantine Empire, p. 444-454

البابا بندكت الثاني عشر Benedict XII (١٣٣٤-١٣٤٢م)<sup>(١)</sup> شن حملة صليبية من الغرب الأوروبي لحماية ما تبقى لبيزنطة من أملاكه ؛ إلا أن ذلك المسعى أخفق لعدة أسباب رئيسية يمكن إجمالها كالآتي :

أولاً : كان الاختلاف المذهبي القائم بين كنيسة القسطنطينية وروما بمثابة حجرة عثرة في مواجهة أية إمكانية للاتفاق بين الطرفين وكان الثمن الذي تطلبه البابوية بصفة عامة فادحاً وتمثل في إعلان الخضوع لها من جانب الكنيسة الثالثة لها على مدى قرون خلت أي كنيسة القسطنطينية.

ثانياً : كان الغرب الأوروبي قد تغيرت أحواله السياسية وشغلت كل دولة بظروفها الخاصة. ولم يعد هناك الاهتمام البارز بأمور الدولة البيزنطية . وهكذا ؛ فإن كل دولة شغلت بقضاياها الداخلية عن أن تقدم المساعدة لإمبراطورية تاريخها السابق حافل بالصدام مع العرب اللاتينى.

بصفة عامة ؛ يؤكد لنا ذلك كله أوجه التشابه والاختلاف بين طلب الإمبراطور الكسبروس - من قبل- مساعدة الغرب الأوروبي في آخريات القرن الحادى عشر الميلادى وقيام البابا أوربان الثاني (١٠٨٩-١٠٩٩م) بتبني ذلك الاستغاثة البيزنطية<sup>(٢)</sup> ، وانجلاء الإمبراطور أندرونيكوس الثالث إلى تكرار الأمر مع البابا بندكت الثالث عشر. إلا أن الظروف التاريخية كانت قد تغيرت إلى حد كبير

ولم تكن الروح الصليبية بنفس قوتها في القرن الرابع عشر الميلادى. مثلما كانت من قبل في آخريات القرن الحادى عشر الميلادى ؛ إذ أدركت أوروبا بعد قرنين كاملين كيف دفعت سناً باهظاً في صورة مشروعاتها للتوسيع على حساب الشرق من أبنائها القتل ونسائها

١- حنين ربيع. دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٩٨

البابا بندكت الثاني عشر : تولى النصب البابوى خلال المرحلة من ٢٠ ديسمبر ١٣٣٤م إلى ٢٥ أبريل ١٣٤٢م. وذلك في أعقاب الباب نيقولا الخامس Nicolas V وهو بابا غير شرعى تولى بدوره مفعد القديس بطرس خلال المرحلة من ١٣٣٨ إلى ١٣٣٠م . عنه أنظر :

Kelly, Oxford dictionary of Popes, p. 210-211

٢- أنظر ما سبق ذكره من قبل.

الأرامل<sup>(١١)</sup>، بالإضافة إلى اختلاف نوعية البابا أوربان الثاني وبنديكت الثالث عشر حيث كان الأول مناجياً لصحوة ديركلوني Chury على نحو لم يتأت للشأنى. وهكذا، فإن الطرفين التاريخية حينذاك وتوعية القيادة الدينية لم تكن في صالح تصور الإمبراطورية البيزنطية في شن حملة صليبية مدعاه لها لصد التوسع العثماني.

مهما يكن من أمر؛ من الملاحظ أنه خلال عهد الإمبراطور يوحنا السادس كنتاكوزيس<sup>(١٢)</sup> John VI Cantacuzene وتحتيداً في عام ١٣٤٧م أي العام الأول من حكمه (١٣٤٧-١٣٥٥م) تعرضت الإمبراطورية إلى جانب الخطر الخارجي، إلى كارثة طبيعية في صورة

١- أدى ذلك إلى ظهور رأى عام مضاد للحروب الصليبية في الغرب الأوروبي عن ذلك بالتفصيل أنظر  
هذه الدراسة القيمة

Throop, Criticism of the Crusade : A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda,  
Amsterdam 1940 .

جوزيف نيسم يوسف ، العرب والروم واللاتين، ص٣٣٦-٣٣٧

٢- يوحنا السادس كنتاكوزين : هو إمبراطور بيزنطة خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٣٤٧م، ١٣٥٣م، وانسحب إلى إحدى الأسرات البيزنطية النبيلة ذات الأملاك الواسعة . ويقر دونالد نيكول تينيه لأفكار حاسمة بإحباط الإمبراطورية غير أن عامة الناس ما كانوا يثقون فيه نظراً لتشابه الطقوس الأرستقراطية، بصفة عامة، الموجه إلى التأليف فأثارت بعض الرسائل الدينية، وتأثر بالأفكار التصوفية، كما أثقت تاريخه السالف الإشارة إليه في المدخل البيوغرافي من هذا الكتاب، وقد توفي يوحنا السادس كنتاكوزين عام ١٣٥٣م، عنه أنظر

Nicol, The Reluctant Emperor , Autobiography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk , (1295-1353), Cambridge 2002, pp. 29-106 , Id , The Byzantine Lady Ten Portrait 1250- 1500 , Cambridge 1994 , p. 71 , p. 81 , pp. 84 , Id , A Biographical dictionary, pp 57-58

Norwich, Byzantium , The decline and Fall, pp. 276-282 .

Browning , The Byzantine Empire , pp. 235-240 .

Osorgorsky, History of the Byzantine State, p. 443 , p. 472 .

Vasiliev, History of The Byzantine Empire, pp. 584-585 .

است محمد . تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٠ . سيد الناصر - الروم والمشرق العربي . ص ٤٦٩ -

ص ٤٧ . حسين ويبي دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٩٩

الطاعون الذي اشتهر في التاريخ باسم الفناء الكبير أو الموت الأسود <sup>(١)</sup> The Black Death وقد انتقل من آسيا إلى مايتوس Maseotis (بحر أزوول Azov) <sup>(٢)</sup>، وامتد إلى جزر بحر إيجة، وشاطئ البحر المتوسط، ويقدم هنا كتشاكوزين في تاريخه وصفاً مؤثراً للأثر الكبير لذلك الطاعون في الفناء بالساكن بأعداد غفيرة على نحو يهيد للأذهان الصورة التي وصف بها المؤرخ اليوناني ثيوكوديدز Thucydides في الجزء الثاني من تاريخه للطاعون الأثيني بها الممرض Athenian Plague، على نحو يدل دلالة وخاصة على حجم كارثة انتشاره <sup>(٣)</sup>.

١- عن الفناء الكبير بصفة عامة أنظر: القرطبي: إغاثة الأمة بكشف الغمة تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٠م، ص ٣٢-٣٥، السلوك لفرقة دول الموك، ج ٤، محققين سعيد عاشور، ط. القاهرة، ص ٩٤٩ - ٩٤٤، ابن قزويني: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٠٤.

Dols, The Black Death in the Middle East, Princeton 1977 Ziegler, The Black Death, London 1960.

على السيد علي، «الفناء الكبير»، والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي- دراسة مقارنة بين الشرق والغرب» المجلة التاريخية المصرية، م (٢٢)، عام ١٩٨٦م، سعيد عاشور، «أوربا العصور الوسطى»، ص ٤٨٧، قاسم عبيد قاسم وعلي السيد علي، الأبريون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٩١-١٩٤، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص ١٢٢-١٢٥، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص ٥٥-٥٩.

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 626.

-٢-

Ibid, p. 626.

-٣-

وثيوكوديدز، مؤرخ أثيني ولد عام ٤٦٠ ق.م وتشفق على أيدي مشاهير الخطباء والفلاسفة مثل أناكساغوراس وهرودوتوس وعندما نشبت حرب البيلبونير بين أثينا وبيروطة شارك فيها، ووصف بأنه أبر النفذ التاريخي، وتنازل كتابته عن تلك الحروب بالموضوعية والدقة، كما لاحظ أنه لا يرجع للأكهنه الشبر هي كل كبيرة وصغيرة في الأحداث والوقائع، عنه أنظر:

Friedman, The Greek Achievement, The Foundation of the western World, New York 1999, pp 203-206.

ويضاف إلى ذلك، قدم الكاتب الإيطالي بوكاتشو<sup>(١١)</sup> Boccaccio (١٣١٣م-١٣٧٥م) في قصته الشهيرة بعنوان : ديكاميون Decameron : وصفاً لنفس الطاعون وتأثيره في إيطاليا حيث امتد إليها وكذلك فرنسا ، واسبانيا ، والترويع والمجترأ<sup>(١٢)</sup> مما عكس طابعه العالمي وليس البيزنطي فقط.

ورفقا لما أورده المؤرخ المعاصر ديمتريوس كيدونيس Demetrios Kydones: نعرف أن حجم الخسائر كان كبيراً من جراء ذلك الطاعون، وقد قرر أنه في كل يوم تذهب بأصقاف إلى القبور، وفي كل يوم تجد المدينة الكبيرة - بمعنى القسطنطينية - أكثر خلواً من السكان وأعداد القبور في تزايد مستمر، وقد عجز الأطباء أن يفعلوا شيئاً في مواجهة تلك الأحداث<sup>(١٣)</sup>

ويلاحظ أن ذلك التأثير امتد على مدى عام وتجد أثر الطاعون في العاصمة البيزنطية، وكذلك في سالونيك، أو أدريانوبل، وهناك من يقرر أنه بلغ طرابيزون في سبتمبر ١٣٤٧م<sup>(١٤)</sup>.

ولانغلي : أن الوباء المذكور أصاب أندرونيكوس Andronikos ابن حنا كيتاكروزي كدلك شك بصديق صدوق له هو يوحنا المجيلوس John Anglos الذي عينه حاكماً لتساليا عام ١٣٤٢م<sup>(١٥)</sup>.

= موزي مكاي ، تاريخ العالم الحديث وحضارته ، ص ٧٥٧ ، (لغى عبد الوهاب البوتان ، مقدمة في التاريخ الحضاري ، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص ١٧١ - ص ١٧٣ حيث يتعرض لمروء البيزنطي التي وصفها ذلك المؤرخ اليوناني البارز .

١- زيب واثد، تاريخ أوروبا الحديث، ص ٧٩

وبوكاتشو (١٣١٣-١٣٧٥م) من أعلام النهضة في إيطاليا ، نعرف أنه إنجه إلى القسطنطينية ، كي يدرس الدراسات الكلاسيكية ، وبالفعل بلغ فيها شأناً كبيراً ، وقد برع في اللغة الإيطالية لاسمها كتابة من بقر أنه شرع في تأليفه عقب انتشار الطاعون المذكور وكان قد بلغ من العمر ٣٥ عاماً

عمر ذلك أنظر:

ريش واثد ، المرجع السابق، ص ٧٩

Vasiliev, Op. cit. p. 626 .

-٢-

-٣- Demetrios Kydones Letters , ed. R.J. Loewitz, vol I Vatican City , 1956, pp 121-122 .

نقلا عن Nicol , The Reluctant Emper, p. 93

Ibid p. 93 .

-٤-

Ibid. p. 93 .

وبناء على ذلك ؛ تفرك أن الطاعون قد أحدث تأثيره المدمر على البنية السكانية البيزنطية على نحو هيناً للأتراك مهاجرة شمالى بلاد اليونان واحتلاله<sup>(١١)</sup>، وكذلك كافة جوانب النشاط الاقتصادي ، كذلك ترك أثره على الناحية النفسية من ناحية أخرى ؛ كانت الامبراطورية فى عهد ذلك الامبراطور بطبيعة الحال- حيث عمق الشعور بالموت، والخوف منه أكثر من ذى قبل<sup>(١٢)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ هانت الامبراطورية فى عهد ذلك الامبراطور من الصراع الداخلى ، وحدثت حرب أهلية من جانب القيادات السياسية البيزنطية، فقد حدثت مؤامرات قام بها يوحنا الخامس باليولوج الخامس John V Paleologos انتهت بطرد كيتاكوزين من العرش ، كذلك تنازع يوحنا الخامس مع ابنته اندرونيكوس الرابع Andronicus IV ، كذلك حدث صراع بين الأول وحفيده يوحنا السابع John VII<sup>(١٣)</sup>.

لقد كان ذلك الصراع من أخطر ما واجه بيزنطة حينذاك؛ إذ أن الأطراف المتصارعة بحثت عن حليف ولم يتورع البعض منها عن طلب مساعدة الأتراك العثمانيين وعقد ذلك واضحاً فى تحالف حنا كيتاكوزين معهم<sup>(١٤)</sup>، وجاء ذلك بمثابة الفرصة الذهبية الصانحة ليكون للأتراك العثمانيين القدرة على تشكيل الخريطة السياسية البيزنطية من خلال التحالف مع البعض ضد البعض الآخر؛ تعميقاً لهوة الخلاف بين كافة الفرقاء البيزنطيين .

١- عن ذلك انظر:

Nicol , The Reluctant Emperor , p. 92. Id, A Biographical dictionary p. 58 .

٢- ولعل هذا هو تعليق ما أورده أحد المؤرخين عندما ذكر ما يفيد أن فكرة الموت تعسقت فى أوربا العصور الوسطى فى مرحلتها الأخيرة ، ولاشك ؛ فى أن الكوارث الطبيعية كالأهنة والأمراض الفتكة ساهت فى ذلك

انظر يوحنا هيرنجيا ، إشعال العصور الوسطى، ت. عبد العزيز توفيق جاويد، ط القاهرة ١٩٩٨، ص ١٢٧

٣- Nicol The Reluctant Emperor , p. 45-83

انظر أيضاً Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 444-474 .

عمر كمال توفيق، تاريخ العروة البيزنطية، ص ٢٢٨

٤- Vasilev , History of the Byzantine Empire, pp. 622-624 .

من ناحية أخرى ، دخل الصرب كقوة أخرى في لعبة توازن القوى بين الأجنحة البيزنطية المتصارعة . وفي هذا الصدد تم تقديم منع كبيرة وصلت أحياناً إلى حد التنازل عن بعض مناطق الإمبراطورية مقابل الحصول على الدعم العسكري <sup>(١)</sup>.

وهكذا ؛ يمكن القول أن الفناء الكبير ، والحرب الأهلية كانتا بمثابة الجسر الذي مر عليه الأتراك العثمانيون من يعد ذلك وصولاً إلى العاصمة البيزنطية مع عدم اغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال.

لقد كشفت تلك الحروب الأهلية المذكورة عن مدى الضعف الشديد الذي وصل إليه البيزنطيون على نحو جعل أحد قياداتهم البارزة يستعين ضد خصمه بالعدو الرئيسي لبيزنطة السشل في الأتراك العثمانيين ، وهو يشبه في ذلك السلوك ما قام به ملوك الطوائف<sup>١١</sup> في الأندلس الذين وجد منهم من فضل التحالف مع القوى المسيحية التي قادت حرب 'الاسترداد' الأخرى بطبيعة الحال.

#### ١- عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢٨

٢- في أعقاب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ١٠٣١م ؛ ظهر إلى الوجود عدد من الدويلات مثل دويلة في غرطة (بنو جهوز) ، ودويلة في أشبيلية (بنو عباد) ، ودويلة في بطليوس (بنو الأفض) ، ودويلة في طليطلة (بنو ذي النون) ، ودويلة في غرناطة (بنو مناد) وغيرها ، في بلسية ، وسرقطة ، والجزائر الشرقية ، عن ملوك الطوائف آنظر :

ابن عداري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ص ٢٢٨ ، كولان وليقي هرونسال ، ط. بيروت ١٩٩٨م ، ص ١٥٣-٢٨٧ ، رضا هادي عباس ، الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة ، ط. قاليئا - مالطة ١٩٩٨م ، ص ٧١-٧١ ، كمال السيد أبو مصطفى ، دولات أندلسية في التاريخ والحضارة ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، ص ٢-٣٧ ، ابراهيم بيضون ، الدولة المرينية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٧٧ هـ / ٧١١-٣١١ م ، ط. بيروت ١٩٨٦م ، ص ٣٥١-٣٧٣ ، حسن محمود ، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، ص ٢٢٥-٢٢٦ ، رجب محمد عبد الحليم ، دولة بني حمود في مالقة بالأندلس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م ، مونتغمري وات ، في تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ص ١٠٧-١٠٨ ، خالد السامرائي وعبد الراشد ذور ، مناطق صالاح ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص ٧٧٤-٧٨٤ ، عصام محمد شبارو ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى التفرودس المنقود ٩١-٨٩٧ هـ / ٧١٠-١٤٩٢ م ، ط. بيروت ٢٠٠١م ، ص ٢١١-٢٢٢ ، يوسف بن أحمد حواله ، بنو عباد في أشبيلية ٤١٤-٤٨٤ هـ =

Reconquista - من وجهة نظر إسبانية- ضد مناقصيه من المسلمين مفضلاً مصالحته الشخصية على الصالح العام للمسلمين؛ كما جر أسوأ الكوارث بدولة الإسلام هناك؛ ومهد فيما بعد لإنصار تحالف قشتالة وأراجون وإسقاطه لمملكة غرناطة في عهد بنى الأحمر عام ١٤٩٢م بعد ٢٨ عاماً فقط من سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣م؛ مما عكس أوجه التشابه بين الكيان البيزنطي في الشرق والكيان الإسلامي في الغرب . ولاريب في أن سقوط غرناطة يتشابه في خطوته العامة مع سقوط القسطنطينية . وإن اختلفت التفاصيل . دون إغفال أن دولة المسلمين في الأندلس كانت أقصر عمراً مقارنة بالإمبراطورية البيزنطية . ولا تغفل أن كلا منهما امتاز بالاحتضار الطويل قبل الموت.

على أية حال : أدرك الأتراك العثمانيون أن عدوهم البيزنطي - أكثر من أي وقت مضى - لا يملك إلا الضعف ، والهرمان . وإن تلك هي فرصتهم التاريخية للإجهاد على كيان طال إحتضاره ، وضمه بالحياة على الرغم من عدم جدولته بها ؛ ، وأكد ذلك الكيان للقاضي والداني ، « جداولته » بالخروج من التاريخ من خلال عوامل النحر الداخلي التي كشفت عنها أحداث الصراع السابق الذكر . مع ملاحظة أن الأتراك العثمانيين كانوا يتزايدون قوة يوماً بعد آخر ، في ظل غياب الرعي بالتاريخ الذي خيم على عقول حكام بيزنطة، وكان هذا - بالفعل- من حسن حظ أعدائهم !

ومن المهم هنا ملاحظة : أن الأتراك العثمانيين الذين حركتهم روح الجهاد . مع عدم اغفال الدوافع الزخري بطبيعة الحال ولا تناقض بينهما<sup>(١١)</sup> . والذين أرادوا دعم نفوذهم السياسي على

= ١٠٢٣-١٠٩١م دراسة سياسية وحضارية . ط. جفة ١٩٨٩م. ص٦٦-ص٦٩ . ونلاحظ أن

الشاعر أبو الحسن بن رشيق القيرواني قال في هذا الشأن:

ما برحني في أرض أندلس أسما - معنده فيها ومعتقد

أقارب لمكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتفاك حوزة الأسد

أنظر.

أحمد مختار المبادي. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس . ط. الاسكندرية. بيت . ص ٩٥

١- يشير المؤرخ التركي خليل إيتابلييك إلى رغبة الأتراك العثمانيين في الاستفادة من الثروات الطائلة التي تعود على من يتسكن من إخضاع للتجارة الكثرة بالقسطنطينية وخاصة تجارة البحر الأسود مع أوروبا =

حساب البيزنطيين. كان لهم هدفهم الاستراتيجي الذي ما حلوا عنه مهما تقلبت بهم الأحداث السياسية في صورة إسقاط القسطنطينية تلك المدينة التي راودت مخيلة المسلمين منذ عهد الدولة الأموية، وذهبت كافة المحاولات لإسقاطها أدراج الرياح. ولاتفعل : أن ذلك الهدف المحوري لم يتغير بتغير السلاطين العثمانيين. وبالتالي صار كل واحد منهم صكلاً لدور الآخر في سبيل تحقيقه مهما واجههم المصاعب والمشاق .

على أية حال؛ وجه الأتراك العثمانيين ضربة للإمبراطورية العجوز وقد عطلوا على اتباع سياسة حرب الاستنزاف المستمرة لإقتطاع الأطراف . وقد توسعوا في إقليم تراقيا وحاصر زعيمهم أوردخان أدورته غير أن المنية أجهزت عليه، فتولى أمر الحصار ابنه مراد الأول (١٣٦٠ - ١٣٨٩م)<sup>(١١)</sup> إلى أن تمكن من الاستيلاء عليها عام ١٣٦١م. ودعم نفوذه من خلال جعله أدورته عاصمة لدولته مما أعطاها أهمية سياسية أكبر ودعم تحديه للإمبراطورية البيزنطية دور أن تستطيع له دفعا

ولامغفل زاوية لا تخلو من أهمية ؛ إذ أنه مع الضعف السياسي، الذي صارت عليه الإمبراطورية البيزنطية المائدة . وجدنا أن المجتمع البيزنطي ذاته يعاني بشدة من الأمراض الاجتماعية . وقد تفتت في صفوفه معدلات الجريمة وكذلك التحلل الجنسي<sup>(١٢)</sup> . ولا ريب في أن انهيار منظومة العادات والتقاليد في الحياة البيزنطية التي كانت قوية في عصر قوة الإمبراطورية كان مؤشراً دالاً على الإتهيار الذي أسرعته به تلك الإمبراطورية.

---

= ومع تقديرنا للدافع الاقتصادي إلا أن ذلك لا يلغي الدافع الديني في صورة الجهاد والرغبة في نشر الإسلام . عن الرأي السابق أنظر:

حليل إيمانجيك . تاريخ الدولة العثمانية من الشو - إلى الانتصار . د. محمد الأرتناؤط ، ط ١ بيروت ٢٠٠٠ ص ٨٤ .

نعد : راسه من أفضل ما كتب في مرضوعها ويملك مؤلفها رؤية تاريخية خاصة به بالإضافة إلى قاعده بليغ عربية متحصنة وثمة تاهيك عن التحليل الذي يعكس الحرة بالعصر الثامن ذاته

١ - عن مراد الأول ومن بعده يزيد الأول أنظر:

Pitcher, An Historical Geography of The Ottoman Empire, pp. 41-56 .

E Isl . - Murad I<sup>st</sup>, vol . 3, 1993, pp. 592-594 .

Norwich, Short History of Byzantium, pp. 333-335

(١) D B . vol . III, p. 1741

٢ - عن ذلك أنظر بحصة عامة-

بصفة عامة من الممكن أن نجد وجهاً للمقارنة بين الاتحاد الأخلاقي الذي صارت إليه من قبل ملكة عكا الصليبية في آخريات القرن ١٣ م<sup>(١١)</sup> . والإمبراطورية البيزنطية في عصر تدهورها المتسارع، وذلك من أجل التأكيد على أن إنهيار المنظمة الخاصة بالقيم لدى مجتمع تعد المؤثر الحقيقي للإنهيار والسقوط العسكري والسياسي.

مهما يكن من أمر؛ فقد جاء آخر فصول الهرمان البيزنطي عندما إنجبه الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس John V Palaiologus إلى أن يطلب مساعدة البابا اليانبا ويبلغ به الأمر أن أعلن تخليه عن المذهب الأرثوذكسي وإتجاهه صوب الكاثوليكية، إلا أن ذلك كله لم يجعل البابا يقدم له يد العون، أما داخلياً؛ فقد رفض البيزنطيون ذلك التنازل المهين الذي أقدم عليه الإمبراطور بعد أن أعيتته أسبل وأعتته الحيل، ولم يجد في جميعته إلا اللصب بالورقة الأخيرة؛ غير أنه باء بالخسران البين حيث رفضه الشعب باصرار ولم يؤد مسعاه إلا إلى إلحاق المزيد من المهانة بالإمبراطورية المتهاوية. وتعمقت الهوة بين القيادة السياسية وعامة الشعب البيزنطي.

١- عن ذلك الجانب لدى الصليبيين على مدى القرنين ١٢ - ١٣ أنظر: أساميه بن متفد - الاعتبار، تحقيق فليب حسي، ط. بيروت ١٩٨١، ص ١٧٤. الصاد الأسفاني - الفتوح التي في الفتوح القدس، ط القاهرة ب-ن، ص ١٧.

Jacques de Vury, A History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol. XI, London 1896, p. 64. Prud'homme, "Prostitution, Misogeneration and Sexual Purity in the First Crusade," in Edwiny (ed.), Crusade, and Settlement, Cardiff 1985, pp. 57-65

ركى الناشئ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنجة خلال الحروب الصليبية، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص ١٥٢. جمعة الجندي، حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي دراسة تطبيقية على ملكة بيت المقدس، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥، ص ٢٩٩-٣٠٠، محمد عبد القادر أبو فارس، دورس وتأملات في الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢، ص ٨٥.

جدير بالإشارة: يقوم الباحث الشاب محمد فوزي وحيد بإعداد أطروحته للدكتوراه بعنوان ملكة عكا الصليبية ١٢٥ - ١٢٩١م دراسة في عوامل الإنهيار والسقوط وذلك في كلية الآداب - جامعة عين شمس تحت إشرافي، وأد. أحمد رمضان.

٢- عن ذلك بالتفصيل أنظر: ناهد عمر صالح - الاتحاد الكسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس (١٢٥٤-١٢٧٦)، التوزيع للصرى العدد (٢٨) - يناير ٢٠٠٥م، ص ٣١٩-٣٤١.

على أية حال: واصل الأتراك العثمانيون إبتصاراتهم بصورة عكست التباين الشديد بين عصر قوتهم وعصر الانحطاط البيزنطي: وقد وصلوا إلى نهر الدانوب عام ١٢٧٢م، بل أنهم بلغوا ساحل دالماتيا ، واضطر الإمبراطور إلى الدخول في طاعة مراد الأول عام ١٢٧٤م في خضرة غير مسبقة دليلاً على العجز التام عن مواجهة القوة العثمانية الفتية والمتنامية.

كذلك تمكن الأتراك العثمانيون من استغلال الصراع على السلطة بين الإمبراطور برحنا كنتاكوزين، وابنه وقاموا بالسيطرة على مدينة سالونيك عام ١٢٨٢م<sup>١١</sup>، ثم صوفيا عام ١٢٨٥م ، وتوالى تلك الأحداث على هذا النحر السريع لا يخلو من دلالة : لأنه يعكس أن الأتراك العثمانيين طرّقوا على الحديد وهو ساخن ، واغتتنموا الفرصة : من أجل إيجاد واقع حربي جديد على الأرض يغير خريطة التوزعات الجيوبوليتيكية لصالحهم . ولا ترقاب في أنهم قاموا باتباع سياسة تحقيق الهدف النهائي من خلال إستهلاك طاقة بيزنطة في حرب استنزاف مستمرة دوماً مرادة.

من زاوية أخرى؛ لا يمكن الفصل بين الإنجازات التي حدثت خلال عهد مراد الثاني دون إدراك أن ذلك ما كان ليحقق دون التطور الاقتصادي حينذاك : فقد تطورت التجارة وعت المدن العثمانية فوقاً كبيراً ومن أمثلتها بورصة وأدرنة<sup>١٢</sup>، وهناك من يقصر؛ أن الرحالة برتراندون دولا بروكييه Bertrand de la bracquiere قرر أن الدخل السنوي للدولة العثمانية قد بلغ ( ٢٠.٥٠٠.٠٠٠ ) أوقية ، وهو مبلغ ضخم بإمكانات ذلك العصر، ويقرر باحث رفيع الشأن في الدراسات العثمانية ما نصه «وهو مبلغ لم يستقله مراد الثاني كاملاً لكن في وسعه أن يفتح أوروبا بسهولة»<sup>١٣</sup>؛ مما دل على أن المكاسب الاقتصادية كانت عنصرًا مهمًا في دعم طموح العثمانيين للتوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية ، وإن كنت أنصوّر و مجرد مهالفة في هذا القول بطبيعة الحال.

١- عن إخضاع الأتراك العثمانيين لمدينة سالونيك أنظر.

Mazower, *Salonica City of Ghost, Christians, Muslims and Jews 1430-1950*, New York 2005, p. 88-31 .

٢- على سبيل المثال أنظر:

Inalick , " Basra and the Commerce of the Levant ", J.E.S.H.O., vol . III, 1960, pp 131 142

٣- خليل إينالليك، تاريخ الدولة العثمانية ، ص٢٨

مهما يكن من أمر: من بعد السلطان مراد: تولى الأمر، السلطان بايزيد الأول الذي عمل على إشاعة الفسقة بين كبار القيادات البيزنطية التي تصارعت من أجل بلوغ المنصب الامبراطوري الذي تحرقت نفوسهم شوقاً للوصول إليه من خلال مصالح شخصية ضيقة دون أن يضعوا في الاعتبار المصلحة البيزنطية العليا.

ويلاحظ أن الهادفة حرصوا على شن حملة صليبية هي صليبية نيقوبوليس Crusade of Nicopolis في آخريات القرن الرابع عشر الميلادي وتحديداً عام ١٣٩٦م. وقد حاصرت الحملة التي قادها ملك المجر سيجموند Sigismund ١٣٨٧-١٤٣٧م مدينة نيقوبوليس Nicopolis<sup>(١)</sup> عبر أن القوات العثمانية في عهد السلطان الوافر النشاط بايزيد الأول تكثرت من إلحاق الهزيمة القادحة بهم. وأكد السلطان انتصاره باستيلائه على شبه جزيرة الهورة Morea (اللبيرتيز) عام ١٣٩٧م.

من ناحية أخرى: لا تنفصل أن الإمبراطور مانويل الثاني Manuel II (١٣٩١-١٤٢٥م) طاف أنحاء الغرب الأوربي - طلباً للمساعدة ضد العثمانيين<sup>(٢)</sup> من خلال جهد دبلوماسي بارز على مدى الأعوام من ١٣٩٩م إلى ١٤٠٢م، ولكنها كانت بمثابة دبلوماسية النصف قرن الأخير التي لا تجوز من ورائها، فلم تقدم إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا ما يمكنه من التصدي للقوة العثمانية المتزايدة بل غفلته، ولا ريب في أنه بعد إخفاق صليبية نيقوبوليس راد حذر الغرب الأوربي عن أي تورط غير محسوب العواقب في مجال دعم بيزنطة على اعتبار أن من يتورط في عالم السياسة يدفع الثمن قادحاً

---

١- عنها بالتفصيل أنظر:

Atiya, the Crusade of Nicopolis, London 1934.

Newall, The Crusades, New York 1963- pp. 92-93.

٢- عن ذلك أنظر:

Jugie, " Le Voyage de L'Empereur Manuel Paléologue en Occident" E.O. T. XV, 1912, pp. 322-332

وأنظر أيضاً هذه الدراسة المتخصصة عن الإمبراطور مانويل الثاني بالبولوجوس

Barker, Manuel II Palaeologus (1391-1425): A study in the Byzantine Statesmanship, New Brunswick 1969.

مهما يكن من أمر : حدث تطور مهم على صعيد العلاقات الكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني من خلال وحدة الكنيستين وهو أمر حدث في ٦ يوليو ١٤٣٩م في مجمع فلورنسا<sup>(١١)</sup> . وتم ذلك في عهد الإمبراطور يوحنا الثامن John VIII (١٤٢٥-١٤٤٨م)

ومع ذلك : حلت بأعداء البيزنطيين تطور عسكري وسياسي كان في صالحهم إذ أن العثمانيين ، قد نكروا بالهزيمة من جانب التتار بقيادة تيمورلنك الذين دخلوا آسيا الصغرى ، وفي عام ١٤٠٢ ، حدثت معركة أنقرة<sup>(١٢)</sup> التي كانت بمثابة كارثة حلت بالعثمانيين ، وفيها وقع السلطان بايزيد الأول أسيراً في قبضة القائد المذكور المنتصر في مشهد ينظر حدوثه خلال المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها القوة العسكرية العثمانية متصاعدة دون أية ابتكاسات .

#### ١- عن المجمع المذكور أنظر:

Gill, The Council of Florence, Cambridge 1959 .

ويشير المؤلف إلى رفض الشعب البيزنطي لذلك أنظر أيضاً .  
Gill, Ibid, p. 350 .  
Id, " Greeks and latins in a common Council : The Council of Florence (1438-1439) O. Chr. p. vol XXV, 1959, pp. 265-287

وبعد جيل متخصصاً في العلاقات البيزنطية اللاتينية خاصة خلال العصر البيزنطي المتأخر.

#### ٢- عن معركة أنقرة أنظر:

ابن عرشاه ، عجائب القصور في نوائب تيمور ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣٩٩- ٢٣٩ ، حاتم الطحاوي ، معركة أنقرة ١٤٠٢ هـ / ١٤٠٢م مقدماتها ونتائجها ، مطبعة كلية الآداب- جامعة الرزاز  
دراسات خاصة ، مايو ٢٠٠٩م، ص١٧٧- ٣٩ ، دراسة مختارة ابن تغري بردي ، التجم الزاهر ، ج ١٢  
ص٢٦٧ . ص٢٦٨، جوزيف داهومس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ت. محمد فتحي الشاعر ، ط القاهرة ١٩٩٢م، ص١٨٩ ، ص٢٠٩ ، عبد العزيز نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ، ط القاهرة ١٩٩٨م، ص١٥- ١٦ ، إسماعيل سرحدك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حس الزين ، ط بيروت ١٩٨٨م، ص٢٤- ٢٥ ، تزار قازان ، سلاطين بني عثمان بين قتال الأخيرة وفترة الإنكشارية ، ط بيروت ١٩٩٢م، ص٢٩ ، محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ، ط الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٢٣ - ص٢٤ ، أحمد عبد الرحمن مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط القاهرة ٢٠٠٣م، ص٨٥

وغير المؤرخ القدير الأخير عن تقويمه لها ما نصه « معركة أنقرة ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى التاريخ العثماني باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التي حلت بالعثمانيين خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الدولة ، ولأنها المناسبة الوحيدة التي شهدت أسرى عاجل من آل عثمان ولكنها من ناحية أخرى ليست من »

وبلاحظ هنا؛ أن تلك الهزيمة تركت أثرها على الواقع السياسي والاجتماعي العثماني ، إذ هناك من يقرر أنها أطلقت مرحلة من الاضطرابات وتوتر الاجتماعي السياسي والاجتماعي وظهور الحركات الدينية المعارضة في أنحاء الأراضي العثمانية وعدة انتفاضات

لقد أدى ذلك الأمر؛ ثم وفاة السلطان بايزيد بعد تلك المعركة بعام واحد؛ أدى إلى «تأجيل» نجاح العثمانيين في وضع أقدامهم على أرض القسطنطينية لعدة عقود، مع ملاحظة أن تعبير «تأجيل» هنا من قبيل الاستعارة ؛ نظراً لكون أحداث التاريخ لا تتأخر بل تحدث في توقيتها المحدد لها من خلال جملة دوافع متعددة تمهد لها

مهما يكن من أمر؛ حكم من بعده ابنه محمد ١٤١٣ - ١٤٢١ م، ومن بعد وفاته تولى الحاكم ابنه مراد الثاني ١٤٢١ - ١٥٤١ م. ومن أهم «أحداث» خلال عهده ؛ ما عرف بصليبية «فارما» The Crusade of Vama<sup>(١٧)</sup> وهي التي حدثت كنتيجة لدعوة البابا يوجينوس الرابع Eugenius IV<sup>(١٨)</sup> (١٤٣١ - ١٤٤٧ م) ؛ وذلك عام ١٤٤٠ م، وقد تم تكوين جيش كبير

---

= المعارك التي لعبت مجرى التاريخ على اعتبار أنها لم تحول مجرى تاريخ التنصر والهزء، على حد سواء ، أنظر نفسه ، ص ٥٨

ابن عريشة . عجائب القديس في ثوابت تيسو، ط. بيروت ١٩٨٦ م، وهو المصدر المخصص عن تلك الشخصية. أيضاً .

البرماني، أخبار الدول وآثار الأتراك، ط. بيروت ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٤٩٩ - ٥٠٦  
 Manz, The Rise and Role of Tamertane Cambridge 1989 .

وتعد أفضل ما كتب بالإنجليزية عن الموضوع المذكور.

أيضاً: محمود السيد، من تاريخ عرب الشام في العصر «ملوكي». ط. الاسكندرية ١٩٩٧ م، ص ١٤٩ - ص ١٥٠

٢- ثورتا Varna: وهي ورنه والروقة باسم أوديسوس Odessus وقد وقعت على الساحل الغربي من البحر الأسود The Black Sea . عنها أنظر:

O.D.B., vol. III, p. 2154 .

٣- البابا يوجينوس الرابع ؛ تولى للنصب البابوي خلال «ترحلة» من ٢ مارس ١٤٢١ إلى ٢٤ فبراير ١٤٤٧ م، وذلك في أعقاب وفاة البابا بنديكت الرابع عشر Benedict XIV وهو بابا غير شرعي، عنه أنظر Kelly, Oxford dictionary of Popes, pp 341-342 .

بولندي هنغاري من نحو ٢٥.٠٠٠ رجل قاده هيونادي لوف ترانسلفانيا Hunyadi of Transylvania، وجورج برانكوفيك الصربي George Brankovic of Serbia وتقدم في ١٤٤٣-١٤٤٤م صوب البلقان حيث تم تحقيق عدد من الانتصارات ضد الأتراك<sup>(٢١)</sup>

وكان من نتائج ذلك : أن قام السلطان مراد الثاني بعقد اتفاق سلمي لمدة ١٠ سنوات مع القيايدات السالفة الذكر في يوليو ١٤٤٤م ، وعندما سحب قواته، لم يعترض الصليبيون سرائقهم في غالبيتهم وهاجموا العثمانيين في قارنا Varna في ١٠ نوفمبر عام ١٤٤٤م. وهناك تم إلحاق الهزيمة بتلك الصليبية وعن ذلك مكسباً كبيراً عسكرياً وسياسياً للعثمانيين<sup>(٢٢)</sup>.

وقرر أحد كبار المؤرخين في مجال الدراسات العثمانية : أن معركة قارنا تعد آخر محاولة صليبية جماعية ضد الأتراك العثمانيين وقد كانت أخبار النكبة التي منى بها الصليبيون خلالها من العوامل الأساسية التي جعلت الحكام الأوروبيين يعتقدون أن فكرة الحرب الصليبية لا جدوى من ورائها . وهكذا ، لم يعد هناك أمل أمام إمبراطور القسطنطينية بعد تلك المعركة ، وقد تولى محمد الفاتح مهمة توجيه ضربة قاضية لآخر معقل للإمبراطور<sup>(٢٣)</sup>.

O.D B., vol . 3, p. 2154 .

٢- عن صليبية قارنا : أنظر هذه الدراسة المهمة :

Halecki, The Crusade of Varna, New York 1943 .

ونعد من أفضل الدراسات المتخصصة في الموضوع المذكور.

Vasilev , History of the Byzantine Empire, p. 643 .

Ostrogorsky , History of the Byzantine State, p. 423 .

O.D B., vol . III, p. 154 .

Norwich Short History of Byzantium . p 369-370

عبد العزيز توار، تاريخ الشعوب الإسلامية . العصر الحديث، ص٢٩

٣- نفسه . نفس المرجع والصفحة .

وأرد الأستاذ بكتاب المؤرخ الكبير الراحل

على أية حال ؛ لم يكن ذلك السلطان العثماني ليشرقف عن تحقيق ذلك الحلم الذي طالما راود المسلمين منذ قرون خلت ، وهكذا ؛ دعم قواته البرية والبحرية وتمكن بعد ثلاثة أعوام من الانتصار على الحملة الصليبية السابعة الذكر . وبالتحديد عام ١٤٤٧م من الانتصار على حاكم المورة Morea قسطنطين باليولوج الذي أعلن خضوعه للسلطان ودفع له الجزية<sup>(١)</sup> ، بعد أن وضع له الفارق الشاسع بين للضعف البيزنطي والقوة العثمانية الفتية . ومن المهم هنا ملاحظة أن العثمانيين يحققون هدفهم النهائي على صورة مرحلية . ولا ريب في أن تسائط الأطراف جاء مقدمة حقيقية لتوجيه الهجوم صوب القلب البيزنطي في نهاية المطاف .

ومع ذلك ؛ لم يتمكن مراد الثاني من فتح القسطنطينية تاركاً تلك المهمة التاريخية لم يأتى من بعده

على أية حال ؛ كان شرف فتح تلك العاصمة -التي أجهدت أعداءها على مدى قرون متعددة- للسلطان محمد الثاني ابن مراد الثاني وهو الذي سيتلقب «بالفاتح» فيما بعد ؛ ويحدر بها تسلط الأتراك عليه نظراً لدوره البارز في صنع فصل الحتام للتاريخ البيزنطي بكنامة غير مسبوقه ومعها المسلمون بظبيعة الحال حتى لا تقع في مأزق دور الفرد في حركة التاريخ يعزل عن المجموع "بشرى المتعاون معه .

وقد ولد محمد الثاني بن مراد الثاني في ٢٠ أبريل عام ١٤٢٩م<sup>(٢)</sup> ، وتولى الحكم عام ١٤٥١م . وهو في الثانية والعشرين من العمر

وبلاحظ أن عرض صغر عمره بوجود عدد من المستشارين المعتكفين الذين تقدموا له كل نصيحة صائبة أفادت تحركاته السياسية والعسكرية وجيشه الوقوف في مواقع الفذل .

١- عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٣٦

٢- لا تختلف في مرحلة نشأة محمد الثاني دوراً بارزاً قام به إثنان من العلماء صا أمد حسن الدين . وأحمد إساعيل كوراني . ولد حرصاً على تعليمه تعليماً راقياً . وقد وضعا في ذهنه ضرورة أن يكون فتح القسطنطينية على يديه على نحو عميق الهدف في ذهنه . عن ذلك أنظر :

محمد طه جاسر . تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب . ط . دمشق ٢٠٠٢م . ص ٤٣-٤٤

ومن المهم هنا الإقرار بأن دور الهاتبة عمومياً يحتل أهمية كبرى في التاريخ . وكثيراً ما أدت إلى أخطاء فائلة عندما لم يحسن التحج أو رنت أقصر الحكيم للحاكم دون النظر إلى الصالح العام

ويلاحظ أن ذلك السلطان جمع بين البراعة العسكرية ومعبة العلم واتجه إلى قراءة كتب التاريخ والتشجيع بسير كبار أعلامه، ولاتفعل إجلدته لعدة لغات مما عكس أننا أمام حاكم مسلم مثقف<sup>(١١)</sup>

ومن المهم إدراك بعض الزوايا فيما يتصل بدوره في فتح القسطنطينية ويمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: إتيحه ذلك السلطان إلى حصار تلك المدينة في أوائل أبريل عام ١٤٥٣ م وذلك بعد عامين فقط من توليه الحكم؛ مما عكس جديته وإدراكه لأهمية هدفه المنشود مبكراً من جهة البر بجيش قدره البعض بـ ٢٥٠ ألف رجل - وقد يكون في الرقم مبالغ - أما من جهة البحر؛ فقد حاصرها بـ ١٨٠ سفينة. كذلك أقام حول المدينة المذكورة ٧٤ بطارية مدفعية لذلك دفاعاتها، ولاشك؛ في أن كافة تلك الاستعدادات استغرقت منه وقتاً طويلاً ولم يسمح في تاريخ بيزنطة أن واجهت من قبل قوة برية وبحرية بذاك الصورة منذ افتتاح العاصمة في القرن الرابع الميلادي.

ثانياً: قام العثمانيون بوضع مذايق خاصة تمكن من صنعها مهنتس مجرى اسمه أورباس<sup>(١٢)</sup>، على الهضاب المجاورة للقسطنطينية، وكذلك القرن الذهبي مهمتها تدمير السفن البيزنطية، وكان لذلك أثره في أن عرقل حركة السفن المعادية وأصابها بالشلل.

١- عن السلطان محمد الفاتح أنظر:

Kritovolos, History of Mohamed The Conqueror, Trans. by Charles T. Riggs, Princeton 1954

Bainger, Mehmet der Eroberer und seine Zeit, Munich 1953.

وهي أفضل دراسة بالألوان في موضوعها

سال الرشيدى، محمد الفاتح، ط. جدة، ١٩٨٩م

٢- عن ذلك أنظر

Schlumberger, Le Siege, la prise, et le Sac de Constantinople par les Turcs, Pariss 1914

ريبدت عطا، الترك في العصور الوسطى، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٨٨ - ١٩٠، حيث تقدم عرضاً ممتازاً يكشف عن مؤونة خيبر وأنظر لاحقاً في ختام الكتاب

أيضاً من المفيد الرجوع إلى

ثالثاً : دعم جهود العثمانيون الحربية تشييد قلعة روم إلى حصار الضخمة عام ١٤٥١م على بعد لا يتجاوز ٧ كم. من أبواب القسطنطينية في منطقة البسفور على الجانب الأوروبي مقابل قلعة سابقة في آسيا الصغرى عرفت باسم أناضولي حصار التي شيدها بايزيد وتمكن محمد الثاني بذلك من أن يشرف على المضيق ، واستطاع أن يمنع أية إمدادات تصل إلى العاصمة البيزنطية. وضمن أن يضع في قبضته حرية المرور بين الأناضول ، وأوروبا<sup>(٢٢)</sup>.

رابعاً : أنشأ ذلك السلطان حوالي ٧٠ سفينة خفيفة وعمل على أن تحصل برأ من منطقة البسفور إلى خليج القرن الذهبي وقد تم ذلك في ليلة واحدة وهو عمل عبقرى عكس براعة عسكرية غير مسبوقة ، وهدف من وراء ذلك : تشتيت جهود المدافعين عن القسطنطينية<sup>(٢٣)</sup>، حتى يحل البيزنطيين يقومون بنقل جزء كبير من قرااتهم إلى شاطئ الخليج على نحر بصعف الجهة البرية القريبة الوحيدة<sup>(٢٤)</sup>.

حاصراً ظل المقاتلون المسلمون يشدون حصارهم حتى إذا لاح فجر يوم الثلاثاء ٢٩ ماير ١٤٥٣م بدأ الهجوم العام على العاصمة البيزنطية ؛ وذلك بعد حصار دام ٤٥ يوماً وكان الهجوم برياً ، وبحرياً في آن واحد والقفل سقطت<sup>(٢٥)</sup> المدينة، وسقط الكثيرون من المسلمين شهداء، ذلك اليوم التاريخي ، وسقط الكثيرون من البيزنطيين قتلى خلال دفاعهم عنها.

١ - محمد مفيد الشرباشي، ألق ساعات المرح في تاريخ الإنسانية، ط. القاهرة ٢٠٠٤، ص ٩١

٢ - ٨٧ - ١٠ ، من علوش ، أشهر حصارات المدن في التاريخ ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ١١٩ - ١٢٦

٣ - كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تد. نبيه أمين فارس ومير البعلبكي ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص ٤٣

٤ - مفيد الزبيدي، العصر العثماني، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص ٢٠٤

٥ - Runciman, The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965, pp. 105-106

٦ - محمد طه جاسر ، تركية ميدان الصراع بين الشرق والغرب، ص ٤٧

٧ - عن مشروط القسطنطينية عام ١٤٥٣م أنظر

Donkas, Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks, trans. by Manguelias, Detroit 1975

انرجه بالشكر للرسل د. حاتم الطحاوي الذي قام بتزويدي بهذا المصدر التاريخي

Kritovoulos , History of Mehmed the conqueror, pp. 66-72 ,

Nicola Barbaro , Diary, of the Siege of Constantinople 1453 , Trans. by J R. Jones, New York 1969

وكذلك قتل الامبراطور قسطنطين الحادي عشر<sup>(١١)</sup>، وسط جنوده المدافعين عن العاصمة .

---

= وله ترجمة قيمة قام بها حاتم الطحاوي أنظر: الفتح الاسلامي للقسطنطينية . ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
The Siege of Constantinople 1453, Seven Contemporary Accounts, trans. by J.R. Jones, Amsterdam 1972 .

ويحتوي للكتاب الأخير على عدة مصادر هي : Giacomo Todahū , Leonicus Chalcocondylas , Michael Ducas, Christophes Riccherio , Zorzi Dolfio, Angelo Gioranni Lomellini , Leonard of Chios .

وتوجد ترجمة عربية ممتازة له مزودة بلمحة اضافية وتعليقات ثرية من جانب المؤرخ الراحل حاتم الطحاوي، تحت عنوان جوائز : الحصار العثماني للقسطنطينية سيعة مصادر معاصرة، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

أنظر أيضاً: Nicolle, Constantinople 1453 . The end of Byzantium , London 2005 , pp. 69-82

Schlumberger , Le Siege , La Prise et le Sac de Constantinople par les Turcs en 1453 , Paris , 1922

ويعد من أهم الدراسات في موضوعه على الرغم من تأليفه في الربع الأول من القرن العشرين.

Asimov, Constantinople, The Forgotten Empire, p. 260 .

برنارد لويس، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية . ج. سيد وصوان علي . ط. الرياض ١٩٨٢م.  
ص ١٥- ٢٦ . على محمد الصلابي. فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية، وقاهر الروم. ط. دمشق ١٩٩٣م. ص ١٢٦ ، صالح السعفون، فتح القسطنطينية . ط. دمشق ١٩٨٠ ، ص ٨٤ .

١- عن ذلك الإمبراطور أنظر:

Myatovich, Constantine Palaeologus, The last Emperor of the Greeks, 1448-1453, Chicago 1968

Nicol. The Immortal Emperor , The life and Legend of Constantine Palaeologos, last Emperor of the Romans, Cambridge 2002, pp. 54-128 .

Kordoses, " The question of Constantine Palaiologos Coronation", in Beaton and Roueche (eds), The Making of Byzantine History Studies dedicated to donald M. Nicol, Centre for Hellenic Studies King's College , pp. 137-141 .

وواقع الأمر: تعد نهاية الامبراطور البيزنطي الأخير موضعاً للتأمل فقد طلب منه محمد الثاني الاستسلام ، والمخرج بسلام من القسطنطينية غير أنه أبى ذلك. وظل يقاوم إلى أن قتل على الرغم من أن الوضع العسكري القائم حينذاك يؤكد بما لا مزيد عليه أن الانتصار حتماً سيكون لصالح العثمانيين . ومنطقي أن ذلك الامبراطور ومن بقى معه مفادعاً عن العاصمة البيزنطية كانوا يهركون ذلك غمام الإدراك.

والنساءل الذي يثار هنا : لماذا ظل يقاوم أمام قوة كلوحة برية وبحرية لا قبل له بها ؟ ومن المفترض أنه أدرك أن الموت محيط به لا محالة ، ولذلك رأى أن يموت بشرف حتى لا يقال عنه أنه استسلم ذليلاً لأعدائه . وهو في ذلك يذكرنا بمقاومة عناصر الاستبصار والدعوة خلال حصار السلطان الملوكي الأشرف خليل بن قلاوون لعكا عام ١٢٩١م على الرغم من عدم تقديري لتلك العناصر التي شاركت في نهب الشروق طوال قرنين كاملين هما القرنين ١٢

١٣م.

على أية حال فإن ذلك الامبراطور الذي قاتل ولم يستسلم؛ يستحق منا الاحترام، وهذا هو ما بقى منه للتاريخ . فلتعجب والأمر كذلك أن نسجت حوله أسطورة. وهو في ذلك يتشابه مع شخصيات قيادية نسجت حولها أساطير مثل شارلمان وفرودريك بارباروسا وغيرهما

ومن المهم هنا : تناول سلوك السلطان محمد الذي لقب بالفتح لجهالة المدينة . وسكاكبه والواقع أنه عامل أهلها معاملة متحضرة . وقد أمر جنوده بحسن معاملة الأسرى البيزنطيين. وانتدب من ماله الخاص عدداً كبيراً من الأسرى<sup>(١)</sup>، وخاصة الأمراء . ورجال الدين مكرماً ما قام به من قبل - منذ ٢٦٦ عاماً- السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما دخل بيت المقدس فاحتضن في ٢ أكتوبر ١١٨٧م<sup>(٢)</sup> ليدخل التاريخ من بعد عن أوسع أبوابه . وتدل تقدير المعاصرين حتى من غير المسلمين ومن بعدهم الباحثين الأوروبيين المعتمدين .

١- على محمد الصلاحي. "دولة العثمانية عوامل تنبئة وأسباب السقوط" ط بيروت ١٩٩٩  
ص ١٧٧- ١٧٩، فاتح القسطنطينية . ص ١٢٧- ١٢٨، سلامة البولي. صور من تسامح المغفرة الإسلامية مع غير المسلمين، ط : الشارقة ٢٠٠٢م. ص ٧٩

٢- عن ذلك أنظر ابن الأثير . الكامل . ج ١١، ص ٢٢٥، الفتح البنداري. سنا البوق الشامسي. تحقيق منجية السراوي، ط القاهرة ١٩٧٩م. ص ٢٨٥، مالكوم كيرنز جاكسون. صلاح الدين . د. على ماسر ومراجعة قولاً زيادة ونقصاً ط بيروت ١٩٨٨م. ص ٢٦. عزيز موريل عطية. الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ٢٤٩. على عبد الحليم محمود. الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط. الرياض

وهكذا : لم يعمل بالعاصمة الإمبراطورية ما حل بها من قبل عام ١٢٠٤م، وهو أمر فصلته من قبل - والتعليل الوحيد يمكن في الفارق الشاسع بين عدو متبرير واجهته ببيزنطة عام ١٢٠٤م ، وعدو متحضر عام ١٤٥٣م ، وذلك دون شيفونية جوفيا - بل يروح الموصية الواجبة.

وأكرر عبارة ابن بيزنطة الملكوم نيكيتاس خونيئات Nicetas Choniates<sup>(١١)</sup> المصاصر لأحداث الصليبية الرابعة والذي كتب وقائمهها بملاد الألم . وعلى أرولق المرأة ، والحزن القتال . وقد فني أن تسقط عاصمته الأثيرة إلى نفسه على أيدي المسلمين لا اللاتين . وبالفعل تحق ذلك عام ١٤٥٣م<sup>(١٢)</sup> . ولأوروبا في أن البيزنطيين منهم من رأى أنه خير لبيزنطة أن تحتلها عمائم العشانيين المتضررة ، عن أن تحتل من جانب القبة الباهرة<sup>(١٣)</sup> . أفضل إليه . وهو اعتقاد تأني من خلال تجربة بيزنطة الميرة مع الغرب الأوربي .

على أية حال ؛ وجدنا محمد الفاتح القائد الشاب لا ينتشر بهجر النصر على عكس ما حدث لعشرات المنتصرين في العصور الوسطى بصفة عامة؛ ولم يتم جنوده باغتصاب الرهبات

١- ١٩٨٢م، ص ١٠٦ ، كارين أرمسترونج ، الحرب الصليبية الحملات الصليبية وأثرها على العالم العربي . ت. سامي الكهكي ، ط. بيروت ٢٠٠٤م، ص ٣١٩ ، مصطفى الحيازي، صلاح الدين القائد وعصره ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٣١٩ ، محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى . دراسة مؤنقة ، ط دمشق بيروت ١٩٩٤م، ص ١٢٩ - ١٣٢

١- عنه أنظر المدخل الجبلوغرافي.

٢- من قبل اعتقد أ.د. إسحق عبيد ؛ أن عوامل الإتهار الداخلي التي ألقت بيزنطة كانت حاسمة في سقوطها الداخلي وذكر ما نصه . « لم يكن عسكراً على السلطان محمد الفاتح في ٢٩ مايو ١٤٥٣ أن يدخل مدينة قسطنطين ويعلن زوال الإمبراطورية الرومانية الشرقية من الوجود وإلى الأبد . لقد سقطت بيزنطة من الداخل، ولم يكن للفرد حتى مجرد شرف الإجهاز عليها، لقد كانت كالمخلوق الذي إنتهره » . أنظر

إسحق عبيد . الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١-١٢٨٢م ص ١٢

والواقع إنني اختلف مع استاذنا التقدير، لأن الإعداد لاسقاط العاصمة البيزنطية . والجهودات البارزة التي استغرقت عدة أعوام متواصلة لاسقاط عاصمة استحصت على الكثيرين على مدى قرون متعددة ، تجعلني أرى أن محمد الفاتح ومن خلفه المسلمون بالفعل صاحب شرف إسقاطها بقدارة، وهو الجاز تاريخي عبر مسروق ، وأن العوامل الداخلية للضعف مهما كان تأثيرها لا تكتمل إلا بالفعل الخارجي الذي يحسن استغلالها وهو ما تم بالفعل في العام المذكور .

٣- إسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس، ص ١٢٦

كما حدث عام ١٧٠٤ م- كما أسلفت الذكر من قبل- كما اجتمع بكبار رجال الدين وطبائهم على أرواحهم وعقائدهم . وتم انتخاب بطريرك جديد ، وأحسن استقباله وكان البيزنطيين يتصورون وأهمين أن القتل الجماعي سيحل بهم ، والواقع أنه بعد أيام قليلة استؤنفت الحياة العادية في أمن وسلام حرمت منه العاصمة البيزنطية طويلاً ، وهكذا تحققت على أبدي العثمانيين سقوط القسطنطينية ، حلم الاسلام الحربي الكبير<sup>(١)</sup>.

من ناحية أخرى ؛ تم إختيار كنيسة آيا صوفيا Hagia Sophia لتكون بمثابة الجامع الرئيسى للعاصمة عقب الفتح ، وحيث أن الإسلام رفض تصوير الكائنات الحية لذلك تم تعطية النصبين ، والذهبية التى تحمل الفن البيزنطى أفضل تجميل بطبقة كلسية. كذلك تم إقامة محراب في وسط الجناح الجنوبي للكنيسة، وإلى اليمين منه أقيم التبر تجاه القنطرة ؛ كذلك تم وضع لوحات النقوش الضخمة بأحرف بلغ طولها تسعة أمتار احتوت على اسم الخليفة، والرسول (ص) والخلفاء الراشدين وذلك بما الذهب على لوحات مستديرة . فى عهد مراد الرابع (١٦٢٣- ١٦٩٠م) ، كذلك تم تشييد أربعة منارات إحداها شيدت فى عهد محمد الفاتح ، والثلاث الأخريات أقيمت فى عهد من حكم من بعده<sup>(٢)</sup>.

وهناك زاوية مهمة تضاف إلى ما سبق؛ إذ أن سقوط القسطنطينية فى العام السالف الذكر لم يكن يعنى انتهاء الوجود البيزنطى بل ظل قائماً فى صورة امبراطورية طرابيزون التى ظلت قائمة بعد ذلك بسبع سنوات إلى أن استسلمت للسلاطان محمد الفاتح عام ١٤٦١م<sup>(٣)</sup>

١- أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن صلاحين بنى أبوب ٥٦٧هـ / ٦٤٨ هـ ط القاهرة

١٩٠٠ ص ١٨٠

وأرد الإشارة فهذه العراصة التى أعدها المؤرخ الراحل الفذ د أحمد فؤاد سيد ، عهد أنظر مقالاتى محمد مؤنس عرسى، عصر الحروب الصليبية، بحوث ومقالات ، ط القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٢٤٣- ص ٢٤٣

٢- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٣٢

وعن تحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد أنظر

Parker, Early Modern Tales of Orients , London 1999, p. 264 .

Norwich . Byzantium , The decline and Fall, p. 437

٣- عمر كمال نوبقى، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٤٣

تبقى هناك، ملاحظة على جانب كبير من الأهمية، إذ في تاريخ العصور الوسطى ثلاث قيادات بارزة حملت أو وصفت بلقب «الفتح» هي كالاتي

أولاً: «الفتح»<sup>(١)</sup> William The Conqueror : دوق نورمانديا الذي هزم الأنجلوساكسون في معركة هاستينجس بالإنجلترا عام ١٠٦٦م.

ثانياً : جنكيز خان الملقب «بفتح العالم»<sup>(٢)</sup>؛ القائد المغولي الذي ضم إليه الصين ١٢١٥م، وفتح مناطق عديدة منها الدولة الخوارزمية ومناطق الاسماعيليه الترابية في شمالي إيران وتمكن أتباعه من دخول بغداد وإسقاط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨م.

ثالثاً . محمد «الفتح» : مسقط بيزنطة ١٤٥٣م.

= وجدير بالذكر: أن ذلك السلطان واصل فتوحاته وأخضع صربيا عام ١٤٥٦م، ص ١٤٥٥م. وفي عام ١٤٤٦م، قاد حملة ضدها غير أنه لم يتمكن من الإستيلاء على بلغراد. عن ذلك أنظر: نجلاء حسن تومين، سياسة الدولة العثمانية في البلقان تجاه الصرب ١٣٧٦-١٤٥٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة أسيوط عام ١٤٠٩-١٤٠٧م، ص ١٢٨

أيضا بالتفصيل أنظر:

Inalcik ~ The Ottoman Turks and The Crusades 1451-1522", Setton (ed.), History of the Crusades, vol. VI, Wisconsin 1989, pp. 311-353.

١- عن وليم الفاتح أنظر:

William of Poitiers, Deeds of Duke William, in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, p. 74-75.

Adams, The History of England from The Norman Conquest to the death of John (1066-1216). London 1905, p. 67-78.

Chibnall, The Normans, Massachusetts 2000, p. 29.

محمد محمد مرسى الشيخ، «الفتح النورمانى لإنجلترا» - ملحة فريدة في تاريخ إنجلترا ونورمانيا في العصور الوسطى، «نموذ التاريخ الإسلامي والوسطى» (٢) - ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص ٢٤٧-٢٥١، سعيد السيد على فرغلي، «إضاحلال حكم الأنجلو ساكسون في إنجلترا ٩٧٩ - ١٠٦٦م / ٣٦٨ - ٤٥٨ هـ، من كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص ٤٩٤-٤٩٥

نور الدين خاتوم، تاريخ العصر الوسط في أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص ٦٩-٦٩٥

٢- عن جنكيز خان أنظر: علاء الملك الجبريني، تاريخ جهانكشاي، ت: محمد المعبد جمال الدين حسن كتاب دولة الاسماعيليه في إيران، ط. القاهرة، ١٩٧٥م فلاذير سينوف، حياة جنكيز خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ت: سعيد بن حفيظة القامدى، ط. الرياض ١٩٨٣م، ومضى: تطبيق الأحيار وتلفيع الآثار في وثائق قرآن، ولفار ومعارك الانتار، م. أوتنهورغ ١٩٠٨م، ص ٣٤٤، عباس إقبال، تاريخ =

وحدير بالذكر: أن المؤرخين الأوروبيين حرصوا أشد الحرص على المبالغة في تقديم وليهم المانع وتكفل المؤرخون البريطانيون بتأليف مشات الدراسات عنه وتصويره على أنه من الأعداء عسكرياً وسياسياً من خلال دعاية قومية لاجتال فيها . حقيقة أ معركة هاستنجر لانعد مجرد معركة عسكرية بل أنها بمثابة غزو حضارى فرنسى لانجلترا وأنهت عزلتها من القارة الأوربية: الا أنها صوحت بقدر بارز من الدعاية السليسية عندما اتجه المؤرخون البريطانيون للكتابة التاريخية عنها.

أما جنكيز خان: الذي أقام إمبراطوريته على جسامع المسلمين ، ودمر حواضر الشرع الإسلامى التى كانت مزدهرة تجارياً وعلمياً بصورة غير مسبوقه . مثل بغداد ، ونيسابور ، ومرو ، وبخارى . وأقام المذابح فى كل مكان حل فيه . فقد لقي من المؤرخين الغربيين التقدير ، وكتابات المؤرخين الروس<sup>(١)</sup> ، والفرنسيين خير برهان ودليل ، بل اعتبره المؤرخ الأمريكى الراهم مايكل هارت من « المعظماء المائة فى التاريخ »<sup>(٢)</sup>.

فإذا اتجهنا إلى محمد القاتع الذى تمكن من إسقاط بيزنطة- التى حوصرت من قبل (٢٩) مرة كما قررو البعض ، ونجح فى تحقيق ذلك وهو فى أوائل العشرينيات من عمره فهو أصغر

= الممول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ت. عبد الرهاب عظمى. المجمع الشافعى بأبوظى ١٠٠٠م. ص ٥٧- ص ١١٣ . أحمد خطيط، حروب المغول . ط بيروت ١٩٩٤م. ص ١٨- ص ١٩  
أحمد عودات وجميل يعضون وشعاده الناطور، تاريخ المغول والمماليك فى القرن السابع الهجرى . حتى القرن الثالث عشر الهجرى. ط. أريه ١٩٩٠م. ص ٢٢ ، محمود السيد، التتار والمغول، ط. الاسكندرية ١٩٦١م  
ص ٦- ص ٦٤ ، محمد الفتوحى، بلاد الشام أيام الغزو المغولى . ط بيروت ١٩٩٨م. ص ٢٢- ص ٢٨  
محمد اسد الله صفا، جنكيز خان . ط بيروت ١٤٠٨ هـ . هانزولد لاسب، جنكيز خان وجيانشاغل المغول . ت مشرقى أمير، . ط. القاهرة ١٩٦٢م. السيد الباز العربى ، المغول . ط بيروت ١٩٨٦م، فؤاد عبد المعطى العبد، المغول فى التاريخ . ط. بيروت ١٩٨٠م، حافظ حمدى ، الدولة الخوارزمية والمغول . ط القاهرة ١٩٤٩م، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى . ط القاهرة ١٩٤٠م قاسم عبيد قاسم . السلطان المظفر سيد اندرس نظر بطل معركة عين جالوت ط دمشق ١٩٩٨م. ص ٩٧- ص ٩٨ . محمد قشعى أمين، الغزير المغولى لدهار الإسلام . ط دمشق ٢٠٠٥م، ابرار كريم الله . من هـ نقول، ت رشيد رحيم . ط القاهرة ١٩٩٤ .  
١- على سبيل المثال أنظر .

ملاذير ستينوف، حياة جنكيز خان الإلوية والسياسية وعسكرية . ت. سعيد بن حذيفة الصاعدى ط الرباط ١٩٨٣م

Grusset , Histoire de , Le Monde Mongol , Paris 1922 .

فاتح بارز في العصور الوسطى على الأقل، محققاً إنجازاً عسكرياً وسياسياً غير مسبوق. فلم يزل منهم إلا العداء الشديد واتهامه في أخلاقه على الرغم من تسامحه الفريد ولكن هي المركزية الأوربية ذات المعايير المزدوجة، ومن المضحكات المبهكات أن يردد البعض في العرب الأوربي والأمريكي في مطلع القرن الحادي والعشرين أن الإسلام دين الإرهاب بعد كل تلك الصفحات الناصحة من التسامح من جانب صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م، ومحمد الفاتح عام ١٤٥٣م وغيرها

على أية حال؛ تأكد المسامات البيزنطية من خلال أن «القلب» تغير اسمه فصارت القسطنطينية تسمى إسلام بول أو مدينة الإسلام أو استانبول<sup>(١١)</sup>، أو الاستانة، واحتفى اسمها القديم إلى غير رجعة، ولم يعد موجوداً إلا في كتب التاريخ فقط، وظلت استانبول عاصمة للدولة العثمانية إلى أن قام مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة ونحويل العاصمة إلى انقره في مطلع عشرينات القرن العشرين، ومعيداً عام ١٩٢٣م<sup>(١٢)</sup>.

ولارب في أن كافة تلك التغيرات كانت بشاية النتيجة الطبيعية لما حدث خلال عام ١٤٥٣م الذي يعد - بكافة المقاييس - عاماً محورياً في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وإيضاحاً بتحويلات تاريخية لاحقة بعيدة المدى في التاريخ الحديث والمعاصر؛ بما عكس قدرة المسلمين على التأثير الواسع المدى في تاريخ القارة الأوربية. وأن سبب ذلك حصة كبيرة في نفوس المؤرخين الغربيين الذين كتبوا مؤلفاتهم عن التاريخ البيزنطي وتعرضوا لتلك الحادثة<sup>(١٣)</sup>. وهناك منهم من وصف الواقعة على أنها «رد الإسلام الكبير»<sup>(١٤)</sup>، وهو تعبير قوي الدلالة بطبيعة الحال.

١- عن استانبول أنظر أدهم النور، دانيال غورمان، وديروس ماسترز، المدينة العثمانية بين الشرق والغرب، حلب، أزمير ولسطنبول، ت. زكي زيبان، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

٢- عبد العزيز ثور، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٥

٣- من أمثلة هؤلاء: نذكر شارلز أورمان الذي أورد ما نصه «وأخيراً وصل السلطان بقصد محمد الفاتح إلى حائط صوفيا حيث كانت جموع الأسرى الباكية يوزع بين جنوده، وقد دخل من الباب الشرقي وأمر أحد العساكر بصعده المنبر وأن تقرأ هناك صيغة التشهد الإسلامي وهكذا؛ أدى الصوت بأنه الله أكبر معند رسول في القبة التي أضيها فيها ثلاثون جيلاً من الطائفة العشا، الرباني المقدس وبعثت أوربا كلها واسبا ان الصغار قد أسبل على أطول قصة وأنها المسيحية لإحدى الاميرة الطوريات. أنظر: شارلز أورمان، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٦٦

٤- فرديناند برويدل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، ط. حصص ٢٠٠٠م، ص ١٧٦

وهكذا ، كان التاريخ البيزنطي بمثابة قصة طويلة عنيفة للصراع مع الموت عبر الزمان على مدى ما زاد على الأحد عشر قرناً ، الميلاد فى ١١ مايو - ٣٣٠ ، والمات ٢٩ مايو ١٤٥٣ م. ولا تغفل أن نفس الشهر الذى ولدت فيه كان لها مع الموت موعد ١ وتلك من مفارقات التاريخ وما أكثر مفارقاته III

على أية حال ؛ فإن السقوط البيزنطى كان ملوياً ، ويكفى أن هناك من المؤرخين من تصور أن عام ١٤٥٣ م ؛ يصلح ليكون بداية تاريخ العصر الحديث فى أوروبا على اعتبار حدوث تلك الحادثة الحورية ، وكذلك نهاية حرب المائة عام بين إنجلترا ، وفرنسا فى العام المذكور<sup>(١)</sup> . مما عكس أهمية ذلك العام بأحداثه فى الشرق البيزنطى سابقاً ، والغرب الأوروبى على حد سواء .

أما نتائج عام ١٤٥٣ م ؛ فيمكن ملاحظتها من خلال إرتفاع شأن الأتراك العثمانيين الذين ظهروا فى عيون رعاياهم على أنهم قادة الجهاد الإسلامى وقد نجحوا فيما عجز عنه الحكام

١ - شبت حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا حيث حدثت نتيجة الصراع حول أملاك إنجلترا فى القارة الأوربية ، كذلك لانفصل الصراع الاقتصادى بين الدولتين وكذلك تصادم المصالح السياسية ، ويلاحظ أن تلك الحرب لم تستمر مائة عام على نحو الدقة بل (١١٦) عاماً ، ولهم ما يميزها ثلاث مراحل هى الأولى من ٣٣٧ م إلى ١٢٨٠ م وخلالها انتصر الإنجليز عند كريس ، واستولوا على كاليه ثم بواتيه أما الثانية ، فقد امتدت من ١٣٨٠ إلى ١٤١٥ م ولم تحدث خلالها معارك كبيرة ، أما الثالثة ؛ فقد امتدت من ١٤١٥ إلى ١٤٥٣ م وخلالها مجددت الحرب على يدى هنرى الخامس ملك إنجلترا ، ودوق برجنديا ، وحقق الإنجليز انتصاراً عند اريسكورت وقاصوا بقرى شمال فرنسا ، ثم قامت برجنديا بالتحالف مع فرنسا إلى أن تم طرد إنجلترا بصورة نهائية من أوروبا ومن أهم أحداث تلك المرحلة قتل جان دارك عفراء - أورليان أورليان حرقاً عام ١٤٣١ م. عن حرب المائة عام انظر :

Perroy, The Hundred Years War, Trans. by D.C. Douglas, London 1951 . Painter, A History of the Middle Age 284- 1500, New York 1954, pp. 16-32 .

إسحق عبيد ، جان دارك ربة من خلال الوثائق ضمن الموسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية ط القاهرة ١٩٧٨ م.

المبدع مارسال مونتيجومرى ، الحرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ص ٢٩٧ ، سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ص ٤٩١ - ص ٥٠٥ ، مجموعة من المؤرخين الروس ، موجز تاريخ العالم ، ت محمد عيسى ، ج ١ ط بيروت ١٩٨٩ م. ص ١٩٢ - ص ١٩٤ ، موزيس كوين ، حضارة أوروبا العصور الوسطى ، ت قاسم عبد قاسم ، ط القاهرة ٢٠٠٠ م. ص ٢٢٤ - ص ٢٢٨ ، جلال يحيى ، التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر ، العصر ط الإسكندرية ١٩٨٢ م. ص ١٢٣ - ص ١٤١

المسلمون طوال العصور الوسطى. وهكذا : تمكن المسلمون في صورة الأتراك العثمانيين من أن يصعدوا أقدامهم في القارة الأوروبية في الجزء الشرقي منها وبذلك حققوا حلمًا جاسعًا طالما داعب عقولهم منذ قرون طويلة مضت ، ليستمر ذلك الوجود حتى يومنا هذا ليرتفع شأن تركيا في القرن السادس عشر في عالم البحر المتوسط <sup>(١١)</sup>، وقبضة ذلك العمل: أنه بعد حدوثه بأقل من أربعة عقود - كما أسلفت - إنتهى الوجود الإسلامي من المغرب الأوربي ، فكان عام ١٤٥٣م : جاء كبديل عن الإتسحاب الذي سيحدث فيما بعد بأقل من أربعة عقود عام ١٤٩٢م من خلال اتحاد فرديناند وإيزابيلا ضد بني الأحمر في غرناطة <sup>(١٢)</sup>، من الجهة المقابلة : وأعى بها شبه الجزيرة الأيبيرية بعد ثمانية قرون من الوجود الحضارى هناك

والأمر المؤكد : أن القرن الخامس عشر شهد تحولات جغرية على المستوى الجيوبولوتيكي بصورة دلت على أن عصرًا تاريخيًا جديدًا إفتتح . ولاتك في أن المسلمين شاركوا بجدارة في

١- فرديناند بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ت حسين الشريف ، ط القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٠٩

٢- فرديناند أو فرناندو : هو ابن ملك تيره خوان الأول ولد عام ١٤٥٣م ، ولد تولي عرش ملكة أرنون من عام ١٤٧٩ إلى ١٥١٦م. كذلك اعتلى عرش ملكة ناپولى عام ١٥٠٤ حتى ١٥١٦م، وصقلية من ١٤٦٨م إلى ١٥١٦م وقشتالة من ١٤٧٤ إلى ١٥٠٤ م. ثم تزوج من الملكة ايزابيلا ملكة قشتالة وعاد الحرب ضد المسلمين في غرناطة آخر معالهم في الأندلس إلى أن سقطت عام ١٤٩٢م. أما ايزابيلا ، فقد ولدت في مدريدال دى الناس تورس عام ١٤٥١م وهي ابنة ملك قشتالة خوان الثاني، وأمها هي ايزابيلا البرتغالية، وقد تزوجت من فرناند أمير أوجون وصقلية ولقات معه ما أسماه الأسبان حرب الاسترداد Reconquista . عن ذلك أنظر سانويل جاسبار رمبرو، رحيل أبي عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه ، ت . عبد الفتاح عروس ، عن صمن كتابه فصول في تاريخ الأندلس - بداية النهاية . ط. القاهرة ١- ٢٠٠٢م، ص ٢٥١- ٢٧٦ . محمد عبد ، الانكسار للسيرة المذهبة بمعاهدة تسليم غرناطة عرض وتحليل ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى عبد العزيز الفوري ، ط. عمان ١٩٩٥م، ص ٢٥٥- ٢٦٧ . سحر محمد سالم ، علاقة مصر المملوكية بمرغناطة نبيل وعقب سقرطها . المؤتمر العالمي الخامس للدراسات اللورسكية الأندلسية حول الفكرى الحسنات به لسقرط غرناطة ١٤٢٢- ١٩٩٢ . إشراف عبد الجليل التميمي، ط. زغولان ١٩٩٣م، ج ٢ ، ص ٩٣ حاشية (٤٦) . واشنطن . أخبار سقرط غرناطة، ت. طاني يحيى نصرى ، ط بيروت ٢٠٠٠م، ص ٢٢١- ص ٢٢٨ . على حسين الشلشط . نهاية الوجود العربى في الأندلس . ط القاهرة ١- ٢٠٠٢م، ص ٧١- ص ١١٤ . محمد حسن العبدروس . تاريخ العرب الحديث . ط. القاهرة ١- ٢٠٠٢م، ص ٣١- ص ٣٢ . عبد العزيز بوار ، ومحمود محمد جمال الدين . التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ط القاهرة ١٩٩٩م، ص ٩٠ . عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نولر . التاريخ الأوربي الحديث . ط القاهرة ، ص ١٦٩

صنعه ، ولا تغفل كذلك اكتشاف الأمريكتين من خلال حركة الاكتشاف الإسبانية على بحر مثل نقطة تحول تاريخية.

ولانفعل ناحية أخرى من نتائج ذلك الحدث ؛ إذ أن الكثيرين من العلماء البيزنطيين رحلوا إلى الغرب الأوربي من بعد دخول الأتراك العثمانيين القسطنطينية وكان لهم دورهم البارز في قيام النهضة الإيطالية قبل غيرها من الدول الأوروبية<sup>(١١)</sup> دون إغفال عوامل أخرى أدت إلى تلك الأسبقية الحضارية بطبيعة الحال.

ولا تغفل ؛ أن الدولة العثمانية من الآن فصاعداً ستغدو أكثر من مجرد آلة حربية ، لقد أقدم العثمانيون بوصفهم نخبة فاتحة، وحدة من الإيمان ، وكذلك الثقافة واللغة على مساحة تجاوزت مساحة الامبراطورية الرومانية، واعتنقها أعداد هائلة من الشعوب<sup>(١٢)</sup> . وإن كان ذلك جميعه لا يندم مبرراً كافياً لنشوء الرعب الأوربي من تلك الدولة السليمة التي وضعت أقدامها على أرض القارة الأوربية بعد جهد جهيد وكفاح حفظ التاريخ ملامحه .

لانفعل كذلك أن سقوط العاصمة البيزنطية في التاريخ قد اعتبره البعض بمثابة انتقام أسبرى أخذت فيه آسيا يشارها من فتوحات الاسكندر الأكبر أو أنها حركة مضادة للحروب الصليبية<sup>(١٣)</sup> . وإن كنت أتصور أن القضية ليست قضية إنتقام بل غو وتطور طبيعي لقوة الاسلام كدين فاتح وعابر للقارات في توسعاته .

١- ريب عصمت راشد ، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ، ط القاهرة ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٧٠ ، هوقى الجمل ، وعبدالله عبد الرازق ، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط القاهرة ٢٠٠٠م ، ص ١٤ وعن عطا - بيزنطة الحضارى للعالم أنظر .

Diehl , Byzantium , Greatness and decline, Trans. by Naomi Walford, New Jersey 1957 .

pp 227-288 .

٢- بول كيندى ، نشوء وسقوط القوي العظمى ، ت. مالك البديري ، ط. عمان ١٩٩٤م ، ص ٣٢  
وأود الإشارة بهذه الدراسة لفكر استراتيجى أمريكى وأشبه بجهه المقرجم الذى نقل ما فى وسعه لنقل ذلك الكتاب الموسع إلى العربية فى لغة سليمة .

٣- تعميم فوج ، تاريخ بيزنطة السياسى ص ٣٤٧ ، هذه الفكرة نظرية للقابة وانتقد المؤرخ الفاضل بها ولا أميل إلى تأييدها

من ناحية أخرى : أثارت تلك الحادثة التاريخية المعهودة جدلاً بين المؤرخين حول من برث الامبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية ، ومن هي روما الثالثة ؟ ورأى البعض أن ذلك الوصف ينطبق على فيينا Vienna عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة؛ بينما رأى فريق آخر أن موسكو صاحبة ذلك الميراث<sup>(١)</sup>، ومنطقي أنه من الصعب حسم ذلك الأمر الجعلى.

ولانعفل كذلك؛ الإشارة إلى أن تلك الإمبراطورية التى حلت لواء المسيحية الأرثوذكسية على مدى عدة قرون، غدت متاراً للإسلام والدعوة لذلك الدين على الأرض الأوروبية<sup>(٢)</sup>. وتلك مفارقة من مفارقات التاريخ

والواقع أن «المعات البيزنطية» على ذلك النحو يشير قضايها ملحة وهى التوقييت الرسمى ، ثم تحليل عوامل السقوط. كذلك المسئولية التاريخية عن ذلك بين الفردية، والجماعية ، أو بينهما معاً.

وفيساً بتصل بالتوقييت الزمنى: وهو عام ١٤٥٣م؛ من الملاحظ سقوط بيزنطة من قبل ذلك التاريخ بعدة قرون . وعدة مرات ! وهنا ممكن التعجب فى تاريخها المديد؛ إذ أنها سقطت أوربا عندما قامت الإمبراطورية إيرينى من قبله بتسليم عيني إبتها قسطنطين السادس سعيًا وراءه بريق المنتصب الإمبراطورى فأطلقت بريق عيني قللة كبدها !!!

كما أن بيزنطة سقطت أخلاقياً من خلال كم المؤامرات والدساتير والفن الغبر مسبقة لتى حدثت بين ما يمكن ، وصفه «بالصفوة» السياسية والعسكرية والواقع أنها لم تكن - عالياً - صفوة على المستوى الأخلاقى لأنها كانت تستحل فعل أى جرائم من أجل بريق السلطة الأحاد بجامع العقول والقلوب ولا شئ غيرها !

١ - نعم فرج. تاريخ بيزنطة السياسية، ص ٣٤٧ ، ولشرح هذه الزاوية ، هناك من يقرر أن المسيحيين اللاتين نظرو لأحداث عام ١٤٥٣ م على أنها بمثابة عقاب إلهى حل بالبيزنطيين المورطقين وتفصلهم عن كبة روما وإشارك الروس عناصر اللاتين فى الفكرة المذكوورة ، واعتقدوا أن مرافقة الامبراطورية البيزنطية على مجمع فلورنسا نتج عنه أن انتزع الله منهم الرئاسة على العناصر الأرثوذكسية وبالتالي صارت موسكو - فى تصورهم - القسطنطينية الجديدة أو روما الثالثة. عن ذلك انظر:

طارق منرى المسيحيون الشرقيون والإسلام. ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية ، دراسات مرجعية فى التاريخ والحاضر والمستقبل. مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط١ بيروت ١٩٩٤م. ص ١٨٧. حاشية (٢٩)

ومع ذلك ؛ فالواقع أن عملية الإضمحلال ، والسقوط على المستوى التاريخي بصفة عامة عملية معقدة متداخلة العناصر <sup>(١١)</sup> . وبالنسبة للتاريخ البيزنطي ؛ تسببت فيها عدة عوامل ، والأمر المؤكد ؛ أن معركة مانزكورت عام ١٠٧١ م ؛ أحدثت زلزالاً عتيقاً في الجسد البيزنطي ، أو كما وصفها طومسون J.K.J. Thomson بأن مفتاح الهزيمة تمثل في تلك المعركة <sup>(١٢)</sup>

وجدير بالذكر أن آسيا الصغرى مثلت - على مدى التاريخ البيزنطي - خط الدفاع الشرقي البالغ الامتداد عن القلب البيزنطي في صورة القسطنطينية ، ومثلت الرقعة التي تتنافس من خلالها الإمبراطورية ، ناهيك عن دورها التجاري الممتاز . وهكذا فإن أحداث ١٠٧١ م وما تلاه مثل نقطة تحول محورية في تاريخ تلك الإمبراطورية نظراً لتأثيرها على آسيا الصغرى ، على نحو خاص ولانتفعل كذلك ؛ أن الحركة الصليبية ذاتها جاءت بمثابة اختبار عسير للإمبراطورية التي دفعت الثمن فادحاً من خلال لعبة توازن القوى التي مارستها ببراعة من قبل ، ثم سقطت ضحية لها فيما بعد ؛ كما حدث في عام ١٢٠٤ م ومن الممكن القول أن القرنين ١٢ ، ١٣ م ، شاركا بفعالية في الأحداث النهائية التي جرت في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

من جهة أخرى ؛ لانتكر تأثير عوامل الإضمحلال الداخلية ، وقد تزايدت على نحو جلي في عهد أسرة باليولوج دون أن تفصل بين ما حدث في عهد تلك الأسرة والخط البياني الهابط لغير صالح تلك الإمبراطورية من قبل .

- ١- عن الإضمحلال في التاريخ بوجه عام أنظر : أوتو هيرمان ، فكرة الإضمحلال في التاريخ العربي تطلعت الشايب ، تقديم ومضان بساويس ، المشروع القرصي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م
- وعلم على الكتاب الطابع الفلسفي التنظيري ويعتد أحياناً عن «التطبيق» الفعلي التاريخي
- ٢- عن ذلك أنظر :

Thomson , Decline in History The European Experience , Cambridge 1998 , p. 8

وفي ذلك يقول ما نصه

" A key defeat was the battle of Manzikert in 1071, following which the Turks advanced to the very walls of Constantinople" p. 8 .

وقد درس المؤلف أمر الإضمحلال البيزنطي على مدى الفصل الرابع من دراسته القيمة عن ذلك انظر Thomson , pp. 3-9

وبصفة عامة ، تعد دراسته متميزة

والمؤكد : أن الحرب الأهلية والصراع على العرش الامبراطوري قد أجهد تلك الامبراطورية خاصة أنها استمرت عدة أعوام وهناك من يقرر أن تلك الحرب أدت إلى نشر الخراب في أنحاء الامبراطورية . وخلال ذلك وجدنا الانقسام بين البيزنطيين إلى فريقين <sup>(١١)</sup> . كل فريق يزيد أحد الساعين إلى ذلك المنصب وكل ذلك في وقت كان البيزنطيون أحوج ما يكونوا إلى الوحدة والناسك في مواجهة الخطر الخارجي .

أما إذا انجهدنا صوب الجانب الاقتصادي والاجتماعي - وهو يحتل أهمية خاصة - نجد أن الحرمان الامبراطورية حينذاك صارت تعاني من نقص شديد . خاصة أن الخراب قد انتشر من خلال الحرب الأهلية . وتضاؤل شأن الرسوم الجمركية : نظراً لاستئثار البنادقة والجموية بحساب دافع من التجارة الخارجية وحصرهم على امتيازات كبيرة، ولذلك اضطرت الحكومة إلى خفض قيمة العملة وبطلان الأباطرة ووصل بهم الأمر إلى حد وهن حواله النتاج <sup>(١٢)</sup> : مما عكس الوضع المالي المتردى الغير مسروق

أما من الناحية الاجتماعية : نلاحظ أنه منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادي ظهرت مرحلة من الثورة الاجتماعية فالعناصر الفقيرة ثارت ضد الطبقة الأرستقراطية . وفي مدينة سالونيك - على سبيل المثال - وهي التي وصفت بأنها المدينة الثانية في الأهمية عنها العرضى وقامت فيها حكومة ذات طابع جمهوري <sup>(١٣)</sup> ووجدت السلطة الامبراطورية مشقة بالغة في إخضاعها في عهد حنا كيتاكوزين ولم يحدث ذلك إلا بشق الأنفس وبعد جهد جهيد <sup>(١٤)</sup>

أما على الصعيد الديني؛ فلاريد في أن مسألة توحيد الكيبتين الشرقية والغربية قد أجهد الامبراطورية البيزنطية وأدخل أهلها في جدل وتصارع لم يكن من ورائه صغن . ومن الأمور ذات الدلالة أنه في عام ١٤٥٧م . وهو العام السابق مباشرة على الفتح العثماني شنت

---

Deitel, The Byzantine Empire, p. 18

-١-

Ibid p 19

Ibid. p. 17

-٣-

Ibid. p. 17

-٤-

مظاهرات صاحبة عند كتيبة أيا صوفيا نتيجة لتلك القضية . واستمر الأمر موضعاً للخلاف حتى عندما كان العثمانيون يحاصرون العاصمة البيزنطية<sup>(١١)</sup>.

وإذا نظرنا صوب الجيش والأسطول نجد أن الأول بلغ درجة كبيرة من الضعف . واثارت عناصر المرتزقة بل إن فرقة المرتزقة التي عرفت باسم جماعة الكاتلان الكبرى Catapan، انتزعت غاليلولي Gallipoli ثم حاصرت القسطنطينية لمدة عامين<sup>(١٢)</sup> على نحو عكس الرضع المتردى الذي يلقه الجيش البيزنطي حينذاك.

أما الأسطول البيزنطي . فقد حاول ميخائيل الثامن إعادة تنظيمه إلا أن من حكم من بعده من الأباطرة البيزنطيين وأو أن الاحتفاظ بذلك الأسطول يمثل عبئاً مالياً كبيراً . ولذلك أهملوه . وهكذا : ثم ترك حماية مصالح الإمبراطورية في القسم الشرقي من البحر المتوسط لأساطيل المدن التجارية الإيطالية<sup>(١٣)</sup>.

وهكذا يتأكد لنا أن الاحتضار البيزنطي تزايد بصورة واضحة فيما قبل الفتح العثماني للقسطنطينية . ويتضح لنا بالفعل أن الانهيار شمل كافة المرافق والمؤسسات في الامبراطورية ، فإذا أضفنا ذلك أن الشخصية البيزنطية أصبحت في الصميم من جراء محنة ما بعد ١٢٠٤م ، أدركنا أن حجم الانهيار كان كبيراً

ومن الممكن الإقرار بأن السقوط كفكرة قديمة ومشكورة على مدى التاريخ البيزنطي ذاته . كما أنها في عام ١٢٠٤م سقطت لأول مرة . غير أن الفارق الجوهرى بين أحداث عامى ١٢٠٤م ، ١٤٥٣م : أنها استمرت بعد العام الأول . وانتهت إلى غير رجعة مع العام الثانى . وبالتالي بعد عام ١٤٥٣م : هو الأكثر بقاء . ولالة في التاريخ مقارنة بالأول حتى هذه اللحظة !! ولاغفل . أن المرحلة الواقعة ما بين عامى ١٢٦١م حتى ١٤٥٣م يمكن أن توصف بأنها والاحتضار البيزنطي طويل الأجل ، ومن الممكن الاقتراض - كتحجج من الرياضة الفنية لا أكثر حيث أنه لا يوجد لو فى التاريخ . أنه لولا حدوث كارثة أنقرة عام ١٤٠٢م ؛ لكان من

Ibid, p. 158 .

-١

Ibid, p. 159 .

-٢

Diehl, The Byzantine Empire, p. 160 .

٣

الممكن أن يسقط الأتراك العثمانيون بيزنطة قبل عام ١٤٥٣ بعدة عقود، في عهد بايزيد الأول وليس في عهد محمد الفاتح . وهكذا : فإن عاملاً خارجياً في صورة انتشار بقيادة تيمورلنك ساعد على إطالة عمر تلك الإمبراطورية إلى أن سقط في العام للعهد لذلك ويلاحظ أن صراعات أعداء بيزنطة مع بعضهم البعض - على مدى تاريخها- أي في أحيان متعددة أدت إلى «إطالة» عمرها وهو أمر تكرر مرات متعددة

نخلص من ذلك؛ أن عام ١٤٥٣م في الواقع تحديد زمني ينفي ألا يوهن بأن الامبراطورية البيزنطية قد سقطت فيه بينما -نظرياً- سقطت من قبل ذلك عدة مرات في ظروف متباينة.

وبس الأمر نجد لدى كيانات سياسية أوروبية ، وإسلامية معاصرة لتلك الإمبراطورية في مرحله المصور الوسطى ومن أمثلة ذلك: مملكة بيت المقدس الصليبية ، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية . فقد تصور الكثيرون أن الأولى سقطت من جراء حطين عام ١١٨٧م، بينما سقطت من قبل ذلك أديباً من خلال طبيعة الحركة الصليبية ذاتها كحركة متعصبة عنصرية ودم سوية<sup>(١)</sup> . وقبيل المرحلة من ١١٧٤ - عام وفاة الملك عموري آخر الملوك الصليبيين الأقوياء- حتى عام ١١٨٧م احتضار ما قبل النهاية العسكرية في صورة حطين وأغابها وبس الأمر يقال عن الدولة الفاطمية التي لم تسقط عام ١١٧١م بل من قبل ذلك من خلال الصراع الشيعي السني معضري التشكيك في نسب الفاطم من جانب العباسيين في عهدي الحاكم والمستنصر على نحو أدى إلى هوانهم في نفوس رعاياهم ثم التصارع على السلطة بين الورراء العظام كل ذلك جعل تلك الدولة تعيش نوعاً من الاحتضار الذي طال بها منذ عهد المستنصر (١٠٣٦-٩٤-٩٤م) خاصة منذ الشدة المستنصرية حتى عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر تاهيك عن العجز عن مواجهة الفزو الصليبي. أما الدولة الأيوبية قد

عن ذلك بالتفصيل محمد مؤنس عوص، عوامل إخفاق المشروع الصليبي في القرن ١٣ م / ٧٧٠ .  
 من كتاب الحروب الصليبية السياسية . المياه . العقيدة . ط. القاهرة ١٩٧٠م . ص ٤٩- ص ٦٧

ونعم حاتبة تلميذتي صفاء عثمان بإعداد أطروحتها للدكتوراه في نفس الموضوع وتحديدًا بعنوان

عوامل مثل المشروع الصليبي في القرن ١٣م

سقطت أديبا بمعاهدة يافا ١٢٢٩<sup>(١)</sup> والتفريط في القدس على يد الكامل الأيوبي قبل أن تسقط في عهد تورانشاه ١٢٥٠م.

أما العوامل التي أدت إلى المعات البيزنطية فيمكن إجمالها في صورة عوامل داخلية وخارجية .

وفي تصوري: أن العوامل الداخلية لعبت دوراً فعالاً لا يقل عن العوامل الخارجية . ولا نعتل أن الاثنين معاً تعاوناً

وفيما يتعلق بالعوامل الداخلية: هناك من المؤرخين الأوروبيين من عمل على تركيز نظرته صوب آل باليولوج فقط، وبالتالي تصور أن ضعف تلك الأسرة البيزنطية الحاكمة على نحو

١- عن معاهدة يافا ١٢٢٩ م . أنظر:

Philip of Novara , The Crusade of Frederick II from Philip of Novara , in Peters (ed.) , Christian Society and the Crusades 1198-1229, Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 . pp. 157-158 .

ابن الصديم . زبدة الخطب، ج ٢ . ص ٥-٧؛ لبن نظيف المسوي . التاريخ للتصوري - تلخيص الكشف واليهن في حوادث الزمان، تحقيق أبو العبد دودو، ط. دمشق ١٩٨٧م. ص ١٧٦ : لبن أبيك اللواداري ، الدر المطروب في أخبار بني أيوب، تحقيق سعيد عاشور . ط. القاهرة ١٩٧٢م. ص ٢٩٢ . القنيزي . السلوك . ج ١ . ص ٢٢-٢٣ . ذكرى عزيز محمد صالح الصانغ . عصر الملك الكامل الأيوبي . رسالة ماجستير عبر مشروقة . كلية الآداب - جامعة الموصل عام ١٩٨٨م. ص ١١٣-١١٤ . وأرد الأستاذ بالجهد المبذول في هذه الرسالة . محمد مؤنس عوض . الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب . ص ٢٩٩-٣٠٠ . أحمد رمضان . العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . الحروب الصليبية . ط. القاهرة ب-ت . ص ١٢٩ . نظير حسان سعداوي . الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي . ط. القاهرة ١٩٦٦م. ص ٩٦-٩٧ . رأفت عبد الحميد . الملك الكامل بين الاقتراف والتفريط . في مواجهة الصليبيين . ضمن كتاب نصايا من تاريخ الحروب الصليبية . ط. القاهرة ١٩٩٨م. ص ١٢٥-١٢٦ . فوزي وضوان العربي . بيت المقدس تحليل تاريخي . . النعرة الدولية القدس التاريخ والمستقبل تقديم آ.د. يوسف درويش غوانجه . معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج . ط. عمان ١٩٩٥م. ص ٦٨-٦٩ . سعيد عاشور . الامبراطور فردريك الثاني والشرق العربي . المجلة للثقافة المصرية . عام ١٩٦٣م محمد مصطفى زيادة . مصر والحروب الصليبية . وسائل الثقافة العربية . منشورات وزارة الدفاع الوطني . ط. القاهرة ١٩٥٤م. ص ١٢ باسم النكريش . الأيوبيين في شمال الشام والجزيرة . رسالة دكتوراه كلية دار العلوم - جامعة القاهرة . عام ١٩٨١م . ص ٧٠

خاص هو السبب المباشر وراء سقوط الامبراطورية، وهو أمر غير منطقي لأنهم في هذه الحالة لا يبحثون عن أصول وجذور الاضمحلال ، والواقع أن ذلك الاضمحلال عميق الجذور ، وقد لاحظنا أن المنصب الإمبراطوري كان هدفا لكل طامع خاصة من جانب المؤسسة العسكرية وكانت الوسيلة المثلى متشكلة في المؤامرات والانتقالات

وقد وصل إلى ذلك المنصب في الكثير من الأحيان أشخاص غير جديرين به ، وبالتالي كان الضعف مصاحباً لهم ، ومن بين عشرات الأباطرة لا نجد إلا أقل القليل منهم من لديه القدرات الفعلية لتولي القيادة البيزنطية بكفاءة تاريخية حقيقية .

ولا ننفل كذلك: الخلافات الدينية والمذهبية، ودورها الفعال في استهلاك طاقات الإمبراطورية وتفكيك وابطالها . كما أن سياسة الأباطرة تجاه القضايا الدينية كانت متعيرة ونقطة الصراع على عبادة الأيقونات خير دليل على نحو إنعكس بدوره على مسار التاريخ البيزنطي ذاته.

من ناحية أخرى ؛ نجد أن الجيش البيزنطي على نحو خاص ، قد أصابه الوهن من قبل الأسرة البيزنطية الأخيرة، ومن بعد عام ١٠٧١م مع حدوث معركة مانزكرت وهزيمة الامبراطورية على أيدي السلاجقة . نلاحظ إفتقاد بيزنطة للمقاطعات التي كانت تحصل منها على عناصر المرتزقة ، وهكذا ؛ صار الجيش البيزنطي في عصور الضعف لا يملك إمكانيات الدفاع عن الامبراطورية خاصة مع تكاليف الأعداء عليها من كل جند وصوب.

كذلك لا ننفل أهمية الناحية الاقتصادية ، وإذا تعرضنا لأمر الإقطاع البيزنطي<sup>(١)</sup> ، نلاحظ البعض أن الإمبراطور ميخائيل باليولوغوس حاول أن يرضى العناصر المزيدة له من العناصر العسكرية وكذلك أصحاب الضياع الكبيرة من الطبقة النبيلة ، وبعد أن كانت الإقطاعيات الزراعية الكبيرة المسماة پرونويا Pronoria يتم منحها لمدة محدودة وهي غالباً مدى الحياة دون أن تورث صارت وراثية ، وصار لأصحاب البرونويات حق توريثها إلى أبنائهم منذ صغر أمرها ، وتزايد عدد البرونويات كتناج لأمر التوريث وقد صاحبها الاعفاء من الخدمة الحربية

١ - عن أمر الإقطاع البيزنطي أنظر:

Ostrogorsky, P. "Histoire de la Féodalité byzantine, Trans. by H. Kitzelman and Epstein Change in Byzantine Culture in The Eleventh and Twelfth Centuries, pp. 56-73

واضطرت الامبراطورية إلى استخدام عناصر المرتزقة ، على نحو زاد من أعبائها المالية المتهكة أصلاً. كذلك نلاحظ أن أباطرة أسرة بالولوغوس قاموا بإعفاء الضياع الكبيرة من العناصر الدنية من الضرائب ، على نحو أدى إلى ضعف الموارد المالية ناهيك عن نقص الخدمات الحربية<sup>(١)</sup>.

وإذا أضفنا إلى ذلك كله: اختفاء بيزنطة للعديد من أملاكها وسيطرة البيزنطية عليها عقب الصليبية الرابعة؛ أدركنا كيف أن الضعف الاقتصادي قد رسم ملامح قضية الاضمحلال والسقوط البيزنطي.

وفي معرض تناولنا للعوامل الداخلية: قد يتصور البعض أن الامبراطور قسطنطين الحاد عشر آخر الأباطرة البيزنطيين يتحمل أكثر من غيره مسئولية سقوط بيزنطة ، وكان الأمر ارتبط بسياسة شخص واحد فقط وهو أمر غير منطقي لأن عهده كان نتاجاً لمرحلة ضعف طويلة سابقة عليه وبالتالي فهو نتيجة أكثر من كونه سبباً.

واتع الأمر ، لانهتمل الامبراطور الأخير الذي وقع في عهده السقوط متفرداً ذلك بمصنفة عامة وينطبق ذلك على الخليفة الأموي مروان بن محمد عام ٧٥٠م. والخليفة الفاطمي العاضد عام ١١٧١م. والسلطان الأيوبي تورانشاه عام ١٢٥٠م. والخليفة العباسي المستعصم عام ١٢٥٨م. وطومانباي عام ١٥١٧م. ومثلما نقول دوماً أن التاريخ يصفه الفرد القائد ومعه شعب فإن ذلك ينطبق على السقوط في التاريخ أيضاً بنفس الدرجة.

أما العوامل الخارجية: فيمكن إبراز أهمها في صورة البابوية ، والبندقية والأتراك العشابيين. فيلاحظ بالنسبة للأولى أنها ناهت بيزنطة العدا على مراحل تاريخها اللبد من قطيعة فوشبوس مروراً بالإنشقاق الاعظم ١٠٥٤م. إلى الدور المتآمر للجايا أنوستن الثالث

١- حسن وبيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ٢٩٦

وعن البروسيا في عهد آل كومتين أنظر

Osugorsky , " Die Promosa unter den Komnenen " , Z.R.V.I., 1970, pp. 41-57

ونعتمد دراسات أوستروجورسكي أنضل ما ظهر في موضوع الإقطاع البيزنطي

حسن وبيع ، المرجع السابق، ص ٢٩٧

٢- عن تلك الأملاك أنظر الملحق الخاص بها

خلال الصليبية الرابعة، ثم عدم الاستجابة للاستغاثات البيزنطية في مرحلتها المتأخرة للغاية حتى بعد أن تحول إمبراطورها يوحنا كانتاكوزين عن الأرضة كسبة على نحو مهيئ. لقد كان ميراث العدة، بين الجانبين أكبر من إمكانية تناسبه مع استفحال الأخطار على الإمبراطورية التي ظلت دوعاً للمسيحية الشرقية عدة قرون.

وبالنسبة للبندقية: نجد أن منافستها التجارية لبيزنطة جعلتها تتأمر عليها في ظروف أحداث عام ١٢٠٤م ولاشك أن بيزنطة قدّمت الأتراك العثمانيين متحركة القوى بعد ما حدث لها في حلال الصليبية الرابعة. وفي تصوري أن الموقع الجغرافي الفريد لبيزنطة وتحكمها في تجارة البحر الأسود وقسم فعال من تجارة البحر المتوسط قد جنى عليها أحياناً، وجر عليها صراع البندقية معها التي أبت إلا أن تقضى على مكائنها التجارية الرفيعة المنافسة لها، وبسمى ألا يتصور أحد؛ أن الإمبراطورية البيزنطية قد تعرضت لمؤامرة خارجية قضت عليها في النهاية: أن تلك الإمبراطورية «تأمرت» داخلياً على نفسها أولاً من خلال الصراعات السياسية التي استمرت حتى النهاية، وبالتالي: تعاونت مؤامرة الداخل، والخارج معاً، لتخط آخر فصول المسرحية البيزنطية البالغة الطول، والتي شارك في أدائها قوى سياسية عديدة على مسرح العلاقات الدولية بين الشرق والغرب (١)

أما الأتراك العثمانيون: فاملاحظ أنهم مثقلاً دماً مجاهدة شابة جديدة وفدت إلى المنطقة، والواقع أن بيزنطة لم تكن في عصر تدهورها وهوانها نداء لمواجهة تلك الفترة العتية الجديدة التي تحمس التخطيط بدقة وتجيد تنفذ ما خططت له

بصفة عامة؛ من الملاحظ أن الأتراك العثمانيين إمتازوا بوضوح الهدف، والسعي له بكل وسيلة نحو تحقيقه، ولا تغفل - براعة التخطيط على أساس علمي من خلال سلاح المعلومات التي تواصرت لهم عن العدو البيزنطي، ثم الإعداد العلمي العسكري الفذ سواءً من حلال الجيش أو الأسطول على نحو صنع الانتصار الأخير للفعال الذي لا يزال يعيش حياً بيننا من حلال دولة تركيا حاليًا على الخريطة الأوروبية بالإضافة إلى آسيا الصغرى أو الأناضول.

والآن؛ تبرز قضية خاصة بالمشولية التاريخية عن سقوط بيزنطة، هل فردية أم جماعية، والواقع أن القول بالجانب الفردي من خلال سلوكيات الأباطرة أنفسهم، ليس إلا نصف التفسير الواقعي لما حدث، فليس من المنطقي: تصور أن مجموعة من الأفراد أيًا كانت سلطاتهم المطلقة يمكن أن يزودوا - بمفردهم إلى سقوط كيان سياسي كبير في حجم الإمبراطورية البيزنطية

واقع الأمر : أن «الأغلبية الصامتة من الشعب البيزنطي» تتحمل جانباً كبيراً من المسؤولية التاريخية، فمن غير المتصور أن يتم تصوير الأمر من خلال مسئولية فردية وترك الشعب البيزنطي ذاته دون أن يتحمل قسماً بارزاً فيها. وقد يرد البعض بأن العصور الوسطى لم تكن بها شعوب تشارك في صنع القرار السياسي كما في العصر الحديث، إلا أن ذلك لا يبرر الأمر. ولا ننسى أن القيادات السياسية البيزنطية هي إفراد حقيقي من الشعب البيزنطي ذاته بإيجابياته وسلبياته .

وبعد : فلأمرأ. في أنها رحلة طويلة شاقة قطعتها بيزنطة ؛ كي تتكيف مع الأحداث الدولية . وصراعات القوى الدولية المتعددة التي كانت تتقلب في محالفاتها وعدا مانها بين الحين والآخر. ولأمرأ: في أنه بين يوم ١١ مايو - ٣٣م. - ٣ مايو ١٤٥٣ : أي بين البلاد والمات عاشت تلك الإمبراطورية تصارع الزمن بين مد وجزر لكن لم يكن من الممكن البتة أن نفري على منطوق التاريخ الذي وأبناءه لدى كافة الكيانات السياسية الأخرى في العصور القديمة والوسطى والحديثة عندما تضعف وتشيخ ويكون بالتالي الخروج من التاريخ. وكان ذلك على أيدى المسلمين من الأتراك العثمانيين الذين دخلوا التاريخ بجدارة مثلاً خرجت منه بيزنطة بجدار موازية؛ وأعطى بها جدارة الضعف والهوان ثم الإسعاب ؛ لأن التاريخ لا يصنع إلا الأقرباء !

تبقى زاوية أخيرة . تتعلق بعض مقارنة مرجزة بين إسقاط القسطنطينية عام ١٤٥٣م في أيدى العثمانيين . وإسقاط الوجود الصليبي في عكا من قبل في عام ١٢٩١م بأيدى المماليك.

واقع الأمر : أن هناك مشروعية للمقارنة . على اعتبار أن الحدثين التاريخيين الكبيرين حدثا خلال مرحلة العصور الوسطى وضمن نطاق العلاقات بين الشرق والغرب . كما أن الفارق بين الحادثتين ١٦٢ عاماً فقط.

ومع إدراكنا الأولي لوجود اختلافات بين مملكة بيت المقدس الصليبية التي قدمت مملكة عكا الصليبية بعد عام ١١٨٧م . والدولة ذات طابع اقتصادي تجاري على نحر خاص، وكذلك العاصمة البيزنطية، ولم يكن غريباً والأمر كذلك: أن ذكر الرحالة الأندلسي البارز ابن جبير عندما زار عكا عبارته ذات الدلالة « المشبهة في عظمتها بالقسطنطينية<sup>(١)</sup> » .

١- الرحلة ، بيروت ب-ت . ص ٢١١ ، برنارد لوس . اكتشاف المسلمين لأوروبا . ت . ماهر عبد الله

ط القاهرة ١٩٩٦م . ص ١١٥

كذلك نلاحظ أن كلاً من التاريخين كان يعنى نهاية كيان مسيحي - يقضى النظر عن عن مذهبه، وذلك لمصلحة التوسع السياسى للإسلام كدين، وهكذا . فإبان عام ١٢٩١م شهد نهاية الوجود الصليبي من بلاد الشام، وعام ١٤٥٣م شهد نهاية البيزنطى من القسطنطينية وانتهاء تلك الامبراطورية ذاتها

من جهة أخرى، تشابه الحادثان من حيث أن من قام بالانحياز من فى صورة المالك ومن بعدهم العشانيون التزموا أنفسهم بالجهاد وهو فروة من الإسلام، وبالتالي احتلت الدولتان مكانة بارزة من بين الدول الإسلامية فى العصور الوسطى.

ولاغفل كذلك أن المرحلة العصرية لكل من الأشرف خليل بن قلاوون ومحمد الفاتح العشاني كانت شابه على نحو عكس أن التاريخ من الممكن أن يصنعه الشباب صمبر السن إذا ما كان مهياً أصلاً لصنعه بجدارة!

أما أوجه الاختلاف فتذكر منها ، أن الكيان الصليبي فى عكا كان آسورياً بينما كان الكيان البيزنطى أوروبياً . كذلك لم يكن لعكا ذات الموقع العيقرى الذى كان للقسطنطينية ، ناهيك عن قصر عمر مملكة عكا مقارنة بالقسطنطينية واسعة المدى الزمنى، كذلك لانفغل أن سقوط عكا الصليبية لم يكن يعنى بداية عصر تاوينى جديد ؛ إذا استمرت مرحلة العصور الوسطى قائمة أما بالنسبة لسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م؛ فقد اعتبره البعض بداية لما عرف بالعصر الحديث، ونستدل من ذلك ؛ أن التاريخ الأخير يعد أكثر محورية مقارنة بالأول لاسيما فى النطاق الأوروبى.

على أية حال ؛ أباً كانت أوجه التشابه والاختلاف فالأمر المؤكد أن الحادثتين تمثلان نقطتي تحول فى مرحلة العصور الوسطى ومنها ما كان فى قصورها الأخيرة؛

نخلص من وراء ذلك كله أن الإضمحلال البيزنطى كانت له على المستوى الداخلى صرر وأشكال مختلفة ومتعددة منها السياسى، والجهوى، والاقتصادى وتعاونت معاً فى تزامن متكامل على نحو أدى إلى النهاية المعروفة وبالتالي لم يكن الأمر نتاجاً لعامل واحد بل عوامل مشتركة وقعالة فى نفس الميكن

على أية حال ؛ إذا كان ذلك شأن السباسة والحرب . فيلاحظ أن الامبراطورية البيزنطية فى عصرها المتأخر أنجيت عدداً من الأعلام فى مجالات متعددة وكأنها تقول للتاريخ أن لديها القدرة على انجباب المبدعين فى كافة المجالات حتى وهى فى النزاع الأخير ! ومن الممكن تقديم العديد من الأمثلة والتناذج فى هذا الشأن.

ففى مجال التاريخ : نجد هناك جريجوريوس باخميريس<sup>(١١)</sup> Pachimeres (١٢٤٢-١٣١٠م) ويعد مصدراً أساسياً عن عهد كل من ميخائيل الثامن ، وانثرونيكوس الثانى .

كذلك نشير إلى ميخائيل كريستوبوليس Michael Kerstobolios والذى احسب من أسرة عريقة من جزيرة ليبروس Imbros ، وقد تمكن من الوصول إلى شروط محددة مع الأتراك العثمانيين بعد عام ١٤٥٣م وعلى أساسها جعلوه يتولى ادارة جزيرته منذ عام ١٤٥٦م وقد ألف تاريخاً يتناول الأحداث ما بين عامى ١٤٥١م . ١٤٦٧م . وقام باهلباته للسلطان محمد الفاتح ووصفت كتاباته بالبلل إلى الأتراك العثمانيين، وبعد ما كبه مهماً خاصة فيما يتصل بالهابة البيزنطية عام ١٤٥٣م<sup>(١٢)</sup>.

أما فى مجال اللاهوت : فنشير إلى جريجورى الثقيرى Gregory of Cyprus الذى تولى بطريركية القسطنطينية خلال المرحلة الراقعة بين عامى ١٢٨٣ - ١٢٨٩م وقد تولى ذلك المنصب فى عهد أنثرونيكوس الثانى، وقد ألف كتابين فى الإيمان ، وفى «التيقان» ، وهناك من يقرر عنه أنه كان خطيباً لا يشق له غبار وألف رسائل كثيرة<sup>(١٣)</sup>.

وهناك أيضاً جناديوس سكرولاريوس Gnadius Scholarius ، ويوصف بأنه أول بطريرك يتولى منصبه بعد الفتح العثمانى للقسطنطينية ، وكان قد اشترك فى مجمع فليرنسا ، وقد أبدى الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، غير أن فيما بعد عدل عن رأيه وصار من أشد خصوم الاتحاد بينهما ، ومن أهم مؤلفاته كتابه «المرائى» ويحتوى على مادة تاريخية معبدة خاصة عن أوضاع الكنيسة الأرثوذكسية فى ظل الوجود العثمانى<sup>(١٤)</sup>.

١- عنه أنظر المدخل البيليوغرافى

٢- رمالد بيكول، معجم التراجم «بيزنطية، تدخين جنسى» ط١ القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٥١

٣- نفسه ، ص ٢٥١

٤- أند رستم، الروم، ج ٢، ص ٢٧١

Nicol , A Biographical dictionary , p. 45 .

٥- أند رستم، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥١

ومن أعلام اللاهوت: ديمتريوس كيدونيس Demetrius Cydones (١٢١٠-١٢٤١م) وقد قام بترجمة أحد مصنفات توماس الاكوينى إلى اليونانية وهناك من يقرر أن أفضل ما كتب مراسلاته مع مانويل الثانى، ويوحنا ككتاكوزين، وغيرهما<sup>(١١)</sup>.

كذلك لانتفعل بيساريون Bessarion الذى تعرف أنه ولد فى طرابيزون حوالى عام ١٢٩٥م، وعم صوب العاصمة البيزنطية لتابعة دراسته وفيما بعد انتهأها على مدى بليثون الفيلسوف فى ميسترا فى المورة Morea ، مما يذكر عنه : مرافقته يوحنا الناس إلى مجمع فلورنسا<sup>(١٢)</sup>، وبعد سقوط بيزنطة عام ١٤٥٣ اتجه إلى إيطاليا وقد تمكن من جمع ٦٠٠ معطوط وقع ثمنًا باهظًا لها وصارت فيما بعد نواة مكتبة البندقية<sup>(١٣)</sup>.

ثم تسير إلى ايوجنيكوس Eugenikos والذى وصف بأنه من أشد من تمسك بالأرثوذكسية وبقراءات المجامع المسكونية ، وقد حضر مجمع فلورنسا ورفض توقيع قراراته، وأشهر بمؤلفاته فى تعبد العقيدة اللاتينية ، كذلك هناك مراسلاته<sup>(١٤)</sup>.

ومى مجال الفلسفة والأدب وبقه اللغة تشير إلى عدد من الأعلام ومنهم: جيستوس Geomistis (ت ١٤٥٠م) الذى درس فى القسطنطينية وعشق الفكر الكلاسيكى وهناك من يقرر ترويجيه لفكرة إنشاء أكاديمية أفلاطونية فى فلورنسا، وقد صنف مؤلفًا فى المفاضلة بين اثنين من أعلام الفكر الفلسفى اليونانى هما أفلاطون وأرسطو<sup>(١٥)</sup>.

ومن أعلام البلاغة ، والمخطابة خلال تلك المرحلة :خمنوس Chumnos وقد ترك عشرات الرسائل فى مجالات الأدب وكذلك اللاهوت والفلسفة<sup>(١٦)</sup> مما عكس موسوعية معارفه وتعددتها بين علوم مختلفة .

١- أحد رستم . الروم . ج ٢ . ص ٢٧.

٢- نفسه ، نفس الصفحة

٣- زينب والشه . تاريخ أوروبا الحديث . ج ١ . ص ٧.

٤- أحد رستم ، المرجع السابق . ص ٢٧٠ - ص ٢٧١.

٥- أحد رستم . الروم . ج ٧ . ص ٢٧٢.

٦- ص ٢٧٢

ويضاف إليه ؛ بلاتدوس Planados الذي كان عالماً لغوياً ، وعاصر ميخائيل الثامن ، وأندرونيكوس الثاني ومن أهم مؤلفاته رسائل في جراماتيكا اللغة اليونانية كذلك ساهم في أمر الترجمة فقام بنقل عدة مؤلفات لاتينية إلى اليونانية<sup>(١١)</sup>.

وفي مجال الأدب تشير إلى يوحنا خورتا سمينوس John Chortasmonos (ت ١٤٣٦-١٤٣٧م) ، ووصلت إلينا رسائله التي وجه أغلبها إلى الامبراطور مانويل الثاني كذلك نظم عدداً من القصائد ، وما يذكر عنه شكواه الفاتمة من شطف العيش<sup>(١٢)</sup> ومع ذلك فيسرف بعشق الكتب التي كانت له - على ما يبدو - خير عزاء عما عاناه على المستوى المادي

كما لا ننقل من الأعلام الذين تأثروا بهم خلال تلك المرحلة مانويل خريسو لوراس Ma-nuel Chrysoloras (ت ١٤١٥م) الذي قام بتدريس اللغة اليونانية في فرنسا عام ١٣٩٦م. كما قام بأدوار دبلوماسية نشطة عام ١٤٠٨م من خلال سفره إلى باريس ، ولندن ، والبندقية. كذلك شارك في مجمع كونستانس عام ١٤١٤م.

على أية حال ؛ يذكر عنه سعيه إلى إحياء اللغة اليونانية في إيطاليا ، ومن بين أهم مؤلفاته كتابه عن قواعد اللغة اليونانية الذي كان له تأثيره البارز وعنوانه "Ennema"<sup>(١٣)</sup>

كذلك تشير إلى جورج مينوخيتس (ت ١٣٢٨م) الذي عمل رئيساً للشمامسة وكانياً ويذكر عنه بلاغته الجلية خلال المفاوضات التي جرت بين ميخائيل الثامن مع الباباوية وكان مانياً عن الامبراطور المذكور خلال مجمع ليون ١٢٧٤م. وقد ترك بعض المؤلفات العقائدية التي يقرر ديمالد نيكول أنها كانت تنمو نحو المذهب اللاتيني<sup>(١٤)</sup>.

أما إذا أردنا عقد مقارنة مrojزة بين أسرة باليولوج ، والأسرات البيزنطية السابقة عليها ، نجد أنها حكمت قرابة قرنين من الزمان (١٩٧عاماً) فهي بالتالي من أطول الأسرات الحاكمة

على مدى ذلك التاريخ المديد وبالتالي فالت في ذلك الأسرة المقدونية (١٩٠) عامًا على سبيل المثال ، غير أنه من الواضح أن الفارق الزمني محدود بين الأسرتين.

من جهة أخرى، نلاحظ أن تلك الأسرة تفوقت زمنيًا على الأسرة السابقة عليها وهي أسرة المجيلوس إذ حكمت نحو عشرة أضعاف مدة حكمها. ومع ذلك ؛ تتفق الأسرتان في نوعية الأباطرة الضعاف. فلم تعد بيزنطة بقيادة على إتيهاب أباطرة مثل مؤسس الأسرات السابقة، بل من بشيخ بيزنطة إلى مثواها الأخير ؛ وإن تشابهت معها في زلوية أن كلاً من الأسرتين شهدت السقوط البيزنطي كما حدث عام ١٧٠٤م. ١٤٥٣م مع ملاحظة أن الأول استمرت من بعده قرنين من الزمان ، أما الثاني فكان يعنى النهاية.

ولانسفل أنه إذا كانت أسرة قسطنطين (٣٢٤-٣٧٨م) توصف بأنها أسرة البداية والتأسيس فإن أسرة باليولوغوس - في المقابل- توصف بأنها أسرة النهاية ، وتعد الأسرات الأخرى بمثابة حلقة الوصل بين الأسرتين المذكورتين .

من زاوية أخرى، يتطلب الأمر منا الإقرار بأن أسرة المجيلوس تتشابه مع الأسرة الهرقلية، وكذلك الأسرة الإيسورية في التعامل مع الضغط العسكري للمسلمين في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والسلطين العثمانيين وإذا كانت الأسرة الإيسورية نجحت في المواجهة إلا أن الأسرتين الهرقلية وأسرة المجيلوس فشلتا. وإذا كانت الأسرتان الأولى والثانية نجحتا في المواجهة إلا أن الأخيرة أخفقت فكانت أحداث ١٤٥٣م.

كذلك لا ننكر ؛ أن أسرة باليولوج اتضح خلالها تآزم العلاقة مع الغرب الأوربي على الرغم من التنازلات البيزنطية الغير مسبقة ، وبالتالي ؛ يمكن القول أن ما حدث في عهد الأسرة العسورية من خلال قطيعة فوشبوس، وكذلك ما وقع في عهد الأسرة المقدونية من الإنشقاق الأعظم ، اتضح آثاره السلبية على بيزنطة في عهد أسرة باليولوج التي كان من عوامل سقوطها ؛ الصراع الطويل بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني .

ذلك عرض عن أسرة باليولونج آخر الأسرات البيزنطية الحاكمة

## الخاتمة

نتجت عن هذه الدراسة عدة نتائج مهمة يمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: إن هناك إشكالية متعددة الأوجه في دراسة التاريخ البيزنطي، لعل من أبرز معالمها: الاتساع الزمني والمكاني الخاص بالإمبراطورية البيزنطية، ثم الدور الكاسح لمؤرخي الأسرات البيزنطية الحاكمة مقارنة بالأدوار التاريخية الأخرى للأباطرة الثانويين. وما أكتسبهم إلا من هناك «كاريزما» البطل ودورها في معالجة المورخ للأحداث التاريخية، كذلك لا تنفصل الطابع الرسمي للمصادر، ثم زاوية الدعاية في النصوص المصدرة وانعكاسها على المعالجات الحديثة، ولا تنفصل مشكلة أساسية في صورة المركزية الأوربية التي كان لها تأثيرها الواضح في معالجة بعض المؤرخين العرب من تأثر بها بصورة أو بآخرى.

ولا ننفل: أنه في حالة إدراك المورخ لمظاهر تلك الإشكالية، فبالتالي تتزايد مصاعب دراسة تاريخ تلك الإمبراطورية ويتحول هو نفسه جزءاً منها

ثانياً: حاولت الدراسة تقديم تصور لأعمال عدد من الأباطرة البيزنطيين من عملت المركزية الأوربية على إبراز أدوارهم بنوع من الدعاية، ولكن من خلال استعراض تلك الأعمال التي قاموا بها: من الممكن التوصل إلى اكتشاف إيجابياتها وكذلك ما فيها من سلبيات تركت أحبباً أسوأ الأثر على مسار التاريخ البيزنطي بوجه عام، ويبقى الأمر مجرد وجهات نظر، ولكل مورخ تصورات طالما أنها مدعومة بمنطق الأحداث التاريخية لا من خلال رؤية شعرونية أو من زاوية اعتساف الأحكام أو القولية إلى نحو ذلك من التصورات التي تتعارض مع الموضوعية التاريخية الواجبة ومن الطبيعي أن تختلف التصورات والرؤى لأن ذلك يمثل طبيعة الدراسات التاريخية ذاتها

ثالثاً: أكدت الدراسة على فعالية العوامل الداخلية ودورها البارز في سقوط بيزنطة أول مرة عام ١٢٠٤م خلال أحداث ما عرف بالصليبية الرابعة، المرة الثانية: عندما سقطت إلى عبر رجعة من خلال فعاليات الأتراك العثمانيين في عهد محمد الفاتح عام ١٤٥٣م، وبالتالي كان السقوط من الداخل قبل الخارج، وتفاعلت العوامل الداخلية، والخارجية معاً: لتضع النهاية الواقعية لتاريخ بيزنطة أطول الإمبراطوريات عمراً في تاريخ العصور الوسطى قاطبة دون منازع: وينبغي ألا نخدع بفكرة الاشارات المصدرة والمرجعية من فعاليات العامل الخارجي فقط بمعزل عن تأثير العوامل الداخلية.

رابعاً : انضع من خلال الصفحات السابقة ! الطابع البرجماني ، « واليكياثيلي » في التاريخ السياسي البيزنطي ، وبالتالي ، فإن حوادث الاغتيال ، والخيانة والغدر تمثل جزءاً لا يتجزأ من ذلك التاريخ على نحو لا يستطيع المؤرخ الموضوعي تجتبه مهما كانت درجة تعاطفه مع أبطاله التاريخيين

ومن الممكن القول : أن بيزنطة الإمبراطورية بعد رحلة دامت أكثر من ١١ قرن من الزمان عجزت عن تقديم نموذج أخلاقي رفيع يتمثل في أحد أباطرتها الكبار إلا ما ندر ، وظل تاريخها تشبه الدساتيس ، والمؤامرات على مستوى ما سعى بالنخبة العسكرية ، والسياسية على الأقل ، وبالتالي : فإن رؤية المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون Edward Gibbon حبالها التي أوردتها في كتابه عن إضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية منذ زمن بعيد لم تشأ من فراغ بل مر خلال استقراء تاريخي يحمل جانباً من الواقعية ، دون أن تغفل ما كان لتلك الإمبراطورية - في المقابل - من جوانب حضارية مشرقة لا بد من الإشادة بها لأنها جزء ، من التراث الحضاري الانساني عموماً

خامساً : تأكد لنا من خلال العرض السابق : أن النطاق الزمني الطويل لبيزنطة على غير المؤلف في أعمار القوى السياسية في العصور الوسطى : لم يكن يرجع إلى فترات بيزنطية ذاتية فقط بل إن القرنين الأخيرين من عمرها كانت تعيش خلالها مرحلة احتضار طويل الأجل ، وقد أثرت أحداث فعالة لدى أعداء بيزنطة في « تأخير » سقوطها ، خاصة أنها في مرحلتها الأخيرة لم تكن تمثل عنصراً فاعلاً بل كانت الإمبراطورية الصدى : أي تعبر عن ردود الأفعال على قوة العثمانيين التي تبرز بها من خلال تناميها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، ناهيك عن القرب المتريص بها كنسبياً ، ثم هناك الضعف البيزنطي بعد أن شاخت وهرمت ولم تعد تستطيع التفاعل بفعالة تاريخية مع تلك « القوة العثمانية الشابة » كانت تعرف هدفها بطلاً ، وتسعى له بقوة ودائماً التاريخ للأقوى والأصلح .

سادساً : انضع لنا من خلال العرض السابق : أن التاريخ البيزنطي على الرغم من أن وفقنمه ذات معالم واضحة من خلال معالجة المصادر التاريخية المختلفة إلا أن قراءته اختلفت من مدرسة تاريخية غربية إلى أخرى ، ويكفي أن نذكر : أن معالجة المؤرخين المحدثين الروس ، واليونانيين نظرت إلى ذلك التاريخ على اعتبار أنه جزء لا يتجزأ من التاريخ القومي الروس ، واليوناني ، وإنعكس ذلك بالضرورة على معالجاتهم والمواقف الفكرية التي اتخذوها ،

وغجبتهم لأباطرة معينين، خدمة لأهداف تاريخهم القومي. وهكذا؛ يتأكد لنا أن هناك عدة أشكال مختلفة لقراءة وكتابة التاريخ البيزنطي في داخل المركزية الأوروبية الواحدة - وهو أمر غير موجود في المدرسة التاريخية العربية لإهتمام وجود مركزية بديلة أصلاً للألف الشديد - وبالتالي؛ من الضرورة بمكان الحق عند التعامل مع إسهامات أولئك المؤرخين الأوروبيين، وضرورة إدراك دوافعهم للكتابة التاريخية في المجال المذكور

سابعاً : ومن الجوانب المهمة التي حرصت الدراسة على إبرازها ؛ ضرورة إيجاد مركزية عربية إسلامية في مواجهة المركزية الأوروبية كنوع من التعبير عن الهوية . ولتجنب التبعية الفكرية للغرب الأوربي، والأمريكي الذي يقدم لنا تصورات، وللأسف هناك من المؤرخين من يأخذها دون ملاحظة أن هناك دوافع لتصورات أولئك الباحثين الغربيين لا تنفصل عن تطور مراحل الكتابة التاريخية في أوطانهم ذاتها، كما أنها لا تنفصل عن النظرة الاستعمارية الغربية

كذلك ؛ لا تغفل أن مواجهة الاستشراق تكون من خلال « الاستغراب » - كما نادى بذلك المفكر المصري حسن حنفي قبلون ذلك ؛ يظل الأمر في صالح الطرف الآخر، وتكون الكتابة التاريخية العربية في المجال البيزنطي - كمثل فقط - تعبر عن توجهات الغرب الأوربي أكثر من توجهاتنا العربية والإسلامية ذاتها !!! عما عبر عن أزمة هوية حقيقية !!!

ثامناً : على الرغم من الطابع الذكوري لمصادر التاريخ البيزنطي ذاتها، وكذلك مسار حكم أسراته بصمة عامة؛ إلا أنه من العسير كتابة معالمة دون المرأة التي كانت الأم والزوجة والابنة، والعشقة، وقد كان لها دورها في معترك السياسة، وكذلك الحياة العامة بكافة أشكالها وصورها، ويتبقى هنا الإشادة بالدراسة الرائدة بالعربية لـ أ.د. علي المجنوزي عن المرأة البيزنطية - وهي مؤرخة رائدة في التاريخ البيزنطي، كما تعد أول مؤرخة عربية حديثة للحروب الصليبية

ولا تغفل في هذا الشأن ؛ أن التعطش للسلطة الإمبراطورية المطلقة جعل أحياناً المرأة البيزنطية تدخل معترك المؤامرات لتصل إلى قمة عالم السياسة وكان ضحيتها القفزة الرحلى ووصل إلى تصور واقعي، وهو أن التاريخ البيزنطي ذاته هو حصاد تاريخ كل البيزنطيين الرجال والنساء دون التعصب لطرف على حساب الآخر، على نحو يضر بالرؤية التاريخية الموضوعية

تأسفاً على الرغم من القرون العديدة التي عاشتها تلك الإمبراطورية ، إلا أنها امتازت بوجود أيام محددة حاسمة ومكتشفة تركز فيها تاريخها بصورة غير مسبقة ما بين لحظتي الميلاد والمات، ومن أمثلتها دون حصرها

- ١١ مايو ٣٣٠ الميلاد

- ١٦ أغسطس ١٠٧١م: معركة مانزكوت

- ١٣ أبريل ١٢٠٤م : الغزو اللاتيني.

- ١٥ أغسطس ١٢٦١م: استرداد البيزنطيين للقسطنطينية

- ٢٩ مايو ١٤٥٣ : المات.

ومن الملفت للانتباه : أن الأيام المذكورة كان نتاجاً لمرحلة زمنية سابقة عليها قد تطول لتصبح عدة قرون، وبالتالي فهي تعد بمثابة أيام الحصاد « للفتري أن شهر الصيف (أبريل، مايو ، أغسطس) كانت من أكثر شهور العام تأثيراً على مسار التاريخ البيزنطي . وأن « وقف الشتاء » أحياناً إلى جوار بيزنطة كما حدث بالنسبة لشتاء ٧١٧-٧١٨م أصلفت الإشارة من قبل في عهد الأسرة الأيسورية

وفسما يتصل بفكرتي الميلاد والمات في التاريخ البيزنطي؛ نلاحظ أن تلك الإمبراطورية - على نحو خاص- ظلت تكافح شعب الموت بكل وسيلة ممكنة سياسية وعسكرية وتنصيرية على الرغم من كثرة الاعناء من كافة الاتجاهات بصورة غير مسبقة ، إلا أن الموت كان « ضرورياً » على المستوى التاريخي ليضع نهاية لاحتضار طويل بلا فعالية تاريخية حقيقية خاصة خلال المرحلة الأخيرة من تاريخها

ومن مفارقات التاريخ : أن مشهد لحظة الميلاد الامبراطور قسطنطين . ومن عاصر لحظة النهاية حمل نفس الاسم ولكنه قسطنطين الحادي عشر . كذلك فإن شهر الميلاد كان عبثه شهر المات وأعتى شهر مايو حيث ولدت في ١١ مايو ٣٣٠ . وماتت في ٢٩ مايو ١٤٥٣ . ولاتفعل أن البيزنطيين أنفسهم اعتقدوا في نبوة تقول أن العدو الذي سيجهرز على إمبراطورينهم سيأتى من الشرق وهو ما حدث فعلاً !! ولا تفعل هنا تأثير الجانب الغيبي من الشعبية البيزنطية بصفة عام

هكذا تاريخ بيزنطة، صراع بين الميلاد والمات ومفارقات تدعو للتأمل .

عاشراً : تأكد لنا من خلال الصفحات السابقة : أن طول عمر الامبراطورية البيزنطية ساهمت فيه إلى حد كبير عدة عوامل مشتركة مثل سياسات بعض الأباطرة الأقوياء ، وكذلك كفاءة الجيش والأسطول البيزنطيين عندما كانا قادرين على صنع الانتصارات براءً وبحراً ، ثم الدبلوماسية والأخيرة ذات دور مزدوج التأثير فعندما كانت الإمبراطورية ذات القدرة على الفعلية التاريخية؛ كانت دبلوماسيتها تعبر بوجه عام عن تلك الفترة ، أما عندما كانت تمر بمرحلة ضعف لجأت إلى الدبلوماسية كحل مؤقت لكسب الوقت وتجنب فتح جبهات متعددة في وقت واحد

وبصفة عامة: من الممكن مقارنة القسطنطينية في مراحلها المتأخرة بفرناتة في الأندلس حيث لجأت للعاصمتان إلى طرق مواءمة الدبلوماسية ورغبة في سلام شاحب حفر ، وكان ذلك حلاً خادعاً لأنه كان يعني تأخير التصير المحتوم الأخير ويخلق خطأً جديلاً ووردياً يستيقظ صاحبه على ضربات الموت !

من جهة أخرى : لا تغفل أن من أسلحة تلك الدبلوماسية تطلعت جزئياً في . التصير حيث تمكن المنصورون البيزنطيون من تحقيق ما عجزت عن تحقيقه قدرات القادة العسكريين أحياناً ، ولاتسى أن بيزنطة تمكنت من اجتياح روسيا كاملة بفضل ذلك السلاح القهقار . وإذا أضفنا إلى ذلك كله عنصر المصالحات السياسية الذي أوجد واقعاً تحالفياً جديداً لصالح الإمبراطورية وكانت تدرك أهميته وفعاليته في تحقيق مصالحها العليا . وهكذا : تأكد لنا أن بيزنطة « حاربت » بالدبلوماسية كما حاربت بقواتها العسكرية والتقى الأسلوبان معاً لينتج تدعيم الوجود التاريخي لتلك الإمبراطورية ، ولا ريب في أن تعاملها مع عدد كبير من القوى السياسية المعاصرة لها في الشرق والغرب : أدى إلى إثراء خبراتها الدبلوماسية بصورها المتعددة على نحو أنفادها تماماً في التعامل مع تقلبات الظروف الدولية المعقدة التي واجهتها مع ملاحظة : أن تلك الدبلوماسية لم تكن لتمتص التصير النهائي المحتوم لبيزنطة .

حادى عشر : تأكد بالأدلة التاريخية الجلية : أن المسلمين كانوا عنصرًا فعالاً في صنع وقائع التاريخ البيزنطي على مدى تسعة قرون كاملة من جملة أحد عشر قرناً هي عمر ذلك التاريخ ، وهكذا : لا يمكن بأي حال من الأحوال كتابة معاشه دون التعرض للفعاليات المسلمين الحربية والسياسية والمضايقة على مدى عهود الأسرات البيزنطية الحاكمة منذ عهد الأسرة الهرقلية حتى عهد أسرة باليولرج ، ومن الخطأ البين إبراز وجه العلاقات بين الطرفين على

الصعيد الحرشي فقط وأعمال الجوانب الأخرى التي عكست حضارة الاسلام في القرون الوسطى ، ولا تغفل أن إبراز الجانب الحرشي فقط في كتابات المؤرخين الغربيين يساعد على تكريس الطابع العدائي لحركة الجهاد الإسلامي وتصويرها على أنها للسلب والنهب ولم تكن مصاحبة بدور حصاري واضح المعالم

ومن الممكن التقرير بأن هناك ثلاثة من قادة المسلمين في العصور الوسطى ساهموا مساهمة عسكرية بارزة في إيصال البيزنطة إلى مشاها الأخير في صورة خالد بن الوليد عام ٦٣٦ م ، وألب أرسلان عام ١٠٧١-١٠٧٢ م ، ومحمد الفاتح العثماني عام ١٤٥٣ م ، ومن الخطأ البين تصور العام الأخير متفصلاً عن الرحلة الطويلة والشاقة التي قطعها المسلمون من القرن السابع وصولاً الى القرن الخامس عشر الميلادي من أجل تحقيق الحلم الإسلامي الكبير بفتح القسطنطينية ، وهكذا ، فبالتركيز على المرحلة العثمانية على اعتبار أنها شهدت تحقيق ذلك الحلم بصورة نهائية قد يزدى إلى عدم الموضوعية والنظرة الاعتمادية الجزئية . لأن الخدمات السابقة أكدت النتيجة المختامية عام ١٤٥٣ م.

ولم يخفى الباحثون الغربيون للإسلام وأهلها: ذلك الدور . ومن ثم وجدنا التحامل من خلال دوافع استشراقية لا تخفى على أحد ويستثنى من ذلك قلة قليلة ، ونبرة نادرة من المشرقين النصفين.

وجدير بالملاحظة : أن التاريخ دوماً يكتبه الأقوياء . وفي الوضع الحالي الراهن ، ومن خلال وهم «الاسلاموفوبيا» الذي يسيطر على الذهنية الأوروبية والأمريكية ، من المفترض دوماً صالحة أن ذلك كله سينعكس بصورة أو بأخرى على مجالات الكتابة التاريخية عن العلاقات الأوروبية- الإسلامية في القرون الوسطى- والجانب البيزنطي أحد عناصرها . من أجل مراصلة إثارة المواجهات الماضية وأشعار القارئ بأن الإسلام دائماً وأبداً دين العنف والدموية! وهو أمر مغلوط نظراً لكون الاسلام نفسه حضارة كما وصفه العلامة الراحل حسين مزنس .

إن الوضع السابق؛ جعلنا في مفترق الطرق . وبدون التنبيه إلى ضرورة أن تكتب تاريخ بأفلات ، ومن حصاد مجارنا القرمية ، والدينية سيظل « الآخرون » يكتبونه لنا وخطورة ذلك الآن أكبر على نحو ينعكس كله على تاريخنا الذي هو أفضل ما نملك ومن المؤكد أن العلاقات العربية البيزنطية ، ومرحلة الحروب الصليبية على نحو خاص سيتم التركيز عليها في الغرب تحقيقاً لتصورات وأهمة هي نتاج ما يوصف بأنه عصر العولمة ! والتي في حقيقتها اذابة الثقافات خدمة للغرب والغرب فقط!

وبعد : فتلك أهم الملاحظات الختامية التي أمكن الخروج من الدراسة، وما زال التاريخ البيزنطي يحمل في طياته الجديد طالما أمكن التعامل معه من خلال رؤية تاريخية نقدية واعيـه لمشاكل دراسته ؛ وهي أساسية من الناحية المنهجية . والأمل معقود على غيرى من الباحثين الجادين من ذوي الخبرة من أجل تسليط الأضواء الكاشفة على تلك الحقبة المحيرة في تاريخ العصور الوسطى.

ذلك عرض لأهم النتائج التي نتجت عن الدراسة.



## فهرس الملاحق

- ١- الأسرات البيزنطية الحاكمة (٢٢٠-١٤٥٣م)
- ٢- الخلفاء الفاطميون في مصر (٩٧٢-١١٧١م)
- ٣- السلاطين العثمانيون (١٢٩٩-١٥٢٠م)
- ٤- الترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي
- ٥- أبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها  
الامبراطور ثقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي  
المطيع لله متهدداً ومتوعداً
- ٦- المستعمرات البيزنطية التي خضعت للبندقية بعد  
عام ١٢٠٤م



## ملحق رقم (١) الأسرات البيزنطية الحاكمة

- أسرة قسطنطين (٣١٤ - ٣٧٨ م)
- قسطنطين Constantine (٣٢٧-٣٢٤ م)
- قسطنطين الثاني Constantine II (٣٢٧ - ٣٤٠ م)
- قسطنز Constance (٣٢٧ - ٣٥٠ م)
- قسطنطيوس Costantius (٣٢٧-٣٦١ م)
- جولييان المرتد Julian The Apostate (٣٦١-٣٦٣ م)
- جوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤ م)
- فالنز Valenz (٣٦٤-٣٧٨ م)
- أسرة ثيودوسيوس (٣٧٩-٥١٨ م)
- ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩-٣٩٥ م)
- أركاديوس Arcadius (٣٩٥-٤٠٨ م)
- ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠ م)
- مارقيان Maracian (٤٥٠-٤٥٧ م)
- ليو الأول الكبير Leo I The Great (٤٥٧-٤٧٤ م)
- ليو الثاني Leo II (٤٧٤ م)
- زينون Zeno (٤٧٤-٤٩١ م)
- أناستاسيوس Anastasius (٤٩١-٥١٨ م)
- أسرة جستنيان (٥١٨-٦١٠ م)
- جستنيان الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧ م)
- جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥ م)
- جستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨ م)

- تيبيريوس الأول (Tiberius I ٥٧٨ - ٥٨٢ م)
- موريس (Maurice ٥٨٢ - ٦٠٢ م)
- فوكاس (Phocas ٦٠٢ - ٦١٠ م)
- أسرة هرقل (٦١٠ - ٧١٧ م)
- هرقل (Heraclius ٦١٠ - ٦٤١ م)
- قسطنطين الثالث (Constantine III ٦٤١ م)
- قسطنز الثاني (Constance II ٦٤٢ - ٦٦٨ م)
- قسطنطين الرابع (Constantine IV ٦٦٨ - ٦٨٥ م)
- جستنيان الثاني (Justinian II ٦٨٥ - ٦٩٥ م)
- ليونتيوس (Leontius ٦٩٥ - ٦٩٨ م)
- تيبيريوس الثاني (Tiberius II ٦٩٨ - ٧٠٥ م)
- جستنيان الثاني (عبدته) (Justinian II ٧٠٥ - ٧١١ م)
- فيليبيكوس (Philippicus ٧١١ - ٧١٣ م)
- اناستاس الثاني (Anastas II ٧١٣ - ٧١٥ م)
- ثيودوسيوس الثالث (Theodosius III ٧١٥ - ٧١٧ م)
- الأسرة الأيسورية (٧١٧ - ٨٢٠ م)
- ليو الثالث (Leo III ٧١٧ - ٧٤١ م)
- قسطنطين الخامس (Constantine V ٧٤١ - ٧٧٥ م)
- ليو الرابع (Leo IV ٧٧٥ - ٧٨٠ م)
- قسطنطين السادس (Constantine VI ٧٨٠ - ٧٩٧ م)
- إيرين (Irene ٧٩٧ - ٨٠٢ م)
- خلفاء الأيسوريين
- نقفور الأول (Nicephorus I ٨٠٢ - ٨١١ م)

- ستور اكيوس Stauracius (٨١١م)
- ميخائيل الأول وانجاب Michael I Ranagab (٨١١-٨١٣م)
- ليو الخامس الأرمني Leo V (٨١٣-٨٢٠م)
- الأسرة العمورية (٨٢٠-٨٦٧م)
- ميخائيل الثاني Michael II (٨٢٠-٨٢٩م)
- ثيوفيلوس Theophylus (٨٢٩-٨٤٢م)
- ميخائيل الثالث (السكر) Michael III . The Drunkard (٨٤٢-٨٦٧م)
- الأسرة المقدونية (٨٦٧-١٠٥٧م)
- باسيل الأول Basil I (٨٦٧-٨٨٦م)
- ليو السادس (الحكيم) Leo VI The Philosoph (٨٨٦-٩١٢م)
- الكسندر Alexander (٩١٢-٩١٣م)
- قسطنطين السابع يوفيريونيتس Constantine VII Porphyrogenius (٩١٣-٩٥٩م)
- شاركة في الحكم رومانوس الأول Ramanus I Lecapens (٩١٩-٩٤٤م)
- رومانوس الثاني Romanus II (٩٥٩-٩٦٣م)
- نغفور فوكاس Nicophorus Phocas (٩٦٣-٩٦٩م)
- يوحنا الأول تزيميسكس John I Tzimiskes (٩٦٩-٩٧٦م)
- باسيل الثاني (سقاج البلغار) Basil II Bulgaroctonus (٩٧٦-١٠٢٥م)
- قسطنطين الثامن Constantine VIII (١٠٢٥-١٠٢٨م)
- زوي Zoc (١٠٢٨-١٠٥٠م)
- شاركتها في الحكم أرونجينا
- رومانوس الثالث Romanus III (١٠٢٨-١٠٣٤م)
- ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤-١٠٤١م)
- ميخائيل الخامس Michael V (١٠٤١-١٠٤٢م)

- قسطنطين التاسع (مرونماخوس) Constantine IX (١٠٤٢ - ١٠٥٤م)
- ثيودورا (عزوتها) Theodora (١٠٥٤ - ١٠٥٦م)
- ميخائيل السادس Michael VI (١٠٥٦ - ١٠٥٧م)
- أسرتى دوغاس وكومنين (١٠٥٧ - ١١٨٥م)
- إسحق الأول كومنين Issac I Comnenus (١٠٥٧ - ١٠٥٩م)
- قسطنطين العاشر (دوكاس) Constantine X Ducas (١٠٥٩ - ١٠٦٧م)
- رومانوس الرابع (ديرجينيس) Romanus IV Diogenes (١٠٦٧ - ١٠٧١م)
- ميخائيل السابع (دوكاس) Michael VII Ducas (١٠٧١ - ١٠٧٨م)
- نيقفور الثالث (بوتانياتس) Nicephorus III Botaniates (١٠٧٨ - ١٠٨١م)
- الكيسوس الأول (كومنين) Alexius I (١٠٨١ - ١١١٨م)
- يوحنا الثاني (كومنين) Johan II (Comnenus) (١١١٨ - ١١٤٣م)
- مانويل الأول (كومنين) Manuel II Comnenus (١١٤٣ - ١١٨٠م)
- الكيسوس الثاني (كومنين) Alexius II Comnenus (١١٨٠ - ١١٨٣م)
- أندرونيكوس الأول (كومنين) Andronicus I Comnenus (١١٨٣ - ١١٨٥م)
- أسرة أنجيلوس (١١٨٥ - ١١٧٠م)
- إسحق الثاني Issac II Angelus (١١٨٥ - ١١٩٥م)
- الكيسوس الثالث أنجيلوس Alexius III Angelus (١١٩٥ - ١٢٠٣م)
- إسحق الثاني Issac II (١٢٠٣ - ١٢٠٤م)
- الكيسوس الرابع Alexius IV Angelus (١٢٠٤م)
- الكيسوس الخامس Alexius V Angelus (١٢٠٤م)
- الأباطرة اللاتين فى القسطنطينية (١٢٠٤ - ١٢٦١م)
- بولدوين الأول أمير فلاندرز Baldwin I of Flanders (١٢٠٤ - ١٢٠٥م)
- هنرى أمير الفلاندرز Henry of Flanders (١٢٠٥ - ١٢١٦م)
- بطرس كورتناوى Peter of Courtenay (١٢١٧م)

- يولند (١٢١٧-١٢١٩) Yolande
- روبرت الثاني (كورتناي) (١٢٢١-١٢٢٨) Rober II de Courtenay
- بلدوين الثاني (١٢٢٨-١٢٦١) Baldwin II
- تحت وصاية حنا دي برون ثم منفرداً من (١٢٤٠-١٢٦١) م
- أباطرة نيقية البيزنطيين (١٢٠٤-١٢٦١) م
- ثيودور الأول لاسكاريس (١٢٠٤-١٢٢٢) Theodore I Lascaris
- يوحنا الثالث لاسكاريس (١٢٢٢-١٢٥٤) John III Vatatzes
- ثيودور الثاني لاسكاريس (١٢٥٤-١٢٥٨) Theodore I Lascaris
- يوحنا الرابع لاسكاريس (١٢٥٨-١٢٥٩) John III Vatatzes
- ميخائيل الثامن باليولوج (١٢٥٩-١٢٦١) Michael VIII Palaeologus
- أمراء باليولوج (١٢٦١-١٤٥٣) م
- ميخائيل الثامن (١٢٦١-١٢٨٢) Michael VIII Palaeologus
- أندرونيكوس الثاني (١٢٨٢-١٣٢٨) Andronicus II
- أندرونيكوس الثالث (١٣٢٨-١٣٤١) Andronicus III
- يوحنا الخامس (١٣٤١-١٣٩١) John V
- يوحنا السادس كنتاكوزين (١٣٤٧-١٣٥٤) John VI Cantacuzene
- أندرونيكوس الرابع (١٣٧٦-١٣٧٩) Andronicus IV
- يوحنا السابع (١٣٩٠) John VII
- مانويل الثاني (١٣٩١-١٤٢٥) Manuel II
- يوحنا الثامن (١٤٢٥-١٤٤٨) John VIII
- قسطنطين الحادي عشر (١٤٤٩-١٤٥٣) Constantina XI<sup>(١)</sup>.

---

١- عمدة لاد أنظر

Ostrogorsky , History of the Byzane State, p. 516 .

Vasilev, History of the Byzantine Empire, p. 725-726 .

عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية . ص ٢٤٧- ٢٥٢

## التعليق

عد إمعان النظر في قوائم الأباطرة البيزنطيين يمكن الخروج بعدة دلالات تبرز في الآتي:

١- من بين عشرات الأباطرة الذين حكموا من عام ٣٣٠ إلى ١٤٥٣م، مع استثناء المرحلة الواقعة بين عامي ١٢٠٤ - ١٢٦١م على اعتبار أنها تمثل احتلالاً لاتينياً، نلاحظ أن أبرز الأباطرة البيزنطيين من خلال أعمالهم السياسية أو الحربية أو العمرانية أو القانونية هم

١- قسطنطين الأول ٣٢٤ - ٣٣٧م

٢- ثيودوسيوس الأول ٣٧٩ - ٣٩٥م

٣- جستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥م

٤- هرقل ٦١٠ - ٦٤١م

٥- ليو الثالث الأيسوري ٧١٧ - ٧٤١م

٦- ميخائيل الثاني العموري ٨٢٠ - ٨٢٩م

٧- باسيل الثاني ٩٧٦ - ١٠٢٥م

٨- الكسيسي كومنين ٨٩١ - ١١١٨م

٩- ميخائيل الثامن ١٢٦١ - ١٢٨٢م

من الملاحظ، أن الصفة الغالبة على أولئك الأباطرة أنهم من مؤسسي الأسرات البيزنطية الحاكمة، وتنطبق ذلك على الأباطرة لرقام (١)، (٧)، (٤)، (٥)، (٦)، (٨)، (٩)، أما الاستثناء، فيرتبط بقرص (٣)، (٧)

٢- في حالة جمع مدد الأعوام التي حكمها أولئك الأباطرة نجد أنها حوالي (٢٦٦) عاماً، وستطيع القول: أنها الأعوام الأكثر فعالية في التاريخ البيزنطي، وقد أثرت في كافة القرون التالية، ومن الممكن القول أن مدة استمرارية التاريخ المذكور والتي بلغت (١١٢٣) عاماً؛ أي أحد عشر قرناً وقرابة ربع القرن، لم تكن فيها فعالية تاريخية حقيقية مؤثرة داخلياً وخارجياً إلا في ٢٦٦ عاماً مع عدم اغفال بعض الاستثناء، أحياناً بالطبع، أما الأعوام الأخرى، فقد تولى أمرها أباطرة ثانويين، ومرة أخرى - لواجهة جدد متوقع في هذه الناحية على نحو خاص - فإن الامبراطور الثاني في تصوري هو ظل لأباطرة فاعلين سابقين، أو الامبراطور المهزوم عسكرياً وسياسياً أو الذي أثبتت وفائعه التاريخ البيزنطي قصر نظره أو حدوث عواقب

وخيمة لسياسته في المرحلة التالية لوفاته ، ولذلك : تم إعتبار الامبراطور مانويل كومنين ١١٤٣ - ١١٨٠م من أولئك الأباطرة<sup>(١)</sup>.

٢- ليس معنى وجود أباطرة ثانويين ، أنهم بلا قيمة للتاريخ البيزنطي. إذ أنهم كانوا جسوراً عبر عليها الأباطرة اتفعاين المؤثرين في ذلك التاريخ. وبدونهم ما كان لنا أن ندرك حجم فعاليات المؤثرين في ذلك التاريخ ، وبدونهم ما كان لنا أن ندرك حجم فعاليات الأباطرة السالفي الذكر سواءً المؤسسين للأسرات الحاكمة أو غيرهم من خلال المقارنة التاريخية الموضوعية التي وجدنا من شأنها الاقتراب - قدر مكان - من الحقيقة .

٤- إن دلالة القول بأن (٢٦٦) عاماً هي تركيز لفعاليات بيزنطة تاريخياً من بين (١١٢٣) عاماً يدل دلالة وضاحة على أن العمر الطويل لتلك الامبراطورية لم يكن كله وجود بيزنطي فاعل في التاريخ ب؛ ل كان أشبه ببيات شتوي طويل الأحد. ومن بين ما زاد على أحد عشر قرناً من الوجود الزمني، هناك فقط قرنان وقرابة ثلاثة أرباع قرن فقط من الحصرية التاريخية. ومن الخطأ البين تصور أن البقاء في التاريخ بقاء زمني بل البقاء يعني الدور التاريخي، وهو ما لا يجده بجلالة إلا لدى قلة من الأباطرة من بين عشرات آخرين كما اتضح من العرض السابق

وقد يتساءل البعض؛ ما تحليل تلك الاستمرارية إذ أن بيزنطة عُدت إمبراطورية معمرة في عالم العصور الوسطى؟ والإجابة ليست عميقة المثال : إذ أن عبقرية المكان وأعنى به القسطنطينية : كان بمثابة العامل الرئيسي وراء ذلك الوضع دون إغفال تأثير العراجل الأخرى. مجتمع - ولاتفعل : أن الأعوام الـ (٢٦٦) كانت بمثابة مقويات فعالة للتأثير في الجسد الامبراطوري<sup>(٢)</sup> على نحو ضمن لبيزنطة الاستمرار يمثل تلك الصورة، ولاتنكر أن الخلافات

١- ارد الإشارة هنا إلى أن تأليف دراسات متخصصة عن مانويل كومنين مثل دراسة ماجد وليم السري أشدت بها من قبل - وغيرها - لأعنى أنه من الأباطرة الرئيسيين الكبار في التاريخ البيزنطي . بل أن الأمر مرتبط بالجدل الذي ثار بين الذين جدد حول سياساته ومسئوليته عن الأحداث التالية لمدة حكمه وبالتالي يسمى عدل المخط بين الدور التاريخي الفعلي، والجعل الذي ارتبط بالامبراطور ما من الأباطرة البيزنطيين

٢- ولا أدل على ذلك من أن أ. د. إسحق عبيد قرو عن الامبراطور ميخائيل بالبرولوجوس ما يصح

الحادة التي كانت تقع في صغرى أعدائها ساعدت على إطالة عمرها ، وقد كان هناك أعداء على جانب كبير من الخطورة في صورة الروس ، والمدن التجارية الإيطالية وعلى نحو خاص البندقية والمسلمين ، والعدو الأول وجدت السبيل لاختراقه من خلال التنصير والثاني وقف وراء كارتة ١٢٠٤م ، بالنسبة للمسلمين فقد امتلكوا القنطرة على وضع سطر النهاية في المسرحية البيزنطية البالغة الطول التي جلبت الملل على مشاهديها خاصة في مشاهدتها المتأخرة .

وهكذا : يمكن القول أن ما زاد على ثمانية قرون ونصف وبالتحديد حوالي (٨٥٧) عاماً كانت بيزنطة فيها تسير في تاريخ غطي وتقليدي توقظه بين الحين والآخر مؤامرة هنا وهناك تصل بأحد السياسيين والقادة العسكريين إلى السلطة التي كان لها بريقها الأحاذ في ذلك العصر

٥- وقد يختلف الباحثون فيما بينهم حول من هو أكثر الأباطرة السالفين الذكر فعالية وحسناً في التاريخ البيزنطي ، ومنطقي أن يتحس كل باحث لمن درس من الأباطرة . وأن يركز الاختيار في أعمال الامبراطور موضع الاختيار ، ومع ذلك : فهناك شخصيتان بارزتان من داخل وحارج بيزنطة كان لها دورها الفعال في تاريخها في صورة قسطنطين الأول المؤسس البارز ومفتتح القسطنطينية ، أما من الخارج فهناك محمد الفاتح العثماني ، الذي لم يقدره المسلمون كما يجب ا وراح ضحية المركزية الأوروبية المتعصبة . مع ملاحظة ، أنه وضع نهاية لكيان متحضر بضعفه الداخلي ، وتمازجت عوامل الداخل والخارج لتصبح انجياز عام ١٤٥٣م التاريخي ومن الملفت للانتباه : أن عامي ٣٣٠م ، ١٤٥٣م يعدان أكثر الأعوام فعالية في التاريخ البيزنطي ويكفي للدلالة على ذلك إرتباطه بالممات بعد قرون الاحضار .

يبنى أن أشير إلى أن كل مؤرخ له اجتهاداته وتصورات وإمكانياته ووجود تصورات معاصرة أمر وارد ومتوقع قائم

٦- من بين عشرات الأباطرة الذين أشار إليهم الملحق المذكور : لا يظهر دور سياسي لمراء ، البيزنطية سوى في حالات قليلة . مثل شهردورا Theodora زوجة جستنيان . وإيريني Irene

= لقد حقن بالبولوغوس بيزنطة بجرعة من الدم الجليل مدت من عمرها مائتي عاماً تقريباً . انظر : سحر عبده . الدولة البيزنطية في عصر بالبولوغوس ١٢٦١ - ١٢٨٢م . منشورات جامعة بنى غارى ط بيروت بيت ص ١٢

(٧٩٧-٢٠٠م) من الأسرة الأيسورية ، وزي Zoc (٢٨-١-٥٠-١م) من الأسرة المقدونية التي حكمت بمعاونة أتراجها . وهي سنوات قليلة بين أكثر من (١١) قرناً من عصر الرمان ، وذلك كله بعكس - بلالرب - الطابع الذكوري للتاريخ البيزنطي ، ولاتفضل أيضاً ؛ أن المزيخين كانوا من الرجال باستثناء حالة واحدة نادرة في صورة الأخيرة أناكومينا . ومع ذلك ، من الممكن الإقرار بأن النساء في أحيان متعددة : حكمن من وراء الستار ، وكان لهن دورهن في توجيه دفة السياسة خدمة لمصالحهن الخاصة بغض النظر - أحياناً - عن الصالح البيزنطي العام

٧- على الرغم من تعدد أولئك الأباطرة البيزنطيين؛ إلا أن هناك عنصراً مشتركاً في الكثير منهم إذا عدنا كبراً منهم وصل إلى العرش من خلال مؤامرة أو تم التخلص منه من خلال أخرى ، والمتأمرين في الغالب من رجال الجيش أو الأسطول والتأمر من رجال الإدارة . وهناك عدة أمثلة على الأباطرة الذين تم قتلهم غيلة ، ومن أمثلتهم: موريس (٥٨٢-٦٠٢م) وفوكاس (٦٠٢-٦١٠م) ، وجستيان الثاني (٦٨٥-٦٩٥م) ، (٧٠٥-٧١١م) ، وتيبيريوس الثاني (٧٩٨-٧٠٥م) ، وميخائيل الثالث السكير (٨٤٢-٨٦٧م) ، وثقصور فوكاس (٩٦٣-٩٦٩م) ويوحنا تزيمسكس (٩٦٩-٩٧٦م) ، والكيسوس الثاني كومنين (١١٨٠-١١٨٣م) ، وأندرونيكوس الأول كومنين (١١٨٣-١١٨٥م) ، والكيسوس الرابع أنجيلوس (١٢٠٣-١٢٠٤م)

ولانفعل ؛ أن القتل كان مصيراً لعدد من الأباطرة في ساحات المعارك التي هزموا فيها مثل فالنز (٣٦٤-٣٧٨م) الذي هزم في معركة أدونة عام ٣٧٨م ضد القوط الشرقيين ، وثقصور الأول (٨٠٢-٨١١م) الذي هزم في معركة ضد اليفغار عام ٨١١م ، ورومانوس الرابع ، يوجينيس (١٠٦٧-١١٧١م) وهزم هو الآخر في معركة مانزكوت ضد السلاجقة عام ١٠٧١م وأحرقت قسطنطين الحادي عشر بالبولوج (١٤٤٩-١٤٥٣م) وهو صاحب الهزيمة الأخيرة في مواجهة الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م ، مما دل على تعدد القتلى من الأباطرة البيزنطيين .

٨- هناك عدد من الأباطرة البيزنطيين أنهروا حياتهم السياسية بالجور إلى الإدارة والإنتمال عن المجتمع وجاء ذلك بعد عزلهم عن السلطة والصحة النفسية عقب الإحباط السياسي ، ومن أمثلتهم : أناستاسيوس الثاني (٧١٣-٧١٥م) وثيودوسيوس الثالث (٧١٥-٧١٧م) ورومانوس الأول ليكابينوس (٩٢٠-٩٤٤م) واسحق الأول كومنين

١٠٥٧-١٠٥٩م) والكسبروس الثالث أنجيليوس (١١٩٥-١٢٠٣م) ، وأندرونيكوس الثانى باليرلوج (١٢٨٢-١٣٢٨م)

٩- لا تغفل زاوية لها أهميتها وهى تتصل بالناحية النفسية والعقلية لدى عدد من الأباطرة البيزنطيين ومن المؤكد أنها أثرت بصورة أو بأخرى على قراراتهم السياسية ومن أمثلة ذلك أن الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) بعد وفاة زوجته ثيودورا صار رجلاً يفضل الرعدة ، والعزلة واعتقد القدرة على الابتكار - كما لاحظ دونالد نيكول - ومن المفترض أصابته باكتئاب نفسى كما أن باسل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) بعد وفاة ابنه الأكبر قسطنطين عام ٨٧٩ يقال ذلك أثر سلبياً على نفسيته وعلى قواه العقلية على مدى الثمانين سنوات الأخيرة من حكمه ، كما تكرر ذات الأمر على باسل الثانى (٩٧٩-١٠٢٥م) الذى تعرف أن حالات من الاكتئاب أصيب بها والواقع أن التفسير النفسى للتاريخ لا يلقى التقدير على الرغم من أهميته ، مع عدم اغفال أن نصص الاشارات المصدرة ومن بعدها المرجعية لتجعل الباحث يتعمق فى تلك الزاوية .

١٠- هناك عدد من الأباطرة تم الانتقام منهم ببشاعة من خلال تسميل أعينهم . ومن أمثلتهم: غليبيكوس ، يردانس (٧١١-٧١٣م) وقسطنطين السادس (٧٨٠-٧٩٧م) وميخائيل الخامس كالافانس (٩١٠-٩١٢م) ، ورومانوس الرابع ديوجينيس (١٠٦٨-١٠٧١م)

وقد حدث ذلك كعقاب من جانب خصومهم السياسيين ، أما أشهر حادثة لتسميل العينين فى التاريخ لبيزنطى فهى تلك التى قام بها باسل الثانى ضد البلفار التى أسلفت الإشارة إليها من قبل . ولا ريب فى أن ذلك يعكس لنا أن هناك طابعاً «سادياً» على المستوى الفردى أو الجماعى فى ذلك التاريخ لا يمكن إنكاره أو تبريره من خلال تصورات العصر . ومثل تلك الممارسات التى استهدفت اغتيال عدد من الأباطرة . وكذلك عمليات التسميل هى التى دعت إدوارد جيبون Edward Gibbon لتبنى تصورات السالفة الذكر فى الأخرى هى تحفظنا لمازق التعصيم الذى يفرض تصور مسبق انتقائى دون إدراك كافة الجوانب الأخرى لاسيما الحصارية المتصلة بتاريخ بيزنطة .

## ملحق ( ٢ )

الخلفاء الفاطميون في مصر <sup>(١)</sup>

- المعز لدين الله ٩٥٢-٩٧٥ م
- العزيز بالله ٩٧٥-٩٩٦ م
- الحاكم بأمر الله ٩٩٦-١٠٢١ م
- الظاهر لإعزاز دين الله ١٠٢١-١٠٣٦ م
- المستنصر بالله ١٠٣٦-١٠٩٤ م
- المستعلي بالله ١٠٩٤-١١٠١ م
- الأمر بأحكام الله ١١٠١-١١٣٢ م
- الحافظ لدين الله ١١٣٢-١١٤٩ م
- الظاهر لدين الله ١١٤٩-١١٥٤ م
- الفائز بنصر الله ١١٥٤-١١٦٠ م
- العاضد لدين الله ١١٦٠-١١٧١ م

---

١- ما بهه محمود، دأود . المسكوكات الفاطمية بجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، دراسة اثرية

رفقة، ط القاهرة ١٩٩١م، ص ١٣

## ملحق رقم (٣) السلطان العثمانيون

( من ١٢٩٩ إلى ١٥٢٠م )

- عثمان الأول بن أرطغرل ١٢٩٩-١٣٢٦م
- أورخان بن عثمان ١٣٢٦- ١٣٦٠م
- مراد الأول بن عثمان ١٣٦٠- ١٣٨٩م
- بايزيد الأول بن مراد الأول ١٣٨٩- ١٤٠٣م
- محمد بايزيد الأول ١٤١٣- ١٤٢١م
- مراد الثاني بن محمد الأول ١٤٢١- ١٤٥١م
- محمد الثاني (الفاتح) ١٤٥١- ١٤٨١م
- بايزيد الثاني بن محمد الثاني ١٤٩١- ١٥١٢م
- سليم الأول بن بايزيد الثاني ١٥١٢- ١٥٦٧م

### التعليق

الأمر المؤكد : أن السلطان محمد الثاني ١٤٥١- ١٤٨١م، الملقب بالفاتح بعد أكبر سلاطين العثمانيين تأثيراً في التاريخ البيزنطي. إذ وضع له النهاية التي تأخرت كثيراً وملاحظ أن قيامه بهزيمة القسطنطينية بعد عامين فقط من توليه السلطنة يؤكد ما لا يدع مجالاً لارتياب مرتاب ، أن إسقاط العاصمة البيزنطية كان هدفاً استراتيجياً للسلاطين العثمانيين وما دور محمد الفاتح إلا تكملة لأدوارهم في جهادها. ثم أنه يعكس لنا حرصه الشديد على أن يدخل بوابة التاريخ «مبكراً» من خلال ذلك العمل الفذ الذي فصلت أمره فيما سبق من عرض تاريخي؛ وذلك دوغماً قولته أو اعتناك في الأحكام.

من المهم ملاحظة : أن السلاطين الذين سبقوا محمد "ثاني" وهم ستة من كبار الحكام العثمانيين ، مهدوا لذلك السلطان تحقيق إنتصاره التاريخي الذي قلب الموازين الدولية بصورة غير مسبوقة في العلاقات بين عالمي الإسلام والمسيحية في أواخر العصور الوسطى ومطلع الحديثة .

## ملحق رقم (٤) الترتيب الزمني لأهم أحداث التاريخ البيزنطي

- ١١ مايو ٣٣٠م. افتتاح القسطنطينية.
- ٩ أغسطس ٣٧٨م معركة أدرنة وهزيمة القوط الشرقيين لفالتر
- ٣٨١م مجمع القسطنطينية.
- ٤٢٨م إصدار مجموعة ثيودوسيوس القانونية.
- ٤٥١م مجمع خلقدونية الكسبي الرابع.
- ٤ سبتمبر ٤٧٦م سقوط الإمبراطور رومولوس أوجستولوس آخر إمبراطور روماني في الغرب
- ١ أغسطس ٥٢٧م جستنيان يتولى العرش.
- ١١-١٩ يناير ٥٣٢م ثورة النصر Nika .
- ٢٧ ديسمبر ٥٣٧م افتتاح كنيسة آيا صوفيا.
- ٥٤١-٥٤٤م وباء الطاعون يجتاح القسطنطينية
- ٢٨ يونيو ٥٤٨م وفاة ثيودورا زوجة جستنيان
- ١٤ نوفمبر ٥٦٥م وفاة جستنيان
- ٦١٥م غزو الفرس لمصر .
- ٦٢٧م - هرقل يلحق الهزيمة بالفرس.
- ٣٠ أغسطس ٥٧٠م حيلاد محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام .
- ١٨ يوليو ٦٢٢م الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة
- ٦٢٩م معركة مزنة بين المسلمين والبيزنطيين.
- ٢٢ أغسطس ٦٣٦م. معركة ليرمرك وانتصار المسلمين بقيادة خالد بن الوليد على جيش الامبراطور هرقل .
- ٦٣٧م الخليفة عمر بن الخطاب يدخل بيت المقدس
- ١١ فبراير ٦٤١م وفاة الإمبراطور هرقل

٦٤٢ م فتح العرب لمصر

٦٤٩ م المسلمون يفتحون قبرص Cyprus

٦٥٤ م المسلمون يفتحون رودس Rhodes

٦٥٥ م معركة ذات الصواري وانتصار المسلمين على البيزنطيين.

٦٦٩ م المسلمون في عهد معاوية بن أبي سفيان يحاصرون القسطنطينية دون جدوى.

٧١٨-٧١٧ م المسلمون في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك يحاصرون القسطنطينية خلال

حكم الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري.

١٨ يونيو ٧٤١ م وفاة ليو الثالث الأيسوري.

٧٥٤ م عقد مجمع كنسي في مدينة هيرا على خليج البفور في عهد قسطنطين الخامس.

٨ سبتمبر ٧٨٠ م وفاة ليو الخزري.

٢٥ ديسمبر ٨٠٠ م شارلمان يخرج من جانب البايلا ليو الثالث في كنيسة القديس بطرس في

روما

٢٥ ديسمبر ٨٢٠ وفاة ليو الخامس الأرمني

٨٦٧ م قطعة فوشبوس بين كنيسة القسطنطينية وروما.

٨٧٠ م المسلمون يفتحون جزيرة مالطة Malta

١١ مايو ٩١٢ م وفاة ليو السادس.

٩٠٤ م المسلمون يفتحون سالونيك Thessalonica

٩٨٦ م هزيمة الامبراطور باسل الثاني من جانب البلغار بقيادة زعيمهم صموئيل في معركة

مر ترانجان Tragan

١٠١٤ م الإمبراطور باسل الثاني يحقق انتصاراً على البلغار في معركة مر كنبالونجر

Kemalongo.

١٠١٩-١٠١٠ م إخضاع بلغاريا وضعا في عهد باسل الثاني.

١٠٤٥ م إعادة تنظيم جامعة القسطنطينية في عهد قسطنطين التاسع.

١٠ يوليو ١٠٥٤ م الإتفاق الأعظم بين كنيسة القسطنطينية وروما

١٦ أغسطس ١٠٧١م هزيمة بيزنطة في مانزكرت على أيدي السلاجقة .

١٠٨٠م الكيسوس كومنن يتولى العرش البيزنطي.

١٠٨٢م الكيسوس كومنن يقدم امتيازات للبنادقة.

٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م البابا أوربان الثاني (١٠٨٩-١٠٩٩م) يدعو للحروب الصليبية في كليرمونت .

١٠٩٧م عقد اتفاقية القسطنطينية بين الامبراطور الكيسوس كومنن وأمرء الحملة الصليبية الأولى.

١١٠٨م عقد معاهدة بين الامبراطور الكيسوس كومنن وبوهيمند

١١١٨م وفاة الكيسوس كومنن وتولى حنا كومنن .

٨ أبريل ١١٤٢م وفاة حنا كومنن

١١٤٧-١١٤٩م الحملة الصليبية الثانية.

١٧ سبتمبر ١١٧٦م معركة مرياكفالون وهزيمة مانويل كومنن

٢٤ سبتمبر ١١٨٠م وفاة مانويل كومنن .

١١٨٢م منبجة اللاتين في القسطنطينية .

١١٨٥م الثورمان يستولون وينهبون سالونيك

٤ يوليو ١١٨٧م - ٢ أكتوبر ١١٨٧م معركة حطين وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية

١٣ أبريل ١٢٠٤م سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين في الحملة الرابعة

١٥ أغسطس ١٢٦١م البيزنطيون يستردون القسطنطينية .

١٢٦٦-١٢٨٢م محاولات شارل الأنجوي الاستيلاء على القسطنطينية

١٢٧٤م انعقاد مجمع ليون

١٣٠٨م العثمانيون يستولون على الميوس Ephesus .

١٣٢١-١٣٢٨م الحرب الأهلية بين أنطرونيكوس الثاني وأنطرونيكوس الثالث

١٣٢٦م العثمانيون يستولون على بورصة

١٣٣١م العثمانيون يستولون على نيقية .

- ١٣٤١-١٣٤٧م الحرب الأهلية بين يوحنا الخامس ويوحنا كيتاكوزين
- ١٣٤٧م الفناء الكبير The Black Death
- ١٣٥٤م العثمانيون يستولون على جاليبولي Gallipoli .
- ١٣٦٥م العثمانيون يؤسسون عاصمتهم في أدرينوبل Adrianople .
- ١٣٧٦-١٣٧٩م الحرب الأهلية بين البيزنطيين .
- ١٣٨٧م العثمانيون يستولون على سالونيك .
- ١٣٨٩م معركة كوسوفو
- ١٣٩٢م العثمانيون يستولون على تساليه Thessaly
- ١٤٠٢م معركة أنقرة وهزيمة العثمانيين على أيدي التتار بقيادة تيمور لنگ
- ١٤٠٣-١٤١٣م الحرب الأهلية بين أبناء السلطان يزيد على السلطة.
- ١٤٢٣-١٤٣٠م الحرب العثمانية البندقية على سالونيك .
- ١٤٢٥م العثمانيون يستولون على أزمير Izmir
- ١٤٣٩م العثمانيون يستولون على غربي الأناضول
- ١٠ نوفمبر ١٤٤٤م صليبية نافار Navarre وفشلها
- ٢٩ مايو ١٤٥٣م الفتح العثماني للقسطنطينية بقيادة محمد الثاني بن مراد الثاني ومقتل قسطنطين الحادي عشر.
- ١٤٦٠م سقوط ميسترا Mistra .
- ١٤٦١م سقوط طرابيزون Trebizond

١- اعتمدت في إعداد الترتيب الزمني المذكور على: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ت حسن حشيش، ط. القاهرة ٣-٢٠٠٠م، ص ٢٨١-٢٨٤.

عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص ٢٥٣-٢٦٤.

Brown, J. G., The Byzantine Empire, Washington 1997, pp. 295-296 .

## ملحق ( ٥ )

أبيات من القصيدة الأرمينية التي أرسلها  
تقفور فوكاس إلى الخليفة العباسي الطيع  
لله (٩٤٦ - ٩٧٤م) متهدداً ومتوعداً

من الملك الطهر الميحي ماله إلى خلف الأملاك من آل هاشم  
إلى الملك الفضل الطيع أخى العلاء ومن يرجي للمعضلات العظام  
أما سمعت أذنك ما أنا صانع ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم  
فإن تك عما تقلدت نائماً فإني عما همني غير نائم  
نعوركم لم يبق فيهما لوهنكم وضعفكم إلا رسوم المعالم  
فتعنا الثغور الأرمينية كلها يختبان صدق كاليوث الضراغم  
ويقول أيضاً

أسير بجندى نحو بصرتها التي لبنا بحر عجاج رافع متلائم  
إلى واسط وسط العراق وكوفة كما كان يوماً جندنا ذو العزائم  
وأخرج منها نحو مكة مسرعاً أجز جيوشاً كالليالي السواجم  
فأملكها دهرًا عزيزاً مملناً أقسم بها للحق كرسى عالم  
وأحرى لجداً كلنا وتهامها وسط واتهام مذبح ومخاصم  
وأغرو يانا كلهما وزيدهما وصناعها مع صعدة والتهائم  
فأنزركها أيضاً خراباً بلاقماً خلاه من الأعلى أهل مفتنم  
وأحرى أموال اليمانية كلها وما جمع القرماط يوم محارم  
أعده إلى القدس التي شرقت بها بهز مكين ثابت الأصل قائم  
وأعلم سريري للعبود معظماً وتبقى ملوك الأرض مثل خرازم  
هناك تغلو الأرض من كل مسلم لكل نقي الدين أغلف زاعم

## التعليق

من الجلي البين من خلال مطالعة تلك الأبيات الشعرية عدة دلالات :

أولاً : تخير ذلك الامبراطور البيزنطي استخدام الشعر: من أجل إرسال رسالة تهدد روعيد الخليفة العباسي المطيع وهو أمر يعكس تفضيله الشعر على النشر لتحقيق ذلك الهدف . كذلك تدرك أن ورودها في عدد من المصادر العربية يدل على انتشارها ومن المحتمل أن أبياتها ذاعت وانتشرت بحكم كون الشعر أبهر في الحفظ من النشر بصفة عامة

ثانياً : لا تغفل : أن ورود عدة معن عربية إسلامية مثل بغداد ، والبصرة ، وواسط ، ومكة في القصيدة المذكورة بالإضافة إلى بيت القدس: يدل على أن ذلك الإمبراطور البيزنطي لم يحصر الحديث عن المدينة الأخيرة فقط ، مما يتفق في الأصل فكرة قيامه بحرب ذات طابع صليبي : من أجل استردادها

ثالثاً : تعكس تلك القصيدة : أن الإمبراطورية البيزنطية خلال عهد نقفور فوكاس : أدركت بجلاء ، أهمية سلاح الدعاية من أجل تحقيق أهدافها السياسية ضد أعدائها . وهكذا : لم تجد انفصل من الزاوية الدينية والعزف على وتر مدينة بيت المقدس: من أجل إثارة المعاصرين دون أن يكون ذلك من خلال مفهوم مستقر ومحدد عن الحرب المقدسة.

رابعاً : تكشف تلك القصيدة لنا كيف أن الضعف السياسي لدى المسلمين في العصر العباسي الثاني: يجعل ذلك الإمبراطور يتجراً على الخليفة المطيع ويهدده فيها بالوصول إلى مكة المكرمة . وهو تهديد أروع من ما كان من الممكن أن يحققه لأنه واقعياً لم يتمكن إلا من دخول بعض المناطق في بلاد الشام ، ولم يستمر بها طويلاً . وهكذا: فإن تلك القصيدة لا تدرس إلا من خلال الأوضاع السياسية المتردية عامة التي كانت تعيش خلالها الدولة العباسية على نحو أدى إلى تظاول الدولة البيزنطية حينذاك إلى هذا الحد الغير مسبوق في لعبة الدعاية السياسية والحربية المتبادلة بين البيزنطيين والعباسيين . وهو أمر لم يحدث خلال عهود الراشدين والأمويين والعباسيين في عصرهم الأول؛ مما عكس تفرد الحادثة في تاريخ العلاقات البيزنطية- العربية .

خامساً : نظراً لكون ذلك الإمبراطور من القادة العسكريين الذين بلغوا المنصب الامبراطوري ، لذلك رفع مثل تلك الشعارات الدعاية الجارية الخاصة باسترداد بيت المقدس، ومن المفترض في حالة كونه خارج نطاق النخبة العسكرية: ما فكر في الأصل في استغلال الحلم الجماعي المرتبط بالرجوع إلى المعالم المسيحية المقدسة ليكون في مشروعه السياسي.

## ملحق ( ٧ )

## المستعمرات اليزنطية التي خضعت للبندقية عام ١٢٠٤م

- ١- مودون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م
- ٢- كورون من ١٢٠٦ - ١٥٠٠م.
- ٣- أرجوس من ١٣٨٨ - ١٤٦٣م.
- ٤- نوبليا من ١٣٨٨ - ١٥٤٠م.
- ٥- مونغاسيا من ١٤٦٤ - ١٥٤٠م
- ٦- لباتسو من ١٤٠٧ - ١٤٩٩م.
- ٧- مجورو بونت من ١٢٠٩ - ١٤٧٠م.
- ٨- بلبون من ١٣٢٣ - ١٤٧٠م.
- ٩- إيجينا من ١٤٥١ - ١٥٣٧م
- ١٠- تينوس من ١٣٩٠ - ١٧١٥م.
- ١١- ميكونوس من ١٣٩٠ - ١٥٣٧م.
- ١٢- شمالي سپرولديز من ١٤٥٣ - ١٥٣٨م.
- ١٣- كورفو من ١٢٠٦ - ١٢١٤م / ١٣٨٦ - ١٧٩٧م.
- ١٤- كيفالونيا من ١٤٨٣ - ١٤٨٥م / ١٥٠٠ - ١٧٩٧م.
- ١٥- زانثي من ١٤٨٣ - ١٧٩٧م.
- ١٦- سريجو من ١٣٦٣ - ١٧٩٧م.
- ١٧- سانتامافرا من ١٥٠٢ - ١٥٠٣م.
- ١٨- أثينا من ١٣٩٤ - ١٤٠٢م
- ١٩- باتراس من ١٤٠٨ - ١٤١٣م / ١٤١٧ - ١٤١٩م.
- ٢٠- ناكسوس من ١٤٩٤ - ١٥٠٠م / ١٥١١ - ١٥١٧م.

٢١- انوروس من ١٤٣٧ - ١٤٤٠ م / ١٥٠٧ - ١٥١٤ م

٢٢- پاروس من ١٥١٨ - ١٥٢٠ م / ١٥٣١ - ١٥٣٦ م .

٢٣-  $\frac{1}{6}$  أموروچوس من ١٣٧٠ - ١٤٤٦ م

٢٤- ماينا من ١٤٦٧ - ١٤٧٩ م

٢٥- قومسترا ١٤٧٠ م<sup>(١)</sup>

---

اسحق عبيد، الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس ١٢٦١ - ١٢٨٢، منشورات جامعة بعلبي .

ط بيروت بيت . ص ١٣٦ - ١٣٧

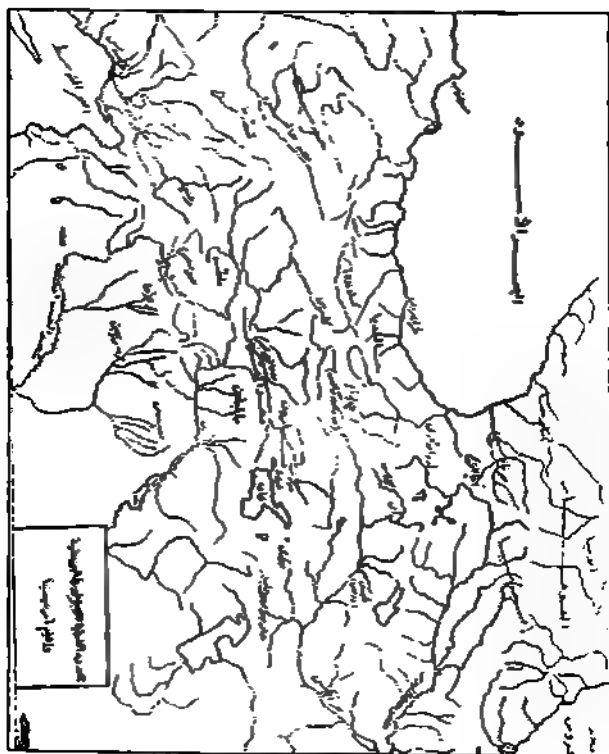
## الخرائط<sup>(١)</sup>

---

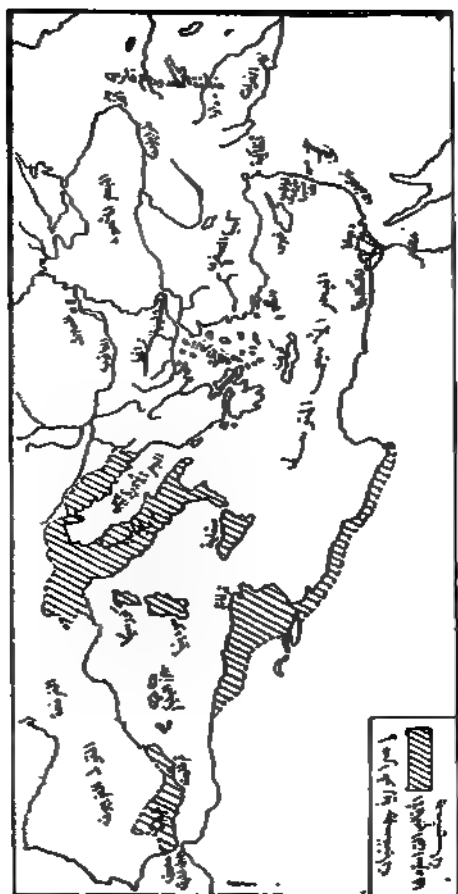
« اعتماداً على محمود سعيد عمران ، معالم التاريخ الاميراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسي والحريي ، ط. الاسكندرية ١٩٧٢ ، است غنيم ، اميراطورية جستنيان ، ط. جدة ١٩٧٧م ، نعم فرح ، تاريخ بيزنطة السياسي ، ط دمشق ١٩٩٤ . . . »



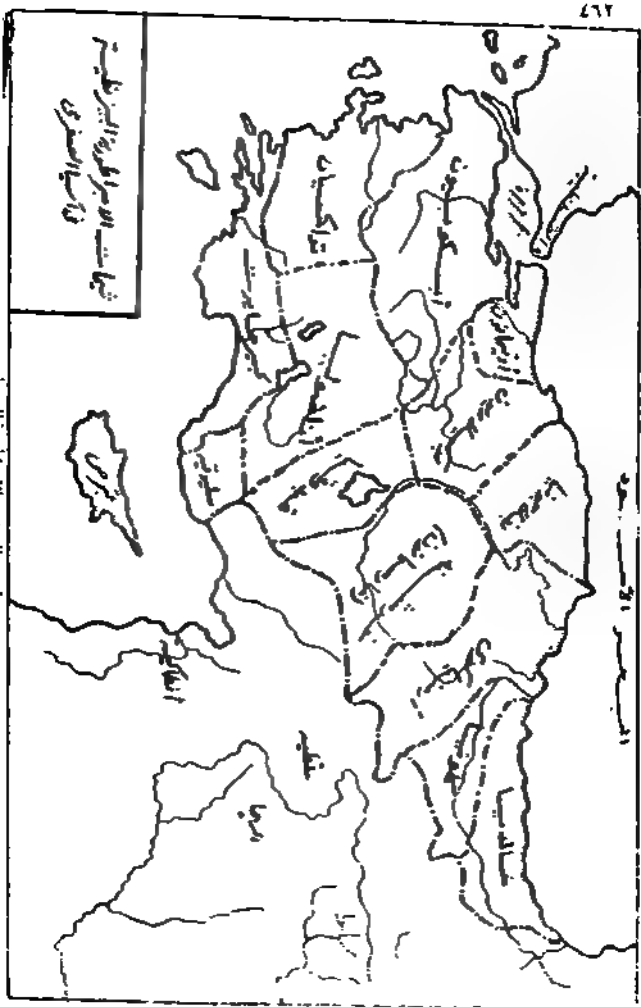




مصدر: مكتب عمران، معالج تاريخ الإمبراطورية الفارسية

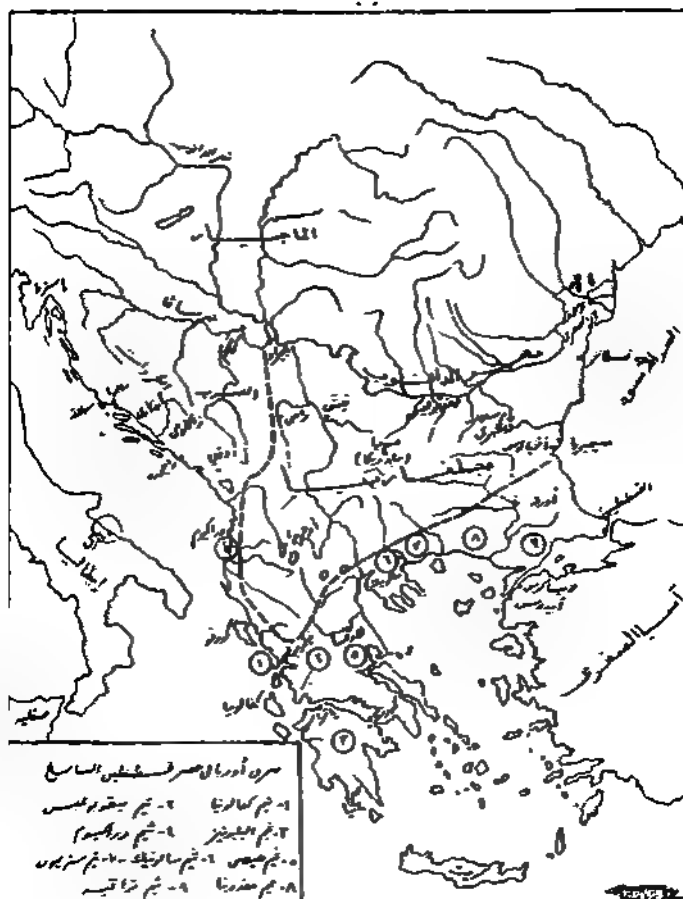


مقتلاً عن : استن عليم ، امير الطيرة جثمان



شبهات الامبراطورية البيزنطية  
في آسيا الصغرى

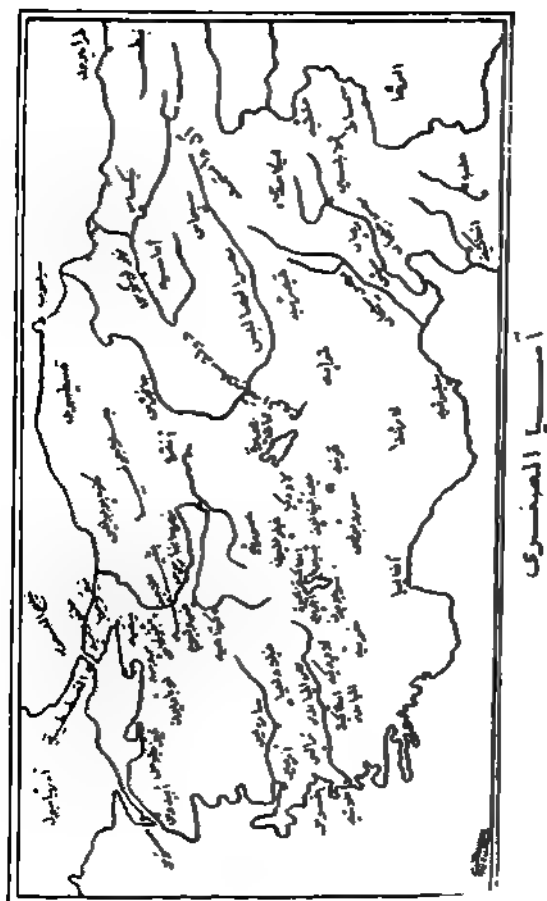
محمود سعيد عموري، مقال في تاريخ الامبراطورية البيزنطية



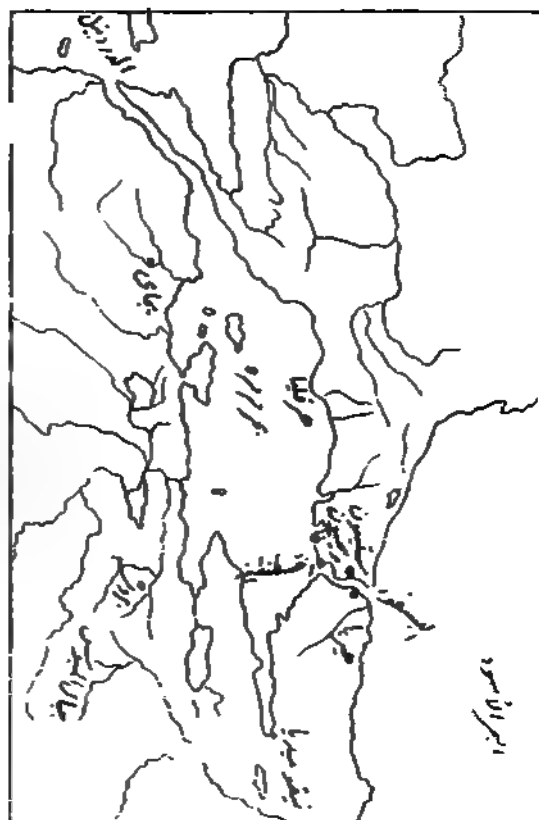
محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية



محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية



مصدر: جريدة عمان، مقال تابع الاسرطورية السريانية



منطقهٔ جگر مسکون  
و مستقر حفاظت از میراث  
محمود محمد عسکری، سال تألیف: ۱۳۸۵







الحدود السياسية والإدارية في القرن الخامس

نسيم فرح، تاريخ بيئة السياسة



## قائمة المختصرات

- A B : *Analecta Bollandiana*.
- A H.R.: *American Historical Review*.
- A.O.L.: *Arshives de L'Orient Latin*.
- B.: *Byzantion*.
- B.B.O.M.: *Birmingham Byzantine and Ottoman Monographs*.
- B.F.A.A.U.: *Bulletin of The Faculty of Arts Alexandria University*.
- B.J.R.L.: *Bulletin of the John Rylands library*.
- B.E.O.: *Bulletin des Etudes Orientales*.
- B.F.: *Byzantinische Forschungen*.
- B.Z.: *Byzantinische Zeitschrift*.
- C.H.A.: *Collection des Historiens Armeniens*.
- E.I. *Eretz. Israel*.
- E.W. W.R.: *Encyclopedia of World Woman and Religion*.
- C.I.G.: *Corpus Inscriptionum Graecorum*.
- C.S.H.B.: *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*.
- C.M.: *Classica et Mediaevalia*.
- C.M.H.: *Cambridge Medieval History*.
- D.O.S.: *Dumberton Oaks Studies*.
- D.O.P.: *Dumberton Oaks Papers*.
- D.T.C.: *Dictionnaire de Theologie Catholique*.
- E.H.R.: *Egyptian Historical Review*.
- E.H.R.: *English History Review*.
- E.Isl: *Encyclopedia of Islam*.
- E.W.WR.: *Encyclopedia of Women and World Religions*.
- Ency. Jud. *Encyclopedia Judeca*.
- E.O.: *Echos d'Orient*.
- E.R.: *Encyclopedia of Religion*.
- H : *L'Histoire*.
- H.Z.: *Historich Zeitschrift*.

- J.E.S.H.O.: Journal of Economic and Social History of The Orient .
- I.C.: Islamic Culture.
- I.J.T.S.: International Journal of Turkish Studies.
- J.H.S.: Journal of Hellenic Studies.
- J.J.S.: Journal of Jewish Studies.
- J.O.A.S.: Journal of Oriental and African Studies.
- J.M.I.H.: Journal of Medieval and Islamic History
- J.R.A.S.: Journal of Royal Asiatic Society.
- H.U.C.A.: Hebrew Union College Annual.
- L.C.L.: The Loyb Classical Library
- O chr P.: Orientalia Christiana Periodica.
- O.D.B.: Oxford dictionary of Byzantium .
- P.G.: Patrologia Graeca.
- P.L.: Patrologia Latina.
- P O . Patrologia Orientalis.
- P.P.T.S.: Palestine Pilgrims Text Society.
- M.E.R.J.: Middle East Research Journal.
- M.G.H.: Monumenta Germaniae Historica.
- Med.S.: Medieval Studies.
- N.P.N.F.: Nicene and Post Nicene Fathers.
- R.A.: Revue Archaeologique.
- R.Af.: Revue Afrique.
- R.H.: Revue Historique.
- R.H.C.: Recueil des Historiens des Croisades.
- R.O.L.: Revue de L'Orient Latin .
- S.: Speculum.
- S.C.H.: Studies in Church History
- S.M.: Studi Medievali.
- Z.R.V.I.: Zbornik Radova Vizantoloskog Instituta.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر اليونانية واللاتينية والأرمينية والسريانية

- Agathias, *The Histories* Trans. by J.O. Frendo , New York 1975 .
- Albert d'Aix, *Historia Hierosolymitana* , in R.H.C. , *Hist. Occ. T.V* , Paris 1879
- Albert of Trois Fontaines, *Chronicle of Albert of Trois Fontaine*, in Andrea and Whalen (eds.) , *Contemporary Sources for The Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Ambrose , *The Crusade of Richard Heart of Lion* , Trans. by Hubert , New York 1948
- Anonymous Syriac Chronicle , Trans. by A. S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol . 92 , 1933 .
- Anonymous , *The Chronicle of the Third Crusade Atranslation of Itenerarium Peregrinorum et Gesta Regni Recardi* , Trans. by Helen Nicholson , London 1997
- Anonymous , *Devastatio Constantinople* , in A.J. Andrea and E.W Whalcn (eds.), *Contemporary Sources for The Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Anonymous. *The Deeds of Franks and The other Pilgrims to Jerusalem*, Trans. by R. Hill, London 1962 .
- Anonymous , *The Anonymous of Soissons* in Andrea and Whalen (eds.) *Contemporary Sources for the Fourth Crusade*, Leiden 2000
- Anonymous, *The Deeds of Bishops Halberstadt*, in A. J. Andrea and B E. Whalen (eds.), *Contemporary Sources for The Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Anna Comnena, *The Alexiad* , Trans. by E.R.A. Sewier , Penguin Book , London 1979 .
- Baldric of Dol , in Peters (ed.) , *The Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials* , Philadphila 1971

- Bernard of Clairvaux, *The Letters of St. Bernard of Clairvaux*, Trans by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies , Western Michigan University , 1988 .
- Constantine Porphyrogenitus , *De Administrando Imperio*, Trans by Jenkins , Washington 1967 .
- Corpus Juris Civilis , ed T. Mommsen , p. Kruger, R. Scholl, W. Kroll, 3 vols., Berlin 1945- 1963 .
- Count Hugh of Saint Dol , *Report to The West* , in A.J Andrea (A.J ), and Brete (E.W.) eds.), *Contemporary Sources for The Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Daniel , *Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy land*, Trans by Wilson, P.P.T.S., vol . IV , London 1895 .
- Diogenis Akritis, ed. and Trans. by J. Mavrogordate , Oxford 1926 .
- Doukas, *Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks*, trans. by Magoulas, Detroit 1975 .  
Einhard, *Vita Caroli Magni*, in Lewis thorpe (ed.) *Two lives of Charlamagne by Einhard and Notker the Stammerer* , Penguin Book, London 1969
- Ernoul, *Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresorier*, ed. Par Mas Laterie, Paris 1971  
Evagrius Scholasticus, *The Ecclesiastical History*, Trans by Michael Whitby , Liverpool 2000 .
- Eucherius, *Description of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S . vol III, London 1892 .
- Eusebius, *Extraits from Eusebius life of Constantine* , Trans. by John Bernard, P.P.T.S., vol . I, London 1896 , *The Ecclesiastical History* Trans. by Kirsopp Lake, L.C.L., London 1930-1940 .
- Euphrosine , *Pelerinage en Palestine* “, Trans by De Khitrowa”, R.O.L., T. III, Année 1895 .

- Geoffrey of Vinsauf, *Crusade of Richard Coeur de Lion* , in *Chronicles of The Crusades*, London 1908 .
- Guilbert of Nogent , in Petrs (E), (ed.), *the First Crusade, The Chronicles of Fulcher of Chartres and other Source materiales*, Philadelphia 1971
- Gunter of Paris , in Allen (S.T.) and Ant (A.) (eds.), *The Crusades*, Toronto 2003 .
- Innocent III, *The Register of Innocent III* , in Andrea (A.J.) and whalen (B.E.) (eds.), *Contemporary Sources for the Fourth Crusade*, Leiden 2000 .
- Jacques de Vitry, *History of Jerusalem*, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S , vol IX , London 1896 .
- Jean de Joinville, *The life of St. Louis*, in *Chronicles of The Crusades*, Trans. by M.R.B. Shaw , Penguin Book , London 1976 .
- Joannes Phocas , *A brief Description of the Holy land*, Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol V , London 1896 .
- John Bishop of Nikou, *Chronicle of John Bishop of Nikou* , Trans from Ethiopcan by Zotenberg , Paris 1883, English Trans . by R M. Charls London 1916 .
- John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, Trans. by Elezabeth Jeffrys and Michael Jeffrys, R.Scott, *Byzantina Australiensia*, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sidney 1986 .
- John Moschos, *the Spiritual Meadow ( Pratum Spiritual )*, Trans. by John Wortley, Kalamazoo, Michigan 1992 .
- John of Wurzburg, *Description of the Holy land* . Trans. by A. Stewart , P.P.T.S., vol. V London 1896 .
- Julian , *Julian letters and Works*, trans. by W.C. Wright, 3 vols , London 1913 .

- Kinnamos , Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. by Charles M. Brand, Colombia 1976 .
- Kritovoulos, History of Mehmed The Conqueror , Trans. by C.T Riggs, Princeton 1954 .
- Life of St. Mary / Marinos , Trans by Nicholas Constat, in Talbot (A.M) , (ed.), Holy Women in Byzantium , Ten Saints' Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Matrona of Perge , in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Mary of Egypt, Trans. by Maria Kouli, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theoktiste of Lesbos, Trans. by Angela C. Hero, in Holy Women, Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Elisabeth The Wonderworker , Trans. by Valerie Karras, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Athanasia of Aegina, Trans. by Lee Francis Sherry, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodora of Thessalonike , Trans. by Alic- Mary Talbot, in Holy Women, Dumbarton Oaks , Washington 1996 .
- Life of St. Mary The Younger , Trans. by Angeliki E. Luion in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodora of Arta, Trans. by Alice- Mary Talbot, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Thomais of Lesbos, Trans. by Paul Hulsall, in Holy Women , Dumbarton Oaks, Washington 1996 .
- Life of St. Theodosia of Constantinople , Trans. by Nicholas Constat, in Talbot (A.M.) (ed.), Byzantine , defenders of images Eight Saints, Lives in English Translation , Dumbarton Oaks, Washington 1989
- Life of St. Stephen The Younger , Trans. by Alice - Mary Talbot, in Byz-

antine defenders , Dumbarton Oaks, Washington 1989 .

- Life of St. Anthousa of Mantineon, Trans. by Alice - Mary Talbot , in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks , Washington 1989
- Life of St. Anthousa, daughter of Constantine V, Trans. by Nicholas Constatas, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1989 .
- Life of the Patriarch Nikephoros I of Constantinople, Trans. by Elizabeth A. Fisher, in Byzantine defenders , Dumbarton Oaks , Washington 1989 .
- Life of Sts. David, Symeon, and George of Lesbos , Trans. by Dorothy Abraham and Douglas Domingo- Furasić, in Byzantine defenders, Dumbarton Oaks, Washington 1998 .
- Mathieu d'Edesse, Chronique de Mathieu d'Edesse (962-1136) , avec la Continuation de Gregoire le Preure Jusque 1162, ed . M.E. Bulquier , Paris 1858 .
- Michael le Syrien, Chronique du Michael le Syrien Patriarche Jacobite d' Antioche (1166-1199) ed . Par J.B. Chabot , Paris 1899-1905
- Michael Panaretos, Chronicle of the Empire of Trebizond , ed. O lamp-sides, Athens 1958 .
- Nicola Barbaro , Diary of the Siege of Constantinople 1453, Trans by J.R. Jones, New York 1969 .
- Notker The Stammerer, in Tow Lives of Charlemagne , Trans. by Lewis Thrope , Penguin Book , London 1969 .
- Nicetas Choniates, O'City of Byzantium , Annals of Nicetas Choniates, Trans. by Harry Magolias, Wayne State University Detroit 1984 .
- Odo of Deol, De Profectine Ludovici VII in Orientem, ed. by Gmyerich Berry , New York 1948 .
- Oliver of Paderborn , The Capture of Damietta, Trans. by Joseph J. Cav-

- igan, in Peters, (E.) (ed.) *Christian Society and the Crusades 1198-1229* , Sources in Translation including *The Capture of Damietta* by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 .
- Otto of Freising , *The deeds of Frederick Barbarossa*, Trans. by Charles Christopher Microw , Toronto 1966 .
  - Otto of St. Blasien, *The Third Crusade 1187-1190* , in Thatcher , *Source Book of Medieval History* , New York 1905 .
  - Philip of Novara, *The Crusade of Frederick II From Philip of Novara* , in Peters (E.) (ed.), *Christian Society and The Crusades 1198-1229* , Sources in translation including the capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971
  - Photius, *The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople* , Trans. by Cyril Mango, D.O.S., 3, Harvard 1958 .
  - Pierre des vaux de Cernay , *The Historia Albigensis*, in Peters (ed ) *Heresy and Authority in Medieval Europe*, Pennsylvania 1980 .
- Procopius of Caesarea, *The Buildings* , Trans. by H.B. Deaving and G Downey , London 1940 , *Secret History* , Trans by Richard Atwater , Michigan 1961 , *The Vandalic War* , Trans. by Dewing, Cambridge 1968 , and also in, Evans, *Procopius*, New York 1972 .
- Psellus , *Fourteen Byzantine Rulers* , *The Chronographia of Michael Psellus*, Trans. by Sewter , Penguin Book , London 1966 , also , Ashour (S.) and Rabie (H.) , (eds.) , *Fifty documents in Medieval History Cairo* 1971
  - Rainer Sacconi , in *Medieval Europe*, Pennsylvania 1980
  - Ralf of Cuggeshall, *Chronicle of Ralf of Cuggeshall*, in Alfred J Andrea and Brette F. Whalen , *Contemporary Sources for the Forth Crusade*, London 2000
  - Ramond d' Aguiliers, *Historia Francorum* , Trans. by John Hall and Lau-

rita Hill, Philadelphia 1948 .

- Robert of Clari, *The Conquest of Constantinople*, Trans. by E.H. Mc Neal, New York 1936 .
- Robert the Monk, in Peters (E.) (ed.), *The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials*, Philadelphia 1971
- Roger of Wendover, *The Chronicle of Roger of Wendover* , in Peters (E ) (ed.), *Christian Society and the Crusades 1198- 1229* , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderhorn , Pennsylvania 1971
- Silvia of Aquitana, *Pilgrimage to the Holy Places*, Trans. by , P.P.T.S , vol . 1, London .
- Tacitus, *Tacitus on Britain and Germany* , Trans. by H. Maatingly , The Penguin Book, London 1954 .
- The Chronicle of Solomon Bar Simson , in Edelberg (ed.), *The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of The First and Second Crusaders*, Wisconsin 1977
- Theophanes, *The Chronicle of Theophanes* , An English Translation of anni mundi (6095-6305 A.D. 602-813), with introduction and notes by Harry Turtledove , Pennsylvania 1982 .
- The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous, in Edelberg, *The Jews and The Crusaders, The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades* , Wisconsin 1977
- The Song of Roland Trans. by Sayer, Penguin Book. London 1977
- Villehardum , *The Conquest of Constantinople* , in *Chronicles of The Crusades*, Trans. by M. R. B. Shaw , Penguin Book, London 1963 .
- William of Poitiers, *Deeds of Duke William* , in Houts, (ed.) *The Normans in Europe*, Manchester 2000 .
- William of Tyre, *A History of Deeds done beyond the Sea* Trans. by Bab-

## ثانياً المصادر العربية :

القرآن الكريم .

- ابن الأثير : ( عز الدين محمد ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليعات . ط. القاهرة ١٩٦٣ م .  
الكامل في التاريخ . ط. بيروت ١٩٦٦م . ط. القاهرة ١٩٩٩م )
- ابن أبيك الدوادري : (أبو بكر عبدالله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) الدعوة الزكية في الدولة التركية، تحقيق أولوخ هارمان . ط. القاهرة ١٩٧١م . الدر المطلوب في أخبار بني أيوب تحقيق سعيد عاشور . ط. القاهرة ١٩٧٢م .
- ابن بطوطة : (محمد بن عبدالله ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . ط. بيروت بيروت .
- ابن تغري بردي : (جمال الدين يوسف ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ط. القاهرة ١٩٦٣م .
- ابن جبير (محمد بن أحمد ت ٦١٤ أو ٦١٦ هـ) الرحلة المسماة تذكرة بالأخبار في اتفاقيات الأسفار . ط. بيروت ١٩٨٤م .
- ابن الجوزي : (أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ج ٩ . ط. حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ابن الفرات : (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م) تاريخ الدول والملوك م (٥) . ج (١) . تحقيق حسن محمد الشماخ . ط. البصرة بيروت .
- ابن حماد (أبو عبدالله محمد ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نفرة وعبد الحليم عويس ط. القاهرة ١٤٠١ هـ .
- ابن حوقل (أبو القاسم ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) صورة الأرض . تحقيق دى جويه . ط. بيروت ١٩٦٧م . ط. بيروت ١٩٩٢م .
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبدالله ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) المسالك والممالك ط. القاهرة بيروت
- ابن خلدون : (عبدالله بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر . ط.

بيروت ب-ت ، المقدمة تصحيح وفهرسة ، أبو عبدالله السعيد المنهوي ، ط.  
بيروت ٢٠٠٥ م.

- ابن حياط : (أبو عمر خليفة بن حياط ت ٢٦٠ هـ / ٨٥٠ م) تاريخ خليفة بن حياط ،  
تحقيق مصطفى نجيب نوار وحكمت نوار ، ط. بيروت ١٩٩٥ م.

- ابن رسته : (أبو علي أحمد ت ق ٤٤ هـ / ١٠ م) الأعلام النفيسة ، ط. لبنان ١٨٩٢ م.

- ابن الساعي : تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب ج ٤ / ق ٢ ، تحقيق مصطفى  
جواد ط. بغداد ١٩٦٧ م.

- ابن شاهين : (غرس الدين خليل ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) زبدة كشف المالك وبيان الطرق  
والممالك ، تحقيق بول واقيس ، ط. باريس ١٧٩٧ م.

- ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) الطبقات الكبرى ، ط. بيروت ١٩٥٨ م.

- ابن شداد (القاضي بها ، الدين ت ٦٢٢ هـ / ١٢٣٤ م) النوادر السلطانية والمحاسن  
اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٦٤ م.

- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبدالله ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) ، فتوح مصر والمغرب ،  
تحقيق عبد النعم عامر ط. القاهرة ١٩٩٩ م.

- ابن العبري (غريغوريوس ت ٦٨٥ هـ / ١٢٥٦ م) تاريخ مختصر الدول ، ط. بيروت  
١٩٥٨ م ، ط. القاهرة ٢٠٠١ م.

- ابن العديم : (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) زبدة الطلب من تاريخ  
حلب ، تحقيق سامي الدخان ، ج ١ ، ط. دمشق ١٩٥١ م ، بقية الطلب في تاريخ  
حلب - القسم الخاص بتراجم السلاجقة ، تحقيق علي سوم - الجسمية  
التاريخية التركية ، ط. أنقرة ١٩٧٦ م ، للفراري في ذكر الفراري ، تحقيق  
علاء عبد الوهاب ، ط. القاهرة ١٩٨٤ م.

- ابن عفرى (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب  
تحقيق ج. س. كولاند وليش بروفسال - ط. بيروت ٩٤٨ م ، ط. بيروت  
١٩٩٨ م.

- ابن عريشاه (أبو العباس شهاب الدين ، عجائب المقدر في نوائب تيمور ، ط. بيروت  
١٩٨٦ م.

- ابن عساكر (أبو القاسم علي ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م) . ترجمة محمود بن زكريا تحقيق نيكيتا اليسيف مجلة الدراسات الشرقية . B.E.O., XXV Année 1972 .
- ابن العسادر الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحمى ت ٨٩٠هـ / ١٤٧٩م) شذرات الذهب في أختيار من ذهب . ط . القاهرة ١٩٥١م .
- ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن عباس ت ٤٠٠هـ / ١٠م) رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ط . بيروت ١٩٨٧م
- ابن اللقيط (أبو بكر أحمد بن علي ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) كتاب البلدان ، تحقيق يوسف الهادي ، ط . بيروت ١٩٩٦م
- ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٢م) المراتب الج معة والتعارف النافعة في المائة السابقة ، تحقيق مصطفى جواد ط . بغداد ١٣٥٦هـ
- ابن القلاسي (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق . تحقيق أميدروز ، ط . بيروت ١٩٠٨م
- ابن كثير (الحافظ عماد الدين اسماعيل ت ٧٤٤هـ / ١٣٧٢م) . البداية والنهاية . ط . القاهرة بـست . الاجتهاد في طلب الجهاد ، ط . القاهرة ١٤٤٧هـ
- ابن منكلى ( محمد بن منكلى ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٦م) الأحكام الملوكية والضوابط للنموسية في فن القتال في البحر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الأدب - جامعة عين شمس ، تحقيق عبد العزيز عبد النائم ، عام ١٩٧٤م .
- ابن مسير (محمد بن علي بن يوسف ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) منتخبات من تاريخ مصر R.H.C. , Hist. Or., T.III
- ابن نباته (أبو يحيى عبد الرحيم ت ٣٧٤هـ / ٩٨٤م) . ديوان ابن نباته . ط . بيروت ١٣١١هـ
- ابن نظيف الحموى (أبو الفضائل محمد ت ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م) التاريخ المصورى - تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو المعيد درويش ، ط . دمشق ١٩٨٣م .
- ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة ١٩٥٣م .

- ابن وردان (القرن ١٠هـ / ١٦م) تاريخ الأغالبة ، تحقيق محمد زينهم ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- ابن الرودي : (أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) تنمة المختصر في أخبار البشر. المعروف بتاريخ ابن الرودي . ط. النجف ١٩٦٩م.
- أبو الفدا : (إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) تقييد البلدان ، تحقيق رينو دي سلان ط. باريس ١٨٤٠م، المختصر في أخبار البشر . ط. بيروت ١٩٦٠م.
- أبو تمام : (ديوان أبو تمام ط. بيروت ب-ت .
- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد ت ٦٥٥هـ / ١٢٦٧م) الفيل على الروضتين ، ط القاهرة ١٣٦٦هـ.
- أسامة بن منقذ : (مزيد الدولة أبو المفطر ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) الاعتبار ، تحقيق فيليب حبي ط. بيروت ١٩٨١م.
- إسحق بن الحسين : (ق ٤٤ / ١٠م) أكام المرجان المشهورة في كل مكان، باعتناء فهمي سعد ، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- الإدريسي : (الشرف الإدريسي ت ق ٥٦ / ١٢م) نزهة المشتاق في اختراق الأماني ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- بيبيرس الدواداري : (ركن الدين بيبيرس ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٦م) زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة . تحقيق زبيدة محمد عطا ، ط. القاهرة ١٩٠٠م.
- البلاذري (أبو أحمد بن يحيى ت ٧٧هـ / ٨٩٢م) فتوح البلدان . ط. بيروت ١٩٨٨م
- الحسيني (صدر الدين علي بن ناصر القرن ٥٦هـ / ١٢م) . أخبار الدولة السلجوقية تحقيق عباس إقبال . ط. بيروت ١٩٨٤م.
- الحميري (محمد بن عبد الحممت . ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) للروض المعطار في خبر الأنظار. تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٥م.
- اللامسقي (شمس الدين بن أبي عبدالله ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) نخبة الدهر من عجائب البر والبحر ، تحقيق مهز ت. ط. لوز ١٩٢٣م.
- الذهبي (الحافظ الذهبي ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) العبر في خبر من غير ، تحقيق

- أبو هاجر محمد السعيد ، ط. بيروت ١٩٨٥م ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري. ط. بيروت ١٩٩٣م.
- الطبري (أبو جعفر بن جرير ت ٢٢١٠هـ / م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- العدوي : (القاضي العدوي ت ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م) الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٦م.
- عطا ملك الجويني (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) تاريخ جهانكشاي ت. محمد السعيد جمال الدين ، ضمن كتاب دولة الاسماعيلية في إيران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م
- عباد الدين الأصفهاني (القاضي عماد الدين ت بعد عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) البستان الجامع لمسح تواريخ الزمان ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية B.E.O., T. VII-VIII Annexes 1937-1938 .
- العماد الأصفهاني (الكاتب) (ت بعد عام ٤٩٣هـ / ١١٩٦م) الفتح القس في الفتح القس ط. القاهرة ب-ت
- الفتح البغدادي (الفتح بن علي بن محمد ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) منا الوريق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي. ط. القاهرة ١٩٧٩م ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ط. بيروت ، ط. القاهرة ١٩٠٠م.
- الفرمانى : (أحمد بن يوسف ت ١٠٠٩هـ / ١٦١٠م) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج ١ ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- الفزويني : (زكريا بن محمد ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) آثار البلاد وأخبار العباد ، ط. بيروت ٩٩٨م.
- القلقشندي (أبو العباس ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ط. القاهرة ١٩٣٠-١٩٣٣م .
- الكندي : ولاية مصر ط. بيروت ١٩٥٩م
- المنشي : أبو الطيب ت ق ٤ / ١٠م) دهران المنشي. تحقيق عبد الرحمن البرغوثي ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- مجهول (رحالة مراكشي معاصر للقرن ٦م / ١٢م) الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها وحملهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- المسعودي (أبو الحسن علي ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) التنبيه والإشراف، ط. بيروت ١٩٦٨م، أخبار الزمان ومن ألباهه المحدثان وعجائب البلدان والفساس بالما، العمران، ط. بيروت ١٩٩٦م.
- مسكويه (أبو علي أحمد ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) تجارب الأمم، ط. القاهرة ب-ت
- المقدسي : (شمس الدين أبو عبدالله ت ٢٨٨هـ / ٩٩٨م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط. بيروت ب-ت.
- مغلطاي (علاء الدين مغلطاي ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٣م) مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق آسيا كليان على البارح، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- المغربي : تقي الدين أحمد ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) انماط الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ج ٢، تحقيق محمد حلمي أحمد، ط. القاهرة، ب-ت، إغانة الأئمة بكشف القصة، تحقيق جمال الدين الشبال ومحمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٠م، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٤، تحقيق سعيد عاشور، ط. القاهرة
- ناصر خسرو (ناصر خسرو علوي ق ٥٥هـ / ١١م) سفرنامه ت. يحيى الخشاب، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- البافعي (أبو محمد عبدالله ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج ٢، ط. جدار آباد الدكن ١٣٤٨م
- باتوت الحموي: شهاب الدين ت ٨٧٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان، ط. بيروت ب-ت، ط. بيروت ١٩٩٧م، المشترك وضغاً والمفترق حقاً، تحقيق وستينيل، ط. بيروت ١٩٨٦م.
- البريدي (محمد بن أحمد ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) العراضة في الحكاية السلجوقية ت عبد النعيم حسنين، ط. بغداد ١٩٧٩م.

## ثالثاً : المصادر العربية :

- ١- أنا كومينا ( ق١٢م / ٦هـ) الكسياد ت. حسن حبشي . المشروع القومي للترجمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.
- بطرس فوديود ( ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ت . حسين عطيه ، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م.
- بروكوبوس ( ٦م) التاريخ العسري ت. صبري أبو الخير . ط. القاهرة ٢٠٠١م ( ت ق١٢م / ٦هـ) . عزرا حداد ، ط. بغداد ١٩٤٥م ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ . المجتمع الثقافي أبوظبي ٢٠٠٢م.
- بياضن التطيلي ( ت ق١٢م / ٦هـ) الرحلة ، ت. عزرا حداد ط. بغداد ١٩٤٥م. ودراسة وتقديم عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، ودراسة المجتمع الثقافي أبوظبي، ٢٠٠٢م
- ثيودوريش ( ق١٢م / ٦هـ) وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودوريش، القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، ت. سعيد عبدالله البيشاوي ورياض شاهين ، ط. عمان ٢٠٠٢م.
- داجيال الروسي ( ت ق ١٢م / ٦هـ) رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب ، ت. سعيد عبدالله البيشاوي ط. عمان ١٩٩٢م .
- روبرت كلاري : ( ت ق١٢م / ٧هـ) فتح القسطنطينية . ت. حسن حبشي ، ط. القاهرة ١٩٦٤م.
- فرشب الشارنري ( ت ق ١٢م / ٦هـ) تاريخ الحملة إلى القدس . ت. زياد العلي، ط. عمان ١٩٩٥م.
- فلهازودين ( ت ق ١٢م / ٧هـ) من مذكرات فلهازودين فتح القسطنطينية . ت. حس حبشي ، ط. جدة ٣-١٤هـ.
- نسططين السابع يورفيموجيتيس : إدارة الامبراطورية البيزنطية ت. محمد سعيد عمران. ط. بيروت - ١٩٨٠م.
- مجهول ( ت بعد عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ) أعمال الفرنجية وحجاج بيت المقدس، ت حسن حبشي . ط. القاهرة - ١٩٧٠م.

- مجهول (مؤرخ سرياني مجهول الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٨٤م.
- مجهول : قصة حملة الأمير إيلدرم خنيس حرج ، ط. موسكو ١٩٨٩م
- مجهول: ( ق ٤هـ / ١٠م) حدود العالم من الشرق إلى الغرب ت. عن الفارسية. وتحقيق يوسف الهادي، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نيتولا باربارو : (القرن ١٥ م ١٤هـ) الفتح الاسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م ت. حاتم الطحاوي ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- برحما النقيوسي : ( عاصر القرن ٧م / ١٤هـ) تاريخ مصر لبرحما النقيوسي ، ت. عمر صابر عبد الجليل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- بوساب القيساري : تاريخ الكنيسة ، ت مرقس داود ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .

## رابعاً : المراجع العربية والمصرية :

- ابرر كرم الله من هم التتار ! ت. رشيدة وحيم الصيروى، ط. القاهرة ١٩٩٤م
- إبراهيم أبو جابر (د.) القدس ومستقبلها فى القرن الحادى والعشرين، دراسات (٢٤) ، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ٢٠٠٢م.
- ابراهيم الحدوى (د.) «إفريطش بين المسلمين والبيزنطيين فى القرن التاسع الميلادى»، المجلة التاريخية المصرية م (٣) ، العدد (٢) عام ١٩٥٠م، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ط. القاهرة ١٩٥١م، الدولة الأموية والبيزنطيون ط. القاهرة ١٩٥٣م «قوانين الإصلاح الزراعى فى الامبراطورية البيزنطية»، مجلة كلية الآداب والتربية . جامعة الكويت ، العددان (٣) . (٤) بونبر ١٩٧٣م.
- إبراهيم أيوب (د.) التاريخ الفاطمى السياسى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم بيضون (د.) الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢- / ٧١١-١٠٣١م، ط. بيروت ١٩٨٦م ، «حالة مؤلثة مقارنة للمشروع السياسى الأول للعلوة الإسلامية فى بلاد الشام»، ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع الدور فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- إبراهيم خميس (د.) «الأوبئة والأمراض التى تفشت بين الصليبيين فى الشرق الأدنى الإسلامى وأثرها ٩٨-١٠٩٨م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران لمحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- إبراهيم خورى : الشريف الإدريسى نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مركز وابد للتراث والتاريخ ط. أبوظبى ٢٠٠٠م.
- ابراهيم سعيد فهم (د.) «جى دو لوزنيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى. كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- إبراهيم طرخان (د.) الحركة اللاأيقونية فى الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

- تاكيتوس والشعوب والجرمانية ط. القاهرة ١٩٥٩ م. المسلمون في أوروبا في  
العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٦ م.
- ابراهيم عبد الفتاح المتناوى (د.) فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية ، ط.  
طنطا ٢٠٠٤ م.
- إحسان عباس (د.) جنون الخطر الأخضر : حملة تشويه الإسلام، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.
- إحسان عباس (د.) العرب في صقلية ، ط. القاهرة ١٩٥٩ م.
- أحمد إبراهيم الشريف (د.) دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول  
والثاني للهجرة ط. القاهرة ١٩٦٨ م.
- أحمد إسماعيل عي (د.) تاريخ بلاد الشام في العصور العباسية ١٣٢ - ٤٦٣ هـ /  
٧٤٩ - ١٠٧٠ م دراسة اجتماعية ، ط. دمشق ١٩٨٣ م ، أحمد الببلي (د.)  
حياة صلاح الدين الأيوبي ط. القاهرة ١٩٤٦ م.
- أحمد الحوفي (د.) الطبرى ، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.
- أحمد الخشاب (د.) التفكير الاجتماعي ط. بيروت ١٩٨١ م.
- أحمد جردت (باشا) تاريخ جردت ت. عبد القادر الدنا، تحقيق عبد اللطيف الحميد، ط.  
بيروت ١٩٩٩ م.
- أحمد حليط (د.) حروب المغول ، ط. بيروت ١٩٩٤ م.
- أحمد رضا : خيبة السياسة الغربية في الشرق ت. بورقيجه والصادق ، ط. تونس  
١٩٧٧ م.
- احمد رمضان (د.) شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٨ م ،  
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الحروب الصليبية ، ط.  
القاهرة ب-ت
- أحمد زكي : أنزعوا فتاح بولس عن وجه المسيح ، ط. الرياض ١٩٩٥ م.
- أحمد سوسة : الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية. ط. تونس ١٩٧٤ م.
- احمد عامر (د.) اليهود وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية حتى النصف الأول من  
القرن العاشر الميلادى ، التاريخ والمستقبل يناير ٢٠٠٣ م.

أحمد عبد الرازق (د.) تاريخ مصر الإسلامية وأثارها من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى . ط. القاهرة ١٩٩٣م.

- أحمد عبد الرحيم مصطفى (د.) أصول التاريخ العثمانى . ط. القاهرة ٢٠٠٣م.  
- أحمد عبد الكريم سليمان (د.) «رسالة من البطريرك نيقولا مستيكوس إلى الخليفة العباسى» . المجلة التاريخية المصرية . م (٢٨) . (٢٩) . عام ١٩٨١م.  
١٩٨٢م.

- أحمد عبدالله أحمد : التجارة فى الساحل الشامى فى القرنين ١٢ . ١٣م رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م (تحت إشرافى بالاشتراك مع أ.د. أحمد ومضان).

- أحمد عثمان (د.) تاريخ اليهود . ج ٢ . ط. القاهرة ١٩٩٤م.  
- أحمد على عجيب (د.) الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها . ط. القاهرة ٢٠٠٤م.  
- أحمد عودات (د.) وجميل بوضون (د.) وشعاده الناضر (د.) تاريخ المغول والمماليك من القرن السابع الهجرى حتى القرن الثالث عشر الهجرى . ط. إربد ١٩٩٠م.  
- أحمد فؤاد سيد (د.) تاريخ الدعوة الإسلامية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والمخلفاء الراشدين - بلاغ الدعوة . ط. القاهرة ١٩٩٧م. الحكم الإسلامى لفلسطين فى ظل دولة الخلافة الإسلامية ١٥هـ - ٤٩٧هـ . ط. القاهرة ٢٠٠١م. تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ٥٦٧هـ - ٦٤٨هـ . ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- أحمد فؤاد متولى (د.) تاريخ للدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبى . ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- أحمد كامل محمود الحاكم بأمر الله وعصره رسالة ماجستير غير منشورة . كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

- أحمد كمال الدين حلمى (د.) السلاجقة فى التاريخ والحضارة . ط. الكويت ١٩٨٦م.  
- أحمد محمد عدوان (د.) موجز تاريخ دولات المشرق الإسلامى . ط. الرياض ١٩٩٨م.  
- أحمد مختار العبادى (د.) فى التاريخ العباسى والنشاطى . ط. بيروت - بشت . فى

التاريخ العباسي والأندلسى . ط. بيروت بيت . دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس . ط. الاسكندرية بيت . قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام . ط. بيروت ١٩٨٦م.

- أحمد وصفي زكريا : جولة أثرية فى بعض البلاد الشامية وصف طينغرافى تاريخى أثرى عمرانى للبقاع والبلدان الممتدة من شمالى الاسكندرية إلى أبواب دمشق . ط دمشق ١٩٨٤م.

- أدهم الدم ودانيال غوفمان ويروس ماسترز : المدينة العثمانية بين الشرق والغرب حلب، أنمير -اسطنبول ت- زلى ذبيان . ط. الرياض ٢٠٠٤م.

- إدوارد جيبون : إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . ج ١ . ت . محمد على أبورية . ط. القاهرة ١٩٩٧م.

- آرثر كريستنس : إيران فى عهد الساسانيين ت- يحيى الخشاب ، مراجعة عيد الرهاب عزام . ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- آرثر هيرمان : فكرة الإضمحلال فى التاريخ الغربى . ت. طلعت الشايب تقديم رمضان بطاوىسى الشروع القومى للترجمة . ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ( ٥٠٠ - ١١٠٠م ) ت . محمد أحمد عيسى . ط. القاهرة ١٩٩٠م.

- أرشيد يوسف ( د ) : سلاجقة الشام من ٤٢٥ - ٥٧٠ هـ . ط. الرياض ١٩٨٨م.

- إرنست باركر : الحروب الصليبية ت. السيد البار العريش . ط. القاهرة ٩٦٠م.

- أرنولد توينبى . الفكر التاريخى عند الاغريق، ت. لمى المطيعى، ط . القاهرة ١٩٩٠م.

- أسامة زكى زيد ( د ) : صيدا ودورها فى الصراع الصليبي الإسلامى . ط. الاسكندرية ١٩٨١م.

- اسيريتو : التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ١ ت. قاسم عبده قاسم . ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- اسحق عبيد ( د ) : روما وبيزنطة من قطيعه فوشبوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين . ط. القاهرة ١٩٧٠م . الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية

- ط. القاهرة ١٩٧٢م . الفرسان والأقنان في مجتمع الاقطاع ط. بنى غازى ١٩٧٥م. الدولة البيزنطية في عصر آل باليولوغوس ١٢٦٦-١٢٨٧م . ط. بيروت بـت . «الذات والموضوع في كتابات مؤرخي العصور الوسطى قراءة في بوسايوس وبروكريوس» . ضمن كتاب الدراسات التاريخية للحلقة النقاشية (السنار) - جامعة الكويت، ط. الكويت ١٩٩٥م . «جان دارك رؤية من خلال الوثائق» الموسم الثقافي للجمعية التاريخية المصرية . ط. القاهرة ١٩٧٨م. من الارك إلى جستنيان ط. القاهرة ١٩٧٧م. «شمس العرب تسطع على أرض النيل» . ضمن كتاب أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الاسلامية. ط . القاهرة ١٩٩٩م. محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها. ط . القاهرة ١٩٧٨م.
- أسد رستم (د.) الروم في سياحتهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزآن . ط. بيروت ١٩٢٥-١٩٤٥م ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج ٢، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- إسرائيل شاحاك : التاريخ اليهودي . الديانة اليهودية وطلة ثلاثة آلاف سنة . ت. صالح على سوداح . ط. بيروت ١٩٩٩م.
- إسرائيل ولبنسون (د.) : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ، ط. القاهرة ١٩٩٣م
- إسماعيل سرهنگ : تاريخ الدولة العثمانية ، تقديم ومراجعة حسن الزين، ط. بيروت ١٩٨٨م.
- إسماعيل نورى الريمى (د.) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ط. عمان ٢٠٠٢م.
- إسماعيل ياغى (د.) العالم العربى في التاريخ الحديث ط. الرياض ١٩٩٧م . الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامى الحديث ، ط. الرياض ١٩٩٨م. تاريخ أوروبا المعاصر . ط. الرياض ٢٠٠٢م .
- أسمت غنيم (د.) امبراطورية جستنيان ، ط. جدة ١٩٩٧م. «معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسلطرس» كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، الإمبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م. تاريخ الامبراطورية البيزنطية . ط . الاسكندرية ١٩٨٧م

- اكمل الدين حسان أوزغلي (محرر) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ت. صالح سعادوى ط. استانبول ١٩٩٩م.
- ألفريد بتلر : فتح العرب لمصر ، ت. محمد فريد أبو حديد ، سلسلة تاريخ المصريين ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.
- أنفونس ماريا شنهر «ثبوت الصحابة في القسطنطينية» ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المشرقين ، ج ١ ، ت. صلاح الدين المتجد ، ط. القاهرة ١٩٩٠م.
- البكسى جورافسكى الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفهم ت. خلف محمد الجراد ، ط. دمشق - ٢٠٠٢م.
- أميرة مصطفى أمين يوسف (د) «كونرادين وعرش الصليبيين» المؤرخ المصرى. العدد (٢٠) يناير ٢٠٠٢م.
- أمين معلوف : الحروب الصليبية كسا ولها العرب ت. عفيف دمشقية ، ط بيروت ١٩٨٩م. ط. بيروت ١٩٩٢م.
- آمال حامد غانم زيان : الإمبراطور الكيسوس كوتين والحملة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الكسياد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠٠م.
- أمل أحمد حامد : مجمع ليون الثانى ١٢٧٧م دراسة فى مشروع الوحدة بين كنيسة القسطنطينية وروما فى القرن الثالث عشر الميلادى. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة المنصورة عام ١٩٩٧م.
- أمل سعيد الجابرى : محمد الفاتح وفتح القسطنطينية ، ط. الشارقة ٢٠٠٠م.
- أنور محمد الزناتى : زيارة جديدة للاستشراق ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- الأمين أبوسعه (د) «هزيمة فى الملاحم العربية قراءة فى سيرة الأميرة ذات الهمة» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، تحرير حاتم الطحاروى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- أمبر عيد العليم (د) : الملاحه وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، ط الكويت ١٩٧٩م.

- أنيس فريجه (د.) : أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها. الجامعة الأمريكية ببيروت . ط. بيروت ١٩٥٦م.
- أين فزاد سيد (د.) الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد . ط. القاهرة ٢٠٠٠م
- إيناس أحمد السيد عيسى (د.) صراع القوى في البحر المتوسط بين البيزنطيين والعرب في الفترة من ٢٥ - ٢٢٢ هـ / ٦٤٥ - ٨٤٦م رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد دراسات البحر المتوسط ، جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠٥م ، الترتيب في آسيا الوسطى ، ت. أحمد السعيد سليمان ط . القاهرة ١٩٥٨م.
- بارو : الرومان ، ت. عبد الرازق يسرى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .
- برنار لازار : مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. ماري شهرستاني ، ط. دمشق ٢٠٠٤م
- برنارد كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٦٢م .
- برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ت. سيد رضوان على ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. اكتشاف المسلمين لأوروبا ت. ماهر عبد القادر ، ط. القاهرة . ١٩٩٦م.
- برنابن كلى : فتح القسطنطينية ، ت. شكرى محمود نديم ، ط. بغداد ١٩٩٢م.
- بريس راوشتاخ : «تعميد كيبف» مجلة رسالة اليونسكو، العدد التذكاري بمناسبة مرور ألف عام على تعميد كيبف رقم (٢٢) ، نوفمبر عام ١٩٨٨م.
- بول بومار : الفاتيكان عاصمة الكشلكة في العالم ت. أنطوان الهاشم ، ط. بيروت ١٩٩١م.
- بول كيدى: نشر، وسقوط القوى العظمى ، ت. مالك البديرى ، ط. عمان ١٩٩٩م.
- بول وليمان : ثيودورا ، جزآن ، ط. بيروت ١٩٩٠م.
- بورك سمايلى : المؤرخون في المصور الوسطى ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٨٠م.
- تزنون أهل الذمة في الإسلام، ت. حسن حبشى ط. القاهرة ١٩٩٧م
- تركى مسير العتيبي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية الإسلامي ، ط. الرياض ١٩٨٧م.

- حاسم بنيس الحبرى (د) : دور القيادة الكارزمية . مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبو ظبي ٢٠٠٣م.
- حان جنير : المسيحية نشأتها وتطورها ت. عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.
- جان فلورى : الحرب المقدسة ، الجهاد والحرب الصليبية العنف والدين فى المسيحية والإسلام ، ت. غسان مایسو. مراجعة د. جلال شحاده ط. دمشق ١٩٩٩م.
- جلال حسنى سلامة (د) : عكا أثنا- الحطة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م
- جلال يحيى (د) : التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م.
- جلوب : الفتوحات العربية الكبرى، ت. خيرى حماد ، ط. بيروت بيت
- جمال الدين سرور (د) : تاريخ الدولة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- جمال الدين الشيال (د) تاريخ مصر الإسلامية ج٢، العصران الأيوبي والمملوكي، ط الاسكندرية ١٩٩٧م.
- جمال فاروق الوكيل : تطور استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى ضوء كتاب مارينو سائودو ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ٢٠٠٠م.
- جمال فوزى محمد عمار (د) : التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- جمعة الجندي (د) : حكم النورمان فى صقلية ١٠٩١-١١١٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٠م، حياة الفرنج ونظمهم فى بلاد الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين - دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٨م.
- جميل حرب محمود (د) : الحجاز واليمن فى العصر الأيوبي ، ط. حلة ١٩٨٨م
- حسانت لويون : حضارة العرب ت. عادل زعبيتر ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- جورج عطية : الأثر السرياني فى الحياة الفكرية والعلمية فى بلاد الشام ، ضمن كتاب بلاد الشام فى العهد البيزنطى، الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولى الرابع

لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عفنان البيهقي، ومحمد عصقور ، ط. عمان ١٩٨٨م.

- جورج يوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ، ت. أمين سلامة مراجعة سيد توفيق ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- جوزيف كوسي : تاريخ الثورة الفرنسية ط. بيروت ١٩٨٩م.

- جوزيف داهموس : سبعة مؤرخين في العصور الوسطى ت. محمد فتحي الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٨٩م. ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى ت. محمد فتحي الشاعر ، ط. القاهرة ١٩٩٢م.

- جوزيف نسيم يوسف (د.) «دراسات في المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين في سيناء» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٨م. ١٩٩٩م. ، «الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية م (١) ، عام ١٩٩٩م. نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م. ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م. ، «أنشودة رولان قيمتها التاريخية وما أثير حولها من نقاش» ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م. ، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٦ - ١٤٥٣ م ، ط. الاسكندرية ١٩٨م. ، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، ط. بيروت ١٩٨٧م. دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م

- جودفري ويكمان «بحرنا ... البحر المتوسط» ، ضمن كتاب البحر والتاريخ لمجديات الطبيعة واستجابات البشر، تحرير أ. رابرس ، ت. عاطف أحمد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، أبريل ٢٠٠٠م.

- جونز (ج.ر) الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة ، ت. حاتم الطحاوي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- جرنر مدن بلاد الشام حين كانت ولاية ورومانية ، ت إحصان عباس ط عمان ١٩٨م.

- حبراره ديمرج : دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ت. محمد رنعت عواد ، ط. القاهرة ٢٠٠م.

- جيس : الماجنا كارتا (المعهد الأعظم) ت. مصطفى طه حبيب. ط. القاهرة ١٩٦٥م.
- جيس نيتلى : اكتشاف الكتاب المقدس قيام المسيح فى سيناء ، ت. آسيا محمد الطريحي . ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- جيس وستون (الابن) مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة ، ت. رضوان السيد ط. الرياض ٢٠٠٧م
- جيهان عبد المقصود فهمى : السنوات الأخيرة للأسرة المملوكية ، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٧م.
- حاتم الطحاوى (د.) بيزنطة والمدن الإيطالية ، العلاقات التجارية (١٠٨١-١٢٠١م) ط. القاهرة ١٩٩٨م. • جون ل. اسبوزيتو التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة ؟ ترجمة فاسم عبده فاسم ٢٠٠١م . Exposito, the Islamic Threat . Oxford 1999 Myth or Reality حولة التاريخ الإسلامى والوسطى م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. • كريستوفر كوليس يدعو فرديناند وايزابيلا لشن حملة صليبية والاستيلاء على القدس ١٥٠١م • ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى مجموعة أبحاث مهدد إلى الأستاذ فاسم عبده فاسم بمسألة بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوى. ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- حارم عبد القهار الشربى : الروح العنوية للجيش العربى الإسلامى فى صدر الإسلام . ط. بغداد ١٩٩٨م.
- حافظ حمدي (د.) الدولة المملاكية والمملاكية . ط. القاهرة ١٩٤٩م ، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى . ط. القاهرة ١٩٥٠م.
- حامد زيان (د.) : فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة . ط. القاهرة ١٩٧٧م
- حبيب جاماتى : اليهود والمملاكية المتوجهة . ط. القاهرة ١٩٥٠م .
- حسان حلاق (د.) تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى. الحياة المالية والاقتصادية والإدارية . ط. بيروت ١٩٨٨م .
- حسن ابراهيم (د.) : الفاطميون فى مصر . ط. القاهرة ١٩٣٢م ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . ط. بيروت ٢٠٠١م.
- حس الباشا (د.) العقيدة النصرانية بين القرآن والأنجيل . ط. دمشق ٢٠٠١م.

- حسن الساعاتي (د.) «منهج أبي الفداء في البحث» ، مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حمص في ذكرى مرور مئتين سنة على ولادته ١٢٧٢-١٣٣١م. ط. دمشق - حمص ١٩٧٤م.
- حسن حبشي (د.) نور الدين والصليبيين حركة الإنفاة الإسلامية في القرن السادس الهجرى ط. القاهرة ١٩٤٨م ، الشرق الأوسط بين شقى الرعى ، حملة لويس على مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الحرب الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- حسن حنفي (د.) مقدمة في علم الاستغراب ، ط. بيروت ١٩٩٢م.
- حسن صبحي بكري (د.) الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى ، ط. الرياض ١٩٨٥م.
- حسن طاعا (د.) للفكر الدينى اليهودى ، ط. دمشق بيت .
- حس عبد الوهاب (د.) قيسارية الشام فى التاريخ الاسلامى ط. الاسكندرية ١٩٩٠م. «مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية» ضمن كتاب مقالات للحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، معالم للتاريخ البيزنطى الساسى والحضارى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .
- حسن محمود (د.) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- حسين ربيع (د.) «البحر الأحمر فى العصر الأموى» ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، إشراف أ.د. أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ط. القاهرة ١٩٨٧م ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.
- حسن أحمد أمين (د.) الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها ، ط. القاهرة ١٩٨٣م.
- حميد السيد متولى النحال (د.) الحروب الصليبية المتأخرة على مصر وتونس فى أواخر العصور الوسطى ( ١٣٦٥-١٤٠٧م ) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.

- حسين العمودات : العرب التنصاري عرض تاريخي . ط. دمشق ١٩٩٢م.
- حسين عبد الحميد الأثرم : دراسات في تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربي . ط. بي  
غازي ١٩٩٦م.
- حسين عطية (د.) إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بالدول الإسلامية  
المجاورة . رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عام  
١٩٨٣م. إمارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م) / ٥٦٧-٥٦٦هـ ، ط  
الاسكندرية ١٩٨٩م.
- حسين مؤنس (د.) تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية  
والاجتماعية . ط. القاهرة ١٩٩٣م . فجر الأندلس . ط. بيروت ٢٠٠٢.
- حسين مجيب المصري (د.) الصلات بين العرب والفرس والترك . ط. القاهرة ١٩٨٢م
- حكمت شريف (بلك) تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام ، تحتين مس  
حناد يكن ومازون عيسى خوري . ط. طرابلس ١٩٨٧م.
- حمدي شاهين (د.) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين . ط. القاهرة ٢٠٠٠م
- خليل السامرائي (د.) وعبد الواحد ذنون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس . ط  
بيروت ٢٠٠٠م.
- خليل إينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار . ت. محمد  
الأرنؤوط . ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- خليل رستم : القديس يوحنا الذهبي الفم . ط. دمشق ١٩٨٣م.
- داوود : أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير . ت. ألبرت بطرس . ط. بيروت ١٩٦٨م.
- دمنري ميكولسكي المسعودي هيرودوت العرب . ت. عادل إساعيل مراجعة بوبل  
يترف ط . دمشق ٢٠٠٦م.
- دنلوب : تاريخ يهود الخزر ت. مهيل زكار . ط. دمشق ١٩٩٠م.
- دونالد سيكول : معجم التراجم البيزنطية ت. حسن حبشي . ط . القاهرة ٢٠٠٣م.
- دونالد كوانزت : الدولة العثمانية ١٧٠٠-١٩٢٢م . ت. أمين الأرمنادي . ط. الرياض  
٢٠٠٤م.

- ديثيد سوقيير : جغرافية الأديان ت. أحمد غسان سيانو . ط . دمشق ١٩٩٩م.
- ديثيد صمويل مارجلوهر : القاهرة وبيت المقدس ودمشق ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سيانو . ط. دمشق ٢٠٠٠م. دراسات عن المؤرخين العرب ت. حسين نصار . ط. القاهرة ٢٠٠١م .
- ديفر أوروبا في العصور الوسطى ت. عبد الحميد حمدي محمود ط. الاسكندرية ١٩٥٨م. شارلمان، ت. السيد الباز العريضي ط. القاهرة ١٩٥٩م.
- ديمتري غوتاس الفكر اليوناني والثقافة العربية حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر، القرن الثاني- القرن الرابع هـ / القرن الثامن - القرن العاشر م . ت. نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.
- ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ : عصر الملك الكامل الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الموصل عام ١٩٨٨م.
- رأفت الشيخ (د.) ومحمد رفعت (د.) آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر . ط . القاهرة ١٩٩٧م.
- رأفت عبد الحميد (د.) «كنيسة بيت المقدس في العصر البيزنطي» المجلة التاريخية المصرية م (٧٥) عام ١٩٧٨م. «الملكية الأثينية بين الوراثة والانتحار في العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامي والوسط، م (٢) ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٨٣م . الندوة والكنيسة ج٢، قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ط. القاهرة ١٩٩٩م. «مصر والعرش البيزنطي» ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم رؤوف عباس، ط. القاهرة ١٩٨٦م . «سوزين المزوخ الغزوي» ضمن ندوة فلسطين عبر التاريخ إعداد حامد غانم زيان ، مركز البحوث والدراسات التاريخية - جامعة القاهرة . ط . القاهرة ١٩٩٦م . بينزطة بين الفكر والدين والسياسة ط. القاهرة ١٩٩٧م «الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٣٢هـ» ، ضمن كتاب بينزطة بين الفكر والدين والسياسة، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، «مصرع حوليان الفيلسوف الإمبراطور» ضمن كتاب قطوف دائية مهتاه إلى ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعي ، ط. عمان ١٩٩٧م. «الملك الكامل بين

الإقطاع والتفرقة ، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ط.  
القاهرة ١٩٩٨م. الإمبراطورية البيزنطية العريقة والسياسة ط. القاهرة  
٢٠٠٠م. الفكر المصري في العصر المسيحي ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م. الدولة  
والكنيسة المسيحية الجديدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- رجب محمد عبد الحليم (د.) دولة بنى حمود في مالقه بالأندلس. رسالة ماجستير، كلية  
الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م.

- رستو قنزف : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى. ت. ركي على  
ومحمد سليم سالم، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.

- رشاد خميس (د.) سيرة سيد بطال غازي في القمص الشعبي التركي وأثر الصراع  
الإسلامي البيزنطي فيها، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب بجامعة  
عين شمس عام ١٩٨٨م.

- رشدي الأشهب : المعالم الأثرية في فلسطين ، ط. القدس ١٩٩٧م.

- رضا هادي عباس (د.) الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة ط. قاليتا- مالطه  
١٩٩٨م.

- رمزي : تلفيق الأخبار وتلفيق الآثار في وقائع غازان وملوك التتار ، م (١) . ط.  
أورنورغ ١٩٠٨م.

- روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ت. صالح العلي ، ط. بيروت ١٩٨٢م.

- روبرنس (ج.م) موجز تاريخ العالم ج ١ ت. فارس قفا ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.

- روبرت لوبيز : ثورة العصور الوسطى التجارية ٩٥٠ - ١٢٥٠ ت. محمود أبو صرة ،  
ط. قاليتا- مالطه ١٩٩٢م.

- ريمون استانبولي مفتاح أورشليم القدس ، حملتان صليبيتان على مصر ١٢٠٠-  
١٢٥٠. ت. عابدة الباجوري تقديم ومراجعة أ.د. اسحق عبيد ط. القاهرة  
٢٠٠٤م.

- ريسه جيوسيه : الحروب الصليبية ، صراع الشرق والغرب ، ت. أحمد أبيش ، ط.  
دمشق ٢٠٠٢م.

- راكية وشي (د.) «تاريخ الأدب السرياني» مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس ،  
م (١٧) عام ١٩٧٣م.

- زاهر رياض (د) شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨١م.
- زبيدة عطا (د) التركة في العصور الوسطى بيننطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ط القاهرة بـست . ط . القاهرة ١٩٧٧م. المقاتل البيزنطى . ط. النجا ١٩٨٢م الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- زكى النقاش (د) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م.
- زهيرة الببلى التاريخ يصنعه المرضى ، ط. القاهرة ١٩٨٥م مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٢١٥هـ / ١٧٤٥م / ١٨٠٠ - ١٨٣٠م ط. عمان ١٩٩٦م.
- زينب بيره چكلى شعر الثورات الداخلية فى العهد العثمانى ، ط عمان ١٩٩٩م ذات السوارى ط. الشارقة ٢٠٠٦م.
- زينب عبد القوى (د) الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩ - ١٢٩١ ط. القاهرة ١٩٩٦م. «جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى» حولية التاريخ الإسلامى والوسطى م (٣) ، عام ٢٠٠٣م. اليهود فى إنجلترا العصور الوسطى، ١٠٦٦-٢٩٠م ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.
- زينب عصمت راشد (د) تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ط. جدة ١٩٨٩م.
- سالم مخيمر (د) وخالد حجازى أزمة المياه فى المنطقة العربية الحقائق والبعائل الممكنة سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م.
- ستيفن ونسيان الحضارة البيزنطية، ت. عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على ، ط. القاهرة ١٩٦٤م ، المسيحيون العرب فى فلسطين ، ط . اسكس ١٩٦٨م. تاريخ الحروب الصليبية ت. السيد الياز العريشى ، ط. بيروت ١٩٦٧ - ١٩٦٩م. ط. بيروت ١٩٩٣م
- سر الحتم عثمان (د) مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣ م، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- سرور عبد النعم (د) السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك

قولك الأنجوى ١١٣١-١١٤٣ / ٥٢٦ - ٥٣٨ هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م . هجود فرى دى بويون حاكماً للكيان الصليبي ١٠٩٩-١١٠٠م مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس عدد عام ٢٠٠٤م .

- سعاد ماهر (د.) البحرية فى مصر الإسلامية وأثارها الباقية ، ط. القاهرة .

- سعد رستم ، التوحيد فى الأناجيل الأربعة وفى رسائل القديسين بولس ويوحنا ط. دمشق ٢٠٠٢م. الفرق والمذاهب المسيحية من ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

- سعد السعدى : معجم الشرق الأوسط ط. بيروت ١٩٩٨م.

- سعد زغلول عبد الحميد (د.) الاسكندرية قاعدة عسكرية فى القرن الأول من تاريخها العربى ومملكة الصواري، ضمن كتاب سواحل مصر عبر العصور، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- سعيد أحمد براجوى ، الدولة العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى ، ط. بيروت ١٩٩٣م.

- سعيد عبدالله البيشارى (د.) نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢-٦٩٠ هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م ط. عمان ١٩٩٠م. الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢-٦٩٠ هـ ط. الاسكندرية ١٩٩٠م . والأراضى الزراعية ومنتجياتها فى الحليل فى العصر الفرنجى ٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، تحرير محمد مؤنس عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م . «الاستيطان الفرنجى فى بيت المقدس والمناطق المحيطة بها (١٠٩٩-١١٨٧م) ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خفيس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م .

- سعيد السيد على فرغلى (د.) «إضمحلال حكم الأنجلوساكسون فى إنجلترا ٩٧٩-١٠٦٦م / ٣٦٨ - ٤٥٨ هـ . بحث ضمن كتاب بحوث فى تاريخ

العصور الوسطى ، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ط  
الاسكندرية ٢٠٠٤م.

- سعيد عاشور (د) أوروبا العصور الوسطى - التاريخ السياسي ط. القاهرة ١٩٦٢م ، ط  
القاهرة ١٩٧٢م ، ط . القاهرة ١٩٨١م - «الامبراطور فردريك والشرق العربي»  
المجلة التاريخية المصرية ، عدد عام ٩٦٣م الحركة الصليبية صفحة مشرفة في  
تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٣م. أعضاء جديدة  
على الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م. تاريخ العلاقات بين الشرق  
والغرب في العصور الوسطى ، ط. بيروت ٢٠٠٣م.

- سعيد عاشور (د) ومحمد أنيس (د) النهضة الأوروبية في العصور الوسطى ونبذة  
المدينة ط. القاهرة ١٩٥٦م.

- سلوى بالحاج صالح (د) المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع  
الهجري / العاشر الميلادي ، ط . بيروت ١٩٩٧م.

- سليم شعنوع ، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس ، شفا عمرو-  
فلسطين ١٩٩٠م .

- سليم عرفات الجيى النصرانية وآثارها في غزة وما حولها ط. غزة - فلسطين ١٩٩٨م.

- سليمان الخرايشة ، الصراع الفاطمي- السلجوقي في بلاد الشام ٤٤٧- ٥٦٦هـ /  
١٠٥٥- ١١٧٠م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين

شمس عام ١٩٩٠م.

- سليمان الرحلى (د) العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهد  
الخليفة هارون الرشيد والامبراطور شارلمان ط. الرياض ميث .

- سميرة يونس (د) النورمان والدولة البيزنطية في القرن الحادى عشر ط. القاهرة  
١٩٩٥م .

- سها إبراهيم منصور ، جامعة أكسفورد نشأتها وتطورها ، رسالة ماجستير غير منشورة  
كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.

- سهير نعينع (د) «العلاقات التجارية بين المدن الإيطالية ومصر والشام في القرنين  
١١ ، ١٢ الميلاديين في ضوء الوثائق التاريخية» ضمن كتاب بحوث في تاريخ

- المصور الرسطي كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير  
على أحمد السيد وإبراهيم خيس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- سهيل زكار (د.) «أبر القداء» ، ضمن مؤتمر الموزخ والجغرافى أهر القداء ، صاحب حماء  
فى ذكرى مرور سبعةائة عام على ولادته ١٢٧٣- ١٢٣٦م ط. دمشق - حماء  
١٩٧٤م ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ط. دمشق ١٩٨١م ، الحروب  
الصليبية ، ت. سهيل زكار ط. دمشق ١٩٨٤م ، الموسوعة الشامية عدة أجزاء  
، ط. دمشق ١٩٩٣- ١٩٩٥م.
- سهيل زكار (د.) ووفاء جرنى (د.) واكتساح إسماعيل (د.) حروب الفرنجة  
(الصليبية) ط. دمشق ٢٠٠٥م .
- سيار الجميل (د.) العثمانيون وتكوين العرب الحديث ط. بيروت ١٩٨٩م .
- السيد الياز العرنى (د.) أجناد الروم ، ط. القاهرة ١٩٥٦ ، الدولة البيزنطية ٣٢٣-  
١٠٨١م ط. القاهرة ١٩٩٠م ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٢م ،  
الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.
- سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب ت. عفيف البطيكي ، ط. بيروت ١٩٩٠م .
- سيد الناصرى (د.) تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسية والحضارى ط. القاهرة  
١٩٧٥م ، الروم والشرق العربى ط. القاهرة ١٩٩٣م .
- السيد عبد العزيز سالم (د.) للتاريخ والمؤرخون العرب ط. الاسكندرية ١٩٧٦م ، تاريخ  
المحافظة الإسلامية ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، طرابلس الشام فى التاريخ  
الاسلامى ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.
- سيد كاشف (د.) مصر فى عصر الولاة ، ط. القاهرة بيت .
- شارل دبل ، البندقية جمهورية أرستقراطية ت. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ،  
ط. القاهرة ١٩٤٨م.
- شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م . ط.  
القاهرة ١٩٩٠م .
- شاكز أبو بدر ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ط. بيروت بيت .
- شاكز مصطفى (د.) «دخول الترك الغز إلى الشام» ضمن كتاب تاريخ بلاد الشام من

- القرن السادس إلى القرن السابع عشر المؤثر العولمي لتاريخ بلاد الشام ط. بيروت ١٩٧٤م . التاريخ العربي والمؤرخون ط. بيروت ١٩٨٠م .
- شعاده على الناطور (د.) تاريخ صدر الإسلام وقبحه . ط. عسّان ٢٠٠١م .
- شعبان محمد خلف حنغاريا والحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢١٨م / ٤٨٩-٦١٤هـ) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة المنيا عام ٢٠٠٤م .
- شكرى فيصل (د.) حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ط. بيروت ١٩٧٤م .
- شمس الدين الكيلاني ، صورة أوروبا عند العرب في العصور الوسطى . ط. دمشق ٢٠٠٤م .
- شوقي الجبل (د.) وعبدالله عبد الرزق (د.) تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة . ط. القاهرة ٢٠٠٠م .
- شوقي شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضي الحاضر المستقبل ، ط. الشارقة ٢٠٠١م .
- صابر دباب (د.) المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشابية خلال القرن الرابع الهجري ، ط. القاهرة ١٩٨٤م .
- صبرى أبو الخير (د.) تاريخ مصر في العصر البيزنطي . ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- صالح السفور ، فتح القسطنطينية ط. دمشق بيت . العلاقات الخارجية للأندلس في عهد الإمارة ط. الرياض بيت .
- صبحى عبد الحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ط. بيروت ١٩٨٣م .
- صلاح الدين المتجد (د.) المؤرخون الدمشقيون وأثارهم المخطوطة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ق (٢) . ج (١) عدد مايو ١٩٥٦م . معجم المؤرخين الدمشقيين . ط. بيروت ١٩٧٤م .
- صلاح الدين يحيى (د.) أشكال الأرض ، ط. دمشق ١٩٧٩م .
- صلاح الدين المتجد (د.) الشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى . ط. بيروت ١٩٦٣م .
- صلاح ضبع (د.) العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر

آل باليولوغوس ١٢٦١-١٤٥٣م رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب -  
جامعة جنوب الوادي عام ١٩٩٨م.

- صلاح هريدي (د.) دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ط. الاسكندرية  
١٩٩٩-٢٠٠٠م.

- ضيف الله بظاينه (د.) دراسة في تاريخ الحلفاء الأمويين ، ط. عمان ١٩٩٩م.

- طارق منري (د.) «المسيحيون الشرقيون والإسلام» ضمن كتاب العلاقات الاسلامية  
المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات  
الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ط. بيروت ١٩٩٤م.

- طارق منصور (د.) الجيش في الامبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية  
القرن التاسع الميلادي رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة  
الزقازيق فرع بنها عام ١٩٩٣م. الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤م. ط.  
القاهرة ٢٠٠١م ، قطوف الفكر البيزنطي أولاً: الأدب ط. القاهرة ٢٠٠٢م.  
«ساربا المصرية نموذج للقصص الدينية في العصور الوسطى» ، ضمن كتاب  
قطوف الفكر البيزنطي أولاً: الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. «الملحة البيزنطية  
ديجنيس اكريتيس رؤية أدبية» ، ضمن كتاب قطوف الفكر البيزنطي أولاً:  
الأدب ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م. بيزنطة والعالم الخارجي ج١، البيزنطيون والعالم  
الإسلامي ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «فن القتال عند البيزنطيين دراسة في  
الاستراتيجية في ضوء تكتيكات ليو الحكيم» ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ  
العصور الوسطى أبحاث مهداة إلى الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم بمناسبة  
بلوغه الستين عاماً تحرير حاتم الطحاوي ط. القاهرة ٢٠٠٣م. «التاريخية  
- قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية» ، حولية التاريخ  
الإسلامي والوسط ، م (٤) ، عام ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥م.

- طارق منصور (د.) ورأيت عهد الحميد (د.) مصر في العصر البيزنطي ٧٨٤-٦٤١م  
ط. القاهرة ٢٠٠١م.

- طارق منصور (د.) ومحاسن الرقاد (د.) النقط واستخدامه وتطوره عند المسلمين ٦٤-٩٢٣هـ / ٦٨٤-١٥١٧م ط. القاهرة ٢٠٠٦م

- عائشة بنت عبدالله ، البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م.

- عائشة سعيد أبو الجفائل (د.) الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري دراسة التطورات والتغيرات ط. الرياض ١٤١٥ هـ .
- عادل زيشون (د.) العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م . العلاقات الاقتصادية في العصور الوسطى ط. دمشق ١٩٨٠م . تاريخ العصور الوسطى الأوروبية ، ط. دمشق ١٩٨٢م ، «ملاحظات على أطروحة هنري بيري من خلال كتاب «محمد وشارلمان»» ، ضمن الدراسات التاريخية للعلاقة النفاشية (السنار) ، قسم التاريخ - كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٣-١٩٩٤م.
- عارف تامر (د.) الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين - المحاكم بأمر الله ، ط. بيروت ١٩٨٠م.
- عاطف مرقص (د.) قبرص والحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م . رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م.
- عبد الحفيظ محمد علي (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عصر حنا كومنين ١١١٨-١١٤٢م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.
- عيد الحميد البطريق (د.) وعبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.
- عباس إسماعيل الصايغ (د.) تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ، الحروب والسلام بين العثمانيين والصغويين ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- عباس إقبال ، تاريخ المفلول ضد حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، ت. عبد الرحاب عارب ، المجمع الثقافي ، ط. أبو ظبي عام ٢٠٠٠م .
- عباس عزاوي ، التعرف بالمتزيين ، ط. بغداد ١٩٨٧م .
- عباس عمار : المداخل الشرقي لمصر ، ط. القاهرة ١٩٤٦م.
- عباس فاضل السعدى (د.) ياقوت الحموى دراسة في التراث الجغرافى العربى مع التركيز على العراق في معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٩٧م.
- عباس محمود العقاد عبقرية خالد ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

- عباس التكروري، موسوعة الخلفاء الراشدين ، ط . عمان ٢٠٠٣م.
- عبد الجبار الجومرد (د.) هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته ، ط. بيروت ١٩٩٩م.
- عبد الجبار المسامرائي (د.) «الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة» الفيصل ، العدد (٥٥) ، محرم ١٤٠٢هـ / نوفمبر ١٩٨١م.
- عبد الحافظ البتا (د.) النظام الاتفاقي في المملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ - ١٢٦١م رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٩٨م.
- عبد الرحمن حميدة (د.) «أبو الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافي أبو الفداء صاحب حماد - في ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته عام ١٢٧٣ - ١٣٣١م ط . دمشق - حماد ١٩٧٤م. «طريق التحرير بين ابن بطوطة وماركوبولو» مجلة دراسات تاريخية - جامعة دمشق السنة (١٢) ، العددان (٣٩) كانون الأول ١٩٩١م .
- عبد الرحمن زكي (د.) ومحمود عيسى الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٧م.
- عبد الرحمن سامي القزل الحق في بيروت ودمشق ، ط. بيروت ١٩٨١م.
- عبد الرحمن العيد الغني (د.) «فرتيوس والقطيعة بين كنيسة روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي» ، عالم الفكر، العدد (٣) أوتبر - ديسمبر ١٩٨٩م.
- عبد الرزاق محمد أسود، موسوعة الأديان والمذاهب ، ط. بيروت ٢٠٠٠م.
- عبد السلام الزمباني (د.) «أزمة التاريخ الإسلامي ج ١ ق ٢» ، ط. الكويت ١٩٨٢م.
- عبد السلام زيدان (د.) الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧ - ١١٤٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة جنوب الرادي عام ٢٠٠٠م.
- عبد السلام عبد العزيز فهمي (د.) السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، ط. دمشق ١٩٩٣م.

- عبد الشافي محمد عبد اللطيف (د.) العالم الإسلامي في العصر الأموي ٤١ - ١٣٢ هـ / ٦٦١ - ٧٥٠ م. ط. القاهرة ١٩٨٤م.
- عبد العزيز القدوري (د.) العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، ط. بغداد ١٩٩٧م . نشأة علم التاريخ عند المسلمين . مركز زايد للتراث والتاريخ ، ط. أبوظبي ٢٠٠٠م.
- عبد العزيز رمضان (د.) العلاقات البيزنطية - اللاتينية في عهد الإمبراطور حاسويل الأول كومنينوس ١١٤٣ - ١١٨٠م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م . المرأة البيزنطية من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي رسالة دكتوراه - كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ٢٠٠٣م . «مغلل إلي مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الانترنت» حولية التاريخ الإسلامي والوسط . م (٣) عام ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م .
- عبد العزيز عبد الغام (د.) إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) التاريخ الحديث أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية-البروسية ١٧٨٩ - ١٨٧١ . ط. القاهرة بيت . تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث . ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- عبد العزيز سليمان نوار (د.) ومحمود محمد جمال الدين (د.) التاريخ الأوربي الحديث عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- عبد الغنى محمود عبد العاطي (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الكسبروس كومنين . ط. القاهرة ١٩٨٣م .
- عبد الفتاح الفتحي (د.) معركة بلاط الشهداء في التاريخ الاسلامي والأوربي ، ط. القاهرة ١٩٩٦م. الاسلام والثقافة العربية في أوروبا . ط. القاهرة ١٩٧٩م.
- عبد القادر اليوسف (د.) الإمبراطورية البيزنطية . ط. بيروت ١٩٦٦م. المصود الوسطى الأوروبية . ط. صيدا ١٩٦٧م علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر . ط. صيدا ١٩٦٩م.
- عبد القادر طليمات (د.) ابن الأثير المؤرخ . ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- عبد اللطيف حمزة (د.) أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٩م .
- عبد الفتيف عبد الهادي السيد (د.) «دراسة نقدية لتهج الكتابة التاريخية عند جاك دي فستري» ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (المصور الوسطى) تحرير محمد مؤنس عوض . ط. القاهرة ٢٠٠٣م .
- عبد الله بن سعيد الفاضلي (د.) مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى - سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ .
- عبدالله الربيعي (د.) «الدوايق الدينية للحركة الصليبية ضمن ندوة الاطار التاريخي للحركة الصليبية» إنجناد المؤرخين العرب ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .
- عبدالله عتار ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٧٣م .
- عبدالله محمد عبد الرحمن (د.) علم اجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م
- عبد المنعم ماجد (د.) الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدر عليه ، ط. القاهرة ١٩٥٩م
- العلاقات بين الشرق والغرب في المصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦٦م
- التاريخ السياسي للدولة العربية ج ٩ ، ط. القاهرة ١٩٦٧م . ط. القاهرة ١٩٧٩م .
- العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ العباسيين التاريخ السياسي ، ط. القاهرة ١٩٧٣م . ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٧م .
- عبد النعيم حسنين (د.) سلاجقة إيران والعراق ، ط. القاهرة - ١٩٩٧م ، دولة السلاجقة ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .
- عبد الواحد داود الاشوري ، الانجيل والصليب ، قدم له وعاق عليه محمد علي سلامة ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م .
- عثمان تويان ، الأماضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ت. علي عروء الفاضلي . ط. الرياض ١٤١٨هـ .
- عرفان شهيد بروما والعرب مقلعة لدراسة بيزنطة والعرب ت. محمد فهمي عبد الباقي محمود ، ط. القاهرة بيست

- عرفان عبد الحميد فتاح (د.) التنصيرية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها ، ط. عمان ٢٠٠٠م.
- العروسي الخطري ، المحروب للصليبية في الشرق والغرب ، ط. تونس ١٩٥٤م .
- عزت زكي حاصد قادوس (د.) الصلوات اليونانية والهالينستية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م .
- عزيز أحمد (د.) تاريخ صقلية الاسلامية ، ت. أمين توفيق الطيبي، ط. بيروت ١٩٨٠م.
- عزيز سوريال عطية (د.) العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ت. فليپ صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٢م. المحروب للصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ت. فليپ صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٧م. تاريخ المسحبة للشرقية ، ت. إسحق عبيد، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.
- عصام الدين عبد الرؤف (د.) بلاد الجزيرة في أواخر العصر المملوكي ، ط. القاهرة ميسر.
- عصام محمد شبارو (د.) السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، ط. بيروت ١٩٩٤م. الأتلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ٩١-٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩٢م ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- عطية القوصي (د.) اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- عفاف صبره (د.) العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠-١٤٠٠م ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. «الجزيرة الفراتية بين الصراع الفارسي البيزنطي من القرن الرابع الميلادي إلى الفتح الإسلامي» ما قبل ٨-٦٦١هـ / ٦٢٩-٦٨٢م. المجلة التاريخية المصرية م (٤٣) ، عام ٢٠٠٥م.
- علاء الدين حسين مكي ، فن الحرب عند العرب دراسة في الفترات الكبرى في العصر الراشدي ، ط. بغداد ١٩٩٩م.
- علي أبو عصف و«طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم» مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق السنة (١٢) ، العددان (٣٩) ، (٤٠) كانون الأول ١٩٩١م.
- علي أحمد السيد (د.) التحليل والحرم الإبراهيمي في عصر المحروب للصليبية (١٠٩٩-

١١٨٧م / ٤٩٢ - ٥٨٣هـ . ط. القاهرة ١٩٩٨م.

- على السيد على (د.) «الفناء الكبير» والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي - دراسة مقارنة بين الشرق والغرب. المجلة التاريخية المصرية م (٢٣) عام

١٩٨٦م. المجلة التاريخية المصرية عدد (١) عام ١٩٩٠م.

- على السيد على (د.) وقاسم عبده قاسم (د.) الأبرييون والماليك التاريخ السياسي . ط. القاهرة ١٩٩٦م .

- على العرجاني (د.) مواقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ١٤٨٨هـ / ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م. رسالة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م.

- على الفسراوي (د.) ملحمة البطولة الجرمانية . ط. القاهرة ١٩٧٢م «المصادر الهجيرية» قبل النهضة الكارولنجية». مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت . العدد (٢) عام ١٩٧٢م. «الملفوظات الدينية في أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس حتى القرن الثامن». مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت. عدد ديسمبر كانون الأول ١٩٧٤م. مدخل إلى دراسة التاريخ الأوروبي الوسيط . ط. القاهرة ١٩٧٥م ومعالم ألمانيا التاريخية Monumenta Histonica مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألماني في العصور الوسطى». مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عدد عام ١٩٨٦م .

- على بكر حسن (د.) الطبري ومنهجه في التاريخ . ط. القاهرة ٢٠٠٤م .

- على بن ابراهيم النملة (د.) للتصوير في المراجع العربية دراسة ووصد وواقى للطبوع . ط. الرياض ٢٠٠٣م.

- على حسنى الخربوطلى (د.) الإسلام وأهل الفضة . ط. القاهرة ١٩٦٩م .

- على حسين الشطشاط (د.) نهاية الوجود العربي في الأندلس . ط. القاهرة ٢٠٠١م

- على صالح محميد (د.) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي . ط. الرياض ١٩٨٢م .

- على عبد العظيم تعلوب (د.) الحركات الحديثة للقشرة الأرضية . ط. القاهرة ١٩٩٠م .

- على عرودة الغامضي (د.) «معركة مرياكيفالون ٥٥٧٢ هـ / ١١٧٦م» مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى، العدد الأول، السنة الأولى، مكة المكرمة عام ١٤٠٩هـ.
- على محمد الصلاحي (د.) الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، ط. بيروت ١٩٩٩م، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، ط. القاهرة ٢٠٠١م، فاتح القسطنطينية، السلطان محمد الفاتح، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الدولة الأموية، عوامل الإزدهار وتفاعلات الإنهيار، ط. الشارقة، ٢٠٠٦م.
- عليا - ديب تيريزي، المخطوط الأعظم لتحرير القدس، نور الدين محمد، ط. صيدا ٢٠٠٣م.
- عليه الجيتوري (د.) المرأة البيزنطية، ط. القاهرة ١٩٩٨م، العلاقات البيزنطية الروسية في عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧-١٠٥٦م، ط. القاهرة ١٩٨٩م، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، الإمبراطورة إيريني، ط. القاهرة ١٩٨١م، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- عماد الدين خليل (د.) الإصرات الأوثقية في الجزيرة الفراتية ٩٠٧-١٤٠٩م / ٤٦٥-٨١٢هـ، ط. بيروت ١٩٨٠م، عماد الدين زنكي، ط. بيروت ١٩٨٢م، «فلسطين في الأدب الجغرافي العربي»، ضمن كتاب دراسات تاريخية، ط. بيروت ١٩٨٣م.
- عمر عبد السلام تدمري (د.) «دار العلم في طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري»، مجلة عالم الفكر، م (١٢)، الكويت عام ١٩٨١م لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية ١٢-١٣٢٢هـ / ٦٣٤-٧٥٠م، ط. طرابلس ١٩٩٠م، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاشيديية ١٣٢-٣٥٨هـ / ٧٥٠-٩٦٩م، ط. طرابلس ١٩٩٢م لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٥٨-٥١٨هـ / ٩٦١-١١٢٤م، ط. طرابلس ١٩٩٤م، «مدينة صور في كتابات المؤرخين والحالة من الفتح الإسلامي حتى التحرر من الصليبيين» ضمن كتاب صور من العهد الفينيقي

إلى القرن العشرين. منتدى صور الثقافي ١٥-١٦ حزيران ١٩٩٧ م . ط. صرد  
١٩٩٧ م.

- عمر فروخ (د.) ه أبو القداء وتعليل التاريخ، ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو القداء،  
صاحب حماد فى ذكرى مروى سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣ - ١٣٣٦ م ، ط  
دمشق ١٩٧٤ م.

- عمر كمال توفيق (د.) الامبراطور تقفوق لوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة ، ط.  
الاسكندرية ١٩٥٩ م. مقدمات المدون الصليبي الامبراطور يوحنا تزيمسكس  
وسياسته الشرقية ، ط. الاسكندرية ١٩٦٦ م. المؤرخ ولیم الصوري ، مجلة  
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية م (٢١) عام ١٩٦٧ م . تاريخ الدولة  
البيزنطية . ط. الاسكندرية ١٩٦٧ م ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥ م .

- عيد على الحفان (د.) ومحمد أحمد عقله المومنى (د.) دراسات فى التراث الجغرافى  
العربى الإسلامى ، ط. عمان ١٩٩٩ م .

- الفزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب . ط. حلب ١٩٤٢ م.

- الفاخورى ، تاريخ الأدب العربى . ط. بيروت بيت .

- فاروق عز الدين (د.) القفس تاريخية وجغرافية ، ط. القاهرة ١٩٨١ م .

- فاروق عمر قنوى (د.) العباسيون الأوائل ١٣٢ - ٣٤٧ هـ / ٧٤٩ - ٨٦٦ م الثورة -  
الدولة المعارضة . ج ٢ ، ط. عمان ٢٠٠٣ م.

- فاروق عمر قنوى (د.) ومحسن محمد حسين (د.) الوسيط فى تاريخ فلسطين فى  
العصر الإسلامى الوسيط ، ط. رام الله ١٩٩٨ م

- فازليف ، العرب والروم ح. محمد عبد الهادى شعيرة ، ط. القاهرة بيت .

- فاطمة الشناوى (د.) معاملة المسلمين للأمرى الصليبيين فى بلاد الشام ومصر ١١٣٧ -

١٢٩١ م / ٥٣٩ - ٦٩١ هـ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب -

جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٧ م.

- فاطمة مصطفى عامر (د.) تاريخ أهل اللغة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى إلى  
نهاية العصر الفاطمى ، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.

- فايد حماد عاشور (د) العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م.
- فردريك يو البراكين والزلازل ت. الدمرداش سرحان ، ط. القاهرة ١٩٧٩م.
- فرديناند بروديل تاريخ وقواعد الحضارات ت. حسين شريف ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، البحر المتوسط المجال والتاريخ ت. يوسف شلب الشام ، ط. حصص ٢٠٠١ .
- فايز نجيب إسكندر (د) دراسة لاتفالية تجارية بين إمبراطورية طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م نيكاس خونيانس واعترافه بنسابع المسلمين وبربرة الصليبيين قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠ هـ ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط. المنصورة بـت ، الفشحات الاسلامية لأرمينية (١١-٤٠ هـ / ٦٣٢-٦٦١م) ، ط. الاسكندرية ١٩٨٣م «منى الرهوى والحملة الصليبية ١٠٩٢-١٠٩٩م / ٤٨٨-٤٩٢هـ» ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط المنصورة بـت ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد (١٠٧١-٤٦٣ هـ) في مصنف نقفور بروتينيوس مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م- أسرة برونيسوس ودورها في التاريخ البيزنطي، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م- استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية أنى، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، مصر في كتابات المهجاج الروس في القرن الرابع عشر ، والخامس عشر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م. «بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون بين نهاية العصر البيزنطي ونهاية الفتح الإسلامي لصر (٦٢٣-٦٦٢م) ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ج ١ ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- فصحى عثمان (د) الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك المبرمى والاتصال الحضارى، ٣ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.
- فتحة التراوى (د) «حياة الإمبراطور الكسيريوس كورنين كصلى من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرن ١٢م» المجلة التاريخية المصرية م (٢٧) عام ١٩٨١م ، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ط. القاهرة ١٩٩٦م
- نزار عبد المعطى الصياد (د) المغول في التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

- فوزى رضوان العربى (د.) «بيت المقدس تحليل تاريخى» ضمن الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل تقديم أ.د. محمد رأفت محمود تحرير محمد إبراهيم منصور ، ط. أسبوط ١٩٩٧م.
- فوزى مكوى (د.) تاريخ العالم الاغريقى وحضارته من أقدم عصوره حتى عام ٣٣٢ق.م. ط. القاهرة ١٩٩٩م.
- فلاديمير سينفر .حياة جنكيز خان الإدريه والسياسية والعسكرية . ث. سعد بن حذيفه الفامدى . ط. الرياض ١٩٨٢م.
- فيصل السامر (د.) ابن الأثير . ط. بغداد ١٩٨٦م .
- فيليب حتى (د.) لبنان فى التاريخ ت. أنيس فريعه ونقولا زيادة . ط. بيروت ١٩٥٩م.
- فاسم عبده قاسم (د.) أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى . ط. القاهرة ١٩٧٩م. «الشعر والتاريخ دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية» ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) عام ١٩٨١-١٩٨٢م. «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية» ندوة لتاريخ الإسلامى والوسطى م(٢) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد . ط. القاهرة ١٩٨٣م . الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ط. القاهرة ١٩٨٣م . دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك . ط. القاهرة ١٩٨٨م . ماحبة الحروب الصليبية ، الايديولوجية - الدوافع ، النتائج ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٠م. عصر سلاطين المماليك. التاريخ السياسى والاجتماعى ، ط. القاهرة ١٩٩٤م. السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت ، ط. دمشق ١٩٩٨م
- فتية الشهابى وحسود دمشق أمام الحملات الصليبية ، ط. دمشق ١٩٩٨م .
- نسططين زريق (د.) « ما ساهم به المؤرخون العرب فى المائة السنة الأخيرة فى دراسة التاريخ العربى عن فترة الحروب الصليبية» مجلة الأبحاث - الجامعة الأمريكية بيروت السنة (١٢) . ج ٧ يونيو ١٩٥٩م ، «عبرة من عصر أبى الفداء» ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافى أبو الفداء صاحب حماء فى ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته ١٢٧٣- ١٣٣١م . ط. دمشق - حماء ١٩٧٤م .

- ٤ - كارل بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية ت. نبيه أمين فارس ومنير الجعلكي ، ط.  
بيروت ١٩٩٨ م .
- كارولين جولر ، مستشرق المدرسة الإيطالية ت. واتيا قرداحي ، ط. دمشق ٢٠٠٥ م .
- كارين أرمسترونج ، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم ، ت. سامي الكعكي ،  
ط. بيروت ٢٠٠٤ م .
- كامل عياد ، « المؤرخ أبو الفداء ومترجمته العلمية » ضمن مؤتمر المؤرخ والجغرافي أبو  
الفداء ، صاحب حماء في ذكرى مرور مئتين سنة على ولادته ١٢٧٣ -  
١٣٣١ م . ط. دمشق - حماء ١٩٧٤ م .
- كراشكو فسكي . تاريخ الأدب الجغرافي العربي . ت. صلاح الدين هاشم ، ط. القاهرة  
١٩٥٧ م .
- كريستوفر دوسون تكوين أوروبا ، ت. محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور ، ط. القاهرة  
١٩٦٧ م .
- كمال أمين محمد حسب الله (د.) إمارة أنطاكية الصليبية (١٠٩٨ - ١٢٦٨ م) رسالة  
دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٠ م .
- كمال اللسوقي (د.) تاريخ ألمانيا ، ط. القاهرة ١٩٦٩ م .
- كمال السيد أبو مصطفى (د.) دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة ، ط.  
الاسكندرية ١٩٩٧ م .
- كويلا و فينوجرادوف الإقطاع في العصور الوسطى بغرب أوروبا ، ت. محمد مصطفى  
زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٥ م .
- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ت. بشير فرنسيس وكوركيس عولاد ، ط. بغداد  
١٩٥٤ م .
- لطفي عبد الوهاب (د.) « بعض المصادر البيزنطية لتاريخ سوريا في العصر البيزنطي » .  
بحث ضمن أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام م (١١) تحرير محمد  
عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط. عمان ١٩٨٦ م . « حولية ثيوفانيس مصدر  
بيزنطي عن بلاد الشام في العصر الأموي » ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد

الشام في العصر الأموي. عمان ٢٤-٢٩ تشرين الأول عام ١٩٨٧م . البرنان  
مقدمة في التاريخ الحضاري . ط . بيروت ١٩٩٦م .

- لبلى عبد الجواد (د.) السياسة الخارجية للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية  
١٢ / ١٢٦١م. رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة

عام ١٩٨٠م علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك البحرية ٦٥٩-٧٨٤  
هـ / ١٢٦١-١٢٨٢م. مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد (٤٦) ،  
(٤٧) . عام ١٩٨٦م. «القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة

المسلمين» مجلة التورخ المصري، العدد (١٣) (٤) . ط. القاهرة ١٩٨٩م. تاريخ  
القرويس من خلال المصادر العربية . ط. القاهرة ١٩٩٠م. « حملات مانويل

كومنين على المجر (١١٥١-١١٦٧م) في ضوء كتابات حنا كيناموس ،  
المجلة التاريخية المصرية العدد (٢٧) . عام ١٩٩٠م «أضواء جديدة على

تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطي ١٠١٨-١٠٩٧م» التورخ المصري ، العدد  
(١٤) يناير ١٩٩٥م . «البابوية والإمبراطورية البيزنطية ، ضمن كتاب

دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (المصدر الوسطي) تكرماً  
للأستاذ الدكتور إسحق عبيد شمرير محمد مؤنس عوض . ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

- مأمون كيران ، اليهود في الشرق الأوسط المخرج الأخير من الجيتو الجديد ، ط. عمان  
١٩٩٦م .

- ماجدة حسن صدقي ، العلاقات البيزنطية التركية في ضوء كتاب الكسياد ، رسالة  
ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م .

- مانفرد ليركر معجم المعبودات في مصر القديمة ت. صلاح الدين رمضان مراجعة الدكتور  
محمود ماهر . ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

- مانويل جاسبارومير «رحيل أبي عبدالله مع أسرته وكبار أتباعه» وضمن كتاب فصول  
في تاريخ الأندلس بداية النهاية ، ت. عبد الفتاح عوض ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

- مایه معمر دلوذ (د.) المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة  
دراسة أثرية وفنية . ط. القاهرة ١٩٩١م .

- مایکل هارت . المائة الأوائل ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سباتو . ط. دمشق  
٢٠٠٩م .

- مالكوم ليونز وجاكسون . صلاح الدين ته. على ماضى . مراجعة نقولا زيادة ، ونفسى مسعد . ط. بيروت ١٩٨٨م.
- مجدى غنيم ، الحرير . ط. القاهرة ١٩٩٢م.
- مجموعة من الباحثين العرب والأوربيين، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩-١٢٩٩هـ وزارة التعليم العالى السورية ، ط. دمشق ١٩٧٩م.
- مجموعة من المؤرخين الروس موجز تاريخ العالم . ته. محمد عيتاني ، ج ١ ، ق ١ ، ط. بيروت ١٩٨٩م.
- مجيد خورى ، الصلات الدبلوماسية بين الرشيد وشارلمان . ط. بغداد ١٩٣٩م.
- محسن محمد حسين (د) «مثنوية صلاح الدين فى فشل حصار صور» المجلة العربية للعلوم الإنسانية م (٧) . العدد (٢٦) . ط. الكويت ١٩٨٧م.
- محمد أحمد أبو الفضل (د) «قصة ثوار فى الأندلس» ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط . م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد . ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- محمد أسد الله صفا ، چنكيز خان ، ط. بيروت ١٤٠٨هـ .
- محمد التوفيقى (د) بلاد الشام إيمان الغزو المغولى . ط. بيروت ١٩٩٨م .
- محمد الزجلى (د) الإمام الطبرى ، ط. دمشق ١٩٩٠م.
- محمد السيد الوكيل (د) العصر الذهبى للدولة العباسية دراسة وصفية وتحليلية لتلك الدولة . ط. دمشق ١٩٩٨م.
- محمد السيد محمد عبد الفتى (د) لمحات من تاريخ مصر تحت حكم الرومان . ط. الاسكندرية ١٩٩٩م
- محمد الصابر ، عبادة ميتراس فى روما رسالة ماجستير غير منشور؟ كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م.
- محمد الطالبي (د) الدولة الأغلبية للتاريخ السياسى ته. المنجى الصيادى ، ط. بيروت ١٩٨٥م.
- محمد الهمشرى والسيد أبو الفتوح وعلى إسماعيل موسى ، إنتشار الإسلام فى أوروبا

ج ١ الرياض ١٩٩٧م.

- محمد بحر عبد المجيد (د.) اليهود في الأندلس . ط. القاهرة ١٩٧٠م .
- محمد ثابت توفيق ، ذات الصراري ، ط. الرياض ٢٠٠١م
- محمد جاسم حسادي المشهقاتي (د.) سوارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٩م
- محمد حرب (د.) العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ط. دمشق ١٩٩٩م.
- محمد حرب قرزات (د.) «حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين وبلاد الشام» . مجلة الدراسات التاريخية جامعة دمشق . السنة (٢٢) العددان (٣٩) ، (٤٠) . كانون الأول عام ١٩٩٩م.
- محمد حسن العيلروس (د.) تاريخ العرب الحديث ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.
- محمد حميد الله (د.) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبري والحلافة الراشدة ، ط. بيروت ١٩٦٩م.
- محمد خالد المومني (د.) الفقهاء وثورة أهل الرض في الأندلس (٨٠١-٨٢٠هـ / ٧٩٦-٨٢١م) رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - الجامعة الأردنية عمان . ١٩٩٥م.
- محمد دسوقي محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية والانجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧-١٢٢٣ / ٥٣١-٦٢٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية فرع دمهور عام ٢٠٠٦م.
- محمد زايد عبدالله عيد ، العلاقات البيزنطية الألمانية ٩٦٢-١٠٥٩م. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.
- محمد زكي زنجيب (د.) علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١-١١٨٥م . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٥م.
- محمد سهيل طقوش (د.) تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠١م. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠٢م التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.

- محمد شاكر محمود ، الجرمان ونظمهم وعلاقاتهم بالإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عا ١٩٩٣م.
- محمد شفيق غربال (محرر) ، الموسوعة العربية الميسرة م (٧) ، ط. بيروت ١٩٩٥م.
- محمد صالح منصور (د.) أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية ، منشورات جامعة قاروينس ، ط. بنى غازى ١٩٩٦م.
- محمد صفى الدين (د.) جيمور فولوجية قشرة لأرض ، ط. بيروت ١٩٧٩م.
- محمد صلاح سالم (د.) القنص الحق التاريخ والمستقبل ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.
- محمد طه جاسر (د.) تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.
- محمد عبد الحفيظ المناصير ، الجيش فى العصر العباسى الأول ١٩٣٢هـ / ٢٢٣٢ هـ ، ط. عمان ٢٠٠٠م.
- محمد عبد الشافى المقرئى (د.) آسيا الصغرى فى العصور الوسطى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى القرن ١١ - ١٣م . ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. ملكة الخنزير اليهودية وعلاقتها باليهود واليهود فى العصور الوسطى ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م. العصور الوسطى الأوروبية رؤية فى المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليل والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد العزيز عزيز (د.) وتخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة ١٢٩١م» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.
- محمد عبد القادر أبو فارس (د.) دروس وتأملات فى الحروب الصليبية ، ط. عسّان ٢٠٠٢م.
- محمد عبد النعم ، الاسكندرية المكتبة الأكاديمية فى العالم القديم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمد عبيد حاتم (د.) «الاتفاقية السرية الموقعة بمهاجرة تسليم غرناطة عرض وتحليل» ، ضمن كتاب بحوث ودراستات مهداة إلى عبد العزيز الدورى ، ط. عسّان ١٩٩٥م.

- محمد عثمان عبد الجليل (د.) ثورة توماس الصقلي في الامبراطورية البيزنطية ٨٢١-٨٢٢ هـ ٢٠٥-٢٠٦ هـ رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٧م. «السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية ٢٠٥ - ٦٣١م ، المخزوم المصري، العدد (٦٨) يناير ٢٠٠٥م.
- محمد علي القطب، الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ط. صيدا ٢٠٠٢ م .
- محمد علي المغربي ، الهزات الزلزالية . ط. للقاهرة ١٩٥٨م.
- محمد فزاد كوبريلي ، صيام الدولة العثمانية ت. أحمد السعيد سليمان ، ط. القاهرة ١٩٩٣ م .
- محمد فتحى الشاعر (د.) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادى عصر جستنيان ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٨٥م.
- محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط. بيروت ١٩٧٧م.
- محمد كامل عياد (د.) تاريخ البرقان ج١، ط. دمشق ١٩٩٣م.
- محمد كرد على ، خطط الشام ، ط. دمشق ١٩٥٦م.
- محمد لقمان الأعظمى ، السيرة النبوية ، ط. جدة بحت .
- محمد مؤنس عوض (د.) «جغرافية الحروب الصليبية- المراجع العربية والمصرية ندوة التاريخ الإسلامى والوسط . م (٢) عام ١٩٨٥م . الرحالة الأندلسيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩- ١١٨٧ ميلادية . ط. القاهرة ١٩٩١ م . الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية . ط القاهرة ١٩٩٥م ، ولهم الصوري مؤرخًا للقلاع المتخوية لمملكة بيت المقدس الصليبية المرحلة من ١١٣٧- ١١٥٠م ٥٢٢- / ٥٤٥ هـ سلسلة دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م ، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط . القاهرة ١٩٩٦م، فصل الجغرافيا في تاريخ الحروب الصليبية . ط. القاهرة ١٩٩٦م . في الصراع الإسلامى الصليبي معركة أرسوف ١١٩١م، ط. القاهرة ١٩٩٧م، في الصراع الإسلامى الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩ هـ / ١١٤٦-

١١٧٤، ط. القاهرة ١٩٩٨م، الحروب الصليبية، دراسات تاريخية ومقدية، ط. رام الله ١٩٩٩م، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين ١٢، ١٣ / ك ٦، ٧ هـ، ط. للقاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، الاضطهاد الصليبي لليهود في حوض الراين عام ١٠٩٥م من خلال حولية الرين اليعازر بارناتان - مركز بحوث الشرق الأوسط - سلسلة دراسات شرق أوسطية عام ٢٠٠٠م، الحروب الصليبية السياسة، المياه، العقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصر الوسطى)، ط. القاهرة ٢٠٠٢م (تحرير)، إغارات أسراب الجراد وأثرها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ١١١٤-١١٥٩م / ٥٠٩ - ٥٥٤ هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، وأضاء على تاريخ موازنة لبنان عصر الحروب الصليبية ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصر الوسطى، أبحاث مهلهة إلى أ.د. قاسم عبده قاسم بمناسبة بلوغه الستين تحرير حاتم الطحاوي، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، وأضاء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢-١٣م / ٧ هـ حولية التاريخ الإسلامي والوسطى، م (٣)، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، والرحالة الأوروبيون في العصر الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية في القرنين ١٢، ١٣ م، ط. وال الله ٢٠٠٤م وفكرة الجهاد الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصر الوسطى كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران تحرير على أحمد السيد وإبراهيم حبيب، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، مؤرخون مصريون رواد لمرحلة العصر الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، أ.د. حسن حبشي مؤرخ مصري رائد للعصر الوسطى، ضمن كتاب عصر الحروب الصليبية بحوث ومقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

- محمد متولى (د.) وجه الأرض، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

- محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط اقسطنطينية ١٢٠٤م / ٦٠٠ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة انيا عام ١٩٨٧م.

- محمد محمد مرسى الشيخ (د.) الممالك الجرمانية في أوروبا العصر الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٧٥م، سياسة الامبراطور البيزنطى ثيوفيلوس تجاه الخلافة

- العباسية مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية العدد (١٣) عام ١٩٧٩م. «الحزب وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية» مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٤) عام ١٩٨٠م «الفتح الترماني لإنجلترا - ملحمة فريدة في تاريخ إنجلترا وتورمندا في العصور الوسطى» ندوة التاريخ الإسلامي والوسطى تحرير قاسم عبيد قاسم ورأفت عبيد الحميد م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.
- محمد مقيد آل ياسين (د.) الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ، ط. بغداد ١٩٧٩م .
- محمد مصطفى زيادة (د.) مصر والحروب الصليبية ، وسائل الثقافة العربية رقم (٢٩) ، منشورات وزارة الدفاع الوطني ، ط. القاهرة ١٩٥٤م ، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المصيرة ، ط. القاهرة ١٩٦١م.
- محمد فريد الشرباشي ، ألح ساعات المرح في تاريخ الانسانية ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.
- محمد فتحي أمين (د.) الغزو المغولي لبلاد الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م.
- محمد نصر مهنا (د.) الإسلام في آسيا من الغزو المغولي دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م .
- محمود إسماعيل (د.) الأغالبة ١٨٤ - ٢٩٩ هـ سياستهم الخارجية ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمود الخوري (د.) العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ط. القاهرة ١٩٩٣م ، الترمانيون في التاريخ والحضارة ٥٦٨ - ٧٧٤ م ، ط. القاهرة ١٩٨٩م مصر في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.
- محمود السيد (د.) تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م، التتار والمملوك ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، الفتوحات الإسلامية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م

- محمود المقفاد (د.) تاريخ الدراسات العربية في فرنسا . سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٧م .
- محسنة ورق محمد (د.) العلاقة بين أرنطام أمير حصن الكرك وصلح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م .
- محمود سعيد عمران (د.) «معركة حارم ١١٦٤ م قصة التحالف البيزنطي الصليبي الأرمني ضد نور الدين محمود» المزمع العربي، العدد (٨) ، بغداد ١٩٧٧م. الحملة الصليبية الخامسة ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م «أركولف ورحلته إلى الشرق» ندوة التاريخ الإسلامي والوسط م(٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورافت عبده الحميد ، ط. القاهرة ١٩٨٥م . نيقولا مستيكوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية من خلال مراسلاته ، ط. بيروت بحت . السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م «شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس» ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، القاهرة ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م ، ملكة الوندال في شمال أفريقيا ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م. «محصنات مدينة القسطنطينية في مواجهة الغزوات الخارجية بحث ألقى في ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحر - إجماع الموزعين العرب . ط. القاهرة ٨-٦ نوفمبر ١٩٩٣م . معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . ط. الاسكندرية ١٩٩٨م . معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية مدخل إلى التاريخ السياسي المغربي ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م ، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م . الامبراطورية البيزنطية وحضارتها ط . بيروت ٢٠٠٢م.
- محمود شاكر . موسوعة تاريخ اليهود . ط. عمان ٢٠٠٢م .
- محمود محمد الرضوي «قرارات البابوية وتأثيرها على بلاد الشام ومصر زمن الحروب الصليبية . مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الشيا العدد (٤١) يوليو ٢٠٠١م . إمارة الروا الصليبية . جامعة مؤتة ٢٠٠٢م.
- مرمجي الدومنيكي . بلدانية فلسطين العربية منشورات المجمع الثقافي . ط. أبوظبي ١٩٩٧م.

- مصطفى الحاج إبراهيم «الأخلاق الجغرافية عند أبي الفداء» وكتاباه «تقويم البلدان» و«حسن مؤثر الزوج والجغرافى أبو الفداء» صاحب حماد فى ذكرى مرور سبعمئة عام على ولادته ١٢٧٣ - ١٣٣٩ م ، ط. دمشق - حماد ١٩٧٤ م
- مصطفى الحيارى (د.) ، القدس زمن الفاطميين والفرنجية . ط. عمان ١٩٩٤ م . صلاح الدين القائد وعصره .. ط. بيروت ١٩٩٤ م .
- مصطفى الشكعة (د.) سيف للدولة الحمدانى مملكة السيف ودولة الأقاليم . ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.
- مصطفى الكنانى (د.) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١ - ١٢٩١ م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨١ م. حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ١٢٧٠ م / ٦٦٨ - ٦٦٩ هـ . ط. الاسكندرية ١٩٨٥ م .
- مصطفى طه يفر (د.) محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول ، ط. القاهرة ١٩٩٩ م .
- منيف رائف محمود العابد (د.) معالم تاريخ الولة الساسانية عصر الأكاسرة ٢٢٦ - ٦٥١ م ط . دمشق ١٩٩٩ م .
- منيف الزبيدي (د.) موسوعة الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٤ م .
- ممدوح المزوى ، الموسوعة العربية الميسرة ، الأدبان - الملأعب المعتقدات المصطلحات الدينية . ط. دمشق مبحث .
- ممدوح درويش مصطفى (د.) التاريخ الرومانى من أقدم العصور حتى بداية العصر الامبراطورى، ط. الرياض ٢٠٠٤ م.
- ممدوح مخازى ، الحياة السياسية وبعض مظاهر الحضارة فى إمارة المورة الصليبية فى عهد أسرة فيلهااردوين ١٢٠٥ - ١٣١٠ م رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب- جامعة طنطا عام ٢٠٠٠ م .
- ممدوحة محمد سلامة (د.) الكارزمية - القدوة على التأثير على الآخرين» مجلة علم النفس العدد (١٤) ، أبريل مايو - يونيو ١٩٩٠ م .
- منى البرى العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية وجنوب إيطاليا زمن الأسرة المقدونية ٢٧٣ - ٤٣٢ هـ / ٨٨٦ - ١٠٤٠ م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٦ م .

- منى حسن محمود (د.) المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجية ٩٢-١٠٢٠ هـ / ٧١٤-٨١٥ م. ط. القاهرة ١٩٨٦م
- منى حماد (د.) دوليم الصوري والصراع الفرنجي الإسلامي ١٠٩٩-١١٨٤ هـ. ضمن كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي مهداة إلى ذكرى مصطفى الحباري تحرير صالح الحمارنة - الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠١م.
- منى محمد بدر محمد (د.) أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العثم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.
- مورييس كين - حضارة أوروبا العصور الوسطى ت. قاسم عبيد قاسم . ط. القاهرة ٢٠٠٠م.
- مورييس لومبار ، الإسلام في معده الأول ت. إسماعيل العربي ، ط. الدار البيضاء. ١٩٩٠م.
- موسى ميلاد العصور الوسطى ت. عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة السيد إلياز العيسى ط. القاهرة ١٩٦٧م. ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.
- مونجومري (الفيلد مارشال) ، الحرب عبر التاريخ ت. عبد المنعم النمر . ط. القاهرة ١٩٧١م.
- مونتجومري وات. في تاريخ أسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كيا) ت. محمد رضا المصري ، ط. بيروت ١٩٩٤م
- ميخائيل اسكندر ، القدس عبر التاريخ . ط. القاهرة ١٩٧٢م
- ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق ت. إلياس شاهين ، ط. موسكو ١٩٨٦ هـ.
- مي علوش ، أشهر حصار المدن في التاريخ . ط. بيروت ١٩٩٤م.
- ميشيل حجا (د.) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا . ط. بيروت ١٩٨٢م.
- ميشيل جرجس ، الكنيسة المصرية ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.
- ميشيل مان موسوعة العلوم الاجتماعية ت. عادل مختار الهواوي وسعيد عبد العزيز مصلوح . ط. الكويت ١٩٩٤م.
- ميكيلي أمري ، تاريخ مسلمي صقلية ط. ت. محب سعد إبراهيم وسوزان اسكندر ط. فلورنسا ٢٠٠٣ هـ.

- ميلاد المقرحى (د.) تاريخ أوروبا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨م ، منشورات جامعة قارونس، ط. بنى غلزي ١٩٩٦م .
- نادية حسن صقر (د.) السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م .
- ناصر عبد الحميد زيلان : الدولة البيزنطية في عهد الامبراطور جستين الثاني وتيبريوس ٥٦٥-٥٨٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م.
- ناهد عصر صالح (د.) السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الامبراطور أنطونيوس الثاني باليولوغوس (١٢٨٢-١٣٢٨م) . رسالة دكتوراه عبر منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٩٩م ، والاتحاد الكنسي في عهد الامبراطور يوحنا الخامس باليولوغوس (١٣٥٤-١٣٧٦م) ، مجلة المزيح المصري، العدد (٢٨) يناير ٢٠٠٥م .
- نبيل عبد الحميد رضوان (د.) جهود العثمانيين لإتقاء الأتلس واسترداده في مطلع العصر الحديث ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٨م .
- نبيل لوقا بيلوى (د.) إنتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م .
- نبيلة ابراهيم (د.) . سيرة الأميرة ذات الهمة دراسة مقارنة ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.
- نبيلة ابراهيم مقامى (د.) العلاقات بين الدولة البيزنطية والنورمان في جنوب إيطاليا وصقلية ١٠٢٥-١١٩٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م .
- نبيلة عاقل (د.) الإمبراطورية البيزنطية ، ط. دمشق ١٩٦٩م. تاريخ خلافة بنى أمية ، ط. دمشق ١٩٧٥م.
- نجلاء حسين توفيق ، سياسة الدولة العثمانية في البلقان تجاه الصرب ١٣٣٦-١٤٥٩م . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة أميوط عام ٢٠٠١م .
- نجيب العقبى (د.) المستشرقون ، ج١ ، ط. القاهرة ١٩٨٠م. الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي ، ط. القاهرة ١٩٦١م . تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصر القديم والوسيط ، ط. القاهرة ١٩٦٨م .

- نعيان محمود جبران (د.) «محاولات القول السيطرة على طريق التحرير أسباب ونتائج»  
مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة (١٩٩٢) ، العددان (٣٩) - (٤٠)
- كانون الأول عام ١٩٩١م.
- نعيم شقير (بلدا) تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها مع خلاصة تاريخ مصر والشام  
والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلاقات التجارية والحربية وغيرها عن  
طريق سنا من أول عهد «لتاريخ إلى اليوم».
- نعيم وكى نفسي (د.) العلاقة بين إمارة أنطاكية الصليبية والدولة البيزنطية في عهد  
الحملة الصليبية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م.
- نعيم فراح (د.) «ثلاثة مصادر تلقى بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاقتصادية  
في بلاد الشام في العهد البيزنطي» الندوة الأولى من أعمال المؤتمر الدولي  
الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، ط  
عُمان ١٩٨٦م. تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى ، ط. دمشق  
١٩٩٥م. الحضارة البيزنطية ، ط. دمشق ٢٠٠٣م - تاريخ بيزنطة السياسي ،  
ط. دمشق ٢٠٠٤م
- نعيمة إبراهيم (د.) اسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي  
رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م
- بقولا ريادة (د.) «سوريا زمن الصليبيين المتكثف عدد يوليو ١٩٣٥م. وواد الشرق  
الغربي في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٦م ، ط. بيروت ١٩٨٦م ،  
الجغرافيون والرحلات عند العرب ، ط. بيروت ١٩٨٢م
- نور الدين حاطوم (د.) المدخل إلى التاريخ ، ط. دمشق ١٩٦٥م. تاريخ العصر الوسيط  
في أوروبا ج ١ ، ط. دمشق ١٩٨٢م.
- نورمان بيتز ، الإمبراطورية البيزنطية ت. حسين مؤنس ومحمود زابد ط القاهرة  
١٩٥٧م.
- نورمان كاتنور التاريخ الوسيط ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م
- و شطن إيفرنج ، أخبار سقوط غرناطة ت. هاني يحيى نصرى ، ط. بيروت ٢٠٠٢م.
- وديع متحمي (د.) العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي

(٧٤١-٨٢٠م / ١٢٤-٢٠٥هـ) ط. الاسكندرية ١٩٩٠م. بيزنطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية في عهد باسيل الأول المقدوني (٨٦٧-٨٨٦م / ٢٥٣-٢٧٢هـ) ط. الاسكندرية ١٩٩٣م ، العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصور نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) ، مجلة المذبح المصري العدد (٢٨) عام ٢٠٠٥م.

- وسام عبد العزيز فرج (د) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م - والإمبراطور باسيل الثاني (سفاح البلغار) ٩٧٦-١٠٢٥ المراحل التي أثرت على السياسة في عصره ندوة التاريخ الإسلامي والوسط ، ط. القاهرة ١٩٨٢م. «قوانين الملكية الزراعية في الامبراطورية البيزنطية دراسة تحليلية ندوة التاريخ الإسلامي والوسط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م. دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية من ٣٢٤-١٠٢٥م . ط. الاسكندرية ١٩٨٧م ، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس ٨٨٦-٩١٢ ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م . «السلالات الصقلية في شبه جزيرة البلقان وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها (٥٩١-١٠١٨م) ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والاداري ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م. «التجارة في العصر البيزنطي الأوسط (من القرن السابع وحتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي. ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

- وفاء عبدالله المزروع (د) جهاد المسلمين خلف جبال البرنات من القرن الأولي إلى القرن الخامس الهجري ط . القاهرة بـ ست .

- وفاء محمد . الامبراطور موريس ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس .

- ول ديريانت ، قصة الحضارة ج١٤ ، ت. محمد بدران ، ط. القاهرة ١٩٧٥م .

- ولیم سليمان قاده (د) «العلاقات الإسلامية المسيحية في الواقع المصري ، المفهوم الأساسي الماضي والحاضر والمستقبل» ضمن كتاب العلاقات الإسلامية - المسيحية قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، ط. بيروت ١٩٩٤م .

- ولتر فيشبل . يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية ، العباسية -  
الفاطمية الأتانية، ت. مهيل زكار ط. دمشق ٢٠٠٥م
- هبة الزحيلي (د) الإسلام وغير المسلمين ، ط. دمشق ١٩٩٨م.
- هارغان وباراكلاف . الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ت. جوزيف سببم  
يوسف، ط. الاسكندرية - ١٩٩٧م. ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.
- هارفي بوتر . موسوعة مختصر التاريخ القديم . ط. القاهرة ١٩٩١م.
- هارولد ابليس بل مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ت. عبد اللطيف أحمد  
على ومحمود عواد حسن ، ط. القاهرة ١٩٥٤م
- هارولد لامب ، جنكيز خان وجغافل المغول ، ت. متري أمين، ط. القاهرة ١٩٦٢م
- هاري ألز بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية - ج ١ ت. محمد عبد الرحمن برج ، ط.  
القاهرة ١٩٨٤م
- هاملتون جب «تاريخ دمشق» ، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي ، دراسات في  
التاريخ الاسلامي ، ت. يوسف أبيض ، ط. بيروت ١٩٧٣م.
- هاني عبد الهادي البشير (د) العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية ودولة البلفار  
الأولى ٦٨١ - ١٠٨١م. رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة ططا عام  
١٩٩٩م. «البياصة في أسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي» المؤرخ  
المصري. العدد (٢٤) يناير ١ - ٢م. «تقفور بطيرك القسطنطينية (٨٠٣ -  
٨١٥م) ، ومؤلفه التاريخ المختصر ، المؤرخ المصري. العدد (٢٦) بنبر  
٢٠٠٣م.
- هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ط. ت أحمد محمد رصا ،  
ط. القاهرة ١٩٨٥م.
- هيربرت فشر . تاريخ أوروبا العصور الوسطى ت. محمد مصطفى زيادة والسيد الباز  
العريني ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.
- هسي ، العالم البيزنطي ت. وأفت عبد الحميد ، ط. القاهرة ١٩٩٧م
- هادي السيد محمود . مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلعوين الأول ٤٩٤ -

٥٢٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م.

- هنا ، بركات ، التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى سقوطها ١٤٦١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة طنطا عام ١٩٩٨م.

- هنرى كتي ، القديس الشريف ت. نور الدين كنانة ، ط. عمان ١٩٨٩م.

- ياسر عبد المعبد ، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية في العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م.

- ياسين الشكري ، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة رسالة د:توراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة عام ١٩٨١م.

- بسري الجوهري (د.) جغرافية البحر المتوسط ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م.

- يحيى أحمد عبد الهادي (د.) أهل اللغة في العراق في العصر العباسي الأول الفترة السلجوقية نموذجا ٤٤٧- ٥٩٠هـ / ١٠٥٥-١١٩٤م ، ط. إربد ٢٠٠٤م.

- برورى ميخايلوفتش كويسانوف، الشمال الشرقى الأفريقى في العصور الوسطى المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع ، ت. صلاح الدين عثمان هاشم ، ط. عمان ١٩٨٨م.

- يوسف أحمد ياسين (د.) بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧١-١٢٦٢هـ / ١١٧٨-١٢٢٦م) مركز زايد للتراث ، ط. أبوظبي ٢٠٠٤م.

- يوسف العشي، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ط. دمشق ١٩٩٨م.

- يوسف بغدادى ، والرها - مجلة المشرق ، السنة (٨) العدد (٤) ، عام ١٩٠٥م

- يوسف بن أحمد حواله ، بنو عباد في أشبيلية ٤١٤- ٤٨٤هـ / ١٠٢٣- ١٠٩١م دراسة سياسية وحضارية ، ط. جدة ١٩٨٩م .

- يوسف درويش غوانقه (د.) إمارة الكرك الأيوبية ، ط. عمان ١٩٨٢م ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج ، ط. عمان ١٩٩٥م .

- يروشليم برادر . عالم الصليبيين ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن . ط. القاهرة ١٩٨١م.
- بوغوليوس يسكى «رحلة السائح الروسي دانيال إلى الأراضي المقدسة في أول عهد الصليبيين مجلة المشرق ، العدد (٩) السنة (٢٤) ، عام ١٩٢٦م.
- يوهان فوك . تاريخ حركة الاستشراق العرصات العربية والاستشراق في أوربا حتى بداية القرن العشرين ت . عمر لطفى العالم . ط. بيروت - - ٢٠٠٢م.
- (٥) يوهان هويزنجيا . إضمحلال العصر الوسيط. عبد العزيز توفيق جلود ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

## خامساً : المراجع الأجنبية

- Adams (G.B.) , The History of Engand from the Norman Conquest to the death of John (1066-1216), London 1905 .
- Adelson (H.L.), Medieval Commerce, New York 1962 .
- Allen, "The Justinian Plague", B., 49, 1979 .
- Amelineau (E.) , " La Conquete de L'Egypte par les Arabes ", R.H.I. vol CXXIX , 1915 .
- Anastos (M.V.), " Dumbarton Oaks and Byzantine Studies: a personal account ", in Laion and Magnice (eds.), Byzantium Aworld Civilization , Washington 1992 .
- Angold (M.) , Byzantium The Bridge from Antiquity to the Middle Ages, London 2001
- Arnold (T.). The Spread of Islam in The World , A History of Peaceful Spreading , India 2001
- Asbrihe (T.), The First Crusade , New History , The Roots of Conflict between Christianity and Islam, Oxford 2004 .
- Asimov (I), Constantinople the Forgotten Empire , Boston 1970 .
- A'tiya (A.S.) The Crusade of Nicopolis , London 1934 , The Crusade, Historiography and Bibliography , London 1962 .
- ATwater (D.) The Penguin dictionary of Saints, London 1977
- Awad (M.M.) " Highlights on the Medical Contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A.P.525- 602 A.H.) during the Ayyubide Rule in Egypt ", M. E. R. J., vol 12, March 2003 .
- Babinger (F.), Mehmet der Eroberer und Seine Zeit, Munich 1953
- Baldwin (M.) " Mission To the East in the Thirteenth and Fourteenth centuries", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol V, Philadelohia 1985 ., " The latin States under Baldwin II and Amalric I 1143-1174", in Setton (ed.), A History of the Crusades , vol II Pennsylvania 1958 .

- Barsic (F) (ed.) *Melanges Georges Ostrogorsky* , Beograd 1963 .
- Barker (ed. (ed.) , *Relations between East and west in the Middle Ages*  
Edinburgh 1973
- Barker (E.), *The Crusades*, London 1949
- Barker (J.) *Justinian and the Later Roman Empire* , Wisconsin 1966   Ma  
nuel II Paleologns (1391- 1425) A study in later Byzantine  
Statesmanship , New Brunswick 1969
- Barth (H ) , *Constantinople* , Paris 1906
- Bartlett (W.B), *An ungodly war The Sack of Constantinople and the  
Fourth Crusade*, Gloucestershire 2000 .
- Baynes (N.) "The death of Julian the Apostate in a christian legend , in  
*Byzantine Studies and other Essayes*, connecticut 1974.
- Byres (N ) and Moss (L.B.) (eds.) *Byzantium* . Oxford 1948 .
- Beaton (R.) and Ricks (D.) (eds.) . *Digenes Akrites. New approaches to  
Byzantine Heroic Poetry* , Lodon 1993
- Becher (M.), *Charlemagne* , Trans. by David S. Bachrach, London 03 .
- Beer (J M.) , *Villehardouin : Epic Historian*, Geneva 1968 .
- Berry (V.G.), " The Second Crusade , in Setton (ed.) , *A History of the  
Crusades*, vol . I , Pennsylvania 1950.
- Binns (L.E.) , *Innocent III* , London 1931
- Bosworth (C.E.) , " The Byzantine Defence System in Asia Minor and the  
First Arab incursions" , *Proceedings of The Second Symposium  
on the History of Bilad al- Sham during the early Islamic Period  
up to 40 A.H., A.D. 640* , the Fourth international Conference  
on the History of Blad al- Sham ed. by M.A Bakhit , vol I ,  
French and English Papers, Amman 1987       Byzantium and  
the Syrian Frontier in the Early Abbasid Perios (132-A L/ 750-  
45), A.H. / A. D 1059), *Proceedings of the Fifth international*

- conference on the History of Bilad al- Sham , ed. M.A . Bakhit (English and French Section ) , Amman 1991 " Byzantium and the Arabs War and Peace between Two World Civilizations " J.O. A.S., 3-4 , Athens, 1991-1992 .
- Bowersock (G.W.) , Julian the Apostate, London 1978 .
  - Brand (C.M.), " Byzantines and Saladin 1185-1192 , Opponents The Third Crusade", S. vol . XXXVII, 1962 , Byzantium confront the west 1180-1204 , Cambridge 1968 .
  - Brehier (L.), La Schism Orientale du XI Siecle, Paris 1899 , L'Eglise et L'Orient au Moyen age , Paris 1928 ., Vie et Mort de Byzance, Paris 1946 .
  - Brice (W.C) , " The Turkish Colonization of Anatolia , B.J.R.L., vol XXXVIII, 1955 .
  - Bridge (R.) , " The History ", in Daniel (G.) (ed.), The Byzantines, London 1962 .
  - Brook, A History of Europe 911 to 1198, London 1938 .
  - Brooks (E.W.). " The Campaign of 717-718 from Arabic Sources", J.H.S., vol . XIV, 1899 ., " Byzantium and Arabs in the time of the Early Abbasids", E.H.R., vol . XV , 1900 . " Arabic lists of the Byzantine, Themes", J.H.S., vol XXI, 1901 . , " The Arab Occupation of Crete", E.H.R., vol . XXVIII, 1913 .
  - Brown (H.F.) The Venetians and Venetian quarter in Constantinople to Close of the Twelfth Century ", J.H.S., vol . XL , 1920 .
  - Brownung (R.), The Emperor Julian , London 1975 . History of the Byzantine Empire , New York 1980, Justinian and Theodora, London 1987
  - Brubacker (L.), Haldon (J.) Byzantium in the Iconoclast Era (Ca 680-850): The Sources . An annotated Survey , B.B.O.M., Birmingham 2001.

- Brundage (J.) (ed.), *The Crusades, motives and achievements* , Boston 1964 , " Holy war and The Medieval Lawyers", in *The Crusades motives and achievements* , Boston 1964 .
- Bryer (A ) and Herrin (J.), (eds.), *Iconoclasm* , Birmingham 1971 .
  - Buckler (G.), *Anna Comnena*, London 1929 ., *Haruni Rashid and Charles The Great* , Massachusetts 1931
  - Bury (J.B.), *A History of the Eastern Roman Empire*, London 1952  
The treatise *De Administrando Imperio*", *B.Z.*, vol. XV, 1906
  - Byrne (E.), " Genoese Trade with Syria in the Twelfth century ", *A H R* , vol . XKV, 1919
  - Cahen (C.), " La Campagne de Mantzikert d'apres les Sources musulmans", *B.*, T IX , 1934 , *La Syrie du nord a l'epoque des Croisades* , Paris 1940 ., " The Turkish Invasion " Setton (ed.) , *A History of the Crusades* , vol . I , Pennsylvania 1952, *Pre- Ottoman Turkey* , a general Survey of the matercy and Spiritual culture 1071-1330, Trans. by J.J. Jones, New York 1968 .
  - Cameron (A.), *Procopius and The Sixth century* , Oxford 1989 , Los Angeles 1985 .
  - Canard (M.) , *Sayf al Daula*, Alger 1934 ., *Histoire de la dynastie des Hamadans de Juzira et de Syrie* , T.I , Paris 1953 ., " La Guerre Sainte dans le monde Islamique et dans le monde Chretien ", *R Af.*, T. LXXIX , Année 1956, " La destruction de l'eglise de la resurrection par le Calife Hakim et L'Histoire de la descnte du feu Sacre ", *B.* XXXV, Année 1965 .
  - Cantor (N.), *Medieval History . The life and death of Civilization*, New York 1969
  - Carr (A.), Hill (B.) , Brand (C.) Peterson (T.) and Takacks (S.) (eds.) *Komnenian Culture, Papers From the Session at the 20 th Annual*

Byzantine Studies conference , Ann Arbor , Michigan , on 21 September 1994 (B.F. vol. XXIII, 1996).

- Chalandon (F.) , *Les Comnènes, Jean II et Manuel I Comnène*, Paris 1912
- Chapman (C.) *Michael Paleologue restaurateur de L'Empire Byzantin (1261-1782)* , Paris 1926 .
- Charanis (P.), " *The Byzantine Empire in the eleventh Century*", in Setton (ed.), *A History of the Crusades*, vol. I, Pennsylvania 1958 .
- Cheira (M.A.), *la lutte entre les Arabes et Byzantines : La Conquete et L'Organisation des Frontieres aux VII et VIII Siecles*, Alexandria 1947 .
- Chibnall (M.), *The Normans* , Massachusetts 2000 .
- Ciggaar (K.) , *Western Travellers to Constantinople, The West and Byzantium 962-1204* , Cultural and Political Relations , Leiden 1996 .
- Clot (A.), *Mehmed II le Conquerant de Byzance (1432-1481)*, Paris 1990.
- Colomans (C.B.), *Constantine The Great and Christianity* , New York 1914 .
- Colish (M.L.), *Medieval Foundations of the Western intellectual Tradition 400-1400*, London 1998 .
- Collins (R.), " *Visigothic Spain , 409-711*, " in Carr (D.) (ed.) *Spain A History* , Oxford 200 .
- Conrag (L.), *The Plague in Early Medieval Near East* , Unpublished . D. diss in Near Eastern Studies , Princeton university 1981 .
- Constantosides (C.C.), " *Byzantine Scholars and the Union of Lyons 1274*", in Beason (R.) and Roneche (C.) , (ed.) *the Making of Byzantine History* , Studies dedicated to Donald M. Nicol, centre for Hellenic King's College, London 1993

- Coulborn (ed.), *Feudalism in History* Princeton 1950 .
- Cowdrey (H.E.), "Pope Urban II and the Idea of Crusade", *S.M.* 36, 1995 .  
     " Pope Gregory VII and the Bearing of Arms" in Kedar , Ralcy -  
     Smith and Hierstand (eds.) *Montjoie Studies in Crusade His-*  
     *tory in Honour of Hans Eberhard Mayer*, Aldershot 1997  
     *The Carthusians and their Contemporary World : The Evidence*  
     *of Twelfth-Century Bishops, Vitae ."* in *The Crusades and Latin*  
     *Monasticism, 11th - 12th centuries*, Great Yarmouth 1999
- Crampton (R.I.), *A concise History of Bulgaria*, Cambridge 1997  
     Dargon (G.), *Emperor and Priest , The imperial office in Byzantium*,  
     Trans. by J. Birrell, Cambridge 2003 .
- Dastrup (J.), " Manuel's Coup against Genoa and Venice in the light of  
     *Venice Commercial Policy "*, *C.M.T.X.*, 1949
- Davis (e.) " William of Tyre", in Barker (ed.) , *Relations between East and*  
     *West in the Middle Ages*, Edinburgh 1973
- Diehl (C.) , " *Etude Byzantines, Introduction a' L'Histoire de Byzance* ,  
     Paris 1905 , *History of the Byzantine Empire*, Trans. by George  
     B. Ives, Princeton 1925 .
- *Byzantium, Greatness and decline* , Trans. by Naomi Walford , New Jersey  
     1957  
     Theodora "Empress of Byzantium", Trans. by Samuel R. Rosenbaum, New  
     York 1972.
- Dols (M W.) *The Black Death in The Middle East* , Princeton 1977.  
     Doney (D.) , *Earthquakes at Constantinople and vicinity (324-1453)*, S ,  
     vol XXX, 1955 .
- Downis (N.), *Basic Documents in Medieval History* , New Jersey 1959
- Doyle (W.), *Origins of The French Revolution* , Oxford 1999
- Dvornik (F.), *The Photian Schism History and Legend*, Cambridge 1948
- Ebeid (E.), " Was Pope Innocent III an accomplice in the diversion of the  
     Fourth Crusade 1204", *E.H.R.*, vol XV, 1969

- Edbury (P.) , The Kingdom of Cyprus and the Crusades 1191-1374 , Cambridge 1981 " William of Tyre , A Historian of the Crusades and The Kingdom of Jerusalem ( 1130-1148) " , B.F.A.A.U., 1988 .
- Edbury (P.) and Rowe, William of Tyre Historian of the latin East , Cambridge 1988 .
- El - Azhari (T.K.), The Saljuqs of Syria during the Crusades 463-549 A.H. / 1070-1154 A.D, Berlin 1997 .
- Emereau (C.) , " les Origins et la Formation de Constantinople" R.A., T.XXXI , 1925 .
- Enan (M.A.), Decisive moments in the History of Islam, New Delhi 2001
- Evans (G.R.), Bernard of Clairvaux, New York 2000 .
- Evans (J.A.S.) , Procopius , New York 1972 , The Nika Rebellion and the Empress Theodora", B. LIV, 1984 ., The Age of Justinian, The Circumstances of imperial Power, London 1996 , The Empress Theodora Partner of Justinian, Texas 2002 .
- Fahmy (A.M.), Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean from the Seventh to the Tenth century A.D., Cairo 1966 .
- Farag (W.A.), Byzantium and its Muslim Neighbours during the reign of Basil II, 976- 1025, ph . D., University of Birmingham 1979
- Finly (G.) , History of Greece vol . III, Oxford 1877
- Fouracre (D.), The Age of Charles Martel, Essex 2000.
- France (J.) , Victory in the East, A Military History of the First Crusade Cambridge 1996 .
- Freedman (Ch.) , The Greek Achievement , the Foundation of the Western World, New York 1999
- Friedley (F.A.) Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937
- Friedman (Y.) Encounter between enemies in Captivity and Ransom in the Latin kingdom of Jerusalem, Icden 2002 .

- Frendly (A.) *the Dreadful ful Day The Battle of Manzikert 1071* , London 1981
- Fuller (J.F.), *Decisive battles of Western Europe and their influences upom history* , London 1954
  - Gadohn (A.R.), " Alexios I Comnenus and the Venetians Trade Privileges A New interpretation" B., 50, 1980 .
  - Gardiner (L.), *Byzanune Emperors Woman and Power in Byzantium A.D. 527-1204* , London 1999
  - Geanoknles (G.J.), *Emperor Michael Paleologus 1282-1298*, Cambridge , 1959
  - Gero (S.) , *Byzantine Iconoclam during the Reign of Leo III with Particular attention to the Oriental Sources* , Louvain 1999 .
  - Gibb (H.), " Zengi and the Fall of Edessa", in Setton (ed.), *A History of the Crusades* , vol .I , Pennsylvania 1952 .
  - Gibbon (E.), *The decline and Fall of the Roman Empire* , vol III, New York 1995
  - Gibbons (G.A.), *The Foundations of The Ottoman Empire*, Oxford 1916
  - Gill (J ) *The Council of Florence* , Cambridge 1959 ., " Greek and Latin in acommon council, *The Council of Florence ( 1438-1439)*, O chr. P. vol XXV, 1959
  - Goodwin (G.) , *A History of the Ottoman Architecture*, Oxford 1997
  - Graber (A.). " Byzantine Architecture and Art ", C.M.H., vol. IV Cambridge 1967
  - Grant (R M.), *Eusebius as Church Historian*, Oxford 1980 .
  - Goren (S.), " Contemporary letters on the Caprue of Jerusalem by The Crusaders ", J.J.S., vol X, 1952 . , " *Saladin and the Jews*", H U.C.A., vol XXVII , 1956 .
  - Gregoire (H.), *Le Communiqué arabe sur la prise de Thessalonique 904*", B. 22, 1952 .

- Grousset (R.), *Histoire d'Asie, le monde Mongol*, Paris 1922 .
- Hagenmeyer (H.) , *Peter der Ermitte*, Leipzig 1879 . " Chronologie de la  
Premiere Croisade", R.O.L. , T. VII, Année 1899 .
- Halden (J.F.), *Byzantium in the Seventh Century, The Transformation of  
aculture*, Cambridge, 1997, "Blood and Ink : Some Observations  
on Byzantine attitudes Toward Warfare and diplomacy ", in  
Shepard (J.) , and Franklin (S.), (eds.), *Byzantine Diplomacy ,  
Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byz-  
antine studies, The Promotion of Byzantine Studies*, Hampshire  
2003 .
- Halecki (O.), *The Crusade of Varna*, New York 1943 .
- Hamilton (B.) , " The Elephant of Christ : Regnald of Chatillon" in Mo-  
nastic Reform , Catharism and the Crusades, 900-1300, London  
1979 , "Manuel I Comnenus and Baldwin IV of Jerusalem" in J.  
Chrysostomides (ed.), *Kathcyetria, Essays Presented to Jean  
Hussey for her 80 th birthday* , Cambridge 1988 , " The Cathars  
and the Seven Churches of Asia", in J. Howard Johnstone (ed )  
Amsterdam 1988 , " Wisdom from the East: The Reception  
among the Cathars of Eastern Dualist Texts, in Biller (P.) and A.  
Hudson (eds.) , *Heresy and literacy , 1000-1530*, Cambridge  
1994 .
- Harris (J.) *Byzantium and the Crusades*, London 2003 .
- Havighurst (A.), *The Pirenne Thesis Analysis Criticism and Revision*,  
Boston 1958 .
- Hammad (M.), *Latin and Muslim Historiography of the Crusades, A Com-  
parative Study of William of Tyre and izz Addin Ibn Al Athir*,  
ph . D. University of Pennsylvania 1987.
- Head (C.) *Justinian II of Byzantium*, Madison 1972 , *Imperial Twilight :  
The Palaeologos Dynasty and the decline of Byzantium*, Chi-

cago 1977, Imperial Portraits, Byzantine Portraits , A verbal and graphic gallery , New York 1982 .

- Hergemother (J ), Photius Patriarch von Constantinople Seine Leben , Seine Schriften und das griechische Schisma , 3 vols, Regensburg 1897- 1869
- Herrin (J ) Women in purple , Rulers, of Medieval Byzantium , Princeton 2001
- Hillenbrand (C.) The Crusades. Islamic Perspectives, Illinois 1999
- Hedges (R.), Whitehouse (D.), Mohammed , Charlemagne and the Origins of Europe, Archaeology and The Piranne Thesis, New York 1983.
- Hollister (C W.) Medieval Europe: A Short Source Book, U.S.A. 1992 .
- Holt (P.M.), The Crusader States and their Neighbours , London 2004
- Housely (N.), Crusades against Christians Their Origins and early development 1000-1216", in Peter W Edbury(ed.), Crusade and Settlement, Cardiff 1982 , The Crusades, London 2002
- Houts (ed.) The Normans in Europe, Manchester 2000 .
- Higgins (M.J.), The Persian war of the Emperor Maurice I , Washington 1939.
- Hill (G.H.,) History of Cyprus , 3 vols , Cambridge 1948
- Hill (J.H.), Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1967
- Holmes (W.G.), The Age of Justinian and Theodora, 2 vols ., London 1912 .
- Holmes (G ), (ed.) The Oxford History of Italy, Oxford 1997
- Hunt (J ) The French Revolution, London 1998 .
- Hussey (J.), " Michael Psellus" S., vol X , 1935 , " The Later Macedonians the Comneni and The Angeli," C.M.H., vol V, Cambridge 1979, The Byzantine World, New York 1961
- Hutton (W H ) , Constantinople, The Story of the Old Capital of The Empire , London 907

- Inalcik (H.), "Busra and the Commerce of The Levant ", J.E.S.H.O ., vol III, 1960 , " L'Empire Ottoman", Actes du 1er Congres International des Etudes balkaniques et Sud - est europeennes, III, Sophia 1969 , "The Ottoman Turks and the Crusades 1451- 1522", in Setton (ed.) , A History of the Crusades vol . VI , Wisconsin 1989 ., " The question of the Emergence of the Ottoman State ", I.J.T.S., vol . II, 1980 .
- Inalcik (H.) and quataert (D.) , (eds.), An Economic and Social History of the Ottoman Empire , vol . II , 1600-1814 , Leiden 1972 .
- Janin (R.), Constantinople byzantine: developement Urbain et repertoire Topographie, Paris 1950 .
- Jarry (D.) and Jary (J.) Collins dictionary of Sociology, Glasow 1995 .
- Jeffreys (E.), Croke (B), and Scott (R.) (eds.) Studies in John Malalas, Sydney 1990 .
- Jenkins (R.J), " The Supposed Russian attack on Constantinople in 907", A., 1949.
- Jones (A.H.M.) , The Later Roman Empire 284-602, Baltimore 1986 .
- Jones (J.R.M.), The Siege of Constantinople 1453 , Seven Contemporary accounts , trans . by J.R. M. Jones, Amsterdam 1972 .
- Jugue (M.), Le Voyage de L'Empereur Manuel Paleologue en Occident" E.O., T.XV, 1912 , " Michael Psellus", D.T. C.T. XIII, 1936 .
- Kaegie (W.). Byzantium and The Early Islamic Conquests, Cambridge 2000 , Heraclius Emperor of Byzantium , Cambridge , 2003 .
- Kamil (J.) , Coptic Egypt, History and Guide Cario 1990 .
- Kaplan (S.), The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, New York 1960 .
- Kazhdan (A.P.) (ed.), Oxford dictionary of Byzantium, Oxford, 1991.
- Kazhdan (A.P.) and Epstein (A.W), Change in Byzantine, Culture in The Eleventh and Twelfth centuries, los Angeles 1985 .

- Kedar (B.), *Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims*, Princeton 1988 .
- Keen (M ) *The Pelican history of Medieval Europe*, London 1976 .
- Kelly (J N.D.), *The Oxford dictionary of Popes*, Oxford 1996 .
- Kleinbauer (E.), *Saint Sophia at Constantinople*, Dublin 1999.
- Kleinbauer (E.), White (A.) Muthbews (H.), *Hagia Sophia*, Istanbul 2004
- Kordses (M ), " The Question of Constantine Palaiologos" Coronation", in Beuton (R.) and Roveche (C.) (eds.) *The Making of Byzantunc History , Studies dedicated to Donald M. Nicol*, Centre for Hellenic Studies, King's College , London 1993
- Krey (A.C.) , " A Neglected Passage in The Gesta and its Bearing on the literature of the First Crusade", in *The Crusades and other Historical Essays Presented to Dana C. Munro by his former Students*, New York 1928 , " William of Tyre, The making of an historian in the Middle Ages", S., vol XVI , 1941
- Kuelzer (A.), *Byzantunc and early Post Byzantine Pilgrimage to the Holy land and Mount Sinai in Byzantine World* , Burlington 2002.
- La Due (W.J.) , *The Chair of Saint Peter , A History of The Papacy* , New York 1999
- La Monte (J.) , " To what extent was the Byzantine Empire the Suzeran of The Latin Crusading state", B., vol vol. VII, 1932 , *The World of The Middle Ages*, New York 1949
- Lethaby and Swainson , *The church of Sancta Sophia Constantinople Asmdy of Buzantunc building*, London 1894 .
- Lewis (A.), *Naval Power and Trade in the Mediterranean 500-1000 A D .* Princeton 1954 .
- Lewis (B.), " Maimonides, Lionheart and Saladin", E.I., vol VIII, Jerusalem 1964 .
- Lille (D ) , *Byzantium and the Crusader States 1096-1204*, Trans. by J C Morris and Tean Radings , Oxford 1993 .

- Little (W.) and Coulson (F.) , *The Shorter Oxford English dictionary of Historical Principles*, vol . II, Oxford 1950 .
- Lock (P ) *The Franks in The Aegean 1204-1500* , London 1995 .
- Longnon (J.) , " *The Frankish States in Greece (1204-1311)* " , in Setton (ed.) *A history of the Crusades*, vol. II , Wisconsin 1989 .
- Lopez (R.) , " *Silk Industry in the Byzantine Empire*, " S., vol . XX , 1945.
- Lopez (R.) and Raymond (L.W.) , *Medieval trade in the Mediterranean world* , New York 1961 .
- Luchaire (A.), *Innocent III*, 6 vols, Paris 1905-1908.
- Maas (M.), *John Lydus and the Roman Past* , London 1992 .
- Madden (TF) *A Concise History of the Crusades*, London 1999.
- Magdalino (P.) , *The Empire Manuel I Komnenos 1143-1180*, Cambridge 1997
- Mainston (R.J.), *Hagia Sophia Architecture , Structure and liturgy of Justinian's Great Church* , Hungary 1997
- Mango (C.) *Byzantium the Empire of New Rome*, New York 1980 .
- Maniatus (G.C.), " *Organization, Market Structure and Modus Operandi of the Private Silk industry in the 10 th Century Byzantium*" *D.O.P.*, 53 , 1999
- Manz ( B.F.), *The Rise and Rule of Tomerlane*, Cambridge 1989 .
- Marrot , *The Eastern question* , Oxford 1958 .
- Marun (E.G.) *A History of the Iconoclastic Controversy* , London 1978
- Mayer (H.E.) *Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge* , Hannover 1960, " *Literat urbericht uber die Veroffentlich* , Ungem 1958-1967 , H. Z., 3, 1969 ., *The Crusades*, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987
- Mayer (H.E.) & Mclellan (L.), " *Select Bibliography of the Crusades*" in Setton (ed.) *A History of the Crusades*, vol VI Wisconsin 1989 .

- Mazower (M.), *Salonica City of Ghost , Christians, Muslims and Jews, 1420-1950* , New York 200 .
- McKitterick (R.) and Quinault (R.) (eds.) *Edward Gibbon and Empire*, Cambridge 1997
- Meysendorf and Baynes (N.), *The Byzantine Inheritance in Russia" in Baynes and Moss (eds.) Byzantium An Introduction to the East Roman civilization*, Oxford 192 .
- Mijotovich (G.) *Constantine Paleologus , The last Emperor of the Greeks 1448-1453* , Chicago 1968 .
- Mohammad (T.M.), *Ibn Mangali between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences"*, J.M.I.H., vol . III 2003 .
- Mohammed (O.N.) , *Muslim Christian Relations , Past , present , Future* , New York 1999
- Mundy (J H.), *Europe in the High Middle Age 1105-1309* , London 1973.
- Moorhead, *Justinian* , London 1994 .
- Munro (D.) , " The Speech of Pope Urbanus II at Clermont" A.H.R. , vol II , 1905 "Did The Emperor Alexius I ask for aid at the Council of Piacenza", A.H.R., vol. XXVII , 1922 .
- Nelson (R.S.) *Hagia Sophia 1850-1950, Holy wisdom modern monuments* , Chicago 2004
- Newhall (R.A.) , *The Crusades*, New York 1963 .
- Nriavis (P G.), *The Reign of The Byzantine Emperor Nicephor I*, Athens 1987
- Nicholson, *Tancred: Astudy of his Career and work in Their reation to the First Crusade and the establish ment of the Latin States in Syria and Paestine*, Chicao 1940 .
- Nicol (D) , *Biographical Dictionary of The Byzntine Empire*, London 1991, *The Byzantine Lady: Ten Portnt 1250-1500*, Cambrige 1994 , *Byzantium and Venice A Study in Diplomatic and Cul-*

- tural Relation Cambridge 1995 , The Reluctant Emperor A biography of John Cantacuzene, Byzantine Emperor and Monk 1295-1383, Cambridge 2002 , The Last Centuries of Byzantium 1261-1453, Cambridge 2002 .
- Nicolle (D.) , Yarmuk ad 636, The Muslim Conquest of Syria, Oxford 1994, Constantinople 1453- The end of Byzantium, London 2005
- Noouan (T.), " Byzantium and khazars a special relationship ", in Shepard (J.), and Franklin (S.), (ed.) , Byzantine Diplomacy , Papers from the Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine studees. Cambridge , March 1996, Hampshire 1997 .
  - Norwich (J.J.), A Short History of Byzantium , Penguin Book, London 1998 , Byzantium , The decline and Fall, New York 2000
  - Oman (C.) , A History of the art of war in the Middle Ages, London 1924 .
  - Ostrogorsky (G.), Pour L'Histoire de Feodalite byzantine, Trans. by H Gregoire, Brussels 1954 , History of the Byzantine State, Trans by J. Hussey Oxford 1956 , " De Pronoia unter den Komnenen", Z.R.V.I, 1970 .
  - Painter (S.) , A History of the Middle Ages 284-1500, New York 1954
  - Parker (K.), Early Modern Tales of Orient , London 1999 .
  - Perroy (E.), The Hundred Years War , Trans. by D.C. Douglas , London 1951 .
  - Peters (E.) (ed.), Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including the Capture of Damietta by Oliver of Paderborn , Pennsylvania 1971 , Heresy and Authority in Medieval Europe, Pennsylvania 1980, Europe and the Middle Ages, New Jersey 1997 .
  - Pirenne (H.), Mohammed and Charlemagne, London 2001 , Medieval Europe Economic and Social History of Medieval Europe, Economic and Social History of Medieval Europe, London 1972 .
  - Pucher (D.E.) , An Historical Geography of the Ottoman Empire From

- earliest Times to The end of The Sixteenth Century Leiden 1972.
- Pazhdan (A.) (eds.) Oxford dictionary of Byzantium , Oxford 1991
  - hilips (J.), and Hoch (M.) (eds.) The Second Crusade , Scope and Consequences, Manchester 2001
  - Prawer (J.) , The Latin Kingdom of Jerusalem , European Colonialism in The Middle Ages, London 1979 .
  - Prundage (J.) " Prostitutions , Miscegenation and Sexual Parity in the First Crusade", in Edbury (ed.) Crusade and Settlement , Cardiff, 1985 .
  - quataert (D.) , The Ottoman Empire 1700-1922. Cambridge 2000
  - Raaflaub (K.), " The Transformation of Athens in the fifth century ", in Boedeker (D.) and Raaflaub (K.) eds.), Democracy , Emire and the Arts in fifth century's Athens, Cambridge 1998
  - Rand (E.K.) , Founders of the Middle Ages, New York 1975
  - Rashdall (H.), The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford 1936 .
  - Regan (G.), The First Crusades Byzantine's Holy Wars, New york 2003
  - Peinink (G.I) and Stoltz (B.H.) (eds.) The Reign of Heraclius (616-641), Crisis and confrontation , Paris 2002 .
  - Riant (C.), " Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades ", A O.L., T.I, Année 1880
  - Riasaurovsky (N.) , A History of Russia , New York 2000
  - Richard (J.) La Comte de Tripolis Sous la Dynastie Toulousaine , Paris 1945 , " La bataille de Hattin, Saladin defeat L'Occident ", H T XLVII, Année 1982 , The Crusades 1071- 1291, Trans. by Jean Birrell, Cambridge 1999
  - Ridley (F.A.). Julian The Apostate and the Rise of Christianity, London 1937
  - Ringrose (K.), " Eunuchs as cultural Mediators", in B. F., vol XXIII, 1996
  - Roscher (H.) , Papst innocent III und die Kerenzzuge, Gottingen 1969

- Roth, *Asbort History of the Jewish People*, London 1953 .
- Ruhricht (R.), *Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Landes Beznglichen Literatur*, vol 333 Bis 1878, Berlin 1878 .
- Runciman (S.), *A History of the First Bulgarian Empire*, London 1930 , *The Byzantine Civilization* , New York 1956 , *The Eastern Schism . A study of the Papacy and the eastern churches during The XI and XII centuries*, Oxford 1956 , *The Emperor Romanus Lecapenus and his reign* , Cambridge, 1963 , *The Fall of Constantinople 1453*, Cambridge 1965 , " *The Pilgrimage to Palestine before 1095*" , in Setton, *A History of the Crusades*, vol . 1 , Pennsylvania A History of the Crusades, Penguin Book, London 1978 .
- Rybarov , *Early Centuries of Russian History* , Moscow 1965 .
- Schlumberger (G.), *Un Empereur Byzantine au Dixieme Siecle Nicephor Phocas*, Paris 1890, *le Siege , la prise , et le Sac de Constantinople par les Turcs* , Paris 1922 , *Renauld de Chaullon Prince d' Antioch au Temps des Croisades*, Paris 1932 .
- Segal (J.B.), *Edessa, The Blessed City*, Oxford 1970 .
- Sharf (A.), *Byzantine Jewry from Justinian to the Fourth Crasade*, New York 1971
- Shepard (J.) and Franklin (S.) (eds.) , *Byzantine Diplomacy, Papers from The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies , The Promotion of Byzntine Studies* , Hampshire 2003 .
- Stegfried (A.), *The Mediterranean* , Trans. by Hemming , London 1948 .
- Skinner , *Physical Geography* , New York 1974 .
- Spuller (C.A.) , *L'Eclogue des Isaurians Texte, Traduction et Histoire* , Cernaursi 1929 .
- Stephenson (C.) , *Medieval History*, New York 1943 .
- Stephenson (P.) , *Byzantium's Balkan Frontier A Political Study of the Northern Balkan 900-1204* , Cambridge 2000 ., *The Legend of*

Basil The Bulgar- Slayer , Cambridge 2003 .

- Steigler , Dictionary of earth sciences , London 1976 .
- Stein (E.), Studien zur Geschichte der byzantinischen Reiches vornehmlich unter den Kaisern Justinus II und Tiberius, Stuttgart 1919 .
- Swainson (H.), Lethaby (W.R.) The Church of Sancta Sophia Constantinople , A Study of Byzantine building , London 2003 .
- Sumption (T.), The Albigensian Crusade, London 1988 .
- Sybel , The History and literature of the Crusades, Trans. by . Duff Gddon, London 1861 .
- Thomson (J.K.T.) , Decline in History , The European Experience , Cambridge 1998 .
- Throop, (P.A.) Criticism of the Crusade A study of public opinion and crusade propaganda, Amsterdam 1940 .
- Tobler (T.) , Bibliotheca Geographica Palestinae , Leipzig 1876 .
- Topping (P.) , " The Morea 1374-1470", in Setton (ed.) , History of the Crusades, vol . II, Wisconsin 1989 .
- Tougher (S.) The Reign of Leo VI (886-912) , Politics and People, Leiden 1997
- Tout (T.F.), The Empire and the Papacy 918-1273, London 1914 .
- Toynbee (A.), Constantine Porphyrogenitus and his world , London 1977
- Treadgold (W.) , History of the Byzantine state and society , California 1997 , A Concise History of Byzantium , New York 2001
- Turk (E.L), The History of Germany , London 1999 .
- Umann (W.), History of Political Thought , The Middle Ages, London 1978 .
- Ure (P.N.) , Justinian and his age , London 1951 .
- Van Houts (E.), The Normans in Europe , New York 2000 .
- Vasiliev (A.), " The Iconoclastic Edict of the Caliph Yazid II A.D. 721",

- D.O.P., Nos. 9-10 , *Massachusetts* 1956 , " The Foundation of the Empire of Trebizend (1204-1222) , S., vol XI, 1936 , " The Empire of Trebizond in History and Literature" B.vol XV, 1940-1941 , *History of the Byzantine Empire* , Madison 1952 .
- Vaukiotes (P.T.), " Al Hakim BI Amrilla The God King idea realised", I.C., vol XXIX , No . I, January 1955 .
  - Vikan (G.), " Byzantine Art" in Angeliki E. Laion and Henry Maguire (eds.) *Byzantium Aworld Civilization D.O.S., washington* 1992.
  - Vissey (D.) , " William of Tyre and The art of Historiography", *Med . S.*, vol XXXV, 1973 .
  - Vogot (A.) *Basile Ier Empereur de Byzance (807-886) et la Civilisation Byzantine à la fin du Ixe Siecle*, Paris 1908 .
  - Vryonis (S.), *The decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the eleventh through The Fifteenth century* , Berkely , los Angeles 1971 .
  - Waley , *Later Medieval Europe from St Louis to Luther*, London 1976 .
  - Walker (P.) "The Crusade of John Tzimiscet in the light of New Arabic evidence" B. XLVII, 1977
  - Weitzmann (K.), *The Monastery of Saint Catherine at Mount Sinai , the Icons* , vol . I, Princeton 1976 .
  - Whitow (M.) , *The Making of Byzantium 600-1025* , los Angeles 1996 .
  - Wilkinson (J.) *Jerusalem Pilgrims before the Crusades* , London 1977
  - Wolfran (H.) , *History of the Goths* , Trans. by Thomas J. Dunlop, Berkely 1990 .
  - Wolff (R.K.), "Baldwin of Flanders and Hainaut , First latin Emperor of Constantinople, his life and resurrection," S., vol XXVII, 1952 .
  - Wright (W.), *Early Travels in Palestine*, London 1848 .
  - Yewdale (R.B.), *Bohemond I Prince of Antioch*, Amsterdam 1970 .

- Yecel (E.) Hagia Sophia , Istanbul 1986 .
- Ziegler (C.B), The History of Russia, London 1999 .
- Ziegler (P.) The Black Death London, 1960 .

- مواقع على شبكة الانترنت :

- مركز الداميرتون أوكسي

Dumbarton Oaks

WWW.doaks.org.

مركز دراسات المصدر الوسطى والتاريخ البيزنطي - جامعة فورد هام

Fordham University , Center for Medieval Studies

WWW . Fordham . edu.

- جمعية الرقي بالدراسات البيزنطية

- Society for the Promotion of Byzantine Studies.

WWW byzantium . uk sp Bs.

جامعة نوتردام

University of Notre Dame

WWW. byzantine , nd. edu.

- جامعة شمالى فلوريدا

University of North Florida

WWW Unf. edu .

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٢٤٨٦

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-322-207-1

مطبعة صحوة

٧ شارع السماعيل دمنان - الكوم الأخضر - فيصل

تلفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨